الجزا الرابع من سراج المنير في الاعانة على معرفة بعض كلام ربنا
الحكيم الخبير تاليف شيخ الاسلام عمدة الانام ولي الله بلا نزاع والدال
عليه من غير دفاع شيخ الاسلام الشيخ محمد شمس الدين
الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
على كل حال
امين

عوسمرد كرارسنه

38 109a
~~869~~
BULAC

سورة ص مكية وهي ست او ثمان وثمانون اية وسبعماية واثنان وثمانون كلمة
وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص الرحمن الذي
عم جوده سائر مخلوقاته الرحيم بمن خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى ص فقيل قسم وقيل
هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في اوائل السور وقال محمد ابن كعب القرظي
مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن
عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من هذه الحروف
وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته والقران اي الجامع مع البيان
لكل خير ذي الذكر اي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي البيان قال الضحاك
ذي الشرف دليله قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فان قيل هذا قسم فاين المقسم عليه
اجيب بانه محذوف تقديره ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الالهة وقوله تعالى
بل الذين كفروا اي من اهل مكة اضراب انتقال من قصة الى اخرى في عزة اي حمية وتكبر
عن الايمان وشقاق اي خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والتنكير في عزة
وشقاق للدلالة على شدتهما وقيل جواب القسم قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله
تعالى بالقران ان محمدا لصادق وقال الفراء معناها وجب وحق فهو جواب قوله
والقران كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل وقال السدي ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب
اقاصيص واخبار كثيرة وقال مجاهد في عزة اي متعازين كم اي كثيرا اهلكنا من قبلهم
واكد كثرتهم بقوله تعالى من قرن اي امة من الامم الماضية تنبيه كم مفعول اهلكنا ومن قرن
تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية فنادوا اي استغاثوا عن نزول العذاب وحلول النقمة وقيل
نادوا بالايمان والتوبة ولات اي وليس الحين حين مناص اي منجا ولا فرا قال ابن عباس كان
كفار مكة فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم
العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص ينوص اذا تقدم
ولات يعني ليس بلغة اهل اليمن وقال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وبت
وثم وثمت واصلها ها وصلت هائلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة ولا تعمل الا في الازمان خاصة
نحو لات حين ولات اوان كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقا
والاكثر حينئذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد تحذف المنصوب
ويبقى المرفوع كقوله من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح اي لا براح لي ولما حكى
تعالى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة بقوله تعالى
وعجبوا اي الكفار الذين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه بل الذين كفروا ان اي لاجل ان جاءهم منذر
هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى منهم وجهان احدهما انهم قالوا ان محمدا مساوي
لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص
من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال
جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغيب في الاخرة ثم ان هذا الرجل من اقاربهم
يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقهم
ثم انهم لحماقتهم يتعجبون له من قوله وقال الكافرون وضع الظاهر فيه موضع الضمير

اشارة

اشارة الى انهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لا جاهلون ومعاندون لا غافلون
وايذانا لشدة غضبه عليهم وذما لهم على قولهم هذا اي النذير ساحر اي فيما يظهره معجزة
كذاب اي فيما يقولون على الله اجعل اي صير بسبب ما يزعم انه يوحى اليه الالهة اي التي نعبدها
الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ان هذا اي القول بالوحدانية لشيء عجاب اي بليغ
في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته
بالاشياء الكثيرة وقال البغوي العجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير
وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روي انه لما اسلم عمر رضي
الله تعالى عنه شق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملا
من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد
ابن المغيرة اذهبوا الى ابي طالب فاتوا اليه وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هولاء السفهاء وانا جئناك نقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فحضر فقال له يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السوا فلا تمل
كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر الهتنا قال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا
ذلك وانطلق الملا منهم اي اشراف قريش من مجلس اجتماعهم عند ابي طالب وسماعهم فيه
من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا
اي اذهبوا واصبروا اي اثبتوا على الهتكم اي على عبادتها قال الزمخشري ويجوز انهم
قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاول انتهى فايدة الجمع يكسرون النون في الوصل من ان امشوا والهمزة في الابتدا
من امشوا ولما اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون ان هذا اي الذي نراه
من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد اي بنا فلا مرد له او ان الصبر على الالهة
لشيء يراد اي هو اهل الارادة فهو اهل لان لا ينفك عنه وقيل هذا المذكور من التوحيد
يراد منا وقيل ان دينكم لشيء يطلب ليوخذ منكم ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد
من التوحيد في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون في النصرانية لانها اخر الملل
وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد يعنون ملة قريش
دينهم الذي هم عليه ان اي ما هذا اي الذي يقوله الا اختلاق اي افتعال وكذب
ءانزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم الذكر اي القران من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا
وهذا استفهام على سبيل الانكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم وفي ذلك دليل
على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالواو وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو
بخلاف عن ابي عمرو وورش وابن كثير بغير ادخال وعن هشام فيها ثلاثة اوجه
تحقيق الهمزتين وادخال الف بينهما وتحقيقهما من غير ادخال وتسهيل الثانية
وادخال الف بينهما والباقون بتحقيقهما من غير ادخال قال الله تعالى بل هم في شك

BULAC

اي تتردد محيط بهم متدرى لهم **بل ذكرى** اى وحي وما انزلت لمثلهم الى التقليد واعراضهم
عن الدليل الذى لو نظروا فيه لزال كهذا الشك عنهم **بل** اى ليسوا فى شك منه فى نفس
الامر وانما قولهم قول من هو فى شك **لما يذوقوا عذاب** اى الذى اعددته
للمكذبين ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ولصدقوا النبى فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق
حينئذ **ام** اى بل **عندهم خزائن** اى مفاتيح **رحمة** اى نعمة **ربك** وهى النبوة يعطونها من شاءوا
ويظنون انهم يقسمون رحمة ربك اى نبوة ربك **العزيز** اى الغالب الذى لا يغلبه احد
الوهاب اى الذى له ان يهب كل ما شاء من النبوة وغيرها لمن شاء من خلقه ولما كانت
خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه ومن جملتها السموات
والارض وما بينهما وهم عاجزون عن هذا القسم قال تعالى **ام لهم ملك السموات والارض**
وما بينهما اى ليس لهم ذلك فبان ان يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله اولى وقوله تعالى
فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج
التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلون الوحى الى
من يريدونه وهذا غاية التهكم بهم والتعجيز والتوبيخ قال مجاهد اراد بالاسباب
ابواب السماء وطرقها من تيسر الى السماء وكل ما يوصل الى شئ من باب او طريق فهو سبب
واستدل اهل الاسلام بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب على ان الاجرام العلوية
وما اودع الله تعالى فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلى
لان الله تعالى يسمى الكلمات اسبابا وهذا يدل على ذلك وقوله تعالى **جند ما هنالك**
مهزوم من الاحزاب خبر مبتدا مضمر اى هم اى قريش جند من الكفار المتحزبين على الرسل
مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم تدبير الالهية والتصرف فى الامور الربانية فلما كذبت
بما تقول قريش قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه
سيهزم جند المشركين فقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تاويلها يوم بدر
وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق قال الرازى والاصح عند
حملها على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون مهزومين فى الموضع الذى
ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون
مهزومين فى مكة وما ذاك الا يوم الفتح تنبيه فى ما وجهان احدهما انها مزيدة
والثانى انها صفة لجند على سبيل التعظيم للهزيمة اى وللتحقير فان ما الصفة تستعمل
لهذين المعنيين ومثله قول امرء القيس وحديث ما على قصره وقد تقدم الكلام عليها
فى اوائل البقرة وهنالك صفة لجند ولذلك مهزوم ومن الاحزاب ثم قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم معزيا له **كذبت** اى مثل تكذيبهم **قبلهم قوم نوح** اثبت قوم
باعتبار المعنى واسقط فى عاد وثمود الى ان زاى الاقدام احدهم ولم يسمح
بالاذعان ولا بالتضرع الى نوح عليه السلام **وعاد** سماهم بالاسم المشعر بما كان لهم
من المكنة بالملك واستمر فى ثمود الى ان خرجت عليهم الريح وراوها كاعجاز الابل
فيما بين السماء والارض وهم لا يذعنون لما دعاهم اليه هود عليه السلام **وفرعون**
ذو الاوتاد كانت له اوتاد يعذب الناس عليها وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا

بين

بين اربعة اوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية وتركه كذلك في الهوا بين السما والارض
حتى يموت وقال مجاهد كان يمد الرجل مستلقيا على الارض يمد رجليه ويديه وراسه
على الارض بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب
والحيات وقال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل ذو الملك الشديد وقال العتبي تقول
العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون انه دايم شديد قال الاسود بن يعفر
ولقد عنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد وقال الضحاك ذو القوة
والبطش وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة لانهم كانوا يقوون امره ويشدون
ملكه كما يقوى الوتد الشي والاوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التا
وهي الفصحى ووتد بفتحتين وود بادغام التا في الدال **وثمود** واستمروا فيما هم فيه
الى ان راوا علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم اسودادها ولم يكن
في ذلك زاجر يردهم عن عزتهم وشقاقهم **وقوم لوط** اي الذين لهم قوة القيام
بما يحاولونه واستمروا في عزتهم وشقاقهم **واصحاب الايكة** وهم قوم شعيب عليه
السلام **اولئك الاحزاب** اي المتحزبين على الرسل الذين خص الحمد المهزوم منهم وقيل
المعنى اولئك الاحزاب مبالغة في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اي اولئك الاحزاب
مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هولا الضعفا المساكين اذا نزل
عليهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للسامعين **ان** اي ما **كل** اي من الاحزاب **الا كذب**
الرسل اي لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهي دعوة
التوحيد **فحق عقاب** اي فوجب عليهم ونزل بهم عذاب ثم بين تعالى ان هولا المكذبين
وان تاخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال تعالى **وما ينظر** وحقرهم بقوله تعالى **هولا**
اي وما ينتظر كفار مكة **الا صيحة واحدة** وهي نفخة الصور الاولى كقوله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيامة فجعلهم منتظرين
لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشي فهو ماد الطرف اليه يقطع كل ساعة
بحضوره وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجيهم ويحييهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان
بهم اذا هلكوا قال الشاعر صاح الزمان بال قومك صيحة خروا لشدتها على الاذقان
ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني
معكم من المنتظرين وقرا حمزة والكسائي **ما لها** اي الصيحة **من فواق** بضم الفا والباقون
بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد وهما الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع
والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة
وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة وقال ابن عباس ما لها
من رجوع من افاق المريض اذا رجع الى صيحته وافاقة الناقة ساعة ترجع اللبن الى ضرعها
يقال افاقة الناقة تفيق افاقة رجعت واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة
اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين وهي ان تحلب الناقة ثم تترك ساعة ثم يجتمع اللبن فما بين
الحلبتين فواق اي العذاب لا يمهلهم بذلك القدر **وقالوا** اي كفار مكة استهزا ولما نزل
قوله تعالى في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله **ربنا** اي ايها

حتى ضربوا بالغشا وطمس الاعين ولم يقدروا على الوصول
الى ما ارادوا من الدخول الى بيت لوط عليه السلام
ولم يردهم ذلك عن عزتهم وشقاقهم صح

BULAC

المحسن الينا عجل لنا قطنا اي كتاب اعمالنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد
ابن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي نقول وقال مجاهد والسدي يعني
عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحارث وهو قوله ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وعن مجاهد قطنا حسابنا يقال
لكتاب الحساب قط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز ويجمع على قطوط
وقططة كقرد وقرود وقردة وفي القلة على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح
الا ان افعله في فعل شاذ ولما ان القوم تعجبوا من امور ثلاثة اولها من امر النبوات
واثباتها كما قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها تعجبهم
من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قالوا ذلك
استهزا امر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله سبحانه اصبر واشار بحرف
الاستعلا الى عظيم الصبر فقال على ما يقولون اي ما يقول الكفار من ذلك ثم انه
تعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر ذكر قصص انبيا تسلية له فكانه تعالى
قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبيا ليعلمه ان كل واحد منهم كان
مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان
وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا تحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب
في الدنيا وبدا من ذلك بقصة داود عليه السلام فقال تعالى واذكر عبدنا
اي الذي اخلصناه لنا واخلص نفسه للنظر الى عظمتنا والقيام في خدمتنا وابدل منه
او بينه بقوله تعالى داود ذا الايد قال ابن عباس اي القوة في العبادة روى عبد
الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله صيام داود
واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل ذو القوة في الملك ووصفه تعالى بكونه عبدا
له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف
الا ترى انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده وايضا وصف الانبيا بالعبودية مشعر بانهم قد حصلوا
معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة اواب اي رجاع الى مرضات الله
تعالى والاواب فعال من آب يؤوب اذا رجع قال تعالى ان الينا ايابهم
وهذا بنا مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ من قاتل وضارب
وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة ويؤيد هذا
قوله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شي سخرنا الجبال اي التي هي
اقسى من قلوب قومك فانها اعظم الاراضي صلابة وقوة وعلوا ورفعة بان جعلناها
منقادة ذلولا كالجمل الانف ثم قيد ذلك بقوله تعالى معه اي مصاحبة له يسبحن
اي بتسبيحه وفي كيفية تسبيحها وجوه احدها ان الله تعالى يخلق في جسم الجبل
حياة وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى ثانيها قال
القفال ان داود عليه السلام اوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال

ذوي

دوي حسن وما يصغي الطير اليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاها
اليه تسبيحا روى محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود
حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت منه الوحوش حتى تؤخذ باعناقها ثالثها ان الله
تعالى سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريد داود فجعل ذلك السير تسبيحا
لانه يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته **بالعشي والاشراق** قال الكلبي غدوة وعشيا
والاشراق هو ان تشرق الشمس وتبناها ضوءها قال الزجاج يقال اشرقت الشمس
اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى الاول اكثر تقول العرب شرقت الشمس
ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلاة الضحى قال ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا ادري
ما هي حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعى
بوضوء فتوضا ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وروى طاوس
عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القران قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق قال وكانت صلاة يصليها داود عليه السلام لم يزل في نفسي
من صلاة الضحى شي حتى طلبتها وجدتها في قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق وقوله
تعالى **والطير محشورة** اي مجموعة اليه تسبح معه عطف مفعول على مفعول وهما الجبال
والطير وحال على حال وهما يسبحن ومحشورة كقولك ضربت زيدا مكتوفا وعمرا مطلقا
واتى بالحال اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيا فشيا لان حشرها دفعة واحدة ادل
على القدرة والحاشر هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير
مع انه لا عقل لها اجيب بانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله تعالى
فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة لداود عليه السلام **كل** اي من الجبال والطير
له اي لداود اي لاجل تسبيحه **اواب** اي رجاع الى طاعته بالتسبيح وقيل كل مسبح
فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تعالى والمراد كل من داود والجبال
والطير مسبح ورجاع لله تعالى **وشددنا** اي قوينا بما لنا من العظمة **ملكه** بالحرس
والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة
وثلاثون الف رجل وعن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم
عند داود فقال ان هذا غصبني بقرا فسال داود فجحد فقال للاخر البينة
فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله تعالى الى داود
في منامه ان يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رويا ولست اعجل حتى اتثبت
فاوحى الله تعالى اليه مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله تعالى اليه الثالثة ان تقتله او تاتيه
العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله تعالى اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير
بينة قال داود نعم والله لانفذن امر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال
لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ولد هذا
فقتلته فلذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك
في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه **واتيناه** اي بعظمتنا
الحكمة اي النبوة والاصابة في الامور واختلف في تفسير قوله تعالى **وفصل الخطاب**
فقال ابن عباس بيان الكلام اي معرفة الفرق ما يلتبس في كلام المخاطبين له من غير كثير روية

BULAC

في ذلك وقال ابن مسعود والحسن علم الحكمة والنصر بالقضا وقال علي بن ابي طالب
هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل
به وقال ابي ابن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقال مجاهد وعطا ويروى
عن الشعبي ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد
اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من قاله داود عليه السلام وقيل غيره كما
ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج اما بعد وقيل هو الخطاب الفصل
الذي ليس باختصار مخل ولا اشباع ممل كما جا وصف كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فصل لا نزر ولا هذر وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل استفهام
معناه التعجب والتشويق الى استماع ما بعده اتاك يا افضل الخلق نبا اي خبر
الخصم وهو في الاصل مصدر ولذلك يصلح للمفرد والمذكر وضدهما والمراد به
هنا الجمع بدليل قوله تعالى اذ اي حين تسوروا اي تصعدوا وعلوا المحراب
اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة
قال الزمخشري فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك
او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان النبا واقع
في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت
بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف تقديره وهل
اتاك نبا الخصم اذ انتهى فاختار ان يكون معمولا لمحذوف ويجوز ان ينتصب بالخصم
لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى اذ اي حين دخلوا على داود بدل من اذ الاولى
او ظرف لتسوروا وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الذال عند التا في الاول
وعند الدال في الثاني ووافقهم ابن ذكوان في الاول والباقون بالادغام فيهما
ففزع منهم اي لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب
لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه السلام كان جزا زمانه يوما للعبادة ويوما
للقضا ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بحاجته فتسور عليه ملايكة على صورة
الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف وقولهم خصمان خبر مبتدا مضمر اي نحن خصمان
اي فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما وقد مر
ان الخصم يطلق على الواحد واكثر وقولهم بغى بعضنا على بعض جملة يجوز ان تكون
مفسرة لحالهم وان تكون خبرا ثانيا فان قيل كيف قالوا بغى بعضنا على بعض
وهم ملايكة على المشهور اجيب بان ذلك على سبيل الفرض اي ارايت خصمين
بغى احدهما على الاخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما
فاحكم بيننا بالحق اي الامر الثابت الذي يطابق الواقع ولا تشطط اي ولا تجور
في الحكومة واهدنا اي ارشدنا الى سوا الصراط اي وسط الطريق الصواب فقال
لهما تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي او في النصح لا من جهة
النسب له تسع وتسعون نعجة اي امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والنعجة
هي الانثى من الضان كثر في كلامهم الكناية بها عن المراة قال ابن عون انا ابوهن ثلاث هنة

رابعة

رابعة في البيت صفراء هنة ونعجتي خمسا توفيهنة قال الحسن بن الفضل هذا تعريض
للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن ثم نعاج ولا بغي فهو كقولهم ضرب زيد عمرا واشترى
بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شرا وقرا حفص بفتح اليا والباقون بالسكون فقال
اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد انزل لي عنها وحقيقته ضمها الي
وحقيقتها ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يقولها وينفق عليها والمعنى طلقها
لاتزوجها وعزني اي غلبني في الخطاب اي الجدال لانه افصح مني في الكلام وقيل قهرني لقوة
ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني وحقيقة
المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود
مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داود وسياتي الكلام على قصته ان شا الله تعالى
على قرب قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه وهذا جواب قسم محذوف اريد
به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه والسوال مصدر مضاف الى مفعوله
وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والانضمام اي ليضمها مضافة
الى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه اجيب بان معناه
ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك او انه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول
ولم يذكر الله تعالى ذلك لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان الخصم الذي هذا شانه
قد ظلمك وقرا قالون وابن كثير وهشام وعاصم باظهار الدال عند الطا والباقون
بالادغام وقوله وان كثيرا من الخلطا اي مطلقا منكم ومن غيركم والخلطا جمع خليط
وهم الشركا الذين خلطوا اموالهم وقال الكميت خليط الرجل مخالطه ليبغي اي ليتعدى
بعضهم غالبا على بعض فيريدون غير الحق فان قيل لم خص الخلطا بيبغي بعضهم على بعض
مع ان غير الخلطا يفعلون ذلك اجيب بان المخالطة توجب كثرة المنازعة
والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل منهما على احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشيا
النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المنازعة
والمخاصمة فلذلك خص داود عليه السلام الخلطا بالبغي والعدوان ثم استثنى فقال
الا الذين امنوا وعملوا اي تحقيقا لايمانهم الصالحات اي الطاعات فانهم لا يقع منهم بغي
لان مخالطة هولا تكون لاجل الدين وهذا استثنا متصل في قوله بعضهم وقليل
ما هم اي هم قليل فقليل خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدا وقال الزمخشري
ما للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت ان تحقق فايدتها وموقعها فاطرحها
من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي لها معنى قط وظن داود اي
بذهابهم قبل فصل الامر وقد همه من ذلك امر من عظمة الله لا عهد له بمثله انما فتناه
اي امتحناه قال المفسرون ان الظن هنا بمعنى العلم لان داود لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعدا الى السما حيال وجهه فعلم ان الله تعالى ابتلاه بذلك فثبت ان داود
علم ذلك وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما
وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فاستغفر ربه اي طلب الغفران من مولاه الذي
احسن اليه وخر اي سقط من قيامه توبة لربه عن ذلك راكعا اي ساجدا على تسمية السجود
ركوعا لانه مبدوه او خر للسجود راكعا او مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب

BULAC

اي ورجع الى الله تعالى قال الرازي وللناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه
القصة دلت على صدور الكبيرة عنه وثانيها على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة
ولا صغيرة واما القول الاول فقالوا ان داود احب امراة اوريا فاحتال في قتل زوجها
ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته
وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه
لذلك فاشتغل بالتوبة قالوا وسبب ذلك ان داود عليه السلام تمنى يوما
من الايام منزلة ابائه ابراهيم واسحاق ويعقوب وسال ربه ان يمتحنه
كما امتحنهم ويعطيه مثل الفضل ما اعطاهم فاوحى الله تعالى اليه انك تبتلى في يوم
كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم جاء الشيطان فتمثل له في صورة حمامة
من ذهب فيها من كل لون حسن فاعجبته حسنها فمد يده لياخذها ويريها
بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فطارت غير بعيد فتبعها فطارت من كوة
فنظر داود اين تقع فابصر امراة في بستان تغتسل فتعجب داود من حسنها وحانت
منها التفاتة فابصرت ظله فتغطت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا فسال
عنها فقيل هي امراة اوريا وزوجها في غزاة فاحب داود ان يقتل ويتزوج هو بها
فارسل داود الى ابن اخته ان قدم اوريا قبل التابوت وكان من قدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه او يقتل فقدمه ففتح على يديه
فكتب الى داود فامر ان يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل في الثالثة
فلما انقضت عدتها تزوجها فهي ام سليمان عليه السلام قال الرازي والذي ادين الله تعالى به
واذهب اليه ان ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها
لو نسبت الى افسق الناس واشدهم فجورا لا ينفي منها وللذي نقل هذه القصة لو نسبت
الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه ورعا ولعن من نسبه اليها فكيف يليق بالعاقل
نسبة المعصية اليه ثانيها ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم
بغير حق والى الطمع في زوجته فاما الاول فامر منكر قال صلى الله عليه وسلم من سعى
في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء مكتوب عليه بين عينيه ايس من رحمة الله واما الثاني
فمنكر ايضا قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فان
اوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه ثالثها ان الله تعالى وصف
داود عليه السلام بصفات ينافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر
الصفة الاولى انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بداود في المصابرة
مع المكاره فلو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم عبد مسلم
لغرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا افضل الرسل بان يقتدي بداود
في الصبر على طاعة الله الصفة الثانية انه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود
من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية في القيام باداء
الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا ان داود اشتغل بتلك الاعمال
الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة الصفة الثالثة
وهو قوله تعالى ذا الايد اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة

في غير

في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة في ادا
الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة
في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق هذا
بمن قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه
يسبحن افترى انه سخرت له الجبال لتحذو سبيله الى القتل والفجور الصفة السادسة
قوله تعالى والطير محشورة قيل انه كان محرما عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان يكون
الطير امنا منه ولا يجوز امن الرجل المسلم عن زوجته ومنكوحته الصفة السابعة قوله
تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شد ملكه باسباب الدنيا بل المراد انا
ملكناه بقوى الدين واسباب سعادة الاخرة والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا
ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور كيف به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا
اتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الشيطان من مزاحمة اخص
اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة واما الصفات
المذكورة بعد ذكر القصة فاولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقوله
تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فكيف ان الله تعالى يجعله خليفة ويقع
منه ذلك وقد روي عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث
داود على ما ترويه القصاص فاجلده مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء ومما
يقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة ابن شعبة زنا وشهد ثلاثة من شهود عدول الصحابة بذلك
واما الرابع فانه لم يقل اني رايت ذلك بعيني فان عمر رضي الله تعالى عنه كذب اولئك الثلاثة
وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال في واحد من احاد الصحابة
كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبياء عليهم السلام فثبت
بما ذكرنا ان القصة التي ذكرها هؤلاء باطلة لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس
وفيه بعض الاكابر ثم وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة
الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان
من اكابر الانبياء والرسل وقال تعالى حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله بمثل هذا
المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا فبتقدير انه ما كان نبيا فلا شك
انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير وذكر له اشياء اخر قال
فسكت ولم يذكر شيئا فان قيل قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين اجيب
بانه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان
الرجوع الى الدلائل القطعية واجبا والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب
واما القول الثاني فقالوا تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة وذلك
من وجوه الاول ان هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود عليه السلام فابوه
اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه
وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها بغير قصد
فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل ليس في وسعه فلا يكون

مكلفا به بل لما اتفق ان قتل زوجها تزوج بها الثالث انه كان من اهل زمان داود عليه
السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادتهم مألوفة
معهودة في هذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فاجبها
فسأله النزول فاستحيا ان يرده فعلم داود عليه السلام فقيل له هذا وان كان جائزا
في ظاهر الشريعة الا انه الاليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه
ثلاثة لو حملت هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود الا ترك الافضل والاولى
واما القول الثالث فقالوا انحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه ايجاب كبيرة
ولا صغيرة لداود عليه السلام بل يوجب اعظم انواع المدح والثناء وهو
انه قد روى ان جماعة من الاعداء ظهروا في ايام داود عليه السلام فاتفق ان بعث الله تعالى داود عليه
السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويستقل بطاعة ربه فانتهز الفرصة
في ذلك اليوم وتسور المحراب فلما دخل عليه وجد عنده اخوانا لم ينعم منه
فجأة فراعوه وهموا بالوثوب عليه فلما رأوه متغضبا عاجلوه بالخصومة فعلم غرضهم
وقصدهم فتبسم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم وناب فان
قيل هنا اربعة الفاظ يمكن ان يحتج بها في الحاق الذنب بداود عليه السلام احدها
قوله تعالى وظن داود انما فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله
تعالى واناب ورابعها قوله تعالى وغفرنا له ذلك اجيب بان هذه الالفاظ لا تدل
شيء منها على ما ذكرتم الا ان تكون تلك الزلة انما حصلت من باب ترك الافضل والاولى
كما مر وحمل هذه الالفاظ على هذا الوجه لا يلزم منه اسناد شيء من الذنوب اليه بل ذلك
يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظلم
الآخر قبل مسئلته وهذا اشياء كثيرة ذكرها البغوي وغيره وقيل ذكر ثناء كفاية
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر منه وقوله عند ربه للمتقين زيادة خير في الدارين بعد
المغفرة وحسن مآب اي موضع في الجنة ولنا تمام الكلام في شرح القصة اردفها ببيان
ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض بقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
اي تدبر امر العباد بامرنا وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول الاول كما مر
لان من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين رغبة
في انتزاع الزوجة منهم ثم تذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم
في تفسير كونه خليفة وجهان احدهما جعلناك بخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء
الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق
من يصح عليه الغيبة وذلك على الله تعالى محال ثانيهما انا جعلناك ممكنا في الناس نافذ
الحكم فيهم فبهذا التأويل يسمى خليفة ومنه يقال لخليفة الله في ارضه وحاصله
ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى
فاما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة
فاحكم بين الناس اي الذين يتحاكمون اليك من اي قوم كانوا بالحق اي بالعدل
لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم
واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد

الانفس

الانفس افضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج فيه في الخلق وذلك يفضي الى هلاك
ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى ولا تتبع الهوى اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله
تعالى تسبب عنه قوله تعالى فيضلك اي ذلك الاتباع او الهوى عن سبيل الله لان
متابعة الهوى يوجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء
العذاب كما قال تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله اي عن الايمان بالله لهم عذاب
شديد بما نسوا اي بسبب نسيانهم يوم الحساب اي المرتب عليه تركهم الايمان ولو
ايقنوا بيوم الحساب لامنوا في الدنيا وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال
عكرمة والسدي في الاية تقديم وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب
بما نسوا اي تركوا القضا بالعدل وما خلقنا السما اي التي ترونها والارض وما بينهما
مما تحسبونه من الرياح وغيرها خلقا باطلا اي عبثا كما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون تنبيه احتج اهل السنة بان هذه الاية تدل
على انه تعالى خلق اعمال العباد لان الاية دلت على انه تعالى خلق كل ما بين السما والارض
واعمال العباد ما بين السما والارض فوجب ان يكون تعالى خالقا لها ودلت على صحة القول
بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار او الانتفاع
او لا لشي والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث ايضا باطل لان هذه الحالة
حاصلة خالصة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع فذلك
الانتفاع اما ان يكون في حياة الدنيا او في حياة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا
قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما
بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول
بالحشر والنشر والقيامة تنبيه يجوز في باطلا ان يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا
من ضميره اي خلقا باطلا وان يكون حالا من فاعل خلقنا اي مبطلين او ذوي باطل وان يكون
مفعولا من اجله اي للباطل وهو العبث ذلك اي خلق ما ذكر لا لشي ظن الذين كفروا
اي اهل مكة هم الذين ظنوا انها خلقا لغير شي وانه لا عبث ولا حساب فويل اي هلاك
عظيم بسبب هذا الظن او واد في جهنم للذين كفروا اي مطلقا بهذا الظن وغيره من اي
مبتدي من النار لان من انكر الحشر والحشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السما والارض
ونزل لما قال الكفار قريش مكة للمومنين انا نعطى في الاخرة مثل ما تعطون ام نجعل اي على
عظمتنا الذين امنوا اي امتثالا لاوامرنا وعملوا الصالحات تحقيقا لايمانهم
كالمفسدين اي المطبوعين على الفساد والراسخين فيه في الارض اي بالكفر وغيره لم نجعلهم
مثلهم وام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الجزئين التي هي من لوازم
خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار كرر الانكار
الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية او انه انكر التسوية اولا بين المومنين
والكافرين ثم بين المتقين من المومنين والمجرمين منهم وقوله تعالى كتاب خبر مبتدا
مضمر اي هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى انزلناه اي عالنا من العظمة اليك
يا اشرف الخلق مبارك اي كثير خيره ونفعه وقوله تعالى ليدبروا اصله ليتدبروا ادغمت
التا في الدال اياته اي ليتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة فيأتمروا باوامره

ومناهيه فيؤمنوا وليتذكر اي وليتعظ به اولوا الالباب اي اصحاب العقول القصة
الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ووهبنا اي بما لنا من العظمة
لداود سليمان ابنه فجاء عديم النظير في ذلك الزمان دينا ودنيا وعلما وحكمة
وحلما وعظمة ورحمة والمخصوص بالمدح في قوله تعالى نعم العبد محذوف اي سليمان
وقيل داود انه اواب اي رجاع اي في التسبيح والذكر في جميع الاوقات اذ اي اذكر
اذ عرض عليه اي سليمان وقوله تعالى بالعشي هو ما بعد الزوال الى الغروب وقوله
تعالى الصافنات اي الخيل العربية الخالصة جمع صافنة وفيه خلاف بين اهل
اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه
وقد يفعل ذلك باحدى رجليه قال وهي علامة الفراهة فيه وانشد الف الصفون فلا
يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما وقيل هو القائم
مطلقا اي سواء كان من الخيل ام من غيرها قاله القتبي واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم
من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي يدعون له القيام
وجاء في الحديث فمنا صفوفا اي صافين اقدامنا وقيل هو القيام مطلقا سواء وقف
على طرف سنبك ام لا قال الفراء على هذا رايت اشعار العرب واختلف ايضا
في قوله تعالى الجياد فهي اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود جودة وجودة بالفتح
والضم فهو جواد للذكر والانثى وهو الذي يجود في جريه باعظم ما يقدر عليه والجمع جياد
واجواد واجاويد وقيل جمع جود بالفتح كثوب وثياب واما من الجيد وهو العنق والمعنى
طويلة الاجياد وهو دال على فراهتها قال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث من ابيه داود الف فرس وقال عوف عن الحسن
بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وعن عكرمة انها كانت عشرين
الف فرس لها اجنحة فصلى سليمان الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه
وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس
قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك فقال اني احببت
اي اردت حب الخير اي استترت بما يحجبها عن الابصار ردوها علي اي الخيل
المعروضة وقيل الضمير يعود الى الشمس قال الرازي وهذا بعيد لوجوه الاول
ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده
الى المقدر ثانيها انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر
كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذه حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار
التوبة فاما ان يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل
جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم الذي لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير
فلا فكيف يجوز اسناده للرسول المطهر المكرم ثالثها ان الشمس لو رجعت بعد
الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت بالدواعي على نقله
وحيث لم ينقل علمنا فساده انتهى قال اكثر المفسرين فلما ردوا الخيل اليه اقبل يضرب
سوقها واعناقها بالسيف اخذا من قوله تعالى فطفق مسحا اي فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اي سوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته

اي الخيل عن ذكر ربي اي صلاة العصر حتى توارت اي الشمس بالحجاب

اذا ضرب

اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل
عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام
وبقي منها مائة فرس فما بقي في ايدي الناس اليوم من الخيل من نسل تلك المائة قال
الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله عز وجل خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره
كيف شاء قال الرازي وهذا عندي بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق
قطعها لكان معنى فامسحوا برؤوسكم اي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل
مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه
البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين بهذا القول اجمعوا على سليمان عليه
الصلاة والسلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلاة وثانيها انه
استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حيث نسي الصلاة او قال صلى الله عليه وسلم
حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل
بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي
وهذه كلمة لا يقولها الرجل الخصيف الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه
المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان
الا لماكله وهذه انواع من الكبائر ينسبونها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ
القران لم يدل على شيء منها وخلاصتها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقب قوله
تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بالغوا في الشفاعة الى هذا
الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم
ذكر عقيبه قصة سليمان فقال ووهبنا له الاية لتقرير انه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه
وسلم يا محمد اصبر على ما تقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا
ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة
الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان
عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه
القصة لائقا قال والصواب ان يقال ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين
محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر
باحضار الخيال وامر باجرائها وذكر اني لا اجريها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما حبها
لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام
امر باجرائها وسترها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرائضين
بان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لقدرتها لكونها من اعظم الاعوان
على دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث
يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل ومراميها وعيوبها فكان
يمسها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير
هو الذي ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزم منه نسبة شيء من تلك المنكرات الى سليمان
عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل

يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك
الوجوه فالجواب ان نقول لفظ الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا
وايضا فان الدلايل الكثيرة قامت على عصمة الانبيا عليهم السلام ولم تدل على صحة هذه
الحكايات دليل قطعي ورواية الاحاد لا تصلح معارضة للدلايل القوية فكيف الحكايات
من اقوام لا يلتفت الى اقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان انتهى وقد يجاب
من جهة الجمهور ان ما نسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك ان قوله اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم
منه البتة من المسح العقر والذبح يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا انواعا
مذمومة اولها ترك الصلاة انما يكون ذلك مذموما اذا تركها متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها
وقد نام صلى الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضى الصبح والنسيان والنوم
لا مؤاخذة وقوله ثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا انما اشتغل بذلك لامر
الجهاد وهو مطلوب في حقه وقوله ثالثها انه لم يشتغل بالتوبة يقال لانه لم يات بذنب
وقوله رابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي ممنوع وانما خاطب جماعته وقوله
خامسها الى ان قال وقد نهى النبي عن عقر الحيوان فقد مر عنهم ان ذلك كان مباحا له فليس
فيما قالوه نسبة سليمان عليه السلام الى معصيته فلو قال الاولى ان يقال كذا كان
اولى وقرا فتنبل بهمزة ساكنة بعد السين وقيل عنه ايضا بضم الهمزة واو بعدها
واختلف في سبب الفتنة التي وقعت لسليمان عليه السلام في قوله تعالى
ولقد فتنا سليمان والقينا اي بما لنا من العظمة على كرسيه جسدا ثم اناب
فقال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة
من جزاير البحر وكان الله تعالى قد اتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر
ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة يحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها
بجنوده من الجن والانس فاخذها وقتل ملكها وسباها واصاب فيما اصاب
بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها
الى الاسلام فاسلمت على جفا منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسايه وكانت
على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك
ما هذا الحزن قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك
فقال لها قد ابدالك الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه
وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني
ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري اراها بكرة وعشية
لرجوت ان يذهب ذلك حزني فامر سليمان الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فعمدت
اليه حين صنعوه والبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان
من دارها تذهب اليه مع ولايدها فتسجد له ويسجدن معها له تبعا لها كما كانت
تصنع في ملكه وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن
برخيا وكان صديقا لسليمان عليه السلام فقال له ان غير الله يعبد في دارك فقال
سليمان انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع
سليمان الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المراة وولايدها وخرج وحده الى فلاة

فغرس

فعرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل
للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها
الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان وقال لها يا امينة خاتمي فناولته الخاتم
فتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان
فاتى الامينة لطلب الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف فاذا قال انا سليمان يحثوا عليه التراب وسبوه واخذ ينقل السمك للسماكين
فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا اشوى باع احدهما بارغفة وشوى الاخرى فاكلها فملك كذلك
اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان
وسال آصف نساء سليمان فكل ما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال انا لله وانا اليه
راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بني اسرائيل فقال لهم في الخاصة اعظم مما في العامة
فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فاخذها بعض
الصيادين وقد عمل له سليمان بسمكتين صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشي اعطاه سمكتيه فاعطى
السمكة التي اخذت الخاتم وخرج سليمان بسمكتيه فباع السمكة التي ليس في بطنها الخاتم
بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فرحوفها فاخذه
فجعله في يده ورفع راسه واعكفت عليه الطير والجن والانس ورجع الى ملكه واخذ ذلك
الشيطان مخبسة في صخرة والقاه في البحر هذا ملخص حديث وهب وقال الحسن ما كان الله
تعالى يسلط الشيطان على نسائه وقال السدي كان سبب فتنة سليمان انه كانت له مائة امراة
وكانت امراة منهن يقال لها جرادة وهي احب نسائه اليه وامنهن عنده وكان يامنها على خاتمه
اذا اتى حاجته فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال لعم
ولم يفعل فاتاه يقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وفي بعض الروايات ان سليمان لما افتتن
سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده سليمان الى يده فسقط فايقن سليمان
بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك
ففر الى الله تعالى تائبا فاني اقوم مقامك واسير سيرك الى ان يتوب الله تعالى عليك
ففر سليمان الى الله تعالى واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت فاقام آصف
في ملك سليمان يسير سيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه
وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فهو الحمد الذي القى
على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال اختجب سليمان عن الناس ثلاثة
ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي
فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال
الراوي واستعد اهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر
على ان يتشبه في الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل
هؤلاء الذين راهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام كانوا اولئك
بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال وذلك يبطل الدين بالكلية
الثاني ان الشيطان لو قدر ان يعامل بني الله تعالى سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب
ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويعرف نقصانهم ويعرف

ديارهم ولما بطل ذلك وحق احاد العلما فلا يبطل في حق اكابر الانبيا اولى الثالث
كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان ولاشك انه قبيح اي
على غير راي الحسن كما مر الرابع لو قلنا ان سليمان اذن لتلك المراة في عبادتها تلك الصنم
مهذا كفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف يواخذ الله تعالى سليمان
بفعل لم يصدر منه اي وقد يقال انما اوخذ بذلك لكونه كان سببا في عملها قال واما
اهل التحقيق فقد ذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمان ان ولد له ابن فقالت الشياطين
ان عاش صار مسلطا مثل ابيه فتسلطنا ان نقتله فعلم سليمان ذلك بتربيته في السحاب
فبينما هو يشتغل بهمانه اذ القي ذلك الولد مبتا على كرسيه فتنبه على خطيئته في انه
لم يشق ويتوكل على الله تعالى فما استغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله
تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم ذلك لشدة المرض والوجع
نقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الى الحال الصحيحة
اي وهذا اظهر مما قيل كما قاله البيضاوي الثالث لا بعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله
تعالى بتسليط خوف او وقوع بلا موقعة من بعض الجهات حتى صار لقوة ذلك الخوف
كالجسد الضعيف الحقي على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان
عليه من القوة وطيب القلب ما للنظر تحتمل هذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه
الركيكة فان قيل لو لا تقدم الذنب لما قال رب اغفر لي اجيب بان الانسان لا ينفك
عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين
ولانه ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذل والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى واختلف في قول سليمان وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي سواي يعني فمن بعدي من بعد الله اي سوى الله
فقال عطا ابن رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه في باقي عمري انك انت الوهاب وقال
القايل بان الشيطان استولى على مملكته هو ان يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على ان
يقوم فيه مقامه البتة وقال من انكر ان الشيطان لم يستول على ذلك بان ذلك يحتمل
لوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني على اشيا لا اقدر عليها غيري البتة
ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا القول
قوله تعالى فسخرنا اي بالتامين العظيمة له الريح تجري بامره رخاء اي حالة كونها
لينة غاية اللين منقادة يدرك بها ما لا يدرك لخيل عدوها شهرا ورواحها شهر حيث اصاب
اي اراد فكون الريح جارية بامره قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر احد
على معارضته وقد جعل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهو ان العدو
يرعب منه الى مسيرة شهر من حوالية الاربعة فهي اربعة اشهر الثاني انه عليه السلام لما مرض
ثم عاد الى الصحة غزا ان خيرات الدنيا صايرة الى المقدرات فسال ربه ملكا لا يمكن ان يشتغل

على

معنى الى عمرى الثالث ان الاختيار عن طيبات الرسائل القدرة عليها اشق من الاجتناب عنها
حال عدم القدرة فكانه قال يا الهى اعطنى مملكة فائقة على مملكة البشر بالكلية حتى اختار
عنها مع القدرة عليها ليصير ذلك ابلغ واكمل والفضل الرابع سال ذلك ليكون علما على قبول توبته
حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد عليه ملكه وزاده فيه وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن اتانى البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه فذكرت دعوة اخى
سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا فعلم من هذا الوجه
ان ليس فى كلام سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلبه ما لا ينبغى لاحد غيره واجاب
الزمخشرى باجوبة غير ذلك منها ان سليمان كان ناشيا فى بيت الملك والنبوة وورثا لهما
فاراد ان يطلب من ربه معجزا فطلب على حسب العهد ملكا لم يبد على الملك زيادة خارقة
للعادة تالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ثم قال
وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال لا حسد من حسن قال وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد
من بعدى قال وهذا من جرئته على الله تعالى وبسطته كما على عنه طاعتنا اوجب
من طاعة الله لانه شرط فى طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا
فقال واولى الامر منكم فان قيل قوله تعالى رخاء شافيه قوله تعالى فى اية اخرى ولسليمان
الريح عاصفة اجيب عن ذلك بوجهين الاول بان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة
الرياح العاصفة الا انها لما امرت بامر كانت لرزنه طيبة وكانت رخاء الثانى ان
تلك الريح كانت لينة من عاصفة اخرى فلا منافاة بين الايتين تنبيه قوله تعالى
حيث تطرف لتجرى اولتسخ نافا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلين خرجا يتصيدان فرقيه لبسا لاه
عن معنى اصاب فقال لهما ابن نفيسان فعرفا وقالا هذا بغيتنا وقوله تعالى
والشياطين عطف على الريح وقوله تعالى كل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون
له ما شاء من الابنية روى ان سليمان عليه السلام امر الجان فبنت له اصطخر
وكان فيها قرار مملكته اتخذ قبل بانيها بنت له الجان ايضا تدمر وبنت المقدس وباب
جيرون وباب البريد الذى بدمشق على احد الاقوال وبنوا له ثلاث قصور باليمن
غمدان وسلحين وبينون ومدينة صنعا وقوله تعالى وغواص عطف على بناء اى يغوصون
له فى البحر فيستخرجون اللولو وهو اول من استخرج اللولو من البحر وقوله تعالى واخرين
مقرنين اى مشدودين فى الاصفاد اى القيود يجمع ايديهم الى اعناقهم عطف على كل فهو
داخل فى حكم البدل فكانه فصل الشياطين الى عملة استعلمهم فى الاعمال الشاقة كالبنا
والغوص ومردة قرنت بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر فان قيل احسانهم
اما ان يكون كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح الحاسة وان كانت
لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقييدها اجيب بان اصل اجسامهم لطيفة فتصلبه
فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقييدها او ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقتران
فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يربط المنع عليه وفرق ابن فعل الصفد
بمعنى القيد وفعله بمعنى العطاء فقالوا اصفد قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد
فى الخير والشر وفى ذلك ثلثة اوجه ان القيد ضيق فناسبه تثقيل حروف فعله والعطاء واسع
فناسبه تكثير حروف فعله والوعد جيز وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه والايعاد شر

وهو ثقيل مناسبة لكثير حروفه هذا اي وقلنا هذا الامر الكبير عطاؤنا اي على ما لنا من العظمة
فامنن او امسك قال ابن عباس اعط من شئت وامنع من شئت قال المفسرون لا حرج
عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة الا
سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا في امر الشياطين
يعني خذ من شئت منهم وامسك من شئت في وثاقك لا تبعة لا عليك فيما تعطاه وقوله
تعالى بغير حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاؤنا اي اعطينا بغير حساب
ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطاء ثانيها انه حال من عطاؤنا اي في حال كونه غير حساب
عليه لانه جم كثير يعسر على الحاسب ضبطه ثالثها انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون
حالا من فاعلهما اي غير محاسب عليه ولما ذكر تعالى ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم به عليه
في الاخرة بقوله سبحانه وان له عندنا لزلفى اي في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
لزلفى وحسن مآب وهو الجنة القصة الثالثة قصة ايوب عليه السلام المذكورة في قوله
تعالى واذكر عبدنا اي الذي هو اصل الاضافة الى عظيم جنابنا وبينه بقوله تعالى ايوب
وهو من الروم ابن عيص ابن اسحاق وامراته ليا بنت يعقوب وقوله تعالى اذ نادى ربه
بدل من عبدنا بدل اشتمال وايوب عطف بيان له وقوله اني اي باني مسني الشيطان اي
المحترق باللعنة البعيد من الرحمة بنصب اي بمشقة وضر وعذاب اي الم جيء به على حكاية كلامه
الذي نادى بسببه ولو لم يحكه لقيل انه مسه لانه غايب وقال قتادة النصب في الجسد والعذاب
في المال واختلف العلماء في هذه الالام والاسقام الحاصلة في جسده على قولين احدهما انها
حصلت بفعل الشيطان والثاني انها حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف في هذه
الاية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول
فهو ما روي ان ابليس سال فيه ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه لمنتع مني
فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت
اليه فقال رب انه قد امتنع علي ساله فكان يجيبه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول
الله اعطى والله اخذ ثم عهد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده
فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث اسقام عليه والام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء
سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان
الى امراته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المراة ذلك
لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله تعالى دعاءه واوحى اليه ان اركض الى اخر
الاية واما تقرير القول الثاني فان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس
في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة
والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان
ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ
لا سبيل لنا الى معرفة ان معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى
ام الشيطان ثانيها ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء
ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم ثالثها ان الله تعالى حكى عن الشيطان انه
قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لا قدرة له

في حق

في حق البشر الا القا الوساوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بان الشيطان
هو الذي القاه في تلك الامراض فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال
هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان اجيب بانه اذا كان لا بد من الاعتراف
بان خالق تلك الالام هو الله تعالى فاي فايدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق
ان المراد من قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القا الوساوس
الفاسدة كاد يلقيه في انواع العذاب والقايلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس
كيف كانت وذكروا اوجها اولها ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة
واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامراته كانت تخدم الناس
وتحصل قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول عليهم
ومن خدمتهم والشيطان كان يذكر النعم التي كانت والافات التي حصلت وكان يحتال
في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال
مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تالم قلبه منها اشد ثانيها
انه لما طالت مدة المرض جا الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلزله ان يجزع فخاف من خاطر
القنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان ثالثها قيل ان امراته كانت
تخدم الناس وتاخذ منهم قدر القوت وتجي به الى ايوب فاتفق انهم لما استخدموها طلب
بعض النسا منها قطع احدى ذوايبها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم
الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه
تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر الردية في قلبه فعند ذلك قال مسني
الشيطان بنصب وعذاب رابعها روي انه عليه السلام قال في بعض الايام يا رب لقد علمت
اني ما اجتمع علي امران الا اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل
معينا ولليتامى ابا فنودي يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه
على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب
وذكروا احوالا اخر وذكر في سبب بلايه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله واعلم ان داود وسليمان
عليهما السلام كانا ممن افاض الله تعالى عليهما اصناف الالا والنعما وايوب عليه السلام كان
ممن خصه الله تعالى بانواع البلا والمقصود من جمع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال
يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا من الانبيا اكثر نعمة وما لا وجاها من داود
وسليمان وما كان فيهم اكثر بلا ومحنة من ايوب فتامل في احوال هولا لتعرف ان احوال الدنيا
لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره ولما اشتكى ايوب عليه السلام مس الشيطان
وسال ربه ان يزيل عنه تلك البلية اجاب الله تعالى له بان قال له اركض اي اضرب برجلك
اي الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل له هذا مغتسل بارد ما تغتسل منه فيبرا ظاهرك
وشراب اي وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء
فاغتسل منه وشرب منه واكثر المفسرين قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب
من الاخرى فذهب الدا من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت
عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها وقيل ضرب الارض فنبعت

والاسقام

BULAC

له عين ما فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة
اخرى فنبعت عين ما عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه ووهبنا اي بما لنا
من العظمة له اهله اي بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا
له مثلهم والاول هو ظاهر الاية فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ومثلهم معهم
حتى كان له ضعف ما كان وقوله تعالى رحمة اي نعمة منا مفعول لاجله اي وهبناهم له
لاجل رحمتنا اياه وذكرى اي وتذكيرا بحاله لاولي الالباب اي اصحاب العقول فيعلمون ان من صبر
ظفر وان رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة بما بينه وبين الاجابة الاحسن
الانابة فمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله
تعالى وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
والقضبان فيها مائة عود كشمراخ النخلة وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وقوله تعالى
فاضرب به ولا تحنث يدل على تقدم يمين منه واختلفوا في سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل
انها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روي انها قطعت ذوائبها لان المضطر
يباح له ذلك بل الاقرب ما روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افراهيم
ابن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة وابطات فحلف في مرضه ليضربنها مائة اذا برا ولما
كانت حسنة الخدمة جعل الله تعالى يمينه باهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية
في الحدود لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتي برجل ضعيف قد زنا بامة فقال صلى الله عليه
وسلم خذوا مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة انا وجدناه صابرا اي فيما اصابه
في النفس والاهل والمال فان قيل كيف وجده صابرا وقد شكى اليه اجيب باوجه احدها
ان شكوى العليل الى الله تعالى كتمني العافية فلا يسمى جزعا شكوى العليل ان شكواه كتمني
العافية فلا يسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك
شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها
فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فاليسمى صابرا مع اللجا الى الله تعالى
والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء ثانيها ان الالام حين كانت على الجسد لم يذكر
شيئا فانما عظمت الوساوس على القلب تضرع الى الله تعالى ثالثها ان الشيطان عدو والشكاية
من العدو الى الحبيب لا يقدح في الصبر ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف
لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان او لا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه ثم استانف قوله تعالى نعم العبد انه اي ايوب ثم علل بقوله تعالى مؤكدا
لئلا يظن ان بلاءه قادح في ذلك انه اواب اي رجاع الى الله تعالى روي انه لما نزل قوله تعالى
نعم العبد في حق سليمان تارة وفي حق ايوب اخرى عظم في قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا
ان قوله تعالى نعم العبد لشريف عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب لم يقدر عليه فكيف السبيل
الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ايها الانسان
ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك غير الفضل فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني
الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام المذكورة في قوله
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ابن ابراهيم ويعقوب ابن اسحاق اولي الايدي اي اصحاب
القوى في العبادة وقال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار في المعرفة بالله اي البصائر

لكل شيء ان فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض

في الدين

في الدين والى الاعمال الجليلة والعلوم الشرعية فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها يباشرها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى عباداتها وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله و لا
من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منها فهم
في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والشلى العقول الذين لا يستبصرون
بها وقال قتادة رحمه الله اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين وقرا ابن كثير بفتح العين
وسكون الباء الموحدة والالف بعدها على التوحيد على انه اراد به وجده لم يذكر فيه واو ابراهيم
عطف بيان له واسحاق ويعقوب عطف عليه والباقون بكسر العين وفتح الموحدة والف
بعدها على الجمع انا اخلصناهم بخالصة اي اصطفيناهم جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة
لا شوب فيها هي ذكرى الدار الاخرة اي ذكرها والعمل لها الان مطمح نظرهم الغور بلغايه وكلن
في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقة والدنيا كالعبر وقرا نافع وهشام
خالصة بغير تنوين بالاضافة للبيان او ان خالصة مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله
والباقون بالتنوين فمن اضاف فمعناه اخلصناهم بتذكر الدار الاخرة وان يعملوا لها والذكر
بمعنى الذكر قال مالك بن دينار ينزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة
وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الاخرة والى الله
عز وجل وقال السدي اخلصوا الخوف الاخرة وقال بن زيد اخلصناهم بافضل ما في الاخرة
ومن قرا بالتنوين فمعناه بخلة خالصة هي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا من الخالصة
او جعلناهم مخلصين عما اخبرنا من ذكر الاخرة والمراد بالدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الاخرة
وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل هو دعاؤه واجعل لي لسان صدق في الاخرين
وانهم عندنا لمن المصطفين اي اصطفاء لا يقدح فيه فادح فصار وافي غاية الرسوخ
في هذا الوصف الاخيار اي المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير بالتشديد
او خير بالتخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واحتج العلماء بهذه الاية على اثبات
عصمة الانبياء لانه تعالى حكم عليهم بانهم اخيار على الاطلاق وهذا انما يتم حصول الخيرية
في جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه الخامسة قصة اسمعيل
واليسع وذا الكفل عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى واذكر اي يا اشرف الخلق اسمعيل
اي اباك وما هو عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف على الموت في ابنه
غير مرة وما صار اليه بعد ذلك البلاء من الفرج والرياسة والذكر في هذه البلدة
واليسع وهو ابن عجوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام كما في قوله
وانت الولد بن المزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي بتشديد اللام وسكون الياء
بعدها والباقون بسكون اللام وفتح الياء بعدها وذا الكفل وهو زعيم لبسع
او بشر بن ايوب واختلف في نبوته وكفله فقيل قرا السماء نبي من بني اسرائيل
من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة
وكل اي وكلهم على الاخيار فهم قوم اخرون من الانبياء تحملوا الشدائد في دين الله
تعالى وصبروا فاذكرهم يا افضل الخلق بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم وكما اجزى
تعالى ذكر الانبياء والائمة قال مولد الشرفهم وشرف من ذكرهم من اعمالهم هذا
اي ما تلوناه عليك من ذكرهم وذكر غيرهم ذكر اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر

القرآن ذي الذكر ثم عطف على قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
ما لاضدادهم فقال تعالى ردا على من شكر ذلك من كفار العرب وغيرهم وان للمتقين لحسن
مآب اي مرجع ولما شوق سبحانه الى هذا الجزا ابدل منه او بينه بقوله تعالى
جنات عدن اي اقامة في سرور وطيب عيش ثم انه تعالى وصف اهل الجنة باشيا اولها
قوله مفتحة لهم الابواب اي ان الملايكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال
تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وقيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت
لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة العيون فيها ثالثها
قوله تعالى متكئين فيها وقد ذكر في ايات اخر كيفية ذلك الاتكا فقال تعالى
في اية على الارايك متكيون وقال تعالى في اية اخرى متكيين على رفرف خضر ثالثها قوله
تعالى يدعون فيها اي في الجنات بفاكهة كثيرة وشراب اي كثير فيدعون فيها بالوان الفاكهة
والوان الشراب ولما بين المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح بقوله تعالى سبحانه
وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات العين على ازواجهن اتراب اي اسنانهن
واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل اترابا للازواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه
الصفة لما تشابهن في الصفة والسن والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك
يقتضي عدم الغيرة وقرا قوله تعالى هذا ما يوعدون ابن كثير وابو عمرو بالياء
التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة ذكر المتقين ووجه
الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون ليوم الحساب
اي في يوم الحساب او لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزا ان هذا اي المشار اليه اشارة
الحاضر الذي لا يغيب لرزقنا ما له من نفاد اي انقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب
تنبيه من نفاد فاعل ومن مزيدة والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير فان ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا لان اي دايم ولما وصف تعالى ثواب المومنين وصف بعده عقاب الظالمين
ليكون الوعيد مذكورا عقب الوعد والترغيب عقب الترهيب بقوله تعالى هذا
وان للطاغين لشر مآب اي مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب
والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبائي على مذهبه الفاسد هم اصحاب الكبائر سوا اكانوا
كفارا ام لا واحتج الاول بان هذا ذم مطلق فلا يحمل الا على الكامل في الطغيان وهو الكافر
واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان
قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى ورد هذا
بان المراد بالانسان هنا الكافر ايضا تنبيه هذا يحتمل ان يكون مبتدا والخبر مقدر
اي كما ذكر كما قدره الزمخشري وقدره ابو علي بقوله هذا للمومنين وقال الجلال المحلي هذا
المذكور للمومنين ويحتمل ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا وقوله تعالى جهنم اي الشديدة
الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية القبوسة والتهجم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله
تعالى يصلونها اي يدخلونها فيباشرون شدايدها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والفرش
مستعار من فرش النايم حال من جهنم وهذا معنى قوله تعالى لهم من تحتهم مهاد ومن فوقهم غواش

تقدم

شبه

شبه الله ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرش للنائم والمخصوص بالذم محذوف اي هي وفي قوله
تعالى هذا اي العذاب المفهوم مما بعده اوجه من الاعراب احدها انه خبر مبتدا مضمر
اي الامر هذا ثم استانف امرا فقال تعالى فليذوقوه ثانيها انه مبتدا وخبره
حميم وغساق واسم الاشارة يكتفى بواحده في المثنى كقوله تعالى عوان بين ذلك او يكون
المعنى هذا جامع بين الوجهين ويكون قوله فليذوقوه جملة اعتراضية ثالثها انه مبتدا
والخبر محذوف اي هذا كما ذكر او هذا للطاغين وقيل غير ذلك وقيل هذا على التقديم
والتاخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدا فيقول حميم وغساق اي منه حميم وغساق والحميم
الحار الذي انتهى حره والغساق ما يسيل من صديد اهل النار وقال كعب هو عين في جهنم
يسيل اليها كل دوب حية وعقرب وقال ابو عمرو هو القيح الذي يسيل من اهل النار يجتمع
فيسقونه وقال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم
وفروج الزناة وقيل هو المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب
لانتنت اهل المشرق وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بالتخفيف
وقرا ابو عمرو وآخر بضم الهمزة على جمع اخرى مثل الكبرى والكبر اي اصناف اخر من العذاب
من شكله اي مثل المذكور من الحميم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على التوحيد
على انه لما ذكر واختار ابو عبيدة الجمع لانه تعالى نعته بالجمع فقال سبحانه ازواج
اي اصناف اي عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم
هذا فوج اي جمع كثيف مقتحم اي داخل ومفعوله محذوف اي مقتحم النار معكم شدة
فيقول المتبوعون لا مرحبا بهم اي لا سعة عليهم او لا سمعوا مرحبا وقولهم انهم صالوا
النار اي داخلون النار باعمالهم مثلنا تعليل لاستجابة الدعاء عليهم ونظير الاية قوله
تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا انفسهم
في النار خوفا من تلك المقامع قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اي ان الدعاء الذي
دعوتم به علينا ايها الرؤساء انتم احق به منا وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه اي الكفر لنا
اي بدأتم به قبلنا فبئس القرار اي النار لنا ولكم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا
هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مثل عذابه على كفره في النار
قال ابن مسعود يعني حيات وافاعي وقالوا اي الطاغوت وهم في النار ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان
الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون بهم وقولهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا
اي كنا نسخر بهم في الدنيا وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها ام زاغت
عنهم الابصار اي فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان اي ام كانوا خيرا منا ونحن
لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك الذي حكيناه عنهم
لحق اي واجب وقوعه فلا بد ان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى
تخاصم اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم
وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة تنبيه يصح في تخاصما وجه
من الاعراب احدها انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان الثالث انه خبر ثان لان

وشرعتم وسننتموه لنا وقيل انتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم ايانا الى الكفر

الرابع انه خبر مبتدا مضمر اى هو مخاصم والمشرح نعيم اهل النواصب وغيرهم اهل الغباء
عاد الى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورات اول السورة بقوله تعالى قل
يا افضل الخلق للمشركين انما انا منذر اى مخوف بالنار من عصى ولا بد من الاقرار بانه
ما من اله الا الله اى الجامع لجميع الاسماء الحسنى الواحد القهار فكونه واحدا يدل
على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل
على الرجاء والترغيب بقوله تعالى رب السموات اى مبدعها وحافظها على علوها
وسعتها واحكامها بما لها من الزينة والمنافع والارض على سعتها وضخامتها ولما فيها
من العجايب وما بينهما اى الهواء العالم على امن العقار فكونه ربا اى الخافق بين
من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها ربي كل شيء
من ذلك ايجادا وابقاء على ما يريد وان كره ذلك المربوب قد ذل على قهره وتعوذه العزيز
اى الغالب على امره الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه
غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب اليه فانه يغفرها بل يحسنها وهذا
الموصوف بهذه الصفات هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يحسن عقابه ويرجى ثوابه
وقوله تعالى ما ابلهم صفوتنا عقلهم يعود على القرآن وما فيه من التقصص والاخبار وقيل
على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان
الله تعالى اله واحد منصف تلك الصفات الحسنى وقوله تعالى انتم عنه معرضون
صفة لنبا اى تتادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج
الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى
اى الملايكة صفة بالملا متعلق بقول من علم وضمن معنى الاحاطة ولذلك تعدى بالى
اذ يختصمون اى في شان ادم عليه السلام حين قال الله عز وجل اني جاعل في الارض
خليفة الى اخره فان قيل الملايكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء فالمخاصمة مع الله تعالى لغيرها يبانه لا شك انه حرى هناك
سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمنازعة والمشاحة غلبة المجاز فلهذا السبب
حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى ابيه عليه وسلم ان يذكر بهذا
الكلام على سبيل الزجر امره ان يقول انما اي ما يوحى الي الا انما انا اي الى نذير مبين
اي بين الانذار ظاهر لكم ما تاتونه وما تجتنبونه ورد ذكر ان صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربي في احسن صورة قال ابن عباس احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري
فيم يختصم الملا الاعلى قلت انت اعلم اي رب مرتين قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها
بين ثديي او قال انحري فعلمت ما في السموات والارض وفي رواية ثم تلى هذه الاية
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات وليكون من الموقنين ثم قال يا محمد هل تدري فيم
يختصم الملا الاعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام
الى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء في المكاره قال من يفعل
ذلك يعش بخير ويمت بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل
اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت
بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام

والصلاة

والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت
ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وللعلماء في هذا الحديث
وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف وهو امراره كما جاء
من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له والسكوت عنه
مع الاعتقاد بانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والمذهب الثاني مذهب الخلف
وهو تاويل الحديث فنقول له صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين
احدهما واتاني في احسن صورة كما نه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رويته لربه واما التغير
وبعد بعده لشدة الوحي وثقله الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى
والمعنى انه راه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام
والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وتقدسه
عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي الى اخره فالمراد بالبد النعمة والمنة والرحمة
وذلك شايع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه
وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة
والرحمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره علم ما في السموات وما في الارض
باعلام الله تعالى اياه فاما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اه ليجوز على الله
تعالى ولا على صفات ذاته مما يستدعي ومباشرة او نقص وهذا الحق يتنزه عنه وجعل
الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال
لان رويته الباري تعالى في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة بالخير والرحمة
للمراي ونسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة
في الحديث في انها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها
فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وذلك مخاصمة لما مر في السؤال والجواب المتقدمين
وقوله تعالى اذ يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى كما قاله الزمخشري وان يكون منصوبا
باذكر كما قال ابو البقاء اي واذكر اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين هو ادم
عليه السلام فان قيل كيف صح ان يقال لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهد لهم
به قيل اجيب بانه قد يكون قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت وكيذا حسن
حالا فتنظر عمل الاسم فاذا سويته اي الممتن خلقه ونفخت اي ادرت فيه من روحي
فصار حيا فيه من روحي فصار حيا حساسا منفسا واضافة الروح اليه تعالى اضافة
تشريف لادم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيى به الانسان بنفوذه فيه يسري في بدن الانسان
سريان الطوفي القضا وكسريان النار في الفحم والماء في العود الاخضر فقعوا اي خروا له
ساجدين فسجد الملايكة وقوله تعالى كلهم اجمعون فيه تاكيدان وقال الزمخشري
كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافاد امعانهم بسجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك
الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات مخصوصة انتهى فان قيل
كيف شاع السجود لغير الله تعالى اجيب بان الممنوع هو السجود لغير الله على وجه العبادة
فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يابا العقل الا ان يكون فيه مفسدة فيشهد الله تعالى

عنه والاولى في الجواب انه سجود تحية بالانحنا كما قاله الجلال المحلي إلا ابليس استكبر اي
تكبر وتعظم عن السجود فان قيل كيف استثني من الملائكة وهو من الجن اجيب بانه قد امر
بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم
استثنا متصلا وقال الجلال المحلي هو ابو الجن وكان من الملائكة وعلى هذا فلا سوال
وكان اي وصار من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى وكان من الكافرين في الازمنة
الماضية في علم الله تعالى تنبيه المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر
لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله
عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا
عن هاتين الخصلتين المذمومتين قال الله تعالى يا ابليس سماه بهذا الاسم لكونه
من الابلاس وهو انقطاع الرجا اشارة الى تحتم العقوبة له ما منعك ان تسجد وبين
ما يوجب طاعته ولو امر بتعظيم ما لا يعقل بقوله تعالى معبرا باداة ما لا يعقل عمن كان عند
السجود له عاقلا كامل العقل لما خلقت بيدي اي توليت خلقه من غير توسط
سبب كاب وام والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله تعالى
استكبرت استفهام توبيخ اي تعظمت بنفسك الآن عن السجود له ام كنت من العالين
اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله انا خير منه
اي لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه
خيرا منه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين بدليل ان الاجرام
الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها
عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم
عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض
وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او البرودة والحرارة افضل من البرودة
لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض
كثيفة واللطافة افضل من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور
خير من الظلمة وايضا فالنار خفية تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح
افضل من الجسد فالنار افضل من الارض والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة
مصلحة فاذا اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة فلما سلمته
اليها وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعا الخادم
وان استغنى عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها تطفي النار وايضا
فان استدلال ابليس يكون اصله خيرا من اصله استدلال فاسد لان اصل الرماد النار
واصل النباتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة
خير من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة يوجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض
بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عاري عن كل الفضائل فان نسبه يوجب
رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب
بدرجات لا حد لها فكذبت مقدمة ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطا في القياس لكن كيف
لزمه الكفر في تلك المخالفة وتقرير السوال من وجوه الاول ان قوله تعالى اسجدوا امر

وهو

وصوبه بعض الوجوه والمذهب مكلف يلزم العصيان فصلا عن الكفر الثاني هذا هو الوجه
وقلنا ان ابليس ليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب
انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جايز فجاز ان يخصص لقسه من عموم ذلك
الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب
العصيان والوجب الكفر فكيف لزمه الكفر اجيب بان صيغة الامر وان لم تدل على الوجوب
يجوز ان ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا حصلت تلك القرائن وهي قوله
تعالى استكبرت ام كنت من العالين فعلمنا بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب
بالسجود فلما ابى بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح
في امر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس هذا القياس الفاسد
قال الله تعالى له فاخرج منها اي من الجنة اي بسبب تكبرك وتستاثر الحكيم الذي لا اعتراض
عليه الى الجور عنها اي من الجنة وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يلقب بخلقته فقال
الله تعالى اخلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان
نورانيا وقيل من السموات فانك رجيم اي مطرود لان من طرد رمي بالحجارة وهو
الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد وجعل الرجم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن
فيكون قوله تعالى وان عليك لعنتي مكررا اجيب بحمل الطرد على ما تقدم وحمل اللعنة
على الطرد من رحمة الله تعالى وايضا قوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي الجزاء
افاد امرا ابديا وهو طرده الى يوم القيامة فلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون
الشياطين مرجوما من بالشهب فان قيل كلمة الى لانتهاء الغاية فكان لعنة ابليس تنتهي
يوم الدين ثم تنقطع اجيب بانها كيف تنقطع وقد قال تعالى وما هم بخارجين منها
ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان لعنة الله في الدنيا فاذا كان يوم الدين
اقترن له باللعنة من العذاب ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت تنبيها قال
تعالى هذا لعني وفي اية اخرى اللعنة وبما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا الا انهما
من حيث المعنى عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه
لعنة كل احد لا محالة وقال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
ولما صار ابليس ملعونا مطرودا قال قال فانظرني الى يوم يبعثون اي الناس طلب
الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر ليوم البعث لم يمت
قبل يوم البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فلذلك قال الله تعالى
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي وقت النفخة الاولى فيموت فيها
فلم يجبه الى دعائه كما قال تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال ومعنى المعلوم انه معلوم
عند الله تعالى فمتى لا يستقدم ولا يستاخر فلما انظر الله تعالى الى ذلك الوقت قال
فبعزتك اقسم بعزة الله تعالى لاغوينهم اجمعين ثم استثنى من ذلك ما ذكر بقوله
الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من اضلاله
واخلصوا قلوبهم على اختلاف القرائين فان نافعا والكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد
الخاء والباقون بالكسر ثم ههنا قيل ان عرض ابليس بهذا الاستثناء ان لا يقع في كلامه
الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء واخبر انه يغوي الكل لكذب به حتى يجوز عن اغواء عباد

الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شي يستنكف منه ابليس فكيف
يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوي عباد الله تعالى المخلصين وقد قال تعالى
في صفة يوسف عليه السلام وما نسب اليه من القبائح كذب وافترا ولما قال ابليس
ذلك قال تعالى فالحق اي فبسبب اغوائك وغوايتهم اقول الحق والحق اقول
اي لا اقول لي الا الحق فان كل شي قلته بينت فلم يقدر احد على نقضه ولا نقصه وقرا
عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثاني والباقون بنصبهما فنصب الثاني بالفعل بعده
ونصب الاول بالفعل المذكور او على الاغرا اي الزموا الحق او على المصدر اي احق
الحق او على نزع حرف القسم ورفعه على انه مبتدا محذوف الخبر اي فالحق مني او فالحق
قسمي وجواب القسم لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك منك وممن تبعك منهم اي من
الناس وقوله تعالى اجمعين فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير في منك ولمن عطف عليه
في قوله تعالى وممن تبعك والمعنى لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك
منهم احدا وجوز الزمخشري ان يكون تاكيدا للضمير في منهم خاصة فقدر لاملان جهنم
من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم قال
الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لقومك ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة
او القران من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي المتصفين بما لست من اهله
على ما عرفتم من حالي فاستحل النبوة واتقول القران وكل من قال شيا من تلقا نفسه
فهو تكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا ايها الناس
من علم شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم
الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا
من المتكلفين وقيل المعنى ان هذا الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات
الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته ان اي ما هو اي ما القران الا ذكر اي عظة
وشرف للعالمين اي للخلق اجمعين وقوله تعالى ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه
لتعرفن يا كفار مكة نبأه اي خبر صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه
باتيان ذلك بعد حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يوم القيامة
وقال الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير حديث موضوع

سورة الزمر مكية

سورة الزمر مكية الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية فمدنية وهي خمس
وسبعون اية والف ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وثمانية
احرف بسم الله الذي له جميع صفات الكمال الرحمن الذي انعم على عباده بانواع النعم
الرحيم بانواع المغفرة على المومنين من عباده وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي القران
مبتدا وقوله تعالى من الله اي المتصف بجميع صفات الكمال خبره اي تنزيل الكتاب كائن من الله
تعالى وقيل تنزيل خبر مبتدا مضمر تقديره هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز
اي الغالب في ملكه الحكيم اي في صنعه ففي ذلك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات
غني عن جميع الحاجات فان قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا

الوصف

الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق اجيب بان ذلك محمول على الصيغ والحروف إنا اي
بما لنا من العظمة أنزلنا إليك يا اشرف الخلق خاصة بواسطة الملك الكتاب اي القرآن الجامع
لكل خير وقوله تعالى بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اي بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف
على انه حال من الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي متلبسين بالحق او ملتبسا بالحق والصدق
والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف
فهو حق يجب العمل به وفي قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب
ابرازه في جملة اخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى
انزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله
دفعة واحدة اجيب بان طريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بانا نوصل اليك
هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح ولما بين تعالى
ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق
والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه
فاعبد الله اي الحائز لجميع صفات الكمال حال كونك مخلصا له الدين اي ممحصا له الدين
من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر الا لله الملك الاعلى وحده الدين الخالص
اي لا يستحقه غيره فان المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر
قال قتادة قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال الاية متناولة
لكل ما كلف الله تعالى به من الاوامر والنواهي لان قوله تعالى فاعبد الله عام وروي
ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما دفنت
قال الحسن البصري يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله
قال الحسن هذا العمود فاين الطنب قال بن عادل فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة
لا ينتفع به الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة اي الانتفاع الكامل والا فهي
منتفع بها ولكن راس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب
المناهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اولياء وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام
وقالوا ما نعبدهم اي بشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله اي الذي له معاقد العز
ومجامع العظمة زلفى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات
والارض قالوا الله فيقال لهم فما عبادتكم قالوا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى وهو
اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله تقريبا حسنا سهلا وتشفع
لنا عند الله إن الله اي الذي له جميع صفات الكمال يحكم بينهم اي وبين المسلمين
فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار إن الله
اي الملك القادر لا يهدي اي لا يرشد من هو كاذب اي في قوله ان الالهة تشفع لهم
مع علمه بانها جمادات خسيسة وفي نسبة الولد الى الله تعالى كفار اي بعبادته
غير الله تعالى لو اراد الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال ان يتخذ ولدا كما قالوا
اتخذ الرحمن ولدا لاصطفى اي اختار مما يخلق ما يشاء اي واتخذ ولدا غير من قالوا الملائكة
بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا اي كما زعموا
لاتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن البين ان المخلوق

لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه سبحانه فقال تعالى سبحانه اى تنزيها
له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته ثم اقام الدليل على هذا التنزيه للتفرد فقال
تعالى هو اى الفاعل لهذه الافعال القائل لهذه الاقوال الله اى الجامع لجميع صفات
الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو كالعلة لذلك فقال تعالى الواحد اى في ملكه الذي
لا شريك له ولا ولد ولا والد القهار اى الغالب الكامل القدرة فكل شيء تحت قدرته والبنت
عند الصفات التي يغنت ان يكون كذا شريك او ولد او البنت له الكمال المطلق استدل
على ذلك بقوله تعالى خلق السموات والارض اى ايجادها من العدم وقوله تعالى بالحق
متعلق بخلق لان الدلائل التي يذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية
او ارضية اما الفلكية فاما تمام احداها خلق السموات والارض وما بينهما اختلاف
الليل والنهار كما قال تعالى يكور اى يدخل الليل على النهار ويكور النهار على الليل
قال الحسن ينقص من الليل فيزيد في النهار وينقص من النهار فيزيد في الليل مما نقص
من الليل وجعل ما الليل من النهار وجعل ما نقص من النهار في الليل قال البغوي ومنتهى
النقص تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة قال قتادة يغشى هذا
هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار وقال الرازي ان النور والظلمة عسكران عظيمان
وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد مغلوب مقهور
ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى انتهى وورد
في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من النقصان بعد الزيادة
وقيل من الادبار بعد الاقبال وسخر اى ذلل وكرة وقهر وكلف لما يريد من غير تعب
للشمس الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والكل مصالح
هذا العالم مربوطة بهما كل اى منهما يجري لاجل مسمى اى الى يوم القيامة لان الان
يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه
الاقلاك تدور كدورا لان المضبوط على حد واحد الا هو العزيز اى الغالب على امره
المنتقم من اعدائه الغفار اى الذي له صفة الستر على الذنوب مغفرا لمحو
ذنوب من شاء عباده ان يغفرها ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل
الشعلية فقال تعالى خلقكم ايها الناس المدعون الالهية عبثا من نفس واحدة
ثم جعل منها زوجها حواء وانما بدأ منها بذكر الانسان لانها اقرب الى الرد الا واعجب
وفيه دلالات دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعب
الخلق الغائب للحصر منهما منهما اثنان الا ان احدهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة
والاخرى اخرجها عن العادة وهو خلق انثى عجز حواء من قصيرى رجل بنسبه في ثم هذه
اوجه احدها انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك انه روي ان الله تعالى اخرج
ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان فانها انها على بابها ايضا
لكن لمدرك اخر وهو ان يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله تعالى
واضح اذ التقدير من نفس وحدت اى انفردت ثم جعل منها زوجها ثانيها انها للترتيب
في الاخبار لا في الزمان الوجودي كانه قيل من امرها كان من امرها قيل ذلك ان جعل
منها زوجها ثالثها انها للترتيب في الاحوال والرتبة وقال الرازي ان ثم كما يجيء لبيان

كون

كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجي لبيان تاخر احد المكانين عن الاخر
كقول القايل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيا
ثم الذي اعطيتك امس اكثر وقوله تعالى وانزل لكم من الانعام عطف على خلقكم والانزال
يحتمل الحقيقة يروى انه تعالى خلقها في الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما
انها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالما والما ينزل من السحاب اطلق
الانزال عليها وهو في الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القايل

اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

والثاني ان قضاياه واحكامه منزلة من السما من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا
سبب في ايجادها وقال البغوي معنى الانزال ههنا الاحداث والانشا كقوله
تعالى انزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزل الما الذي هو سبب نبات القطن والكتان
وغيرهما الذي تجعلون منه اللباس وقيل معناه انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم
ورزقا ومعنى ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهي الابل والبقر والضان والمعز
من كل زوجان ذكر وانثى كما بين في سورة الانعام وقوله تعالى يخلقكم في بطون
امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب
القدرة غير انه تعالى غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
وقرا حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفي الابتدا الجميع بالضم
وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى خلقا من بعد خلق ما ذكره
تعالى في قوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين الايات واما قوله تعالى في ظلمات ثلاث فقال ابن عباس ظلمة البطن
وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اي العالي المراتب
بشهادتكم ايها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله الذي جميع ما ذكر
من اول السورة الى هنا من افعاله ولما اشار الى عظمته باداة البعد اخبر عن اسم
الاشارة بقوله تعالى الله اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم اي المالك والمربي لكم بالخلق
والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى له الملك يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره
ولما ثبت انه لا ملاك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره
ولما بين بهذه الدلايل كمال قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى
فاني اي كيف ومن اي وجه تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان ان تكفروا
فان الله اي الذي له الكمال كله غني عنكم لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه
منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة
ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته في جميع صفاته
يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر
والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الاربعة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو
وان يستضر بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذاك ولا يرضى لعباده اي لاحد منهم
الكفر بالاقبال على سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم لهم في غاية
الضعف ومعنى عدم الرضى انه لا يفعل فعل الراضي بان ياذن فيه ويقر عليه ويثيب

فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان
بارادته اذ لا يخرج شيء عنها وهذا قول قتادة والسلف اجروه على عمومه وقال ابن عباس
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها المقربون
عباد الله يريد بعض العباد وان تشكروا الله اي فتؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم
اي فيثيبكم عليه لانه سبب فلاحكم وقرا السوسي في الوصل بسكون الهاء وللدوري وهشام
وجهان السكون والضم وصلة الهاء بواو وللدوري وابن كثير وابن ذكوان والكسائي
والباقون بالسكون وهو لغة فيه ولا تزر اي نفس وازرة وزر اي وزر نفس اخرى
اي لا تحمله بل وزر كل نفس عليها لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها في دار العمل واحتج
بهذا من انكر وجوب الدية على العاقلة ورد بان السنة خصصت ذلك واما الاثم
الذي يكتب على الانسان بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس وزر غيره
وانما هو وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت على الترك لما لزمه
من الامر والنهي وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم يدل على اثبات البعث والقيمة
وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون فيه تهديد للعاصي وبشارة للمطيع وقوله
تعالى انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي بما في القلوب كالعلة لما سبق اي انه
انما ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف
قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذي يجب ان يعبد بين ان
طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى واذا مس الانسان اي هذا النوع الانس بنفسه
ضر دعا ربه لانهم اذا مسهم الضر طلبوا رفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم
رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يتفرغوا الى الله تعالى في جميع
الاحوال لانه القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان
الكافر وقيل المؤمن والكافر وقيل المراد اقوام معينين كعتبة بن ربيعة وغيره
والمراد بالضر جميع المكاره في جسمه او ماله او اهله او ولده لعموم اللفظ وقوله تعالى
منيبا حال من فاعل دعا وقوله تعالى اليه متعلق بمنيبا اي راجعا اليه في ازالة ذلك
الضر لان الانابة الرجوع ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة مبتدا منه اي من غير مقتض
ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية قال زهير هنالك ان يستخولوا المال
يخولوا ويروى بان يستخيلوا المال يخيلوا وقال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يتخل كوم الذرى من خول المخول

وحقيقة خول من احد معنيين اما من قولهم هو خائل قال اذا كان متعهدا له
حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه قول العرب
ان الغنى طويل الذيل مياس نسي اي ترك ما اي الامر الذي كان يدعو اي يتضرع اليه
من قبل اي قبل تخول النعمة تنبيه يجوز في ما هذه اوجه احدها ان تكون موصولة
بمعنى الذي مراعا بها الضر اي نسي الضر الذي كان يدعو الى كشفه اي ترك دعاءه كانه لم يتضرع
الى ربه ثانيها انها بمعنى الذي مرادا بها الباري تعالى اي نسي الله الذي كان يتضرع اليه

وهذا

وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولي العلم وقال الرازي ما بمعنى من كقوله تعالى
وما خلق الذكر والانثى وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم
من النساء ثالثها ان تكون مصدرية اي نسي كونه داعيا وجعل اي ذلك الانسان زيادة
على الكفران بالنسيان للاحسان لله اي الذي لا مكافي له بشهادة الفطرة والسمع والعقل
اندادا اي شركا ليضل عن سبيله اي دين الاسلام وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح
اليا بعد اللام اي ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها اي لم يقنع بضلاله
في نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا واختلف
في سبب نزول قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل تمتع اي في هذه الدنيا
بكفرك قليلا اي بقية اجلك فقال مقاتل نزل في ابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل
في عتبة بن ربيعة وقيل عام في كل كافر وهذا امر تهديد وفيه اقناط للكافر من التمتع
في الاخرة ولذلك علله بقوله تعالى انك من اصحاب النار اي الذين لم يخلقوا الا لها على سبيل
الاستئناف للمبالغة قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها الاية ولما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عز وجل اردفه بشرح
احوال المخلصين فقال امن هو قانت اي قائم بوظائف الطاعات اناء الليل اي
اي جميع ساعاته ومن اطلاق القنوت على القيام قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة
صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت لانه يدعو قائما وعن ابن عمر انه قال
لا اعلم القنوت الا قراءة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس
القنوت الطاعة لقوله تعالى كل له قانتون اي مطيعون وقرا نافع وابن كثير وحمزة
بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفي القراءة الاولى وجهان احدهما ان الهمزة همزة
استفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره امن
هو قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت كغيره واما القراءة الثانية فام داخلة
على من الموصولة ايضا فادغمت الميم في الميم وفي ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة
ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير ام الذي هو قانت والثاني انها منقطعة
فتقدر ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقوله
تعالى ساجدا اي وراكعا وقائما اي وقاعدا في صلاته لا من ضمير قانت تنبيه
في هذه الاية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار واختلف في سبب نزولها
فقال ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق وقال الضحاك في ابي بكر وعمر وقال ابو عمرو في
عثمان وقال الكلبي في ابن مسعود وعمار وسلمان وقوله تعالى يحذر الاخرة اي عذاب
الاخرة يجوز ان يكون حالا من الضمير في ساجدا وقائما او من الضمير في قانت وان يكون
مستانفا جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ما شانه يقنت اناء الليل ويتعب نفسه ويكدها
يحذر الاخرة ويرجو رحمة اي جنة ربه اي الذي لم يزل يتقلب في نعمائه انعامه وفي الكلام
حذف والتقدير كمن لا يفعل شيئا من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر قبل
هذه الاية وذكر بعدها قل هل يستوي اي في الرتبة الذين يعلمون اي وهم الذين صفتهم
انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقائما والذين لا يعلمون اي وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف

اي لهذا الذي قد حكم بكفره صح

يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله تعالى الكفار بانهم لا يعلمون
لان الله تعالى وان اعطاهم الله العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم تعالى
كانهم ليسوا من اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وفي هذا
تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلما انكم تقولون العلم افضل من المال ثم
نرى العلما عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلما فاجاب بان هذا
ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المال فطلبوه والجهال
لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه وقال في الكشاف واراد بالذين يعلمون
العاملين من علما الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدراء عظيم للذين
يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون فيها ثم يقتنون بالدنيا فهم عند الله
تعالى جهلة حيث جعل القانتين هم العلما قال ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي
كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون انتهى
وعن الحسن انه سيل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجا
قوله تعالى وتلا هذه الاية انما يتذكر اي يتعظ اولوا الالباب اي اصحاب العقول
الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون في اخر سورة ال عمران بقوله تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الى اخرها ولما نفى تعالى المساواة بين من يعلم
ومن لا يعلم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المومنين فقال سبحانه
قل اي لهم يا عباد الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب
معاصيه ثم بين تعالى لهم ما في هذا الاتقا من الفوايد بقوله تعالى للذين احسنوا
في هذه الدنيا بالطاعة حسنة اي في الاخرة وهي الجنة والتنكير في حسنة للتعظيم
اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها بقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا
وقيل متعلق بحسنة وعلى هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يعني
الصحة والعافية وقال الرازي الاولى ان تحمل على الثلاثة المذكورة في قوله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية انتهى ورد بانه
يتعين حمله على حسنة الاخرة لان ذلك حاصل للكفار اكثر من حصوله للمومنين كما قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واختلف في معنى قوله تعالى وارض
الله واسعة اي الذي له الملك كله والعظمة الشاملة واسعة فقال ابن عباس يعني
ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي ونظيره قوله تعالى
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب وقال ابو مسلم
لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة كما قال الله تعالى جنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين انما يوفى اي التوفية العظيمة الصابرون اجرهم اي على الطاعات
وما يبتلون به وقيل نزلت في جعفر ابن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد
بهم البلا وصبروا وهاجروا ومعنى بغير حساب اي بغير نهاية بكيل او وزن لان كل
شي دخل تحت الحساب فهو متناهي فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب وعن ابن عباس
لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وقال علي رضي الله تعالى عنه كل مطيع يكال له كيلا

او يوزن

او يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثي لهم حثيا وروى الثعلبي لكن بسند ضعيف
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيامة لاجل الصلاة والصدقة
والحج فيوتون اجورهم ولا تنصب لاجل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى
اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
ولما كان للعبادة ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح
فقدمه سبحانه وتعالى بقوله تعالى قل اي يا اشرف المرسلين اني امرت قرا نافع
بفتح اليا والباقون بسكونها ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد
لا اشرك به شيا وامرت لان اي لاجل ان او ان اكون اول المسلمين اي من هذه
الامة وبهذا زال التكرار وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد
قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي والامر به ليجوز
قصب السبق في الدين شي اخر واذا اختلف وجها الشي وصفاته نزل بذلك منزلة
شيين مختلفين ولما دعى المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى دين ابائه امره الله تعالى بقوله
سبحانه قل اني اخاف ان عصيت ربي اي المحسن الي المربي لي بكل جميل وعبدت غيره
عذاب يوم عظيم والمقصود من هذا الامر المبالغة في زجر الغير عن المعاصي وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح اليا والباقون بسكونها قل الله اي المحيط بصفات الكمال
وحده اعبد مخلصا له وحده ديني اي من الشرك قال الرازي فان قيل ما معنى
التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد
مخلصا له ديني قلنا اليس هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى
بالايمان بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله وذلك لان قوله امرت
ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر اي الله اعبد ولا اعبد
احدا سواه ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا اي انتم ايها الداعون
في وقت الضرا المعرضون في وقت الرخا ما شئتم من دونه اي غيره وفي هذا تهديد
وزجر لهم وايذان بانهم لا يعبدون الله تعالى بين تعالى كمال الزجر بقوله سبحانه قل ان
الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم اي خسروا اوقعوها في هلاك
لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم يوم القيامة ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده البتة وقوله تعالى الا ذلك اي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة هو الخسران
المبين اي البين يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران ثم اعاد ذلك
بقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد وثانيها ذكر حرف
الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قال بلغ في العظم الى حيث لا تصل
عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى هو الخسران ولفظة هو تفيد الحصر كانه قيل
كل خسران يصير في مقابلته كلا خسران ورابعها وصفه بكونه خسرانا مبينا يدل على التهويل
ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة بقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل اي طباق من النار ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد نظيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة اجيب باوجه احدها انه

ثم ذكر عقبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام المذكور في قوله

من باب اطلاق اسم الضدين على الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ان الذي تحت يكون
ظله لغيره لان النار دركات كما ان الجنة درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما
كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخرى
لاجل المماثلة والمشابهة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات ذلك اي العذاب
المعد للكفار يخوف الله به عباده اي المؤمنين ليجتنبوا ما يوقعهم فيه وقيل
يخوف الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى يا عباد فاتقون اي ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه الدلالة ان اضافة
العبيد الى الله تعالى في القرآن يختص باهل الايمان والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ
غاية الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها
قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت قدمت الياء على الغين ثم قلبت الفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها
مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان
الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو الاختصاص قال
في الكشاف اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد به ههنا الجمع انتهى لكن ابن الخازن
فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه الجلال المحلي وقوله تعالى فان قيل يتعين هذا التفسير
لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بان الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما
كان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة له فان قيل ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت
على التفسير الثاني مع انه لا يطلق الا على الشيطان كما مر اجيب بانه اطلق عليه على سبيل
المجاز لان الطغيان لما حصل بسبب عبادته والقرب منه وصف بذلك اطلاقا لاسم
السبب على المسبب بحسب الظاهر وقوله تعالى ان يعبدوها بدل اشتمال من الطاغوت
لان الطاغوت مؤنث كانه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت فان قيل على التفسير الاول
الاول انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بانه الداعي الى عبادة الصنم فائدة
نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهة واعتقدوا في الاله
انه نور عظيم وان الملائكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق
تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله
والملائكة وانابوا اي رجعوا الى الله اي الى عبادتهم بكليتهم وتركوا ما كانوا عليه
من عبادة غيره ثم انه تعالى وعد هؤلاء باشياء احدها قوله تعالى لهم البشرى اي في الدنيا
والآخرة اما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر
واما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط
وعند دخول الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير
والراحة والروح والريحان تنبيه يحتمل ان يكون المبشر هم الملائكة لانهم يبشرونهم
عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند
دخول الجنة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ولا
مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملائكة فان فضل الله تعالى واسع وقوله تعالى

فبشر

فبشر عباد قراءة السوسي بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف
والباقون بغير ياء الذين يستمعون اي بجميع قلوبهم القول فيتبعون اي بكل عزائمهم
بعد انقاده احسنه اي بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول الى ادنى تنبيه في هذا
وضع الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا احسانهم وانهم نقاد في الدين
يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب
وندب اختاروا الواجب او مباح وندب اختاروا الندب حرصا على ما هو اقرب
عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك ابواب التكاليف وهي قسمان عبادات
ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله اكبر
مع اقتران النية ويقرا فيها بالفاتحة ويوتى فيها بالطمانينة في مواضعها
الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام لا شك انها احسن من الصلاة التي لا يراعى
فيها شي من هذه الاحوال قال الرازي فوجب على العاقل ان يختار هذه
الصلاة دون غيرها انتهى وكذا القول في جميع ابواب العبادات قال
في الكشاف ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها على السبر
وابينها دليلا وامارة ولا تكن في مذهبك كما قال القايل ولا تكن في مذهبك مثل
غير قيد فانقادا يريد المقلد انتهى واما المعاملات فكانظار المعسر وابراوه
فالابرا اولى وان كان الاول واجبا والثاني مندوبا وكذا القول في جميع المعاملات
وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون اوامر الله تعالى
فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث
باحسن ما سمع ويكف عما سواه وروى عطا عن ابن عباس آمن ابو بكر بالنبي صلى
الله عليه وسلم فجاه عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي
وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزل فيهم فبشر عبادي الاية
اولئك اي العالوا الهمة والرتبة الذين هداهم الله اي بما له من صفات الكمال لدينه
واولئك هم اولوا الالباب اي اصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة
وقال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت الايتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية
يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن
قول لا اله الا الله وفي هذه الاية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح
حادث فلا بد من فاعل وقابل فاما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله
تعالى اولئك الذين هداهم الله واما القابل واليه الاشارة بقوله تعالى واولئك
هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف
الحقيقية في قلبه واختلف في معنى قوله تعالى افمن حق واسقط تا التانيث
الدالة على اللين تاكيدا للنهي عن الاسف عليهم عليه كلمة العذاب فقال ابن عباس
معنى الاية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملان
جهنم الاية وقيل هي قوله تعالى هولا في النار ولا ابالي وقوله تعالى افانت تنقذ
اي تخرج من في النار جواب الشرط واقيم فيه الظاهر مقام المضمر اذ كان الاصل افانت

تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته
فتنقذه من النار وقال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ويجوز ان تكون من موصولة
في محل رفع بالابتدا وخبره محذوف واختلف في تقديره فقدره ابو البقا كمن نجا
وقدره الزمخشري فانت تخلصه قال حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما
وتتاسف عليه وقدر اخر يتخلص منه اي من العذاب وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم
استدراك بين شبهي نقيضين او ضدين وهما المومنون والكافرون اي جعلوا بينهم
وبين المحسن اليهم وقاية في كل حركة وسكون فلم يجعلوا شيا من ذلك الا بنظر يدلهم على رضاه
وقوله تعالى لهم غرف اي علالي من الجنة يسكنونها من فوقها غرف اي شديدة العلو
مقابل لما ذكر في وصف الكفار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم
منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها فان قيل ما فايدة قوله تعالى مبنية
اجيب بان المنزل اذا بني على منزل اخر كان الفوقاني اضعف بنا من التحتاني فقوله
تعالى مبنية فايدته انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل
ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالما وكان الجاري احسن واشرف قال تعالى تجري من تحتها
اي تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الانهار اي المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء
غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وقوله تعالى وعد الله مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعله
المقدر لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد
لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب
الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله
وصدقوا المرسلين وقوله الغابر اي الباقي في الافق اي في ناحية المشرق والمغرب
ولما وصف تعالى الاخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات
توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى الم تر اي تعلم ان الله اي الذي له كمال القدرة
انزل من السماء اي التي لا يستمسك الما فيها الا بقدرة باهرة تقهره على ذلك والمراد بالسما
الجرم او السحاب ماء وهو المطر وقال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم انه تعالى
ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فسلكه اي ادخل ذلك الما في خلال التراب حال كونه
ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري ومسالك كالعروق في الاجساد ثم يخرج
اي الله تعالى به اي بالما زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض
وغير ذلك ومختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج اي ييبس فتراه
بعد الخضرة مثلا مصفرا من يبسه لانه اذا تم جفافه جاز له ان ينفصل عن منابته
ثم يجعله حطاما اي فتاتا ان في ذلك اي التدبير على هذا الوجه لذكرى اي
تذكيرا وتنبيها لاولي الالباب اي اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه
الاحوال في النبات فيعلمون به دلالته على وحدانية الله وقدرته واحوال الحيوان
والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الانتها الى ان يصير مصفر اللون منحطم الاعضا

والاجزا

والاجرام يكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات مذكرة
حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا ولذاتها ولما
بين تعالى الدلائل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا ذكر
ان الانتفاع بهذه البينات لا تكمل الا اذا انشرح الصدر بنور القلب فقال سبحانه
أفمن شرح الله اي الذي له القدرة الكاملة صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق فاهتدى
فهو اي بسبب ذلك على نور من ربه اي المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا
قوله تعالى فويل كلمة عذاب للقاسية قلوبهم من ذكر الله قال مالك بن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة وانما
نور الله تعالى فهو لطفه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فقيل
يا رسول الله فما علامة هذا النور قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول
النور والهداية وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف
جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب اجيب بان النفس اذا كانت خبيثة
الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل الى الطبائع
البهيمة والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله تزيدها قسوة وكدورة ومثاله
ان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه
القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تليين الشمع وتعقد اللحم وقد نرى انسانا
واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك
الا بحسب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين وعمر بن الخطاب حاضر وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر قال كلوا حد منهما تبارك الله احسن الخالقين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد عمر ايمانا على ايمانه وازيد
ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد ان يقال ذكر الله تعالى يوجب النور والهداية
والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس
الخبيثة وقيل من بمعنى عن اي قست قلوبهم عن قبول ذكر الله وجرى على ذلك الحلال
المحلي أولئك اي هؤلاء البعداء في ضلال مبين اي بين فقيل نزلت هذه الاية في ابي بكر
وفي ابي جهل وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي ابي جهل الله نزل الذي له جامع العظمة والاحاطة بصفات
الكمال نزل اي بالتدريج للتذريب والجواب عن كل شبهة أحسن الحديث اي القرآن روي
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وكونه
احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان
القرآن افصح الكلام وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا
من جنس الرسائل بل هو نوع مخالف الكل واشاوبه مع ان الكل طبع سليم يستلذ
ويستطيبه واما من جهة المعنى فهو منزه عن التناقض والاختلاف مما ذكر تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجد وا فيه اختلافا كثيرا ويشتمل على اخبار الماضين وقصص

BULAC

الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل وعلى الوعد والوعيد والجنة
والنار وفي ايقاع الله تعالى مبتدا فبنا نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث واستشهاد على حسنه
وتاكيد لاستناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه
وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وقوله تعالى كتابا اي جامعا
لكل خير بدل من احسن الحديث وقيل حال منه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته
الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة
وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ
لمجي الجامد حالا او انه في قوة مكتوب وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز والبلاغة
والموعظة الحسنة لا تفاوت فيه اصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا في نيف
وعشرين سنة واما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وان طال الزمان في التهذيب
سوا اتحد زمانه ام لا وقوله تعالى مثاني اي جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر
لما ثني من قصصه وانباه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة وقيل لانه
يثنى في التلاوة فلا يمل كما جا في وصفه لا يخلق على كثرة الرد فان قيل كيف
وصف كتاب وهو مفرد بالجمع اجيب بان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشي هي جملته لا غير الا ترى انك تقول القران اسباع واخماس وسور وايات فكذلك
تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق
واعصاب الا انك تركب الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز
ان يكون مثاني منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمايل فان قيل
ما فايدة التثنية والتكرير اجيب بان النفوس انفر شي عن حديث الوعظ والنصيحة
فما لم يكرر عليها عودا عن بدا لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه
في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر اي تضطرب وتشمئز منه عند ذكر وعيده
جلود اي ظواهر اجسام الذين يخشون اي يخافون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة
وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر ايات العذاب ثم تلين اي تطمئن جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اي عند ذكر وعده والمعنى اذا ذكرت ايات الرحمة لانت وسكنت
قلوبهم كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما
يتحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال قتادة هذا
نعت اوليا الله تعالى نعتهم الله تعالى بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله
ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان
وعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر كيف
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت
كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت لها ان ناسا
اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قال اعوذ بالله من الشيطان

الرجيم

الرحيم وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا
انه اذا قرئ عليه القران او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما
نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ
عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا
عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قيل لم ذكرت الجلود
وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجا اجيب بان
الخشية التي محلها القلوب اذا ذكرت فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر
جلودهم من ايات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة واذا ذكر الله تعالى ومبنى
امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعريرة لينا
في جلودهم فان قيل ما وجه تعديه لان بالى اجيب بانه ضمن معنى فعل متعد
بالى كانه قيل سكنت او اطمانت الى ذكر الله تعالى فان قيل كيف قال تعالى الى ذكر الله
ولم يقل الى رحمة الله اجيب بان من احب الله تعالى لاجل رحمة فهو ما احب الله
تعالى وانما احب شيا غيره واما من احب الله تعالى لا لشي سواه فهو المحب المحق
وهي الدرجة العالية كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب ذلك اي القران الذي
هو احسن الحديث هدى الله الذي له صفات الكمال يهدي به من يشاء اي هو الذي
شرح الله تعالى صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا
مظلما فما له من هاد اي يهديه وقرا ابن كثير في الوقف باثبات اليا بعد الدال
والباقون بغير يا واتفقوا في الوصل على عدم اليا ولما حكم تعالى على القاسية قلوبهم
بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الاخرى بحكم اخر وهو العذاب الشديد
فقال افمن يتقي بوجهه سوء اي شدة العذاب اي يجعله درقة يقي به نفسه لانه
تكون مغلولة يداه الى عنقه يوم القيمة فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه وقال مجاهد
يجر على وجهه في النار وقال عطا يرمى به في النار منكوسا فاول شي يلقى النار وجهه
وقيل يلقى في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم
فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها
عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل
ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب بدخول الجنة
ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل اي يقول الخزنة
للظالمين اي الكافرين وكان الاصل لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم
ذوقوا اي وبال ما كنتم تكسبون اي تعملون في الدنيا من المعاصي ولما بين تعالى
كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الاخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال تعالى
كذب الذين واشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال تعالى
من قبلهم اي من قبل كفار مكة اي مثل سبا وقوم تبع كذبوا رسلهم في اتيان العذاب
فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من جهة لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها
فاذاقهم الله الذي له القدرة الكاملة الخزي اي الذل والهوان من المسخ والقتل

BULAC

وعبرها في الحياة الدنيا اي العاجلة الدنية ولعذاب الاخرة اي المعد لهم اكبر اي من ذلك
الذي وقع بهم في الدنيا لشدته ودوامه لو كانوا اي المكذبون يعلمون اي عذابها لكذبوا
ولكن لا علم لهم اصلا بل هم كالانعام بل هم اضل سبيلا ولما ذكر تعالى هذه الفوائد
الكثيرة في هذه المطالب بلسان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال
ولقد ضربنا اي جعلنا للناس اي عامة لان رسالته صلى الله عليه وسلم عامة في هذا
القرآن اي الجامع لكل علم وكل خير من كل مثل اي يحتاج اليه الناظر فارد بيده
لعلهم يتذكرون اي يتعظون به وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الذال
عند الصاد والباقون بالادغام وقوله تعالى قرآنا عربيا فيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع ان يتابع للقرآن وانبها
ان ينتصب يتذكرون اي يتذكرون قرآنا ثالثها ان ينتصب على الحال من القرآن
على انها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال هي الهيئة فجعلت عربيا وقرآنا توطئة له
نحو جاء زيد رجلا صالحا وقوله تعالى غير ذي عوج اي مستقيما بريئا من التناقض
والاختلاف فان قيل لم عدلت القرآن اولا حالا اخرى اقال قيل ملا قيل مستقيما او غير
معوج اجيب بان في ذلك فائدتين احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط قال تعالى
ولم يجعل له عوجا ثانيهما ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل
المراد بالعوج الشك واللبس قال القائل
وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب يتسع وصف تعالى القرآن بثلاث صفات اولها كونه قرآنا
والمراد كونه متلوا في المحراب لعلهم يتقون الى قيام الساعة ثانيها كونه عربيا
اما لانه اعجز الفصحاء والبلغاء عن مقارضته كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ثالثها كونه غير ذي عوج
قال مجاهد غير ذي لبس وقال ابن عباس غير مخلوق وقال السدي غير مخلوق
ويرد ذلك عن مالك بن انس وحكى شقيق بن عيينة عن سبعين من التابعين
ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق والشرح الله تعالى وعد الكفار مثل الماضين
عاقبة مذهبهم وفتح طريقهم بقوله تعالى ضرب الله الذي له الملك كله مثلا
اي للمشرك والموحد وقوله تعالى رجلا بدل من مثلا وقوله تعالى فيه شركاء
يجوز ان يكون جملة من مبتدا وخبر في محل نصب صفة لرجل ويجوز ان يكون
الوصف للجار وحده وشركاء فاعل به قال ابن عادل وهو اولى لقربه من المفرد
وقوله تعالى متشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق
وعسره وهو التخالف اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم يقال رجل
شكس شرس اذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف ورجلا سالما
اي خالصا من الشركة له اي خالصة لا شركة فيه ولا منازع وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالف بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير الف وفتح واللام وهو الذي لا ينازع
فيه حتى قولهم تقول لك سلم اي مسلم لا منازع لك فيه وقوله تعالى هل يستويان
استفهام انكار اي لا يستويان وقوله تعالى مثلا تمييز والمعنى اضرب لقومك مثلا وقالهم
ما يقولون في رجل مملوك لشركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده فهم

سبب ج

يتعاذبونه حوائجهم وهو متحير في امره وكل ارض احدهم غصب الباقون واذا
احتاج اليهم كل واحد يردده الى الآخر فبقي متحيرا لا يعرف انهم اولى ان يطلب رضاه
وانهم يعينه في حاجته فهو بهذا السبب في عذاب اليم واحرى المخدوم واخذ خدمة
على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته تمام هذين العبدين احسن
حالا لا شك ان هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول فان الاول يشبه المشرك والثاني
مثل الموحد وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد قال فيقال
هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فكيف يتأتى منازعتها وتشاكسها
اجيب بان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثل الكواكب
السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يشتورن بينهم منازعة
ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد
الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثل الارواح الفلكية والفاعلون بهذا
القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم متعلق بروح من الارواح
السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة فيكون المثال
مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثل الاشخاص من العلماء والزهاد وهؤلاء
منهم يعبدون هذه التماثيل لتصير اولئك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء
لهم عند الله تعالى والقائلون بهذا القول ثم كل طائفة منهم ان الحق هو ذلك الرجل
الذي هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال
ولما بطل القول باثبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق قال
الله تعالى الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي كل الحمد لله الذي لا مكافئ له
لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم
اي اهل مكة لا يعلمون اي ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون به غيره من فرط جهلهم
وقول البغوي والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر ولما كان كفار مكة يتربصون موت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الله تعالى بان الموت يعمهم جميعا بقوله تعالى
انك ميت اي ستموت وخصه الله تعالى بالخطاب لان الخطاب اذا كان للرأس كان
اصدع للاتباع فكل موضع كان للاتباع وحض فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب وهم
فهم المخاطبون في الحقيقة على وجه البلغ وانهم ميتون اي سيموتون فلا معنى
للتردد وشماتة الفاني بالفاني ما بدة قال الفراء الميت بالتشديد من لم يمت
وسيموت والميت بالتخفيف من فارق الروح ولذلك لم يخفف هنا وقوله تعالى
ثم انكم فيه تغليب المخاطب على الغايب يوم القيامة عند ربكم اي المربي لكم الخالق
والرزق تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت وكذبوا واجتهدت في الارشاد
والتبليغ فلم تزدهم الا التكذيب والعناد والعبادة وهم بالاباطيل يقول الاتباع اطعنا
سادتنا وكبرائنا ويقول السادات اغوتنا اباؤنا الاقدمون والشياطين ويجوز
ان يكون المراد به الاختصام العام وحري عليه الجدال المحلي وهو اولى وان رجح الاول
في الكشاف لما روي عن عبد الله بن الزبير لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله
اتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم قال ان الامر اذا الشديد

BULAC

وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب بيننا فكيف نختصم واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انه فينا نزلت وعن ابن سعيد الخدري في هذه الاية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليستحلله اليوم قبل ان يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم ان الله تعالى بين نوعا اخر من قبائح افعالهم بقوله تعالى فمن اي لا احد اظلم اي منهم هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى ممن تنبيها على ان الذي يكذب على الله ورسوله والكذب على الله تعالى اعظم انواع الكذب وافحشها والعظمة ازاء بنسبة الولد والشريك اليه وكذب اي اوقع التكذيب لكل من اخبره بالصدق اي بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي فاجاه بالتكذيب كما سمع به من غير روية وقعقعة الاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون وقوانا فع وان كثر وان ذكر كواب وعلى بطلانه الدال عند الحكم والبافون بالادغام ثم ارد ف ذلك الوعيد فقال ألیس في جهنم اي النار التي تلقى داخلها بالتهجم والقسوة كما كان يلقى الحق واهله مثوى ماوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة الى الاستغراق اي تعلق الفعل بهم وبما ذكر من اقترن وكذب ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق بقوله تعالى والذي جاء بالصدق قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم وصدق به وهم المؤمنون بالذي بمعنى الذين ولذلك رد عليه بمعناه فجمع في قوله تعالى اولئك اي العالو الرتبة هم المتقون اي الشرك كما ورد عن من في قوله تعالى للكافرين عن الكافرين ظاهر واقع موقع المضمر اذ الاصل مثوى لهم وكما في قوله تعالى منهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم قال الزمخشري ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوه انتهى قال ابو حيان وفيه تفريع للصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التفريع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الاصل والذي جاء بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله تعالى كالذي خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير

الجمع

الجمع فكان يقال والذي جاؤا كقوله تعالى كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية
اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله • ابني كليب ان عمي اللذا • قتلا الملوك
وفككا الاغلالا • وقال ابن عباس والذي جا بالصدق معنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي
والذي جا بالصدق جبريل عليه السلام جا بالقران وصدق به محمد صلى الله عليه
وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي جا بالصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال عطا والذي جا
بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا
وجاوا به في الاخرة وقوله تعالى لهم ما يشاؤن اي من انواع الكرامات عند ربهم
في الجنة يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ذلك اي هذا الجزا جزا المحسنين
لانفسهم بايمانهم وقوله تعالى ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه
ومعنى تكفيرها ان يسترها عليهم بالمغفرة تنبيه في تعلق هذه اللام وجهان
احدهما انها متعلقة بمحذوف اي يسر لهم ذلك ليكفر ثانيهما انها متعلقة بنفس المحسنين
كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اي لاجل التكفير وقوله تعالى اسوا الذي اي العمل الذي
عملوا فيه مبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للايذان بان الشي الذي يفرط
منهم من الصغاير والزلات المكفرة هو عندهم الاسوا لاستعظامهم المعصية
او انه بمعنى الشي كما جرى عليه الجلال المحلي كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي
عادلاهم اذ ليس المراد به التفضيل اذ كلهم جايرون والناقص هو محمد الخليفة سمي به
لانه نقص اعطيه القوم والاشج هو عمر بن عبد العزيز سمي به لشجة اصابت راسه
ويجزيهم اجرهم اي ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي اي العمل الذي كانوا يعملون اي فيعد
لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر لحسن اخلاصهم فيها وهذا اولى من قول
الجلال المحلي انه بمعنى الحسن وقوله تعالى اليس الله اي الجامع لصفات الجمال كلها
المنعوت بنعوت العظمة والجلال بكاف عبده اي الخالص استفهام انكار للنفي مبالغة
في الاثبات وقرا حمزة والكسائي بكسر العين وفتح البا الموحدة والف بعدها على الجمع
وقرا الباقون بفتح العين وسكون الموحدة على الافراد فقراة الافراد محمولة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقراة الجمع على جميع الانبيا عليهم السلام فان قومهم
قصدوهم بالسو كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وكفاهم الله تعالى
شر من عاداهم ويحتمل ان يراد بقراة الافراد الجنس فيتساوى قراة الجمع وقيل المراد
ان الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وابراهيم عليه السلام النار ويونس عليه
السلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هولا الرسل قبلك ويخوفونك
اي عباد الاصنام بالذين من دونه وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم
معاداة الاوثان وقالوا ليفكن عن شتم الهتنا او لاصيبنك منهم خبل او جنون
فانزل الله تعالى هذه الاية ويروى انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى
ليكسرها فقال له سادنها اي خادمها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شي فعمد
خالدا اليها فهشم انفها فنزلت هذه الاية ولما شرح الله تعالى الوعد والوعيد

BULAC

والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضلل الله اي الذي بيده كل شئ فما له من هاد اي يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اي مهد الدلائل والبينات لا ينفع الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق اذ لا اضلال لفعله كما قال تعالى اليس الله اي الذي له الامر كله بعزيز اي غالب على امره ذي انتقام اي من اعدائه بلى هو له لك وفي هذا تهديد للكفار والمبتدعين وعيد للمشركين ووعد للموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الاوثان وهذا التزييف مبني على اصلين الاول ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى ولئن سألتهم اي من شئت منهم فرادى ومجتمعين واللام لام القسم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي وحده لوضوح البرهان عليه بقدرة الخالقية قال بعض العلماء العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع فيه بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا اقدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى قل افرايتم اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ما تدعون اي تعبدون من دون الله اي الذي هو ذو الجلال والاكرام ان ارادني الله اي الذي لا راد لامره بضر اي شدة وبلاء هل هن كاشفات ضره اي لا تقدر على ذلك او ارادني برحمة اي بعافية وبركة هل هن ممسكات رحمته اي لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا وقرا ابو عمرو بتنوين الثاني من كاشفات وممسكات ونصب الراء من ضره ورفع الهاء ونصب التاء من رحمته ورفع الهاء والباقون بغير تنوين فيهما وكسر الراء والهاء من ضره والباء والهاء من رحمته واذا كانت هذه الاصنام لا تقدر لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى قل حسبي الله اي تكفيني واعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اي يثق الواثقون فان قيل لم قال تعالى كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى وتخويفوك بالذين من دونه اجيب بانه انثها لتحقير المدعوين من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا قوم اي الذين هم عبدة الصنمات وفيهم كفاية في الغناء بما حاد لوا اعملوا على مكانتكم اي على حالتكم فيتعلق بكم ايها الكفار تعتقدون في انفسكم انكم لنهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم اني عامل اي على تقرير دلني فسوف تعلمون اي يوعد لاحلفه من ياتيه منا ومنكم بسبب اعماله عذاب يخزيه فالخزي اعداده وليل عليه وقد اخذهم الله تعالى يوم بدر ويحل اي ينزل عليه عذاب يوم مقيم وهو عذاب النار تنبيه المكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعار لفظ هنا وحيث للزمان

وهما للمكان

وبما للمكان فانه نقل حق الكلام الى عامل على مكانتي فلم حذف اجيب بانه حذف للاختصار
ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة
لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله تعالى فسوف يعلمون
كيف نوعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة ولما بين تعالى في هذه
الايات فساد مذاهب المشركين تارة بالدليل وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر
الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يغتم عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ازاله
بكلام يزيل ذلك الحزن العظيم عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى انا
انزلنا اي بما لنا من العظمة والقدرة التامة عليك ايها الاشرف الخلق الكتاب اي
الكامل الشرف للناس اي لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو
للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل
على انه من عند الله فمن اهتدى اي بطاوع الهادي فلنفسه اي فنفعه يعود اليه
ومن ضل اي وقع منه ضلال يحالفته فانما يضل عليها اي فضرر ضلاله يعود اليه
والمادل للسياق على ان التقدير ما انت عليهم بحسبان لتقهرهم على الهدى عطف عملية
قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل اي لست مامورا بان تحملهم على الايمان على سبيل
التهديد للقبول وعدم القبول مفوض اليهم وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى لان الهداية تشبه الحياة
واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحياة واليقظة لا يحصلان
الا بخلق الله تعالى كذلك الهداية لا تحصل الا بتوفيق الله تعالى وكما ان الموت والنوم
لا يحصلان الا بخلق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن
عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى في القدر ومن عرف سر الله تعالى في القدر
هانت عليه المصائب ولما بين سبحانه ان الهداية والضلال بتقديره قال تعالى
الله اي الذي له مجامع الكمال وليس لغيره نقص اليه سبحانه يتوفى الانفس اي الارواح
حين موتها اي موت اجسادها وتوفيها اماتتها وهي ان تسلب ما به حتى حساسة
ومميزة من صحة اجسادها بسلامتها لانها عند سلب الصحة كانها فارقتها فقد سلبت
وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها عطف على الانفس اي يتوفى الانفس حين موتها
ويتوفى ايضا الانفس التي لم تمت في منامها ففي منامها ظرف ليتوفى اي يتوفاها
حين ينام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حين
لا تموتون ولا تستوفون كما ان الموتى كذلك والتي يتوفى عند النوم هي النفس
التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحياة وهي التي تفارق
عند الموت وتزول بزوالها النفس والاخرى هي النفس التي تفارق اذا نام وهو
بعد الموت يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد وقرا
حمزة والكسائي بضم الفاء وكسر الضاد وفتح الياء بعد الضاد ورفع النائب الموت
والباقون بفتح الفاء والضاد وسكون الياء بعد الضاد ونصب الموت ويرسل
الاخرى اي يردها الى الجسد وهي التي لم يقض عليها الموت الى اجل مسمى اي

BULAC

الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون
معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا والذي
يتوفى النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة ولان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس
والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام
العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري والصحيح ما ذكر اولا
لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس
الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة التي
تموت وهي التي تنام انتهى ويروى عن علي قال تخرج الروح عند النوم ويبقى
شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرويا فاذا نبه من النوم عاد الروح الى جسده
باسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف
ما شاء الله فاذا ارادت العود الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات
عنده وارسل ارواح الاجساد حتى ترجع الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض
فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت
جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
الصالحين ان في ذلك اي التوفي والامساك والارسال لايات اي دلالات على كمال قدرته
وحكمته ورحمته وقال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون اي فيعلمون ان
القادر على ذلك قادر على البعث فان قيل قوله تعالى الله يتوفى الانفس يدل
على ان المتوفي هو الله تعالى ويؤكده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وقوله تعالى
عن ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت وقال تعالى في اية اخرى قل
يتوفاكم ملك الموت وقال تعالى في اية اخرى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
فكيف الجمع اجيب بان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع
الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحته اتباع
وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي اية الى ملك
الموت لانه الرئيس في هذا العمل وفي اية الى اتباعه ثم ان الكفار اوردوا على هذا
الكلام سؤالا قالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما
نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين فنحن نعبدها
ليشفع لنا اولئك المقربون عند الله فاجاب الله تعالى عنه بقوله سبحانه ام اتخذوا
اي كلفوا انفسهم بعد وضوح الدلائل عندها ان اخذوا من دون الله اي لا مكافي
له ولا مداني شفعاء اي تشفع لهم عند الله بنية ام منقطعة فتقدر ببل
والهمزة قل يا اشرف الخلق لهؤلاء البعداء اولو اي ايشفعون ولو كانوا لا يملكون
شيئا اي من الشفاعة وغيرها ولا يعقلون اي انكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب
هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل اي لهم لله اي الذي له
كمال القدرة والعظمة الشفاعة جميعا اي هو مختص بها فلا يشفع احد الا باذنه

ثم قرر

ثم قرر ذلك فقال لله ملك السموات والارض اى فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم
فى امر دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون اى يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ
ثم ذكر تعالى نوعا اخر من اعمال المشركين القبيحة بقوله تعالى واذا ذكر الله اى الذى
هو وحده اى دون الهتهم اشمأزت قال ابن عباس ومجاهد يعنى انقبضت وقال
قتادة استكبرت واصل الاشمئزاز النفور والاستنكاف اى نفرت واستكبرت قلوب
الذين لا يؤمنون بالاخرة اى لا يؤمنون بالبعث واذا ذكر الذين من دونه
اى الاصنام اذا هم يستبشرون اى تفرحون لغرط افتتانهم ونسيانهم حق الله تعالى
ولقد بالغ نحى الامرين حق المبالغة فمهما كان الاستبشار ان يمتلى قلبه سرورا حتى ينبسط له
بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلى غيظا وهما حتى ينقبض ادیم وجهه قال مجاهد وقتادة
وذلك حين ذكر النبى صلى الله عليه وسلم سورة النجم فالقى الشيطان فى امنيته تلك الغرانيق
العلا ففرح به المشركون وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الحج بتنبيه قال الزمخشرى
فان قلت ما العامل فى اذا ذكر قلت العامل فى اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجاوا وقت الاستبشار قال ابو حيان اما قول الزمخشرى فلا اعلم من قوله
من ينتمى الى النحو وهو ان الظرف ليس معمولا لفاجاوا لم اذا الاولى تنتصب على الظرفية
والثانية على المفعول به ولما حكى الله تعالى عن ضلال الكفار هذا الامر العجيب الذى يشهد
فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعاء العظيم فقال تعالى قل اللهم اى يا الله فاطر
اى مبدع السموات والارض اى انت الحاكم بالدعاء لما تحيرت فى امرهم وتحيرت فى عنادهم وشدة
شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاجوبة كلها عالم الغيب والشهادة وصف
تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اى
من امر الدين وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام احدث بحديث فاستحسنه وشجع على قائله
وقالوا الان تتكلم فما زاد على ان قال آه اوقد سمعوا وقر الاذن وزور بكاءه قال على اثرها وقتل
من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه وعن ابى سلمة قال سألت
عائشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب
جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم
وتلا حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر وعيدهم اشياء ولها قوله تعالى ولو ان
للذين ظلموا اى انفسهم بالكفر ما فى الارض جميعا اى من الاموال ومثله معه لافتدوا اى
لجعلوه فداء لانفسهم من سوء العذاب يوم القيامة وهذا وعيد شديد
وافتاط كلى لهم من الخلاص بانها قوله تعالى وبدا لهم من الله اى ظهر لهم انواعا من العذاب
لم تكن فى حسابهم ما لم يكونوا يحتسبون اى ظهر لهم انواع من العذاب لم تكن فى حسابهم
وفى هذا زيادة مبالغة وهو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وقوله
صلى الله عليه وسلم فى صفة الثواب فى الجنة فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وقال قتادة ظهر لهم من سيئ اعمالهم ما استحقوا فى الدنيا انه نازل بهم فى الاخرة وقال
السدى ابدوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات لانهم كانوا يستقربون الى الله بعبادة الاصنام
ويظنونها حسنات فبدت لهم سيئات ثالثها قوله تعالى وبدا لهم اى ظهر لهم ظهورا تاما

اى الملك الاعظم حو

سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اوليا الله وحاق اي نزل بهم ما كانوا
به يستهزؤن اي يطلبون ويوجدون الهزا من العذاب ثم حكى الله تعالى عنهم طريقة
اخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى فاذا مس الانسان اي الجنس ضر اي فقر او مرض
او نحو ذلك دعانا اي في دفع ذلك فان قيل ما السبب في عطف هذه الاية بالفا وعطف مثلها
في اول السورة بالواو اجيب بان السبب في ذلك ان هذه مسببة عن قوله تعالى
واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر
الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره فقوله
تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده وثانيهما اعتراض
موكد لانكار ذلك عليهم هذا محصل كلام الزمخشري واعترضه ابو حيان بان ابا علي يمنع
الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان للذين
ظلموا الاية كانت ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيمة
من العذاب اتبع ذلك ما يدل على ظلمه وبغيه اذا كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن
اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا تفضلا فان
التخويل يختص به قال انما اوتيته اي المنعم به على علم اي على علم من الله تعالى الي له اهل
وقيل ان كان ذلك سعادة في المال او عافية في النفس تقول انما حصل له بجده واجتهاده
وان كان صحة قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وان حصل مال تقول حصل بكسبي
وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى الله تعالى وفي حال السلامة
والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح
بل هي فتنة اي بلية يبتلى بها العبد فان قيل كيف ذكر النعمة اولا في قوله انما اوتيته
ثم انثها ثانيا اجيب بانه ذكر اولا لان النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل تقديره شيا
بان النعمة وانث ثانيا اعتبارا بلفظها او لان الخبر لما كان مونثا اعني فتنة ساغ
تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جات حاجتك وقيل هي اي الحالة
او القولة كما جرى عليه الجلال المحلي او العطية والنعمة كما قاله البقاعي ولكن اكثرهم
اي اكثر هولا القائلين هذا الكلام لا يعلمون اي ان التخويل استدراج وامتحان
قد قالها اي القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
من القول الذين من قبلهم اي من الامم الماضية قال الزمخشري هم قارون وقومه
حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها قال ويجوز
ان تكون في الامم الخالية اخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم اي اولئك الماضين
ما كانوا يكسبون اي من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا
اي جزاوها من العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى والذين ظلموا اي بالعتو
من هولا اي من مشركي قومك ومن للبيان او التبعيض سيصيبهم سيئات
ما كسبوا اي كما اصاب اولئك وما هم بمعجزين اي فايتين عذابنا فقتل صناديدهم
ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل
لهم اولم يعلموا ان الله اي الذي له الجلال والجمال يبسط الرزق اي يوسعه
لمن يشا وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا ويقدر اي يضيق لمن يشا وان كان

قويا

قويا شديد الحيل ابتلا فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك انا نرى الناس
مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل
الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف
في اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبايع والافلاك لان في الساعة التي ولد
فيها ذلك الملك السلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوان
غير الانسان وتولد ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث
هذه الاشيا الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة
علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى
الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل

ولكنه حكم رب السما وقاضي القضاة تعالى وجل ان في ذلك اي البيان الظاهر لايات
اي دلالات لقوم يؤمنون الايات الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره ولما ذكر تعالى
الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ربكم
المحسن اليكم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمومنين على ما هو عرف القران
لا تقنطوا اي لا تياسوا من رحمة الله اي من اكرام المحيط بكل صفات الكمال فيمنعكم
ذلك القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عبادي بسكون
اليا وتسقط في الوصل وفتحها الباقون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنطوا بكسر النون
بعد القاف والباقون بفتحها ان الله اي المتفضل على عباده المومنين يغفر الذنوب
لمن تاب من الشرك جميعا لمن يشا كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
واما الكافر اذا اسلم فان الله تعالى لا يواخذه بما وقع من كفره قال تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف تنبيه في هذه الاية انواع من المعاني والبيان
حسنة منها اقباله عليهم ونداوهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات
من التكلم الى الغيبة في قوله تعالى من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمايه
الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله تعالى ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله تعالى
انه اي وحده هو الغفور اي البليغ الغفر بحيث يمحو الذنوب عمن يشا عينا واثرا فلا
يعاقب ولا يعاتب الرحيم اي المكرم بعد المغفرة بان وبالفصل وباعادة الصفتين
اللتين تضمنتهما الاية السابقة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل
الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان
الذي تدعو له لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت الاية وروى عطا ابن ابي
رباح عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي صلى الله
عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل
واشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة وانا قد فعلت ذلك كله
فانزل الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي
لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية قال وحشي نعم هذا فجا فاسلم فقال
المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه
الاية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا
ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هولاء صرفا ولا عدلا ابدا
قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله تعالى هذه الايات فكتبها
عمر ابن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش ابن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اوليك
النفر فاسلموا وهاجروا وروي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص
وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسما بنت يزيد
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وروى الطبراني انه صلى
الله عليه وسلم قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها اي بهذه الاية فقال رجل يا رسول
الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ومن اشرك ثلاث مرات وعن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين
انسانا ثم خرج يسال فاذا زاهد فساله فقال هل لي توبة فقال لا فقتله وجعل يسال
فقال له رجل ايت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناى بصدره نحوها فاختصمت فيه
ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي
وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له وفي رواية فقال له اني قتلت
تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض
فدل على عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل من توبة فقال نعم انطلق الى ارض كذا الى ان قال
فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضه ملايكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شي من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى
نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا
الذي يبطل اعمالنا قيل لنا تلك الكباير والفواحش فكنا اذا راينا من اصاب منها شيا خفنا
عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له واراد بالاسراف ارتكاب الكباير ولما كان التقدير
فاقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعظاما قوله تعالى
وانيبوا اي ارجعوا بكلياتكم وكلوا حوايجكم واسندوا اموركم واجعلوا طريقكم الى ربكم
اي الذي لم تروا احسانا الا وهو منه واسلموا اي اخلصوا له اعمالكم من قبل ان ياتيكم اي
وانتم صاغرون العذاب اي القاطع لكل عذوبة المجوع لكل مرارة وصعوبة ثم
لا تنصرون اي لا يتجدد لكم نوع نصر ابدا ان لم تتوبوا واتبعوا اي عالجوا انفسكم وكلفوها
ان تتبع احسن ما انزل اليكم اي على سبيل العدل كالاحسان الذي هو اعلى من العفو
الذي هو فوق الانتقام باتباع هذا القران الذي هو احسن ما نزل من كتب الله
تعالى واتباع احاسن ما فيه فتصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحسن الى من ظلمك
هذا في حق الخلايق ومثله في عبادة الخالق بان يكون كانك تراه الذي هو اعلى من استحضار

انه

انه يراك الذي هو اعلى من ادائها مع الغفلة عن ذلك ولما كان هذا شديدا على النفس رغب فيه
بقوله تعالى مظهر صفة الاحسان موضع الاضمار من ربكم اي الذي لم يزل يحسن اليكم وانتم
تبارزونه بالعظائم وقال الحسن معنى الاية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان
في القران ذكر القبيح لتجنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وقيل
الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها وقيل العزائم دون الرخص وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون اي ليس عندكم شعور باتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد وتخويف
ولما خوفهم الله تعالى بهذا العذاب بين انهم يتقربون نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى
الله تعالى عنهم ثلاثة انواع من الكلام الاول ما ذكره بقوله تعالى ان اي كراهة ان
تقول نفس اي عند وقوع العذاب وافرادها وتنكيرها كاف في الوعيد لان كل احد يجوز
ان يكون هو المراد يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله قال الحسن قصرت في الطاعة لله
وقال مجاهد في امر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله
وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي اليه رضى الله تعالى والعذاب تسمى الجنب جانبا قال
في الكشاف وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبتت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته
فيه الا ترى الى قول الشاعر ان السماحة والمروة والندا في قبة ضربت على ابن الحشرج
اي فانه لم يصرح بثبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة
عليه فاذا ثباتها له والقبة تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤسا وقرا حمزة والكسائي بالامالة
محضة والدوري عن ابي عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وان اي والحال اني كنت اي كان ذلك في طبعي لمن الساخرين اي المستهزئين المتكبرين المنزلين
انفسهم في غير منزلتها وذلك انه ما كفاني المعصية حتى كنت اسخر من اهل الطاعة اي يقول
هذا لعله يقبل منها ويعفى عنها على عادة المترفقين في وقت الشدائد لعلهم يعادون
الى اجمل العوائد الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب
عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة لو ان الله اي الذي له
القدرة الكاملة والعلم الشامل هداني اي ببيان الطريق لكنت من المتقين اي الذين
لا يقدمون على فعل ما لم يدلهم عليه دليل الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه
او تقول اي تلك النفس المفرطة حين ترى العذاب اي الذي واجهها عيانا لو ان اي يا ليت
لي كرة اي رجعة الى دار العمل فاكون اي يتسبب عن رجوعي اليها ان اكون من المحسنين
اي العاملين بالاحسان الذي دعى اليه القران تنبيه في نصب فاكون وجهان احدهما
عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر مؤول على مصدر مصرح به كقولها
للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف
والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله لو ان لي كرة والفرق بين الوجهين
ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان تضمر ان وان تظهر والثاني يكون الكون فيه
مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان ثم اجاب الله تعالى هذا القائل بقوله
سبحانه بلى قد جاءتك اياتي اي القران وهي سبب الهداية فكذبت بها اي قلت ليست
من عند الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين فان قيل

هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هدانى ولم يفصل بينهما اجيب بانه
لا يخلو اما ان يقدم على احدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن او اما ان يؤخر القرينة الوسطى
فلم يحسن الاول لما فيه من تنافر النظم بالجمع بين القرائن والثانى فلما فيه من تفتير النظم
بالجمع بين القرائن ومن نقض الترتيب وهو المختص على التفريط فى الطاعة ثم التعلل
بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه على افزال النفس
على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من اين؟ عما اقتضى الجواب فان قيل كيف صح ان يقع جوابا
لغير متمنى اجيب بان قوله لو ان الله هدانى فيه معنى ما هديت **ويوم القيامة**
اى الذى لا يصح فى الحكمة تركه **ترى** اى انت؟ المحسن **الذين كذبوا على الله** اى الحاد بجميع صفات
الكمال نسبة الولد اليه والولد اليه وقال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان
شئنا لم نفعل قال البقاعى وكانه عنى عن المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا
قولهم انهم يخلقون افعالهم قال ويدخل فيه من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم
انه كاذب فى اى شئ كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم كذبه
او لا يقدر على جزائه كانه كذب على الله تعالى وقوله تعالى **وجوههم مسودة** جملة
من مبتدا وخبر فى محل نصب على الحال من الموصول لان الرؤية بصرية وقيل فى محل نصب
مفعولا ثانيا لان الرؤية قلبية ويرد بان تعلق الرؤية البصرية بالاجسام والوانها اظهر
من تعلق القلبية؟ وذكر ان هذا السواد مخالف لسائر انواع السواد **أليس فى جهنم**
مثوى اى مأوى **للمتكبرين** اى الذين تكبروا على اتباع امر الله تعالى وهو تقرير انهم يرونه
كذلك والمذكر الله تعالى الذين اتقوهم حال الذين اسعدهم بقوله تعالى **وينجى**
الله اى بفعل بما له من صفات الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك **الذين اتقوا** اى بالغوا
فى وقاية انفسهم من غضبه فكما وقاهم فى الدنيا من المخالفات حماهم فى الآخرة من العقوبات
بمفازتهم اى بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان
يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازا لانه مسبب وقراءة حمزة والكسائى وشعبة بالف بعد الزاى
جمعا على ان لكل متقن مفازا والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى **لا يمسهم السوء**
جملة مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء ولا مجال لها ويجوز ان يكون
فى محل نصب على الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه **ولا هم يحزنون** اى ولا يطرق
بالهم حزن على فائت لانه لا يعرف لهم شيئا ضائعا لكمال المحوف منه والمحزون عليه عاجزين
لهم ما فى الكون فكان لا يقدر على دفعها الا القادر المبدع القيوم قال تعالى مستانفا
او معللا مظهرا الاسم الاعظم تعظيما **الله** اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما الذى يخاف **خالق**
كل شئ اى من خير وشر وايمان وكفر فلا يكون شئ اصلا الا بخلقه ولما دل هذا على القدرة
الشاملة وكان لا بد معها من العلم الكامل قال تعالى **وهو على كل شئ** اى مع القهر والغلبة
وكيل اى حفيظ لجميع ما يريد منه فيوم لا يحزن يلم بساحته ولا يغفله وقوله تعالى **له**
مقاليد السموات والارض جملة مستانفة والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح
ومفاتيح او مقليد مثل منديل ومناديل اى هو مالك امرها وحافظها وهى من باب
الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان
الفيت اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح والكلمة اصلها فارسية فان قيل ما الكتاب

العزي المبين والفارسية لحسب بان التعريب احالها عربيتها كما اخرج الاستعمال
المهمل من كونه مهملا قال الزمخشري سال عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك
تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة
الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل
شي قدير انتهى روى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي في الموضوعات
ثم قال الزمخشري وتاويله على تقدير ان الله تعالى هذه الكلمات يوحدها ويمجد
وبي مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه وقال قتادة
ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات
ولما وصف الله تعالى بصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالقا للاشياء وكونه مالكا
لمقاليد السموات والارض باشرها قال بعده والذين كفروا اي لبتسوا ما اتضح
من الدلالات وجحدوا بايات الله اي دلايل قدرته الظاهرة الباهرة اولئك
البعداء البغضاء هم الخاسرون لانهم خسروا انفسهم وكل شي يتصل بها على وجه النفع
وقال الزمخشري والذين كفروا منتصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا واعترض مابينهما
بانه خالق الاشياء كلها وانه له مقاليد السموات والارض واعترضه الرازي بان ويحيي
جملة فعلية والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يجوز
واعترض الاخير بانه لا مانع من ذلك لانهما كفار قريش النبي صلى الله عليه وسلم
الى دين ابايه قال الله تعالى قل اي لهم افغير الله اي الملك الاعظم تامروني اعبد
ايها الجاهلون اي العريقون في الجهل لان الدليل القاطع قد قام بان الله تعالى
هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل وقرا نافع بتخفيف النون وفتح الياء
وابن كثير بتشديد النون وفتح الياء وابو عمرو بتشديد النون وسكون الياء وابن
عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وسكون الياء والباقون بتشديد
النون وسكون الياء ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن
عملك اي الذي عملت قبل الشرك فان قيل الوحي اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت
على التوحيد اجيب بان تقدير الاية اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك
مثله اي اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا
فان قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون واجيب
اجيب بان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية
لا يلزم من صدقها صدق جزيها الا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت
منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزيها غير صادق قال
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بان فيهما الهة
وانهما قد فسدتا او ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله اكثر
المفسرين او ان ذلك على سبيل الفرض المحال ذكر ليكون ردعا للاتباع ولما كان
الشرك للتوحيد وكانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الاعمال وما تاخر
عنه لم يقيده بالاتصال بالموت اكتفاء بتقييده في اية البقرة ومن يرتدد منكم

عن دينه فيمت وهو كافر قال تعالى ولتكونن اي لاجل حبوطه من الخاسرين فان من ذهب
جميع عمله لا شك في خسارته اما من اسلم بعد ردته فانما يحبط ثواب عمله لا عمله كما نص عليه
الشافعي تنبيه اللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب ولما كان التقدير فلا تشرك
بني عليه قوله تعالى بل الله اي المتصف بصفات الكمال وحده فاعبد اي مخلصا له العبادة
وكن من الشاكرين اي العريقين في هذا الوصف لانه جعلك خير الخلائق ولما حكى الله تعالى
عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلائل على فساد
قولهم وامر الرسول ان يعبد الله ولا يعبد سواه بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا
هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية قال وما قدروا الله اي الملك الاعظم
حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره مع انهم لو استغرقوا الزمان
في عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شيء منه عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف اذا
خلى بعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لائقا به اردفه بما يدل
على كمال عظمته قوله تعالى والارض جميعا قبضته وهو مبتدا وخبر في محل نصب
على الحال اي ما عظموه حق عظمته والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله
تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه
وحال ملكه كذا وجميعا حال وهي دالة عليه اذ المراد بالارض الارضون لان هذا التاكيد
لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها
ولما كان هذا في هذه الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر في الاخرة
بخلاف هذا لانقطاع الاسباب قال تعالى يوم القيامة ولا قبضة هناك لا حقيقة
ولا مجازا وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كانوا يعلمون ان
السموات سبع متطابقة بما يشاهدون من سير النجوم جمع ليكون مع جميعا كالتصريح
في جميع الارض ايضا في قوله تعالى والسموات مطويات اي مجموعات بيمينه قال
الرازي وههنا سؤالات الاول ان العرش اعظم من السموات السبع والارضين
السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا
وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل
بكونه حاملا للسموات والارض واجاب بان مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة
الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده
تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملائكة الذين يحملون العرش السؤال الثاني
قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حال
لا تحصل الا في القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين
للانبياء فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله فلا فائدة في ايراد
هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول
بالشرك واجاب بان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه
العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وابقائها يوم القيمة وذلك يدل
على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا

على الاطلاق

على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة وذلك يدل على كمال
الاستغناء السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية
بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرته تعالى
فكذلك الان فما الفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة واجاب بانه انما خصص
تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا ظهر كمال
قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا ولما كان هذا انما هو تمثيل بما يعهد والمراد به الغاية
في القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما تثبت به المجسم والمشبه فقال تعالى سبحانه
اي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وتعالى علوا لا يحاط به عما يشركون
معه لانه لو كان له شريك لنازعه في هذه القدرة او في بعضها فمنعه شيئا منها وهذا
معبوداتهم لا قدرة لها على شيء روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله
ابن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم
القيامة جعل الله السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق
على اصبع ثم يهزهن يقول انا الملك فلقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت
نواجذه تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره
الاية وانما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهم علما البيان من غير
تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك وانما يدل ذلك على القدرة الباهرة وان
الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف
عليه الا اجر العبادة في مثل هذه الطريقة على التخييل وروى الشيخان عن ابي هريرة بن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبابرة اين المتكبرون ثم تطوى الارضين ثم ياخذهن
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وللبخاري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا
الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من وصف
اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد ورد كلتا يديه يمين وليس عندنا
معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكفيها
وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل
السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره
تلاوته والسكوت عليه انتهى وقد قدمنا ان السلف يجرون المتشابه على ما هو عليه
وان الخلف يولونه والاول اسلم والثاني احكم ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعظمته بما سبق
ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل ايضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة
فقال ونفخ في الصور اي القرن النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم
فصعق اي مات من في السموات ومن في الارض اي اختلف فيمن استثنا الله تعالى
بقوله سبحانه الا من شاء الله فقال الحسن هو الله وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالى ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت
ثم يميت جبريل ثم يميت ملك الموت وقيل حملة العرش وقيل الحور والولدان وقيل

الشهدا لقوله تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال هم الشهدا يتقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام لانه
صعق ولا يصعق ثانيا وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القران والاخبار ما يدل على انهم
من هم وهذا اسلم ثم نفخ فيه اي الصور نفخة اخرى اي نفخة ثانية فاذا هم اي جميع
الخلائق الموتى قيام اي قائمون ينظرون اي يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت
اذا فجاه خطب عظيم وقيل ينظرون امر الله تعالى فيهم وهذا يدل على ان هذه النفخة
متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا
اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله تعالى من السما
ما فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيامة وقوله تعالى فاذا هم يدل على ان قيامهم يحصل عقب هذه النفخة
الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفا تدل على التعقيب ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة
التي هي نور البدن اتبعه بنور ارض القيمة فقال واشرقت اي اضات اضاة عظيمة مالت
بها الى الحمرة الارض اي التي اوجدت لحشرهم وليست بارضنا الان لقوله تعالى يوم
تبدل الارض غير الارض بنور ربها اي خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضا
بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم سترون ربكم وقال كما لا تضارون في خالقها وذلك حين
يتجلى الرب لفصل القضا بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم سترون ربكم وقال كما لا تضارون
في الشمس في اليوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال
للحساب لقوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا وقوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل
الكتاب اللوح المحفوظ تقابل به الصحايف وقيل الكتاب الذي انزل الى كل امة تعمل
به واقتصر على هذا البقاعي وجي بالنبيين للشهادة على اممهم واختلف في قوله تعالى
والشهدا فقال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد
صلى الله عليه وسلم ولما بين تعالى انه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى باربع
عبارات اولها قوله تعالى لقوله تعالى جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقال
عطا ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجات كل نفس معها سايق وشهيد وقيل هم
المستشهدون في سبيل الله ولما بين تعالى انه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى
باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم اي العباد بالحق اي العدل ثانيها قوله
تعالى وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ثالثها قوله تعالى
ووفيت كل نفس ما عملت اي جزا ما عملت رابعها قوله تعالى وهو اعلم بما
يفعلون اي فلا يفوته شي من افعالهم ثم فصل التوفية بقوله تعالى مقدما اهل
الغضب وسيق الذين كفروا اي بالعنف والدفع الى جهنم كما قال تعالى يوم يدعون
الى نار جهنم اي يدفعون دفعا وقوله تعالى زمرا حال اي جماعات في تفرقة بعضهم على اثر
بعض كل امة على حدة حتى اذا جاوها اي على صفة الذل والصغار واجاب اذا بقوله تعالى
فتحت ابوابها اي السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند وصول الكفار اليها

وقرا

وقرأ الكوفيون فتحت وفتحت الآية بالتخفيف والباقون بالتشديد على التكثير وقال
لهم خزنتها انكارا عليهم تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم اي من جنسكم لان قيام
الحجة بالجنس اقوى يتلون اي يوالون مرة بعد مرة وشيئا في اثر شيء عليكم آيات
ربكم اي المحسن اليكم من القرآن وغيره وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم وقولهم
هذا اشارة الى يوم البعث فان قيل لم اضيف اليهم اليوم اجيب بانهم ارادوا
لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة قال الزمخشري وقد جاء
استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة ويجوز ان يراد باليوم يوم
البعث كله وجرى عليه البقاعي وهو اولى ولما قال لهم الخزنة كذا قالوا بلى اتونا
وتلوا علينا وحذرونا ولكن حقت اي وجبت كلمة العذاب اي التي سبقت في الازل
علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا على الكافرين تخصيصا باهل هذا الوصف وبيانا
لانه موجب دخولهم وهو تغطيتهم الانوار التي اتتهم بها الرسل تنبيه في الآية
دليل على انه لا وجوب قبل مجيء الشرع لان الملائكة بينوا انهم ما بقي لهم عذر ولا علة
بعد مجيء الرسل عليهم السلام فلو لم يكن مجيء الرسل شرطا في استحقاق العذاب لما بقي
في هذا الكلام فائدة وقيل كلمة العذاب هي قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ثم كانه قيل فماذا وقع بعد هذا التقريع قيل وقع ان الملائكة قالت لهم
ادخلوا ابواب جهنم اي طبقاتها المتهجمة لداخلها خالدين اي مقدرين الخلود فيها
ولما كان سبب كفرهم بالآيات هو التكفير قالوا لهم فبئس مثوى اي منزل ومقام المتكبرين
اي الذين اوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا اسبابها ولما ذكر تعالى
احوال الكافرين اتبعه احوال اضدادهم فقال عز من قائل وسيق الذين اتقوا
ربهم اي الذي كلما زادهم احسانا زادوا له هيبة الى الجنة وقوله تعالى زمرا حال اي
جماعات اهل الصلاة المستكثرين منها على حدة واهل الصوم كذلك الى غير ذلك من الاعمال
التي تظهر آثارها على الوجوه فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب
الى موضع العذاب لا بد وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب
الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة فيه الى السوق اجيب بان المراد بسوق اهل
النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا
الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها
اسراعا الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض
الملوك فشتان ما بين السوقين هذا سوق اكرام وذاك سوق اهانة وانتقام وهذا
من بدائع انواع البديع وهو ان يأتي سبحانه بكلمة في حق الكفار فيدل على هوانهم بعقابهم
ويأتي بتلك الكلمة بعينها وعلى هيئتها في حق المؤمنين فيدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان
من انزله معجز المباني متمكن المعاني عذب الموارد والمثاني وقيل لان المحبة والصداقة
باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبابي واصدقائي فيتأخرون
لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ولما ذكر تعالى السوق ذكر غايته بقوله
تعالى حتى اذا جاؤها واختلف في جواب اذا على اوجه احدها قوله تعالى وفتحت ابوابها

BULAC

والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والأخفش وإنما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لأن
أبواب السجون مغلقة عادة إلى أن يجيء صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك
عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرج فإنها تفتح انتظارا لمن يدخلها فعلى هذا
أبواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها فأما أبواب الجنة ففتحها
يكون متقدما على دخولهم إليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جيء
بالواو فكأنه قيل حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها ثانيها قوله تعالى وقال لهم
خزنتها على زيادة الواو أيضا أي حتى إذا جاؤوها قال لهم خزنتها ثالثها قال الزجاج
القول عندي أن الجواب محذوف تقديره ادخلوها بعد قوله تعالى حتى إذا جاؤوها
وفتحت أبوابها الآية وقال لهم خزنتها أي حين الوصول سلام عليكم تعجيلا للمسرة لهم
بالبشارة بالسلامة التي لا عطب فيها طبتم أي صلحتم لسكناها لأنها دار طهرها الله من كل
دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك
المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم
توبة نصوحا تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب ثم سببوا
عن ذلك فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود وسمى بعضهم الواو في قوله تعالى
وفتحت واو الثمانية قال لأن أبواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله تعالى وثامنهم كلبهم
وقيل تقدير الجواب حتى إذا جاؤوها جاؤوها وفتحت أبوابها يعني أن الجواب بلفظ
الشرط ولكن بزيادة تقييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلي بقوله دخلوها
وقال إن قوله تعالى وقالوا عطف على دخلوها المقدر الحمد أي الإحاطة بأوصاف الكمال
لله أي الملك الأعظم الذي صدقنا وعده في قوله تعالى تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في هذه الساعة
وأورثنا كما وعدنا الأرض أي الأرض التي لا أرض في الحقيقة غيرها وهي أرض الجنة
التي لا كدر فيها بوجه وفيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وقولهم نتبوأ أي ننزل
من الجنة حيث نشاء جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل مفعول به وإنما عبر
عن أرض الجنة بالإرث لوجهين أحدهما أن الجنة كانت في أول الأمر لآدم عليه السلام
لأنه تعالى قال فكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة إلى أولاد آدم كان
ذلك سببا للإرث ثانيهما أن الوارث يتصرف فيما يرثه كيف شاء من غير منازع فكذلك
المؤمنون يتصرفون في الجنة حيث شاؤوا وأرادوا فإن قيل هل يتبوأ أحدهم
مكان غيره أجيب بأن لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة
فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره ولا يشتهي أحد إلا مكانه مع أن
في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها ولما كانت بهذا الوصف الجليل تسبب
عنه مدحها بقوله فنعم أجرنا هكذا كان الأصل ولكنه قال أجر العاملين ترغيبا
في الأعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين ركب فيهم الشهوات وما
وصلوا إليه من المقامات أتبعهم أهل الكرامات الذين لا يشاغل لهم عن العبادات
فقال تعالى صارفا الخطاب لعلو الخبر إلى أعلى الخلق لأنه لا يقوم بحق هذه الرؤية
غيره وترى الملائكة أي القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق وقوله تعالى حافين

حال

حال اي محدقين من حول العرش اي من جوانبه التي يمكن الحفوف بها بالقرب منها ليسمع
لحفوفهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز خوفا من ربهم فادخال من
مفهم انهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله لا يملاون حوله وهذا اولى من قول البيضاوي
ان من زائدة وقوله تعالى يسبحون حال من ضمير حافين بحمد ربهم اي ملتبسين بحمده يقولون
سبحان الله وبحمده فهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى
درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم اي بين جميع
الخلق بالحق اي العدل فيدخل المومن الجنة والكافر النار او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب تفاضلهم وقيل اي وقال المومنون من المقضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم
لتعينهم وتعظيمهم الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو احق بهذا
المقام فقال لله ذي الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين المتقين كما كنا في الدنيا
نعلمه علم اليقين ولما كان ذلك اليوم احق الايام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلائق
وانفتاح البصائر وسعة الضمائر قال واصفا له سبحانه باقرب الصفات الى الاسم الاعظم
رب العالمين اي الذي ابتداهم اولا من العدم واقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير
واعادهم ثالثا بعد افنائهم باكمل قضاء وتقدير وابقاهم رابعا الى اخير وقيل ان الله
تعالى ابتدا ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وختم بالحمد لله في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده
في بداية كل امر وخاتمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه يوم القيامة واعطاه
الله ثواب الخائفين حديث موضوع وقوله عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها
انه عليه الصلاة والسلام كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواه الترمذي وغيره
سورة المومن مكية قال الحسن الا قوله ويسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة
وقد قيل في الحواميم انها كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية وتسمى سورة الطول
وسورة غافر وهي خمس وقيل ثنتان وثمانون اية والف ومائة وتسع وتسعون
كلمة واربعة الاف وتسعمائة وستون حرفا بسم الله الملك الاعظم الذي يعطي كلا
من عباده ما يستحقه فلا يقدر احد ان يناقض في شيء من ذلك ولا يعارض الرحمن
الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا خفا معه الرحيم الذي يخص
برحمته من يشا من عباده فيجعله حكيما وفي ملك الارض وملكوت السما عظيما وقوله
تعالى حم قراه ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحا محضة وورش وورش
وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام في حروف التهجي وقال ابن عباس
حم اسم الله الاعظم وعنه قال الروحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم السورة
وقيل الحا افتتاح اسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه
ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ما هو كائن كانهما اشارا الى ان معناه
حم بضم الحا وتشديد الميم وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه
الجواليقي انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات ال حم وفي الحديث عن ابن مسعود
عنه صلى الله عليه وسلم اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات وقال الكميت وجدنا لكم في ال

سورة المومن مكية

BULAC

حم آية تأولها منا تقي ومعرب ومنهم من جوزه وروي في ذلك أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم
الحواميم ديباج القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة
ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجيء كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول
لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرأني وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شيء ثمرة وثمرة القرآن ذوات
حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم
وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم في القرآن كمثل الخيرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شيء
لباب ولباب القرآن الحواميم قال ابن عادل فإن صحت هذه الأحاديث فهي الفيصل في ذلك أي فتدل
على جواز الجمع قال البيضاوي في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها
مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى أي أخذا مما قيل إن حم اسم من أسماء القرآن وقوله
تعالى تنزيل الكتاب أي الجامع من الحدود والأحكام والمعارف والأكرام إما خبر لحم إن كانت
مبتدأ وإما خبر لمبتدأ مضمر وإما مبتدأ وخبره من الله أي الجامع لجميع صفات الكمال ولما كان
النظر هنا من بين جميع الصفات إلى العزة والعلم أكثر لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعدا
ووعيدا قال تعالى العزيز أي في ملكه العليم أي بخلقه فبين تعالى أنه بقدرته
وعلمه أنزل القرآن الذي يتضمن المصالح والإعجاز ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذلك غافر
الذنب أي بتوبة وغير توبة للمؤمن إن شاء وأما الكافر فلا بد من توبته بالإسلام
وقابل التوب أي ممن عصاه وهو يحتمل أن يكون اسما مفردا مرادا به الجنس كالذنب
وأن يكون جمعا لتوبة كتمر وتمرة شديد العقاب أي على الكافر فإن قيل إن شديد
صفة مشبهة فإضافته غير محضة بكل حال بخلاف اسم الفاعل إذا لم يرد به
الحال ولا الاستقبال كغافر الذنب وقابل التوب فإن إضافته محضة تفيد التعريف
قال سيبويه كل ما أضافته غير محضة جاز أن تجعل محضة ويوصف به المعارف
إلا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيون شيئا أجيب بأن شديد معناه مشدد
كأذين بمعنى مؤذن فتتمحض إضافته أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج
وأمن الالتباس أو بالتزام مذهب الكوفيين وهو أن الصفة المشبهة يجوز أن تتمحض
إضافتها أيضا فتكون معرفة يقولون في نحو حسن الوجه يجوز أن تصير إضافته محضة
وقال الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفتان وإنما كانا كذلك لأنهما يفيدان
معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب لأن صفاته منزهة عن الحدوث
والتجدد فمعناه كونه بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل أبدا لا يوصف
بأنه حصل بعد أن لم يكن قال أبو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه
ويلزمه أن يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث
والتجدد ولأنها صفات لم تحصل بعد أن لم تكن وتكون تعريف صفاته بال وتنكيرها
سواء وهذا لا يقوله مبتدئ في علم النحو فكيف من يصنف فيه وتقدم على تفسير كتاب
الله تعالى انتهى قال الزمخشري فإن قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت
فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته
فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع
المغفرة والقبول انتهى قال ابن عادل وبعد هذا الكلام الأنيق وإبراز هذه المعاني الحسنة

قال

قال ابو حيان وما اكثر تعجبي من هذا الرجل وشقشقته والذي افادته الواو الجمع وهذا معلوم
من ظاهر علم النحو انتهى واشد تعجبي ممن عابه فقد اصحا وافاد من التهم السقيم
وقال اخر قد تنكر هو العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم ولما انتهى
الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة اتبعه التشويق الى الفضل فقال تعالى
ذي الطول اي سعة الفضل والانعام والقدرة والغنى والسعة والمنة لا يمانعه في شيء
من ذلك احد ولا يدانيه وقال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب
ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول
ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله وقاله الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم
ثم علل تمكنه من كل شيء من ذلك بوحدانيته فقال تعالى لا اله الا هو اليه وحده
المصير اي المرجع فلو جعل معه الها اخر يشاركه في صفة الرحمة من الفضل لكانت
الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الحاملين حاصلين
بسبب هذا التوجيه وقوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية
روي ان عمر رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا اياما من شديد من اهل الشام فقيل له تتابع
في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك
الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب
وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالرفق به والتوبة
فلما انتهت الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر موته قال
هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب
عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه ولما قرر تعالى ان القرآن كتاب انزله لتهتدي
به في الدين ذكر ما قاله من يجادل في الغرض ابطاله فقال ما يجادل اي يخاصم ويماري ويريد
ان يفتل الامور الى مراده في آيات الله اي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات
الكمال الدالة كالشمس على انه اليه المصير بان يغش نفسه بالشك في ذلك الا الذين كفروا
قال ابو العالية اثنان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل
في آيات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق
بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر
وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون
فقال انما هلك من كان قبلكم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علموا منه فقفوا عليه
وما جهلوا منه فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت اصوات رجلين اختلفا في آية
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم
باختلافهم في الكتاب نبيته الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير
الباطل اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم
بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا والثاني
الثاني فهو مذموم وهو المراد هنا لانه تعالى ذمهم في آيات الله هو قولهم مرة سحر ومرة

BULAC

هو شعر ومرة هو قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه
هذا ولما ثبت ان الحشر لا بد منه وان الله تعالى قادر كل القدرة لانه لا شريك له
وهو محيط بجميع اوصاف الكمال تسبب عن ذلك قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم اي
تنقلهم بالتجارات والفوايد والجيوش والعساكر واقبال الدنيا عليهم في البلاد كبلاد
الشام واليمن فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يجادلونه
وكانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شي ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفوقهم اختلاف
الالسنة والاديان وكان الاجمال من الروع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال
تعالى والاحزاب اي الامم المتفرقة الذين لا يحصون عددا ودل على قرب زمان الكفر
من الانجا من الغرق بقوله تعالى من بعدهم كعاد وثمود وهمت كل امة اي من هولا برسولهم
اي الذي ارسلناه اليهم ليأخذوه اي ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل
ويقال للاسير اخيذ وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وجادلوا بالباطل اي بالامر
الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن ضاهاهم
من العرب تقريبا علة مجادلتهم بقوله تعالى ليدحضوا اي ليزيلوا به الحق اي الذي جات
به الرسل فاخذتهم اي اهلكتهم وهم صاغرون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بالادغام فكيف كان عقاب لهم اي هو واقع موقعه وهم يمرون على ديارهم
ويرون اثره وهذا تقرير فيه معنى التعجب ثبت حذفت يا المتكلم اشارة الى
ادنى شي من عذابه تعالى بادنى تسمية كاف في المراد ولما كان التقدير فحقت عليهم كلمة
الله تعالى عطف عليه وكذلك اي ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالاخذ حقت كلمة ربك
اي المحسن اليك ومتى لاملان جهنم الاية على الذين كفروا لكفرهم وقرا نافع وابن عامر
بالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف على الافراد وقوله تعالى انهم اصحاب النار
في محل رفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب
النار ومعناها كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب
اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل
ولما بين تعالى ان الكفار بالغوا في اظهار العداوة للمومنين بقوله تعالى ما يجادل
في ايات الله وما تعدد بين تعالى ان الملايكة الذين هم حملة العرش والحافون حوله
يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمومنين فقال تعالى الذين يحملون العرش
وهو مبتدا وقوله ومن حوله عطف عليه وقوله يسبحون خبره بحمد ربهم اي المحسن اليهم
قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم وقيل انهم اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيامة امر الله تعالى اربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية وهم من اشرف الملايكة وافضلهم لقربهم من محل رحمة ربهم قال ابن الخازن
وجا في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد
منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان

يهفوا

يهفوا بهما في الهوا ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم
كما بين سما الى سما وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسماية عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجزتهم وهم
يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي
الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملايكة والروح وقال ميسرة بن عرفة ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا
من اهل السما السابعة واهل السما السابعة اشد خوفا من السما التي تليها والتي تليها
اشد خوفا من التي تليها وقال مجاهد بين الملايكة والعرش سبعون الف حجاب
من نور وسبعون الف حجاب من ظلمة وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعماية عام واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات
خلقا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القايمة من قوايم العرش والقايمة
الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم سبعين الف لون
من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى كلها والاشيا كلها في العرش
كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السما السابعة والعرش سبعون الف حجاب حجاب نور
وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة اهل السما كما ان الكعبة
قبلة اهل الارض واما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات الملايكة قال
وهب ابن منبه ان حول العرش سبعون الف ملك صف من الملايكة صف خلف صف
يطوفون بالعرش يقبل هولا ويقبل هولا فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولا وكبر
هولا ومن ورايهم سبعون الف صف قيام ايديهم على اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم
فاذا سمعوا تكبير هولا وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك
واحلمك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر الخلق كلهم لك راجعون ومن ورا هولا وهولا
ماية الف صف من الملايكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس فيهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه
الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثماية عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه اربعماية عام
واحتجب الله عز وجل من الملايكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين
حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا
من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين
حجابا من ما وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله تعالى فسبحان من له هذا
الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به احد علما اشار الى انهم مع عزتهم كغيرهم لا فرق بينهم
في ذلك وبين من في الارض السفلى بقوله تعالى ويؤمنون به لان الايمان انما يكون بالغيب
فهم يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قيل ما فايدة قوله تعالى
ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملايكة الذين يسبحون بحمده
مومنون اجيب بان فايدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه
كما وصف الانبيا عليهم السلام في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال

BULAC

الخبر لقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان ولما كانوا لقربهم اشد الخلق
خوفا لانه على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف وكان من اقرب ما يتقرب به الى الملك التقرب
الى اهل وده نبه سبحانه على ذلك لقوله تعالى ويستغفرون اي يطلبون محو الذنوب عينا واثرا
للذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة فهم يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك
تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شي الى النصيحة وابعثه على امحاض
الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان
ولا بين سماوي وارضي قط ولكن لما جا جامع الايمان جامعه التجانس الكلي والتناسب
الحقيقي حتى استغفر من حوله العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض
واستغفارهم بان يقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا بالايمان وغيره فهو معمول لقول
مضمر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون او خبر بعد خبر وسعت كل شي رحمة وعلما
اي وسع رحمتك كل شي وعلمك كل شي فازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب
الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته
رحمة وعلم واسعان كل شي واكثر ما يكون الدعا بذكر الرب لان الملائكة قالوا في هذه
الاية ربنا وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني دعوت
قومي وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى
وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد اتيتني من الملك وقال
موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال سليمان
عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة
وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فان قيل
لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعا اجيب بان العبد يقول كنت
في العدم المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك واحسانك
سببا لاجابة دعائي فاغفر للذين تابوا اي رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بان تمحوها
عينا واثرا فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها واتبعوا اي كلفوا انفسهم على ما لها
من العوج اذ لزموا سبيلك المستقيم الذي لا لبس فيه ولما كان الغفران قد يكون لبعض
الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه قالوا
وقهم عذاب الجحيم اي اجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم
فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشا
فان الخلق عبيدك ولما طلبوا من الله تعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب
قالوا مكررين صفة الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان ربنا اي ايها المحسن الينا
وادخلهم جنات عدن اي اقامة التي وعدتهم اياها وقولهم ومن صلح معطوف على هم في وعدتهم
وقدموا قولهم من ابائهم على قولهم وازواجهم وذرياتهم لان الابا احق الناس بالاجلال
وقدموا الازواج في اللفظ على الذرية لانهم اشد اتصافا بالشخص وطلبوا لهم ذلك لان الانسان
لا يتم نعيمه الا باهله قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي
اين زوجتي فيقال لهم انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم

الجنة

الجنة إنك أنت اي وحدك العزيز اي فانت تغفر لمن شئت الحكيم فكل فعل لك في اتم مواضعه
فلا يتهيأ لاحد نقضه ولا نقصه وقهم السيئات اي بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم
من الاخلاق الحاملة عليها فان قيل هذا مكرر مع قولهم وقهم عذاب الجحيم اجيب بان التفاوت
حاصل من وجهين احدهما ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعا مذكورا للاصول وقولهم
وقهم السيئات دعا مذكورا للفروع وهم الابا والازواج والذريات ثانيهما ان يكون قولهم
وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقولهم وقهم السيئات يتناول
عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسوال فيكون تعميما بعد
تخصيص وهذا اولى وقال بعض المفسرين ان الملايكة طلبوا ازالة عذاب النار عنهم
بقولهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا
بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا من العقايد الفاسدة بقولهم وقهم السيئات
وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الميم والها وحمزة والكسائي بضم الها والميم والباقون بكسر
الها وضم الميم ثم قالت الملايكة ومن تق السيئات اي جزاها كلها يومئذ اي يوم
تدخل فريقا الجنة وفريقا النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيامة فقد رحمته
اي الرحمة الكاملة التي لا يستحق غيرها معها ان يسمى رحمة فان تمام النعيم لا يكون الا بها
لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار واجتناب السيئات ولذلك قالوا وذلك
اي الامر العظيم جدا هو الفوز العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل
العقول الى كنه عظمته وجلاله هذا اخر دعا الملايكة للمومنين قال مطرف انصح عباد
الله تعالى للمومنين الملايكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان ذكر
احوال المومنين عاد الى ذكر احوال الكافرين المجادلين في ايات الله تعالى وهم
المذكورون في قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فقال تعالى مستانفا
موكدا لانكارهم ايات الله تعالى ان الذين كفروا اي اوقعوا الكفر ولو لحظة ينادون
يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرض عليهم سياتهم وعاينوا العذاب
فيقال لهم لمقت الله اي الملك الاعظم اياكم اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم
انفسكم فاستغنى بذكرها مرة وقوله تعالى اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله تعالى يمقت
انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبيا يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله
وتختارون عليه الكفر اشد ما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها
باتباعكم هواهن وذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها اولها انهم قالوا اذا شاهدوا
القيمة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشيا في الدنيا
ثانيها ان الاتباع يشد مقتهم للروسا الذين يدعونهم الى الكفر في الدنيا والروسا
ايضا يشد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى
اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا ثالثها قال محمد ابن كعب اذا خطبهم ابليس وهو في النار
يقول ما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم
واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة
مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت

BULAC

بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت
اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار واشده وعن مجاهد مقتوا
انفسهم حين راوا اعمالهم ومقت الله اياهم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر وقال
الفرا معناه ينادون ان مقت الله تعالى ناديت ان زيدا قايم وناديت لزيد قايم
وقرا ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي بادغام الذال في التا والباقون بالاظهار ثم انه تعالى بين
ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا اي ايها المحسن الينا بما تقدم في دار الدنيا امتنا
اثنتين اي اماتتين واحييتنا اثنتين اي احيايين قال ابن عباس وقتادة والضحاك
كانوا امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم
احياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم
للسوال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الاخرة وقيل واحدة عند انقضا الاجال في الحياة
الدنيا واخرى بالصعق بعد البعث او الارقاد بعد سوال القبر ورد بان الصعق ليس
بموت وما في القبر ليس بحياة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام كما اقدر سبحانه
الحصى على التسبيح والحجر على التسليم والصب على الشهادتين فاعترفنا بذنوبنا اي بكفرنا
بالبعث فهل الى خروج من النار الى الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك من سبيل
اي طريق ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان
فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان قيل الفا في قولهم
فاعترفنا يقتضي ان تكون الاماتة مرتين والاحيا مرتين سبب لهذا الاعتراف
فما وجه هذه السببية اجيب بانهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا هذا
الاحيا بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار
كالمسبب عن تلك الاماتة والاحيا ولما كان الجواب قطعا لا سبيل الى ذلك علله بقوله
تعالى ذلكم اي القضا النافذ العظيم العالي بتخليدكم في النار مقتا منه لكم بانه اي كان
بسبب انه اذا دعي الله اي الملك الاعظم من اي داع وفي اعراب قوله تعالى وحده
وجهان احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز مع كونه معرفة لفظا لكونه في قوة النكرة
كانه قيل منفردا ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعي
على حياله وهو مصدر محذوف الزوايد والاصل اوحدته ايحادا كفرتم بتوحيده
وان يشرك به اي يجعل له تعالى شريك تؤمنوا اي تصدقوا بالاشراك فالحكم
اي فتسبب عن القطع بان لا رجعة وان الكفار ما ضروا الا انفسهم مع ادعايهم العقول
الراجحة ونحو ذلك ان كل حكم لله اي المحيط بصفات الكمال العلي اي عن ان يكون له شريك
الكبير اي الذي لا يليق الكبر الا له ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله تعالى هو اي وحده الذي
يريكم اي بالبصر والبصيرة اياته اي علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال وانه
لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصور شركا لله تعالى في العبودية ومن اياته
الدالة على كمال القدرة والعظمة قوله تعالى وينزل لكم من السماء اي جهة العلو الدالة
على قهر ما نزل منها بامساكه الى حين الحكم بنزوله رزقا اي اسباب رزق كالمطر لاقامة
ابدانكم لان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فالله تعالى راعى مصالح

اديان

ادیان العباد باظهار البینات والایات وراعی مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء
فموقع الایات من الادیان کموقع الارزاق من الابدان وعند حصولها یحصل الانعام
الکامل وقرا ابن کثیر وابو عمرو بسکون النون وتخفیف الزای والباقون بفتح النون
وتشدید الزای **وما یتذکر** ذلک تذکرا تاما فینقطع عندہ الایات **الا من ینیب**
ای یرجع الی الله تعالی فی جمیع امورہ فیعرض عن غیر الله تعالی ویتوکل بکلیته علی الله
تعالی ولهذا قال عز من قایل **فادعوا** وصرح بالاسم الاعظم فقال تعالی **الله**
ای الذی له صفات الکمال ای فاعبدوہ **مخلصین له الدین** ای الافعال التی یقع الجزا
علیها فمن کان یصدق بالجزاء وان ربه غنی لا یقبل الا خالصا اجتهد فی تصفیة اعماله
وبانیها فی غایة الاخلاص عن کل ما یمکن ان یکدر من غیر شایبة شرک جلی وخفی
کما ان معبوده واحد من غیر شایبة نقص **ولو کره** ای الدعا منکم **الکافرون** ای الساترون
لانوار عقولهم والماذکر تعالی من صفات کبریایه کونه مظهرا للایات ذکر ثلاثة اخری
من صفات الجلال والعظمة وهو قوله تعالی **رفیع الدرجات** وهذا یحتمل ان یکون
المراد منه الرافع وان یکون المراد منه المرتفع فان حملناه علی الاول ففیه وجوه اولها
انه تعالی یرفع درجات الانبیاء والاولیاء بانها یرفع درجات الخلق فی العلوم
والاخلاق الفاضلة فجعل لکل احد من الملایکة درجة معینة کما قال تعالی عنهم
وما منا الا له مقام معلوم وجعل لکل واحد من العلماء درجة معینة فقال تعالی
یرفع الله الذین امنوا منکم والذین اوتوا العلم درجات وعین لکل جسم درجة معینة
فجعل بعضها تسفلیة کالارض وبعضها فلکیة کالکواکب وبعضها من جواهر العرش
والکرسی وایضا جعل لکل واحد مرتبة معینة فی الخلق والخلق والرزق والاجل
فقال تعالی وهو الذی جعلکم خلایف الارض ورفع بعضکم فوق بعض درجات
وجعل لکل احد من السعداء والاشقیاء فی الدنیا درجة معینة من موجبات السعادة
وموجبات الشقاوة وفی الاخرة تظهر تلک الآثار فان حملنا الرفیع علی المرتفع فهو سبحانه
وتعالی ارفع الموجودات فی جمیع صفات الکمال والجلال بنبنه فی رفیع وجهان احدهما
انه مبتدا والخبر **ذو العرش** ای الکامل الذی لا عرش فی الحقیقة الا هو فهو محیط بجمیع
الاکوان ومادة الکل جماد وحیوان وعال بجلاله وعظمته عن کل ما یخطر فی الاذهان
وقوله تعالی **یلقی الروح** ای الوحی بسماه روحا لانه یحیی به القلوب کما یحیی الابدان بالارواح
من امره قال ابن عباس ای قضایه وقیل قوله یجوز ان یکون خبرا ثانیا وان یکون حالا
ویجوز ان یکون الثلاثة اخبار المبتدا محذوف ویجوز ان یکون الثلاثة اخبار القول تعالی
هو الذی یریکم ایاته وانه کان امره تعالی عالیا علی کل امر اشار الی ذلک بادات الاستعلاء
فقال تعالی **علی من یشاء** ای من یختاره **من عباده** للنبوة وفی هذا دلیل علی انها عطایة وقوله
تعالی **لینذر** ای بحرف غایة الالقاء والفاعل هو الله تعالی او الروح او من یشاء او الرسول
والمنذور به محذوف تقدیره لینذر العذاب **یوم التلاق** ای یوم القیامة فان فیه
تتلاقی الارواح والاجساد واهل السماء والارض وقال مقاتل یلتقی الخلق والخالق
وقال عکرمة ان یلتقی الظالم والمظلوم وقیل یلتقی العابدون والمعبودون
وقیل یلتقی فیه المرء مع عمله والاولی ان تفسر الایة بما یشمل الجمیع **یوم هم بارزون** ای خارجون

من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او شجر او تلال او غير ذلك وقيل بارزون
كناية عن ظهور حالهم وانكشاف اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر والاولى ايضا ان تفسر
الاية بما يشمل الجميع كما قال تعالى لا يخفى على الله اي المحيط علما وقدرة منهم اي من اعمالهم
واحوالهم شيء وان دق وخفي ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم
اي يا من كانوا يعملون اعمال من يظن انه لا يقدر عليه احد فلا يجيبه احد فيجيب
نفسه فيقول لله اي الذي له جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله تعالى الواحد
اي الذي لا يمكن ان يكون له ثان يشركه ولا قسمة ولا غيرها القهار اي الذي قهر الخلق بالموت
فان قيل الله تعالى وقيل يجيبونه بلسان الحال او المقال فيقولون ذلك وقال الرازي
لا يبعد ان يكون السائل والمجيب هو الله سبحانه وتعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل
جمع من الملائكة والمجيب جمع اخرون وليس على اليقين فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء
في جميع الايام فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون في الدنيا
انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك
اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه في الدنيا
كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد
القهار ولما اخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيد رعبهم
ويبعث رغبتهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى اليوم تجزى اي تقضى وتكافأ
كل نفس بما اي بسبب ما كسبت اي عملت لا يترك نفس واحدة لان العلم قد شملهم والقدرة
قد احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت من اهمال احد منهم فيجزي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته لا ظلم اليوم اي بوجه من الوجوه ان الله اي التام القدرة الشامل العلم سريع
الحساب اي بليغ السرعة فيه لا يشغله حساب احد عن حساب غيره في وقت حساب
ذلك الغير ولا يشغله شان عن شان لانه لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة
كتاب ولا شيء فكان ذلك ترجية وخوف للفريقين لان المؤمن يرجو اسراع البسط
بالثواب والظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل
اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ثم نبه تعالى بقوله سبحانه وانذرهم يوم الازفة
اي يوم القيمة على ان يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قيل
الزجاج انما قال لها ازفة لانها قريبة وان استبعد الناس هداها لان ما هو كائن
قريب والازفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى في صفة القيامة
ازفت الازفة اي قربت قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا ... لما تزل برحالنا وكان قد

وقال كعب بن زهير ... بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا ... ولا ارى لشباب كائن خلفا
تنبيه الازفة نعت لمحذوف مؤنث كيوم القيمة الازفة او يوم المجازاة الازفة
قال القفال واسماء القيمة تجري على التانيث كالطامة والحاقة كانها موضع معناها
على الداهية ويوم القيمة له اسماء كثيرة تدل على اهواله باعتبار موافقة واحواله منها
يوم البعث وهو ظاهر ومنها يوم التلاق لما مر ومنها يوم التغابن لغبن اكثر من فيه

وحسراته

وحسراته وقيل المراد بيوم الازفة مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك تنتفع قلوبهم
عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو مسلم هو يوم حضور الاجل اي لان يوم الموت
بالقرب اولى من وصف يوم القيمة بالقرب ولما ذكر اليوم هو لامره بما يحصل فيه
من المشاق بقوله تعالى اذ القلوب اي من كل حضرة تنتفع لدى وعند الحناجر اي حناجر
الجمع عين فيه وهي جمع حنجور وهي الحلقوم يعني انها زالت عن اماكنها صاعدة من كثرة
الرعب حتى كادت تخرج ثم اسند اليها ما يسند للعقلاء فقال تعالى كاظمين اي ممتلئين
خوفا ورعبا وحزنا ساكتين مكروبين قد اشتدت بحاري انفسهم واخذ بمجامع احشائهم
ولما كان من المعهود ان الصداقات تنفع في مثل ذلك والشفاعات قال تعالى مستانفا
ما للظالمين اي العريقين في الظلم من حميم اي قريب صادق في مودتهم ينفعهم بامورهم مزيل
للكروب عنهم ولا شفيع فيشفع لهم تنبيه احتج المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة يشفع ح
عن المذنبين فقالوا نفي حصول شفيع لهم يطاع فوجب ان لا يحصل لهم هذا
الشفيع واجيبوا بوجوه اولها انه تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل
على نفي الشفيع كقولك ما عندي كتاب يباع فيقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي
نفي الكتاب فهذا يفيد ان لهذا شفيعا يطيعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد
اذنه ثانيها ان المراد بالظالمين هنا الكفار لانه ورد في حق الكفار
قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين اما ان يفيد الاستغراق او لا
فان كان المراد جميعهم فقد دخل فيه الكفار وعندنا انه ليس لهذا الجمع شفيعا لان بعضهم
كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجميع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان
المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه
الصفة ليس لهم شفيع ولما امر تعالى بانذارهم يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة
الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا يشفع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر
من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى يعلم خائنة الاعين اي خيانتها التي هي اخفى
ما يقع من افعال الظاهر جعل الخيانة خائنة مبالغة في الوصف وهو الاشارة
بالعين قال ابو حيان من كسر عين وعمز وبطر نعم ما يراد ولما ذكر اخفى افعال الظاهر
انتقد اخفى ما في الباطن فقال تعالى وما تخفي الصدور اي القلوب فعلم من ذلك ان
الله تعالى عالم بجميع افعالهم لان الافعال تنقسم افعال الجوارح وافعال القلوب
فاما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله تعالى عالم بها فكيف الحال
في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله غير من قال وما
تخفي الصدور وقوله تعالى والله اي المتصف بجميع صفات الكمال يقضي بالحق
اي الثابت الذي لا ينبغي توجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وبنت
انه لا يقضي الا بالحق في كل ما يأتي وجاء كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى
ولما حول الكفار دفع العذاب عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام بين الله تعالى
انها لا فائدة فيها البتة فقال تعالى والذين تدعون اي تعبدون من دونه
وهم الاصنام لا يقضون بشيء من الاشياء اصلا فكيف يكونون شركاء لله وقرأ نافع وهشام
تدعون بتاء الخطاب للمشركين والباقون بياء الغيبة اخبارا عنهم بذلك ولما اخبر

تعالى انه لا فعل لشركائهم وان الامر له وحده قال تعالى موكدا لاجل ان افعالهم تقتضي
انكار ذلك ان الله اي المنفرد بصفات الكمال هو اي وحده السميع اي لجميع اقوالهم
البصير اي لجميع افعالهم ففي ذلك تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه فثبت ان الامر
له وحده فما تنفعهم شفاعة الشافعين ولا يقبل فيهم من احد شفاعة بعد الشفاعة
العامة التي هي خاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود الذي يغبطه
به الاولون والاخرون فان كل احد يحجم عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم
فيقول انا لها انا لها ثم يذهب الى المكان الذي اذن له فيه فيشفع فيشفعه
الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين الخلائق ليذهب كل احد الى داره جنته او ناره
ولما اوعدهم سبحانه بصادق الاخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار وختمه بالاقدار
بما يقع في دار القرار للظالمين الاشرار اتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع
الديار والاعتبار بما كان لهم فيها من عجائب الاثار فقال تعالى اولم يسيروا في الارض اي
في اي ارض ساروا فيها فينظروا اي نظر اعتبار كما هو شان اهل البصائر كيف كان
عاقبة اي اخر امر الذين كانوا اي سكانا للارض عريقين في عمارتها من قبلهم اي من
قبل زمانهم من الكفار كعاد وثمود كانوا هم اي المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة
والباطنة اشد منهم اي من هؤلاء قوة اي ذواتا ومعاني وانما جي بالفصل وحقه ان يقع
بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر
منكم بكاف الخطاب والباقون بها الغيبة واشد اثارا في الارض لان اثارهم لم يندرس
بعضها الى هذا الزمان وقد مضى عليه الوف من السنين واما المتاخرون فتنطمس
اثارهم في اقل من قرن ومع قوتهم فاخذهم الله اي الذي له صفات الكمال اخذ غلبة
وقهر وسطوة بذنوبهم اي بسببها وما كان لهم اي من شركائهم الذين ضلوا بهم كهؤلاء
ومن غيرهم وما كان لهم من الله اي المنفرد بجميع صفات الكمال من واق اي يقيهم عذابه
والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره وان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء
ولما كذبوا رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وقرا ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف
والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين في الوصل ثم ذكر تعالى سبب اخذهم بقوله تعالى
ذلك اي الاخذ العظيم بانهم اي الذين كانوا من قبل كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
اي الايات الدالة على صدقهم دلالة هي من وضوح الامر بحيث لا يسع منصفا انكارها
وقرا ابو عمرو بسكون السين والباقون بضمها ولما كان مطلق الكفر كافيا في العذاب عبر
بالماضي فقال تعالى فكفروا اي سببوا عن اتيان الرسل عليهم السلام الكفر فاخذهم
الله اي الملك الاعظم اخذ غضب انه قوي اي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد
العقاب لا يوبه بعقاب دون عقابه ولما سلى تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء عليهم السلام قبله وبمشاهدة اثارهم سلاه ايضا
بذكر قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد ارسلنا اي على ما لنا من العظمة
موسى باياتنا اي الدالة على جلالنا وسلطان اي امر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة
شي منه مبين اي بين في نفسه مناد لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر جدا وذلك الامر

هو الذي

هو الذي كان يمنع فرعون من الوصول الى اذاه مع ماله من القوة والسلطان الى فرعون
اي ملك مصر وهامان اي وزيره وقارون اي قريب موسى فقالوا اي هؤلاء ومن تبعهم هو سحر
لتحيرهم عن مقاومته اما من عند انفسهم او من عند الله واخبار بالقوة والفعل واما قارون فجعله
اخرا لبيان انه مطبوع على الكفر وان امنوا وان هذا كان قوله وان لم تقله بالفعل في ذلك
الزمان فقد قاله في الجملة فدل ذلك على انهم لم يزالوا قائلين له لانه لم يتب منهم وصفوه
بقولهم لما جاءهم بالحق اي الامر الثابت الذي
لا طاقة لاحد بتغيير شيء منه كائنا من كان على ما لنا من القهر فما امن معه طائفة
من قومه فالوا اي فرعون واتباعه اقتلوا اي قتلا حقيقيا بازالة الروح ابناء
الذين امنوا به فكرر معه اي خصوصهم بذلك وامروا من عداهم فلعلهم يكفرون به
واستحيوا نساءهم اي اطلبوا احياءهن بان لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل
الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل
عليهم فمعناه اعد عليهم القتل ليلا يشبوا على دين موسى فيتبعوه وهذه العلة
مختصة بالبنين فهذا امر بقتل الابناء واستحياء النساء وما اي والحال انه ما كيد هم
هكذا كان الاصل ولكنه قال تفاديا عن تكرير الكيد الكافرين تغليبا والتفاتا بالوصف الى ضلاله
اي مجانبة للسداد الموصل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم او لا في الحذر من موسى عليه
السلام ولا اجرأ في صدر من امن به مرادهم بل كان منه تبارهم وهلاكهم وكذا افعال
الفجرة مع اوليائه ما حفز احد منهم لاحد منهم حفزة قط الا اركسه الله تعالى فيها
وقال فرعون اي اعظم الكفرة في ذلك الوقت لروساء اتباعه عند ما علم انه عاجز عن قتله
وملأه ما راى منه خوفا ذروني فعل عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام
مع اشتهاء نفسه الاخبث عنه هو ما ان آلهة بعد الذين يدعون من دونه عنده وانه لو لا ذلك
لقتله وليدعون اي اتركوني على اي حالة كانت اقتل موسى وليدع ربه اي الذي يدعوه ويدعي
احسانه اليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق وقتل كان في حاشية قوم فرعون
من يمنعه من قتل موسى ومن منعهم من قتله وجوه اولها لعله كان فيهم من يعتقد
تغلبه كون موسى صادقا يستحيل منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن انهم
قالوا لا نقتله فانه ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحره فان قتلته ادخلت
الشبهة على الناس وتقولوا انه كان محقا وعجزنا عن جوابه فيقتلوه وثالثها انهم كانوا
يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون معتقدا ان قلب موسى فلا ينتزع التأديب
ولكن الاقوام لان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصير الامن
من قلبه ذلك الملك وقرا ابن كثير بتشديد الياء والباقون بالسكون ثم ذكر فرعون السبب
الموجب لقتل موسى وهو اما فساد الدين او فساد الدنيا فقال اني اخاف اي اني ان تركته
ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد اي لا بد من وقوع احد الامرين اما فساد الدين و
فساد الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذي
كانوا عليه فلما كان موسى ساعيا في افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق
واما فساد الدنيا فهو لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع المخاصمات

سان
وتعليقا

واثارة الفتن وبدا فرعون بذكر الدين اولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم
ولما توعد فرعون موسى عليه السلام بالقتل اتى بآيات في دفع شره الا بان استعاذ بالله
واعتمد على فضله كما قال تعالى وقال موسى اني عذت اي اعتصمت عند ابتداء الرسالة
بربي وربهم في الاعتصام به وبثهم بقوله وربكم اي المحسن اليكما جميعا فارسلني
لاستنقاذكم من عبد الدين والدنيا من كل متكبر اي عات طاغ متعظم على الحق هذا
وغيره لا يؤمن اي يتجدد له تصديق بيوم الحساب من ربه له وهو يعلم انه لا بد
من حسابه لكل من تحت يده من رعاياه وعبيده فيحكم على ربه بما لا يحل له على نفسه
وبهذين الامرين يقدم الانسان على ايذاء الناس لان المتكبر القاسي القلب قد يحمله
طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا
له عن الجرأة على موجب تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث والقيمة كان طبعه داعيا
له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم يقدم المتشوف
والايذاء واختلف في الرجل المؤمن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن اي راسخ الايمان من ال فرعون
اي من قومهم وخواصهم ورؤسائهم يكتم ايمانه اي يخفيه اخفاء شديدا خوفا على نفسه فقال
مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله تعالى عنه وجاء رجل من اقصى
المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا وعن ابن عباس لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره وغير
امراة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى عليه السلام الذي قال ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار
مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث
ابو بكر الصديق وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا
وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وروي عن عروة ابن الزبير قال
قلت لعبد الله ابن عمرو ابن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل
عقبة ابن ابي معيط فاخذ منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه
في عنقه فخنقه خنقا شديدا وقال له ابو بكر ايقتل رجل ان يقول ربي الله
الاية اذاك فاقبل ابو بكر حتى دفعه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان ابو بكر اشد
من ذاك وعن انس ابن مالك قال قدم زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه
فقام ابو بكر فجعل ينادي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قالوا ان هذا
قال هذا ابن ابي قحافة قال ابن عباس والله العظيم كان اسم الرجل حزبيل وقال ابن
اسحاق جبريل وقيل حبيب ولما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع
فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قيض له انسانا الجنسية حتى ذب
عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال اتقتلون رجلا اي هو عظيم
في الرجال حسبا ومفخرا ثم علل قتلهم له بما يافه فقال ان يقول ربي الله والرجل ان يقول
ولو على سبيل التكرار ربي اي المربي لي والمحسن الي الله اي الجامع لصفات الكمال
وقد اي والحال انه قد جاءكم بالبينات اي الايات الظاهرات من غير لبس من ربكم اي الذي

لا احسان عندكم الا منه ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على ان الاقدام على قتله غير جائز وهي
حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال وان يك اي هذا الرجل كاذبا فعليه اي خاصة كذبه
اي كان وبال كذبه عائدا عليه وليس عليكم كلمة تضرب فاتركوه وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم اي العذاب عاجلا وله صدقة ينفعه ولا ينفعكم شيئا فان قيل لم قال
بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله اجيب بانه انما قال ذلك
ليهضم موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وانما
فضلا عن ان يتعصب له وهو اولى من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشد
قول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
وانشدوا ايضا قول عمرو بن سهم قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل
الزلل وقول الاخر ان الامور اذا الاحداث دبرها • دون الشيوخ ترى في بعضها خللا
وقوله ان الله اي الذي لا يهدي اي الى ارتكاب ما ينفع واجتناب ما يضر من هو مسرف
اي باظهار الفساد وبتجاوز الحدود كذاب فيه احتمالان احدهما ان هذا اشارة الى الزجر
والتعريض بجلوسان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان بالمعجزات
الباهرة ومن هداه الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فدل على ان موسى
ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما ان يكون المراد ان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى
كذاب في ادعائه الالهية والله تعالى لا يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم
امره ولما استدل مؤمن آل فرعون على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك
العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم وعبر باسلوب
الخطاب دون التكلم تصريحا بالمقصود فقال لكم الملك ونبه على ما يعرفونه من تقلبات
الدهر بقوله اليوم واشار ظاهرين اي عالمين على بني اسرائيل وغيرهم وما زال اهل البلاء
يتوقعون الرخاء واهل الرخاء يتوقعون البلاء ونبه بقوله في الارض اي ارض مصر على الاحتياج
توهيبا لهم وعرفها لانها كالارض كلها لحسنها وجمعها المنافع ثم حذرهم من سخط الله
تعالى فقال فمن ينصرنا اي انا وانتم ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد افراده لهم
بالملك ابعادا للتهمة وحثا على قبول النصيحة من باس الله اي الذي له الملك كله
ان جاءنا اي غضبا لهذا الذي يدعي انه ارسله فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله تعالى
بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد ولما قال المؤمن هذا الكلام قال فرعون اي لقومه
جوابا لما قاله هذا المؤمن ما اريكم اي من الامر الا ما ارى اي انه صواب على قدر مبلغ علمي
ولا ارى لكم الا ما ارى لنفسي وقال الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم وما اهديكم اي بما اشرت به
من قتل موسى وغيره الا سبيل الرشاد اي الذي ارى انه صواب لا ابطن شيئا واظهر غيره
ولما ظهر لنداء المؤمن ان فرعون دل لكلامه ارتفع الى اصرح من الاسلوب الاول
كما اخبرنا الله بقوله تعالى وقال الذي آمن اي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي دل
على جهله وعجزه وذله يا قوم واكد لما راى عندهم من انكار امره وخاف منهم من اتهامه
فقال اني اخاف عليكم اي من المكابرة في امر موسى عليه السلام مثل يوم الاحزاب
اي ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مع ان افراده
اروع واقوى في التخويف واقطع للاشارة الى قوة الله تعالى وانه قادر على اهلاكهم

ز اقل زمان ولما اجمل فصل وبين او ابدل بعد ان قوله بقوله مثل دأب اى عادة قوم نوح
اى فيما دهم بهم من الهلاك الذى محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة المجادلة والمقاومة
لما يريد وبه وعاد وثمود ما بلغكم من خبرهم تنبيه لابد من خوف مضاف يريد مثل جزاء
دأتهم ولما كان ضرر الامم السالفة يهم واحل من بعدهم فقال والذين من بعدهم
اى بالقرب من زمانهم كقوم لوط وما الله اى الذى له الاحاطة باوصاف الكمال يريد ظلما
للعباد اى لانه يملكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا يهلكهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم
بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه
حدوث تعلق ارادته بالظلم والمباشر من افاق هذا الوعيد شمس البعث ونور
الحشر قال وياقوم انى اخاف عليكم وقوله يوم التناد اجمع المفسرون على ان يوم
القيامة وفى تسميته بهذا الاسم وجوه اولها ان اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة
واصحاب الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله تعالى عنهم ثانيها قال الزجاج
هو قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم ثالثها ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل
والثبور فيقولون يا ويلنا رابعها ينادون الى المحشر خامسها ينادى المؤمن هاؤم
اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتنى لم اوت كتابيه سادسها ينادى باللعنة
على الظالمين ثامنها يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى
يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت تاسعها ينادى بالشقاوة
والسعادة الا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا شقى بعدها ابدا وفلان ابن فلان
شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وبعده الامور كلها تجتمع فى هذا اليوم فلا بعد فى تسميته
به ولما كان عادة المتنادين الاقبال وصف كل اليوم بضد ذلك لشدة الاهوال فقال
تعالى مبدلا مبينا يوم تولون مدبرين قال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا
فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى مكانهم وذلك قوله
تعالى والملك على ارجائها وقوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقال مجاهد فارين عن النار
غير معجزين من وقبل منصرفين عن الموقف الى النار ثم اكد التهديد بقوله تعالى مالكم من الله
اى الملك الجبار الذى لا يذله من عاصم اى من فنه تحميكم وتنصركم وتمنعكم من عذابه
يتم به على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال تعالى ومن يضلل الله اى المحيط بكل شئ
فما له من هاد اى الى شئ ينفعه بوجه من الوجوه تنبيه فى فزاة نهاد ما تقدم
فى قوله تعالى من واق ولما قال لهم مؤمن ال فرعون ومن يضلل الله مما له من هاد
ذكرهم منا لا بقوله تعالى ولقد جاءكم اى جاء اباكم يا معشر القبط ولكنه عبر بذلك دلالة
على انهم على مذهب الاباء كما جرت به العادة من التقليد ومن انهم على طباعهم
لا سيما ان كانوا علماء فقاموا مقامهم يوسف اى بن يعقوب ابن
نبى الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام من قبل اى قبل زمن موسى
عليه السلام بالبينات اى الايات الظاهرات ولا سيما فى امر يوم التناد ولم تزالوا
فى مادر حتم انتم تبعا لاباكم فى شك اى محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن فما زلتم
بجه من التوحيد قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تتبعوا

البتة بتلك البينات ودل على تمادي شكهم بقوله تعالى حتى اذا هلك فهو غاية فما زلتم
في شك فلما هلك قلتم لن يبعث الله اي الذي له صفات الكمال من بعده
اي يوسف عليه السلام رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى لا يجدد عليكم الحجة
وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته التكذيب برسالة
من بعده وقوله تعالى كذلك خبر مبتدا مضمر يضل الله اي بما له من صفات القهر
من هو مسرف اي مشرك متعال في الامور خارج عن الحدود مرتاب اي شاك فيما
تشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك في التقليد ثم بين تعالى ما لاجله ثبوا
في ذلك الشك والاسراف فقال سبحانه الذين يجادلون وهو مبتدا اي يخاصمون
خصاما شديدا في آيات الله اي المحيط باوصاف الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم
التناد فانها اظهر الآيات على وجوده سبحانه على ما هو عليه من الصفات والافعال
وما يجوز عليه او يستحيل بغير سلطان اي برهان اتاهم وقوله تعالى كبر اي
جدالهم مقتا خبر المبتدا ويجوز في الذين اوجه ايضا منها انه بدل من قوله تعالى من هو
مسرف وانما جمع اعتبارا بمعنى من ومنها ان يكون بيانا له ومنها ان يكون صفة
له وجمع على معنى من ايضا ومنها ان ينصب باضمار اعني وقال الزجاج قوله
الذين يجادلون تفسير المسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله اي
في ابطالها بالتكذيب بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله اي الملك الاعظم كبر مقتا
ايضا وعند الذين آمنوا اي الذين هم خاصة ودلت الآية على انه يجوز وصفه
تعالى بانه مقت بعض عباده الا انها صفة واجبة التاويل في حق الله تعالى
كالغضب والحيا والعجب وقوله تعالى كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم يطبع الله
اي الذي له جميع العظمة يدل على ان الكل من عند الله كما هو مذهب اهل السنة
على كل قلب متكبر اي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله جبار اي ظاهر الكبر قومه
قهار وقال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن قول التوحيد والجبار في غير
حق قال الرازي كما ان السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبار كالمضاد للشفقة
على خلق الله وقرا ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين البا الموحدة على وصف القلب
بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رات عيني وسمعت اذني او على حذف اي على كل
ذي قلب متكبر جبار فهي حينئذ مساوية لقراءة الباقين بغير تنوين ثم ان فرعون
عليه اللعنة اعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا وقال فرعون يا هامان
وهو وزيره ابن وعرفه بشدة اهتمامه بالاضافة اليه في قوله لي صرحا اي بنا مكشوفا
غالبا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشي اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي التي
لا اسباب غيرها لعظمها وتعليله بالترجي الذي لا يكون الا في الممكن دليل على انه كان
يلبس على قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يعد ما رامه في عداد الممكن العادي ولما
كان بلوغها امرا عجيبا اورده على نمط مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام
تفخيما لشانها ليتشوف السامع الى بيانها بقوله اسباب السموات اي الامور الموصلة
اليها وكل ما اداك الى شي فهو سبب اليه وقرا الكوفيون بسكون البا والباقون

بسكون اليا والباقون بالفتح وقرا فاطلع حفص بنصب العين وفيه ثلاثة اوجه احدها
انه جواب الامر في قوله ابن لي فنصب بان مضمرة بعد الفا في جوابه على قاعدة البصريين كقوله
يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا وهذا اوفق لمذهب البصريين ثانيها
قال ابو حيان انه منصوب على التوهم لان خبر لعل جا مقرونا بان كثيرا في النظم وقليلا
في النثر فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بان والعطف على التوهم
كثيرا وان كان لا ينقاس انتهى ثالثها على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي والى هذا نحا
الزمخشري وتبعه البيضاوي فقال الاول تشبيها للترجي بالتمني والباقون بالرفع عطف على ابلغ
اي فلعله يتسبب عن ذلك ويتعقبه اني اتكلف الطلوع الى اله موسى ولعله اراد ان يبني
له رصدا في موضع عال يرصد فيه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى
فان اخباره من اله السما يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود
الى السما وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله تعالى وكيفية استنبائه وان
لاظنه اي موسى كاذبا في دعوى الرسالة وفي ان له الها غيري قال فرعون ذلك تمويها
وكذلك اي ومثل ذلك التزيين العظيم الشان زين اي زين المزين النافذ الامر وهو الله
تعالى حقيقة بخلقه والزامه لان كل ما دخل في الوجود من المحدثات فهو خلقه
والشيطان مجازا بالتسبب بالوسوسة التي هي بخلق الله تعالى لفرعون سوء عمله
في جميع امره فاقبل عليه راغبا فيه مع بعده عن عقل اقل ذوي العقول فضلا عن ذوي
الهمم منهم فضلا عن الملوك واطاعه فيه قومه وقرا غير الكوفيين وصد بفتح
الصاد اي نفسه ومنع غيره وقرا الكوفيون بضمها اي منعه الله تعالى عن السبيل
اي طريق الهدى وهي الموصلة الى الله تعالى وما كيد فرعون اي في ابطال ما جا به موسى
الا في تباب اي خسار وهلاك عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه ولما كان فساد ما قال
فرعون اظهر من ان يحتاج الى بيان اعرض المومن عنه وقال الذي امن اي مشيرا الى
وهي قول فرعون بالاعراض عنه بقوله يا قوم اي يا من لا قيام لي الا بهم فانا غير متهم
في نصيحتهم اتبعوني اي كلفوا انفسكم اتباعي لان السعادة غالبا تكون فيما يكره الانسان
اهدكم سبيل اي طريق الرشاد اي الهدى لانه مع سهولته واتساعه موصل ولا بد
الى المقصود واما ما قال فرعون مدعيا انه سبيل الرشاد لا يوصل الا الخسار فهو تعريض
به شبه بالتصريح به وفي هذا اشارة الى انه ينبغي لادنى اهل الايمان ان لا يخلي نفسه
عن الوعظ لغيره وقرا ابن كثير باثبات اليا بعد النون وقفا ووصلا واثبتها
قالون وابو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا ثم ان ذلك المومن
زهدهم في الدنيا وكرر يا قوم كما كرر ابراهيم عليه السلام يا ابت زيادة في استعطافهم
بقوله انما هذه الحياة وحقرها بقوله الدنيا اشارة الى دناتها وبقوله
متاع اشارة الى انها جيفة لانها في اللغة من جملة مدلولات المتاع فلا يتناول
منها الا كما يتناول المضطر من الجيف لانها دار النقلة والزوال والتزود والارتحال
والاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يودي الى سخط الله تعالى
ويجلب الشقاوة في العاقبة ثم رغبهم في الاخرة بقوله وان الاخرة اي لكونها مقصودة بالذات

هي

لهذه الدار القرار اى التى لا تحول منها اصلا لانها الوطن المستقر قال بعض العارفين لو كانت
الدنيا ذهبا فانية والاخرة خزفا باقية لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف
فان والاخرة ذهب فاف بل اشرف واحسن وكما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب
فكان الترغيب فى نعيم الجنان والترهيب من عذاب النار من اعظم وجوه الترغيب
والترهيب فالاتيان من الاحتباك ذكر المتاع اولا دليلا على حذف التوسع ثانيا والفرار
ثانيا دليلا على حذف الارتحال اولا ثم قال ذلك المومن لقومه من عمل سيئة اى ما يسوء
من اى صنف كان الذكور والاناث المومنين والكافرين فلا يجزى اى من الملك الذى
لا ملك سواه الا مثلها عدلا منه لا يزاد عليها بمقدار ذرة ولا اصغر منها ومن عمل صالحا
اى ولو قليلا من بر او فاجر بقرينة يدخلون الجنة اى يامرون له الامر كله بعد ان يضاعف لهم اعمالهم
وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع يضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء يرزقون
فيها اى الجنة من غير احتياج الى تحول والى اسباب بغير حساب لخروج ما فيها عن الكثرة
عن الحصر فان ادنا اهلها منزلة لو اضاف كل اهل الارض لكفاهم من غير ان ينقص من ملكه
شى وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حد له ورحمته غلبت غضبه واما جزاء السيئة
من باب العدل فلذلك وضع الحساب فيها ليبلا يقع الظلم قال الاصبهانى فاذا عارضنا
عمومات الوعيد بعمومات الوعد رجحنا الوعد بسبق الرحمة الغضب فاندرجت فواعد
المعتزلة تحت كرر الوعظ عليهم بقوله ويا قوم اى يش من الخطوط والمصالح لى فى انى ادعوكم
الى النجاة والجنة شفقة عليكم ورحمة لكم واعتراضا بجعل وتدعوننى الى النار والهلاك بالكفر
فالاتيان من الاحتباك ذكر النجاة الملازمة للايمان اولا دليلا على حذف الهلاك الملازم
للكفر ثانيا والنار ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا وقرا نافع وابو عمرو وهشام
بفتح يا تاتى والباقون بسكونها واتفقوا على يسكون الياء تدعوننى والمراد خبر ذلك
المبرمن بغلة انصارهم اجمالا بينه بقوله تدعوننى اى بوقوعك فى على ان اعبود الكم
الكفر اى لاجل ان الكفر بالله اى الذى يجامع القهر والعز والعظمة والكبرياء وانشرك به
اى اجعل له شريكا ما ليس لى به اى بترتيبه علم اى نوع من العلم يصلا حتى لش من الشركة
فهو دعا الى الكذب فى مش لا يحل الاقدام عليه الا بدليل القطع الذى لا يحتمل نوعا من الشك
فالمراد بنفى العلم نفى الالهة كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يعقل
جعله شريكا للاله وانما بين انهم يدعون الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله
وانا ادعوكم اى اوقع دعاكم الان وقبله وبعد الى العزيز اى البالغ العزة الذى يغلب كل
ش ولا يغلبه ش واما فرعون فهو فى غاية الضعف فكيف يكون الها واما الاصنام
فانها احجار منحوتة فكيف يعقل كونها الهة وقرا نافع ايابا بمد بعد النون فقالون
بمد ونقصر ورش بالمد الاعذر والباقون بقصر صد وقوله الغفار الذى يتكرر منه مرارا
محو الذنوب عينا واثرا اشارة الى انه يجب علينا ان لا يباسوا من رحمة الله تعالى
بسبب اصرارهم على الكفر من مدة فان اله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض
لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة تابعن ساعة واحدة وقوله لا جرم ردا لما دعوه اليه
وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما اى الذى تدعوننى اليه من هذه الاصنام ليس له

دعوة بوجه من الوجوه فانه لا ادراك له هذا ان اريد ما لا يعقل وان اريد شي
مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه لا يقوم عليها دليل بل ولا شبهة موهمة
في الدنيا اي التي هي محل الاسباب الظاهرة ولا في الاخرة اي ليس له استجابة دعوة
فيهما فسمي استجابة الدعوى دعوة اطلاقا لاسم احد المتضايفين على الاخر
كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدين تدان وقيل ليس له
دعوة اي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعوا الى عبادتها
وفي الاخرة تتبرا من عابديها ثم قال وان مردنا اي مرجعنا الى الله الذي له
الاحاطة بصفات الكمال فيجازي كل احد بما يستحقه وان المسرفين اي المجاوزين
للحدود العريقين في هذا الوصف قال قتادة وهم المشركون لقوله تعالى هم
اي خاصة اصحاب النار اي ملازموها وعن مجاهد هم السفاكون للدما بغير حلها
وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون ولما بالغ هذا المومن في هذا الشان ختم كلامه
بخاتمة لطيفة هي قوله فستذكرون اي قطعا بوعد لا خلف فيه مع القرب ما اقول لكم
حين لا ينفعكم الذكر في يوم الجمع الاعظم والزحام الذي يكون فيه القدم على القدم اذا رايتم
الاهوال والنكال والزلزال ان قبلتم نصحي وان لم تقبلوه ولما خوفهم بذلك توعدوه
وخوفوه بالقتل فعول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض
اي انا الان بسبب انه لا دعوة لغير الله امري اي فيما تمكرونه بي الى الله اي الذي احاط
بكل شي علما وقدرة فهو يحمي منكم من يشا وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام
حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله تعالى فقال اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء
والباقون بالسكون ولما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضي للاحاطة علل
ذلك بقوله ان الله اي الذي لا يخفى عليه شي بصير اي بالغ البصر بالعباد ظاهرا وباطنا
فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه باوصاف الكمال ويعلم من يمكر فيرد مكره عليه
بما له من الاحاطة قال مقاتل فلما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فوقاه الله
اي جعل له وقاية تنجيه منهم جزاء على تفويضه سيئات اي شدائد ما مكروا دينا ودنيا
فنجاه مع موسى عليه السلام قال قتادة وكان قبطيا تصديقا لوعده
سبحانه بقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون ولما كان المكر السي لا يحيق الا باهله
قال تعالى وحاق اي نزل محيطا بعد احاطة الاغراق بال فرعون اي فرعون واتباعه
لاجل اصرارهم على الكفر ومكرهم هذا ان قلنا ان الال مشترك بين الشخص واتباعه
وان لم نقل ذلك فالاحاطة بفرعون من باب الاولى لان العادة جرت انه لا يوصل
الى جميع اتباع الانسان الا بعد اذلاله واخذه سوء العذاب اي الغرق في الدنيا والنار
في الاخرة فان قيل قوله تعالى وحاق بال فرعون سوء العذاب معناه انه راجع اليهم ما هموا
به من المكر بالمسلمين تقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكسا فاذا ضر بسوء العذاب
بالغرق في الدنيا ونار جهنم في الاخرة لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بذلك اجيب
بانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون ذلك الحائق ذلك
السوء بعينه وقوله تعالى النار في اعرابه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من سوء العذاب

قال

قاله الزجاج ثانيها انه خبر مبتدا محذوف اى هو اى سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال
مقدر وقوله تعالى يعرضون على هذين الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار وان يكون
حالا من ال فرعون ثالثها انه مبتدا وخبره يعرضون عليها غدوا وعشيا اى صباحا
ومساء قال ابن مسعود ارواح ال فرعون فى اجواف طير سود يعرضون على النار
كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار وتقال يا ال فرعون هذه منازلكم حتى تقوم
الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا
وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه
مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل
النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيمة
ثم اخبر الله تعالى عن مستقر ال فرعون يوم القيمة بقوله سبحانه ويوم تقوم
الساعة يقال لهم ادخلوا ال فرعون اى هو بنفسه واتباعه لاحل اتباعهم له
فيما اضلهم به اشد العذاب وهو عذاب جهنم لحاربتا الله تعالى نحن واحيانا
منها فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وهذه الاية نص على اثبات عذاب
القبر كما نقل عن عكرمة ومجاهد ابن كعب وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائى
ينقطع الهمزة مفتوحة وكسر الخاء وصلا وابتدا على امر الملائكة بادخالهم النار
والباقون بوصل الهمزة وضم الخاء وصلا فى الابتدا بضم الهمزة واختلف فى العامل فى قوله
تعالى وان على ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على اغدوا فيكون معمولا لقوله يعرضون
اى يعرضون على النار فى هذه الاوقات كلها قاله ابو البقا ثانيها انه معطوف على
قوله اذ القلوب لدى الحناجر قاله الطبرى وظرفيه لتعدد ما بينهما ثالثها انه
منصوب باضمار اذكر اى واذكر يا اشرف الخلق لقومك اذ يتحاجون اى الكفار
فى النار اى يتخاصمون فيها اتباعهم ورؤساؤهم بما لا يغنيهم فيقول الضعفا
اى الاتباع للذين استكبروا اى اطلبوا ان يكونوا اكابر اوهم الرؤساء انا كنا لكم
اى دون غيركم تبعا اى اتباعا فتكفونا نصيبا من النار نتبعه تبعا اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم قاله
البغوى والتبع يكون واحدا وجمعا فى قول اهل البصرة واحده تابع وقال الكوفيون
هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع وقيل انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اى
تابعين وقيل مصدر ولكنه على حذف مضاف اى ذوى تبع ونصبا منصوب بفعل مقدر
يدل عليه قولهم مغنون نقدير هل انتم دافعون عنا نصيبا وقيل منصوب على المصدر
قال ابو البقا كما تقول شكرته شكرا لانك الى قولك لم تعنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا فوضع عنا فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا قال الذين استكبروا اى
من شدة ما هم فيه انا كل اى نحن وانتم فيها فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لا غنينا انفسنا
عن اغنائنا ان الله اى المحيط باوصاف الكمال قد حكم بالعدل بين العباد اى فادخل
اهل الجنة دارهم واهل النار نارهم فلا يغنى احد عن احد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس
الاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم سائلوهم كما حكى الله تعالى عنهم
بقوله سبحانه وقال الذين فى النار اى جميعا الاتباع والمتبوعون لخزنة جهنم

اي لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها قال البيضاوي ويحتمل
ان تكون جهنم اعدد دركاتها من قولهم بئر جهنام اي بعيدة الجيم والهاء وتشديد النون بعيد
القعر وقال اهل اللغة هي مشتقة من الجهومة وهي الغلظ سميت بذلك لغلظ عذابها
وهي عجمية منعت من الصرف للتعريف والعجمة وقيل عربية ومنعت من الصرف
للتعريف والتانيث يخفف عنا يوما اي قدر يوم من العذاب شيئا فيوما ظرف للتخفيف
ومفعول يخفف محذوف اي يخفف عنا شيئا من العذاب في يوم ويجوز ان يكون من العذاب
هو المفعول للتخفيف ومن تبعيضية ويوما ظرف سالوا ان يخفف عنهم بعض العذاب
لانه في يوما لا في كل يوم ولا في يوم معين قالوا اي الخزنة لهم اولم تك تاتيكم على سبيل التوبيخ
شيا في اثر شيء رسلكم اي الذين هم منكم وانتم حديرون بالاصغاء اليهم والاقبال
عليهم لان الجنسية الجنس امس والانسان لمن مثله آنس بالبينات اي التي لا تترك وضوح
منها اراد وابد لكم الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم
اسباب الاجابة وفرارهم عما يوجب الرحمة ويكسب الثواب والفوز بضدها وكذلك ارسلنا
ورسلهم قالوا اي الكفار بلى اي اتوا ونذكر لكم قالوا اي الخزنة لهم فادعوا اي انتم فانا
لا نشفع للكافر وما دعاء الكافرين اي الذين ستر وا مرارا عفوهم عن انوار الحق
الا في ضلال اي ذهاب في غير طريق موصل كما كانوا هم في الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة
الاخرة من زرع شيا في الدنيا حصده في الاخرة والاخرة تمر الدنيا لا تثمر الا من جنس
ما غرس في الدنيا وفي هذا اقناط لهم عن الاجابة ولما ذكر تعالى وقاية موسى عليه
السلام وذلك المومن من آل فرعون بين بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة
لننصر رسلنا اي على من عاداهم والذين امنوا اي اتسموا بهذا الوصف في الحياة الدنيا
اي بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز وبالحجة والغلبة وان علوا في بعض
الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بان يقبض تعالى اعداءهم من بغيض منهم ولو بعد
حين وقيل ذلك اذ لا يتمكن اعداوهم من كل ما يريدون منهم ويوم يقوم الاشهاد
وهو جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد من يقوم يوم القيامة للشهادة
على الناس من الملايكة والانبيا والمومنين اما الملايكة فهم الكرام الكاتبون
يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبيا فقال تعالى فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا واما المومنون فقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقوله تعالى يوم بدل من يوم
قبله او بيان له او نصب باضمار اعني يوم لا ينفع الظالمين اي الذين كانوا معتذرين
في وضع الاشيا في غير مواضعها معذرتهم اي اعتذارهم ما فرط قبل هذا ابدا على انهم
يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف هذا مع قوله تعالى ولا يوذن
لهم فيعتذرون حيث بان هذا ابدا على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا ان ليس
عندهم عذر مقبول وهذا ابدا على انهم ذكروها ايضا يوم القيمة يوم طويل
فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر وقرا نافع والكوفيون
بالتاء التحتية والباقون بتا الخطاب ولهم اي خاصة اللعنة اي البعد عن كل خير
مع الاهانة بكل ضير ولهم اي خاصة سوا الدار الاخرة اي اشد عذابها وما بين

تعالى

تعالى انه ينصر الانبيا والمومنين في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا
فقال تعالى ولقد اتينا اي بما لنا من العزة موسى الهدى اي ما يهتدى به في الدين
من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا اي بما لنا من العظمة بني اسرايل
اي بعد ما كانوا فيه من الذل الكتاب اي الذي انزلناه عليه واتيناه الهدى به
وهو التوراة اتيا هو الارث لا ينازعهم فيه احد توارثوه خلفا عن سلف ولا
اهل له في ذلك الزمان غيرهم او اورثناه لهم من بعد موسى حال كونه هدى اي بيانا
عاما لكل من تبعه وذكرى اي عظة عظيمة لاولي الالباب اي القلوب الصافية
والعقول الوافية الشافية ولما بين تعالى انه ينصر رسله في الدنيا والاخرة وضرب
المثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
فاصبر يا اشرف الخلق على اذى قومك كما صبر موسى على اذى فرعون ان وعد الله
اي الذي له الكمال كله حق اي في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت
اية القتل اية الصبر وقوله تعالى واستغفر لذنبك اما ان يكون المصدر مضافا
للمفعول اي لذنب امتك في حقك واما ان يكون ذلك تعبدا من الله تعالى ليزيده به
درجة وليصير سنة ليستن به من بعده وسبح اي صل ملتبسا بحمد ربك بالعشي
هو من بعد الزوال والابكار قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن
عباس الصلوات الخمس وذلك ان العشي من زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس ولما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في ايات الله واتصل الكلام
بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه تعالى على الداهية التي تحمل اولئك
الكفار على تلك المجادلة فقال تعالى ان الذين يجادلون اي يناصبون العداوة
في ايات الله اي الملك الاعظم الدالة على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث
الذي في تذكره صلاح الدين والدنيا بغير سلطان اي برهان اتاهم اي ما في صدورهم
بصدودهم عن سوا السبيل قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا كبر اي تكبر عن الحق
وتعظم عن التفكر والتعلم واذن ذكر الصدور دون القلوب تعظم الكبر جدا بانه
قد ملا القلوب وفاض منها حتى شغل الصدور التي هي مساكنها ما هم ببالغيه
قال مجاهد هم مبالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله تعالى يذلهم وقال ابن قتيبة ان في صدورهم
الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك قال المفسرون
نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح ابن
داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك
اليه قال الله تعالى فاستعذ اي اعتصم بالله المحيط بكل شي من فتنة الدجال ومن كيد
من يحسدك ويبغي عليك وغير ذلك كما عاذ به موسى لينجز لك ما وعدك كما انجز له
ثم علل ذلك بقوله تعالى انه هو اي وحده السميع اي لاقوالهم البصير اي لافعالهم
ولما وصف تعالى جدالهم في الايات بانه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال
لخلق السموات على عظمها وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها والارض على ما يرون
من عجايبها وكثرة منافعها اكبر عند كل من يعقله من خلق الناس اي خلق الله تعالى
لهم لانهم شعبة يسيرة من خلقها فعلم قطعا ان الذي قدر على ابتدايه على عظمه

BULAC

قادر على اعادة الناس على حقارتهم **ولكن اكثر الناس** وهم الذين ينكرون البعث
لا يعلمون اي لا علم لهم اصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم تنبيه تقرير
هذا الكلام ان الاستدلال بالشيء على غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يقال
لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد ثانيها ان يقال
لما قدر على الشيء قدر على مثله فهذا استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشيء
حكم مثله ثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل قدر على الاقل الارذل من باب
اولى وهذا استدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم هؤلاء
القوم يعلمون ان خالق السموات والارض هو الله تعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات
والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه اولا فهذا برهان كلي في افادة هذا
المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد منه الذين
ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون في ايات الله بغير
سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال المقرون
بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف نبه تعالى على الفرق
بين البيانين بذكر مثال فقال تعالى **وما يستوي** اي بوجه من حيث البصر **الاعمى والبصير**
اي وما يستوي المستبدل والجاهل المقلد **والذين امنوا** اي اوجدوا هذه الحقيقة
وعملوا الصالحات اي تحقيقا لايمانهم **ولا المسيء** اي وما يستوي المحسن والمسيء فلا زائدة
للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين اعاد معه لا توكيدا والمراد بالاول
التفاوت بين العالم والجاهل وبالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحة وبين الاتي
بالاعمال السيئة الباطلة ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذي لا مانع
للانسان من فهمه ورسوخه قال تعالى **قليلا ما يتذكرون** اي يتعظ المجادلون
وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه
قليلا ما يتذكرون فبين في النوع الاول المعنى من الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع
الثاني المعنى من العمل انه عمل صالح او فاسد تنبيه التقابل يأتي على ثلاثة طرق
احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الاية والثانية ان يتأخر المتقابلان كقوله
تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يتقدم مقابل الاول
ويؤخر مقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل
ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات للمذكورين
بعد الاخبار عنهم وامر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة والباقون بياء الغيبة نظرا
لقوله تعالى ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة الخطاب ولما قرر الدليل
على امكان وجود يوم القيمة اردفه بالاخبار عن وقوعها فقال تعالى **ان الساعة**
اي القيمة التي يجادل فيها المجادلون **لاتية** اي للحكم بالعدل بين المسيء والمحسن لانه لا يسوغ
في الحكمة عند احد من الخلق ان يساوي بين محسن عبيده ومسيئهم **لا ريب** اي لا شك **فيها**
اي في اتيانها ولما وصل الحال في امرها الى حد لا خفاء به اصلا نفى الايمان دون العلم فقال

تعالى

تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون وما ذاك الا لعناد بعضهم وقصور
نظر النافين على الحس يتبع يأتي قبل قيام الساعة فتن اعظمها المسيح الدجال فعن
هشام ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة
اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال وعن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية ولاتي
داود والترمذي قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله تعالى
بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا انذر قومه ولكن سأقول
لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر قومه وامته الاعور الكذاب الا انه
اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية مسلم مكتوب بين عينيه
كافر كفر يقرأه كل مسلم وعن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة
تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض
ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف
ولا ذات خف من البهائم الا هلك ومن اشد فتنه ان يأتي الاعرابي فيقول ارايت
ان احييت لك ابلك اليست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له مثل ابله كاحسن
ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول
ان احييت لك اباك واحييت لك اخاك اليست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل
له الشيطان نحو ابيه واخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم
رجع والقوم في اهتمام وغم ما احدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسماء قلت
يا رسول الله قد خلفت افئدة الناس بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي
خليفتي على كل مؤمن قالت فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع
فكيف بالمؤمنين حينئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وروى
البغوي بسنده عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال
في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام
السعفة في النار انتهى والذي جاء في صحيح مسلم قالت قلت يا رسول الله ما مكثه في الارض
قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول
الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا
يا رسول الله وما اسرعته في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود
فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ومنه ثم
ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله وعن حذيفة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما
الذي يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك
منكم فليقع في الذي يرى الناس انه نار فانه ماء عذب بارد وعن ابي هريرة الا احدثكم حديثا
عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي

BULAC

نار اني انذركم كما انذر نوح قومه وعن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر ما سالته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون
ان معه جبال خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك اي اهون على الله من ان يجعل
ما خلق الله تعالى بيده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله تعالى ليزداد
الذين امنوا ايمانا وثبتت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه ليس معه شيء
من ذلك لما مر في الحديث ان معه ماء ونارا وذكر فيه احاديث كثيرة وفي هذا القدر تذكرة
لاولي الالباب اجارنا الله تعالى واحبابنا من فتنته ولما بين تعالى ان القول بالقيمة
حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم القيمة الا بطاعة الله تعالى
والتضرع اليه لاجرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف انواع
الطاعات الدعاء والتضرع لاجرم امر الله تعالى به فقال تعالى وقال ربكم اي المحسن
اليكم بهدايتكم ووعدكم النصرة ادعوني اي اعبدوني دون غيري استجب لكم اي اثبكم
واغفر لكم بقرينة قوله تعالى ان الذين يستكبرون اي يوجدون الكبر عن عبادتي
اي عن الاستجابة لي فيما دعوت اليه من العبادة بالمجادلة في اياتي والاعراض
عن دعائي سيدخلون بوعد لا يخلف جهنم فتلقاهم جزاء على كيدهم بالتجهم والعبوسة
والكراهة داخرين اي صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار
الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها روي عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب فان قيل انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه
عز وجل من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فهذا يقتضي
ان ترك الدعاء افضل فكيف ان من لم يسال الله يغضب اجيب بانه ان كان مستغرقا
في الثناء على الله تعالى فهذا افضل من الدعاء لان الدعاء طلب الجنة والاستغراق في معرفة
الله تعالى افضل من طلب الجنة والا فالدعاء افضل وعن النعمان ابن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرا الاية فان قيل كيف
قال تعالى ادعوني استجب لكم وقد يدعوا الانسان كثيرا فلا يستجاب له اجاب الكعبي
بان الدعاء انما يصح بشرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب
بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء
فما الفائدة في الدعاء واجاب عنه انه فيه الفزع والانقطاع الى الله تعالى واجاب
الرازي عن الاول بان كل من دعى الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقائه
واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعى الله تعالى الا باللسان واما القلب فانه يقول في تحصيل
ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا اللسان ما دعا ربه اما اذا دعى في وقت لا يكون
القلب فيه متلفتا الى غير الله تعالى فالظاهر انه يستجاب له انتهى وقال القشيري
الدعاء مفتاح الاجابة واستنانه لقمة الحلال وقرا ابن كثير بفتح الياء من ادعوني استجب والباقون
بسكونها وقرا ابن كثير وشعبة بضم سيدخلون وفتح الهاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ولما امر
تعالى بالدعاء فكانه قيل الاشتغال بالدعاء لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل
الدليل على وجود الاله القادر فقال تعالى مفتتحا بالاسم الاعظم الله اي المحيط بصفات الكمال

والعبوسة

الذي

الذي جعل لكم لا غيره الليل اي مظلما لتسكنوا فيه راحة ظاهرية بالنوم الذي هو الموت الاصغر وراحة
حقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة والنهار مبصرا لتنتشروا فيه بالتيقظة التي هي
احيا في المعنى فالاية من الاحتباك حذف الظلام اولا لكونه ليس من النعم المقصودة في انفسها
لما دل عليه من الابصار الذي هو المقصود من نعمة الضيا المقصود في نفسه وحذف الانتشار
لانه بعض ما ينشا عن نعمة الابصار لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود الاعظم من الليل
للراحة لمن ارادها والعبادة لمن اعتمدها واستزادها فان قيل هلا قيل بحسب رعاية
النظم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه او يقال جعل لكم الليل ساكنا
والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الحكمة فيه وفي تقديم ذكر الليل اجيب عن الاول بان الليل
والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات واما النور والتيقظة
فامور وجودية وهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر في دلايل الاعجاز ان
دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب
في الفرق واجيب عن الثاني بان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم
في المحدثات مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى في سورة الانعام وجعل الظلمات
والنور ان الله اي ذو الجلال والاكرام لذو فضل اي عظيم جدا باختياره على الناس اي كافة
باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع ولكن اكثر الناس لا يشكرون
الله فلا يؤمنون وينسون افعاله سبحانه الى غيره جهلا ويعملون بما تسبب عنهم
اسم الشكر من الشرك وغيره فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى ولكن اكثر الناس ولم يقل ولكن اكثرهم
ولا يكرر ذكر الناس اجيب بان في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون
فضل الله تعالى ولا يشكرونه لقوله تعالى ان الانسان لكفور وان الانسان لربه لكنود وان
الانسان لظلوم كفار ولما بين تعالى بتلك الدلايل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى
ذلكم اي ايها المخاطبون الله اي الملك الاعظم المعلوم لكل احد المتميز عن كل شي بالافعال التي لا يشاركه
فيها احد ربكم اي المربي لكم والمحسن اليكم خالق كل شي اي بما ثبت من تمام قدرته لانه لا اله الا هو اي هو
الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية فهي اخبار مترادفة واذا كان خالق كل شي
فانى اي فكيف ومن اي وجه تؤفكون اي تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك
اي مثل هذا الصرف البعيد عن مناهج العقلا يؤفك اي للصرف الذين كانوا اي مطبوعين على انهم
بايات الله اي ذي الجلال والكمال يجحدون اي ينكرون عنادا ومكابرة ولما كان
دلايل وجوده تعالى وجوده تعالى اما ان يكون من دلايل الافاق وهي غير الانسان وهي
اقسام وذكر منها احوال الليل والنهار كما تقدم ذكر ايضا منها ههنا الارض والسما فقال
تعالى الله الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي الذي جعل اي وحده لكم الارض اي مع كونها
فراشا ممهدا قرارا مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرته والسما على علوها
وسقفها مع كونها افلاكا دايرة بنجوم طول الزمان سايرة ينشا عنها الليل والنهار
والاظلام بنا مظلة كالقبة من غير عماد وحامل ثم ذكر دلايل النفس وهي دلالة احوال
بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم بقوله تعالى وصوركم والتصوير على غير
نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار فاحسن صوركم على اشكال
واحوال مع انها احسن الصور ليس في الوجود ما يشبهها لم يخلق الله حيوانا احسن صورة

BULAC

من الانسان كما قال تعالى في احسن تقويم قال ابن عباس خلق الانسان قايما معتدلا
ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه ولما ذكر تعالى المسكن والساكن ذكر ما يحتاج
اليه في مدة السكن فقال سبحانه ورزقكم من الطيبات اي الشهية الملايمة للطباع
وقيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من الماكل والمشرب من غير رزق العذاب
وعن الحسن انه قال لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وذريته قالت الملايكة عليهم
السلام ان الارض لا تسعهم قال تعالى فاني جاعل موتا قالوا اذن لا تهنا وهم العيش
قال تعالى فاني جاعل املا ولما دل هذا على التفرد قال تعالى على وجه الانتاج ذلكم
اي الرفيع الدرجات الله اي المالك لجميع الملك ربكم اي المحسن اليكم لا غيره فتبارك اي
ثبت ثباتا عظيما مع اليمن والخير وحسن المدد والفيض الله اي المختص بالكمال
رب العالمين كلهم فهو المحسن اليهم بالتربية وغيرها ثم نبه تعالى بقوله سبحانه
هو الحي بما يفيد الحصر بانه لا حي على الدوام الا هو ثم نبه تعالى على وحدانيته بقوله
سبحانه لا اله الا هو ثم امر العباد بالاخلاص في الدعا فقال تعالى فادعوه اي اعبدوه
مخلصين له الدين اي من كل شرك جلي او خفي ولما كان تعالى موصوفا بصفات الكمال
الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي
المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معاني الاسما الحسنى رب العالمين اي الذي رباهم هذه
التربية وقال الفرا هو خبر وفيه اضمار الامس ومجازه فادعوه واحمدوه وعن ابن
عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما اورد على المشركين
تلك الادلة الدالة على اثبات اله العالم امره بقوله تعالى قل اي لهولا الذين يجادلونك
في التوحيد والبعث مقابلا لانكارهم بالتوكيد اني نهيت اي مما لا نهي لغيره نهيا عاما
ببراهين العقل ونهيا خاصا بادلة النقل ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون
من دون الله اي الذي له الكمال كله قال البقاعي ودل على انه ما كان متعبدا قبل
البعث بشرع احد بقوله لما جاءني البينات اي بالحجج الواضحة وهي ما تقدم من الدلايل
الدالة على ان الاله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة وصريح
العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا به وان الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة
لا تصلح ان تكون شركا له ثم نبه على انه تعالى كما يستحق الافراد بالعبادة لذاته يستحقها
شكرا لاحسانه بقوله من ربي اي المربي لي تربية خاصة هي اعلا من تربية كل مخلوق سواي
فلذلك انا اعبده عبادة تفوق عبادة كل عابد ولما امره بما يتخلى عنه امره بما يتحلى به
فقال وامرت ان اسلم اي حين دعي الى الكفر لرب العالمين لان كل ما سواه مربوب
فالاقبال عليه خسار واذا نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وامر بهذا لكون الامر والناهي
ربه لانه رب كل شي كان غيره مشاركا له في ذلك لا محالة ولما استدل تعالى على اثبات الالهية
بدليل الافاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسما ثم ذكر الدليل على اثبات الاله القادر
بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني
وهو كيفية تكوين البدن من ابتدا كونه نطفة وجنينا الى اخر الشيخوخة والموت
فقال تعالى هو اي لا غيره الذي خلقكم من تراب اي خلق ابيكم ادم منه قال الرازي وعندي
لا حاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق

من دم

من دم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية
واما نباتية والحال في ذلك الحيوان كالحال في تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها
منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب والما فثبت ان كل انسان متكون
من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة كما قال تعالى ثم من نطفة اي من مني ثم من علقة
اي دم غليظ متباعدة حالها كحال النطفة كما كان حال النطفة متباعدا كحال التراب
ثم بعد ان جرت شؤون اخرى نخرجكم اي نجدد اخراجكم شيئا بعد شيء طفلا
اي اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم لا تملكون شيئا ولا تعلمون
شيئا ثم يدرجكم في مدارج التربية صاعدين بالقوة في اوج الكمال طورا بعد طور
وحالا بعد حال لتبلغوا اشدكم اي تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين وعن
الشعبي يثغر الغلام لسبع سنين ويحتلم لاربع عشرة وينتهي طوله لاحدى وعشرين
وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لثلاث وثلاثين ثم يهبطكم بالضعف
والوهن في مهاوي السفول لتكونوا شيوخا ضعفا غربا قد ماتت اقرانكم ووهنت
اركانكم وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون بكسرها ومنكم من يتوفى
يقبض روحه من قبل اي قبل حال الشيخوخة او قبل حال الاشدية او قبل هذه الاحوال
اذا خرج سقطا تنبيه قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق قال الزمخشري بفعل محذوف
تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اي كل واحد منكم اجلا مسمى
فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم
تعقلون اي ما في ذلك من العبر والحجج وتستدلون بهذه الاحوال العجيبة على وحدانية
الله تعالى ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة واستدل
بهذه التقديرات على وجود الاله القادر اتبع قوله تعالى هو اي لا غيره الذي يحيي ويميت
كما تشاهدونه في انفسكم فكما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة
يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله
القادر ولما كانت ارادته لا تكون الا تامة نافذة تسبب عن ذلك قوله تعالى فاذا
قضى امرا اي اراد اي امر كان من القيامة او غيرها فانما يقول له كن فيكون فلا
يحتاج في تكوينه الى عدة وتجسم كلفة وقرا ابن عامر بنصب النون والباقون بالرفع وتقدم
توجيه ذلك في سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في ايات الله مخاطبا
بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فقال الم تر اي يا انوار الناس قلبا واصفاهم لبا الى الذين
يجادلون اي بالباطل في ايات الله اي الملك الاعظم انى اي كيف ومن اي وجه يصرفون
اي عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد
وقوله تعالى الذين كذبوا يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا او نعتا او خبر
مبتدا محذوف او منصوبا على الذم بالكتاب اي بسببه في جميع ما له من الشؤون
التي تفوت الحصر وهو القران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة
به رسلنا اي من جميع الملل والشرايع بكتاب كان او بغيره ولذا تسبب عنه تهديدهم
في قوله تعالى فسوف يعلمون اي بوعيد صادق لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا وقوله تعالى

إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون فإن قيل سوف للاستقبال وإذ للماضي فهو
مثل قولك سوف أصوم أمس أجيب بأن المعنى على إذ إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار
الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال
قالوا وكما تقع إذ موقع إذ في قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها كذلك
تقع إذ موقعها وقوله تعالى والسلاسل عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ
خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره يسحبون والعائد محذوف أي بها في الحميم أي الماء الحار
الحاضر الذي يكسب الوجوه سوادا والأعراض عارا والأرواح عذابا والأجسام نارا ثم
في النار يسجرون أي يلقون فيها ويوقد بهم مكردسين كما يسجر التنور بالحطب كما قال
تعالى وقودها الناس والحجارة والسجير الخليل الذي يسجر في مودة خليله كقولهم فلان يحترق
في مودة فلان هذه كيفية عقابهم ثم قيل لهم تبكيتا أي بعد أن طال عذابهم وبلغ
منهم كل مبلغ ولم يجدوا ناصرا يخلصهم ولا شافعا يخصصهم أين والدال التعبير بأداة ما لا يعقل
في قوله تعالى ما كنتم أي دائما تشركون من دون الله أي معه وهي الأصنام قالوا ضلوا أي غابوا
عنا فلا نراهم كما ضللنا نحن في الدنيا عما ينفعنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا
عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا أي لم يكن ذلك في طباعنا من قبل أي قبل هذه
الإعادة شيئا لنكون قد أشركنا به أنكروا عبادتهم إياها كقولهم في سورة الأنعام والله ربنا
ما كنا مشركين وقال الحسن ابن الفضل أي لم نكن نصنع من قبل شيئا أي ضاعت عبادتنا لها
كما تقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئا ثم يعذبون بآلهتهم كما قال الله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أي وقودها كذلك أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله أي المحيط
علما وقدرة عن القصد النافع من حجة وغيرها الكافرين أي الذين ستروا مزايا بصائرهم
لئلا يتجلى فيها الحق ثم صار لهم ذلك ديدنا ذلكم أي الجزاء العظيم بما كنتم أي دائما تفرحون
أي تبالغون في السرور وتستغرقون فيه في الأرض بغير الحق من الإشراك وإنكار البعث
فأشعر ذلك أن السرور لا ينبغي إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة وهي الثبات دائما للمفروح
به وذلك لا يكون إلا في الجنة وبما أي وبسبب كنتم تمرحون أي تبالغون في الفرح
مع الأشر والبطر والنشاط الموجب للاختيال والتجبر والخفة بعدم احتمال الفرح تنبيه
قوله تعالى تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو أن يقع الفرق بين اللفظين
بحرف ولما كان السياق لعدم الجدال وكان الجدال إنما يكون عن الكبر قال تعالى ادخلوا
أي أيها المكذبون أبواب جهنم أي الأبواب السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وسميت جهنم لأنها تلقي صاحبها بتكبر وعبوسة وتجهم
خالدين فيها أي مقدرين الخلود فبئس مثوى أي مأوى المتكبرين أي عن الحق والمخصوص
بالذم محذوف أي جهنم أو مثواكم فإن قيل كان قياس النظم أن يقول فبئس مدخل المتكبرين
كما تقول زرت بعث الله فنعم المزار وصل في المسجد فنعم المصلى أجيب الدخول لا يدوم
وإنما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وإن كان الدخول أيضا مذموما ولما زيف تعالى طريقة
المجادلين في آيات الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله تعالى فاصبر أي
على أذاهم بسبب المجادلة وغيرها إن وعد الله أي الجامع لصفات الكمال حق

أي

اي لينصرك في الدارين فلا بد من وقوعه فاما نرينك قال الزمخشري اصله فان ترك وما
مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون في الفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني
اكرمك لكن اما تكرمني اكرمك قال ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة
ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير نقص
الذي نعدهم به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف اي فذاك او نتوفينك
اي قبل تعذيبهم فالينا يرجعون اي فنعذبهم اشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف
فقط ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا اي بكثرة من قبلك اي الى اممهم ليبلغوا
عنا ما امرناهم به منهم من قصصنا اي مما لنا من الاحاطة عليك اي اخبارهم
واخبار اممهم ومنهم من لم نقصص عليك لا اخبارهم ولا اخبار اممهم ولا ذكرناهم لك
باسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة روي ان الله تعالى بعث ثمانية الاف
نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وما اي ارسلناهم والحال
انه ما كان لرسول اصلا ان ياتي باية اي ملجئة او غير ملجئة مما يطلب الرسول
استعجالا لاتباع قومه له او اقتراحا من قومه عليه الا باذن الله اي بامره وتمكينه
فان له الاحاطة بكل شيء فلا يخرج شيء عن امره وهم عبيد مربوبون تنبيه معنى الاية
ان الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انت كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال
بعضهم لك ولم يذكر حال الباقين وليس فيهم احد اعطاه الله تعالى ايات ومعجزات الا وقد
جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على الانبياء اظهار
المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله تعالى
والله سبحانه علم الصلاح في اظهار ما اظهروه دون غيره ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك
الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم ما اظهرناها
فاذا جاء امر الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بنزول العذاب على الكفار قضي
اي بامره على ايسر وجه واسهله بين الرسل ومكذبيها بالحق اي الامر الثابت وخسر هنالك
اي في ذلك الوقت العظيم المبطلون اي المنسوبون الى ايثار الباطل على الحق المعاندون
الذين يجادلون في ايات الله فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تعنتا
وعبثا وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش
وقنبل الهمزة الثانية وابدلاها ايضا الفا وقرا الباقون بتحقيق الهمزتين ولما ذكر تعالى
الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما
على العباد فقال الله اي الملك الاعظم الذي جعل لكم اي لا غيره الانعام اي الازواج الثمانية
بالتذلل والتحسير وقال الزجاج الانعام الابل خاصة لتركبوا منها اي وهي الابل
مع قوتها ونفرتها وقد تركب النفر ايضا ومنها اي من الانعام كلها تاكلون ولما
كان التصرف فيها غير منضبط اجمله بقوله تعالى ولكم فيها اي كلها منافع اي كثيرة بغير ذلك
من الدر والوبر والصوف وغيرها ولتبلغوا عليها وهي في غاية الذل والطواعية ونبههم
على نقصهم وعظم نعمته عليهم بقوله تعالى حاجة اي حبس الحاجة وقوله تعالى في صدوركم
اشارة الى ان حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فملات مساكنها
وعليها اي الابل في البر وعلى الفلك اي في البحر تحملون اي تحملون امتعتكم الثقيلة من مكان

الى اخر واما حمل الانسان نفسه فقد مر بالركوب فان قيل لم لم يقل وفي الفلك كما قال تعالى
في سورة هود وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اجيب بان كلمة على للاستعلا
فالشي الذي يوضع على الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح
الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة في قوله تعالى وعليها وعلى الفلك
تحملون وقال بعضهم ان لفظ فيها هنا اليق لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل كانت
مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعا واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان الناس
على ظهرها ولما كانت هذه اية عظيمة جعلها سبحانه مشتملة على ايات كثيرة قال
تعالى ويريكم اي في كل لحظة اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله اي المحيط بصفات الكمال الدالة
على وحدانيته تنكرون حتى يتوجه لكم المجادلة في اياته وهذا استفهام توبيخ تنبيه
اي منصوب بتنكرون وقدم وجوبا لان له صدر الكلام وتذكيرها اشهر من تانيثه قال
الزمخشري وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما غير
الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اي اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة
تانيث اي قول الشاعر باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا عليك وتحسب قال
ابن عادل وقوله وهو واي اغرب ان عنى ايا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض
في الندا ان يونث في ندا المونث كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر
تذكيرها فيه فنقول يا ايها المراة الا صاحب البديع في النحو وان عنى غير المناداة
فكلامه صحيح يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية ولما وصل الامر الى حد
من الوضوح لا يخفى على احد تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب
للعقاب المقتضي للذهب فقال افلم يسيروا اي هولا الذين هم اضل من الانعام لما حصل
في صدورهم من الكبر العظيم طلبا للرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه في الارض اي ارض
كانت سير اعتبار فينظروا نظر تفكر فيما سلكوه من سبلها ونواحيها كيف كان عاقبة
اي اخر الذين من قبلهم اي مع قرب الزمان والمكان او بعد ذلك كانوا اكثر منهم
عددا وعددا ومالا وجمالا واشد قوة في الابدان كقوم هود عليه السلام
واثارا في الارض تنحت البيوت في الجبال وحفر الابار وبنا المصانع الجليلة وغير ذلك
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون بقوة ابدانهم وعظم عقولهم واحتيالهم وما رتبوا من المصانع
لنجاتهم حين جاهم امرنا بل كانوا كامس الذاهب تنبيه ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاتهم رسلهم اي الذين
ارسلناهم اليهم وهم يعرفون صدقهم وامانتهم بالبينات اي المعجزات الظاهرات الدالة
على صدقهم لا محالة واختلف في عود ضمير فرحوا فرحوا بما عندهم على وجهين احدهما
انه عايد على الكفار واختلف في ذلك العلم الذي فرحوا به فقيل هو الاشيا التي كانوا يسمونها علما
وهي الشبهات المحكية عنهم في القران كقولهم ما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا
وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يفرحون
بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وقيل المراد علم الفلاسفة
فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله تعالى رفعوه وصغروا علوم الانبيا عن علومهم كما روي عن سقراط
انه سمع بمجي بعض الانبيا عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة

بنا

بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءت الرسل بعلوم الديانات
ومعرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا
بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به ويجوز ان يكون المراد علم
الانبياء وفرح الكفار به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق اي احاط
علما ورحمة الشدة بهم بهم ما كانوا به يستهزؤن اي من الوعيد الذي كانوا قاطعين ببطلانه
والوجه الثاني انه عائد الى الرسل وفيه وجهان احدهما ان يفرح الرسل اذا راوا من قومهم
جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم
واعراضهم فرحوا بما اتوا من العلم وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم الثاني ان المراد ان الرسل فرحوا بما عند الكفار من العلم فرح ضحك واستهزاء
فلما راوا اي عاينوا باسنا اي عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس
قالوا امنا بالله اي الذي له مجامع العظمة ومعاقد العز ونفوذ الكلمة وحده لا نشرك
به شيئا وكفرنا بما كنا اي جبلة وطبعا به مشركين يعنون الاصنام اي لانا علمنا انه لا يغني
من دون الله شيء ولما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الايمان عند الشهادة قال تعالى
فلم يك ينفعهم اي لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه ايمانهم اي يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه
ايمان الجاء واضطرار لا ايمان طواعية واختيار لما راوا واظهر موضع الاضمار زيادة في التر
هيب
فقال تعالى باسنا اي عذابنا لامتناع قبول الايمان حينئذ لانه لا يتحقق ولا يتصور
الا مع الغيب واما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على انه قد فاتت حقيقته وصورته
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان قيل اي فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه
لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم اجيب بانه من كان في نحو قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد
والمعنى فلم يصح ولم يستقم ايمانهم فان قيل كيف ترادفت هذه المعاني اجيب
بان قوله تعالى فما اغنى عنهم نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم
فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما اغنى عنهم كذلك رزق زيد المال فمنع
المعروف ولم يحسن الى اللفظ وقوله تعالى فلما راوا باسنا تابع لقوله تعالى فلما
جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا فكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع
لايمانهم لما راوا باس الله وقوله تعالى سنت الله اي الملك الاعظم يجوز انتصابها
على المصدر المؤكد لمضمون الجملة اي الذي فعل الله تعالى بهم سنة سابقة من الله تعالى
ويجوز انتصابها على التحذير اي احذروا سنة الله في المكذبين التي قد خلت في عباده
وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم فائدة رسمت سنت
مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وامال الكسائي
الهاء في الوقف وخسر اي هلك او تحقق وتبين انه خسر هنالك الكافرون اي
العريقون في هذا الوصف فلا انفكاك بينهم وبينه تنبيه هنالك في الاصل
مكان قيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق
روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له حديث موضوع

وعن ابن سيرين راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن
منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن يقرا ال يس سورة حم السجدة مكية
وتسمى فصلت وهي اربع وخمسون اية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف
وثلثمائة وخمسون حرفا بسم الله اي الذي له اوصاف الكمال الرحمن الذي وسع
كل شيء رحمة وعلما الرحيم الذي فصل الكتاب تفصيلا وبينه غاية البيان وقد مر
الكلام على قوله تعالى حم ثم ان جعلتها اسما للسورة كانت في موضع المبتدا
وخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا
لمبتدا محذوف اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وخبره
كتاب وجرى على ذلك الجلال المحلي فصلت اي بينت اياته بالاحكام والقصص
والمواعظ بيانا شافيا في اللفظ والمعنى حال كونه قرانا اي جامعا مع التفصيل وهو
مع جمع اللفظ وضبطه منشور اللوا منتشر المعاني لا الى حد ولا نهاية وعديل كلما دقق
النظر جل المفهوم ولذلك قال تعالى عربيا لان لسان العرب اوسع الالسن ساحة
واعمقها عمقا واغمرها باحة وارفعها نبأ وافصحها لفظا وابينها معنى واجلها
في النفوس وقعا وفي ذلك امتنان لسهولة قراءته وفهمه وقوله تعالى لقوم يعلمون
اي العربية او لاهل العلم والنظر وهو متعلق بفصلت اي فصلت لهؤلاء وبينت
لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس او بمحذوف صفة
لقرانا اي كائنا لهؤلاء خاصة لما تقدم من المعنى تنبيه حكم الله تعالى على هذه السورة
باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولك
هذا بنا الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها منزلا
ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ الكلام ثم ينزل بها
على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهم هذه الكلمات بواسطة نزول
جبريل عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل
على ان تلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون
مناسبا لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فالتنزيل
المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك
لان الخلق في هذا العالم كالمرضى والمحتاجين والقران مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى
من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل
هذا العالم انزال القران عليهم وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو
الجمع فسمي كتابا لانه جمع فيه علم الاولين والاخرين ورابعها قوله تعالى فصلت اياته اي ميزت
وجعلت تفاصيل في معان مختلفة فبعضها وصف ذات الله تعالى وصفات
التنزيه والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه ورحمته وحكمته وعجائب احوال خلقه
من السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس
وبعضها في قصص الانبياء وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بدء الخلق
كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القران وخامسها قوله تعالى قرانا وقد مر

ترجيه

توجيه هذا الاسم وسادسها قوله تعالى عربيا اي انما نزل بلغة العرب ويؤكده قوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها قوله تعالى لقوم يعلمون اي جعلناه قرانا
لاجل انا انزلناه على قوم عرب بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى بشيرا
اي لمن اتبع ونذيرا اي لمن امتنع وانقطع وعاشرها قوله تعالى فاعرض اكثرهم اي عن تدبره
وقبوله فهم لذلك لا يسمعون اي يفعلون فعل من لا يسمع لانهم لا يسمعون سماع تامل
وطاعة فهذه صفات عشر وصف الله تعالى القران بها واحتج القائلون بخلق القران
بهذه الاية من وجوه اولها انه تعالى وصف القران بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل
مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا ثانيها ان التنزيل على مصدر هو
المفعول المطلق باتفاق النحويين ثالثها المراد بالكتاب اما الكتابة وهي المصدر الذي
هو المفعول المطلق واما المكتوب الذي هو المفعول رابعها ان قوله تعالى فصلت
اياته يدل على ان متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم خامسها انما سمي
قرانا لانه قرن بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل
سادسها وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت
على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل
فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا واجاب اهل السنة بان كل هذه الوجوه المذكورة عائدة
الى اللغات والحروف والكلمات وهي حادثة وذهب قوم الى ان في القران من سائر اللغات
كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه من لغة
الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرانا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ولما وصف الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا
بهذه النفرة وذكروا ثلاثة اشياء مذكورة في قوله تعالى عنهم وقالوا اي عند اعراضهم ممثلين
لمباعدتهم في عدم قبولهم قلوبنا في اكنة اي اغشية محيطة بها والاكنة جمع كنان كاغطية
جمع غطاء والكنان هو الذي يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول مما تدعونا
اي ايها المخبر بانه نبي اليه فلا سبيل له الى الوصول اليها لتعبه اصلا فان قيل هلا قالوا
على قلوبنا اكنة كما قالوا وفي اذاننا اي التي هي احد الطرق الموصلة الى القلوب وقر
اي ثقل قد اصمها عن سماعه ليكون على نمط واحد اجيب بانه على نمط واحد لانه
لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى والمعنى انا في ترك القبول
عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي حاجز منيع من جبل
او نحوه فلا تلاقي ولا تراءى فاعمل اي على دينك انا عاملون اي على ديننا او فاعمل
في ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك فان قيل هل لزيادة من في قولهم او من بيننا
وبينك حجاب فائدة اجيب بنعم لانهم لو قالوا وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى
ان حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدا منا
وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ
فيها ولما اخبروا باعراضهم وعللوا بعدم فهمهم لما يدعوا اليه امر سبحانه نبيه صلى
الله عليه وسلم بجواب يبين انهم على محض العناد فقال تعالى قل اي لهؤلاء الذين

عجزوا عن رد شيء من امرك بشيء يقبله ذو عقل فادعوا ما ينادي عليهم بالعجز إنما أنا
بشر مثلكم أي لست غير بشر مما لا يرى كالملك والجني بل واحد منكم والبشر يرى بعضهم
بعضا ويسمعه ويبصره فلما وجه لما يقولونه اصلا يوحى إلي أي بطريق يخفى عليكم ولولا الوحي
ما دعوتكم أنما إلهكم أي الذي يستحق العبادة إله واحد لا غير واحد وهذا
ما دلت عليه الفطرة الأولى السوية وقامت عليه الأدلة العقلية وأيدتها في كل عصر
الطرق النقلية وانعقد عليه الإجماع في أوقات الضرورة النفسانية قال الحسن علمه الله
تعالى التواضع ولما قطع حجتهم وأزال علتهم تسبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
فاستقيموا إليه أي غير معرجين أصلا على نوع شرك بشفع ولا غيره وعدي بإلى
لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم إليه بالطاعة لا تميلوا عن سبيله
واستغفروه أي اطلبوا منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا وأثرا حتى لا تعاقبوا
عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها والإقلاع عنها حالا ومآلا ثم هدد على ذلك فقال
وويل أي كلمة عذاب أو واد في جهنم للمشركين أي من فرط جهالاتهم واستخفافهم بالله
تعالى الذين لا يؤتون الزكاة أي لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم
الرذائل وهم بالآخرة أي الحياة التي بعد هذه ولا بعد لها هم كافرون واحتج
من قال إن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام بهذه الآية فقالوا إن الله تعالى توعدهم
بأمرين أحدهما كونهم مشركين والثاني لا يؤتون الزكاة فوجب أن يكون لكل واحد من هذين
تأثير عظيم إلى حصول الوعيد وذلك يدل على أن لعدم إيتاء الزكاة مع الشرك تأثير عظيم
في زيادة الوعيد وهو المطلوب فإن قيل لم خص تعالى من أوصاف المشركين منع الزكاة
مقرونا بالكفر بالآخرة أجيب بأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه
فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح
طويته ألا ترى إلى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة
من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين
على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين
وقرن بالكفر بالآخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة
الأنفس والمعنى لا يطهروا أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون
بالزكاة ولا يرون إتيانها واجبا أو كان يقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا
ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون
وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ولما ذكر ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا ذكر ما لأضدادهم
وعدا وتبشيرا فقال تعالى مجيبا لمن تشوف لذلك مؤكدا لإنكار من ينكره إن الذين
آمنوا أي بما آتاهم الله تعالى من العلم النافع وعملوا الصالحات من الزكاة وغيرها من أنواع
الطاعات لهم أجر أي عظيم غير ممنون أي مقطوع جزاء على سماحهم بالفاني اليسير
من أموالهم في الزكاة وغيرها وما أمر الله تعالى من أقوالهم وأفعالهم في الآخرة والدنيا
والممنون المقطوع من مننت الحبل إذا قطعته ومنه قولهم قدمته السفر أي قطعه والمراد

وقال

وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وانشد والذى
الاصح العدوانى اى لو ترك ما يأتى بذى خلق على الصدق ولا خبرنى بممنون وقيل غير ممنوت
به عليهم لان عطاء الله تعالى لا يمن به انما يمن المخلوق وقال السدى نزلت فى المرضى والزمنى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ولما ذكر سبحانه وتعالى سخفهم
فى كفرهم بالاخرة شرع فى ذكر الادلة على ما قدر به عليها وعلى كل ما يريد بخلق الاكوان وما فيها
وما وراءها الشامل لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على انه واحد لا شريك له
فقال منكرا عليهم ومقررا بالبرهان الذى لا يصح لانهم كانوا يعلمون انه افضل الخلق قل يا اشرف الرسل لهؤلاء
الاخرة منكرا عليه بقولك انا وآكد انكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى لتكفرون به
اى توجدون جحدكم الشنيع لانوار المعقول الظاهرة الذى خلق الارض اى على سعتها
وعظمها من قبل يوم ثم فتنكرون قدرته على اعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم
بانه ابتدأ خلقها وخلق ذلك منها وهذان اليومان الاحد والاثنين كما قاله ابن
عباس وعبد الله بن سلام قال ابن الجوزى والاكثرون قال ابن عباس ان الله خلق
يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق الثالث فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا
فسماه الاربعاء خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال
يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس انه يوم تعنى وخلق مواضع الانهار والشجر والقرى
يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والبهائم والاقوات يوم الخميس وخلق الانسان
يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم الشبث ولكن فى حديث مسلم عن ابى هريرة قال اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال
يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق
فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل فان قيل الايام انما كانت بدوران الافلاك
وانما كان ذلك بعد تمام الخلق فكيف يحسب ان المراد فى مقدار يوم من او بنو بتين
خلق فى كل نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون قال البيضاوى ولعل المراد من الارض ما فى جهة
السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا كان خلق لها
صورا بها هى عارت انواعها ولكفرهم به الحادهم فى ذاته تعالى وصفاته وقرأ حمزة ويعقوب
وحسام بتسهيل الثانية كالبا بخلاف عن هشام وادخلوا بين الهمزة المخففة والمسهلة
الفا ورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال والباقون بتحقيقهما من غير
ادخال ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف عليه ما يكفرون بقوله تعالى وتجعلون اى مع هذا
الكفر له اندادا من الخشب المنحور ومن الحجر المنحوت شريكا فى المعبودية ولما كانت هم
على قبيح معتقدهم عظم ذلك بتعظيم شانه سبحانه فقال تعالى ذلك اى الاله العظيم
رب العالمين اى موجدهم ومربيهم وذلك يدل قطعا على جميع ما لا من صفات الكمال
ولما ذكر تعالى ما هم به مقرون من ابتداعها انبعه بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل
البديع بعد ذلك فالاول قوله تعالى وجعل فيها اى الارض رواسى اى جبالا ثوابت
وهو مستانف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبى وهو قوله تعالى
ويجعلون فانه معطوف على تكفرون كما مر فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالى من فوقها

فقه روى عبد الله بن عمر ان الرسول صلى الله عليه وسلم
قال ان الملك اذا اكل طعاما فلعق اصابعه قبل ان يمسح
يده مرض فمات فلا يلومن الا نفسه

ولم يقتصر على قوله تعالى وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي
شامخات وقوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اجيب بانه
تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت
هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقال فوق الارض
ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ
وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى ولما هيا الارض لما يراد منها ذكر ما اودعه وهو النوع
الثاني فقال تعالى **وبارك فيها** اي بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك
وقال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والنار وخلق اصناف
الحيوانات وكلما يحتاج اليه من الخيرات النوع الثالث قوله تعالى **وقدر فيها**
اقواتها اي اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وقال محمد بن كعب قدر
الاقوات قبل ان يخلق الابدان او اقواتا تنشا منها بان خص حدوث كل قوت بقطر
من اقطارها فهو من اضافة القوت الى الارض لكونه متولدا من تلك الارض حادثا
فيها لان النحاة قالوا يكفي في احسن الاضافة ادنى سبب فالشي مضاف الى فاعله
تارة والى محله اخرى اي قدر الاقوات التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل
بلدة معدنا لنوع من الاشيا المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشيا
المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب
الاموال لتنتظم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها
وابداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه ومنها بديع دبره في الازل
وارتضاه وقدره فامضاه لا ينقص عن حاجة المحتاجين اصلا وانما ينقص توصلهم
او توصل بعضهم اليه فلا يجد لهم حينئذ ما يكفيه وفي الارض اضعاف اضعاف كفايته
ثم ذكر فذلكة خلق الارض وما فيها فقال تعالى **في اربعة ايام** اي مع اليومين الماضيين
كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته في يومين اي بالاول وقال ابو البقا في تمام اربعة
ايام ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله تعالى خلق الارض
في يومين ويومان في الاخر وهو قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة
في الوسط وهو قوله تعالى في اربعة ايام فان قيل انه تعالى لما ذكر خلق الارض في يومين
فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة
وعن الغلط فلم ترك التصريح وذكر الكلام المجمل اجيب بان قوله تعالى في اربعة ايام **سواء**
اي استوت الاربعة استوا لا زيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت
هذه الثلاثة في يومين لانه لو قال تعالى خلقت هذه الاشيا في يومين لا يفيد هذا
الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين
مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا
ثم قال في اربعة ايام سوا دل على ان هذه الانعام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال
من غير زيادة ولا نقصان ولم يفعل تعالى ذلك في اقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه
لان هذا ادل على الاختيار وادخل في الابتلا والاختبار ليضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
فيكون اعظم لاجورهم لانه ادل على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة السما مع كونها

سبحانه

اصغر

اصغر من السما دلالة على انها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين فزادت لما فيها
من كثرة المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل في المنة على سكانها
والاعتنا بشانهم وشانها وزادت ايضا لما فيها من الابتلا بالمعاصي والمجاهدات
والمعالجات كل ذلك دلالة على ان المدة ما هي لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما في القدر
من المقدور وعجايب الامور قال البقاعي ولعل تخصيص السما بقصر المدة دون العكس
لاجرا امرها على ما يتعارفه من ان بنا السقف اخف من بنا البيت تنبيها على انه
بنى امر دارنا هذه على الاسباب تعليما للثاني وتدريبا على السكينة والبعد
من العجلة وقوله تعالى للسايلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسوا بمعنى
مستوليات للسايلين ثانيها انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها
المحتاجين المقتاتين ثالثها انه متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال
في كم خلقت الارض وما فيها ولما كانت السموات اعظم من الارض في ذاتها باتساعها
وزينتها ودوران افلاكها وارتفاعها نبه على ذلك بالتعبير باداة التراخي ولفظ
الاستوا وحرف الغاية الدال على عظم العناية فقال تعالى ثم استوى اي قصد
قصدا هو القصد منتهيا قصده الى السما وهي اي والحال انها دخان قال المفسرون
هذا الدخان بخار الما وذلك ان عرش الرحمن كان على الما قبل خلق السموات والارض
كما قال تعالى وكان عرشه على الما ثم ان الله تعالى احدث في ذلك الما اضطرابا فازبد
وارتفع فخرج منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الما فخلق منه اليبوسة واحدث
منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات فان قيل هذه الاية مشعرة
بان خلق الارض كان قبل خلق السما وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق
الارض بعد خلق السما وذلك يوجب التناقض اجيب بان المشهور انه تعالى خلق الارض
اولا ثم خلق بعدها السما ثم بعد خلق السما دحا الارض ومدها وحينئذ فلا تناقض قال
الرازي وهذا الجواب مشكل لان الله تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث
جعل فيها رواسي من فوقها وبارك وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها
في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار
والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال
بعد ذلك ثم استوى الى السما فهذا يقتضي انه تعالى خلق السما بعد خلق الارض وبعد
ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السوال ثم قال والمختار عندي ان يقال خلق السما
مقدم على خلق الارض وتاويل الاية ان نقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد
والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الاية اوجده
من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد
والتكوين بل عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمته بان سيوجده
واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه
في يومين وقضى الله انه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشي في الحال
فقضا الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السما وحينئذ يزول السوال

فقال لها اي تعاليا واقبلا منقادتين وللارض ائتيا اي السما عقب هذا الاستوا
وللارض ائتيا اي تعاليا واقبلا منقادتين وقوله تعالى طوعا او كرها
مصدران في موضع الحال اي طايعتين او كارهتين قالتا اتينا اي نحن وما فينا
وما بيننا طايعين اي اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته
في المقدورات لا غير من غير ان تحقق شيا من الخطاب والجواب ونحو ذلك قول القايل
قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم تركني ورا الحجر الذي ورائي
فان قيل هلا قال طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى لانهما سموات وارضون
اجيب بانه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قال طايعين
في موضع طايعات نحو قوله ساجدين تنبيه جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل على جمعه
في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى امر السما والارض فاطاعوا
كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال تعالى يا جبال اوبي معه والطير
وانطق الايدي والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شي واذا كان كذلك فكيف يستبد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض
حياة وعقلا ثم توجه الامر والتكليف عليهما ووجه هذا بوجوه الاول ان الاصل
حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما
جمع العقلا فقال تعالى قالتا اتينا طايعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها
عارفة بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله عليها اجاب الرازي عن هذا بان المراد
من قوله تعالى اتينا طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول
وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة
اذ لو كانت موجودة لم يجزم فثبت ان حال توجه هذا الامر كانت السموات
والارض معدومة واذا كانت معدومة لم يكن فاهمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه الامر
اليها فان قيل روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات
والارض اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك
ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امركما
طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون المراد من قوله اتينا طايعين
حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما
اجيب بان هذا لم يثبت لانه تعالى قال عز من قايل فقضاهن اي خلقهن خلقا
ابداعيا سبع سموات وذلك يدل على ان حدوث السما انما حصل بعد قوله
اتينا طوعا او كرها تنبيه الضمير للسما على المعنى كما قال تعالى طايعين ونحوه اعجاز
نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال
على الاول وتمييز على الثاني وقوله تعالى في يومين قال اهل الاثر ان الله تعالى خلق
الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثا والاربعا وخلق السموات
وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي

تقوم

تقوم فيها القيمة ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا ايات خلق السموات والارض
في ستة ايام وعن ابن عباس ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن خلق
السموات والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن
من منافع يوم الثلاثا وخلق يوم الاربعا الشجر والما والمعايش والعمران والخراب
فهذه اربعة ايام وخلق يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملايكة
الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في اول ساعة من هذه الثلاثة الاجال حتى يموت
من مات وفي الثانية القى الامة عن كل شي مما ينتفع به وفي الثالثة خلق ادم واسكنه
الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في اخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد
قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون فان قيل اليوم عبارة
عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس
والقمر كيف يعقل حصول اليوم اجيب بان معناه انه مضى من المدة ما لو حصل
هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم كما مر وقضا الشي اتمامه والفراغ منه
قال ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق السموات والارض اي فرغ
من ذلك واتمه **واوحى** اي القى بطريق خفي وحكم مثبوت قوي **في كل سما امرها** اي الامر
الذي دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يختل وزمام مبرم لا ينحل وقال
عطا عن ابن عباس خلق في كل سما خلقها من الملايكة وما فيها من البحار وجبال
البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها
ولله في كل سما بيت يحج اليه ويطوف به الملايكة كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث
لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة ولما عم خص التي تلينا اشارة الى تشريفنا
فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما هذه الاية من العظم **وزينا**
اي بما لنا من العظمة **السما الدنيا** اي القربى اليكم لاجلكم **بمصابيح** وهي النيرات التي
خلقها في السموات وخص كل واحد بضو معين وسير معين وطبيعة معينة لا يعرفها
الا الله تعالى ولا ينافي كون الدنيا مزينة بذلك ان لا تكون النجوم في غيرها مما هو
اعلى منها لان السياق دل على انها زينة وقوله تعالى **وحفظا** في نصبه وجهان
احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب
حفظا والثاني انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة
وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين والمعنى وحفظناها
من الشياطين الذين يسترقون السمع بالشهب او من الافات **ذلك** اي الامر الرفيع والشان
البديع **تقدير العزيز** اي الذي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي **العليم** اي المحيط علما بكل شي
فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم ولما كان المتمادي على اعراضه
كانه جدد اعراضا غير اعراضه الاول قال فقال مفصلا بعد قوله تعالى فاعرض
اكثرهم **فان اعرضوا** اي استمروا على اعراضهم بعد هذا الشان او اعرض غيرهم عن قبول
ما جيتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الايات التي دلت على الوحدانية

BULAC

والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال اتم دلالة فقل اي لهم أنذرتكم صاعقة
اي فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الواقع كانه صاعقة مثل صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود وقال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شي كان والانذار
التخويف وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ثم علل
ايقاع ذلك بقوله تعالى اذ ويجوز ان يكون ظرفا لصاعقة وظرفية لا تنافي
عليته اي حين جاءتهم الرسل اي عادا او ثمود الرسل لان الزمان الطويل يجوز نسبة
ما وقع في جزء منه اليه من بين ايديهم اي من قبلهم لان نذير الاول نذير لكل من اتى
بعده بانه ان واقع ما واقعه اياه ما عذب به ومن خلفهم وهم من اتى اليهم لانهم لم يكونوا
يعلمون اتيانهم فالخلف كناية عن الخفا والقدام عن الجلا او انهم اتوهم من كل جانب
واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله
تعالى عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة وعن الحسن
انذروهم من وقايع الله تعالى فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا
حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم او اتوهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم وقرا
نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحمزة والكسائي باظهار الذال وادغمها الباقون
ان اي بان لا تعبدوا الا الله اي الذي له جميع الكمال قالوا اي الكفار لمرسلهم لو شاء
ربنا الذي ربانا احسن تربية اي يرسل الينا رسولا لانزل الينا ملائكة فارسلهم الينا
فارسلهم الينا بما يريده منا لكنه لم يرسل ملائكة فلم يشا ان يرسل رسولا فانا بما
اي بسبب ما ارسلتم به اي على زعمكم انكم رسل كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم
لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة
ابن ربيعة والله لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى
علي فاتاه فقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير
ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء
فكنت رئيسنا وان كنت تريد الباءة زوجناك عشرة نسوة تختارهن من اي بنات
قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستعين به على ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت
قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى ان بلغ قوله تعالى فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم
الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة
الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت الى
محمد واعجبك طعامه فان كان بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام
محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا
ولكني اتيته وقصصت عليه القصة واجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر

وقرا

وقرا السورة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
بفيه وناشدته الرحم حتى سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل
العذاب عليكم وفي رواية لمحمد بن كعب انه قال اني سمعت قرانا والله ما سمعت بمثله
قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بينكم وبين هذا الرجل
وبين ما هو فيه واعتزلوه والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم وان يظفر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس
به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا راي لكم فاصنعوا ما بدا لكم
ولما جمعهم الله فيما اجتمعوا فيه حتى كانهم تواصوا به فضل ما اختلفوا فيه فقال
مسببا عما مضى من مقالتهم فاما عاد اي قوم هود عليه السلام فاستكبروا اي طلبوا
الكبر واوجدوه في الارض اي كلها التي كانوا فيها بالفعل وغيرها بالقوة اي الكل بالفعل
لكونهم ملكوها كلها ثم بين كبرهم انه بغير الحق اي الذي يطابق الواقع ثم ذكر تعالى
سبب الاستكبار بقوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة وذلك ان هودا هددهم
بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام
طوال طول الطويل منهم اربعماية ذراع كما سياتي في سورة الفجر قال الله تعالى ردا
عليهم اولم يروا اي يعلموا علما هو كالمشاهدة ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما
الذي خلقهم ولم يكونوا شيا هو اشد منهم قوة ومن علم ان غيره اقوى منه وكان عاقلا
انقاد له فيما ينفعه ولا يضره وقوله تعالى وكانوا باياتنا يجحدون اي يعرفون
انها حق وينكرونها عطف على فاستكبروا فارسلنا اي بسبب ذلك على ما لنا
من العظمة عليهم ريحا اي عظيمة صرصرا اي شديدة البرد والصوت والعصوف
حتى كانت تجمد البدن ببردها فتكون كانها تصره اي تجمعه في موضع واحد
فتمنعه التصرف بقوته وتقطع القلب بصوتها فتقهر شجاعته وتخوف بشدة
بردها كلما مرت عليه وقوله تعالى في ايام نحسات اي مشومات جمع نحسة
من نحس نحسا نقيض سعد سعدا فهو نحس وقرا ابن عامر والكوفيون بكسر الحا
والباقون بسكونها فهو اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر قال الضحاك
امسك الله تعالى المطر عنهم ثلاث سنين وكانت الرياح عليهم من غير مطر روي ان
الايام كانت اخر شوال من الاربعا الى الاربعا قال البيضاوي وما عذب قوم الا
في يوم الاربعا وعن عبد الله ابن عباس انه قال الرياح ثمان اربع منها عذاب
وهي العاصف والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها رحمة وهي المبشرات
والناشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عباده
من الريح الا قدر خاتمي وفعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الخزي اي الذل والهوان
في الحياة الدنيا كما استكبروا في الارض بغير الحق فبذلوا عند من تعظموا عليه
في الدار التي اغتروا بها فتعظموا فيها فان ذلك ادل على القدرة عند من تقيد
بالوهم ولعذاب الاخرة اي الذي اعد للمتكبرين في الارض بغير الحق اخزى اي اشد
اهانة وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة وهم لا ينصرون اي لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه

BULAC

ولما انهى تعالى امر صاعقة عاد شرع في بيان صاعقة ثمود فقال تعالى وأما ثمود وهم قوم
صالح فهديناهم اي بينا لهم طريق الهدى من انا قادرون على البعث وعلى كل شيء فلا شريك
لنا وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان فابصروا ذلك بابصارهم التي هي سبب
ابصار بصائرهم غاية الابصار فكرهوا ذلك لما يلزمه من طريق ابائهم واقبلوا
على لزوم طريق ابائهم فاستحبوا اي اختاروا العمى اي الكفر على الهدى اي الايمان وقال
القشيري قيل انهم امنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم مجرى اخوانهم في الاستئصال
فان قيل اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى
وبمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله
في الدلالة المجردة اجيب بانه لما مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه
حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم اي بسبب ذلك اخذ قهر
وهوان صاعقة العذاب اي صاعقة من السما فاهلكتهم وابلغ في وصف العذاب
فجعله نفس الهوان فقال الهون اي ذي الهون اي الهوان وهو الذي يهينهم بما كانوا
اي دائما يكسبون امن شركهم وتكذيبهم صالحا عليه السلام ولما انهى تعالى الخبر عن الكافرين
من الفريقين اتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم
ونذارة لمن صد عنه فقال تعالى ونجينا اي بنجية عظيمة بما لنا من القدرة الذين امنوا
اي اوجدوا هذا الوصف من الفريقين وكانوا اي كونا عظيما يتقون اي يتجدد لهم هذا
الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على شيء بغير دليل فان قيل كيف يجوز للنبي
صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك
لا يقع في امته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع
اجيب بانهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة
وان السبب الموجب للعذاب واحد ربما يكون العذاب النازل من جنس ذلك العذاب
وان كان اقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف ولما بين تعالى كيفية عقوبة اولئك
الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر
والتحذير فقال تعالى ويوم اي اذكر يوم يحشر اي يجمع بكرة بامر قاهر لا كلفة فيه
اعداء الله اي الملك الاعظم الى النار وقرا نافع بنون مفتوحة وضم الشين ونصب
اعدا على البنا للفاعل وهو الله تعالى والباقون بيا الغيبة مضمومة وفتح
الشين على البنا للمفعول ورفع اعدا لقيامه مقام الفاعل وجه الاولى انه
معطوف على نجينا فحسن ان يكون على وفقه في اللفظ ووجه الثاني موافقة
قوله تعالى فهم اي بسبب حشرهم يوزعون اي يساقون ويدفعون الى النار وقال
قتادة يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم
توالهم ولما بين تعالى اهانتهم بالوزع بين غايتها بقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها
اي جاؤا النار التي كانوا بها يكذبون فما زائدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور
كما قال تعالى شهد عليهم وبين الشاهد وعدده بقوله تعالى سمعهم وافرده
لتفاوت الناس فيه وابصارهم وجمعها لعظيم التفاوت فيها وجلودهم بما كانوا يعملون

اي

اي يجددون عمله مستمرين عليه تنبيه في كيفية تلك الشهادة ثلاثة اقوال اولها ان الله
تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه
تعالى يخلق في تلك الاعضا الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان تظهر
في تلك الاعضا احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات
تسمى شهادات كما يقال ليشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه فان قيل
ما السبب في تخصيص هذه الاعضا الثلاثة بالذكر مع ان الحواس الخمسة وهي السمع
والبصر والشم والذوق واللمس اجيب بان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان
ادراك الذوق انما يتاتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم
لا يتاتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في جنس اللمس
وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات
كما قال لا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال تعالى او جا احد منكم من الغايط
والمراد قضا الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه
وعلى هذا التقدير تكون الاية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا
انما تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الانفس من عملهم
وعن انس ابن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل
هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول
يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا
مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين البررة عليك
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين
الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا اي الكفار الذين
يحشرون الى النار لجلودهم مخاطبين لها مخاطبة العقلا لما فعلت فعل العقلا
لم شهدتم علينا مع انا كنا نحاجج عنكم قالوا مجيبين لهم معتذرين انطقنا
الله الذي انطق كل شيء اراد نطقه على وجه لم يقدر على التخلف عنه فليس بعجب
من قدرة الله الذي له مجامع العز وهو خلقكم اول مرة والعلم القطعي حاصل عندكم
بانكم كنتم عدما ثم نطقا لا تقبل النطق في مجاري العادات بوجه ثم طوركم في ادوار الاطوار
كذلك الى ان اوصلكم الى حيز الادراك فقسركم على النطق بحيث لو اردتم تسليه عن
انفسكم ما قدرتم واليه لا الى غيره ترجعون فينبئكم بما كنتم تعملون تنبيه اختلف
في قوله تعالى وهو خلقكم الاية فقيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي
بعده وموقعه تقريب ما قبله بان القادر على انشائكم ابتدا واعادتكم بعد الموت
احيا قادر على انطاق جلودكم واعضائكم وما كنتم تستترون اي عند ارتكابكم الفواحش
خيفة ان يشهد عليكم سمعكم والذي تكرير النافي فقال ولا ابصاركم جمع وافرد لما مضى
ولا جلودكم والمعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش
وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها
عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزا اصلا ولكن انما كان استتاركم لانكم ظننتم
بسبب انكار البعث جهلا منكم ان الله الذي له جميع الكمال لا يعلم اي في وقت من الاوقات

BULAC

كثيرا مما تعلمون وهو الخفيات من اعمالكم روى عن ابن مسعود قال كنت مستترا
باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيفان وقرشي او قرشيان وختنى كثير شحم
بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون الله تعالى يسمع ما نقول قال
الاخر يسمع ان جهرنا وقال الاخران كان يسمع اذا جهرنا سمع اذا اخفينا فذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون
الاية قتل الثقفي عبد ياليل وخشاء القرشيان ربيعة وصفوان ابنا امية
وقوله تعالى ذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله تعالى ظنكم بدل
منه وقوله تعالى الذي ظننتم بربكم نعت للبدل والخبر ارداكم اي اهلككم وفي هذا
تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه ان عليه لله
تعالى عينا كالية ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلوته من ربه اهيب
واحسن احتشاما واوفر تحفظا ونصور امنه مع الملا ولا ينبسط في مسرم من افنه
من التشبه بهؤلاء الظانين ولما كان الصباح محل رجا الافراح فكان شر الانزاح
ما كان فيه قال تعالى فاصبحتم اي بسبب ما اعطيتموه من النعم لتستنفدوا
انفسكم به من الهلاك كان يشبث هلاككم من خاسرين اي العريقين في الخسارة المحكوم
بخساراتهم في جميع ذلك اليوم قال المحققون الظن فسمان احدهما حسن والاخر
فاسد فالحسن ان يظن بالله تعالى الرحمة والمغفرة والاحسان قال صلى الله عليه وسلم
عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله والظن الفاسد ان يظن ان الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال
قتادة الظن ظنان منجي ومردي فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله
تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمردي هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فان يصبروا فالنار مثوى اي منزل لهم اي ان مسلوا عن الاستقالة فليس لهم تنفس وبنا
لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاما بهم وان يستعتبوا اي يسالوا الاعتبى وهي الرجوع
لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين اي المجابين اليها ونحوه قوله عز
وجل اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ولما ذكر وعيدهم في الدنيا والاخرة اتبعه سبب
كفرهم الذي هو سبب الوعيد فقال تعالى وقيضنا فاليقاتل هيانا وقال الزجاج
سببنا لهم اي الكفرة واصل التقييض التيسير والتهيئة قرنا اي نظرا من الشياطين
تقال قيضته للدواهيته له وبسرته وهذا ان تولان قيضان اي كل منهما مكافي للاخر
في الشر في قوله تعالى جمع قرين قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين فزينوا لهم اي من القبايح ما بين ايديهم اي من امر الدنيا حتى اثروها على الاخرة
وما خلفهم اي من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب وانكار البعث وقال الزجاج زينوا
لهم ما بين ايديهم من امر الاخرة انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا
بان الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبايع والافلاك قال القشيري اذا اراد الله
تعالى بعبد شوا قيض له اخوان شوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه
اليها ومن ذلك الشيطان وشرمنه النفس وليس للعبد من يدعوه الى ما فيه من الهلاك
ويشهد عدا عليه واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة

ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد
الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه
عنده وعن عايشة اذا اراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه وان اراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره واذكر لم يعنه وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة
الا كانت له بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه
عليه والمعصوم من عصمه تنبيه في الاية دلالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافرين
لانه تعالى قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر
ولكن لا يرضاه كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وحق اي وجب وثبت عليهم
القول اي كلمة العذاب وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي
بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وقوله تعالى في امم محله نصب
على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم كثيرة وقيل في بمعنى
مع قد خلت اي لم تنقطع امة منهم بالاخرى من قبلهم اي في الزمان من الجن والانس
وقد علموا مثل اعمالهم وقوله تعالى انهم اي جميع المذكورين منهم ومن قبلهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب بمثل قوله تعالى وقال الذين كفروا اضلونا وقالوا
اي المعرضون ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذي اوجب اعراضهم لا تسمعوا
اي شيئا من مطلق السماع لهذا القرآن وعبسوه بالاشارة احتراز اعن غيره
من الكتب المقدسة كالتوراة قال القشيري لانه مقابل المغلوب وكل من استمع
له صغا اليه والغوا اي اهذوا فيه اي اجعلوه ظرفا للغو بان يكثروا من الخوض
والهذيان واللغط بالمكاء والتصدية اي الصفير والتصفيق وغيرهما
وقال ابن عباس كان بعضهم يغني فيشتم بعضا اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه
بالرجز والشعر واللغو اي وهو من لغى بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة
فيه لعلكم تغلبون اي ليكون حالكم حال من يرجى له ان يغلب ويظفر بمراده
في ان لا يميل اليه احد وينسى ما كان يقوله وهذا يدل على انهم عارفون
بان من يستمعه ولا هذى عنده يمال اليه وانبل بكليته عليه وقد فطحوا انفسهم
بهذا فضيحة لا مثل لها فلنذيقن الذين كفروا اظهر في موضع الاضمار اذ اصله
فلنذيقنهم لكفرهم تعميما وتعليقا بالوصف عذابا شديدا في الدنيا بالجرمان وما
يتبعه من فنون الهوان وفي الاخرة بالنيران ولنجزينهم اي باعمالهم اسوا اي جزاء
اسوا افعالهم الذي كانوا يعملون اي مواظبين عليه ذلك اي الجزاء الاسوا العظيم
جدا جزاء اعداء الله اي الملك الاعظم ثم بينه بقوله تعالى النار وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية المفتوحة واوا خالصة والباقون
بتحقيقها وابدالها في الابتدا الثانية فالجميع بالتحقيق ثم فصل بعض ما في النار
بقوله تعالى لهم فيها اي النار دار الخلد اي فانها دار اقامتهم قال الزمخشري
فان قيل ما معنى قولك لهم فيها دار الخلد قلت معناه ان النار هي نفسها
دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي الرسول هو

BÜLAC

نفس الاسوة وقال البيضاوي كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها
على ان المقصود هو الصفة قال ابن عادل وفي هذا نظر اذ الظاهر وهو معنى صحيح
منقول ان في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها انتهى وهذا اولى وقوله تعالى
جزاء منصوب بالمصدر الذي قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله
تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا بما كانوا بآياتنا اي على ما لنا من العظمة يجحدون
اي يلفون في القراءة ويسماه جحدا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز
خافوا من انه لو سمعه الناس لامنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك
يدل على انهم علموا كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا ولما بين تعالى ان الذي حملهم
على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون في النار بقوله
تعالى وقال الذين كفروا اي غطوا انوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة
في عقوبتهم وحكايته لنا وعظ وتحذير ربنا اي ايها الذي لم يقطع قط احسانه
عنا ارنا الصنفين اللذين اضلانا اي عن المنهج الموصل الى محل الرضوان من الجن
والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الانس والانس وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
وقيل هما ابليس وقابيل ابن آدم الذي قتل اخاه لان الكفر سنة ابليس والقتل
بغير حق سنة قابيل فهما سنا المعصية وقرأ ابن كثير والسوسي وابن عامر
وشعبة بسكون الراء من ارنا واختلس الدوري كسر الراء وكسرها الباقون وشدد
ابن كثير النون من اللذين نجعلهما تحت اقدامنا في النار اذلالا لهما كما جعلانا
تحت امرهما ليكونا من الاسفلين قال مقاتل اسفل منا في النار وقال
الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل اي من اهل الدرك الاسفل وممن هو دوننا
كما جعلانا كذلك في الدنيا في حقيقة الحال تأتيا عنا لهما وقال بعض الحكماء
المراد باللذين يضلان الشهوة والغضب والمراد نجعلهما تحت اقدامهم كونهما
مسخرين للنفس مطيعين لها وان لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين لها ولما ذكر
تعالى الوعيد اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى ان الذين قالوا
اي قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لداعي الله
تعالى في الدنيا ربنا اي المحسن الينا الله اي المختص بالجلال والاكرام وحده لا شريك
له وثم في قوله تعالى ثم استقاموا لتراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات
على التوحيد ومصححاته الى الممات امر في علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي
الجلال والاكرام سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال ان لا يشرك بالله
تعالى شيئا وقال عمر الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي ولا يروغ روغان
الثعلب وقال عثمان اخلصوا العمل لله وقال علي ادوا الفرائض وقال ابن
عباس استقاموا على اداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على امر الله تعالى
بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا
اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم
ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول

الله

الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال ابو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة اذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وهي ألا تخافوا قال مجاهد لا تخافون على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطا ابن رباح لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فاني اغفرها لكم والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن يذوقوه ابدا انتبه يجوز في ان تكون المخففة او المفسرة او الناصبة والا ناهية على الوجه من الاولين ونافية على الثالث وابشروا اي املوا اضدادها وركب سروريا نظيرا لتركيب بشرى لتماثل الوجه وتتمة سائر الحمد بالجنة التي اي كونا عظيما على السنة الرسل توعدون اي تتحدد لكم ذلك كل حين بالكتب والرسل تنبيه فيما ذكر دلالة على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا من الاهوال والفزع الشديد فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع فما اذا اخبر الشخص بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني اخبارا لا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة اجيب بان المؤمن قد يسمع بشارات الخير ولم يعلم بان الجنة فيكون ذلك بشارة اما اذا علم انه من اهل الجنة فاخبار بني فانه اذا تسمع هذا الكلام من الملائكة فانه يكون اخبارا ولما اتتهم الملائكة بالخير وتلقوا عنهم الخبر علموه بقولهم نحن اولياؤكم اي اقرب الاقربا اليكم فنحن نفعل معكم كل ما يمكن ان يفعله القريب في الجنة تحلب لكم المسرات وتدفع عنكم المضرات وتحملكم على جميع الخيرات فنوفقكم من المشام وتحملكم على الصلاة والصيام وتبعدكم عن الاثام صدما يفعله الشياطين معم اوليائهم ولكن لا ترون كذلك حيث ينقادى الاخلاء الا الاتقياء قال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة اي لا نفارقكم حتى لا يبقى احد يدخل الجنة ولكم فيها اي الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذايذ لاجل ما منعتموها من الشهوات في الدنيا ولكم فيها اي الاخرة ما تدعون اي ما تتمنون من الدعا بمعنى الطلب وهو اعم من القول وقوله تعالى نزلا حال مما تدعون اي هذا كله يكون لكم كما تقدم الى الضيف عند قدومه الى ذويه ما يضاف اليه اما ما تعطون فهو مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولما كان من حوسب عذب فالمريد دخول احد الجنة الا رحمة الله اشار الى ذلك تعالى من اي كائنا ذلك النزل من غفور له صفة المحو للذنوب

عينا واثرا على غاية لا يمكن وضعها رحيم اي بالغ الرحمة وهو الله تعالى واختلف في تفسير
قوله تعالى ومن احسن قولا اي من جهة القول ممن دعا الى الله اي الذي عم بصفات
كماله جميع الخلق فقال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى
الى شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي اجاب الله تعالى في دعوته
ودعى الناس الى ما اجاب اليه وعمل اي والحال انه قد عمل صالحا في نفسه ليكون
ذلك امكن لدعائه وقال انني من المسلمين تفاخرا به وقاطعا لطمع المفسد فيه
وقال عكرمة هو المؤذن وقالت عائشة ان هذه الاية نزلت في المؤذنين وقال
ابو امامة الباهلي وعمل صالحا ركعتين بين الاذان والاقامة وعن عبد الله
ابن مغفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة ثلاث مرات
ثم قال في الثالثة لمن شاء وعن انس ابن مالك قال الدعاء بين الاذان والاقامة
لا يرد ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو
والاساءة في الجزاء وحسن العاقبة تنبيه في لا النافية وجهان احدهما انها زائدة
للتاكيد كقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور لا استوى لا يكتفى بواحد الثاني انها مؤسسة
غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس اي لا تستوي الحسنات في انفسها فانها
متفاوتة ولا تستوي السيئات ايضا فرب واحدة اعظم من اخرى وهو ماخوذ من كلام
الزمخشري ادفع اي كلما يمكن ان يضرك من نفسك ومن الناس بالتي اي الخصال والاحوال
التي هي احسن على قدر الامكان من الاعمال الصالحات فالعفو عن المسيء حسن والاحسان
احسن منه فاذا الذي بينك وبينه عداوة عظيمة فاجابه حالة كونه كانه ولي اي قريب
فاعل ما يفعله القريب حميم اي في غاية القرب لا يدع مهما الا قضاه وسهله ويسره
وينفي علله وقرب بعدوه وازال درنه كما يزيل الماء الحار الوسخ وقيل نزلت في ابي
سفيان ابن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا
مصافيا ثم نبه تعالى على عظيم فضل هذه الخصلة بقوله تعالى وما يلقاها اي
على ما هي من العظمة الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل
النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم اي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة
وقوله تعالى واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة ينزغنك من الشيطان
نزغ قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبيه النخس والشيطان ينزغ
الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغ كما قيل جد جده
او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك
الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله اي استجر بالملك
الاعلى من شر الشيطان واطلب من الله الدخول في عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شانك
ولا تطعه وتوكل على الله تعالى انه هو اي وحده السميع اي السميع لكل مسموع من استعاذة ذلك
العليم اي بكل معلوم من نزغه وغيره فهو القادر على رد كيده وتوهين امره ثم
استدل على ذلك بقوله تعالى ومن اياته الدالة على وحدانيته وانه سميع عليم الليل
والنهار اي الدالان باختلافهما وهيئتهما على قدرته على البعث وكل مقدور
وقدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم

سابق

سابق على الوجود والشمس والقمر اللذان هما الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر لكثرة
نفعها ولما ثبت انه تعالى المتفرد بالخلق قال سبحانه لا تسجدوا للشمس التي هي
من اعظم اوثانكم واعاد النافي تاكيدا فقال ولا للقمر فانهما دالان على وجود
الاله مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم
وهو لا يليق الا بالذي اوجدهما من العدم كما قال تعالى واسجدوا لله اي الذي له
كل كمال من غير شائبة نقص واختلف في عود الضمير في قوله تعالى الذي خلقهن
على اوجه اولاها رجوعه للايات الاربع كما جرى عليه الجلال المحلي وقيل يرجع
لليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى
والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن وناقشه ابو حيان من حيث انه لم يفرق
بين جمع القلة والكثرة في ذلك لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث
وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع
كسرتها واجاب بعضهم بان الزمخشري ليس في مقام بيان الفصيح والافصح بل
في مقام كيف يجي الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة اشيا مذكرات وواحد مونث
والقاعدة تغليب المذكر على المونث وقال البغوي انما قال خلقهن بالتانيث لانه
اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المونث ولما ظهر
ان الكل عبيده وكان السيد لا يرضى باشراك عبده عبدا اخر في عبادة سيده قال
تعالى ان كنتم اياه اي خاصة بغاية الرسوخ تعبدون كما هو صريح قولكم في الدعا
في وقت الشدائد لا سيما في البحر وفي الاية اشارة الى الحث على صيانة الادميين عن
ان يقع منهم سجود لغيره رفعا لمقامهم عن ان يكونوا ساجدين لمخلوق بعد
ان كانوا سجودا لهم فانه تعالى امر الملائكة الذين هم من اشرف خلقه بالسجود لادم
وهم في ظهره فتكبر ابليس فابدلعنه الى يوم الدين فان استكبروا اي اوجدوا التكبر
عن اتباعك فيما امرتهم به من التوحيد فلم ينزهوا الله تعالى عن الشريك فالذين عند
ربك اي من الملائكة قال الرازي ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل يقال
عند الملك من الجند كذا وكذا ويدل عليه قوله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا
عند المنكسرة قلوبهم من اجلي يسبحون له بالليل والنهار اي دايما لقوله تعالى
وهم لا يسامون اي لا يملون ولقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون فان
قيل اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم من الاشتغال بساير الاعمال مع انهم
ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين
قاتلوا يوم بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اجيب بان الذين
ذكرهم الله تعالى ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة
تنبيه اختلف في مكان السجدة فقيل هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول
ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله
والصحيح عند الشافعي عند قوله تعالى وهم لا يسامون وهو قول ابن عباس وابن
عمر وسعيد ابن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده تم
الكلام ولما ذكر تعالى الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال تعالى

ومن آياته اي الدالة على قدرته ووحدانيته انك اي ايها الانسان ترى الارض
اي بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما ابصرت به خاشعة
اي يابسة لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت
قحطة لا نبات فيها كما وصفها باليهود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف
وصفها بالاهتزاز والربو كما قال تعالى فاذا انزلنا اي بما لنا من العظمة عليها الماء
من الغمام او غيره اهتزت اي تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة فكانت كمن يعالج
ذلك بنفسه وربت اي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجو
مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت
فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كانها بمنزلة المختال في زيه لما كانت
قبل ذلك كالذليل الكاسف التالي في الاظهار الرثة وقرا الشوسي ترى الارض في الوصل
بالامالة بخلاف عنه والباقون بالفتح وفي الوقف امالة محضة ابو عمرو وحمزة والكسائي
وورش بين بين والباقون بالفتح ثم استدل بذلك على القدرة على البعث فقال
ان الذي احياها اي بما اخرج من نباتها بعد ان كانت ميتة لمحيي الموتى كما فعل بالنبات
من غير فرق انه على كل شيء قدير فهو قادر على احياء الارض بعد موتها وعلى احياء
هذه الاجساد بعد موتها لان الممكنات بالنسبة الى القدرة متساوية فالقادر
قدرة تامة على شيء منها قادر على غيره ثم انه تعالى هدد من يجادل في اياته بالقاء
الشبهات فيها بقوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا اي القران على ما لها من العظمة
بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغاء فيها وقرا حمزة بفتح اليا والحا من لحد
والباقون بضم اليا وكسر الحا من لحد يقال لحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة
يحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال
مجاهد يلحدون في اياتنا بالمكا والتصدية واللغو والغلط وقال السدي يعاندون
ويشاقون لا يخفون علينا اي في وقت من الاوقات ونحن قادرون على اخذهم
متى شئنا اخذنا ولا يعجل الا ناقص يخشى الفوت قال مقاتل نزلت في ابي جهل
وقوله تعالى افمن يلقى في النار اي على وجهه بايسر امر خير ام ياتي امنا يوم القيامة
استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الايات يلقون
في النار وان المومنين بالايات ياتون امنين يوم القيمة حين يجمع الله تعالى عباده
للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل قال البغوي قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار
ابن ياسر فايدة ام من في الرسم مقطوعة وقوله تعالى اعملوا ما شئتم اي فقد علمتم
مصير المسيء والمحسن تهديد شديد فمن اراد شيئا من الجزائين فليعمل اعماله فانه
ملاقيه وقوله تعالى انه بما تعملون اي في اي وقت بصير اي عالم باعمالكم فيه وعيد
بالمجازاة وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر اي القران لما جاءهم اي يجازيهم بدل
من قوله تعالى ان الذين يلحدون او مستانف وخبر ان محذوف مثل معاندون
او هالكون او اولئك ينادون ولما بالغ تعالى في تهديد الملحدين في ايات القران
اتبعه ببيان تعظيم القران فقال تعالى وانه اي والحال انه لكتاب اي جامع
لكل خير عزيز اي لا يوجد مثله فهو كثير النفع عديم النظير يغلب كل شيء ذكر ولا

ولا يغلبه

ولا يغلبه ذكر ولا يقرب من ذلك ويعجز كل معارض ولا يعجز عن اقعاد مناهض وقال الكلبي
عن ابن عباس كريم على الله وقال قتادة اعزه الله تعالى لا يأتيه الباطل لانه ممتنع
بمتانة وصفه وجزالة نظمه وحلاوة معانيه فلا يلحقه تغيير من بين يديه ولا من خلفه
اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات لان قدام اوضح ما يكون وما خلف اخفى
ما يكون فما بين ذلك من باب الاولى فالعبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعالى
لا وراء لها ولا امام على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرمى ولا دون الله
تعالى منتهى وقال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد
فيه او ينقص منه وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل
من بين يديه او يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا فمعنى الباطل الزيادة
او النقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يأتي بعده كتاب
فيبطله ثم علل ذلك بقوله تعالى تنزيل اي بحسب التدريج لاجل المصالح من حكيم
اي بالغ الحكمة فهو يضع كل شيء منه في اتم محاله في وقت النزول وسياق النظم حميد اي
بالغ الاحاطة باوصاف الكمال من الحكمة وغيرها والتطهر والتقدس عن كل شائبة
نقص يحمده كل خلقه بلسان حاله ان لم يحمده بلسان قاله فان قيل اما طعن فيه الطاعنون
وتاوله المبطلون اجيب بان الله تعالى حماه عن تعلق الباطل به بان قيض قوما
عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول
مبطل الا مضمحلا ونحو هذا قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ثم سلى نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما يقال لك اي من الكفار او من غيرهم لك يا اكرم الخلق
مما يحصل به ضيق صدر او تشويش فكر الا ما اي شيء قد قيل اي حصل قوله على ذلك الوجه
للرسل من قبلك فصبروا على ما اذوا فاصبر كما صبروا ان ربك اي المحسن اليك بارسالك
وانزال كتابك ومن تكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يحزن لشيء يعرض له لذو مغفرة اي لمن تاب
وامن بك وذو عقاب اليم اي مولم لمن اصر على التكذيب وعلى هذا فقوله تعالى ان ذلك
الاية مستانف وقيل مفسر للمقول كانه قيل قيل للرسل ان ربك لذو وجرى على ذلك
الزمخشري ونزل جوابا لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم ولو جعلناه اي هذا الذكر بما لنا
من العظمة قرآنا اي على ما هو عليه من الجمع اعجميا اي لا يفصح لقالوا اي هؤلاء المتعنتون
لولا اي هلا ولم لا فصلت اي بينت آياته حتى يفهمها وقولهم أأعجمي اي اقرآن اعجمي
ونبي عربي استفهام انكار منهم وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل على يسار غلام عامر ابن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال
المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار هو يعلمني
فانزل الله تعالى هذه الاية وقرا قالون وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل
الثانية وادخال الف بينهما وورش وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل الثانية
ولا ادخال واسقط هشام الاولى والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل هو اي هذا القرآن للذين آمنوا اي اردنا وقوع الايمان منهم
هدى اي بيان لكل مطلوب وشفاء اي لما في صدورهم من داء الكفر والهوى
وقيل من الاوجاع والاسقام متعلق كما قال الرازي بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة

مما تدعونا اليه الاية كانه قال تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلت اليكم بلغتكم لا بلغة
اجنبية عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة
فكل من اعطاه الله تعالى طبعا ما يدله الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق قال هذا
القرآن يكون في حقه هدى وشفاء واما من عرف في بحر الخذلان ويشتغل
بمتابعة الشيطان مهوف في ظلمة وعمى كما قال تعالى **والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر**
اي ثقل فلا يسمعون بسماع ينفعهم **وهو عليهم عمى** فلا يبصرون الداعي حق لانصاره
قال الرازي وكل من انصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه اولى مما ذكروه
اي من انه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من اولها الى اخرها كلاما واحدا
منتظما منسوقا بعضه على بعض لغرض واحد انتهى والمعنى ان بعد هم عن قبول ما يدعوهم اليه وطردهم عن قبوله
قال تعالى **اولئك** اي البعد البعيد **ينادون** اي ينادي بهم من يريد نداءهم
من مكان بعيد اي هم كالمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي به **ولقد اتينا**
موسى الكتاب اي التوراة **فاختلف** اي وقع الاختلاف **فيه** وحد لعلقه بما قبله
اي على ما تعلم الغلمة **موسى الكتاب** فقبله بعضهم ورده اخرون فلذلك اتينا هذا
كانه قيل انا كما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم ورده اخرون وهم الذين يقولون في قلوبنا اكنة مما
تدعونا اليه **ولولا كلمة** وارادة **سبقت** في الازل **من ربك** اي المحسن اليك بتاخير الحساب
والجزاء للخلائق الى يوم القيامة **لقضي بينهم** اي في الدنيا فيما اختلفوا فيه من امر
المظلوم من ظالمه قال تعالى بل الساعة موعدهم ولكن تؤخرهم الى اجل مسمى **وانهم**
اي المكذبين به **لفي شك** اي محيط بهم **منه** اي القضاء الفصل **مريب** اي موقع في الريب
وهو التهمة والاضطراب بحيث لا يقدرون على التخلص من دائرته اصلا
ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم **من عمل صالحا** كائنا من كان
فلنفسه اي فنفع عمله لها لا لاحد تنفدها والنفس فقير الى التزكية
بالاعمال الصالحة لانها تحمل النقائص قلد اعرض **ومن اساء** في عمله **فعليها** اي
على نفسه خاصة ليس على غيره منه شيء فيخفف عن نفسك اعراضهم فانهم ان منوا
فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه
وتعالى يوصل الى كل احد ما يليق به من الجزاء **وما ربك** اي المحسن اليك بارسالك
لتتميم مكارم الاخلاق **بظلام** اي بذي ظلم **للعبيد** اي بهذا الجنس قلا ينصور
ان يقع ظلم لاحد منهم اصلا لانه الغني المطلق والحكمة البالغة **اليه** اي المحسن اليك
لا الى غيره **يرد علم الساعة** اي لا سبيل الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه
الا الله تعالى ولذلك العلم بحدوث الحوادث المستغلة في اوقاتها الغيبة
ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله تعالى
وما تخرج من ثمرة اي في وقت من الاوقات وقرا نافع وابن عامر وحفص
بالف بعد الراء جمعا والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى **من اكمامها** جمع
كم وكمامة قال النضر هي ما يغشى الثمر مخشوشبا باليبس فيهما وهو وعاء الطلع وكل ما غطى
عما وجه الاحاطة شيء من شانه ان يخرج فهو كم وقال الزاغب الكم ما يغطى اليد
من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم الكاف اذ جعله

مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم فيجوز ان يكون في وعا
الثمرة لغتان دون كم القميص جمعا بين القولين والمثال الثاني قوله تعالى
وما تحمل من انثى حملا ناقصا او تاما واكد النفي باعادة النافي ليشهد كل على حياله
ولا تضع حملا حيا او ميتا الا حال كونه ملتبسا بعلمه ولا علم لاحد غيره بذلك
ومن ادعى علما به فليخبر بان ثمرة الحديقة الفلانية والبستان الفلاني
والبلد الفلاني تخرج في الوقت الفلاني او لا تخرج العام شيا اصلا والمراة
الفلانية تحمل في الوقت الفلاني وتضع في وقت كذا او لا تحمل العام شيا
ومن المعلوم انه لا يحيط بهذا علما الا الله تعالى فان قيل قد يقول الرجل الصالح
من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون اجيب
بان اصحاب الكشوف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم
عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع
والجزم في شي مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعا ظن ضعيف قل ما يصيب
وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشاركه فيه احد جل وعلا
ويوم يناديهم اي المشركين بعد بعثهم من القبور للفصل بينهم في ساير الامور
اين شركاي اي الذين زعمتم انهم يشفعون لكم في هذا اليوم ويحمونكم من العقاب
واللوم قالوا اي المشركون اذناك اي اعلمناك ما منا واكدوا النفي بادخال الجار
في المبتدا فقالوا من شهيد اي يشهد ان ذلك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبروا
من الاصنام وقيل معناه ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت
عنهم الهتهم فلا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هذا كلام الاصنام كان
الله تعالى يحييها وانها تقول ما منا من احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة
وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
وهو معنى قوله تعالى وضل اي ذهب وغاب وخفي عنهم ما كانوا اي دايما يدعون
في كل حين على وجه العبادة من قبل فهم لا يرونه فضلا عن انهم يجدون نفعه
وظنوا اي في ذلك الحال ما لهم وابلغ في النفي بادخال الجار على المبتدا المؤخر فقال
من محيص اي مهرب وملجا ومعدل ولما بين تعالى من حال هولا الكفار انهم بعد
ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركا والاضداد لله تعالى في الدنيا
تبروا عن تلك الشركا في الاخرة بين تعالى ان الانسان في جميع الاوقات متغير
الاحوال فان احسن بخير وقدرة تعاظم وان احسن ببلا ومحنة ذل بقوله تعالى
لا يسام اي يمل ويعجز الانسان اي الانس بنفسه الناظر في اعطافه الذي لم يتاهل
للمعارف الالهية والطرق الشرعية من دعا الخير اي لا يزال يسال ربه المال والصحة
وغيرهما وان مسه الشر اي من فقر وشدة وغيرهما فيؤس من فضل الله تعالى
قنوط من رحمة الله تعالى والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهي الى درجة
الا ويطلب الزيادة عليها وفي حال الادبار والحرمان يصير الينا قانطا وهذا
صفة الكافر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون تنبيه
في قوله تعالى يؤس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق فعول والثاني

من طريق التكرر واليأس من صفة القلب والقنوط ان تظهر آثار اليأس في الوجه
والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذي صار اليسا قانطا بقوله تعالى
ولئن اللام لام قسم اذقناه اي اتينا ذلك الانسان رحمة اي غنا وصحة منا اي بما لنا
من العظمة والقدرة من بعد ضرا اي شدة وبلا مسته فانه ياتي بثلاثة اوجه
انواع من الاقاويل الفاسدة الموجبة للكفر والبعد من الله تعالى الاول منها
ما حكاه الله سبحانه عنه بقوله تعالى ليقولن بمجرد ذوق تلك الرحمة على انها
ربما كانت بلا عظيما لكونها استدراجا الى الهلاك هذا الامر العظيم لي مختص
بي وصل الي لاني استوجبه بعلمي وعملي ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله
تعالى شيا لانه ان كان عاريا من الفضايل فكلامه ظاهر الفساد وان كان
موصوفا بشي من الفضايل والصفات الحميدة فهي انما حصلت بفضل الله واحسانه
النوع الثاني من كلامه الفاسد قوله وما اظن الساعة اي القيمة قايمة
اي ثابتا قيامها فقطع الرجا منها سوا اعبر عن ذلك بلسان قاله او بلسان حاله
لكونه يفعل افعال الشك فيها النوع الثالث من كلامه الفاسد قوله
ولئن اللام لام قسم رجعت اي على سبيل الفرض اي ان هذا الكافر يقول
لست على يقين من البعث وان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي اي الذي
احسن الي بهذا الخير الذي انا فيه ان لي عنده للحسنى اي الحالة الحسنى من الكرامة
وهي الجنة كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الاخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى فلنذيقن اي فلنخبرن الذين كفروا اي ستروا
ما دلت عليه العقول وصرايح النقول من اقامة الساعة بما عملوا لا ندع منه كثيرا
ولا قليلا صغيرا ولا كبيرا فليرون عيانا ضد ما ظنوه في الدنيا من ان لهم الحسنى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ابن عباس لنقفنهم على
مساوي اعمالهم ولنذيقنهم اي بعد اقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل
الذر من عذاب غليظ اي شديد لا يدع جهة من اجسامهم الا احاطها ولما حكى
الله تعالى اقوال الذي انعم عليه بعد وقوعه في الاوقات حكى افعاله ايضا فقال
واذا انعمنا اي بما لنا من العظمة على الانسان اي الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا
اعرض اي عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ونأى اي ابعد نفرا جعل
بيننا وبينه حجابا عظيما بجانبه اي ثنى عطفه متبخترا واذا مسه الشر اي هذا
النوع قليله وكثيره فذو دعاء اي في كشفه وربما كان نعمة باطنة وهو لا يشعر ولا
يدعو الا عند المس وقد كان ينبغي له ان يشرع في الدعا عند التوقع بل قبله تعرفا
الى الله تعالى في الرخا ليعرفه في الشدة وهو خلق شريف لا يفعله الا افراد خصهم
الله تعالى بلطفه عريض اي مديد العرض جدا واما طوله فلا يسال عنه وهذا
كناية عن النهاية في الكثرة تقول العرب اطال فلان الدعا واعرض اي اكثر
ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل اي لهولا المعرضين ارايتم
اي اخبروني ان كان اي هذا القران من عند الله الذي له الاحاطة بجميع صفات
الجلال والجمال ثم كفرتم به اي من غير نظر واتباع دليل من اضل منكم هكذا كان

الاضل

الاصل ولكنه قال ممن هو في شقاق اي خلاف اي لاولياء الله تعالى بعيد اي عن الحق
تنبيها على انهم صاروا كذلك ومن صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم
بالبلاء والامراض وقال قتادة يعني وقايع الله تعالى في الامم الخالية وفي انفسهم
يوم بدر وقال مجاهد في الافاق ما يفتح الله من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم
وفي انفسهم فتح مكة وقال عطا في الافاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس
والقمر والنجوم وافات الليل والنهار والاضوا والظلال والظلمات والنبات
والاشجار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة وكيفية تكوين الاجنة في ظلمات
الارحام وحدوث الاعضا العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون تنبيه قال النووي في تهذيبه قال اهل اللغة الافاق النواحي
الواحد افق بضم الهمزة والفا وافق باسكان الفا ولما كان التقدير ولا يزال يكرر
عليهم هذه الدلايل بل عطف عليه حتى يتبين لهم غاية البيان بنفسه من غير اعمال
فكر انه اي القران الحق اي الكامل في الحقية الذي يطابق الواقع المنزل من الله تعالى
بالبعث والحساب والعذاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجاي به وقيل الضمير في انه
لدين الاسلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم اولم يكف بربك اي المحسن اليك بهذا
البيان المعجز للانس والجن شهادة بان القران من عنده تنبيه الباء زايدة للتاكيد
لانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى وقوله تعالى انه
على كل شيء شهيد بدل من ربك والمعنى اولم يكفهم في صدقك ان ربك لا يغيب عنه
شيء ما وقد شهد لك فيه باعجازه لجميع الخلق بكل ما تضمنته اياته ونطقت به كلماته
ففيه اعظم بشارة بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولما لم يبق بعد هذا لمتعنت
مقال ولا شبهة اصلا لضال قال تعالى مناديا على من استمر على عناده الا انهم اي
هولا الكفرة في مرية اي جحد وجدال وشك وضلال عن البعث من لقاء ربهم اي المحسن اليهم
بان خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم قرر كونه قادرا على البعث وغيره بقوله تعالى
الا انه اي هذا المحسن اليهم بكل شيء اي من الاشيا جملتها وتفصيلها كلياتها وجزئياتها
اصولها وفروعها عينها وشهادتها ملكها وملوكها محيط قدرة وعلما من كثير الاشيا
وقليلها كلها وجزئها فيجازيهم بكفرهم وقول البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات حديث موضوع

سورة حم عسق مكية

سورة حم عسق وتسمى عسق والشورى مكية وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية
وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا بسم الله الذي
احاط بصفات الكمال الرحمن الذي عمت رحمته سائر عباده الرحيم الذي خص اولياءه بما ترضاه
الهيته من رحمته وقوله تعالى حم عسق تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح
وسئل الحسن ابن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سورة اوايلها
حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدا ايتين واخواتها مثل
كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص
واخواتها انها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز

الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم اي قضى ما هو كائن روى عكرمة عن ابن عباس
انه قال ح حلم م مجد ع علم س سناؤه ق قدرته اقسم الله تعالى بها وقال
شهر بن حوشب وعطاء بن ابي رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش
م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سني تكون فيهم ق قدرة
الله تعالى النافذة في خلقه وروى عن ابن عباس انه قال ليس من نبي صاحب كتاب
الا وحيث لمحمد عشق فلذلك قال تعالى كذلك اي مثل هذا الايحاء العظيم الشان
يوحي اليك اي ما دمت حيا لا ينقطع في ذلك عنك واليك واوحى الى الذين من قبلك
اي من الرسل الكرام والانبياء الاعلام ومن جملة ما اوحي اليهم ان امتك اكثر الامم وانك
اشرف الانبياء واخذ على كل منهم العهد بانباعك وان يكونوا من انصارك واتباعك وقوله
تعالى الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال فاعل الايحاء لما كان تعود الامر دائرا على العزة
والحكمة قال تعالى العزيز اي الذي يقلب كل شيء الحكيم اي الذي يصنع ما يصنعه في اتقن نحو اله
فلاجل ذلك لا يقدر احد على نقض ما ابرمه ولا نقض ما احكمه تنبيه ما تقرر من ان الله
فاعل الايحاء هو على قراءة كسر الحاء من يوحي وبني قراءة غير ابن كثير واما على قراءة ابن كثير بفتح
الحاء فيجوز ان تترفع بفعل مضمر كانه قيل من يوحيه فقيل الله يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال ويجوز ان ترتفع بالابتداء وما بعده خبره والجملة قائمة مقام الفاعل وان يكون العزيز
الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله تعالى له ما في السموات اي من الذوات والمعاني
وما في الارض كذلك خبرا اولا وثانيا على حسب ما تقدم في العزيز الحكيم قال الزمخشري
لم يقل تعالى اوحى اليك ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاءه
عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على الاشياء لانها نهاية لكونه حكيما يدل على كونه عالما
بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يدل
على كونه متصفا بالقدرة الكاملة النافذة في احرز السموات والارض على عظمها وسعتها بالايجاد
والاعدام وان ما في السموات والارض ملكه وملكه ولما كان العلو مستلزما للقدرة قال
تعالى وهو العلي اي على كل شيء علو رتبة وعظمة ومكانة لا علو مكان وقيل بعد العظيم القدر
والقهر والاستغلاء وقوله تعالى تكاد السموات قراءة نافع والكسائي بالياء التحتية
والباقون بالفوقية وقوله تعالى يتفطرن اي يتشققن قراءة شعبة وابو عمرو بعد
الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففة والباقون بعد الياء تاء فوقية مفتوحة وفتح
الطاء مشددة وقوله تعالى من فوقهن في ضميره ثلاثة اوجه احدها انه عائد على السموات
اي كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ومن قول المشركين اتخذ
الله ولدا كما في سورة مريم اي يبتدئ انفطارهن من هذه الجهة ثم لابتداء الغاية
متعلقة بما قبلها الثاني انه تعود على الارضين لتقدم ذكرهما الثالث انه يعود
على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير قال الزمخشري كلمة الكفر
اي على التغليب الثاني ما جاء من الذم تحت السموات فكان القياس ان يقال
تنفطرن من تحتهن اي من الجهة التي تحت جاءت الكلمة لكن بولغ في ذلك فجعلت موترة
من جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي
تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به

ما في بطونهم

ما في بطونهم فجعل الحمل موثرا في احد ابعاد البطنة انتهى والذي يقال ان سبب كيد
وده انغطار هن جلاله العظمة التي منها كثرة الملائكة وشناعة الكفر بين
لها سببا اخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى والملائكة يسبحون اي
يقولون التنزيه لله تعالى ملتبسين بحمد ربهم اي باثبات الكمال الحسن التام
تسبيحا يليق بجلالهم فلهم بذلك رجل واصوات لا تحلها العقول ولا تثبت لها
الجبال تنبيه عدل عن التانيث ولم يقل يسبحن مراعاة للفظ الى التذكير
وضمير الجمع اشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فان قيل فقوله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض عام فيدخل فيه الكفار ولقد لعنهم الله تعالى
والملائكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم اجيب بوجوه
الاول انه عام مخصوص بآية غافر ويستغفرون للذين امنوا الثاني ان قوله تعالى
لمن في الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال استغفر والكل من في الارض وان
يقال انهم استغفروا البعض من في الارض دون البعض ولو كان نصا في العموم
لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد من الاستغفار انه لا يعاجلهم بالعقاب
كما في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال تعالى انه كان حليما
غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار
فيطلب الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم
اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وابعد عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا
استغفار في الحقيقة وقوله تعالى الا ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات
الكمال هو اي وحده الغفور الرحيم تنبيه على ان الملائكة وان كانوا يستغفرون
للبشر الا ان المغفرة المطلقة لله تعالى وقد دل على انه تعالى يعطي المغفرة التي
طلبوها ويضم اليها الرحمة والذين اتخذوا من دونه اي غير الله تعالى اولياء
اي انداد او شركاء يعبدونهم كالاصنام الله اي المحيط بصفات الكمال حفيظ
اي رقيب وراع وشهيد عليهم اي على اعمالهم لا تفوت عنده شيء من احوالهم فهو
ان شاء اتقاهم على كفرهم وجازاهم عليه باعد الكافرين وان شاء تاب عليهم ومحى
ذلك عنهم واذا لم يعاقبهم ولم يعاتبهم وان شاء محاه عنهم وانفى الاثر حتى يعانيهم
وما انت عليهم بوكيل الى حتى يلزمك ان تراعي جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم
فتحفظها وتقسرهم على تركها وتعودك بما ينوب الوكيل بما يقوم فلم يقم
الوكيل سوى اقوالهم افعالهم

وتنذر اي الناس يوم الجمع اي يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الاولين والاخرين
واهل السموات والارضين تجمع الارواح بالاجساد ويجمع بين العامل وعمله
ويجمع بين الظالم والمظلوم لا ريب اي لا شك فيه لانه ركن في فطرة كل احد
وقوله تعالى فريق يجوز فيه وجهان احدهما انه مبتدا وساغ هذا في النكرة
لانه مقام تفصيل وخبره في الجنة اي تفضلا منه ورحمة وهم الذين قبلوا الانذار
وبالغوا في الحذار ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم فريق وساغ الابتدا
بالنكرة حينئذ لشيئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها
والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هم اي المجموعون دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع
وقوله تعالى وفريق في السعير اي عدلا منه فيه ما مر وهم الذين خذلهم الله
تعالى ووكلهم الى انفسهم فان قيل يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع
بين الصنفين محال اجيب بانهم يجتمعون اولا ثم يصيرون فريقين قال القشيري
كما انهم في الدنيا فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوات العبادات
وفرق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك وكذلك غدا هم فريقان فريق
هم اهل اللقا وفريق هم اهل البلا والشقا روى الامام احمد عن عبد الله
ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه
ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذا الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال
للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسما
ابايهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الجنة منجدلون
فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة ثم قال
للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل النار واسما ابايهم
وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا
في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله
عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله ابن عمر ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا
وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار
يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل
من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده ولو شا الله اي المحيط بجميع صفات الكمال
لجعلهم اي المجموعين امة واحدة للثواب او للعقاب ولكنه لم يشا ذلك
بل شا ان يكونوا فريقين مقسطين وظالمين ليظهر فضله وعدله وانه اله جبار
واحد قهار لا يبالي باحد وهو معنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشا ادخاله
في رحمته بخلق الهداية في قلبه فتكون افعالهم في مواضعها وهم المقسطون
ويدخل من يشا في نقمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا تكون
افعالهم في مواضعها فالمقسطون ما لهم من صدق ولا نكير والظالمون
اي الغريقون في الظلم الذين ساء ظلمهم وهم الكافرون فيدخلهم في لعنته
ما لهم من ولي اي يلي امورهم فيجتهدوا في صلاحها فيدفع عنهم العذاب
ولا نصير ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار وعلى هذا التقرير فالاية من الاحتباك

وهو

وهو ظاهر ذكر الرحمة اولا دليلا على اللعنة ثانيا والظلم وما معه ثانيا دليلا على اضداده
اولا وهذا تقرير لقوله تعالى الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي انت لا تقدر
تحملهم على الايمان ولو شاء الله تعالى لفعله لانه اقدر منك لكنه تعالى جعل البعض مؤمنا
والبعض كافرا ولما حكى تعالى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اوليا ثم قال لنبيه صلى
الله عليه وسلم لست عليهم بوكيل اي لا يجب عليك ان تحملهم على الايمان فان الله
تعالى لو شاء لفعله اعاد ذلك الكلام على سبيل الانكار بقوله تعالى ام اتخذوا من دونه
اي غيره اوليا كالاصنام وهذه ام المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة
الانكار او بالهمزة فقط او ببل فقط اي ليس المتخذون اوليا فالله اي المختص بصفات
الكمال هو وحده الولي قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من اتبعك والفا جواب
الشرط المقدر كانه قال ان ارادوا اوليا بحق فالله هو الولي لا ولي سواه وقيل هي
لمجرد العطف وجرى على هذا الجلال المحلي وعلى الاول الزمخشري وهو اي ومن شان
هذا الولي انه يحيي الموتى اي يجدد احياءه في كل وقت يشاؤه وهو وحده على كل شيء
قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء ولما منع تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يحمل الكفار على الايمان منع المؤمنين ان يشرعوا معهم في المخاصمات
والمنازعات بقوله تعالى وما اختلفتم اي انتم والكفار فيه من شيء اي من امور الدنيا
او الدين فحكمه الى الله اي مفوض الى الذي هو الولي لا غيره يميز من المحق من المبطل
بالنصر او الانابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله اي المحيط بجميع اوصاف الكمال ربي الذي لا مربي لي
غيره في ماض ولا حال ولا استقبال عليه اي وحده توكلت اي اسلمت جميع امري واليه
لا الى غيره انيب اي ارجع بالتوبة اذا قصرت في شيء من فروع شرعه وارجع الى كتابه
اذا نابني امر من الامور فاعرف منه حكمه فافعلوا انتم كذلك واجعلوه الحكم تفلحوا ولا
تعدلوا عنه في شيء من الاشياء تهلكوا وقوله تعالى فاطر اي مبتدع السموات والارض
خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم اي بعد ان خلقكم من الارض من انفسكم
ازواجا حيث خلق حواء من ضلع ادم فيكون تا لسكون اليها بتقانوعكم ومن
اي وجعل لكم اي لاجلكم من الانعام التي هي اموالكم وجمالكم وبها اعظم اقواتكم ازواجا
اي ذكورا واناثا يكون بها ايضا بتقانوعها يذرؤكم بالمعجمة اي يخلقكم ويكثركم
من الذر وهو البث فيه اي في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا ليكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير فالضمير للاناسي والانعام
بالتغليب واختلف في الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء فجرى الجلال المحلي
على انها زائدة لانه تعالى لا مثل له وجرى غيره على انها ليست زائدة لانه اذا نفي
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى وحاصله كما قال التفتازاني ان
قولنا ليس كذاته شيء وقولنا ليس كمثله شيء كلاهما عبارتان عن معنى واحد وهو نفي
المماثلة عن ذاته الاولى صريح والثانية كناية مشتملة على مبالغة وهي ان المماثلة
منفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه وهذا لا يستلزم وجود
المثل الا ترى ان قولهم مثل الامير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له

BULAC

فالمعنى هنا ان مثل مثله تعالى منفي فكيف بمثله وايضا مثل المثل مثل فيلزم
من نفيه نفيهما وقال البغوي المثل مثله اي ليس كمثله شيء فادخل المثل للتوكيد
كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به انتهى وهذا كالتاويل الاول وقيل ان المراد
بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله تعالى مثل
الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره واما
قوله تعالى وله المثل الاعلى فمعناه ان له الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله
ولا يشاركه فيه احد وهو اي والحال انه لا غيره السميع البصير اي الكامل
في السمع والبصر بكل ما يسمع ويبصر فان قيل هذا يفيد الحصر مع ان العباد ايضا
موصوفون بكونهم سميعين بصيرين اجيب بان السمع والبصر لفظان
مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال كما مر والكمال في كل
الصفات ليس الا لله تعالى فهذا هو المراد من هذا الحصر له اي وحده مقاليد
السموات والارض اي خزائنهما ومفاتيح خزائنهما من الامطار والانبات
وغيرهما وقد ثبت انه ابتدعهما وان له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه وليا
وغيره قال القشيري والمفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته انتهى ولما حصر
الامر فيه دل عليه بقوله تعالى يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء امتحانا ويقدر
اي يضيقه لمن يشاء ابتلاء كما وسع على فارس الروم وضيق على العرب وفاوت
في الافراد بين افراد من وسع عليهم ومن ضيق عليهم فدل ذلك قطعا على انه
لا شريك له وانه هو المتصرف وحده فقطع بذلك افكار الموقنين من عباده
عن غيره ليقبلوا عليه ويتفرغوا له وان عبادته هي المقاليد بالحقيقة
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا
لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
الاية ثم علل ذلك بقوله تعالى انه بكل شيء عليم اي فلا فعل له الا وهو جار
على اتقن ما يكون من قوانين الحكمة فيفعله على ما ينبغي ولما عظم وحيه
الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم ذكر تفصيل ذلك بقوله تعالى شرع اي طرق وسن طريقا
ظاهرا بينا واضحا لكم ايتها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة المستقيمة
من الدين وهو ما يعمل فيجازى عليه ما اي الذي وصى به بوصية عظيمة تعد
اعلامه بانه شرعه نوحا في الزمان الاقدم وهو اول انبياء الشريعة قال
مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك من القران
وشرائع الاسلام وما وصينا اي بما لنا من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات
به ابراهيم الذي نجيناه من كيد نمرود بالنار وغيرها ووهبنا له على الكبر اسمعيل
واسحق وقرا هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء وما بعدها
وموسى الذي انزلنا عليه التورية موعظة وتفصيلا لكل شيء وعيسى الذي انزلنا

عليه

عليه الانجيل هدى ونور او موعظة ودخرناه في سمائنا لتابيد شريعة الخاتم
الفاتح ثم بين المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
أَنْ أَقِيمُوا اي ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية الدِّينَ
وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله تعالى ومحله النصب
على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع
او الجر على البدل من هاء به ولما عظمه بالامر بالاجتماع اتبعه التعظيم بالنهي
عن الافتراق بقوله تعالى وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ اي ولا تختلفوا في هذا الاصل
اما فروع الشرائع المختلفة فقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال
قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات
والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة
والافراد لله تعالى بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة
من الشرك وجرى على هذا الجلال المحلي والكل يرجع اليه كَبُرَ اي عظم وشق
عَلَى الْمُشْرِكِينَ حتى ضاقت به صدورهم مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اي ايها النبي الفاتح الخاتم
من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار من وحدانية الواحد
القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم فان تفرقتم كنتم قد تابعتم العدو
الحسود وخالفتم الولي الودود ثم نبه تعالى على ان الامور كلها بيده بقوله تعالى
اللَّهُ اي الذي له مجامع العظمة ونفوذ الامر يَجْتَبِي اي يختار إِلَيْهِ اي الى هذا الدين
الذي تدعوهم اليه مَنْ يَشَاءُ اجتباه وَيَهْدِي إِلَيْهِ بالتوفيق للطاعة مَنْ يُنِيبُ اي من يقبل
الى طاعته ولما بين تعالى امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان
لقائل ان يقول فلماذا نجدهم متفرقين اجاب بقوله تعالى وَمَا تَفَرَّقُوا اي المشركون
من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي بالتوحيد
او بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم او بان التفرق ضلال متوعد عليه
بَغْيًا بَيْنَهُمْ اي فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية الطبيعية
على ان ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا
للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا
العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم العذاب لان لكل عذاب عنده
اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا معنى قوله وَلَوْلَا كَلِمَةٌ اي لا تبديل لها سَبَقَتْ
اي في الازل مِنْ رَبِّكَ اي المحسن اليك بجعلك خير الخلائق وامامهم بتاخيرهم إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى ضربه لاجالهم ثم يجمعهم في الاخرة لَقُضِيَ على ايسر وجه واسهله بَيْنَهُمْ
حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق قال ابن عباس والذين ارادوا بهذه الصفة
هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة لم يكن وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك في قوله تعالى وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ اي المتفرقين هم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم هذه الامة الذين اوتوا القران لما نسخ كتابهم

BULAC

ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فكان حالهم في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ والفهم وعدم
المنازع في ادعائه حال الوارث والموروث منه لفي شك منه اي من كتاب لا يعلمونه
كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن فيقولون انه سحر وشعر
وكهانة ونحو ذلك وقيل في شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك
الجلال المحلي مريب اي موقع في التهمة فلذلك اي التوحيد فادع يا اشرف الرسل
الناس واستقم اي على الدعوة كما امرت اي كما امرك الله تعالى ولا تتبع اي تعمد
اهواءهم في شيء ما فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل احد ان يفعل ما امر به
وقل اي لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك ارسلت الى جميع الخلق
آمنت بما انزل الله اي الذي له العظمة الكاملة من كتاب اي جميع الكتب
المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض روي ان رجلا اتى عليا فقال
يا امير المؤمنين ما الايمان او كيف الايمان قال الايمان على اربع دعائم على الصبر
واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع شعب على الشوق والشفق
والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق
من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ومن ارتقب
الموت سارع الى الخيرات واليقين على اربع شعب تبصرة الفطنة وتاويل
الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تاول الحكمة
ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة
فكانما كان في الاولين والعدل على اربع شعب على غامض الفهم وزهرة الحلم
وروضة العلم وعلم الحكم فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل في الحكم ومن علم عرف
شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط امره وعاش في الناس والجهاد على اربع شعب على الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر
بالمعروف شد ظهره ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافقين ومن صدق
في المواطن فقد قضى الذي عليه ومن شنئ الفاسقين غضب لله وغضب
الله تعالى له فقام الرجل وقتل راسه وامرت اي فمن له الامر كله لاعدل اي لاجل
ان اعدل بينكم ايها المفترقون في الاديان من العرب والعجم من الانس والجن ثم علل
ذلك بقوله الله اي الذي له الملك كله ربنا وربكم اي موجدنا ومتولي جميع امورنا
فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده لنا اعمالنا خاصة بنا لا تعدونا
الى غيرنا ولكم اعمالكم خاصة بكم لا تعدوكم الى غيركم فكل يجازى بعمله لا حجة اي
لا خصومة بيننا وبينكم وهذا قبل ان يؤمر بالجهاد كما قاله الجلال المحلي وقال
ابن الخازن هذه الآية منسوخة بآية القتال وكذا قال البغوي ولكن قال البيضاوي
وليس في الآية ما يدل على مشاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة بآية القتال الله
اي الذي هو احكم الحاكمين يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضاء واليه اي لا الى غيره المصير
اي المرجع حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته والذين يحاجون في الله اي يوردون
تشكيكا في دين الملك الاعظم ليعبدوا الناس بعد ما دخلوا في نور الهدى الى ظلام الضلال

من بعد

من بعد ما استجيب له اي استجاب الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاظهر
دينه على الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل
نبيكم فنحن خير منكم فهذه قصة خصومتهم وتشكيكهم او من بعد ما استجاب
للرسول صلى الله عليه وسلم الناس فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته
حجتهم اي التي زعموها حجة داحضة اي زائلة باطلة عند ربهم اي المحسن اليهم بافاضة
العقل الذي جعلهم به في احسن تقويم وقال الرازي تلك المخاصمة هي ان اليهود
قالوا الستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه اولى بالاخذ من المختلف فيه فنبوة
موسى عليه السلام وحقيقة التورية معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى فساد هذه
الحجة وذلك ان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل
ظهور المعجزات على قوله وههنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه
وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فههنا
يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت لا تدل على الصدق وجب
في حق موسى ان لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لان يكون مناقضا بينه والذين
يجادلون مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر المبتدا الثاني والثاني وخبره
خبر الاول واعرب مكي حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال ولما قرر تعالى هذه الدلايل
خوف المنكرين بعذاب القيمة فقال وعليهم اي زيادة على قطع الاحسان غضب
اي عقوبة تليق بحالهم المذموم ووصلهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابه
مبعودون عن جنابه مهانون بحجابه ولهم مع ذلك عذاب شديد في الاخرة
لا تصلون الى حقيقته وصفه الله اي الذي له جميع الملك الذي انزل الكتب
اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا على اكمل الوجوه بالامر الثابت الذي لا يبدل والميزان
اي الشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوي بين الناس او العدل قال مجاهد سمي
العدل ميزانا لان الميزان آلة للانصاف والتسوية وقال ابن عباس امر الله تعالى
بالوفا ونهى عن البخس فيجب على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك
طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان صلى الله عليه وسلم يهددهم بيوم القيامة
ولم يروا لذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت
حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قال تعالى وما
يدريك يا اكمل الخلق لعل الساعة اي الذي يستعجلون بها قريب وذكر قريب وذكر قريب وان كان
صفة لمونث لان الساعة في معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اي ذات قرب
او على حذف مضاف اي مجيء الساعة قال مكي ولان تانيثها مجازي وهذا ممنوع اذ لا يجوز
الشمس طالع ولا القدر فاير تنبيه لعل معلق للفعل عن العمل اذ ما بعده سد مسد
المفعولين ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا
مستهزئين متى تقوم الساعة نزل قوله تعالى يستعجل بها اي يطلب ان يكون
قبل الوقت المضروب لها الذين لا يؤمنون بها اي لا يتجدد لهم ذلك اصلا وهم غير
مشفقين منها ويظنون كذب القايل بها والذين امنوا وان كانوا في اول درجات الايمان

BULAC

مشفقون اي خائفون خوفا عظيما منها لان الله تعالى هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن
المعارف وقلوبهم منابع الانوار فايقنوا بما فيها من الاهوال الكبار فخافوا للطافتهم
ان يكونوا مع صلاحهم من اهل النار ويعلمون انها الحق اعلاما بانهم على بصيرة
من امرها فهم لا يستعجلون بها فالاية من الاحتباك ذكر الاستعجال اولا دليلا
على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده اولا فائدة روي
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم بصوت حبوري في بعض اسفاره فناداه
يا محمد فقال له صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم فقال متى الساعة فقال
له صلى الله عليه وسلم ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله تعالى
ورسوله فقال انت مع من احببت والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره
بالاستعداد لها ومن احب الله تعالى ورسوله فعل ما امر به واجتنب ما نهيا عنه
فهي المحبة الكاملة نسال الله الكريم من فضله ان يوفقنا واحبابنا لطاعته واجتناب
معاصيه الا ان الذين يمارون اي يخاصمون ويجادلون في الساعة اي القيمة وما يحتوي
عليه لفي ضلال اي ذهاب جائر عن الحق بعيد جدا عن الصواب فان لها من الادلة
الظاهرة ما الحقها بالمحسوسات كما قال القائل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
ولما انزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة كان ذلك من لطف الله
تعالى بعباده كما قال عز من قائل الله اي الذي له الامر كله لطيف اي بالغ في العلم وايقاع
الاحسان بعباده وقال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدي
رفيق بهم وقال القشيري اللطيف العالم بدقائق الامور وغوامضها وقال الرازي
هو اسم مركب من علم ورحمة ورفق خفي اما لطفه بالمؤمنين فواضح واما الكافر فاقل
لطفه به انه لا يعاجله في الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق في الاخرى وقال مقاتل
لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل قوله تعالى يرزق
من يشاء اي مهما شاء على سبيل من السعة والضيق او التوسط لا مانع له من شيء من ذلك
فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن شاء الله تعالى ان يرزقه
قال جعفر الصادق اللطف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات
والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشاء العزيز فلا يقدر
احد ان يمنعه عن شيء يريده ولما بين بهذا ان الرزق ليس الا في يده اتبعه ما يزهد في طلب
رزق البدن ويرغب في رزق الروح فقال تعالى على سبيل الاستئناف من كان
اي من شريف او دني يريد اي بعمله حرث الاخرة اي اعمالها والحرث في اللغة الكسب
نزد له اي بعظمتنا التي لا يقدر احد على تحويلها في حرثه قال مقاتل بان نعينه على الاعمال
الصالحة ونضاعف بالواحدة عشرة الى ما شاء الله تعالى من الزيادة وقال الزمخشري
انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما تطلب به الفائدة حرثا على سبيل المجاز ومن كان
اي من قوي او ضعيف يريد اي بعمله حرث الدنيا اي ارزاقها التي تطلب
بالكد والسعي وتغتنمي به مكتفيا عن الاخرة نؤته منها اي ما قسمناه له ولو تهاون به
ولم يطلبه لاتاه وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الهاء واختلس قالون كسرة الهاء وعن
هشام اختلاس الكسرة والاشباع والباقون باشباع الكسرة وما اي والحال ان طالب الدنيا

بعمله

بعمله كما له في الآخرة من نصيب لان الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى روى ابن ابي
اركعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالتنا والرفعة والنصرة
والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب اي لان هذا
تهاون بالآخرة فلم ينوها وبئس المتهاون من ان تفتل على من اعرض عنها فانها ضرة
الدنيا وضدها فالدنيا بخساستها تقبل على من اعرض عنها وتبعد عمن اقبل عليها
حتى تملكه في برها وبحرها والآخرة تقبل على من اقبل عليها اضعافا مضاعفة وتنادي
من ادبر عنها لينتهي عن غيه وضلاله فلما سمي الله تعالى كلا الفريقين حريثا علمنا
ان كل واحد منهما لا يحصل الا بنوع من السعي والمتاعب فصرف هذه المتاعب الى ما يكون
في الزائد الباقي اولى من صرفها الى ما يكون في النقصان والانقضاض قال الرازي في اللوامع
اهل الارادة على اصناف فمريد الدنيا ومريد الآخرة ومريد الحق جل وعلا وعلامة
ارادة الدنيا ان ترضى بزيادة دنياه بنقصان دينه والاعراض عن نفع المسلمين وان
تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة الآخرة بعكس ذلك واما
علامة ارادة الله تعالى كما قال تعالى يريدون وجهه طرح الكونين والغفلة
عن الخلق والخلاص من يد النفس وحاصله ان يستغرق اوقاته في التوقي من تخويف
الحق وخوف الخلق وتزكية النفس لاطماعه في جنته واخوفا من ناره فيستأنس بالامر
الملك الاعلا لانه اهل لذلك مع اعترافه بانه لن يقدر الله تعالى حق قدره وما بين
تعالى اعمال الآخرة والدنيا انتهى بيان ما هو الاصل في باب الصلاة والشقاوة
فقال تعالى ام بل لهم اي لكفار مكة شركا اي على زعمهم وفهم شياطينهم شرعوا
اي التزين لهم اي للكفار من الدين الفاسد في العبادات والعادات ما لم يأذن به
الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل
شركاء وهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت
سببا لضلالتهم جعلت شارعة لدين ضلالتهم لها كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن
اضللن كثيرا من الناس وقال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ولولا كلمة
الفصل اي القضا السابق بتاخير الجزا او ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم
القيامة لقضي بينهم اي بين الذين امتثلوا امره والتزموا شرعه وبين
الذين اتبعوا ما شرعوه لمن سمعوهم شركا في اوقت وقت ولكنه قد سبق
القضا في الازل لقادر الاشاء وحدد لها على وجوه الحكمة فهي تجري على ما حد
لها لا تقدم لشيء منها ولا تاخر ولا تبدل ولا تغير وستنكشف لكم الامور وتظهر
مخبيات المقدور فلا يمنع الفصل الاولى الآخرة كما سبق به القضا وان الظالمين
اي المشركين ما لم يأذن به الله من الشرك وغيره لهم عذاب اليم اي مؤلم بليغ الايلام
ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب مبتدا بالاول فمنها
بقوله تعالى ترى اي في ذلك اليوم الظالمين اي خائفين اشد الخوف كما هو حال
من يحاسبه من هو اعلى منه وهو مفعول ترى مشفقين اي عاملوا معتقدين ان به
غاية ما يتقعهم وهو اي جزاوه ووباله الذي من جنسه حتى كانه هو واقع بهم
لا محالة سواء اشفقوا ام لم يشفقوا ثم ذكر الثاني بقوله تعالى والذين امنوا

وهم الذين اتبعوا ما شرعوه لهم من سمعوهم شركا في اوقت وقت

وعملوا الصالحات وهي التي اذن الله تعالى فيها غير خائفين مما كسبوا لانهم ماذون
لهم في فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه في روضات الجنات اي في الدنيا بما يلذذهم به
الله تعالى من لذائذ الاقوال والافعال والمعارف والاحوال وفي الاخرة حقيقة بلا زوال
وروضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان عصاة المسلمين من اهل الجنة
لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات وهي البقاع
الشريفة من الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لابد وان تكون مخصوصة
بمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم
يدل على ان تلك الاشياء حاضرة عنده مهياة والعندية مجاز تنبيه عند ربهم
يجوز ان يكون ظرفا ليشاؤن قاله الحوفي او للاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري
وقوله تعالى ذلك اي الجزاء العظيم الرتبة الجليل القدر هو الفضل الكبير اي الذي
يصغر ما لغيره في الدنيا يدل على ان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل
من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى ذلك اي الجزاء العظيم
من الجنة ونعيمها مبتدا خبره الذي يبشر الله اي الملك الاعظم والعابد وهو به محذوف
تفخيما للمبشر به لان السياق لتعظيمه بالاشارة وجعلها باداة البعد وبالوصف
بالذي وذكر الاسم الاعظم والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى عباده مع الاضافة
الى ضميره سبحانه ولما اشعر بصلاحهم بالاضافة نص عليه بقوله تعالى الذين امنوا
اي صدقوا بالغيب وعملوا تحقيقا لايمانهم الصالحات قرا نافع وابن عامر وعاصم
بضم اليا وفتح البا الموحدة وكسر الشين مشددة والباقون بفتح اليا وسكون البا
الموحدة وضم الشين مخففة من ابشره ولما كان كانه قيل فما تطلب في هذه البشارة
لان الغالب ان المبشر وان لم يسال يعطى بشارته كما وقع لكعب لما اذن الله تعالى بتوبته
ركض راكض على فرس وسعى ساع على رجليه فاوفى على جبل سلع ونادى يا كعب
ابن مالك ابشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءه الذي
سمع صوته خلع له ثوبيه وهو لا يملك يومئذ غيرهما واستعار له ثوبين قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين
لا اسالكم اي الان ولا في مستقبل الزمان عليه اي البلاغ ببشارة او نذارة اجرا
اي وان قل الا اي لكن اسالكم المودة اي المحبة العظيمة الواسعة في القربى اي مظروفة
فيها بحيث يكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيا من محبتكم عنها تنبيه
في الاية ثلاثة اقوال اولها قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى
ابن عباس فساله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة
فقال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان تودون
القربى اي تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومي واحق من اجابني
واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني والى
هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما ثانيها روى الكلبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة فقالت

الانصار

الانصار انهذا الرجل هذا كم وتقوا بن اخيكم واجاركم في بلدكم فاجمعوا لم طايفة من اموالكم
فعلوا نم انه بها فردها عليهم وترك فعولم تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
اى لا تودوا واقرابتى وعترتى وتحفظونى فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وغيرهما
قال الحسن معناه الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح فالقربى
على القول الاول القرابة التى بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الاقارب وعلى الثالث
فعلى من القرب والتقرب فان قيل طلب الاجر على تبليغ الوحى لا يجوز لوجوه
احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبيا التصريح بنفى طلب الاجر فقال تعالى فى قصة
نوح عليه السلام وما اسالكم من اجر الاية وكذا فى قصة هود وصالح ولوط وشعيب
عليهم السلام ورسولنا افضل الانبيا فان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة
اولى ثانيها انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفى طلب الاجر فقال قل ما اسالكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ثالثها
ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الاية
وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بافاضل الناس فضلا عن اعلم العلما
رابعها ان النبوة افضل من الحكمة وقال تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع قليل فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل
فكيف يجعل العقل مقابلة اشرف الاشيا باخس الاشيا خامسها ان طلب
الاجر يوجب التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه
انه لا يجوز من النبى صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة
وههنا قد ذكر ما يجرى مجرى طلب الاجرة وهو المودة فى القربى فوجب بانه
لا نزاع فى انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ واما قوله تعالى الا المودة فى القربى فجب
فالجواب عنه من وجهين الاول انه منقطع كما بعد قوله

ولا عيب فيهم غير انهم سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب

يعنى انى لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين
واجب قال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه
وسلم المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والايات والاخبار فى هذا كثيرة واذا
كان حصول المودة بين المسلمين واجبا فحصولها فى حق اشرف المرسلين اولى
فقوله الا المودة فى القربى تقديره والمودة فى القربى ليست اجرا رفع الحاصل
انه لا اجر البتة الثانى ان هذا استثنا منقطع كما مر تقديره فى الاية ولم الكلام
عند قوله لا اسالكم عليه اجرا ثم قال لكن المودة فى القربى اذكركم قرابتى منكم وكانكم
فى اللفظ اجر وليس باجر واختلفوا فى قرابته صلى الله عليه وسلم فقيل هم فاطمة وعلى
وابناؤهما وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين
كتاب الله واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى فقيل لزيد بن ارقم من اهل بيته قال
هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وروى ابن عمر عن ابيه قال ارقبوا محمدا فى اهل
بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو

المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية ولا اسلاما وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب
الضحاك بن مزاحم والحسين ابن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة
النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله عز وجل تعالى
بالطاعة والعمل الصالح من فرايض الدين ولما كان التقدير فمن يقترف سيئة فعليه
وزرها ولكنه طوى لان المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الاية عطف عليه قوله تعالى
ومن يقترف اي يكتسب ويخالط ويعمل بجد واجتهاد وتعمد وعلاج حسنة اي ولو صغرت
نزد بما لنا من العظمة له فيها اي في الحسنة حسنا اي صاعقة الثواب ومن الزيادة
ان يكون له مثل اجر من اقتدى به فيها الى يوم القيامة لا ينقص من اجورهم شيا قيل
نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وقيل المراد بها العموم في اي حسنة كانت الا
انها لما ذكرت عقب ذكر المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود التاكيد في تلك المودة
ان الله اي الذي لا يتعاظمه شي غفور لكل ذنب تاب منه صاحبه او كان غير الشرك
وان لم يتب منه ان شا فلا يصدن احدا سيئة عملها عن الاقبال على الحسنة
شكور اي فهو يجزي بالحسنة اضعافها وان قلت والشكور في حق الله تعالى مجاز
والمعنى انه تعالى يحسن الى المطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد عليه انواعا
كثيرة من التفضيل ثم ذكر الله تعالى طعن الكفرة في النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى ام اي بل يقولون اي محمد صلى الله عليه وسلم افترى الذي احاط بصفات الكمال
فله العلم الشامل لمن على الله الذي احاط بصفات الكمال فله العلم الشامل لمن
يتقول عليه والقدرة التامة على عقابه كذبا حين زعم ان هذا القران من عنده
وانه ارسله بهذا الدين فان يشا الله اي الذي له الاحاطة بالكمال يختم اي يربط
على قلبك بالصبر على اذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل وقال قتادة معنى
يطبع على قلبك فينسيك القران وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله
كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية اي انه لا يجترى على افترا الكذب الا من كان
في هذه الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله
ان ينسب رجل بعض الامنا الى الخيانة فيقول الامين ذلك لعل الله خذلني لعل
الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد
استبعاد صدور الخيانة عنه وقوله تعالى ويمح الله اي الذي له الامر كله الباطل
وهو قولهم افترى مستانف غير داخل في جزا الشرط لانه تعالى يمحوا الباطل مطلقا
وسقطت الواو منه لفظا لالتقا الساكنين في الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ
كما كتبوا سندع الزبانية عليه واما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا
قال تعالى ويحق اي يثبت على وجه لا يمكن زواله الحق اي كل ما من شانه
الثبات لانه اذن فيه واقره بكلماته اي التي لو كان البحر مدادا لها لنفد وقد
فعل الله تعالى ذلك فمحى باطلهم واعلا كلمة الاسلام عليهم انه عليم اي بالغ العلم
بذات الصدور اي ما هو فيها مما يعلمه صاحبها ومما لا يعلمه فيبطل باطله ويثبت
حقه وان كره الخلايق ذلك ولتعلمن نباه بعد حين ولقد صدق الله تعالى
فاثبت ببركته هذا القران كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم وابطل بسيف هذا

كان

البرهان

البرهان كلها كما نواخ الفوز فيه ومن اصدق من الله قيلا قال ابن عباس لما نزلت
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد
ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه فانزل الله تعالى
هذه الاية فقال القوم يا رسول الله قاتل نشهد انك صادق فتوكل وعفو اي لا عز
الذنب يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما يوا عنه سبيل ابو الحسن التوشجي
عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تحدث له حلاوة في قلبك وروى جابر ان اعرابيا
دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك
وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله تعالى عنه ما هذا انسرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين فقال ما آمن الموحدين مما التوبة قال اسرع
على سنة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة والتضييع الفرائض الاعادة والمظالم
المظالم الاعادة ورد المظالم واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية واذابتها في الطاعة كما زينتها في المعصية والتأهب لكل صحب صحبته
وقال سهل ابن عبد الله الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقال
بعضهم هي الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة وعن ابن
موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحفل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما
للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وروي ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم تغرغر
ولما كان القبول قد يكون في المستقبل مع الاخذ بما مضى قال تعالى تفضلا منه ورحمة
ويعفو عن السيئات اي التي كانت التوبة عنها صغيرة كانت او كبيرة وعن غيرها
فلا يواخذ بها ان شاء لان التوبة تجب ما قبلها كما ان الاسلام الذي هو توبة خاصة
يجب ما كان قبله وروى ابو داود والحاكم انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله اشد
فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان ظهور راحلته بارض دلاة فانفلت
منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته
فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم
انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح ويعلم اي والحال انه يعلم كل وقت
ما يفعلون فيجازيهم ويجاوز عن اتقان وحكمة وقرا حمزة والكسائي وحفص بتاء
الخطاب اقبالا على الناس عامة وهو خطاب للمشركين وقرا الباقون بياء الغيب نظرا
الى قوله تعالى عن عباده وقال تعالى بعد ويزيدهم من فضله والمراد به بالعفو
زاد بالاكرام فقال تعالى ويستجيب اي يوجد تلذذ العبادة والطلب اجابة
الذين امنوا يعني الذين اقروا بالايمان في كل ما دعوا به وشفعوا عنده فيه
لانه لا اهل اذ لهم الاكرام بالايمان ما امنوا وعدى الفعل بنفسه ولم يقل ويستجيب

للذين امنوا تنبيها على زيادة بره لهم ووصلتهم به وعملوا تصديقا لدعواهم الايمان
الصالحات فيثيبهم النعيم المقيم ويزيدهم اي ما دعوا به ما لم يدعوا به ولم يخطر على قلوبهم
من فضله اي تفضلا منه عليهم ويجوز ان يكون الموصول فاعلا ان يجيبون
ربهم اذا دعاهم كقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب
كما جاب ومنه وداع دعانا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وقال عطا عن ابن عباس معناه ويثيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروى ابو صالح عنه يشفعهم ويزيدهم
من فضله قال في اخوان اخوانهم ثم اتبع المومنين بذكر ضدهم فقال تعالى والكافرون
اي الفريقون في وصف القاطعة الذين منعتهم عراقتهم من التوبة والايمان
لهم عذاب شديد بدل ما للمومنين من الثواب والتفضل ولا يجب دعاهم وما دعا
الكافرين الا في ضلال فالاية من الاحتباك ذكر الاستجابة اولا دليلا على ضدها
ثانيا والعذاب ثانيا دليلا على ضده اولا ولما قال تعالى انه يجيب دعا المومنين
ورد سوال وهو ان المومن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر
اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا فاجاب
تعالى عنه بعن بقوله تعالى ولو اي وهو يقبل ويستجيب والحال انه لو بسط الله
الرزق لهم هكذا كان الاصل لكن قال لعباده ليلا يظن خصوصية ذلك بالتائبين
اذ لا فرق بين التائب وغيره لبغوا اي طغوا في الارض اي لصاروا يريدون كلما
يشتهونه فيكثر القتل والسلب والنهب والضرب ونحو ذلك من انواع الفساد
قال خباب ابن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك اذا نظرنا الى اموال بني
قريظة والنضير وبني قينقاع وتمنيناها فنزلت وذكر في كون بسط الرزق
موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل امتنع
كون البعض محتاجا الى البعض وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح ثانيها
ان هذه الاية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ما المطر ما يرويهم
ومن الكلا والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة ثالثها ان الانسان
متكبر بالطبع واذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو
التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر وعاد الى التواضع والطاعة
وقال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس
ولكن ينزل اي لعباده من الرزق وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي بقدر اي بتقدير لهم ما يشا اي
ما اقتضت مشيئته انه وقال تعالى بعباده ولم يقل بهم ليلا يظن ان الامر خاص
بمن وسع عليهم او ضيق عليهم خبير بصير يعلم جميع ظواهر امورهم وبواطنها
فيقيم كل احد فيما يصلح له من صلاح وفساد وعدل وبغي روى انس ابن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن جبريل عن الله عز وجل في حديث
طويل وفيه قال يقول الله عز وجل ما ترددت في شي انا فاعله ترددي
في قبض روح عبدي المومن يكره الموت واكره سيئاته ولا بد له منه وان من

عباده

عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح
ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم
اني عليم خبير وقرا ما شاء انه نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء
ولهم ايضا ابدالها واوا والباقون بتحقيقهما واذا وقف حمزة وهشام ابدلا
الهمزة الفا مع المد والقصر والروم والاشمام وهو اي لا غيره الذي ينزل الغيث اي المطر
الذي يغاث به الناس وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وتشديد
الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي من بعد ما قنطوا اي يئسوا
من نزوله وعلموا انه لا يقدر على انزاله غيره ولا يقصد فيه سواه ليكون ذلك ادعى
لهم الى الشكر وقال تعالى وينشر رحمته اي يبسط مطره كما قال تعالى وهو الذي يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وان كان الاصل ينشره لانه بين انه غيث فقال رحمته
بيانا وتعميما فينزل من السحاب المحمول بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق
ما اطاقوا حمله فتصبح الارض ما بين غدران وانهار ونبات نجم واشجار وحب
وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار فلله ما اعلى هذه القدرة الباهرة
والاية الظاهرة فيخرج من الارض التي هي من صلابتها يعجز عنها المعاول نجما هو
في لينه الين من الحرير وفي لطافته الطف من النسيم ومن سوق الاشجار التي تنثني
فيها المناقير اغصانا الطف من السنة العصافير فما اجلف من ينكر اخراجه الموتى
من القبور او يحيد عن ذلك بنوع من الغرور وهو اي لا غيره الولي اي الذي لا احد
اقرب منه الى عبادته في شيء من الاشياء الحميد اي الذي استحق بجامع الحمد مع انه
يحمد من يطيعه فيزيده من فضله ويصل حبله دائما بحبله ومن اياته
العظيمة على استحقاقه لجميع صفات الكمال خلق السموات التي يعلمون انها
منفردة لما ترون من امور الكواكب والارض اي جنسها على ما هما عليه من الهيئات
وما اشتملا عليه من المنافع والخيرات وقوله تعالى وما بث اي فرق ونشر
يجوز ان يكون مجرور المحل عطفا على السموات او مرفوعه عطفا على خلق على حذف
مضاف اي وخلق ما بث قال ابو حيان وفيه نظر لانه يؤول الى جره بالاضافة
لخلق المقدر فلا يعدل عنه فيهما اي السموات والارض من دابة اي شيء فيه اهلية
الدبيب بالحياة والحركة من الانس والجن والملائكة وسائر الحيوانات على اختلاف
اصنافهم والوانهم واشكالهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم واقطارهم ونواحيهم
فان قيل كيف يجوز اطلاق الدابة على الملائكة اجيب بوجوه اولها ما مر من
ان الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح والحركة ثانيها انه قد يضاف
الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان يقال انه خلق في السموات انواعا من الحيوانات
يمشون مشي الاناس على الارض وروى العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك

ثمانية او عال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش الحديث
وهو اي لا غيره على جمعهم اي هذه الدواب من ذوي العقول وغيرهم للحشر بعد
تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره اذا اي وقت يشا قدير اي بالغ القدرة
كما كان بالغ القدرة عند الايجاد من العدم يجمعهم في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر ثم خاطب المومنين بقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة اي بلية وشدة فبما
كسبت ايديكم اي من الذنوب وقرا نافع وابن عامر بغير فا والباقون بالفا لان ما
شرطية او متضمنة معناه واما من اسقطها بعد استغنى بما في البا من معنى السببية
فان قيل الكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القايمة بها اجيب بان المراد من لفظ
اليد ههنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد في حق الله
تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضا واختلفوا فيما يحصل في الدنيا
من الالام والاسقام والقحط والغرق والمصايب هل هي عقوبات على ذنوب
سلفت او لا فمنهم من انكر ذلك لوجوه اولها قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين
تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيمة وقال تعالى مالك يوم الدين اي يوم الجزا واجمعوا
ان المراد منه يوم القيامة ثانيها مصايب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق
فيمتنع ان يكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصايب للصالحين والمتقين
اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل
فالامثل ثالثها ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزا فيها لكانت دار تكليف ودار
جزا معا وهو محال وقال آخرون هذه المصايب قد تكون اجزية على ذنوب
متقدمة لهذه الاية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب
وما يعفو الله عنه اكثر وقال علي ابن ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب
الله حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الاية قال
صلى الله عليه وسلم وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلا في الدنيا
فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفى
الله عنه في الدنيا فانه احلم من ان يعود بعد عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد
هذه الاية او يوبقهن بما كسبوا وذلك مصرح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم قيل
لابي سليمان الداراني ما بالوا العقلا ازالوا اللوم عمن اسا اليهم قال انهم علموا ان الله
تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم وقرا هذه الاية واجاب الاولون بان حصول هذه
المصايب تكون من نار الامتحان في التكليف لا من باب العقوبات كما في حق الانبيا
والاوليا بل ذلك لزيادة درجات وفضايل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بها
لان اعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ويحمل قوله تعالى فبما كسبت ايديكم
على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصايب ويعفو عن كثير اي
من الذنوب بفضله ورحمته فلا تعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك
على ظهرها من دابة قال الواحدي بعد ان روى حديث علي وهذه ارجى اية
في كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المومنين صنفين صنف كفر

عنهم

عنهم بالمصايب وصنف عفي عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله تعالى
مع المومنين واما الكافر فانه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وما انتم
بمعجزين اي فايتين ما قضي عليكم من المصايب في الارض ولا في مشي اراده سبحانه منكم
كاينا ما كان وما لكم من دون الله المحيط بكل شي اي غيره من ولي اي يكون متوليا
لشي من اموركم بالاستقلال ولا نصير يدفع عنكم شيا يريده سبحانه بكم
ومن اياته اي الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته الجواري اي السفن
الجارية في البحر كالاعلام اي كالجبال قالت الخنسا في مرثية اخيها صخر وان صخرا لتاتم
وروي عن ابلج تاتم الهداة به كانه علم اي جبل في راسه نار شبهت به اخاها روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم انشد قصتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال
قاتلها الله ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في راسه نارا وقال مجاهد
الاعلام القصور واحدها علم وقال الخليل ابن احمد كل شي مرتفع عند العرب فهو
علم فان قيل الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف لا تقول
مررت بماش لان المشي عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات
الخاصة فما وجه ذلك اجيب بان قوله تعالى في البحر قرينة دالة على الموصوف
فلذلك حذف ويجوز ان يكون هذه صفة غالبة كالابطح والابرق فوليت
العوامل دون موصوفها وقرا نافع وابو عمرو باثبات اليا وقفا ووصلا والباقون
بحذفها وقفا ووصلا وامال الجواري محضة الدوري عن الكسائي وفتح الباقون
ان يشا اي الله الذي حملكم فيها على ظهر الما اية بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة
الفكم لها يسكن الريح التي يسيرها وانتم مقرون ان امرها ليس الا بيده وقرا نافع
بالف بعد اليا جمعا والباقون بغير الف افرادا فيظللن اي فيتسبب عن ذلك انهن
يظللن اي يقمن ليلا كان او نهارا رواكد اي ثوابت لا تجري على ظهره اي البحر ان في ذلك
اي ما ذكر من حال السفر في سيرها وركودها بما لا يقدر عليه الا الله تعالى بدليل ما للناس
كافة من الاجماع على الترجمة في ذلك اليه خاصة والانخلاع مما سواه لايات اي على
احاطته سبحانه بجميع صفات الكمال لكل صبار اي في البلا والشدة شكور اي على
نعمايه وهو المومن الكامل يصبر في الشدة ويشكر في الرخا فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر او اي او ان يشا في كل وقت اراده يوبقهن اي يملكهن بقبض
الريح باهلهن بما كسبوا اي اهلهن من الذنوب ويعف اي ان يشا عن كثير من ذنوبهم
فلا يعاقب عليها فينجيهم بعوم او حمل على خشبة او غير ذلك وان يشا يرسل الريح طيبة
فينجيها ويبلغها اقصى المراد الى غير ذلك من التقادير الداخلة تحت المشية وقوله
تعالى ويعلم قراه نافع وابن عامر برفع الميم مستانف والباقون بالنصب معطوف
على تعليل مقدر اي ليغرقهم لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون اي عند النجاة
بالعفو في اياتنا اي يكذبون القران اي علم ظهور الناس ما لهم من محيص اي مهرب
من العذاب وجملة النفي مسدت مسد مفعولي يعلم او النفي معلق عن العمل وقوله
تعالى فما اوتيتم خطاب للمومنين وغيرهم من شي اي من اثاث الدنيا فمتاع الحياة الدنيا
اي القريبة الدنية لا نفع فيه لاحد الا مدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه

وعما يتسبب من الاعمال الا ما يتقرب الى الله تعالى **وما** اي والذي **عند الله** اي الملك الاعظم
المحيط بكل شيء قدرة وعلما من نعم الدارين **خير** اي في نفسه واشد خيرية من النعيم
الدنيوية المحضة لانقطاع نفعها فنسماه متاعا بتنبيها على قلته وحقارته وجعله خيرا مع
الدنيا تنبيها على اعتراضه واما الاخرة فانها خير **وابقى** والباقي خير من الحسيس
الفاني ثم بين تعالى ان هذه الخيرية انما تحصل لمن كان موصوفا بصفات الصفة
الاولى فقوله تعالى **للذين امنوا** اي وجدوا هذه الحقيقة **وعلى** اي والجلال انهم على **ربهم**
اي الذي لم يروا احسانا قط الا منه وحده بمارئاهم من الاخلاص له **يتوكلون**
اي يحملون جميع امورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على من يتوسم فيه قوة على الحمل
ولا يلتفتون في ذلك الى شيء عدوا اصلا ليستغني عنهم بذلك الشرك الخفي كما استغنى
بالايمان الشرك الجلي وهذا رد على من زعم ان الطاعة توجد الثواب لانه يتوكل على عمل
نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الاية الصفة الثانية فقوله تعالى **والذين**
يجتنبون اي يكلفون انفسهم ان يجانبوا **كبائر الاثم** اي جنس افعال الكبائر التي لا توجد
الا في من اوادها وبحصل بها دنس للنفس فيوجب تعقبا بالها مع الحس وعطف على كبائر
قوله تعالى **والفواحش** وهي ما انكره الشرع والعقل والطبع والكبائر كل ذنب
عظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة والفواحش ما عظم قبحه من الاقوال والافعال
وقال مقاتل ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة النساء وقرا حمزة
والكسائي بكسر الباء الموحدة قبل الياء الساكنة وهي للجنس فهي بمعنى قراءة الجمع كما قرا
الباقون بفتح الموحدة والف بعدها وبعد الالف همزة مكسورة والاولى ابلغ لشمولها
المفردة الصفة الثالثة قوله تعالى **واذا ما غضبوا** اي غضبا هو على حقيقته
من امر مغضب في العادة وبين بضمير الفصل ان بواطنهم في عزهم كظواهرهم
فقال تعالى **هم ينتصرون** اي هم الاحصاء الاحقاء بانهم كما تحدد لهم غضب تحدد
لهم غضب حدد واعز اي تحو الذي ذب عينا واشرع العذر على الانتقام
فسمى ايلام تقتضي الصفح دون الانتقام ظالما بل من الظالم بغي لانه لا يواخذ بما لحد
الغضب الا منكر والتكبر لا يصلح لغير الاله وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات الله وروى ابن ابي حاتم عن ابراهيم
النخعي قال كان المومنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا الصفة
الرابعة قوله تعالى **والذين استجابوا** اي اوجدوا الاجابة بما لهم من العلم الهادي
الى سبيل الرشاد **لربهم** اي الداعي لهم الى اجابته احسانا اليهم قال الرازي المراد
من هذا اتمام الانقياد فان قيل ليس انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل
في الايمان اجابة الله تعالى اجيب بانه يحمل هذا على الرضا بقضاء الله تعالى
من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله تعالى
واقاموا اي ادامو **الصلاة** الواجبة **وامرهم** اي كلا بنوعيه مما حوجهم الى تدبير **شورى**
بينهم اي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين فيها لهم من قوة الباطن ولا
يعجلون في امورهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة
قوله تعالى **ومما رزقناهم** اي اعطيناهم بقسمتنا من غير حول منهم ولا قوة **ينفقون**

اي يديمون الانفاق

اي يديمون الانفاق في سبيل الله كرما منهم وان قل ما بايديهم اعتمادا على فضل الله تعالى لا يقبضون ايديهم كالمنافقين **والذين اذا اصابهم البغي** اي وقع بهم وانتهى اليهم وهو التمادي على الرمي بالشر **هم ينتصرون** اي ينتقمون ممن ظلمهم ممثل ظلمه كما قال تعالى **وجزاء سيئة سيئة مثلها** سميت الثانية سيئة لمشابهتها للاولى في الصورة قال مقاتل تعني القصاص في الجراحات والدماء وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها عن عمران العنبري قال سمعنا ابن عيينة قلت لسفيان الثوري عن ذلك فقال ليشتمك رجل فتشتمه او يفعل بك ذا فتفعل به فلم احد عندك شيأ فسألت هشام بن حبير عن ذلك فقال الجارح اذا جرح يقتص منه وليس له ان يشتمك فتشتمه وقد تكلفت هذه الحال امهات الفضائل الثلاث العلم والعفة والشجاعة على احسن الوجوه فالمدح بالانتصار والصلاة دعا الى العلم وبالعفة الى العفة وبالانتصار الى الشجاعة حتى لا يظن ان اذعانهم لما مضى لحرز ذل والقصر على الثمانية دعا الى فضيلة التقسيط بين الكل وهي العدل ونقصه الاخيرة كما قلة بالفضائل الثلاث فان من علم الثمانية كان عالما ومن قصد الوقوف عنها كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران ان الاول للعاجز والثاني للمتغلب المتكبر بدليل البغي فان قيل بعد هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد له وهم الذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني ان جميع الايات دالة على ان العفو احسن ولا يقال بل ينبغي ان يعفو الا في الذنب المتقوي وقال تعالى واذا امروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين اجيب بان العفو على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا لتمكين الفتنة وظهور جرأة الجاني عن جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجاني وفرة غيظه وغضبه فايات العفو محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول التناقض روي ان زينب انفلت على عايشة شتمتها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال صلى الله عليه وسلم لها سبيها وايضا فانه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع فقط ثم بين ان شرعيته مشروطة برعاية المماثلة بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى **فمن عفا** اي باسقاط حقه كله او بالنقص عنه ليتحقق الراة مما حرم من المحاورة **واصلح** اي اوقع الاصلاح بين الناس بالعفو والاصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الخلق فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه **فاجره على الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما تقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم وهذا اسلوب الكلام اليه عن مظاهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله بعفو الا عزا **انه لا يحب الظالمين** اي لا يكرم الواضعين الشيء في غير محله فتترتب عليهم عقابه **ولمن انتصر** اي سعى في نصر نفسه بحمده **بعد ظلمه** اي بعد ظلم الغير له وليس قاصد التعدي

عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان التعدي فاولئك اي المنتصرون لاجل
دفع ظلم الظالم عنهم ما عليهم والدليل بانبات الجار فقال تعالى من سبيل اي بعقاب
ولاعتاب لانهم فعلوا ما اباح لهم من الانتصار روى النسائي عن عائشة قالت ما علمت
حتى دخلت على زينب وهي غضبى فاقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلت عليها حتى رايتها قد يبس ريقها
في فمها ما يرد علي شيئا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه واختلفوا بهذه
الاية على اربعة اقوال فقيل انها منسوخة لانه فعل ما اذون فيه فيدخل تحت قوله
الاية انما السبيل اي الطريق لسالك الذي لا منع منه اصلا على الذين يظلمون الناس
اي يوقعون بهم ظلمهم تعاقدوا وانا وينبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض لما يفسد
بعد اصلاحها لتهيئتها للصلاح طبعا وعلما وعملا بغير الحق اي الكامل لان الفعل
قد يكون بغيا وان كان مضمونا بالحق كالانتصار المتعدى بالتعدي فيه اولئك اي البعد
من الله تعالى لهم عذاب اليم اي هو لهم ايلامه ابدا نهم واراوا خهم بالموا من ظلموه
ولمن صبر اي عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى وغفر اي صرح باسقاط
العقاب والعتاب فيما عن الذنب واثره ان ذلك اي الفعل الواقع منه البالغ
في العلو حدا لا يوصف لمن عزم الامور اي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا
روى انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد ظلم مظلمة فعفا عنها لله الا اعزه
الله بها نصرا ومن يضلل الله اي الذي له صفات الكمال بان لم يوفقه لما له
من ولي اي متولا من في الهداية بالبيان لما اخفاه الله تعالى عنه من بعده
اي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز ان الاضلال من الله تعالى
وان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله تعالى وقال تعالى وترى الظالمين
موضع وترائهم ليبان ان الضال لا يضع شيا في موضعه ولما كان عذابهم حتما غير
عند بالماضي فقال لما راوا العذاب اي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه
يقولون اي بكرين لما اعتراهم من الرهش وغلب على قلوبهم من الوجل هل
الى مرد اي الى دار العمل من سبيل الطريق فيتمنون حينيذ الرجوع الى الدنيا لتدارك
ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة وتراهم اي في ذلك اليوم والضمير في قوله
تعالى يعرضون عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها ثم ذكر حالهم عند
عرضهم على النار بقوله تعالى خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم
من الذل لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه ينظرون اي
بشدة انظارهم المكدرة من طرف اي بتحريك الاجفان خفي اي ضعيف النظر يسارقون النظر
الى النار خوفا منها ودلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر ملا عينه
منه ولا يفتح عينه اذا ينظر بعضها ويصح ان يكون من بمعنى الباء اي بطرف خفي ضعيف
من الذل فان قيل قد قال تعالى في صفة الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال
تعالى هنا انهم ينظرون من طرف خفي اجيب بانهم يكذبون في الابتداء هكذا ثم
يصيرون عميا او ان هذا في قوم وذاك في قوم اخرين وقيل ينظرون الى النار
بقلوبهم والنظر بالقلب خفي والماء وصفه تعالى حال الكفار حكى ما تقوله المؤمنون

فيهم

فيهم فقال تعالى وقال اي في ذلك الموقف الاعظم على سبيل التصيير لهم والتبكيت
والتوبيخ والتقريع الذين آمنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة سواء كان اتباعهم لها
في ادنى الرتب او اعلاها ان الخاسرين اي الذين كملت خسارتهم الذين خسروا انفسهم
بما استغرقها من العذاب واهليهم بمفارقتهم لهم اما في اطباق العذاب ان كانوا مثلهم
في الخسران او في دار الثواب ان كانوا من اهل الايمان يوم القيامة اي الذي هو يوم فوت
التدارك لانه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الايمان بالغيب لانكشاف الغطا
وهذا القول يحتمل ان يكون واقعا في الدنيا او يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة
وقوله تعالى الا ان الظالمين اي الراسخين في هذا الوصف في عذاب مقيم اي دائم يحتمل
ان يكون من تمام كلام المؤمنين وان يكون تصديقا من الله تعالى وما كان اي صح ووجد
لهم واغرق في النفي فقال تعالى من اولياء اي فما لهم من ولي لان النصرة اذا انتفت
من الجمع انتفت من الواحد من باب اولى ينصرونهم اي يوجدون نصرهم في وقت
من الاوقات من دون الله اي الملك الاعظم لا في الدنيا بان يقدروا على انقاذهم من وصف
الظلم ولا في الاخرة بانقاذهم من العذاب ومن يضلل الله اي يوجد اضلاله ايجادا بليغا
بما افاده الفك على سبيل الاستمرار بعدم البيان له او بعدم التوفيق بعد البيان
فما له اي بسبب اضلال من له جميع صفات الكمال واغرق تعالى في النفي بقوله سبحانه
من سبيل اي طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الاخرة ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد
ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى استجيبوا لربكم اي اجيبوه بالتوحيد والعبادة
فانه الذي لم تروا احسانا الا وهو منه من قبل ان يأتي يوم هو يوم القيامة لا مرد له من الله
اي الذي له جميع العظمة فانه اذا اتى به لا يرده واذا لم يكن له مرد منه لم يكن مرد
من غيره ومتى عدم ذلك انتج قوله تعالى ما لكم واغرق في النفي بقوله تعالى من ملجأ
اي تلجؤن اليه يومئذ اي في ذلك اليوم وزاد في التاكيد باعادة النافي وما في حيزه
ابلاغا في التحذير فقال تعالى وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه
مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليكم السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا اي عن الاجابة
لما دعوتم اليه فما ارسلناك اي بما لنا من العظمة عليهم حفيظا اي يقهرهم على امتثال ما ارسلناك
به ان اي وما عليك الا البلاغ لما ارسلناك به واما الهداية والاضلال فالينا وهذا كما قال
الجلال المحلي قبل الامر بالجهاد وانا اذا اذقنا اي بالعظمة التي لا يمكن مخالفتها الانسان
اي بما جبلناه عليه من النقص بالعجلة وعدم التمالك منا رحمة قال ابن عباس نوعان
من انواع الاكرام من صحة او غنى او نحو ذلك فرح بها اي بتلك الرحمة وافرد ضمير
فرح نظرا للفظ الانسان اشارة الى انه مطبوع على انه ليس عليه الا من نفسه ولو كان
اهل الارض كلهم على غير ذلك ونعمة الله تعالى وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها
بالنسبة الى سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سميت ذوقا
فبين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به وعظم
غروره ووقع في العجب والكبر وظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات
وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الاخرة وجمع ضمير الانسان في قوله
تعالى وان تصبهم باعتبار معناه سيئة اي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط

BULAC

بما قدمت أيديهم اي قدموه وعبر بالايدي لان اكثر الافعال بها فان الانسان اي الانيس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب سببه تضرع كفور اي بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة معتضية نالت بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزا مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة فان كان في نعمة اشر وبطر وان كان في نعمة ابيس وقنط هذا حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله تعالى جنبه ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم المومن ان اصابه سراء شكر فكان خيرا له وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا له وبما ذكر تعالى اذاقة الانسان الرحمة واصابته بعدها السيئة اتبع ذلك بقوله تعالى لله اي الملك الاعظم وحده ملك السموات كلها على علوها وتطابقها وكبرها وعظمها وتباعد اقطارها والارض جميعا على تباينها وتكاتفها واختلاف اقطارها وانشاعها يخلق اي على سبيل التجدد والاختيار والاستمرار ما يشاء وان كان على غير اختيار العباد ليدل لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه فان اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما حصل له ذلك القدر انعاما من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام تصرفه تعالى في العالم انه يخص بعض الناس باولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض محرومن الكل كما قال تعالى يهب اي يخلق لمن يشاء اناثا اولادا انثا فقط ليس معهن ذكر ويهب لمن يشاء الذكور فقط ليس معهم انثى وقرا نافع وابن كثير وابو عمر ويهب بالتخفيف في الموضعين كالباقي وبدل ايضا او اخالصة والباقون بتحقيقهما وفي الابتدا الجميع بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الثانية مع المد والتوسط والقصر ولهما ايضا تسهيلها مع المد والقصر والروم والاشمام او يزوجهم اي الاولاد فيجعلهم ازواجا اي صنفين حال كونهم ذكرانا وانثى ويجعل من يشاء عقيما اي لا يولد له قال الرازي وفي الآية تسوالات الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور والاناث قدم الذكور على الاناث فما السبب اي ما الحكمة في هذا التقديم والتاخير الثاني انه نكر الاناث وعرف الذكور وقال في الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث لما حصول الولد هنه من الله تعالى فيكفي في عدم حصوله ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله الى قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما الرابع هل المراد بهذا الحكم جميع المعيشون او الحكم على الانسان المطلق ثم قال والجواب عن الاول ان الكرم يسعى في ان يقع الختم على الخير والراحة فان اوهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعدها فكانه نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الى الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم الى الفرح فيكون اليق بالكرم قيل من تمن المراة تنكرها بالانثى فقال الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث واما تقديم الذكور على ذكر الاناث ثانيا لان الذكر اكمل وافضل من الانثى والافضل مقدم على المفضول واما الجواب عن تنكير الاناث وتعريف الذكور فهو ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من الانثى واما قوله تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا

ذكره

وهو

وهو ان كل شيئين يقترنان احدهما بالاخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية
في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والاناث ازواجا اي يجمع بينهما
فيولد له الذكور والاناث واما الخراب عن قوله تعالى عقيما فالعقيم هو الذي لا يلد
ولا يولد له يقال رجل عقيم وامرأة عقيم واصل العقم القطع ومنه قتل الملك عقيم لانه
تقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الخراب عن الرابع فقال ابن عباس رضي الله عنهما
اناثا تريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى
الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات
اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما
السلام وقال آخرون معنى هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود
بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف شاء فلا معنى للتخصيص ثم ان تعالى
ختم الآية بقوله تعالى انه عليم اي بالغ العلم بمصالح العباد وغيرها قدير اي شامل
القدرة على تكوين ما يشاء ولما بين حال القدرة وعلمه وحكمه اتبعه ببيان انه كيف يخص
انبياءه بوحيه وكلامه فقال تعالى وما كان اي وما صح لبشر من الاقسام المذكورة
وحل المصدر الذي هو اسم مكان ليقع التصريح بالفاعل والمفعول على اتم وجوهه
فقال تعالى ان يكلمه الله اظهر في موضع الاضمار اعظاما للوحي وتشريفا للمقادير فقال تعالى
الله اي بوحيد الذكر الاعظم الجامع لصفات الكمال في قلته كلاما الا اي يوحي اليه وحيا
اي كلاما خفيا بوحيه فيه بغير واسطة بوجه خفي لا يطلع عليه احدا ما بمشافهة
كما ورد في حديث المعراج واما بالهام او رؤيا منام كما رأى ابن آدم عليه السلام في المنام
ان يذبح ولده فوة السماع له وهو اشرف هذه الاقسام ام لا ومن الثاني قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل واوحى في كل سماء امرها او الا من وراء حجاب
اي من وجه لا يرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر كما وقع لموسى عليه السلام
او يرسل رسولا من الملائكة اما جبريل عليه السلام وغيره تنبيه ذكر المفسرون
ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا نكلم الله تعالى ونشاهده ان كنت
نبيا كما كلم موسى وننظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي اي الرسول
الى المرسل اليه اي كلمه ما يشاء اي الله تعالى ما يشاء اي الله عز وجل وقرأ نافع برفع
اللام من يرسل وسكون الياء من يوحي والباقون بنصب اللام والياء اما الفراء الاولى
فعليها ثلاثة اوجه احدها انه لما رفع على اضمار مبتدا اي هو يرسل ثانيها انه
عطف على وحيا على انه حال اي وحيا في تقدير الحال ايضا فكانه قال الا موحيا او مرسلا
ثالثها ان يعطف على ما يتعلق به من وراء اي تقديره او يسمع من وراء حجاب
او وحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير
او موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واما القراءة الثانية فعليها ثلاثة اوجه
ايضا احدها ان يعطف على المصدر الذي يتعلق به من وراء حجاب اي تقديره او يكلمه
من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء

حجاب او ارساله رسولا ولا يجوز ان يعطف على بكلم لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا بل يفسد لفظا ومعنى وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي الرسل اليهم ثانيها ان ينصب بان مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين على وحيا او وحيا حال فتكون هنا ايضا حالا او التقدير الا موحيا او مرسلا ثالثها انه عطف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان يوحي اليه او بان يرسل ذكره مكي وابو البقاء انه اي بهذا الذي له الشرف العظيم في هذا الوحي الكريم علي اي بالغ العلو جدا عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اي ومثل ايحائنا الى غيرك من الرسل اوحينا اليك روحا القرآن العظيم او جبريل او الوحي او الرحمة او النبوة قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدي وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك ابن دينار القرآن وسمي الوحي روحا لانه مدبر للروح كما ان الروح مدبر للبدن وزاد عظمته بقوله تعالى من امرنا اي الذي نوحيه اليك ثم بين تعالى حال نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحانه ما كنت اي فيما قبل الاربعين التي مضت لك وانت بين ظهراني قومك تدري اي تعرف قبل الوحي اليك ما الكتاب اي القرآن ولا الايمان اي تفصيل الشرايع على ما حددناه لك بما اوحيناه اليك وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل النبوة قد كان مغرا بوحدانية الله تعالى وعظمته فان كان يصلي ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه ولا انكر ان الشهادة له بنبوة صلى الله عليه وسلم بالرسالة ذكرا الايمان ولم يكن كله علم بذلك وكذلك الملائكة فصح نفي العلم لغوانة بفوات جزيه وقال ابن اسحاق بن خزيمة الايمان هنا الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقيل هذا على حذف في معناه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد وقيل الايمان هنا عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض العقل ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلايل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة بنيء ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة المنفية ساد ها في محل نصب على الحال من الكاف في اليك وفي الاية دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع بشرع وفي المسئلة خلاف للعلما فقيل كان يتعبد على دين ابراهيم وقيل غيره والضمير في قوله تعالى ولكن جعلناه نورا يعود اما الى الروح واما الى الكتاب واما اليهما وهو اولى لانهما مقصودان واحدا لهو لقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقال ابن عباس يعني الايمان وقال السدي يعني القرآن نهدي به على عظمتنا من نشاء خاصة لا يقدر احد على هدايته بغير مشيتنا من عبادنا فالخلق الهداية في خلقه بالتوفيق منه لا يقدر عليها احد غير الله تعالى واما الهداية بالتبيين والارشاد فهي في قوله تعالى وانك لتهدي اي تبين وترشد الى اكد ذلك بقوله تعالى الى صراط اي طريق واضح جدا مستقيم اي شديد التقويم وهو دين الاسلام وقوله تعالى صراط الذي له ملك الاعظم الجامع لصفات

الكمال

الكمال بدل من الاول وقرا صراط في الموضعين قنبل بالسين وخلف بالاشمام
اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه
بانه مالك لما في السموات والارض بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا الا الى الله اي المحيط بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل
ومدان وهو الكبير المتعال لا الى غيره تصير اي على الدوام وان كانت في الظاهر
في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال ابو حيان اخبر بالمضارع
والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطي ويمنع ان شاء ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل
الامور كلها من الخلق والامر معنا وحسا كما كانت الامور كلها مبتداة منه وحده
وفي ذلك وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب
او عقاب وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له حديث
موضوع سورة الزخرف مكية وهي تسع وتسعون اية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة
وثلاثة الاف واربعمائة حرف بسم الله الذي له مقاليد الامور كلها فهو
يعطي من يشاء وان طال سفوله الرحمن الذي نال برّه جميع خلقه على حسب منازلهم
عنده الرحيم الذي تقرب اليه من شاء زلفى وان ضل في البعد الى الحد الاقصى وقد تقدم
الكلام على قوله تعالى حم والواو في قوله تعالى والكتاب اي القران المبين
اي يظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة ان جعلت حم قسما والا كانت
للقسم وقوله تعالى انا جعلناه اي وجدنا هذا الكتاب قرانا عربيا اي بلغة العرب
جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد
كقول ابي تمام وثناياك انها اعريض اي طلع وبرد وقيل وكل ابيض طري ولال تؤم
وبرق وميض والتؤم جمع تؤمة وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة والوميض مصدر
ومض اي لمع لمعا خفيفا تنبيه احتج القائلون بحدوث القران بهذه الاية
من وجوه الاول انها تدل على ان القران مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق الثاني
انه وصفه بكونه قرانا وهو انما سمي قرانا لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان
كذلك مصنوعا الثالث وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت
موضع الفاظه في اصطلاحهم وذلك يدل على انه مجعول والتقدير حم ورب الكتاب
المبين ويؤكد هذا بقوله صلى الله عليه وسلم يا رب طه ويس ويا رب القران العظيم
واجاب الرازي عن ذلك بان هذا الذي ذكرتموه حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه
على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة
ومن الذي ينازعكم فيه لعلكم اي يا اهل مكة تعقلون اي لتكونوا على رجاء عند من يصح
عنه الرجاء من ان تفهموا معانيه واحكامه وبديع وصفه ومعجز وضعه ونظامه
فترجعوا عن كل ما انتم فيه من الغالبة ولا بد ان يقع هذا العقل فان القادر
اذا عبر باداة الترجي حقق ما يقع ترجيه ليكون بين كلامه وكلام العاجز
فرق وقوله تعالى وانه اي القران عطف على انا اي مثبت في ام الكتاب اي اصل
الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شي

BULAC

اصله قال ابن عباس اول ما خلق الله تعالى القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب
مثبت عنده في اللوح المحفوظ كما قال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ فان قيل
ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه السهو
والنسيان اجيب بانه تعالى لما اثبت في ذلك احكام حوادث المخلوقات ثم ان الملائكة
اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا
بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل المراد بام الكتاب الايات المحكمة لقوله تعالى
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب والمعنى ان سورة
حم واقعة في الايات المحكمة التي هي الاصل والام وقرا حمزة والكسائي في الوصل
بكسر الهمزة والباقون بضمها واتفقوا في الابتدا بالهمزة على الضم وقوله تعالى
لدينا اي عندنا بدل من الجار قبله لعلي اي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها
حكيم اي ذو حكمة بالغة او محكم في ابواب البلاغة والفصاحة افنضرب اي انهملكم
فنضرب اي ننحي مجاورين عنكم الذكر اي القران وفي نصب قوله تعالى صفحا
اوجه احدها انه مصدر في معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى اعرض
عنه وصرف وجهه عنه قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس
الفرس واضرب بفتح البا اصله اضربن بسكون البا ونون التوكيد الخفيفة فحذفت
النون وحركت البا بالفتح والطارق ما يطرق بالليل والقونس منبت شعر الناصية
وهو عظم نابت بين اذني الفرس ثانيها انه منصوب على الحال اي صافحين ثالثها
ان يكون مفعولا من اجله وقيل غير ذلك ان اي انفعل ذلك لان كنتم قوما
مسرفين اي مشركين لا نفعل ذلك وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض
وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج
المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزا وقرا الباقون بفتحها وذكر تعالى تانيسا
للنبي صلى الله عليه وسلم وتاسيه وتعزيه وتسليه قوله تعالى وكم ارسلنا
اي على ما لنا من العظمة من نبي في الاولين اي في الامم الماضين ثم حكى حالهم الماضية
بقوله تعالى وما اي والحال انه ما ياتيهم واغرق في النفي بقوله تعالى من نبي اي في امة
بعد امة او زمان بعد زمان الا كانوا اي خلقا وطبعا به يستهزءون كما استهزا
قومك بك فلا ينبغي ان تتاذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم
لان المصيبة اذا عمت خفت تنبيه كم خبرية مفعول مقدم ومن نبي
تمييز وفي الاولين يتعلق بالارسال او بمحذوف على انه صفة لنبي فاهلكنا
اي فتسبب عن الاستهزا بالرسل انا اهلكنا اشد منهم اي من قريش الذين يستهزءون
بك بطشا اي قوة وكان الاصل الاضمار ولكنه اظهر الضمير صارفا اسلوب الخطاب
الى الغيبة اقبالا على نبيه صلى الله عليه وسلم تسلية له وابلاغا في وعيدهم ومضى
اي سبق في ايات مثل اي صفة الاولين في الاهلاك وفي وعد للرسول صلى الله عليه
وسلم ووعيد لهم مثل ما جرى على الاولين واللام في قوله تعالى ولئن لام قسم سالتهم
اي سالت قومك من خلق السموات على علوها وسفلها والارض على كثرة
عجائبها وعظمتها وقوله تعالى ليقولن حذف منه نون الرفع لتوالي النونات

وواو الضمير لالتقاء الساكنين خلقهن الذي هو موصوف بانه العزيز اي الذي لا يغالب العليم
بما كان وما يكون تنبيه هذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى اذ لو جاء
على اللفظ لجيء فيه بجملة ابتدائية كالسؤال فكان الجواب هنا الله كما في غيره من الآيات
لكنه عدل عنه الى المطابقة المعنوية مكررا للفعل تأكيدا لاغراقهم زيادة في توبيخهم
وتنبيها على عظيم غلطهم ولما تم الاخبار عنهم ابتدأ دالا على نفسه بذكر مصنوعاته
فقال تعالى الذي جعل لكم ولو كان ذلك قولهم لقالوا لنا الارض مهادا اي فراشا
قارة ثابتة كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون
من بعض الجبال فالانتفاع بها انما حصل لكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت
متحركة ما امكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية وستر عيوب الاحياء والاموات
ولان المهد راحة موضع الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحات
وقرأ الكوفيون بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء والف بعد الهاء
وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها وذلك ان انتفاع الناس انما يكمل اذا سعوا
في اقطار الارض فهيأ تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الانتفاع
ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر
الغاية في ذلك فقال تعالى لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا الى مقاصدكم في الاسفار
وغيرها فتتوصلون بها الى الاقطار الشاسعة والاقاليم الواسعة او لتهتدوا الى الحق
في الدين والذي نزل اي بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة
او قريبا منها من السماء اي المحل العالي ماء لزرعكم وثماركم وشرابكم بانفسكم بقدر اي
بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى
اغرقهم فانشرنا اي احيينا به اي الماء بلدة اي مكانا يجتمع فيه للاقامة يعتنون
باحيائه متعاونون على دوام ابقائه ميتا اي كان قد يبس نباته وعجز اهله
عن ايصال ماء اليه ليحيى به قال البقاعي ولعله انث البلد وذكر الميت اشارة
الى ان بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية بضعف ارضه في نفسها وضعف اهله
عن احيائه كذلك اي مثل هذا الاخراج العظيم الذي شاهدتموه من النبات تخرجون
من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الدليل كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته فكذلك يدل
على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه جعلهم احياء بعد الاماتة
كهذه الارض التي انتشرت بعد ما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه انه يعيدهم
ويخرجهم من الارض بما كالمني كما نبتت الارض بماء المطر قال ابن عادل وهذا ضعيف لان
ظاهر لفظ الاشارة الاعادة فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى في اكمال ما تقتضيه
الحال من الاوصاف فقال عز من قائل والذي خلق الازواج اي الاصناف المتشاكلة
التي لا يكمل شيء منها غاية الكمال الا بالآخر على ما دبره سبحانه في نظم هذا الوجود كلها
من النبات والحيوان وغير ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه في شيء منها احد وقال
ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر
والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات

والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود
في ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد
والند والمقابل والعاضد فلهذا قال تعالى والذي خلق الازواج كلها فهو مخلوق
فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال الرازي وايضا علماء
الحساب يبينون ان الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان الاثنين لا توجد
الا عند حصول وحدتين فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهي غنية
عن الزوج والغني افضل من المحتاج الثاني ان الزوج يقبل القسمة بقسمين
متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتاثر وعدم
قبولها قوة وشدة فكان الفرد افضل من الزوج ثم ذكر وجوها اخر تدل على
ان الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الازواج ممكنات ومخلوقات
وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عما سواه وجعل لكم من الفلك
اي السفن العظام في البحر والانعام كالابل في البر ما تركبون وحذف
العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدي بنفسه في الانعام على المتعدي بواسطة في الفلك
والعائد مجرور في الاول اي فيه منصوب في الثاني وذكر الضمير وجمع الظهور
في قوله تعالى لتستووا على ظهوره نظرا للفظ ما ومعناها ولما اتم النعمة بخلق
ما تدعو اليه الحاجة وجعله على وجه دال على ما له من الصفات ذكر ما ينبغي
ان يكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم فقال دالا على عظم
قدر النعمة وبعد غايتها وعلوا من الذكر الذي بحرف التراخي ثم تذكروا اي
تعلوكم وصرف القول الى وجه التربية حثا على تذكر احسانه للانتهاء عن كفرانه
والاقبال على شكرانه فقال تعالى نعمة ربكم اي الذي احسن اليكم بنعمة
تسخيرها لكم وما تعرفونه من غيرها اذا استويتم عليها اي على ما تركبونه
وذكر الذكر هو ان يعرف ان الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم
السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة الى اي جانب
شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه
القابلة لتصرف الانسان ولتحريك انه انما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف
ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال
بالشكر لنعم الله تعالى التي لا نهاية لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان
والاركان على الشكر لمن اسداها قال عز من قائل وتقولوا اي بالسنتكم جمعا بين
القلب واللسان سبحان الذي سخر اي بعلمه الكامل وقدرته التامة لنا
هذا الذي ركبناه سفينة كانت او دابة وما اي والحال انا ما كنا له مقرنين
اي مطيقين والمقرن المطيق للشيء الضابط له من اقرانه اي اطاقه قال الواحدي
كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن فلان اي مثله في الشدة
وقيل ضابطين وقال ابو عبيدة قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل ومعنى
الاية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها
فسبحان من سخر لنا هذا بحكمته روى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل
حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى
عن احمد وابو داود والترمذي وقال حسن صحيح عن علي انه وضع رجله في الركاب
وقال بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا الاية
ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
ثم ضحك فقيل مم تضحك يا امير المؤمنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا رسول الله قال ان ربك يعجب من عبده
اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ويقول
علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وروى احمد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اردفه على دابة فلما استقر عليها كبر ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل
الله تعالى واحدة وضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع
كما صنعت الا اقبل الله عليه يضحك اليه كما ضحكت اليك ولما كان راكب الفلك في خطر الهلاك
وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب هلاك الراكب وكذا
السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب ان يذكر امر الموت ويقول وانا الى ربنا
المحسن الينا بالاقدار على هذه التنقلات على هذه المراكب لا الى غيره لمنقلبون
اي لصائرون الى الموت وما بعده الى الدار الاخرة انقلابا لا اياب معه الى هذه الدار
فالاية منبهة بالسير الدنيوي على السير الاخروي واكد لاجل انكارهم للبعث ولما
قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقدارهم
بذلك جعلوا له من عباده جزءا كما قال تعالى وجعلوا له من عباده الذين ابدعهم كما ابدع
غيرهم جزءا اي ولدا هو لحصرهم في الانثى احد قسمي الاولاد وكل ولد فهو جزء من والده
قال صلى الله عليه وسلم فالحمد بضعة مني ومن كان له جزء كان محتاجا فلم يكن الها
ولذلك لقولهم الملائكة بنات الله فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة ارائهم
وقرا شعبة بضم الزاي والباقون بسكونها وهما لغتان واذا وقف حمزة نقل حركة
الهمزة الى الزاي ولما كان هذا في غاية الغلط من الكفر قال مؤكدا لانكارهم ان يكون
كفرا ان الانسان اي هذا النوع الذي يقر بعضه لكفور مبين اي بين الكفر في نفسه مناد عليها
بالكفر وقوله تعالى ام اتخذ اي اعالج هو نفسه فاخذ بعد المعالجة وهو خالق الخلق
كلهم مما يخلق اي يجدد ابداعه في كل وقت بنات استفهام توبيخ وانكار اي فلم
يقدر بعد التكلف والتعب على غير البنات التي هي ابغض الجزئين اليكم ثم عطف على قوله
تعالى اتخذ ليكون منفيا على ابلغ وجه لكونه في حيز الانكار واصفاكم وهو السيد الكامل
وانتم عبيده اي اخلصكم بالبنين اللازم من قولكم السابق ثم بين كون البنات ابغض
الجزئين اليهم بقوله تعالى واذا اي جعلوا ذلك والحال انه اذا بشر اي من اي مبشر كان احدهم
اي احد هؤلاء البعداء البغضاء بما ضرب اي جعل للرحمن الذي لا نعمة على شيء من الخلق
الا وهي منه مثلا اي شبها بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا
اخبر احدهم بالبنت تولد له ظل اي صار وجهه مسودا اي شديد السواد لما يعتريه
من الكآبة وهو كظيم اي ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى هذا

بنات بنسبة

BULAC

ما لا يرضى عاقل ان يمر بفكره فضلا عن ان ينفوه به وقوله تعالى أَوَمَن يُنَشَّأُ اي على ما جرت
به عوايدكم فِي الْحِلْيَةِ يجوز في من وجهان احدهما ان تكون في محل نصب مفعولا بفعل
مقدر اي او تجعلون من ينشأ في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره محذوف تقديره او من ينشأ
جزا وولدا اذا جعلوا لله جزا والمعنى ان الذي يتزين في الحلية يكون ناقصة الذات
لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية وقرا حمزة والكسائي
وحفص بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين اي يربى والباقون بفتح اليا وسكون النون
وتخفيف الشين واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا تسهيلها والروم والاشمام
ثم بين نقصان حالها بطريق اخر بقوله تعالى وَهُوَ اي والحال انه وقدم في افادة الاهتمام
قوله تعالى فِي الْخِصَامِ اي المجادلة اذا احتيج اليه فيها غَيْرُ مُبِينٍ اي مظهر لحجة لضعفه
عنها بالانوثة قال قتادة في هذه الاية قل ما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت
بالحجة عليها ثم بين تعالى جريتهم على ما لا ينبغي لعاقل ان ينفوه به بقوله تعالى وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ متصفون باشرف الاوصاف وهو انهم عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ اي العام النعمة
الذين ما عصوه طرفة عين إِنَاثًا وذلك ادنى الاوصاف خلقا وخلقا ذاتا وصفة
فهذا الكفر ثالث كالكفرين قبله وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بكسر العين وبعدها نون
ساكنة ونصب الدال والباقون بعد العين بيا موحدة مفتوحة وبعدها الف ورفع
الدال ثم قال تعالى تهكما بهولا القايلين ذلك وتوبيخا لهم وانكارا عليهم أَشَهِدُوا اي حضروا
خَلْقَهُمْ اي خلقي اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وقرا نافع بهمزتين
الاولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين وادخل قالون
بينهما الفا ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين سَنَكْتُبُ
بكتابة من وكلناهم به من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نامرهم
به شَهَادَتَهُمْ اي قولهم فيهم انهم اناث الذي لا ينبغي ان يكون الا بعد تمام المشاهدة
فهو قول ركيك سخيف ضعيف بما اشار اليه التانيث وَيُسْأَلُونَ عنها عند الرجوع الينا
قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم
انهم اناث قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال تعالى سنكتب
شهادتهم ويسالون عنها في الاخرة وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد
حرام يوجب الذم العظيم قال المحققون هولا الكفار في هذا القول من ثلاثة اوجه
اولها اثبات الولد ثانيها ان ذلك الولد بنت ثالثها الحكم على الملايكة بالانوثة
تنبيه قال البقاعي يجوز ان يكون في السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة
ما قالوا ولا علم لهم به فانه قد روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاتب
الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين
على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله او يستغفر ثم
نبه سبحانه على انهم عبدوهم مع ادعا الانوثة فيهم فقال تعالى عجبا منهم في ذلك
وفي جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم وهو من اوهى الشبه وَقَالُوا اي بعد
عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة غير الله تعالى لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ اي الذي له عموم الرحمة

ما عبدناهم

ما عبدناهم اي الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيته فهو راض بها ولولا انه راض بها لعجل لنا العقوبة فاستدلوا بسبق مشيته عدم العقاب على الرضى بها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض ما مر كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال تعالى ما لهم بذلك اي القول من الرضا بعبادتهم من علم اي ما لهم الا خرصون اي يكذبون في هذه النسبة التي زعموا انها دلتهم على رضى الله تعالى بكفرهم فنبه تعالى عليهم العقاب وبين تعالى بطلان قولهم بالعقل اتبعه ببطلان قولهم بالنقل فقال تعالى ام آتيناهم اي على ما لنا من العظمة كتابا اي جامعا لما يريدون اعتقاده من اقوالهم هذه من قبله اي القرآن اخبرناهم فيه انا لم نخلقها الملائكة اناثا وانا لا نشاء الا ما هو حق نرضاه ونامر به فهم الى فتشبثوا عن هذا الايتاء انهم به وحده مستمسكون اي موجودون للامساك به فيأخذون بما فيه لم يقع ذلك ولما بين تعالى انه لا دليل لهم على صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه لا احتمال لهم يحملهم عليه الا التقليد بقوله تعالى بل قالوا اي وهم اوضح منا عقولا واصح منا افهاما على امة اي طريقة عظيمة يحق لها ان تقصد وتؤم ثم اكدوا قطعا لرجاء المخالف من لغتهم عن ذلك فقالوا وانا على آثارهم اي خاصة لا على غيرها مهتدون اي منبعثون فلم ذاتبتني من عند انفسنا ولا عملنا في الاتباع واقتفاء الآثار فلا اعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل هذا اصوله التي من ضل في شيء منها هلك ولو ظهر لاحدهم خلل في سعي اليه الدنيوي الذي يحصل الدينار والدرهم ما اقتدى به اصلا وخالفه اي مخالفة ما هذا الا قصور نظر ومحض عناد ثم اخبر تعالى عن غيرهم قال هذه المقالة بقوله سبحانه وكذلك اي ومثل هذه المقالة المتناهية في الشناعة فعلت الامم الماضية مع اخوانك الانبياء عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله تعالى ما ارسلنا اي مع ما لنا من العظمة من قبلك اي في الازمنة السالفة في قرية واعرف في النفي بقوله تعالى من نذير وبين به ان موضع الكراهة والخلاف على الانذار على مخالفة الامر الا قال مترفوها اي اهل الترفه بالضم وذلك موجب لقلة الهم والراحة والبطالة وهي النعمة والطعام الطيب والشيء اللطيف يكون خاصا بالمترف وذلك موجب لقلة الهم والراحة والبطالة انا وجدنا آباءنا اي وهم اعرف منا بالامور على امة اي امر جامع يستحق ان يقصد ويؤم ثم اكدوا كما اكدوا قالوا وانا على آثارهم اي لا على غيرها مقتدون اي سائرون على طريقتهم لا زيور لها فتأسى هذا التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي يا افضل الخلق لهؤلاء البعداء البغضاء اولا اي اتتبعون ذلك ولو جئتكم بأهدى اي امر اعظم في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم عليه آباءكم اي ايها المقتدون بالآباء عليه اي كما تضمن قولكم انكم تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم في اعظم الاشياء وهو الدين الذي الحسارة فيه خسارة للنفس وانتم تحاذرون الغوغم في امر الدنيا اذا وجدتم طريقا اهدى منها او اقرب فيها من طريقتهم ولو امرا يسيرا وتفتخرون باحدكم بانه ادرك من ذلك ما لم يدرك آباؤه فحصل من المال اكثر مما حصل فيا له من نظر ما اقصره ومتجر ما اخسره وقرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضي

اي قال المنذرا والرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والبافون قل بصيغة الامر للنبي
صلى الله عليه وسلم اجابوه بان قالوا سوكين ردا لما قطع به كل عاقل سمع بهذا
الكلام من انهم يتادون النظر في الدليل والرجوع الى سواء السبيل انا بما ارسلتم به
اي انت ومن قبلك كافرون اي بما تنزون لما ظهر من ذلك جهد نا حتى لا نظهر
لاحد ولا يتعلم منه مخلوق وان كان اهدى مما كان عليه اباونا فعند هذا لم يبق لهم
عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا اي باليا من العظمة التي استخفوا بها فاهلكناهم
فاهلكنا بهم بعذاب الاستيصال ثم عظم اثر النعمة بالامر بالنظر فيها في قوله
تعالى فانظر يا افضل الرسل كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين لرسلنا فانهم
هلكوا اجمعون ونجا المومنون اجمعون فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك وهذا
تهديد عظيم للكفار قريش ثم بين تعالى وجها اخر يدل على فساد التقليد بقوله تعالى
واذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال ابراهيم اي الذي هو اعظم اباهم وتحط فخرهم
والجمع على تحتيه وخفة دينه منهم ومن اهل الكتاب وغيرهم لابيه من غير
ان يقلده كما قلدتم انتم اباكم وقومه الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لا احقوا
بهم على ملك جميع الارض اني براء اي بري ء مما تعبدون اي في الحال والاستقبال
الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته
تنبيه في هذا الاستثنا اوجه احدها انه استثنا منقطع لانهم كانوا
عبدة اصنام فقط ثانيها انه متصل لانهم وان عبدوا غير الباري عبدوه ايضا
ثالثها ان تكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري
قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا
بمعنى غير لا توصف بها الا النكرة وفيها خلاف وعلى هذا احتمل ان تكون ما موصولة
والا بمعنى غير صفة لها وجعلها اي ابراهيم كلمة اي كلمة التوحيد المفهومة من قوله
اني الى سيهدين باقية في عقبه اي ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لانه
عليه السلام مجاب الدعوة وقال ومن ذريتنا ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لعلهم اي اهل مكة يرجعون
عما هم عليه الى دين ابراهيم ابيهم فانهم اذا ذكروا ان اباهم الاعظم الذي بناها لبيت
واوريهم الفخر قال ذلك نابعوه قال الله تعالى بل متعت هولا اي الذين
حضروك من المشركين واعداد الدين واباهم اي مددت لهم في الاعمار مع اتساع
النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم ولم اعاجلهم بالعقوبة فيطرهم
نعمتي وتمادى بهم ركوب ذلك الباطل حتى جاهم الحق اي القران ورسول مبين
اي مظهر لهم الاحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاهم الحق اي الكامل
في حقيقته بطابقة الواقع اياه من غير التباس ولا اشتباه وهو القران العظيم
قالوا مكابرة وعنادا وحسدا من غير وفقة ولا تامل هذا مشيرين الى الحق
الذي يطابقه الواقع فلا شي اثبت منه وهو القران الكريم سحر اي خيال
لا حقيقة له وانا به كافرون اي عريقون في متابرة بخصوصه حتى لا يكون احد
اكفر منا ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعا اخر من كفرهم بقوله تعالى وقالوا لولا اي هلا

نزل اى من المنزل الذى ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعنوا مرادهم ونفوا النبى فقالوا لولا
هذا القرآن اى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى انه جامع لكل خير على رجل
من القريتين اى مكة والطايف عظيم لانهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف
فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا فى ذلك الا انهم فهموا اليه مقدمة فاسدة
وهى ان الرجل الشريف عندهم هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه
وسلم ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله تعالى به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم
الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة ابن مسعود بالطايف قاله
قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وعبد ياليل الثقفى من الطايف
وعن ابن عباس هو الوليد ابن المغيرة من مكة ومن الطايف حبيب بن عمرو بن عمير
الثقفى بنسبه قوله تعالى من القريتين فيه حذف مضاف قدره بعضهم من رجلى
القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل المراد عروة ابن مسعود الثقفى كان بالطايف
وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كليهما ثم رد الله تعالى عليهم اعتراضهم منكرا
عليهم موبخا لهم بما معناه انه ليس الامر مردودا اليهم والامر فيه عليهم بل الى الله
تعالى وحده والله اعلم حيث يجعل رسالاته بقوله تعالى اهم اى هو الجهلة الغمرة
نقسمون اى على التحدد والاستمرار رحمة ربك اى اكرام المحسن اليك وانعامه والشريف
بانواع اللطف والبر واعظامه بما زينه من تخصيصك بالارسال اليهم لانقاذهم
من الضلال وجعلك وانت افضل العالمين الرسول اليهم ففضلوا بفضلك
معانك بشر بهم نسبا وافضلهم حسبا واعظمهم عقلا واصفاهم لبا وارجحهم قلبا
لينصرفوا فى تلك الرحمة التى هى روح الوجود وسر الامر بحسب نشوائهم وانهم
لا تقدرون على التصرف فى المتاع الزايل بمثل ذلك فقال تعالى نحن قسمنا بيننا
من العظماء بينهم اى فى الامر الذى يعمهم ويجب تخصيص كل منهم بما لديه معيشتهم التى
يعدونها رحمة وتقصرون عليها النعمة فى الحياة الدنيا التى هى ادنى الاشياء عندنا
واشارتنا نبهنا الى انها حياة ناقصة لاعراضها عما قل واما الاخرة فقصر عنها
بالجمع ان لانا لو تركنا قسمها اليهم لنقاوتوا على ذلك فلم يبق منهم احد فكيف
يدخل فى الوهم ان نجعل اليهم شيئا من الكلام فى امر النبوة التى هى روح الوجود
وبها سعادة الدارين ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فى الجاه والمال ليتخذ
فقير الفقل مرفوع بعض وان كان قويا بمزيد العقل درجات فى الجاه والمال ليتخذ
الامر وعظم القدر ليتم نظام حال الوجود فانه لابد فى اتمام من تشارك الموجود بين
ونقائصهم فقاوتنا بينهم فى الحسن والفقر والهمم وانهم ليقتسموا الصنايع والمعارف
ويكون كل منهم لما خلق له وحائحا لما هيئ لمغاطته فلم نقدر احدا من ان يغنى زيدا ويعدو
قدره ويرتقى فوق منزلته ثم على ذلك بما مثلنه به من عمارة الارض بقوله تعالى ليتخذ
اى بغاية جهده بعضهم بعضا سخريا اى ليسخر بعضهم بعضا فيسخر الاغنيا
بما منحوا به الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بما اله وهذا
بما عمله فكملتهم قوام العالم لان المقادير لو تساوت لتعطلت المعايش فلم يقدر
احد منهم ان يتفكك عما جعلناه اليه من هذا الامر الذى فكيف يطمعون فى الاعتراض

في امر النبوة اي تصور عاقلا ان يتولى قسم النبوة فاضر ويكل العالي الى غيره قال
ابن الجوزي فاذا كانت الارزاق بقدرة الله تعالى لا تحول المحتال وهي دون النبوة
فكيف تكون النبوة انتهى وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة
الى الوصف بالاحسان اظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة ربك اي الذي
لك والمدبر لامرك بارسالك وانالة الوجود برسالتك التي هي لعظمها احد بين
بان تضاف اليه ولا تضاف غيره رحمة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني
فانه وان تاتى فقد خبر في استعماله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة
وما قارنها مما دعى الى الاعراض عن الدنيا متلاش وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى
عليه البغوي وتبعه الجلال المحلي وابن عادل وجرى على الاول البيضاوي وتبعه
النقاي وهو الظاهر من الاية الكريمة فايدة التفوق الغرا اضافة عاقرة بضم
الشين بمعنى تقالى حقارة الدنيا وخستها التي يفتخرون بها بقوله تعالى ولولا
ان يكون الناس اي اهل التمتع بالاموال بما فهم من الاضطراب والانس بانفسهم
امة واحدة اي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطانا المال دليل على محبتنا
لمن اعطيناه لجهلهم الدنيا وجعلها محط انظارهم وهمهم الامن عصمه الله تعالى
لجعلنا اي في كل زمان وكل مكان بما بين الغطة التي لا يقدر احد على معارضتها
لحقارة الدنيا عندنا وبغضنا لها لمن يكفر وقوله تعالى بالرحمن اي العام الرحمة
دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطائها الابعد الممقوت وعلى ان صفة الرحمة
مقتضية للتناهي بسط النعم على الكافر لولا العلة التي ذكرها الله تعالى من الرفق
بالمومنين وقوله تعالى لبيوتهم بدل من لمن بدل اشتمال باعادة العامل واللام
للاختصاص سقفا من فضة قال النقاي كانه خصها اي الفضة لانها اغلى
النوعين وقرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء الوحدة والباقون بكسرها وقرا ابن
كثير وابو عمرو وسقفا بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون
بضمهما جميعا وقوله تعالى ومعارج جمع معرج وهو السلم اي من فضة ايضا وسميت
المصاعد من الدرج معارج لان المشي عليها مثل مشي الاعرج عليها خاصية التفسير
امرها لهم يظهرون اي يعلون ويرتفعون عليها ظهورها الى العالي ولبيوتهم ابوابا
من فضة ايضا وقوله تعالى وسررا اي من فضة جمع سرير ودل على صدق بالهم وصفا
اوقاتهم واحوالهم بقوله تعالى عليها يتكئون ودل على ما اعظم من الفضة لقوله
تعالى وزخرفا اي ذهبا وزينة عامة كاملة تشبه زخرفا ويجوز ان يكون منصوبا
بجعل اي وجعلنا لهم زخرفا ويجوز الزمخشري ان ينتصب عطفا على محل من فضة
كانه قيل يسقفا من فضة وذهبا فلما حذف الخافض انتصب اي بعضهم كذا وبعضهم
كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى او يكون لك بيت من زخرف فيكون
المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة لقوله تعالى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى لبيوتهم زينة عظيمة في كل باب وان كل ذلك
اي الامر البعيد من الخير لكونه في الاغلب متعذرا جعلناه رضينا لما متاع الحياة الدنيا
اي التي اسمها دال على دناتها يتمتع به فيها ثم يزول وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة

بتشديد

بتشديد الميم بعد اللام بمعنى الا حكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت بمعنى الا وتكون
ان نافية اي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرا الباقون بالتخفيف وتكون
ان هي المخففة من الثقيلة اي وانه كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة اي
الجنة التي لا دار تعدلها بل لا دار في الحقيقة الا هي عند ربك اي المحسن اليك
بان جعلك افضل الخلق للمتقين اي الذين هم دائما واقفون عن ادنى تصرف
الا بدليل لا يشاركهم فيها غيرهم من الكفار ولهذا لما ذكر عن كسرى وقيصر وما كانا
فيه من النعم قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى منها كافرا قطرة ماء وروى المستورد بن شداد قال كنت في الركب
الذي وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها
القوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه
على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن قتادة ابن النعمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم
يحمي سقيمه الماء قال البقاعي ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة من الجبابرة
من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان تكون
الناس امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله
او في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد
لهم في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلوا عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط
فكيف يملك الملوك فان قيل لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك
سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا
لاجتماع الناس على الاسلام اجيب بان الناس هذا التقدير كانوا يجتمعون
على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة ان لا يجعل
ذلك للمسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام فانما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب
رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن
اي الذي عمت رحمته فلا رحمة على احد الا وهي منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم واياهم
حيث ابطرهم ذلك وهو شيء يسير جدا فاعرضوا عن الآيات والدلائل فلم ينظروا
فيها الا نظرا ضعيفا كنظر من غشا بصره وهو من سا بصره بالليل والنهار نقيض
اي نسبب له عقابا على اعراضه عن ذكر الله شيطانا اي شخصا ناريا بعيدا من الرحمة
يكون غالبا عليه محيطا به مضيقا عليه مثل قبض البيضة وهو القشر الداخل
فهو له قرين مشدود به لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر
الله تعالى فهو يزين له العمى ويخيل اليه انه على عين الهدى كما ان من يستبصر
بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له ولي يبشره بكل خير فذكر الله تعالى حصن حصين
من الشيطان الرجيم متى خرج العبد منه اسوة العدو كما ورد في الحديث

وانهم اى القرنا ليصدونهم اى العاشين عن السبيل اى الطريق الذى من حاد عنه هلك
لانه لا طريق فى الحقيقة سواه ويحسبون اى العاشون مع بصيرهم فى الهلاك لتزيين
القرنا باحضار الخطوط والتمنيات وابعاد الواعظ انهم مهتدون اى عريقون
فى هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين
تنبيه ذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال ابو حيان الظاهر ان ضمير الجمع
فى وانهم ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها اى اعالقطها والافراد فى قوله
وله تم راعاة معناها الجمع فى قوله تعالى وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان
لان المراد به الجنس ولان كلا قرئ معه قرين وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون
بكسرها وقرأ حتى اذا جاءنا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بمد الهمزة بعد الجيم
على التثنية اى جا العاشى والشيطان والباقون بغير مد افراد اى جا العاشى قال
اى العاشى يندما وتحسرا لا ينفعه له لفوات محله وصوار العمل يا ليت بينى
وبينك ايها القرين بعد المشرقين اى ما بين المشرق والمغرب على التغليب
قال ابن جرير وغيره او مشرق الشتا والصيف اى بعد احدهما عن الاخر ثم سيق عن تقدا
التمنى قوله جامعا له انواع المذام فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف اى انت
لانك الذى اضللتنى واوصلتنى الى هذا العيش الضنك والمحل الدحض قال ابو سعيد
الخدرى اذا ادخل الكافر النار روح بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار
وفى فاعل قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم
وما فى حيزها التعذير ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب بالتاسى كما ينفعكم الاشتراك
فى مصائب الدنيا فيتاسى المصاب بمثله ومنه قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولى على نوتاهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل اخى ولكن اعزى النفس عنهم بالتاسى

والثانى انه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمنى المدلول عليه بقوله يا ليت بينى لن ينفعكم
تمنيكم البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وتحسركم وعبارة من عبر بان
العامل محذوف مقصودة الاضمار المذكور لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف الا فى موضع
ليس هذا منه والمعنى ولن ينفعكم اليوم فى الاخرة اذ ظلمتم اى اشركتم فى الدنيا انكم
فى العذاب مشتركون اى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخففه الاشتراك عنكم
لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال عقبة بن عامر لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم تشتركون
فى الدنيا بتنبيه استشكل المعربون هذه الاية ونحوها ان قوله تعالى اذ ظلمتم ظرف
لماض واذا ظرف لماض ويستعمل مستقبل الا قرأنه بان التى لنفى المستقبل والظاهر
انه عامل فيه الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم يقع بعد فى ظرف حاضر
او ماض هذا مما لا يجوز اجيب عن اعماله فى الظرف الحالى على سبيل فرض به منه لان
الحال قريب من الاستقبال فيجوز فى ذلك قال تعالى فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
سانسى الان اذ تلفت اباها وهو اتانى والافا المستقبل يستحيل

وتوهم

وتوعه في الحال عقلا واما قوله تعالى لذكرك فهو كثرة قال بن جني راجعت ابا علي
فيه مرارا فاخبرني انه حصلت منه ان الى شيء والاخرة متصلتان وبهما سواء وكل الله تعالى
وعلمه فاذا بدل من اليوم حتى كانه مستقبل او كان اليوم ماض والى هذا ذهب الزمخشري
قال واذ بدل من اليوم وحمل الزمخشري على معنى اذ تبين وضح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم
شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره اذا ما انتسبنا لم يلدن لئيمة اي يتبين اني ولدت كريمة
ولما وصفهم في الاية المتقدمة بالعيش وصفهم بالصم والعمى بقوله تعالى افانت اي وحدك
من غير ارادة الله تعالى تسمع الصم وقد اصمهم ما اصابهم في مسامع افهامهم من وصاص
العقاب او تهدي العمي الذين اعميناهم باغشيتنا به ابصار بصائرهم من اغشية الخسارة
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحزن في دعاء قومه وهم لا يزدادون الا تصاما على الكفر
وعنادا في العمى فنزلت اي هم في الغفرة عنك وعن دينك بحيث اذا اسمعتهم القرآن
كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمي وقوله تعالى ومن كان اي جبلة وطبعا
في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب
لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى لانه بين في نفسه انه ضلال وانه محيط بالضال مظهر لكل
ذلك فهو بحيث لا يخفى على احد فالمعنى ليس شيء من ذلك اليك بل هو الى الله تعالى القادر
على كل شيء واما انت فليس عليك الا البلاغ فلا تتعب نفسك فاما نذهبن بك
اي من بين اظهرهم بموت او غيره وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون المؤكدة فانا منهم اي الذين تقدم التعريض انهم صم عمي ضلال لانهم لم ينفعهم
مشاعرهم منتقمون اي بعد فراقك لانه وجودك بين اظهرهم هو سبب تاخير
العذاب عنهم او نرينك وانت بينهم الذي وعدناهم اي من العذاب وعبر فيه
بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر بمدلوله فانا اي بما لنا من العظمة التي
انت اعلم الخلق بها عليهم اي على عقابهم مقتدرون على كلا التقديرين والكيان
لانه افعالهم افعال من يقدر فقدرته وكذا انا لانت من بنون العظمة وصيغة الافتعال
فاستمسك اي اطلب وا وجد بجد عظيم على كل حال الامساك بالذي اوحي اليك من حين
نبوتك والى الآن في الانتقام منهم وفي غيره انك على صراط اي طريق واسع واضح
جدا مستقيم موصل الى المقصود لا يصح اصلا ان يلحقه شيء من عوج وانه اي الذي
اوحي اليك في الدين والدنيا لذكر اي لشرف عظيم جدا وموعظة وبيان لك
ولقومك فرئيس خصوصا للذي وله بلغتهم والعرب عموما وسائر من اتبعك لوجوه
من غيرهم روى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سيل لمن هذا
الامر بعد كان لم يجبه شيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سيل لمن هذا الامر
بعد كان قال لقريش وروى عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا زال هذا
الامر في قريش ما بقي اثنان وروى معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لن يزال هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا اكبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقال
تحاهد العرب مع العرب والعجم مع العجم فان نزل بلغتهم يختص بذلك الشرف الاخص
فالاخص من العرب حتى يكون الاشرف قريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك بما اعطاك من الحكمة
ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون اي عن القرآن يوم القيمة وعن قيامكم

بحقه وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له وقال الكلبي تسألون هل اديتم شكر النعمة امنا
عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسأل سؤال توبيخ
وقيل يسأل هل عملتم بما دل عليه القرآن من التكاليف وروى عطاء عن ابن عباس قال لما
اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى الى السموات العلى بعث له آدم وولده
من المرسلين عليهم السلام فاذن جبريل عليه السلام ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل
بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا اي على ما لنا من العظمة قَبْلَكَ
مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ اي غيره آلِهَةً يُعْبَدُونَ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد
ابن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسألهم فلم يسأل ولم يشك
وقال اكثر المفسرين سل مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم
الرسل الا بالتوحيد وهو قول مجاهد وقتادة والسدي ولم يسأل صلى الله عليه وسلم
على واحد من القولين لان المراد من الامر بالسؤال التقرير ولمشركي قريش انه لم يأت
رسول من الله تعالى ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى ولما طعن كفار قريش في نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه والمال بين الله تعالى ان موسى عليه السلام
بعد ان ورد المعجزات القاهرة التي لا يشك في صحتها عاقل اورد عليه فرعون هذه
الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال تعالى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا اي من ظهر من عظمتنا
مُوسَىٰ اي الذي كان فرعون يرى انه احق الناس بعظمته لانه رباه وكفله بِآيَاتِنَا
التي قهر بها عظماء الخلق وجبابرتهم فدل ذلك على صحة دعواه إِلَىٰ فِرْعَوْنَ الذي ادعى انه
الرب الاعلى وَمَلَئِهِ اي القبط فَقَالَ اي بسبب ارسالنا إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
اي مالكهم ومدبرهم ومربيهم فقالوا له ائت بآية فأتى بها فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا
اي بآيتي اليد والعصا اللتين شهدوا فيهما عظمتنا ودلهم ذلك على قدرتنا على جميع
الآيات إِذَا هُمْ اي باجمعهم مِنْهَا يَضْحَكُونَ اي فاجأوا المجيء اليها من غير توقف ولا تأمل
بالضحك سخرية واستهزاء قيل انه لما القى عصاه وصارت ثعبانا فلما اخذه صار عصى
كما كان ضحكوا ولما اعرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا وَمَا اي والحال
انما نُرِيهِمْ على ما لنا من الجلال والعلو واغرق في النفي باثبات الجار فقال تعالى
مِنْ آيَةٍ اي من آيات العذاب كالطوفان وهو ما دخل بيوتهم وصل الى حلوق الجالسين
سبعة ايام والجراد إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ اي في الرتبة مِنْ أُخْتِهَا اي التي تقدمت عليها
بالنسبة الى علم الناظرين لها وَأَخَذْنَاهُمْ اي اخذ قهر وغلبة بِالْعَذَابِ اي انواع العذاب
كالدم والقمل والضفادع والبرد الكبار الذي لم يعهد مثله متلهبا بالنار وموت
الابكار فكانت آيات على صدق موسى عليه السلام بما لها من الاعجاز وعذابا لهم
في الدنيا موصولا بعذاب الآخرة فيا لها من قدرة باهرة وحكمة ظاهرة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
اي ليكون حالهم عند ناظرهم الجاهل بالعواقب حال من يرجى رجوعه وَلَمَّا عاينوا
العذاب قَالُوا لموسى اي فرعون بالمباشرة واتباعه بالموافقة يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ فنادوه
بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الباهر ساحرا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ اي المحسن اليك بما يفعل معك من هذه الافعال التي

نهيتنا

نهيتنا بها اكراما لك بما اي بسبب ما عهد عندك اي من كشف العذاب عنا ان امسنا
انا لمهتدون اي مومنون فلما كشفنا على ما لنا من العظمة التي ترهب الجبال عنهم العذاب
اي الذي انزلناه بهم اذا هم ينكثون اي فاجاوا الكشف بتحذير النكث باخلاف
بعد اخلاف ونادى فرعون اي زيادة على نكثه في قومه اي الذين هم في غاية القيام
معه وامر كلا منهم ان يشيع قوله اشاعة تعم البعيد كما تشمل القريب فتكون كانها
مناداة اعلاما بانه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم انه رجع فيرجعوا ولما كان كانه قيل
ثم نادى اجاب بقوله قال اي خوفا من ايمان القبط لما راى من ان ما شاهدوا
من باهر الايات مثله يزلزل وياخذ القلوب يا قوم مستعطفا لهم باعلامهم انهم
لحمة واحدة ومستنهضا بوصفهم بانهم ذو قوة على ما يجادلونه مقررا لهم على عذره
في نكثه بقوله اليس لي اي وحدي ملك مصر اي كله فلا اعتراض علي من بني
اسرائيل ولا غيرهم وهذه اي والحال ان هذه الانهار اي انهار النيل قال البيضاوي
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس وقال البقاعي كانه
كان قد اكثر من تشقيق الخلجان الى بساتينه وقصوره ونحو ذلك من اموره فقال
تجري من تحتي اي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني وزاد في التقرير بقوله
افلا تبصرون اي هذا الذي ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم انه لا ينبغي لاحد ان ينازعني
وهذا لعمري قول من ضعفت قواه وانحلت عراه ام انا خير مع ما وصفت
لكم من ضخامتي وما لي من القدرة على اجرا المياه التي بها حياة كل شي من هذا وكنى
عنه باشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه بما يبين مراده بقوله الذي هو مهين اي
ضعيف حقير ذليل لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة تجري بها نهرا ولا
ينفذ بها امرا ولا يكاد يبين اي لا يقرب من ان يضرب عن معنى من المعاني لما في لسانه
من الحبسة فلا هو قادر في نفسه ولا له قوة بلسانه على تصريف المعاني وتنويع البيان
ليستجلب القلوب ويتعش الالباب فتكثر اتباعه ويضخم امره وقد كذب في جميع قوله
فقد كان موسى عليه السلام ابلغ اهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله الذي ارسله
له وامره اياه ولكن المعيب اسند هذا الى ما بقي في لسانه من الحبسة تخييلا
لاتباعه لان موسى عليه السلام ما دعا بازالة جميع حبسة بل بعقدة منها فانه
قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي تنبيه في ام من قوله ام انا خير اقوال
احدها انها منقطعة فيقدر ببل التي لاضراب الانتقال وبالهمزة التي للانكار
والثاني انها بمعنى بل فقط كقوله بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها
ام انت في العين املح اي بل انت الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال
ابو البقا ام هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ وهي في المعنى
متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه ام لا وايتنا خير قال ابن عادل وهذه عبارة غريبة
ان يكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع
يقتضي اضرابا اما ابطالا واما انتقالا ثم ان فرعون اللعين ظن ان القرب من الملوك
والغلبة على الامور لا يكون الا بكثرة الاعراض الدنيوية والتحلي بحلي الملوك فلذا قال
فلولا اي فهلا القي عليه من عند مرسله الذي يدعي انه الملك بالحقيقة وقرا

أساورة حفص بسكون السين والالف بعدها كالاحمرة والباقون بفتح السين والف بعدها
فاسورة جمع سوار كحمار واحمرة وهو جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال
سوار المراة واسوارها والاصل اساوير بالياء فعوض من حرف المد تاء التانيث كزنديق
وزنادقة وبطريق وبطارقة وقيل بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع والسوار ما يوضع في المعصم
من الحلية من ذهب ليكون ذلك امارة له على صحة دعواه كما نفعل نحن عند انعامنا على احد
من عبيدنا بالارسال الى ناحية من النواحي لمهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا
جعلوا واحدا منهم رئيسا سوورة بسوار من ذهب وطوقون بطوق من ذهب فطلب فرعون
من موسى عليه السلام مثل عادتهم أو جاء معه اي صحبته عند ما جاء الينا بهذا النبا الجسيم
والملم العظيم الملائكة اي هذا النوع واشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله مقترنين
اي يقارن بعضهم بعضا بحيث يملون الفضا ويكونون في غاية القرب منه بحيث
يكون مقارنا لهم ليجاب الى هذا الامر الذي جاء يطلبه كما نفعل نحن اذا ارسلنا رسولا
الى امر يحتاج الى دفاع وخصام ونزاع فكان حاصل امره كما ترى انه تعزز باجراء المداة
فاهلكه الله تعالى بها ايما الى من تعزز بشيء دون الله اهلكه الله تعالى به واستصغر
موسى عليه السلام وعابه بالفقر والعي فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه ما استصغر
احد شيئا الا غلبه افاده القشيري فاستخف اي بسبب هذه الخدع التي سخرهم
بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة محقر له موهن لامره قاصم لملكه عند من له لب
قومه الذين لهم قوة عظيمة فحملهم بغروره على ما كانوا مهابين له من خفة الحلم فاطاعوه
اي بان اقروا بملكه واعترفوا بربوبيته وردوا امر موسى عليه السلام انهم كانوا
اي بما في جبلاتهم من الشر قوما فاسقين اي عريقين في الخروج عن طاعة الله تعالى
او معصيته فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اي اغضبونا في الافراط في العناد
والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه حكي ان ابن جريج غضب في شيء فقيل له
اتغضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله يقول فلما آسفونا
اي اغضبونا انتقمنا منهم اي اوقعناهم على وجه المكافاة لما فعلوا برسولنا عليه
السلام عقوبة عظيمة منكرة مكروهة كانها بعلاج فاغرقناهم اجمعين اي اهلاك
نفس واحدة لم يفلت منهم احد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم تنبيه ذكر لفظ الاسف في حق
الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب تاويلها فمعنى
الغضب في حق الله تعالى ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق
وقال بعض المفسرين معنى اسفونا اي اخربوا اوليانا فجعلناهم اي باخذنا لهم
على هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدمه سلفا اي متقدما لكل من يهلك
بعدهم اهلاك غضب في الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة او قدوة لمن يريد العلو
في الارض فتكون عاقبته في الهلاك في الدارين او احدهما عاقبتهم كما قال تعالى وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ومثلا اي حديثا عجيب الشان سائرا سير المثل للآخرين
اي الذين خلفوا بعدهم من زمنهم الى اخر الدهر فيكون حالهم عظة للناس واضلالا للاخرين
فمن اريد به الخير وفق لمثل خير يرده عن غيه ومن اريد به الشر اقتدى بهم في الشر
وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام والباقون بفتحهما فاما الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه

احدها

احدها انه جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معن من العرب سليفهم الناس كالغريبهم والثاني انها جمع سالف كصابر وصبر والثالث انها جمع سالف كشاهد وشهد واما الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان تكون جمعا لسالفة كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اي تقدم والسلف كل شيء قدمته من عمل صالح او فرض وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال الطفيل يسلفوا سلفا فصد السبيل عليهم ضروب المنايا بالرجال تقلت واختلف في سبب نزول قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا فقال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت في مجادلة عبد الله ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى لما ضرب عبد الله ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك اي من قريش منه اي من هذا المثل يصدون اي يرفعون لهم ضجيجا وفرحا بسبب ما راوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقال قتادة يقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا ءالهتنا اي التي نعبدها من الاصنام خير ام هو قال قتادة يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك الهتنا وقال السدي وابن زيد يعنون عيسى عليه السلام قالوا ايزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار وقال الله تعالى ما ضربوه اي المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل لعلمهم ان ما لفظ لغير العاقل فلا تتناول من ذكر بل هم قوم اي اصحاب قوة على القتال فيما يجادلونه خصمون اي شديد والخصام روى الامام احمد عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم يصدون بكسر الصاد والباقون بضمها وهما بمعنى واحد يقال صد يصد ويصد كعلف يعلف ويعلف وعرش يعرش ويعرش وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرا الكوفيون بها الهتنا تحقيق الهمزتين والباقون بتسهيل الثانية واتفقوا على ابدال الالف الثانية الفا ثم انه تعالى بين ان عيسى عبد من عبيده الذين انعم عليهم بقوله تعالى ان اي ما هو اي عيسى عليه السلام الا عبد اي وليس هو بالهة انعمنا اي بما لنا من العظمة عليه اي بالنبوة والاقدار على الخوارق وجعلناه اي بما خرقنا به العادة في ميلاده وغير ذلك من ابائه مثلا اي امرا عجيبا كالمثل لغرابته بان خلقناه من انثى فقط بلا واسطة ذكر كما خلقنا ادم من غير ذكر وانثى وشرفناه بالنبوة لبني اسرائيل الذين هم اعرف الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل القريب فيعرفون بذلك قدرة الله تعالى على ما يشاء حيث خلقه من عذراء ولو نشاء اي على ما لنا من العظمة لجعلنا ما هو اغرب مما صنعناه من امر عيسى منكم اي جعلا مبتدا منكم اي ما بالتوليد كما جعلنا

عيسى عليه السلام من انثى من غير ذكر وجعلنا ادم عليه السلام من تراب من غير انثى
ولا ذكر واما بالبدلية ملائكة في الارض يخلفون اي يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال
عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة
مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا
فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه اي عيسى عليه السلام
لعلم للساعة اي نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التي هي اعلام الخلائق كلهم بالموت
فنزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها قال صلى الله عليه وسلم ليوشك ان ينزل
فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك في زمنه
الملل كلها الا الاسلام وروي انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها اثيق
وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس
والناس في صلاة العصر وروي في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى
عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن وجماعة وانه اي القران
لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم احوالها واهوالها وقوله تعالى فلا تمترن بها
حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين من المرية وهي الشك اي
لا تشكن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعوني اي اوجدوا تبعكم لي هذا
اي كلما امرتكم به من هذا وغيره صراط اي طريق واضح مستقيم اي لا عوج له وقرا
ابو عمرو باثبات اليا في الوصل دون الوقف والباقون بغير يا وصلا ووقفا
ولا يصدنكم الشيطان اي عن هذا الطريق الواضح الواسع المستقيم الموصل
الى المقصود بايسر سعي انه لكم اي عامة واكد الخبر لان افعال التابعين لكم افعال
من ينكر عداوته عدو مبين اي واضح العداوة في نفسه مناد بها وذلك بابلاغه
في عداوة ابيكم عليه السلام حتى انزلكم بانزاله عن محل الراحة الى موضع النصب
عداوة ناشئة عن الحسد فهي لا تنفك ابدا ولما جاء عيسى اي الى بني اسرائيل بالبينات
اي المعجزات او بايات الانجيل وبالشرايع الواضحات قال منبها لهم قد جئتكم
بما يدلكم قطعا على اني اية من عند الله وكلمة منه بالحكمة اي الامر المحكم الذي لا يستطاع
نقضه ولا يدفع الا بالمعاندة لاخلصكم بذلك مما وقعتم فيه من الضلالة ولابين لكم
اي بيانا واضحا جدا بعض الذي تختلفون اي الان فيه ولا تزالون تجددون
الخلاف بسببه فان قيل لم لم يبين لهم الذي يختلفون فيه اجيب بانه يبين لهم
ما يكون من امر الدين لا يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انهم اعلم بامر دنياكم ويحتمل ان يكون المراد انه
يبين لهم بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا في رد بقية المتشابه الى المحكم
بالقياس عليه فان الشان في كل كتاب ان يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما لا لبس فيه
والمتشابه ما يكون ملتبسا وفيه ما يرده الى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة
التي لا يذوقها الا اهل البصائر ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق

الذي

الذي ينسخ عندما وإما نايرد المتشابه منه الى المحكم او يعجز فيقول الله اعلم بمراده ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ولا تنزل الزلل والكاذب يتبع المتشابه فيحرفه
على ظاهره كما هو اهل الالحاد الحوامد المفتونين او يؤوله بحسب هواه بما لا يتحقق
على قواعد العلم ولا توافق المحكم فيفتتن ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا
الله اي خافوا من له الملك العظيم من الكبر والاعراض عن دينه لان كل شئ منكم
ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذي عقل انه لا يتصرف في ملك الغير موجه من الوجوه
الا باذنه واطيعوا اي فيما يلقي عنه البكم من التكاليف فطاعتي لامره بما يرضيه
هي ثمرة التقوى وكلما ازداد المرء في اعمال الطاعة زادت تقواه ان الله اي الذي اختص
بالجلال والجمال فكان اهلا لان يتقى هو اي وحده ربي وربكم اي المحسن الي والبكم
فاعبدوه اي بما امركم به لانه صدقني في امركم بانباعي بما اظهر على يدي من صنوف
هو الامر لكم لا انا هذا اي الامر العظيم الذي دعوتكم اليه صراط اي طريق واسع جدا واضح
مستقيم لا عوج فيه ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق
عند سلوكه بين تعالى انهم اختلفوا فيه بقوله تعالى فاختلف الاحزاب اي الفرق
المتحزبة من بينهم اي اختلافا ناشيا ابتداء من بني اسرائيل في عيسى هو الله او ابن الله
او ثالث ثلاثة وقوله تعالى فويل كلمة عذاب للذين ظلموا اي وضعوا الشئ في غير
موضعه بما قالوه في عيسى عليه السلام من عذاب يوم اليم اي مولم واذا كان اليوم
مولما فما الظن بعذابه هل ينظرون اي هل ينتظر كفار مكة والذين ظلموا الا الساعة
اي ساعة الموت العام والبعث والقيام فان ذلك لتحقق امرها كانه موجود منتظر
اليه وقوله تعالى ان تاتيهم بدل من الساعة فان قيل فقوله تعالى بغتة اي فجاة ينافي
قوله تعالى وهم لا يشعرون اي بوقت مجيئها قيل اجيب بانه يجوز ان تاتيهم بغتة
وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدون امارته الاخلاء اي الاحباء في الدنيا على المعصية وقوله
تعالى يومئذ اي يوم القيامة متعلق بقوله تعالى بعضهم لبعض عدو اي يتعادون
في ذلك اليوم لانقطاع العلق الظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين
اي المتحابين في الله على طاعة الله تعالى وهم الموحدون الذين تخالوا فتعاضدوا تعاضدا
على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تضر عداوة وروى ابو نعيم عن سمرة عن قتادة
عن ابي اسحق ان عليا قال في الاية خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد
المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك وينهاني عن معصيتك
وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيتك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني
واكرمه كما اكرمتني فاذا تاتي خليله المومن جمع بينهما فيقول ليتنى احدكم على صاحبه
فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احدهما كافرين فيقول
يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني
عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيتك بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ثم بين تعالى
ما يتعلق المومنين بدء من تيسير وافيه سبحانه نشريفا لهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك
المقام من الاهوال بقوله تعالى يا عبادي باضافتهم الى نفسه اضافة تشريف لان
عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين المطيعين المتقين وفيه

انواع كثيرة توجب المدح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة
وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
قال تعالى بسبحان الذي اسرى بعبده وثانيها قوله تعالى لا خوف اى بوجه عليهم اليوم
اى يوم الاخرة بما يحويه من الاهوال والامور الشداد والزلزال وثالثها قوله
تعالى ولا انتم تحزنون اى لا تجدد لكم حزن على شيء فات في وقت من الاوقات
الاتية لانكم لا تفوتكم شيء تسرون به وقد الشعبة بفتح الياء في الوصل وسكنها نافع
وابو عمرو وابن عامر وحذفها الباقون وقفا ووصلا وقوله تعالى الذين امنوا
اى اوجدوا هذه الحقيقة يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف
بيان له او منتوعا منصوبا بفعل اى اعني الذين امنوا او مرفوعا وخبره
مضمر تقديره يقال لهم اذا دخلوا الجنة قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة
نادا منادا يا لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال
الذين امنوا يا ايها الطاهرة عظمتها في نفسها او لا ونسبتها اليّ ثانيا وكانوا
اى ايجادا بما هو لهم كالجبلة والخلق مسلمين اى منقادين للاوامر والنواهي انتم
اتقيا ذفيذلك يصلون الى حقيقة التقوى فينكس اهل الاديان الباطلة
رؤسهم فيميز حسابهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة والمكان السرور
لا يحل الا بالرفيق النشار قال تعالى انتم وازواجكم اى نساؤكم اللاتي كن مشاكلات
لكم في الصفات واما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله تعالى وكانوا مسلمين
تحبرون اى تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام بما احسن الوجوه
وقوله تعالى يطاف فعله محذوف اى يدخلون فيطاف عليهم اى المتقين الذين
جعلناهم بهذا النداء ملوكا بصحاف من ذهب فيها من الوان الاطعمة والفواكه
والحلوى مما لا يدخل تحت الوهم والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال
الجوهري الصحفة كالقصعة وقال الكسائي عظم القصاع ثم القصعة تشبع
العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة والصحيفة
الكتاب والجمع صحف وصحايف ولما كانت آلة الشرب في الدنيا اقل من آنية الاكل
جرى على ذلك المعهود فعبر بجمع القلة في قوله تعالى واكواب جمع كوب
وهو اناء مستدير بمدور الراس لا عروة له اذا كان لا خرطوم له اصلا الى تقليق
شيء ليتريد او صيانة من اذى ونحو ذلك وقيل هو ما لا يروق الا انه لا عروة له وقيل
انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له ولا خرطوم معا قال الجوالقي يتمكن الشارب
من اين شاء قال العروة تمنع من ذلك وقال اعدى متكا تضيق ابوابه
يطوف عليه العبيد بالكوب ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال
تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس من الاشياء المعقولة والمسموعة والمشمومة والمذوقة
مما منعوا انفسهم من الشهوات في الدنيا وتلذ الاعين اى من الاشياء المبصرة التي
اعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء من ما تحاموه من مشاق الاشتياق روى ان رجلا
قال يا رسول الله اني في الجنة لخيل فما في احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة
فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت فقال

اعرابي

اعرابي يا رسول الله اني في الجنة ابل فمالي فيها فقال يا اعرابي ان ادخلك الله الجنة
اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وقرانافع وابن عامر وحفص بها
بعد الباء بإثبات الالف على الوصول كقوله تعالى الذي يتخبطه الشيطان من المس
والباقون بغيرها بعد الباء كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وهذه
القراءة شبيهة بقوله تعالى وما عملت ايديهم وهذه الهاء في هذه السورة رسمت
في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله الفاسي
شارح القصيدة وهم فسبق قلمه وكتب الهاء منه محذوفة في مصاحف المدينة
والشام ثابتة في غيرها اذا كتبت ثابتة في مصاحف المدينة والشام محذوفة
من غيرها فعلى ما كان ذلك لا يكمل الا بالدوام قال تعالى عائدا الى الخطاب
لانه اشرف والذ واتم فيها خالدون لتقاعيها وتقاكل ما فيها فلا تكلف عليهم اصلا
وخوفين زوالها والخوف من فوات ثم اشار الى دوامها باداة البعد فقال تعالى
تلك اي الجنة التي وعدتم بها بسبب ما كنتم تعملون اي مواظبين على ذلك لا تفترون لان العمل كان لهم
كالحيلة التي جبلوا عليها فالمنة لربهم في الجنة بما رزقهم انعمهم ولما ذكر سبحانه
الطعام والشراب ذكر الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة اي ما يتفكه اي يتلذذ به
وان كان الجميع كذلك وخص الكثيرة ودل على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التقلة بكل شيء فيها بقوله
تعالى منها اي لا من غيرها مما يلحظ فيه التفوت تاكلون فلا يفعد ابدا ولا يتاثر
باكل لاكلين لانها على صفة الماء التابع لا يوخذ منها شيء الا خلف مكانه مثله
في الحال وورد في الحديث انه لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة الا نبت مكانها مثلاها
تنبيه لما بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وكانت في ضيق
شديد بسبب المآكول والمشروب والملابس ذكر الله تعالى هذه المعاني مرة بعد
اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن في قوله تعالى منها تاكلون تبعيضية
وابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب
المشهور في القرآن فقال تعالى ان المجرمين اي الراسخين في قطع ما امر الله به
اي بوصله في عذاب جهنم اي النار التي من شانها التقاداحلها بالتهجم والكراهة
والقبوشة كما كان يعمل عند قطعه لاوليا الله تعالى خالدون اي لان اجرامهم كانت
طبقا لهم لا ينفكون عنه اصلا ما بقوا لا يفتر عنهم اي لا يفصد اصفا فيرفع
من الضعف فتفي التفتير نفي الفتور من غير عكس قال البيضاوي وهو من افتر
عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي العذاب مبلسون
اي يائسون سكوت يائس من النجاة والفرج وعن الضحاك يعمل المجرم في تابوت
من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم نوعا من الظلم ولكن
كانوا جبلة وطبقا وعملا وصنعا هم الظالمين لانهم بارزوا المنعم عليهم بالعظائم
ونووا انهم لا ينفكون عن ذلك ما بقوا والاعمال بالنيات ولما كان بعض مفهوم الاية السابقة
السكوت بين تعالى انهم ليسوا ساكتين دائما بقوله تعالى ونادوا ثم بين ان المنادى

BULAC

حاز النار بقوله تعالى موكد البيان البعد باد انه يا مالك ليقض علينا اى يسله سوا
لاحتما ان يقضى القضا الذى لا قضا مثله وهو الموت على كل واحد منا وجرى
على عادتهم فى الغباوة والجلافة فقالوا ادع لنا ربك اى المحسن الينا فلم يروا الله عليهم
احسانا وهم فى تلك الحال ولا شكر ان احسانه ما انقطع عن موجود اصلا واقل
ذلك انه لا يعذب احدا منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار دركات كما جعل
الجنة درجات فاجابهم مالك عليه السلام بان قال موكد اقطعا لاطماعهم لان كلامهم
هذا هو بحيث يفهم الرجا واعلاما بان رحمة الله التى هو موضع الرجا خاصة بغيرهم
انكم ماكثون اى قاسيا الدا لاخلاص لكم بموت ولا غيره وليس فى القران منى اجابتهم هل
اجابهم فى الحال او بعد ذلك لكن روى ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن
النار يقولون ليقض علينا ربك ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة
انكم ماكثون معيبون فى العذاب وعن عبد الله بن عمر وابن العاص يجيبهم بعد اربعين
سنة وعن غيره مايه سنة واختلفوا فى ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اى وجه
طلبوه فقال بعضهم على التمنى وقال اخرون على وجه الاستغاثة والاظهر عالمون
بانه لاخلاص لهم من ذلك العقاب ثم انه تعالى ذكر ما هو العلة لذلك الجواب بقوله تعالى
لقد جئناكم اى فى هذه السورة خاصة وجميع القران عموما بالحق على لسان الرسل وقرا
نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام
ولكن اكثركم للحق كارهون لما فيه من المنع من الشهوات فلذلك انتم تقولون
انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان فى حقيقته نوعا من الخفا فان قيل
وما دوا يا مالك تعذبنا وصفهم بالابلاس اجيب بانها ازمنة متطاولة واحقاب
ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكنون اوقاتا لغلبة الياس عليهم ويستغيثون
اوقات الشدة مانهم روى انه تلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية
عذابهم فى الاخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفسادهم فى الدنيا فقال تعالى ام ابرموا
اى احكم كفار مكة امرا فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى رد امره ومعاداة اوليايا
مع علمهم بانا مطلعون عليهم فانا مبرمون اى محكمون المرا فى مجازاتهم اى مبرمون
كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل
بل نزلت فى تدبيرهم فى دار الندوة تنبيه ام منقطعة تفيد الابرام الانتقال
واصله فى الفتل تقال ابرم الحبل اى انقن فتله وهو الفتل الثانى والاول يقال له
سحيل قال زهير لعمرى لنعم الشيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم ام يحسبون
انا اى على ما لنا من العظمة المقتضية لجميع صفات الكمال لا نسمع سرهم اى كلامهم الخفى واللوكان فى الضمائر
فيما بعضنا والسر ما حدث به الشخص نفسه او هيئة فى مكان خال ولما كان سرا
وقع فى الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لانه اشرف ما يخص وهو يعلم ما فى الضمائر
وهى بما يعلم حقق ان المراد به حقيقته بقوله تعالى وبلى اى نسمع ورسلنا اى وتسجل
الرقيب حتى كانه عليهم يخوف اى مكان عال فعلم ان المراد حقيقة السمع وان تعالى يسمع كل
ما يمكن ان يسمع بلى نسمع الصنفين كليهما على حد سوا ورسلنا وهم الحفظة من الملايكة

فيما بينهم

على ما لهم

على ما لهم من العظمة بنسبتهم الينا لديهم اي عندهم وقرا حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها
يكتبون اي يجددون الكتابة كلما تجدد ما يقتضيها لان الكتابة اوقع في التهديد
لان من علم ان اعماله محصاة مكتوبة تجنب ما يخاف عاقبته وعن يحيى ابن معاذ
الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله
اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ولما تقدم اول السورة تبكيتهم والتعجب
منهم في ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون
امر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم قل اي لهؤلاء البعداء البغضاء ان كان للرحمن
اي العام الرحمة ولد اي على زعمكم والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة وغيرهم في غيرهم
فانا اي في الرتبة اول العابدين للرحمن العبادة التي هي العبادة ولا يستحق
غيرها ان يسمى عبادة وهي الخالصة اي فانا لا اعبد غيره لا ولدا ولا غيره ولم يشا الرحمن
لي ان اعبد الولد او يكون المعنى انا اول العابدين للرحمن على وجه الاخلاص لم اشرك
به شيئا اصلا في وقت من الاوقات مما سميتموه ولدا او شريكا او غيره ولو شاء ما عبدته
على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند غيركم ان من اخلص لاحد كان اولى من غيره
برحمته فلو ان الاخلاص له ممنوع ما شاء لي ولولا ان عبادة غيره ممنوعة لشاءها لي ولو ان
له ولدا لشاء لي عبادته فان عموم رحمته لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها بي لكوني
عبده خالصا يمنع على زعمكم من ان يشقيني وانا اخلص له فبطلت شبهتكم بمثلها
بل باقوى منها وهذا مما علق بشيء هو نقيضه اولى وقال الزمخشري ان كان للرحمن
ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح تورد دونه وحجة واضحة تستدلون بها
فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد
الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة
في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة
عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة
والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال وقد تمحل الناس
بما اخرجوه من هذا الاسلوب الشريف الملي بالنكت والفوائد المستقل باثبات
التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين
لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول
الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
قال ابن عباس ان ان نافية اي ما كان له ولد لي اني اول من عبده رتبة وما علمت له
ولدا ولو كان له ولد اهلته فعبدته تقربا اليه بعبادة ولده وروي ان النضر ابن
عبد الدار ابن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون
انه قد صدقتني فقال له الوليد ابن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن
ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان
رب اي مبدع ومالك السموات والارض اي اللتين كل ما فيهما ومن فيهما
مقهور مربوب محتاج لا يصح ان يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية

BULAC

بالايجاد والتربية ولما كانت خاصة الملك ان يكون له ما لا يصل اليه غيره توجه اصلا
قال محققا لملكه لجميع ما سواه ومن سواه وملكه له ولم يعد العطف لان العرش
من السموات رب العرش اي المختص به لكونه خاصة الملك الذي وسع كرسيه السموات
والارض عما يصفون اي يقولون من الكذب من انه ولد او شريك وذلك ان اله العالم
يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه
من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشي جز فيتولد عن ذلك الجز شخص مثله
وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق
اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر تعالى هذا البرهان القاطع قال تعالى
مسببا عن ذلك فذرهم اي اتركهم على سوا اهوالهم يخوضوا اي يفعلوا في باطلهم فعل
الخائض في الما ويلعبوا اي يفعلوا فعل اللاعب في دنياهم حتى يلاقوا اي يفعلوا
بتصرم اعمارهم في فعل ما لا ينفعهم فعل المجتهدين في ان يلقوا يومهم الذي يوعدون
اي يوعد لا خلف فيه وهو يوم القيامة فيظهر فيه وعيدهم واما المقصود منه التهديد
لانه تعالى ذكر الحجة البالغة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم
في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم
الموعود به ثم زاد في التنزيه فقال وهو الذي في السما اله اي معبود لا يشرك به
وفي الارض اله توجه الرغبات اليه في جميع الاحوال وتخلص اليه في جميع اوقات
الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من في السما والارض على الهيته فثبت استحقاقه
لهذه الرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدايد فباقي الاوقات كذلك
من غير فرق لانه لا مشاركة له في مثل هذا الاستحقاق فعبادة غيره باطلة وقرا
ابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا قالون والبزي بتسهيلها مع المد
والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها ايضا الفا وقرا الباقون بتحقيقهما
تنبيه كل من الظرفين متعلق بما بعده لان اله بمعنى معبود اي معبود في السما
ومعبود في الارض وحينئذ فيقال الصلة لا تكون الا جملة واما في تقديرها وهو الظرف
وعديله ولا شي منهما هنا واجيب بان المبتدا حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف
هو العايد تقديره وهو الذي هو في السما اله وهو الذي في الارض اله وانما حذف لطول الصلة
بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا بالذي قايل لك سوا وهو الحكيم اي البليغ الحكمة
في تدبير خلقه العليم اي البالغ في علمه بمصالحهم وتبارك اي وثبت ثباتا لا يشبهه
ثبات لانه لا زوال له مع اليمن والبركة وكل كمال فلا تشبيه له حتى يدعى انه ولد له
او شريك ثم وصفه بما يبين تباركيته واختصاصه بالالهية فقال عز من قايل
الذي له ملك السموات اي كلها والارض كذلك وما بينهما اي وبين كل اثنين منهما والدليل
على هذا الاجماع القايم على توحيده عند الاضطرار وعنده اي وحده علم الساعة
اي العلم بالتي تقوم القيامة فيها واليه اي وحده لا الى غيره ترجعون بايسر امر تحقيقا
لملكه وقطعا للنزاع في وحدانيته وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة
والباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد ولا يملك اي بوجه من الوجوه في وقت ما
الذين يدعون اي يعبدون اي الكفار من دونه اي الله تعالى الشفاعة كما زعموا انهم

شفعاوهم

شفعا وهم عبدة الله تعالى وقوله تعالى إلا من شهد بالحق اى قال لا اله الا الله فيه قولان
احدهما انه متصل اى لا يريد بالموصول كل ما عبد من دون الله والمعنى لا يقدر هؤلاء ان يشفعوا
لاحد الا من شهد بالحق وهم يعلمون اى يعلمون بما يشهدون به بالسنتهم وهم عيسى
وعزير والملائكة فانهم يملكون ان يشفعوا للمؤمنين بتمليك الله اياهم الثانى
هو منقطع اى لكن من شهد بالحق ولئن سألتهم اى الكفار مع اد عائهم الشريك من خلقهم اى
العابدين والمعبودين ليقولن الله اى الذى له جميع صفات الكمال لتعذر
المكابرة من فرط ظهوره فأنى اى فكيف واى جهة بعد ان ثبت انه الخالق والآمر
يؤفكون اى يصرفون عن اتباع رسول الله امرهم بتوحيدنا فى العبادة كما انا
موحدنا بالخلق وقراء وقيله اى قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وحمزة بخفض اللام
والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله والباقون بنصب اللام ورفع الهاء على المصدر
بفعله المقدر اى وقال يا رب ان هؤلاء قوم اى اقوياء على الباطل ولم يضفهم الى نفسه
بان يقول قومى وذلك من العبارات والاسماء بايسم قبيلتهم لما شانه من الهضم
لا يؤمنون اى لا يتحدد منهم هذا الفعل اصلا فاصفح اى اعف عفوا من اعرض عنهم
صفحا فلا يلتفت اليهم بغير التبليغ وقل اى لهم سلام اى بتاركى لان متاركتكم بسلا
منى وسلامتى منكم قال ابن عباس وهو منسوخ بالسيف وقال الرازى وعند
التزام النسخ فى مثل هذه المواضع مشكل لان الامر لا يفيد بالفعل الا مرة واحدة
فسقطت دلالة اللفظ فاى حاجة الى التزام النسخ وايضا فاللفظ المطلق قد يتقيد
بحسب العرف فاذا كان كذلك فلا حاجة الى التزام النسخ انتهى وجرى على النسخ الجلال المحلى
فقال وهذا قتال ان يومر بقتالهم وقوله تعالى فسوف يعلمون فيه تهديد لهم
وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر بتا الخطاب والباقون
بيا الغيبة نظرا لما تقدم وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادى لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حديث موضوع • سورة الدخان مكية • وقيل الا قوله
تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهى ست او سبع او تسع وخمسون آية
وثلثمائة وستة واربعون كلمة والفان واربعمائة واحد وثلاثون حرفا • •

بسم الله الملك الجبار الواحد القهار الرحمن الذى عم بنعمته سائر مخلوقاته الرحيم بافضل
واداده وقوله تعالى حم قراه ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بامالة الحاء المحضة
وقراه ورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الاشارة
الى شىء من اسرار احواتها وقوله تعالى والكتاب المبين فيه احتمالان الاول ان يكون
التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثانى ان يكون التقدير حم
والكتاب المبين انا انزلناه فيكون فى ذلك تقديم قسم على شىء واحد ويجوز ان يكون
انا انزلناه جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب قوله تعالى انا كنا منذرين واختاره
ابن عطية وقيل انا كنا مستانف وان يكون صفة ليلة وما بينهما اعتراض تنبيه يجوز
ان يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء كما قال تعالى
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ

BULAC

قال تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال تعالى وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون المراد به القران واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال
المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقران على انه انزل القران في ليلة مباركة وهذا النوع
من الكلام يدل على غاية تعظيم القران فقد يقول الرجل اذا اراد ان يعظم الرجل له اليه
حاجة اشفع لك اليك واقسم بجعلك عليك وجا في الحديث اعوذ برضاك من سخطك
وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثنا عليك والمبين هو المشتمل على بيان
ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة
الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذ كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق
مبالغة في وصفه واختلف في قوله تعالى في ليلة مباركة فقال قتادة وابن زيد
واكثر المفسرين هي ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انها ليلة البراة وهي ليلة النصف
من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر
فقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة
القدر لئلا يلزم التناقض ثانيها قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران
فقوله تعالى ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان تكون هذه الليلة المباركة
في رمضان فثبت انها ليلة القدر ثالثها قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقال تعالى ههنا فيها يفرق كل امر حكيم
وقال تعالى ههنا رحمة من ربك وقال تعالى في ليلة القدر سلام هي واذا تقاربت
الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى رابعها نقل محمد بن جرير
الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان
والتورية لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والانجيل لثمان
عشرة ليلة مضت منه والقران لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة
المباركة هي ليلة القدر خامسها ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها
وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس قدرها وشرفها بسبب نفس الزمان لان
الزمان شي واحد في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته
فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم
ومن المعلوم ان منصب الدين اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشيا واشرفها
شعبا في الدين هو القران لانه ثبت به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر
الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات
ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى لا شي الا والقران اعظم
قدرا واعلا ذكرا واعظم منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي
وقعت في رمضان علمنا ان القران انما انزل في تلك الليلة وهذه ادلة ظاهرة
واضحة واحتج الاخرون على انها ليلة النصف من شعبان بوجوه اولها
ان لها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراة والصك

ان

ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة كذلك الله تعالى يكتب
لعباده المومنين البراة في هذه الليلة ثانيها انها مختصة بخمس خصال الاولى
قال تعالى يفرق فيها كل امر حكيم والثانية فضيلة العباد فيها روى الزمخشري
انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه
مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يومنونه من عذاب النار وثلاثون
يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ثالثها
نزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد
شعر اغنام بني كلب رابعها حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه
والمصر على الزنا خامسها انه تعالى اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة
تمام الشفاعة في امته قال الزمخشري وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان
في امته فاعطى الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سال ليلة
الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد على الله شرد البعير انتهى وروى ابن عطية
الحروري سال ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى انزل القران في جميع الشهور
فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع في نفسك هذا ولم تخرجوا به
لهلكت نزل القران جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السما الدنيا ثم نزل
بعد ذلك في انواع الوقايع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل الله القران
في ليلة القدر من ام الكتاب الى السما الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى
الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة وقوله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة
كنا اي كنا دايما لعبادنا منذرين اي مخوفين استيناف يبين به المقتضي للانزال
وكذلك قوله تعالى فيها اي الليلة المباركة سوا قلنا انها ليلة القدر او ليلة النصف
يفرق اي ينشر ويبين ويفصل ويوضح مرة بعد مرة كل امر حكيم اي محكم الامر لا يستطاع
ان يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والاجال
والنصر والهزيمة والخصب والقحط وغيرها من جميع اقسام الحوادث وجزياتها
في اوقاتها واماكنها ويبين ذلك للملايكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه
سوا فيزدادون بذلك ايمانا قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر
ما هو كاين في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان
ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل اجل
وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة في ليلة النصف من شعبان
يبرم فيها امر السنة وتنسخ الاحيا من الاموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد قال
صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل ليتنكح ويولد له
ولقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف
من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وروي ان الله تعالى انزل القران من اللوح
المحفوظ في ليلة البراة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكايل

ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال قال ابن
عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسمعيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم
ونسخة المصايب الى ملك الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله
فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقوله تعالى امرا اي فرقا حال
من فاعل انزلناه او من مفعوله اي انزلناه آمرين او مامورا به كاينا من عندنا
على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى انا كنا اي ازلا وابدا مرسلين جواب ثالث او مستانف
او بدل من قوله انا كنا منذرين اي لنا صفة الارسال بالقدرة عليها في كل حين
والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان بالبشارة والنذارة وغيرهما حتى لا يكون
لبس فلا يكون لاحد على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المنتظم والقول
الملتحم ببعضه ببعض المتواصف اجمل وصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم ينزل
صحيفة ولا كتابا الا في هذه الليلة فيدل على انها ليلة القدر للاحاديث الواردة
في ان الكتب كلها نزلت فيها وكذلك قوله تعالى في سورة القدر تنزل الملايكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر فان الوحي الذي هو مجمع ذلك هو روح الامر الحكيم ثم بين تعالى
حال الرسالات بقوله تعالى رحمة وعدل لاجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان
من اسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله تعالى من ربك اي المحسن اليك
بارسالك وارسال كل نبي مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت لب الانوار في العبادات
وتمهيد الشرايع في البلاد حتى استنارت القلوب واطمانت النفوس بما صارت
تعبد من شرع الشرايع وتوطية الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى
ملات انوارك الافاق فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق وقال ابن عباس
معنى رحمة من ربك اي رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل
وقال الزجاج انزلناه في ليلة مباركة للرحمة انه هو اي وحده السميع العليم اي
ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا حاجاتهم بالسنتهم
او لم يذكروها فان ذكروها فهو سميع وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها رب اي مالك
ومنشي ومدبر السموات اي جميع الاجرام العالية والارض وما بينهما مما تشاهدون
من هذا الفضا وما فيه من الهوا وغيره مما تعلمون من اكساب العباد وغيرها مما لا تعلمون
ومن المعلوم انه ذو العرش والكرسي فعلم بهذا انه مالك الملك كله وقرا عاصم
وحمزة والكساي بخفض البا الموحدة على البدل او البيان او النعت والباقون
برفعها على اضمار مبتدا او على انه مبتدا خبره لا اله الا هو والمقصود من هذه الاية
ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبريا كان المنزل الذي هو القران
في غاية الشرف والرفعة فان قيل ما معنى الشرط الذي هو قوله تعالى ان كنتم موقنين
اجيب بانهم كانوا يقرون بان السموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان كنتم
يا اهل مكة موقنين بانه تعالى رب السموات والارض فايقنوا بان محمدا عبده
ورسوله ولما ثبت بهذا النظر الصافي ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول
الزمان وحدانيته انتج ذلك قوله تعالى لا اله الا هو اي والا لنازعه في امرهما
منازع او امكن ان ينازع فيكون محتاجا لا محالة والا لدفع عنه من يمكن نزاعه له

وخلافه

وخلافه اياه فلا يكون صالحا للتدبير والقهر لكل من يخالف رسله والا يخالكل
من يوافقهم على ممر الزمان وتطاول الدهور ومر الحدثان على نظام مستمر
وحال ثابت مستقر ولما ثبت انه لا مدبر للوجود غيره ثبت قوله تعالى يحيي ويميت
لان ذلك من اجل ما فيهما من التدبير وهو تنبيه على تمام دليل الوحدانية لانه
لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير اليه وبحال شيء من الامر عليه فهما جملتان الاولى
نافية لما اثبتوه من الشركة والثانية مثبتة لما نفوه من البعث ربكم اي الذي
افاض عليكم ما تشاهدون من النعم في الارواح وغيرها ورب آبائكم الاولين
اي الذين افاض عليهم ما افاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر احد منهم
على ممانعة ولا طمع في منازعة بنوع مدافعة بل هم اي بضمائرهم في شك اي
من البعث يلعبون اي يفعلون دائما فعل التارك لما هو فيه من اجدا الجد
الذي لا مرية فيه الى اللعب الذي لا فائدة فيه ولا ثمرة له بوجه استهزائك
يا محمد اشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف
قال تعالى فارتقب اي انتظر بكل جهدك غالبا عليهم ناظرا لاحوالهم نظر من هو حارس
لها يوم تأتي السماء بدخان مبين اي ظاهر يغشى الناس اي المهددون بهذا فقالوا
عند اتيانه هذا عذاب اليم اي يخلص وجعه الى القلب فيبلغ في المه بما كنتم
تؤلمون من يدعوكم الى الله تعالى واختلف في هذا الدخان فروى ابو الضحى عن مسروق
في كندة قال يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ باسماع المنافقين وابصارهم ويأخذ
المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا فاتينا ابن مسعود وكان متكئا فغضب فجلس فقال
من علم فليقل ومن يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم لا اعلم
فان الله تعالى قال لنبيه قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين فان قريشا
ابطؤا عن الاسلام فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعني عليهم بسبع
كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام ويرى
الرجل ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت
تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادعوا الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين الى قوله عائدون وهذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار
الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي
اصابهم من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر ابن
قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الاول انا في سنة القحط لعظم يبس
الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان
ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبراء
الثاني ان العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد
خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان ونقل عن علي ابن
ابي طالب انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة ويروى ايضا عن ابن
عباس في المشهور عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الآيات
الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر

قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنه ودبره وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه النار وقال صلى الله عليه وسلم باكروا الاعمال ستا وذكر منها
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم
انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب ثم عللوا ذلك بما علموا انه الموجب للكشف
فقالوا مؤكدين انا مؤمنون اي عريقون في وصف الايمان فاذا حمل على القحط الذي
وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى اليه ابو سفيان
فناشده الله والرحم وواعده ان دعاهم وازال عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به
فلما ازالها الله عنهم رجعوا الى شركهم اما اذا حمل على ان المراد منه ظهور علامة
من علامات القيمة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيمة لا يمكنهم ان يقولوا
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولم يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون قال البقاعي ويصح ان يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها
روى الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعين وذلك حين لا ينفع
نفسا ايمانها ثم قرأ الآية انى اي كيف ومن اين لهم الذكرى اي هذا التذكر العظيم
الذي وصفوا به انفسهم وقرأ حمزة والكسائي انى بالامالة محضة وقرأ ابو عمرو
بالامالة بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح واما الذكرى فمحضة
ابو عمرو وحمزة والكسائي وامال ورش بين بين والباقون بالفتح وكذلك الكبرى
وقد اي والحال انه قد جاءهم اي مما هو اعظم من ذلك وادخل في وجوب الطاعة رسول
مبين اي ظاهر غاية الظهور وموضح غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم واظهر
دال قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون ثم تولوا عنه اي
اطاعوا ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى ونوازع الشهوات والحظوظ وقالوا
اي زيادة على اساءتهم بالتولي معلم اي علمه غيره القرآن من البشر قال بعضهم يعلمه
غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات
حال ما يعرض له الغشي انا اي على ما لنا من العظمة كاشفوا العذاب اي بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا اي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر
وقيل ما بقي من اعمارهم انكم عائدون اي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى الكفران
لما في جبلاتكم من العوج وطبائعكم من المبادرة الى الزلل فايمانكم هذا الذي اخبرتم
برسوخه عرض زائل وخيال باطل وقوله تعالى يوم نبطش اي بما لنا من العظمة
البطشة الكبرى اي يوم بدر منصوب باذكر او بدل من يوم يأتي والبطش الاخذ
بقوة انا منتقمون اي منهم في ذلك اليوم وهو قول ابن عباس واكثر العلماء وفي رواية
عن ابن عباس انه يوم القيمة ولقد فتنا اي اختبرنا بما لنا من العظمة فعل الفاتن
وهو المختبر الذي يريد ان يعلم حقيقة الشيء بالاملاء والتمكين ثم الارسال قبلهم
اي هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم قوم فرعون اي مع فرعون لان
ما كان فتنة لقومه كان فتنة له لان الكبير ارسخ في الفتنة بما احاط به من الدنيا

وسيأتي

وسيأتي التصريح به في آخر القصة وجاءهم أي فرعون وقومه زيادة في فتنتهم رسول كريم
هو موسى عليه السلام قال الكلبي كريم بمعنى أنه تعالى أعطاه أنواعا كثيرة من الإكرام
وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه فقيل ما بعث رسول
إلا من أشراف قومه وأكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة بقوله أن أدوا إلي أي ما أدعوكم
إليه من الإيمان أي أظهروا طاعتكم بالإيمان لي يا عباد الله أو أطلقوا بني إسرائيل ولا تعذبوهم
وأرسلوهم معي كقوله أرسل معنا بني إسرائيل ولا يعذبهم إني لكم أي خاصة بسبب ذلك
رسول أي من عند من لا تكون الرسالة الكاملة إلا منه أمين أي بالغ الأمانة لأن الملك
الديان لا يرسل إلا من كان كذلك وقوله عليه السلام وأن لا تعلوا معطوف على أن الأولى
وأن هذه مقطوعة في الرسم والمعنى لا تتكبروا على الله تعالى بإهانة وحيه ورسوله
إني آتيكم بسلطان أي برهان مبين أي بين على رسالتي فتوعدوه حين قال لهم ذلك
بالرجم فقال وإني عذت أي اعتصمت وامتنعت بربي الذي رباني على ما اقتضاه لطفه
بي وإحسانه إلي وربكم الذي أعاذني من تكبركم وقوة مكنتكم أن ترجمون أي أن تتجدد
في وقت من الأوقات قتل منكم لي فإني قلت إني أخاف أن تقتلون فقال تعالى
سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا فهو من أعظم
آياتي أن لا تصلوا إلي مع قوتكم وكثرتكم إلى قتلي مع أنه لا قوة لي بغير الله الذي أرسلني
وقال ابن عباس أن ترجمون بالقول وهو الشتم وتقولوا هو ساحر وقرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي عذت بإدغام الذال في التاء والباقون بالإظهار وقرأ ورش بإثبات
الياء بعد النون في ترجمون في الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا
وكذلك فاعتزلون الآتي ولما كان التقدير فإن آمنتم بذلك وسلمتم إلي أفلحتم عطف
عليه قوله وإن لم تؤمنوا لي أي تصدقوا لأجلي ما أخبرتكم به فاعتزلون أي كونوا بمعزل
مني لا علي ولا لي فلا تتعرضوا لي بنوع فإنه ليس جزاء دعائكم إلى ما فيه فلاحكم والفاء في قوله
تعالى فدعا يدل على أنه متصل بمحذوف قبله وتأويله أنهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا
موسى عليه السلام ربه الذي أحسن إليه سياسته وسياسة قومه ثم فسر ما دعا
به بقوله أن هؤلاء أي الحقيرون الأراذل قوم أي لهم قوة على القيام مما يجادلونه
مجرمون أي موصوفون بالعرافة في قطع ما أمرت به أن يوصل فإن قيل الكفر أعظم حالا
من الجرم فما السبب في أن جعل الكفار مجرمين حين أراد المبالغة في ذمهم أجيب بأن الكافر
قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه والفاسق في دينه أخس الناس ثم
سبب عن دعائه لأنه مما يستجاب دعاؤه قوله تعالى فأسر بعبادي أي بني إسرائيل
الذين أرسلناك لإسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم وتفريغهم لعبادتي وقوله تعالى
ليلا نصب على الظرف والأسر سير الليل فذكر الليل تأكيدا بغير اللفظ وإنما أمره بالسير
في الليل لأنه أوقع بالقبط موت الأبكار ليلا فأمر موسى عليه السلام أن يخرج بقومه في ذلك
الوقت خوفا من أن يموت مع القبط ولما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى أن يطلع الفجر
ويرتفع عنهم الموت منعوهم الخروج وإن تأخروا إلى آخر الليل أدركوهم قبل الوصول إلى البحر
فقتلوهم علل هذا الأمر بقوله مؤكدا له لأن حال القبط عندما أمروهم بالخروج كان
حال من لا يصدق له الرجوع في قوله إنكم متبعون أي مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم

فلا يغرنكم ما هم فيه عند امركم بالخروج من اقامتكم بين اظهرهم وسوالهم لكم في الخروج
عنهم بسبب وقوع الموت الناشئ فيهم فان القلوب بيد الله تعالى فهو يتقنى قلب فرعون
بعد رؤية هذه الايات حين يرتفع عنهم الموت ويغرعون من دفن موتاهم فيطيل المدة
في القدم من سبا سنكم باغراقهم اجمعين ليظهر مجرى بذلك وارفع عنكم روع مذا فتهم
فاني اعلم انه لا قوة لكم ولا طاقة بهم فلم يكلفكم لمباشرة شئ من امرهم وفرانا دع وابن كثير
فاسر توصل الهمزة بعد الفاء والباقون بقطعها قال الزمخشري وفيه وجهان اضمار القول
بعد الفاء اي فقال اسر بعبادي وجواب شرط مقدر كانه قال ان كان الامر كما تقول
فاسر بعبادي قال ابو حيان وكثيرا ما يذكر على حذف الشرط ولا يجوز الا لدليل واضح
كان يتقدم به الامر او ما اشبهه يقال سرى واسرى لغتان قرئ امره بالاسراء امره
بما يفعل فيه فقال تعالى واترك البحر اراد اشريت بهم وسعك العدو ووصلت
اليه وامر ساكن يضربه لينفتح لتدخلوا فيه قد خلتم وجبتم رهوا تقدم خبره وجملة مستأنفة
ساكنا حال وفي الرهو وجهان احدهما انه الساكن اي اتركه ساكنا قاله الاعشى ميمون
رهوا فلا اعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي مشيا ساكنا على هيئة
بحيث يبقى المرتفع من مائه مرتفعا والمنخفض منخفضا كالجادة وطريقة الذي يسرع به
يابسا اسير سهلا على الحالة التي دخلتم فيها لان موسى لما جاوز البحر اراد ان يضربه
بعصاه فيطبق كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله
ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى عليهم والثاني ان الرهو
القحوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالحا فقال يسبحان الله رهو
بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون اي يغلبون
في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والجمع الذي يحيط الجند الموجبة
للعلو في الامور ولما اخبر تعالى عن عزمهم اخبر عن تخلفهم بقوله تعالى كم تركوا
اي كثيرا تركن الذين سبق الحكم باغراقهم فخرجوا من جنات اي بساتين هي في غاية ما يكون
من طيب الارض وكثرة الاشجار وزكاء الثمار والنبات وحسنه الذي تيسر الهموم
ودل على كرم الارض بقوله تعالى وعيون وزروع اي ما هو دون الاشجار
وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها
ثم اخبر عن غناهم بقوله تعالى ومقام كريم اي مجلس شريف هو اهل لان يقوم الانسان
فيه لانه في النهاية في ايرضيه ونعمة وهي اسم للتنعم بمعنى النزهة والعيش اللين الرغد
كانوا فيها اي دايما فاكهين اي فاعلين في عيشهم فعل المتفكه المتنزه لا فعل من يضطر
الى اقامة نفسه وقوله تعالى كذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر كما اخبرنا من تنعيمهم واخراجهم
واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يغن عنهم شيئا فلا تغتر احدا بما انت فيه
من النعم ليلا تضيع به من الاهلاك ما صنعنا بهم وقوله تعالى واورثناها
اي تلك الامور العظيمة عطف على تركوا قوما اي ناسا ذوي قوة في القيام على ما يجب والذب
وحقق انهم غيرهم تخفيفا لاعزازهم بقوله تعالى آخرين ليسوا منهم في شئ وهم بنو
اسرايل وقيل عيص لانهم لم يعودوا الى مصر بل سكنوا الارض المقدسة وقيل
انتقل ملكهم من الارض المقدسة بمصر فورثوا كنوزها واموالها ومقاتها
الكريم وقوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم

الفالج من الجمال
ما دسنا ماه

لهوانهم

لهوانهم واذا لم تبك المسكن فما ظنك بالساكن الذي هو بعضه تقول العرب اذا مات رجل
خطير في تعظيم مهلكه بكت عليه السما والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس قال الفرزدق
فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا . وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف . وقال جرير لما اتى خبر الزبير
تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وذلك على سبيل التمثيل والتخييل
مبالغة في وجوب الجزع والبكا عليه قال الزمخشري وكذلك ما يروى عن ابن
عباس من بكا مصلى المومن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء
تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السما والارض انتهى وروى انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم الا وله في السما بابان باب يخرج منه رزقه
وباب يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه وتلا هذه الاية وقال علي
ان المومن اذا مات بكى مصلاه من الارض ومصعد عمله من السما وعن الحسن فما بكى عليهم
الملايكة والمومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السما والارض
وقال عطا بكا السما حمرة اطرافها وقال السدي لما قتل الحسن بن علي بكت عليه السما وبكاوها
حمرتها وقرا ابو عمرو عليهم في الوصل بكسر الها والميم وحده وحمزة والكسائي بضمها والباقون
بكسر الها وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الها والباقون بالكسر وما كانوا منظرين اي لما
جا وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت اخر لتوبة وتدارك تقصير ولما كان انقاذ بني اسرايل
من القبط امرا باهرا لا يكاد يصدق فضلا عن ان يكون باهلاك اعدايهم اكد سبحانه
الاخبار بذلك اشارة الى ما يحق له من العظمة تنبيها على انه قادر ان يفعل بهذا النبي صلى
الله عليه وسلم واتباعه كذلك وان كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم في قبضتهم
فقال تعالى ولقد نجينا ما لنا من العظمة تنجية عظيمة بني اسرايل عبدنا المخلص لنا من العذاب
المهين اي من استعباد فرعون وقتله ابناهم وقوله تعالى من فرعون بدل من العذاب
على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته
انه كان عاليا اي في جبلته العراقة في العلو من المسرفين اي العريقين في مجاوزة الحدود
ولقد اخترناهم بني اسرايل بما لنا من العظمة على علم اي عالمين بانهم احقا
بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات
في بعض الاحوال ثم بين المفضل عليه بعد ان بين المفضل بقوله تعالى على العالمين
اي الموجودين في زمانهم بما انزلنا عليهم من الكتب وارسلنا اليهم من الرسل وقيل
على الناس جميعا لكثرة الانبيا منهم وقيل عام دخله التخصيص ثم بين اثار الاختيار
بقوله تعالى واتيناهم اي على ما لنا من العظمة من الايات اي العلامات الدالة
على عظمتنا واختيارنا لهم من حين اتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون الى ان فارقهم
بالوفاة وبعد وفاته على ايدي الانبيا المقررين الشريعة عليهم السلام ما فيه بلا
اي اختبار مثله يميل من ينظره او يسمعه الى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما راوه من الايات التسع مبين
اي بين في نفسه موضح لغيره وقوله تعالى ان هولا اشارة الى كفار قريش لان الكلام

فيهم وقصة فرعون وقومه تسوقه للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة
والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولوا اي بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين في الانكار
ان اي ما هي وقولهم الا موتتنا على حذف مضاف اي ما الحياة الا حياة موتتنا الاولى
اي التي كانت قبل نفخ الروح كما سبق ان رد الله تعالى في الحاشية ان هي الا حياتنا
الدنيا وقال الجلال المحلي ان هي ما الموتة التي بعدها الحياة الا موتتنا الاولى
اي وهم نطف وتراخمزة والكسائي بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بحيث
نصير دوتي حركة اختيارية تنتشر فيها بعد الموت يقال نشره وانشره اذا احياه
ثم احتجوا على نفي الحشر والنشر بقولهم فاتوا اي ايها الزاعمون انا نبعث بعد الموت
بآبائنا اي لكونا نعرفهم ونعرف وقوع عقلهم ان كنتم صادقين اي في انا بعثنا صدقكم
وانا نبعث نقوم القيامة احياء بعد الموت ثم حوقهم الله تعالى بمثل هذا به الاسم
الخالية فقال تعالى اهم خير اي في الدين والدنيا ام قوم تبع اي ليسوا خيرا منهم
فهو استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا
لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام
وهم الاعاظم وملوك العرب وقال قتادة هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن
سمي بذلك لكثرة اتباعه وكان هذا بعيد النار وامن وادعى قومه حمير الى الاسلام
فكذبوه ولذلك ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير
نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر عكرمة عن ابن
عباس انه كان تبع الاخر واسمه ابو كرب اسعد ابن ملكيكرب وكان سار بالجيوش نحو
الشرق وحيّر الحيرة وبنى قصر سمرقند وملك بقومه الارض طولها والعرض وكان
اقرب الهلكين الى قريش زمانا ومكانا وكان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الاثار
قال الرازي في اللوامع هو اول من كسى البيت وحفر بالشعب سنة الاف بدنة
واقام بها ستة ايام وطاف به وحلق قال البغوي بعد ان ذكر قصته مع الانصار
لما قتل ابنه غيلة في المدينة الشريفة وما وعظه به اليهود في الكف عن خراب
المدينة لانها مهاجر نبي من قريش انه صدقهم وتبع دينهم وذلك قبل نسخه
وعن الزهري ان من تبع النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعماية
عام فان قيل ما معنى قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين
اجيب بان معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى للكفار اكفاركم خير من اولئكم
تقدم الكلام في فرعون ويجوز في قوله تعالى والذين من قبلهم اي من مشاهير
الامم كعاد وثمود واصحاب الايكة والرس وعمود وعاد ثلاثة اوجه احدها ان يكون
معطوفا على قوم تبع ثانيها ان يكون مبتدا وخبره اهلكناهم اي بعظمتنا وآياتنا
اصحاب قوة ومكنة واما على الاول فاهلكناهم اما مستانفا نفسه واما حالا من الضمير
المستكن في الصلة ثالثها ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا يحمل
لاهلكناهم حينئذ انهم كانوا اي جبلة وطبعا مجرمين اي عريقين في الاجرام

فليحذر هؤلاء ان ارتكبوا مثل افعالهم من مثل حالهم ولما انكر تعالى على كفار مكة قولهم
ووصفهم بانهم اصفت بمن وكانوا ينكرون ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث
والقيامة قال تعالى ومن خلقنا السموات اى على عظمها واتساع كل واحدة منها
واحتوائها على ما فيها وجمعها لان العقل كلما زاد كان ابعد عن البعث ولما كان الدليل
على تطابق الارض دفعة واحدة بقوله تعالى والارض اى على ما فيها من المنافع
وما بينهما اى النوعين وبين كل واحدة منهما وما بينهما لاعبين اى عابثين بما لنا من العظمة
التى يدرك من له ادنى تعقل تعاليها عن اللعب لانه لا يفعله الا ناقص ولو تركنا
الناس يبغى بعضهم على بعض كما نشاهد ون لم لا نأخذ لضعيفهم بحقه من قويهم
لكان خلقنا لهم لقبيل اللعب اخفض منه ولم يكن على ذلك التقدير مستحقين
لصفة العدو سبحانه وتقدم تقرير هذا الدليل فى اول سورة يونس وفى آخر
المؤمنين عند قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفى ص عند قوله تعالى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ما خلقناهما اى السموات والارض بما بينهما
وقوله تعالى الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول اى الا
محقين فى ذلك يستدل به على وحدانيتنا وقدرتنا وغير ذلك او ملتبسين
بالحق ولكن اكثرهم اى هؤلاء الذين انت بين اظهرهم وهم يقولون ان هى الا موتتنا
الاولى وكذا من يخاطبونهم لا يعلمون اى انا خلقنا الخلق بسبب اقامة الحق فيهم
لاجل ذلك يجترئون على المعاصى ويفسدون فى الارض لا يرجون ثوابا ولا يخافون
عقابا ولو تذكروا ما ذكرناه فى حقهم لعلموا علما ظاهرا انه الحق الذى لا معدل
عنه كما يتولى حكامهم المناصب لاجل اظهار الحكم بين دعاياهم ويشرطون الحكم بالحق
ويؤكدون على انفسهم انهم لا يتجاوزونه ولما ذكر الدليل على اثبات البعث والقيامة
ذكر غايته يوم الفصل فقال تعالى ان يوم الفصل اى يوم القيامة يفصل الله
تعالى فيه بين العباد قال الحسن سمى بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل
الجنة واهل النار وقيل يفصل فيه بين المؤمن وملكيرهه وبين الكافر وما بين
ميقاتهم اى وقت موعدهم الذى ضرب لهم فى الازل وانزلت به الكتب على السنة
الرسل اجمعين لا يتخلف عنه احد ممن مات من الجن والانس والملائكة وجميع
الحيوانات قوله تعالى يوم لا يغنى اى بوجه من الوجوه بدل من يوم الفصل او
منصوب باضمار اعنى او صفة لميقاتهم ولا يجوز ان ينتصب بالفصل لفيه لما يلزم
من الفصل بينهما باجنبى وهو ميقاتهم مولى من قرابة او غيرها عن مولى بقرابة
او غيرها اى لا يدفع عنه شيئا من الاشياء كثيرا وقليلا ولا هم اى القسمان ينصرون
اى ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله تعالى تنبيه المولى اما فى الدين او فى النسب
او العتق وكل هؤلاء لا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فبان لا تحصل
ممن سواهم اولى وتطير هذه الاية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس
شيئا الى قوله تعالى ولا هم ينصرون وقال الواحدى المراد بقوله تعالى مولى
من مولى الكفار لانه ذكر بعده المؤمن فقال تعالى الا من رحم الله اى اياه اكرامه
الملك الاعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى فى الشفاعة

لاحدهم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته ويكرمه بقبول الشفاعة فيه وقال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة فيشفعون في الامن رحم او جد احدها وهو قول الكسائي انه منقطع ثانيها انه متصل لقدرين لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم تودد لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم كما مر ثالثها ان يكون مرفوعا على البدلية من هول الاول ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي رابعها انه مرفوع المحل ايضا على البدل من واو يبصرونهم اي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله انه اي وحده هو العزيز اي المنيع الذي لا يقدح في عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة باحد الرحيم اي الذي لا يمنع عزته ان يكرم من يشاء ولما وصف تعالى اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه ان شجرت الزقوم اي من اخبث الشجر المرة نهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم وقد مر الكلام عليها في الصافات ورسمت تاؤها المجرورة فوقف عليها بالهاء ابو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم طعام الأثيم اي المبالغ في اكتساب الآثام حتى صارت به الى الكفر قالوا اكثر المفسرين هو ابو جهل كالمهل اي وهو ما يمهل في النار حتى يذوب من ذهب او فضة ومن كل ما في معناهما من المنطبعات سوا كان من صفر او حديد او رصاص وقيل هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرا تغلي بالتاء على تانيث الجمع وقرا يغلي بالياء التحتية على ان الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز ابو البقاء ان يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه والباقون بالتاء الفوقية على ان الفاعل ضمير الشجر كغلي اي مثل غلي الحميم اي الماء الذي تناهى حرا بوقد تحتنه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وينال للزبانية خذوه اي يقال لهم خذوه اي بعد الايتم اخذ فهر فلا يتدعوه يملك من امره شيا فاعتلوه اي جروه بتهر بغلظة وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كانه محمول وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بضم التا والباقون بكسرها وهما لغتان فعل مضارع عتل كقال البقاعي وقراة الضاد دل على تناهي الغلظة الى سواي وسط الجحيم اي النار التي هي غاية الاضطرام والتوقد وهي موضع خروج الشجر التي هي طعامه ثم صبوا فوق راسه اي ليكون الصب محيطا بجميع جسده من عذاب الحميم اي من الحميم الذي لا يقارنه العذاب فهو ابلغ مما في اية يصب من فوق رؤوسهم الحميم ويقال له توبيخا وتقريعا ذق اي العذاب انك انت العزيز الكريم من عمك وقولك ما بين جبليها اعز واكرم مني وقولت الكسائي بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة اي لانك وقيل بتقدير يقال ذق عذاب الجحيم انك انت العزيز والباقون بالكسر على الاستئناف الغير للعلة فتتحد القراتان معنى وهذا الكلام الذي ذكر على سبيل التهكم اغيظ للمتهزا به ومثله قول جرير لشاعر سلمي تقسم زهرة اليمن الكريم فيرسوم قبر سمت بك من كمان بوعظة يا زهرة اليمن وكان هذا الشاعر قد قال ابلغ كليبا

وابلغ عنك شاعرها الى الاعز واني زهرة اليمن وتقاليم ان هذا اي الذي ترون والله
ما كنتم به اي حيلة وطبعا تمترون اي تقالحون انفسكم وتحلونها على الشك فيه
وتردونها عما لها من الفطرة الاولى من التصديق بالممكن لاسيما لمن جرب صدقه
وظهرت خوارق العادات على يده بحيث كنتم لشدة ردكم له كانكم تخصونه بالشك
ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار اتبعه وعد المتقين بايات الوعد فقال ان المتقين اي العريقين
في هذا الوصف في مقام اي موضع اقامة لا يريد الحال فيه نحو لا عنه امين اي يامن
صاحبه فيه من كل ما لا يجبه وقرا نافع وابن عامر بفتح الميم اي في مجلس امن والباقون
بضمها على المصدر اي في اقامة وقوله تعالى في جنات اي بساتين تقتضر العقول الحرة ادراك
كل وصف منها بدل من قوله تعالى في مقام كريم او خبر ثان وقرا وعيون ابن كثير وابن
ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها ولما كان لا تمام العيش الا
بكسوة البدن اشار الى ذلك بقوله تعالى يلبسون ودل على الكثرة جدا بقوله تعالى
من سندس وهو ما رق من الحرير تعمل وجوهها واستبرق وهو ما غلظ منه
يعمل بطائن وسمي بذلك لسعة تزيينه وقوله تعالى متقابلين اي في مجلسهم ليعانس
بعضهم بعضا حالين من الضمير المستكن في الجار او خبرا ان فيتعلق الجار به او مستانف
فان قيل الجلوس على هذه الهيئة يوحش لان كل واحد منهم يصير مطلعا على ما يفعل
الاخر وايضا فقليل الثواب اذا اطلع على حال كثير منهم يفعل عليه اجيب بان احوال
الاخرة ليست كاحوال الدنيا وقد قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل وقوله تعالى
لا يكاد يجوز فيه وجهان احدهما ان لا تثبت نفسا المصدر اي تفعل ما تستقذر فعله كذلك اي
مثل ذلك الفعل بانهم الرفع على خبر مبتدا مضمر اي الامر كذلك وكما كان ذلك لا يتم
السرور به الا بالازواج قال تعالى وزوجناهم اي قرناهم كما يقترن الازواج وليس
المراد به العقد لان غاية العقد الحل والجنة ليست بدار تكليف من تحليل او تحريم
بحور اي حور بيض حسان نقيات الثياب عين اي واسعات الاعين قال البيضاوي
واختلف في اعين نساء الدنيا او غيرها ولما كان التخصص في الدنيا يخفى كل التخفيف
وصف ما هنالك من سعة الخيرات فقال تعالى يدعون اي يطلبون طلبا هو
غاية المسرة فيها اي الجنة اي يوقنوا بكل فاكهة لا يمنع عليهم صنف من الاصناف
لبعد مكان او افتقار او غير ذلك من الشوائب وفي ذلك ايذان بانه مع سعته
ليس فيه شيء لاقامة البنية وانما هو للتفكه والتلذذ حال كونهم مع ذلك امنين
في غاية الامن من كل مخوف لا يذوقون فيها اي الجنة الموت لانها دار خلود لا دار فناء
وقوله تعالى الا الموتة الاولى فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن
الموتة الاولى قد ذاقوها ثانيها انها آت منفصل وتاويله بان المؤمن يمد موته في الدنيا
يصير بلطف الله كانه في الجنة لاتصاله باشتياقها ومشاهدتها اياها وما يعطاه
من نعيمها فكانه مات فيها ثالثها ان لا بمعنى سوى اي يسوى الموتة التي ذاقوها
في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف اي سوى
ما قد سلف رابعها ان الا بمعنى بعد اي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة
الاولى في الدنيا واختاره الطبري لكن نوزع بان الا بمعنى بعد لم يثبت

وحال كونهم مع ذلك آمنين في غاية الامن من كل مخوف لا يذوقون فيها اي الجنة الموت
لانها دار خلود لا دار فنا وقوله تعالى الا الموتة الاولى فيه اوجه احدها
انه استثنا منقطع اي لكن الموتة الاولى قد اذاقوها ثانيها انه متصل
وتاولوه بان المؤمن عند موته في الدنيا يصير بلطف الله كانه في الجنة لاتصاله
باسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعيمها فكانه مات فيها ثالثها ان الا
بمعنى سوى اي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النسا الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف رابعها ان الا بمعنى بعد
اي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الاولى في الدنيا واختاره الطبري لكن نوزع
بان الا بمعنى بعد لم يثبت وقد يجاب بان من حفظ حجة على من لم يحفظ خامسها
قال الزمخشري اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الثانية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب
التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها سادسها المراد بالمتقين اعم من الراسخين وغيرهم وان
ضمير فيها يرجع للاخرة فالعاصي اذا اراد الله تعذيبه بالنار يذيقه فيها
موتة اخرى كما جا في الاحاديث الصحيحة فيكون على المجموع سابعها الموتة
الاولى في الجنة المجازية فلا يكون ذلك تعليقا بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل
فيها في الدنيا قال بعض العلما الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن المتقي فانها
جنة صغرى لتوليه سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته
اياه وشغله به وهو معه اينما كان فان قيل اهل النار لا يذوقون الموت
اصلا فلم يسر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار يشاركونهم فيه اجيب بان
البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك الخيرات والسعادات
فافترقا ووقاهم اي المتقين عذاب الجحيم اي التي تقدم انها لكل كفار اثيم
واما غير المتقين من العصاة فيدخل الله من اراد منهم النار فيعذب كل منهم
على قدر ذنوبه ثم يميتهم فيها ويستمرون الى ان ياذن الله تعالى في الشفاعة
فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم من ما الحياة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة
روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في النار حتى اذا
صاروا فحما ادخلوا الجنة فيقول اهل الجنة من هولا فيقال هولا الجهنميون
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا
فيها حمما لم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على ابواب الجنة فيرش عليهم اهل
الجنة الما فينبتون كما ينبت الغثا في حمايل السيل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى
فضلا مفعول من اجله اي فعل ذلك بهم لاجل الفضل وجعله ابو البقا منصوبا
بمقدر اي تفضلنا بذلك فضلا اي تفضلا تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية
على ان الثواب يحصل من الله تعالى فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص
من النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى من ربك اي المحسن اليك بكمال
احسانه الى اتباعك احسانا يليق بك قال الرازي في اللوامع اصل الايمان رؤية الفضل

في جميع

في جميع الاحوال ولما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد
في تعظيمه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى ذلك اي الفضل العظيم الواسع هو اي خاصة
الفوز اي الظفر بجميع المطالب العظيم لانه خلاص عن المكاره ولم يدع جهة للشرف
الا ملاها وهذا يدل على ان الفضل اعلا من درجات الثواب المستحق لانه تعالى
وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع
على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلا من اعطا تلك الاجرة ولما بين تعالى الدليل
وشرح الوعد والوعيد قال تعالى فانما يسرناه اي سهلنا القران سهولة كثيرة بلسانك
اي هذا العربي المبين وهم عرب يعجبهم الفصاحة لعلهم يتذكرون اي يفهمونه
فيتعظون به فان لم يتعظوا به ولم يومنوا به فارتقب اي فانتظر ما يحل بهم انهم
مرتقبون اي منتظرون ما يحل بك فمفعولا الارتقاب محذوفان اي فارتقب
النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغوائل ولن يضرك ذلك
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حم الدخان
ليلة جمعة اصبح مغفورا له رواه الترمذي وزاد الزمخشري من قرا حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك ورواه البغوي عن ابي هريرة
وقال ابن عادل قال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا
حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة • سورة الجاثية مكية
الا قل للذين امنوا يغفروا الاية وهي سبع وثلاثون اية واربعماية وثمان وثمانون
كلمة والفان وماية واحدى وتسعون حرفا بسم الله الذي تفرد بتمام العز
والكبريا الرحمن الذي احكم رحمته بالبيان العام للسعدا والاشقيا الرحيم الذي
خص بملابسة طاعته الاوليا وتقدم الكلام على قوله تعالى حم ثم ان جعلتها اسما
مبتدا مخبرا عنه بقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لكل خير لم يكن بد من حذف
مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى من الله اي المحيط بصفات
الكمال صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف
خبرا العزيز في ملكه الحكيم في صنعه ولما كانت الحواميم كما روى ابو عبيدة في كتاب
الفضائل عن ابن عباس لبيان القران حذف ما ذكره في البقرة من قوله تعالى خلق
ليكون ما هنا اشمل فقال تعالى ان في السموات اي ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها
وخلقها على ما فيها من المنافع وعظيم الصنعة وما لها من الشقوق الدال على تعددها
بما فيها من الكواكب والارض كذلك وبما حوت من المعادن والمعايش لايات اي دلالات
على وجود الاله القادر الفاعل المختار فان من المعلوم انه لا بد لكل ذلك من صانع
متصف بذلك وقال تعالى للمومنين لانهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف
اهل للنظر لان ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد الربوبية لهم منها لايحة وادلة
الادلة فيها واضحة ولما ذكر سبحانه وتعالى بالنظر في ايات الافاق اتبعها ايات
الانفس بقوله تعالى وفي خلقكم اي خلق كل منكم من نطفة ثم من علقة ثم مضغة
الى ان صار انسانا المخالف لخلق الارض التي انتم منها بالاختيار والعقل والانتشار
والقدرة على السار والضار وما اي وخلق ما يبث اي ينشر ويفرق بالحركة الاختيا

رية

BULAC

تبا على سبيل التجدد والاستمرار من دابة مما تعلمون وما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم
بالاختيار والهداية للمنافع بادراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وادراك
الكليات وغير ذلك من مخالفة الاشكال والمنافع والطبايع وغير ذلك آيات
دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقرا حمزة والكسائي بكسر التا حملا على اسم ان
والباقون بالرفع على محل ان واسمها ولما كانت آيات الانفس ادق وادل على القدرة والاختيار
بما لها من التجدد والاختلاف قال تعالى لقوم اي فيهم اهلية القيام بما يحاولونه
يوقنون اي يتجدد لهم العروج في درجات الايمان الى ان يصلوا الى اشرف الايمان فلا
يخالجهم شك في وحدانيته واختلاف الليل والنهار بذهاب احدهما ووجود
الاخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة على القدرة على الايجاد بعد
الاعدام بالبعث وغيره وما انزل الله اي الذي تمت عظمته فنفذت كلمته من السماء
من رزق اي مطر وغيره من الاسباب المهيئة لاخراج الرزق فاحيى به اي بسببه
الارض اي الصالحة للحياة ولذلك قال تعالى بعد موتها اي بسببها وتهشم ما كان فيها من النبات
وتصريف اي تحويل الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي بالتوحيد
والباقون بالجمع وقوله تعالى آيات فيه القراءتان المتقدمتان اما الرفع فظاهر
واما الكسر ففيه وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم كانه
قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات والثاني ان تكون كررت تاكيدا لآيات
الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف الجر توكيدا ونظيره
ان تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيد الثاني تاكيد للاول كانك قلت ان
زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمول عاملين البتة
ولما كانت هذه الآية اوضح دلالة من بقيتها على البعث قال تعالى فيها لقوم يعقلون
الدليل فيؤمنون وابدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا
في السموات والارض وانه لا بد لهما من صانع آمنوا واذا نظروا في خلق انفسهم ونحوها
ازدادوا ايمانا فايقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا واستحكم علمهم
ولما ذكر هذه الآيات العظيمات قال تعالى مشيرا الى علو رتبتها باداة البعد تلك
اي الآيات المذكورة آيات الله اي حجج المحيط بصفات الكمال التي لا شيء اجل
منها الدالة على وحدانيته نتلوها اي نقصها عليك سواء كانت مرئية
ام مسموعة ملتبسة بالحق اي الامر الثابت الذي لا يستطاع تحويله ليس بسحر
ولا كذب فباي حديث اي خبر عظيم صادق يتجدد علمه به يستحق ان يتحدث به
واستغرق كل حديث فقال تعالى بعد الله اي حديث الملك الاعظم وهو القرآن
وآياته اي حججه يؤمنون اي كفار مكة اي لا يؤمنون وقرا ابن عامر وشعبة
والكسائي بتاء الخطاب راوا ان ذلك الخطاب صرف الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى نتلوها عليك بالحق والباقون بياء الغيبة ردوه على قوله تعالى
وفي خلقكم وهو اقوى تبكيتا ولما بين الآيات للكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بها
بعد ظهورها فباي حديث بعدها يؤمنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال تعالى
ويل اي كلمة عذاب لكل افاك اي مبالغ في صرف الحق عن وجهه اثيم اي مبالغ

في اكتساب

في الكتاب الاثم وهو اثيم مصر على الانكار قال المفسرون يعني النضر بن الحارث والاية عامة
فيمن كان موصوفا بهذه الصفة وفسر هذا بقوله تعالى يسمع ايات الله اي دلالات الملك
الاعظم الظاهرة حالة كونها تتلى عليه بجميع ما فيها وهي القرآن من سهولة فهمها
وعذوبة الفاظها وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الاعجاز وهي القرآن
العظيم فكيف اذا كان التالي اشرف الخلق وقراءة حمزة والكسائي بالمالة محضة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم يصر اي يدوم ويوطن نفسه على ما هو عليه
فيه حال كونه مستكبرا اي طالبا الكبر عن الاذعان ويوجد له كان اي كانه لم يسمعها
اي حالة عدم السماع وقبله وبعده على حد سواء فبشره اي على هذا الفعل الخبيث عذاب
اليم اي مولم والبشارة على الاصل او التهكم وقرا ابن كثير وحفص اليم بالرفع والباقون بالجر
واذا علم اي بلغ من اياتنا اي القرآن شيئا وعلم انه من اياتنا اتخذها هزوا اي يهزأ بها
تنبيه في الضمير الكون وجهان احدهما انه عائد على اياتنا يعني القرآن والثاني انه
يعود على شيء وان كان مذكورا لانه بمعنى الاية كقولك الى العالمة نفسي شيء من الدنيا
معلقة الله والقايم المهدي يكفيها لانه اراد بشيء جارية تقال لها عنبسة والمعنى اتخذ
ذلك الشيء هزوا لانه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس بشيء من الكلام
انه من جملة الايات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خص به الاستهزاء جميع الايات
ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد وقوله تعالى اولئك لهم عذاب مهين اي ذو اهانة
اشارة الى معنى كل الف اي ليذهل فيه جميع الاقاكين فحمل اولا على لفظها فافرد ثم
على معناها فجمع كقوله تعالى كل ضرب بالبهم فرجونهم وصف تعالى كيفية ذلك
العذاب فقال تعالى من ورائهم اي امامهم لانهم في الدنيا جهنم قال الزمخشري في الورا
اسم للجهة التي توارى الشخص من خلف او قدام قال اليس ورائي ان تراخت
منيتي ادب مع الولدان ارجف كانسر ومنه قوله تعالى من ورائهم انتهى ثم بين
تعالى ان ما سلكوه في الدنيا لا ينفعهم بقوله تعالى ولا يغني اي ولا يدفع عنهم ما كسبوا
من الاموال في رحلهم ومتاجرهم والاولاد شيئا من الاغناء وقوله تعالى ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء اي من الاوثان عطف على ما كسبوا وما فيها اما مصدرية
او بمعنى الذي اي لا يغني كسبهم ولا اتخاذهم او الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه ولهم
عذاب عظيم لا يدع جهدا من جهنم ولا زمانا من ازمانهم ولا عضوا من اعضائهم
الا ملاه فان قيل قال تعالى في الاول لهم ومن الثاني عظيم ما الفرق بينهما اجيب
بان كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل
على كونه بالغا الى اقصى الغايات في الضرر وقوله تعالى هذا هدى اشارة الى القرآن
يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بايات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية
كما يقول زيد رجل شديد اي كامل في الرجولية وانما جعل لهم عذاب كائن من رجز اليم
العذاب اليم اي بليغ الايلام ولما ذكر سبحانه ذكر الربوبية ذكر بعض انواعها وما يقتضيها
من ابانة فقال مستأنفا ذلك الاجل عظمتها بالاسم الاعظم الله اي الملك الاعلى
المحيط بجميع صفات الكمال الذي سخر اي وجه من غير حول منكم ولا قوة حتى
من الوجوه لكم البحر اي الناس بركم وفاجركم بما جعل فيه مما لا تقدرون عليه الا واخذ

لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير فيه بالرقة واللينونة لتجري الفلك
فيه بأمره اي باذنه ولو كانت موقرة باثقال الحديد الذي يغوص فيه اخف شيء منه
كالابرة وما دونها ففي ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته لان جريان الفلك على وجه
الما لا يحصل الا بثلاثة اشيا احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها خلق وجه الما
على الملاسة التي يجري عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه
الما ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر ولتبتغوا اي تطلبوا
بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضائع وتتوصلون اليه من الاماكن والمقاصد
بالصيد والغوص على اللولو والمرجان وغير ذلك من فضله اي لم يصنع شيا منه سواه
ولعلكم تشكرون نعمه على ذلك وسخر لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجم بها
وغير ذلك بحيث لا يمكنكم الوصول اليه بوجه وما في الارض من دابة وشجر ونبات
وانهار وغيره ولو شا لجعله كما في السما لا وصول لكم اليه وقوله تعالى جميعا توكيد لما دل عليه
ما مضى من العموم وقيل حال من ما في السموات وما في الارض وقوله تعالى منه حال
اي سخرها كائنة منه تعالى لا صنع لاحد غيره في شي من ذلك قال ابن عباس كل ذلك رحمة
منه وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان قال بعض العارفين سخر لك الكل لئلا
يسخرك لشي منها فتكون مسخرا لمن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالمخدوم ان يخدم
خادمه ان في ذلك اي الامر العظيم من تسخيره لنا كل شي في الكون لايات اي دلالات
واضحات على انهم في الالتفات الى غيره في ضلال مبين بعد تسخيره لنا ما لنا من الاعضا
والقوى على هذا الوجه البديع مع ان من هذا المسخر لنا ما هو اقوى منا لقوم اي ناس
فيهم اهلية القيام بما يجعل اليهم يتفكرون فيعلمون انه المتوحد بالمستحقاق الالهية
فلا يشركون به شيا واختلف في سبب نزول قوله تعالى قل يا افضل الخلق للذين امنوا
اي ادعوا التصديق بكل ما جاهم عن الله تعالى يغفروا اي يستروا سترا بالغا للذين
لا يرجون ايام الله اي مثل وقايع الملك الاعظم المحيط بصفة الكمال فقال ابن
عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بير
يقال له المريسيع فارسل عبد الله ابن ابي غلامه ليستقي الما فابطا عليه فلما اتاه
قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب
النبي وقرب ابي بكر فقال عبد الله ابن ابي ما مثلنا ومثل هولا الا كما قيل سمن كلبك
ياكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر بمكة فهم عمر ان يبطش به فنزلت وامر
بالغفر والتجاوز وروى ميمون ابن مهران ان فنحاص اليهودي لما نزل قوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه
وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليه فرده وقال القرطبي والسدي
نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى
كثير من المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت ثم نسختها اية القتال قال الرازي وانما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت
الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخا والاقرب

ان يقال

ان يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية
وقال ابن عباس لا يرجون ايام الله اي ثوابه ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب
الامم الماضية وبعدم تفسير ايام الله عند قوله تعالى وذكرهم بايام الله وقوله تعالى
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون
او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او التنوع او لكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون اي ليجزي نحن بما لنا من العظمة
والباقون بالياء التحتية اي ليجزي الله سبحانه وتعالى ولما رغب سبحانه ورهب
وتقرر انه لا بد من الجزاء زاد في الترغيب والترهيب بان النفع والضر لا يعدوهم
فقال تعالى شارحا للجزاء من عمل صالحا قال او حل فلنفسه اي خاصة عمله يرى جزاءه
في الدنيا والاخرة وهذا مثل ضربه الله تعالى للذين يغفرون ومن اساء كذلك فعليها
خاصا اساءته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول
والمؤمنين وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع عبيده
من غير جزاء ولا سيما اذا كان حكيما وان كانت نقائص النفوس غطت على كثير من العقول
ذلك ثم بعد الابتلاء بالاملاء في الدنيا والحبس في البرزخ الى ربكم اي المالك لكم
لا الى غيره ترجعون اي تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ولقد اتينا اي على ما لنا
من العظمة بني اسرائيل الكتاب اي الجامع للخيرات وهو تعم التورية والانجيل والزبور
وغيرهما مما انزل على انبيائهم والحكم اي العلم والعمل الثابتين اثبات الاحكام بحيث
لا يتطرق اليها فساد بما للعلم من الزينة بالعمل وللعمل من الاتقان بالعلم والنبوة
التي تدرك بها الاخبار العظيمة التي لا يمكن ابلاغ الخلق عليها بلوغ اكتساب منهم فاكثر
فيهم من الانبياء ورزقناهم بما لنا من العظمة لاقامة ابدانهم من الطيبات اي
الحلالات من المن والسلوى وغيرهما وفضلناهم اي بما لنا من العزة على العالمين
قال اكثر المفسرين عالمي زمانهم وقال ابن عباس لم يكن احد من العالمين اكرم
على الله ولا احب اليه منهم اي لما اتاهم من الايات المرئية والمسموعة
واكثر فيهم من الانبياء بما لم يفعله لغيرهم ممن سبق وكل ذلك فضيلة ظاهرة
واتيناهم مع ذلك بينات من الامر اي الموحى به الى انبيائهم من الادلة القطعية
والاحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات ومن صفات الانبياء الاتين بعدهم وغير ذلك
مما هو في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته وذلك امر يقتضي الالفة والاجتماع
وقد كانوا متفقين وهم في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا يسيرا لا يضر
مثله ولا يعد اختلافا فلما جاءهم العلم اختلفوا كما قال تعالى فما اختلفوا اي اوقعوا
الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم الا من بعد ما جاءهم العلم اي الذي من شانه
الجمع على المعلوم فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم في الافتراق بغيا
اي للمجاوزة في الحدود التي اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما بينهم
اي واقعا فيهم لم يعدهم الى غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت ايدي القبط في غاية
الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضى بالذل ولذلك استانف قوله تعالى الذي
اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من افعال الملوك فيمن خالف اوامرهم

BULAC

مؤكد لاحل انكارهم ان ربك اي المحسن اليك يقضي بينهم اي باحضار الاعمال والجزاء عليها
يوم القيمة اي الذي يتولاه فوق كل الذين شرفناهم برسالتك بما كانوا اي بما هو لهم كالجبلة
فيه يختلفون بغاية الجهد والمعنى انه لا ينبغي ان يغتر المتطل بنعم الدنيا فانها وان
ساوت نعم العقبى وزادت عليها فانه سيجري في الاخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم
والمبين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يعدل
عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يلوي له غرض سوى اظهار الحق فقال الله تعالى
ثم اي بعد فترة من رسلهم ومجاورة زمن كثيرة عالية على زمن شرعهم جعلناك
اي بما لنا من العزة والقدرة على شريعة اي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة
سهلة موصلة الى المقصود بحيث بان يشرع الناس فيها ويحاولوها بيسر اذ
من امر الدين الذي هو حياة للارواح كما ان الارواح حياة للاشباح فاتبعها
اي اتبع بغاية جهدك شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهوآء اي ارا الذين لا يعلمون
اي لا علم لهم اولم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم اصلا من كفار العرب وغيرهم قاله
الكلبي او روساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى دين ابائك فانهم
كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية ثم علل بعد النهي عن اتباعهم بقوله
تعالى مؤكدا انهم اي الكفار بمكة واكد النفي فقال عز من قائل لن يغنوا عنك اي لا تجد
لهم نوع اغناء بتدبر من الله اي المحيط بكل شئ قدرة وعلما شيئا اي من اغنآء ان اتبعتهم كما انهم
لن يقدروا لك على شئ من اذى اذا خالفتهم وناصبتهم وان الظالمين اي العريقين في هذا
الوصف وهم الكفرة وكان الاصل انهم ولكنه تعالى اظهر للاعلام بوصفهم بعضهم اولياء
بعض اي الجبلية علة الانضمام للانواع سانتاع اهوآئهم والله ولي اي الكل لجميع صفات
الكمال وولي المتقين اي الذين هم الاعظم الانصاف باتخاذ الوقايات المنجية
لهم من سخط الله تعالى والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما
في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المعتدون
فالله سبحانه وليهم وناصرهم هذا اي الوحي المنزل وهو القرآن بصائر اي معالم للناس
اي في الحدود والاحكام فبصرهم بما ينفعهم ويضرهم وهدى اي عما دل كل خير مانع
من كل شر ورحمة اي كرامة وفوز ونعمة لقوم يوقنون اي ناس فيهم قوة القيام
بالوصول الى العلم الثابت وتحديد النظر في درجاته الى ما لا نهاية له وقوله تعالى
ام حسب منقطعة فتقدر ببل والهمزة او ببل وحدها او الهمزة وحدها ومعنى
الهمزة فيها انكار الحسبان الذين اجترحوا اي اكتسبوا ومنه الجوارح وفلان جارحة
اهله اي كاسبهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار السيئات اي الكفر والمعاصي
ان نجعلهم اي بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة كالذين امنوا وعملوا
الصالحات اي بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة سواء محياهم
ومماتهم اي حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع والسفول واللذة
والكدر وغير ذلك من الاعمال والمعاني فراجعه والكسائي وحفص سواء بالنصب
على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما كالذين لغتوا ويكون المفعول الثاني

للجعل

للجعل كالذين امنوا اي احسبوا انفسهم ان نجعلهم مثلهم في حال استوا محياهم ومماتهم
ليس الامر كذلك وقراه الباقون بالرفع على انه خبر ومحياهم ومماتهم مبتدا ومعطوف
والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار والمعنى احسبوا ان نجعلهم في الاخرة في خير
كالمومنين اي في رغد من العيش ما ولعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمومنين لئن بعثنا
لنعطي من الخير مثل ما تعطون قال تعالى على وفق انكاره بالهمز ساء ما يحكمون اي ليس الامر
كذلك فهم في الاخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمومنون في الاخرة في الثواب
بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية
اي بيس حكما حكمهم هذا ولما بين تعالى ان المومن لا يساوي الكافر في درجات السعادة
اتبعه بالدلايل الظاهرة على صحة ذلك فقال تعالى وخلق الله اي الذي له جميع اوصاف
الكمال السموات والارض وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق وقوله تعالى ولتجزى
اي بايسر امر كل نفس اي منكم ومن غيركم معطوف على بالحق في المعنى لان كلا منهما سبب
فعطف العلة على مثلها او انه معطوف على معلل محذوف والتقدير خلق هذا العالم
اظهارا للعدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيمة وحصل التفاوت
بين الدركات والدرجات بين المحقين والمبطلين بما اي بسبب ما كسبت من خير او شر
وهم اي والحال انهم لا يظلمون اي لا يوجد من موجد ما في وقت من الاوقات جزا لهم
في غير موضعه وهذا على ما جرت به عوايدكم في العدل والفضل ولو وجد منه سبحانه
وتعالى غير ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك المطلق والملك الاعظم فلو عذب اهل سمواته
واهل ارضه كلهم لكان غير ظالم في نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه
من اقامة الحجة بمخالفة الامر ثم عاد سبحانه الى شرح احوال الكفار وقبايح طرايقهم
فقال افرايت اي اعلمت علما هو في تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التي هي اثبت
الحواس من اتخذ اي بغاية جهده الهه هواه اي بما يهواه من حجر بعد حجر يراه احسن
روي عن ابي رجا العطاردي وهو ثقة ادرك الجاهلية ومات سنة خمس ومائة عن مائة
وعشرين سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه واخذنا الاخر
فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب فجلبنا عليه ثم طفنا به قال الاصبهاني سيل
ابن المقفع عن الهوا فقال هوان سرقت نونه فنظمه من قال

نون الهوان من الهوى مسروقة • فاسير كل هوى اسير هوان

وقال اخر ان الهوا لهو الهوان بعينه • فاذا هويت فقد لقيت هوانا

واضله الله اي بما له من الاحاطة على علم منه تعالى اي عالما بانه من اهل الضلالة قبل خلقه
وختم زيادة على الاضلال الخاص على سمعه فلا فهم له في الايات المسموعة وقلبه
اي فهو لا يعي ما من حقه وعيه وجعل على بصره غشاوة اي ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر
هنا المفعول الثاني لرايت اي ايهتدي وقرا حمزة والكسائي بفتح الغين وسكون
الشين والباقون بكسر الغين وفتح الشين والف بعد الشين واذا صار بهذه المثابة
فمن يهديه واشار تعالى الى قدرته عليه بقوله سبحانه من بعد الله اي اضلاله الذي له
الاحاطة بكل شي اي لا يهتدي افلا تذكرون اي الم يكن لكم نوع تذكر فتتعظون
وفيه ادغام احدى التائين في الذال وقالوا اي في انكارهم البعث مع اعترافهم بانه

BULAC

قادر على كل شيء ما هي اي الحياة الا حياتنا اي ايها الناس الدنيا اي هذه التي نحن بها نموت
ونحيى فان قيل الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكروا القيمة كان يجب ان يقولوا
نحيى ونموت فما السبب في تقدم ذكر الموت على الحياة اجيب من وجوه اولها
بان المراد بقولهم نموت حال كونهم نطفا في اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقولهم
نحيى ما حصل بعد ذلك في الدنيا ثانيها نموت نحن ونحيى بسبب بقاء اولادنا ثالثها
قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى نموت بعض ونحيى بعض رابعها قال الرازي
انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هي الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى
يعني ان تلك الحياة منها ما يطرا عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرا
عليه الموت ذلك وهو في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقال البيضاوي يحتمل
انهم ارادوا به التناسخ اي وهو ان روح الشخص اذا خرجت تنتقل الى شخص
اخر فيحيى بعد ان لم يكن فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا اي بعد الحياة
الا الدهر اي الزمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره
اذا غلبه وما اي قالوه والحال انه لهم بذلك اي القول البعيد من الصواب وهو انه لا حياة
بعد هذه وان الاهلاك منسوب الى الدهر على انه موثر بنفسه واغرق في النفي فقال
تعالى من علم اي كثير ولا قليل ان اي ما هم الا يظنون اي بقرينة ان الانسان كلما تقدم
في السن ضعف وانه لم يرجع احد من الموتى هذا ظنهم الفاسد روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لا يقل ابن ادم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
ارسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا تقولن للعنب الكرم فان الكرم
هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل
لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع
الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله تعالى عنهم فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد
سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي
يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سبه واذا تتلى اي تتابع بالقراءة من اي بال كان عليهم
اياتنا اي على ما لها من العظمة في نفسها وبالاضافة الينا حال كونها بينات
اي في غاية المكنة في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردها ما كان اي بوجه من وجوه
الكون حجتهم اي قولهم الذي ساقوه مساق الجنة الا ان قالوا ائتوا بابائنا اي احياء
ان كنتم صادقين اي انا نبعث فهو لا يستحق ان يسمى شبهة فسمى شبهة فسمى حجة
كزعمهم ولا من كانت حجته هذه فليس له البتة حجة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم ان
الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى قل الله اي المحيط علما
وقدرة يحييكم اي حين كنتم نطفا ثم يميتكم اي بان يخرج ارواحكم من اجسادكم فتكون
كما كنتم قبل الاحياء كما تشاهدون ثم يجمعكم اي بعد التمزق فيعيد فيكم ارواحكم كما كانت
بعد طول مدة الرقاد منتبهين الى يوم القيامة اي القيام الاعظم لكونه عاما لجميع
الخلايق لا ريب اي لا شك بوجه من الوجوه فيه بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا
ولكن اكثر الناس اي وهم القايلون ما ذكر لا يعلمون اي لا يتجدد لهم علم لما لهم من النفوس

والتردد

والتردد والسفول عن اوج العقل الى حضيض الجهل فهم واقفون مع المحبوسات لا يلوح
لهم ذلك مع ما له من الظهور وقوله تعالى ولله اي الملك الاعظم وحده ملك السموات اي كلها
والارض اي التي ابتداكم منها تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة اي توجد
وتتحقق تحقق القايم الذي الذي هو على كمال تمكنه وتمام امره الناهض باعباء ما يريد
ثم كرر للتاكيد والتهويل قوله تعالى يومئذ اي اذ تقوم تحشرون هكذا كان الاصل
ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف يخسر المبطلون اي الداخلون في الباطل
العريقون في الاتصاف به الذين كانوا لا يرضون بقضاء بنيه الحياة والعقل
والصحة كانها راس مال والتصرف فيها بطلب السعادة الاخروية تجري مجرى تصرف
التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل
فلم يجدوا في ذلك اليوم الا الحرمان والخذلان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية
الخسران وترى اي في ذلك اليوم كل امة اي اهل دين جاثية اي مجتمعة لا يخلطها غيرها
وهي مع ذلك باركة على الركب رعبا واستيفازا لما لعلها تؤمر به جلسة المخاصم بين
يدي الحاكم تنتظر القضاء الحاتم والامر الجازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم كل
امة اي من الجانبين تدعى الى كتابها اي الذي انزل عليها وتعبدها الله تعالى به
والذي نسخته الحفظة من اعمالها ليطبق احدهما بالاخر فمن وافق كتابه ما امر به من كتاب
ربه نجا ومن خالفه هلك ويقال لهم حالة الدعاء اليوم تجزون اي على وفق الحكمة بايسر امر
ما اي عين الذي كنتم بما هو لكم كالجبلات تعملون اي مصرين عليه غير راجعين عنه
من خير او شر فان قيل الجثو على الركب انما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم
يوم القيمة اجيب بان الجاثي الا من يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه
محقا هذا كتابنا اي الذي انزلناه على السنة رسلنا ينطق اي يشهد شهادة هي
في بيانها كالنطق عليكم بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من اعمالكم
وذلك بان تقول من عمل كذا فهو عاص ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك
على ما علمتموه سواء بسواء من غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
ولما كانت العادة جارية في الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق وكانوا كانهم يقولون
ومن يحفظ اعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد الزمان فقال تعالى مجيبا بما يقرب
الى عقل من يسال عن ذلك انا اي على ما لنا من العظمة الغنية عن الكتابة كنا على الدوام
نستنسخ ما كنتم طبعا لكم وخلقا تعملون قولا وفعلا ونية اي نامر الملائكة بنسخ اعمالكم
اي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخة وذلك ان الملكين يرفعان
عمل الانسان فيثبت الله تعالى منه ما كان له ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون
من اعمال بني ادم والاستنساخ لا يكون الا من اصل كما ينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك
اي نستنسخ اي نثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ ثم بين تعالى احوال المطيعين
بقوله تعالى فاما الذين امنوا من الامم الجاثية وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان
الصالحات اي الطاعات فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل الصالح
مغاير للايمان زايد عليه فيدخلهم اي في ذلك اليوم ربهم اي المحسن اليهم بالتوفيق بالاعمال

من رحمته التي من جملتها الجنة والنظر الى وجهه الكريم الذي هو الغاية القصوى وتقول
لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم ايها المؤمنون وذلك على عظيم الرحمة بقوله تعالى ﴿لا
اي الاحسان العالي المنزلة ﴿لغوا﴾ اي لا غيره اي الظاهر الذي لا يخفى على احد شيء من امره لانه لا يشوبه
كدر اصلا ولا نقص بخلاف ما كان تعس به في الدنيا فانها مع لذتها كانت فورا كانت
خفية تحدا على غير الموقنين ثم بين تعالى احوال الفريق الآخر بقوله تعالى ﴿واما اليوم لا تعرفوا
اي ستروا امر الله تعالى به ﴿الم﴾ اي فيقال لهم الم ﴿تكن﴾ تاتكم ﴿رسلي﴾ الذين ارسلتهم ﴿تتلى﴾
على قلوبكم من عظمة اضافتها الى واعظمها القرآن ﴿تتلى﴾ اي تواصل قراءتها من اي تال
كان تكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة مستعلية ﴿عليكم﴾ لا تقدرون على دفع شيء
منها تنبيه حذف المقول المعطوف عليه كما تقرر اكتفاء بالمقصود واستغنى بالقرينة
﴿فاستكبرتم﴾ اي فتسبب عن تلاوتها التي من شانها ايراث الخشوع والانابة والخضوع
ان ظلمتم الكبر لانفسكم واوجدتموه على رسلي وآياتي ﴿وكنتم قوما﴾ اي ذوي قيام وقعود
عظيم ما تحاولونه ﴿مجرمين﴾ اي عريقين في قطع ما يستحق الوصل وذلك هو الخسران المبين
﴿واذا﴾ اي وكنتم اذا ﴿قيل﴾ اي من اي قائل كان ولو على سبيل التكليف ﴿ان وعد الله﴾ الذي
كل احد يعلم انه محيط بصفات الكمال ﴿حق﴾ اي ثابت لا محيد عنه يطابق الواقع من البعث
وغيره لان اقل المدرك لا يرضى بان يخلف وعده فكيف به سبحانه وتعالى فكيف اذا كان
الاخلاف فيه مناقضا للحكم وقرأ ﴿والساعة﴾ حمزة بالنصب عطفا على وعد الله والباقون
برفعها وفيه ثلاثة اوجه الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية وهي قوله تعالى
﴿لا ريب﴾ اي لا شك ﴿فيها﴾ خبرها ثانيها العطف على محل اسم ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي
والزمخشري يرون ان لان واسمها موضعا وهو الرفع بالابتداء ﴿قلتم﴾ اي راضين لانفسكم
بحضيض الجهل ﴿ما ندري﴾ اي لان درايتنا علم ولو بذلنا جهدنا في محاولة الوصول اليها ﴿الساعة﴾
اي لا يعرف حقيقتها وضلا عما اخبرونا به من احوالها نبه به الساعة هنا مرفوعة
بانتفاء ﴿ان﴾ اي ما ﴿نظن﴾ اي نعتقد ما اخبرونا به عنها ﴿الا ظنا﴾ واما وصوله الى درجة
العلم فلا ﴿وما نحن﴾ واكدوا النفي فقالوا ﴿بمستيقنين﴾ اي بموجود عندنا اليقين في امرها
قال الرازي القوم كانوا في هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث
والقيمة وهم المذكورون في قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان
شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم السلام ولكثرة ما يسمعون من دلائل
القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون في هذه الآية ويدل على ذلك انه تعالى
حكى مذهب اولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كونهم مغايرين
للفريق الاول ولما وصلوا الى حد عظيم من العناد التفت الى اسلوب الغيبة اعراضا
عنهم ايذانا بشدة الغضب عليهم فقال تعالى ﴿وبدا﴾ اي ولم يزالوا يقولون ذلك الى ان بدت
لهم الساعة بما فيها من الاوجال والزلازل والاهوال وظهر ﴿لهم﴾ غاية الظهور ﴿سيئات ما عملوا﴾
في الدنيا فتمثلت لهم وعرفوا مغذا جزاءها واطلقوا على جميع ما يلزم على ذلك ﴿وحاق﴾
اي احاط ﴿بهم﴾ على حال القهر والغلبة قال ابو حيان ولا يستعمل الا في المكروه ﴿ما كانوا
جبلة وخلقا ﴿به يستهزءون﴾ اي يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة اتحاد
من هو طالب لذلك وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما كانوا

استهزا

استهزاؤ وسخريته فصار هذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين كانوا مستهزئين وهما كانوا مستهزئين وهو لاصرارهم على الانكار والاستهزاء وقراءة حمزة في الوقف بتسهيل الهمزة بعد الزاي كالواو وله ايضا ابدالها ياء ونقل عنه ايضا غير ذلك وقيل اي هم على اقبح الاحوال واشدها فلا يعقب له بكاءه بلسان كل قائل الئن تتركونا اي نترككم في العذاب كما سخرتم لقاء يومكم هذا اي كما تركتم الايمان والعمل للقائه وقيل نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه ومأواكم النار ليس لكم براح عنها وما لكم من ناصرين اي ينقذونكم من ذلك بشفاعة ولا مقاومة فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب ثلاثة اشياء قطع الرحمة عنهم وصيرورة مأواهم النار وعدم الانصار لان هم انواعا ثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم اي العذاب العظيم بانكم اتخذتم اي بتكلفكم منكم لانفسكم آيات الله اي الملك الاعظم هزوا اي استهزاء ولم تشتغلوا بها وغركم الحياة الدنيا اي بزينتها لصفو عيشكم فانتم تؤثرونها لكونها حاضرة وانتم كما قيل فعلة لاحياة عندها ولا لعت ولا احساب ولو تعقلتم وصفلها لادام الى الاقرار بالاخرة فاليوم اي بعد ما تبين انهم فيها لا يخرجون منها اي النار لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء التحتية وضم الراء والباقون بضمها وفتح الراء ولا هم يستعتبون اي يطلب ما من طلب منهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ولما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فلله اي الذي له الامر كله الحمد اي الاحاطة بجميع صفات الكمال رب السموات اي ذات العلو والارتفاع والبركات ورب الارض اي ذات الثقل للعارفات رب العالمين اي خالق ما ذكر اذ الكل يعمه فمنه دال على كمال قدرته فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين وخالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين ولما افاد ذلك عناه المعنى المطلق وسيادته وانه لا يقوله عطف عليه بعض اللوازم لذلك بتنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التي لا يرضونها لانفسهم فقال تعالى وله اي وحده الكبرياء اي الكبر الاعظم الذي لا نهاية له في السموات كلها والارض جمع اللتين فيهما آيات الوحدانية روى عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وفي رواية عذبته وفي رواية قصمته وهو وحده العزيز الذي يقهر كل شيء ولا يقهره شيء الحكيم الذي يصنع الاشياء في اتقن مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك كما احكم امره ونهيه وجميع شرعه واحكم نظم هذا القرآن جملا وآيات وفواصل وعلامات تعلم ازجز معانيه وينزل له فصار معجزا في نظمه ومعناه ومن اراد البيان ورى تبعا للزمخشري عن انس رضي الله عنه وسلم قال من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب حديث موضوع ٭ سورة الاحقاف مكية الا قل فاصبر ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبروا العزم من الرسل الآية والا ووصينا

الانسان بوالديه الثلاث ايات وهي خمس وثلاثون اية وستمائة واربع واربعون كلمة
والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الذي لا بد لمن هو الجدير ان يعزم عاذرا
الرحمن الذي بسعة رحمته غمض عنه الرحيم الذي خص حزبه بجعل الآثار للغفور ذي الاقرار وتقدم
الكلام على قوله تعالى سم مرارا وقرا ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحاء
مخلصة وقرا ورش وابو عمرو بامالتها بين بين وفتحها الباقون وقيل المراد بحم حكمة محمد
التي هي من البيانة في الصواب والسداد احكمها الذي احاطت قدرته فهو لا يخلف المعاد
وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على حسب المصالح مستدا خبره
من الله اي الجبار المتكبر المتفرد بصفات الكمال العزيز في ملكه العليم فرصنعه لانهم لا يفعلون
شيئا الا اذا وفق محاله وانه الخالق للخير والشر وانه يعز اولياءه ويذل اعداءه ما خلقنا اي على عالي
من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء السموات والارض على ما فيها من الايات الا خلقا
متلبسا بالحق اي الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف المطلق ليدل على قدرتنا
ووحدانيتنا واجل اي وبتقدير اجل مسمى تنتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا
اي خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهاء اليه
معرضون اي لا يوصنون به ولا يهتمون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل اي لهؤلاء المفترضين انفسهم لغاية الخطر منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا
ارأيتم اي اخبروني عن حال الهتكم بعد تامل ورويته باطنة ارونى ماذا خلقوا اي يتعدون
ثم بينه على تقديره بقوله تعالى من دون الله اي الملك الاعظم الذي كل شيء دونه فلا تكفر
له مفعول اول وقوله تعالى ارونى اي اخبروني تاكيد وقوله تعالى ماذا خلقوا
مفعول ثان وقوله تعالى ارونى انبئوني بيان لما اي ليصح ادعاء انهم شركاء فيها باختراع ذلك
الجزء ام لهم اي الذين تدعونهم شركاء اي مشاركة في خلق السموات اي بنوع من انواع
الشركة تبع الله وام بمعنى همزة الانكار والامكان له ليل احد سببين سمع وعقل قال
تعالى ائتوني بكتاب اي منزل على احد منهم في هذه الاصنام انها خلقت شيئا او انها
تستحق انها تعبد شيئا ابدل ورش والسوسي الهمزة من ايتوني في الوصل ياء وحققها
الباقون واما الابتداء بها فجميع القراء ابدلوها ياء بعدا لابتداء بهمزة الوصل مكسورة
من قبل هذا اي القرآن الذي انزل علي كالتوراة والانجيل والزبور وهذا من اعلام
النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية لو اتتها اثارة لو اتت لشهدت عليه ولاذكر
الاثار التي لا يجب التكليف الا به وهو النقل القاطع سهل عليهم فنزل الرسول عادولا
فقال او اثارة اي بقية من علم يؤثر عن الاولين يصح دعواكم في عبادة الاصنام
انها تقربكم الى الله تعالى وقال المبرد اثارة ما يوثر من علم كقولك هذا الحديث
يوثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار والاثار يقال حاكي الاثر كذا وكذا
وقال الواحدي في كلام اهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة اقوال
الاول الاثارة واستشهدوا فيها من اثرت الشيء اثره اثارة كانها بقية تستخرج وتثار
والثاني من الاثر الذي هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة وقال الكلبي في تفسير
الاثارة اي بقية من علم يوثر عن الاولين اي يسند اليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل
رواية عن الانبياء قال الرازي وههنا قول اخر اواثارة من علم هو علم الخط الذي يخط
في الرمل والعرب كانوا يخطون وهو علم مشهور روي انه صلى الله عليه وسلم قال كان نبي

من الانبيا

من الانبيا بخط فمن وافق خطه خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الاية ايتوني بعلم من قبل
هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير
الاية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم واقوالهم ودلايلهم ثم اشار الى تعريفهم بالكذب
ان لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله ان كنتم صادقين اي عريقين في الصدق على ما تدعون
لانفسكم ولما ابطل سبحانه قولهم في الاصنام بعدم قدرتها اتبعه ابطاله بعدم علمها
فقال تعالى ومن اضل وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اضل ممن يدعوا اي يعبد ما لا
قدرة له ولا علم ومن انتفت قدرته وعلمه لم تصح عبادته ببديهة العقل وارشد الى سفوله
بقوله تعالى من دون الله اي من ادنى رتبة من رتب الذي له جميع صفات الكمال فهو يعلم كل
شي ويقدر على كل شي فهو بحيث يجيب الدعا ويكشف البلا ويحقق الرجا اذا شا ويدبر
عبده لما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه به ويريد العبد في كثير
من الاشيا ما لو وكل فيه الى نفسه واجيب الى طلبته كان فيه حتفه فيدبره سبحانه بما تشتد
كراهته فيكشف الحال عن انه لم يكن فرج الا فيه من لا يستجيب له اي لا توجد الاجابة
ولا يطلب ايجادها من الاصنام وغيرها لانه لا اهلية له لذلك والمعنى انه لا احد ابعد عن الحق
واقرب الى الجهل ممن يدعوا من دون الله الاصنام فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت
لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المال الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيمة
قد قيل انه تعالى يحييها ويخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد
عبدة الملايكة وعيسى وانهم يوم القيامة يظهرون عبادة هولا العابدين وهم عن دعائهم
اي دعا المشركين اياهم غافلون اي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من يدعوهم
ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من اوصاف العقلا للجماد تغليبا ان كان المراد
اعم من الاصنام وغيرها ممن عبدوه من عقلا الانس وغيرهم ولما غيا سبحانه وتعالى
بيوم القيامة فافهم انهم يستجيبون لهم فيه بين ما يجاورونهم به اذ ذاك فقال تعالى
واذا حشر اي جمع بكره على ايسر وجه واسهل امر الناس اي يوم القيامة كانوا اي المدعون
لهم اي للداعين اعدا ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به
العدو وعدوه وكانوا اي المعبودين بعبادتهم اي الداعين وهم المشركون اياهم كافرين
اي جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاوهم
ما كانوا ايانا يعبدون ثم بين تعالى انهم في نهاية الغباوة بانكار ما لا شي ابين منه
بقوله تعالى واذا تتلى اي تقرا من اي قاري كان على وجه المتابعة عليهم اي هولا البعدا
البغضا اياتنا اي التي لا اعظم منها في نفسها باضافتها الينا وهي القران وقوله تعالى
بينات اي ظاهرات حال هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين الوصف الحامل لهم
على القول فقال تعالى قال الذين كفروا اي ستروا تلك الانوار التي ابرزتها تلك التلاوة
لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى للحق اي لاجله لما اي حين جاءهم من غير نظر وتامل
هذا اي الذي يتلى سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر في انه خيال باطل وقوله
تعالى ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع وانكر
له وتعجب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق ان افتريته
اي تعمدت كذبه على زعمكم وانما انا اريد به نصيحتكم فالذي افتريته عليه وانسبه اليه

يعاقبني على ذلك ولا يتركني اضلاوذلك هو معنى قوله ولن تفلحوا ايها المنصوحون بوجهين الوجه
الاولى وقتنا من الاوقات اي من المتكلم الحلي منبأ من الاشياء ما يردعني انتقامه لان
الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يتعمد الكذب عليه في الرسالة بامور
عظيمة وملازمة ساعة وصباحا فاي حامل لي حينئذ على افترائه ثم علل ما افاده الكلام
من الانتقام بقوله فكفى الله سبحانه اعلم اي منكم ومن كل احد بما تخوضون فيه
اي بما تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والطعن فيه بانه سحر بيني وبينكم شهيدا اي شاهدا
يليغ الشهادة لانه اعلم بجميع احوالنا بيني وبينكم اي ان القرآن جاء من عنده فيشهد لي بالصدق
ولكم بالكذب وقد شهد بصدقي بمعجزكم عن معارضة شيء من هذا الكتاب الذي اتيت به
فتبت بذلك انه كلامه لاني لا اقدر على ما تقدرون عليه مرادي ولا تختمنني وانتم عرب
مثلي بل انا امي وقيل انتم الكتبة والدرس الطوال العلماء وسمعوا احاديث الامم وضربوا
بعد بلاد العرب في بلاد العجم فظهر بذلك ظهور الشمس انكم كاذبون وحي اي وحده اليه دون
اي الذي من شانه ان يحو الذنوب اعيانها واثارها فلا تعاقب عليها ولا يعاتب الرحيم
اي الذي يكرم بعد العفو ويتفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا وعد
الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن
معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى كلام الله تعالى على سبيل الفرية حكى
عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم
عن المغيبات فاجابهم الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل اي لهؤلاء الذين يسئلونك الاقترا
ما كنت اي كونا ما بدعا اي مبتدعا منذ عا محمدا تختص عا بحيث اكون اجنبيا منقطعا عن الرسل
اي لم تتقدم لي منهم مسالة في اصل ما جيت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل فتتقدمني
رسل كثيرون الذا يمثل ما اتيت به ودعوت اليه كما ذعوت اليه وصدقهم الله تعالى
بمثل ما صدقني به فبثت بذلك رسالاتهم وسعدهم من صدقهم من قومهم وشقي من كذبهم
فانظروا الى اثارهم واسالوا عن سيرهم من اتباعهم وانصارهم واشياعهم تتبين البدع
والبديع من كل شيء المبدا والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفي الحديث كل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار قال البغاعي معناه والله اعلم بهم ان يبتدع ما يخالف
السنة اذا كانت البدعة ضد السنة فاذا حدث ما يخالفها كان باحدا ثه لها لا
مشركا ولا جائزا حدث في الدار ولم يدخل تحت هذا ما يخترعه الانسان من افعال البر يسمى
بدعة لعدم فعله فيما ذكر فيخرج عما ذكرانتهى وقال بعضهم ان عد السلام البدعة
منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق في ذلك ان تعرض
البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة كالاشتغال
بعلم النحو او في قواعد التحريم فهي محرمة كمذهب القدرية والمجسمة والرافضة قال
والرد على هؤلاء من البدع الواجبة او في قواعد المندوب فمندوبة كبناء الربط
والمدارس وكل احسان لم يحدث في العصر الاول كصلاة التراويح او في قواعد المكروه
فمكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف او في قواعد المباحة فمباحة
كالمصافحة عقيب الصبح والعصر والتوسع في المآكل والملابس وروى البيهقي باسناده
في مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال المحدثات ضربان احدهما ما خالف

كتابا او سنة او اجماعا فهو بدعة وضلالة والثاني ما احدث من الخير فهو غير مذموم واختلف
في تفسير قوله تعالى عن قوله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم على وجهين
احدهما ان يحمل ذلك على احوال الدنيا والثاني ان يحمل على احوال الاخرة اما الاول ففيه وجوه
احدها ان معناه لا ادري ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانيها
قال ابن عباس هي رواية الكلبي لما اشتد البلاء باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
راى في المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما قصها على اصحابه فاستبشروا
بذلك وراوا ان ذلك فرج ما بهم من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون
اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما راينا الذي قلت متى نهاجر الى الارض التي رايتها في المنام
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رايته في المنام ان اي ما اتبع اي بغاية جهدي وجدي الا اي الذي
يوحى اي يجدد القاؤه ممن لا يوحى بحق سواه الي على سبيل التدريج لا يطلع عليه حق اطلاعه
غيري ثالثها قال الضحاك لا ادري ما تؤمرون به ولا ما اومر به من التكاليف والشرايع ولا من الابتلاء
والامتحان وما انا باخباري لكم عما يوحى الي الا نذير مبين اي بين الانذار رابعها كانه يقول
ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل كما قتل الانبياء كما قتلني ولا ادري ما يفعل بكم ايها
المكذبون اترمون بالحجارة من السماء او يخسف بكم او يفعل بكم ما يفعل بسائر الامم قال السدي
ثم اخبر الله تعالى انه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاخبره الله تعالى بما يصنع به وبامته واما من حمل الاية على احوال الاخرة
فروي عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الاية فرح المشركون والمنافقون واليهود
وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا
فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
الاية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين له ما يفعل به وبهم وبهذا
قال انس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه لانه انما اخبر به
عام الحديبية فنسخ ذلك قال الرازي واكثر المحققين استبعدوا هذا القول لوجهين
احدهما ان النبي لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه
الكبائر وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له
او لا ثانيهما ان الانبياء ارفع حالا من الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل ان يبقى الرسول الذي هو
رئيس الاتقياء وقدوة الاولياء شاكا في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول
قل يا افضل الخلق لهؤلاء المصرين على التكذيب ارايتم اي اخبروني ان كان اي هذا الذي
اتيتكم به وهو القران من عند الله اي الملك الاعظم وكفرتم به اي ايها المشركون وشهد شاهد
واحد او اكثر من بني اسرائيل اي الذي جرت عادتكم ان تستفتوهم وتتقوا بهم
على مثله اي مثل ما في القران من ان من وجد فقد امن ومن اشرك فقد كفر وان الله

تعالى انزل ذلك في التورية والانجيل وجميع اسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتظافرت به
رسلهم وتواترت على الدعا اليه والامر به انبياوهم عليهم السلام فآمن اي هذا الذي شهد
هذه الشهادة واستكبرتم اي اوجدتم الكبر بالاعراض فيه طالبين بذلك الرياسة والفخر
فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضللتم فوضعتم الشي في غير
موضعه فانسد عليكم باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك
واكثر المفسرين هو عبد الله ابن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وامن
به واستكبرت اليهود فلم يومنوا به كما روى انس قال سمع عبد الله ابن سلام بمقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فنظر الى وجهه فعلم انه ليس وجه كذاب وتامله
فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة
وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم
اخبرني بهن جبريل انفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملايكة فقرا من كان
عدو الجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ثم قال اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس
من المشرق الى المغرب واما اول طعام تاكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا
سبق ما الرجل نزعه وان سبق ما المراة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله حقا
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني
عندك فجات اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا
وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم عبد الله بن سلام
فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه
يا رسول الله قال سعيد ابن ابي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض
انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الاية وشهد شاهد من بني
اسرايل وقيل الشاهد هو موسى ابن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه الاية
والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان ال حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام
بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية
المكية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت
الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة واجاب
الكلبي بان السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وان الله تعالى امر رسوله صلى الله
عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقيل المراد
بالشاهد موسى ومثل القران هو التورية فشهد موسى على التورية ومحمد
على الفرقان فكل واحد يصدق الاخر لان التورية مشتملة على البشارة بمحمد صلى
الله عليه وسلم والفرقان مصدق التورية وجواب الشرط الستم ظالمين دل عليه قوله
تعالى ان الله اي الملك الاعظم ذا العزة والحكمة لا يهدي القوم اي الذين لهم قوة على القيام
بما يريدون الظالمين اي الذين من شانهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم
اذ لا احد ارسخ منكم في الظلم الذي يتسبب اليه عنه هلاككم وقال الذين كفروا اي تعمدوا تغطية
الحق للذين اي لاجل ايمان الذين امنوا اي سبقوهم الى الايمان لو كان ايمانهم بالقران خيرا

اي

اى من جملة الامور ما سبقوا اليه ونحن اشرفنا هم واكثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسودد الذى هو مناط الخير كما يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التى نحن فائزون بها وهم صفر منها كذلك ليس بخير فلهذا سبقونا اليه وَاِذْ اى وحين لَمْ يَهْتَدُوْا بِهٖ اى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان فَسَيَقُوْلُوْنَ بَعْدَ اى القرآن الذى يستقيم اليه اَفِكٌ اى شئ مصروف عن وجهه الى قفاه وَقَدْ اى اوقد غيره وغيروا عليه قالتهم ونسبه الى الله تعالى كما قالوا اساطير الاولين وَمِنْ اى قالوا ذلك والحال انه كان فى بعض الزمن الذى قبله اى القرآن كِتٰبُ مُوْسٰى كليم الله تعالى حال كون كتابه وهو التورية اِمَامًا اى يستحق ان يؤمه كل من سمع به وَرَحْمَةً كما فيه من نحو الدلائل على الله تعالى والبيان الشافى وفى الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال تعالى فى الآية الاولى واذ لم يهتدوا به وَهٰذَا اى القرآن كِتٰبٌ اى جامع لجميع الخيرات مُصَدِّقٌ اى لكتاب موسى عليه السلام وغيره من الكتب التى يصح نسبتها الى الله تعالى فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله تعالى وقوله تعالى لِّسَانًا حال من الضمير فى مصدق وقوله عَرَبِيًّا صفة للسانا وهو السوغ لوقوع هذا الحامد حالا اى فى اعلا طبقات اللسان العربى مع كونه اسهل الكتب تناولا وابعدها عن التكليف ليس هو بحيث يمنعه علوه نحالة الالفاظ وجلالة المعانى ودقة الاسرار مع سهولة الفهم وقرب التناول وقوله تعالى لِّيُنْذِرَ اى الكتاب بحسن بيانه وعظم شانه الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اى سواء كانوا معرضين فى الظلام لاعلة مصدق وقرا نافع وابن عامر بالتاء خطابا اى ايها الرسول والباقون بالياء غيبة بخلاف عن الذى وَبُشْرٰى اى كاملة لِلْمُحْسِنِيْنَ اى الموصفين بان لهم الجنة ولما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا اى الذى حاصل مقالتهم ان الله ربنا وربكم وحده لا شريك له ثُمَّ اسْتَقَامُوْا اى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة والامور التى منتهى العلم وتم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فَلَا خَوْفٌ اى من كروه يكره عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ اى على فوت محبوب والفا لتضمن الاسم معنى الشرط اُولٰٓئِكَ اى العالو الدرجات اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا خلودا لا اخر له جَزَآءً اى بسبب ما كانُوْا اى طبعا وخلقا يَعْمَلُوْنَ اى على سبيل التحذير الحثم ولما كان رضى الله تعالى فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما كما ورد به الحديث وصى عليهما بقوله تعالى وَوَصَّيْنَا اى عالنا من العظمة الْاِنْسَانَ اى هذا النوع الذى انس بنفسه بِوَالِدَيْهِ وقرا احسانا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرا الكوفيون بسكون الحاء وقبلها همزة مكسورة وفتح السين وبودها الف فهو منصوب على المصدر بفعل مقدر اى وصيناه ان يحسن اليهما احسانا ومثله حُسْنًا وقرا حملته امه كرها على مشقة وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا اى بمشقة الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف ونقل الضموم اسم والمفتوح مصدر وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون بمشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا مرت فلما اثقلت فحينئذ حملته كرها ووضعته كرها نبه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكر فى مقام خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها

وذلك يدل على ان رحمتها اعظم وان وصول الشفاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة في هذا
الباب وحمله وفصاله اي بين الرضاع ثلاثون شهرا اكمل ذلك ببيان لما نكابده الام في تربية الولد
مبالغة في الوصية بها وفي ذلك دلالة على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة
الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهي اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة
اشهر روى عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين
شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروى عن ابي بكر ان امراة
رفعت اليه وقد ولدت لستة اشهر فاستربد حملها فقال عمر لا ارجم عليها وذكر الطريق المعتدة
وعن عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه الاية واما مدة اكثر الحمل فليس في القران
ما يدل عليه واختلف الائمة في ذلك فعند الشافعي اربع سنين وقوله تعالى حتى اذا
بلغ اشده لابد فيه من جملة محذوفة تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته
حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس في رواية عطا الاشد ثمانية عشر سنة وقيل نهاية
قوته وغاية شبابه واستتوايه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله
تعالى وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت في سعد ابن ابي وقاص
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة عثمان بن عمر وامه ام الخير بنت صخر
ابن عمرو وقال علي ابن ابي طالب الاية في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد
من المهاجرين ابواه غيره فاوضاه الله تعالى بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر يصحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين
سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبئ النبي صلى الله عليه وسلم امن به
ثم امن ابواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق ثم ان ابا بكر دعا ربه بان قال
رب اوزعني اي الهمني وقراوزش والبزي بفتح الياء في الوصل والباقون بسكونها
ان اشكر نعمتك التي انعمت بها علي اي وعلى والدي وعلى والدت وهي التوحيد والكثير
المفسرين على ان الاشد ثلاث وثلاثون سنة قال الرازي مرات الحيوان ثلاثة الان
بدن الحيوان لا يكون الا مركبا من عناصر ومزاج عناصري والمركبة العنصرية زائدة في اول
العمر ناقصة في اخره والانتقال من الزيادة الى النقصان لا بد من حصول الا اذا حصل
الاستواء في وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام فاولها
ان تكون المركبة العنصرية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء عظيمة الجثة
في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والثانية
وهي المرتبة المتوسطة ان تكون المركبة العنصرية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة
ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة ان تكون المركبة
العنصرية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين والاول
هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة
قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة قال الرازي وهذا يشكل عيسى عليه
السلام فانه تعالى جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب انه يوحى
الا بعد الاربعين وهكذا يقال ان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فان ابا بكر دعا ايضا
فقال وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة

من المومنين

من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه
ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجاب الله تعالى دعاه فلم يكن له ولد الا امن فاجتمع
له اسلام ابويه واولاده جميعا وادرك ابواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه ابو عتيق النبي
صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة تنبيه اصلح يتعدى
بنفسه لقوله تعالى واصلحنا له زوجه وانما تعدى بفي لتضمنه معنى الطف بي في ذريتي
او لانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح والمعنى هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم
اني تبت اي رجعت اليك عن كل ما يقدح في الاقبال عليك واكده اعلاما بان حاله
في الاقبال على الشهوات حال من يبعد منه الاقلاع فينكر اخباره به وكذا قوله
واني من المسلمين اي الذين اسلموا بظواهرهم وبواطنهم فانقادوا اتم انقياد اولئك
اي العالوا الرتبة القائلون هذا القول ابو بكر وغيره الذين نتقبل باسهل وجه
عنهم واشار بصيغة التفعل الى انه يعمل في قبوله عمل المعتني والتقبل من الله تعالى هو
ايجاب الثواب له على عمله وقوله تعالى احسن ما عملوا اي اعمالهم الصالحة التي عملوها
في الدنيا فان قيل كيف قال تعالى احسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه اجيب بوجهين
احدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح
الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب او الواجب
ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على ذلك بقوله تعالى ونتجاوز
اي بوعد لا يخلف عن سيئاتهم اي فلا يعاقبهم عليها وقرا حفص وحمزة والكسائي بنون مفتوحة
قبل الفوقية من يتقبل ونصب احسن ونون مفتوحة قبل الفوقية من يتجاوز
والباقون بيا مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع احسن وقوله تعالى
في اصحاب الجنة في محل الحال اي كائنين في اصحاب الجنة كقولك اكرمني الامير في اصحابه
اي في جملتهم وقيل خبر مبتدا مضمر اي هم في اصحاب الجنة وقوله تعالى وعد الصدق
مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم في معنى
الوعد فيكون قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزا وذلك وعد من الله تعالى صدق لكونه
مطابقا للواقع الذي كانوا يوعدون اي يقع لهم الوعد به في الدنيا ممن لا اصدق منهم وهم
الرسل عليهم السلام حين اخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
ولما وصف تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لهما بقوله تعالى والذي قال
لوالديه اف لكما والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله ابن ابي وقيل
في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى وقوله
اف لكما وقال الحسن وقتادة انها نزلت في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها
نزلت فيمن تقدم لا ينافي ان المراد الجنس فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص
وفي اف قرات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني اي على سبيل الاستمرار بالتحديد
في كل وقت وقرا هشام بادغام النون الاولى في الثانية وفتح اليا نافع وابن كثير وسكنها
الباقون ان اخرج اي من مخرج ما يخرجني من الارض بعد ان غبت فيها وصرت ترابا

جملة م

BULAC

يحيى كما كنت اول مرة وحدا اي والحال انه قد خلت اي مضت على سنن الماضين القرون
اي الامم الكثيرة مع صلاتهم من قبلي اي قرنا بعد قرن وتطاولت الازمان ولم يخرج منهم
احد من القبور ثم اي والحال انها كما قال لهم اذ لك ستشفعنان الله اي يطلب ان يدعا لها
منزله جميع الكمال ان يغشيها بالهامه قبول كلامها ويقول لان ان لم نرجع وتذكر اي هلا ذكت
عني هلكت من اي اوقع الايمان الذي لا ايمان غيره وهو الذي ينقذ من كل هلكة ويوجب
كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله ثم عللا امرهما على هذا الوجه موكدين رد مقالة
انكان يقولها ان وعد الله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال حق اي ثابت اعظم ثبات
لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه اقل الملوك فكيف بملك
الملوك فينقول منتسبا عن قولها ومعتقبا له ما هذا اي الذي تذكرانه من البعث الا اساطير
اي اكاذيب الاولين التي كتبوها اولئك اي البعد من العقل والمروة وكل خير البتة حق
اي ثبت ووجب عليهم القول اي الكامل في بابه بانهم اسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوي
يرد قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر لانه يدل على انه من اهل الدرك وقد ثبت
عندان كان لاسلامه وقال النقاش وهذا يكذب من قاله انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي
بكر فانه اسلم وصار من اكابر الصحابة فحققت له الجنة ولما اثبت لهم هذه السنعة تبين
كثرة من تقدمهم فيها بقوله تعالى في اي كائنين في امم اي حالين كانوا في الجنة تقدم الناس
ويتبع بعضهم بعضا قد خلت اي تلك الامم من قبلهم كما نوا قد وغيرهم وادخل الجار لان الحكم
عليه بعض الحالين وبدا تعالى بقوله تعالى من الجن لان الرعب كانت تستعظمهم وتستحير
منهم وذلك لانهم يتبطنون لهم ويودونهم ولم يقطع اذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وبالطبع
الا القرآن فانه احرقهم بانوار وجلالهم عين ذلك البلد بعلى الناس والانس وما نعتهم تشريفهم
ولا نحتت عنهم قوتهم وقوله تعالى انهم اي كلهم كانوا اي جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون
على الانفكاك عنه خاسرين اي عريقين في هذا الوصف تعليل للحكم على الاستئناف
ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه
ولو ساعة وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعني البار بر الدين والعاقين لهما درجات
في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات في اهل
النار وقد روي ان الجنة درجات والنار دركات اجيب من وجوه احدها ان ذلك على جهة
التغليب وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار
تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات
والطاعات ودركات اهل النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى وليوفيهم اعمالهم
اي جزاءها معلقة بمحذوف تقديره جازاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
وعاصم بالياء التحتية اي الله والباقون بالنون اي نحن وقوله تعالى وهم لا يظلمون
اي شيأ نقص للمؤمنين ولا بزيادة للكافرين لما استئناف واما حال مؤكدة ويوم اي واذكر
يا افضل الخلق لهم الايوم يعرض الذين كفروا على النار اي يصلون لهبها ويقاسون حرها
الحرق بقوله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي بصلون لهبها ويقاسون حرها كما يعرض
اللحم الذي يشوى وقيل يقرضون عليها النار ليروا ما هو لها مقولا لهم على سبيل التقديم والتقريع
والتوبيخ والتشنيع انهم كفروا بالله حق كفره عند مشاهدتهم بدل ما توهموا مع مخالفة امر

سبحانه وتعالى أذهبتم طيباتكم أي لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الذال
بهمزتين مفتوحتين الأولى محققة بلا خلاف والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام
بينهما ألفا ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة واحدة محققة في حياتكم الدنيا أي
القريبة الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم
لأجلها حتى نلتموها واستمتعتم أي طلبتم وأوجدتم انتفاعكم بها وجعلتموها غاية
حظكم في رفعتكم ونعمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه في الدنيا
فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله تعالى عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما
وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي قال الواحدي إن الصالحين يؤثرون التقشف والزهد
في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل لأن هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لأنها وردت
في حق الكافر وإنما وبخ الله تعالى الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والإيمان
به وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله
تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر أن الاحتراز
عن التنعم أولى لأن النفس إذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما
حمل الميل إلى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روي عمر قال دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله
تعالى أن يوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال
صلى الله عليه وسلم أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وعن عائشة قالت
ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض صلى الله عليه
وسلم وعنها أنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو إلا الماء والتمر وعن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون
عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير والأحاديث فيه كثيرة ولما كانت الاستهانة بالأوامر
والنواهي استهانة بيوم الجزاء سبب عنه قوله تعالى فاليوم تجزون أي على أعراضكم
عنا عذاب الهون أي الهوان العظيم المجتمع الشدائد الذي فيه ذل وخزي بما كنتم أي جبلة
وطبعا تستكبرون أي تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار في الأرض التي هي لكونها
ترابا وموضوعة على الزوال والخراب أحق شيء بالتواضع والذل والهوان بغير الحق
أي الأمر الذي يطابقه الواقع وهو أوامرنا ونواهينا وبما كنتم أي على الاستمرار تفسقون
أي بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى تنبيه دلت الآية على أن الكفار
مخاطبون بفروع الإسلام لأن الله تعالى علل عذابهم بأمرين أولهما الكفر وثانيهما الفسق
وهذا الفسق لا بد وأن يكون مغايرا لذلك الكفر لأن العطف يوجب المغايرة فثبت أن فسق
الكفار يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق إلا ترك المأمورات وفعل المنهيات ولما كان
قوم عاد أكثر أموالا وقوة وجاها من أهل مكة ذكر تعالى قصتهم ليعتبروا فيتركوا الاغترار
بما وجدوه في الدنيا فقال عز من قائل واذكر أي يا أشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون
أخا عاد وهو أخوك هود عليه السلام الذي كان بين قوم أشد من قومك ولم تخف عاقبتهم
وأمرهم ونهاهم ونجيته منهم فهو لك قدوة وفيه أسوة ولقومك في قصدهم إياك
بالإذن من أمره موعظة وقوله تعالى إذ أنذر بدل اشتمال من أخا قومه أي الذين لهم قوة

BULAC

على القيام فيما يجادلونه بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت
منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد
يسارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر
لنا ان عادا كانوا حيا من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشجر
وقد اي والحال انه قد خلت النذر اي مرت ومضت الرسل الكثيرون من بين يديه اي قبل هود كنوح
وشيث وادم عليهم السلام ومن خلفه اي بعده والمعنى ان الرسل الذين بعثوا قبله
والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره والجملة حال او اعتراض ولما اشار الى كثرة
الرسل ذكر وحدتهم في اصل الدعا فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهي ان لا تعبدوا اي ايها العباد
المنذرون بوجه من الوجوه شيا من الاشيا الا الله اي الملك الذي لا ملك غيره ولا خالق سواه
ولا منعم الا هو فاني اراكم تشركون به من لم يشركه في شي من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا
اني اخاف عليكم لكونكم قومي واعز الناس علي عذاب يوم عظيم اي لا يدع جهة الا ملاها عذابه
ان اصررتم على ما انتم فيه من الشرك قالوا له في جوابه منكرين عليه اجئتنا اي يا هود
لتاكفنا اي لتصرفنا عن وجه امرنا الى قفاه عن الهتنا فلا نعبدها ولا نعبدها فاتنا بما تعدنا
من العذاب سموا الوعيد وعدا ان كنت اي يقال عنك كونا ثابتا من الصادقين في انك رسول
من الله واية تاتينا ما تخافه علينا من العذاب ان اصررنا قال اي هود مكذبا لهم في نسبتهم
اليه ادعا شي من ذلك انما العلم اي المحيط بكل شي عذابكم وغيره وغيره عند الله
اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون به على من يشا ان شا ولا علم
لي الى الان ولا لكم بشي من ذلك ولا قدرة وابلغكم اي في الحال والاستقبال وقرا ابو عمرو
بسكون البا الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام ما ارسلت
به ممن لا مرسل في الحقيقة غيره سوا كان وعدا ام وعيدا ام غير ذلك ولم يذكر
الغاية لان ما ارسل به صالح لهم ولغيرهم ولكني اراكم اي اعلمكم علما كالرؤية وقرا نافع
والبزي وابو عمرو بفتح البا والباقون بسكونها وامال الالف بعد الرا ورش وامالها
ابو عمرو وحمزة والكسائي محضة والباقون بالفتح قوما تجهلون اي باستعجال العذاب
اي باستعجال العذاب فان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا مقترحين فلما راوه
اي العذاب الذي توعدهم به عارضا اي سحابا اسود بارزا في الافق ظاهر الامر عند
من له اهلية النظر حال كونه قاصدا اليهم مستقبل اوديتهم اي طالبا لان يكون
مقابلا لها وموجدا لذلك قالوا على عادة جهلهم مشيرين اليه باداة القرب الدالة على انهم
في غاية الجهل لان جهلهم به استمر حتى كاد ان يواقعهم هذا عارض اي سحاب معترض
في عرض السما اي ناحيتها ممطرنا قال المفسرون كان حبس عنهم المطر اياما فساق
الله تعالى اليهم سحابة سودا فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها
استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو اي هذا العارض
الذي ترونه ما استعجلتم به اي طلبتم العجلة في اتيانه وقوله تعالى ريح بدل من ما
فيها عذاب اليم اي شديد الايلام روي انها كانت تحمل الفسطاط فتحملها في الجو وتحمل
الظعينة في الجو تحملها وهودجها حتى ترى كانها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا
عن منازلهم من الناس والمواشي فتطير بهم الريح بين السما والارض ثم تقذف بهم ثم وصف

تلك

تملك الريح بقوله تعالى تدمر اى تهلك اهلا كا عظيما شديدا اى اى شئ اى اى شئ اتت عليه من الحيوان
والناس وغيرهما هذا شانها فمن سلم منها كهود عليه السلام ومن آمن به فسلامته
امر خارق كما ان امرها فى اهلاك كل ما مرت عليه امر خارق للعادة بامر ربها اى الذى
لها والمربى والمحسن بالانتقام من عذابه فان قيل ما فائدة اضافة الرب الى الريح اجيب
بان فى هذه الاضافة دلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها
من اعاجيب خلقه والكل يرجع وجوده وذكر الامر وكيفها مامورة من جهته عز وعلا يعضد
ذلك وبقوله فليس فى تاثير الكواكب والقرانات قيل ان اول من ابصر العذاب امراة منهم
قالت رايت ريحا فيها كاشهب النار وروى انها اول ما عرفوا به عذاب اليم انهم راوا الابل
فى الصحراء من وحشيتهم وعواشيهم بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا
ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم واماله الله تعالى عليهم الاحقاف فحكوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام بامر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال وحملتهم فرمت
بهم فى البحر وروى ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين
تنبع وكانت الريح التى تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التى تصيب قوم عاد تدمغهم
من الارض وتطير بهم الى السماء وتقذفهم على الارض وعن ابن عباس اعتزل هودا ومن معه
فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وانما نعتها بالصرصر لانها كانت فى يوم نحس
صلى الله عليه وسلم ما امر الله خازن النار الريح ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم
وذلك القدر اهلكهم بكليتهم كما قال تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح
فدمرتهم فاصبحوا حيث لم يخصصت فى بلادهم لا يرى الا مساكنهم وقرا عاصم ويعقوب بالياء
التحتية المضمومة مبنيا للمجهول ورفع النون من مساكنهم لغتان مثل مقام القائل والباقون
بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيا للفاعل ونصب مساكنهم مفعولا به وامال الالف
بعد الراء ورش بين بين وابو عمرو وحمزة والكسائى بخصة وكذلك من الغرق كذلك
اى مثل هذا الجزاء الهائل نجزى اى العريقين فى الاجرام الذين يقطعون ما حثه
بقطعنا دابرا اذا استاصلنا القوم المجرمين اى العريقين فى الاجرام الذين يقطعون ما حثه
الوصل وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذه الوجه الشنيع وروى انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم انى اسالك خيرها وخير ما ارسلت اليه واعوذ بك من شرها
وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة اى سحابة قام وقعد وجاء وذهب ففعل ربه فتقول
له يا رسول الله ما لنا فاعرف فيقول انى اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض
ممطرنا فاحذروا ايها العربية مثل ذلك لئلا ترجعوا فان قيل قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم فكيف يحصل التخويف اجيب بان ذلك كان قبل نزول الآية ثم اخبر
الله تعالى عن تمكينه عادا بقوله مستانفا ولقد مكناهم اى تمكينا تظهر به عظمتنا فيما
ان نافية ما مكناكم يا اهل مكة فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها
مع انهم فى ذلك كما تحوا من عقاب الله تعالى فكيف تكونون حالكم تنبيه قال القاضى وجعل
النافى فى ان لانها ابلغ من ما لان ما تنفى تمام القوت لتركيبها من اللام والالف التى هى صيغة
ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفى ادنى مظاهر حدوثها فكيف بما وراء من تمامه

لان الهمزة اول مظهر لفوت الالف والنون لمطلق الاظهار هذا الى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ
وصونه عن ثقل التكرير الى غير ذلك من بديع الاسرار انتهى قال الزمخشرى ان نافية اى فيما
ما مكناكم فيه الا ان احسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله
مجتنب الا ترى ان الاصل فى مهما ما ما فلشناعة التكرير قلبوا الالف هاء ولهذا عثت
ابو الطيب فى قوله • لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل
فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب • وقد جعلت ان صلة مقطعا فما انشده الاخفش
يرجى المرء ما ان لا يراه • وتعرض دون ايناه الخطوب • وتقول ما ان مكناهم فى مثل
ما مكناكم فيه والوجه هو الاول وَجَعَلْنَا لَهُمْ اى على ما اقتضته عظمتنا سَمْعًا وافرده
لقلة التفاوت فيه وَأَبْصَارًا وجمعه لكثرة التفاوت فى انوار الابصار وكذا فى قوله
تعالى وَأَفْئِدَةً اى فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا فما استعملوه فى استماع الدلائل
واعطيناهم ابصارا فما استعملوه فى دلائل ملكوت السموات والارض واعطيناهم افيدة
اى قلوبا فما استعملوها فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا
ولذاتها فلا جرم قال تعالى مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ فى حال ارسالنا اليهم الرحمة على لسان هود عليه
السلام ثم النفية بيد الريح سَمْعُهُمْ واكد النفى بتكرير لا فى قوله تعالى وَلَا أَبْصَارُهُمْ
وكذا فى قوله تعالى وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ لما اردنا اهلاكهم واكد بانبات الجار فقال تعالى
مِنْ شَيْءٍ اى من الاشياء ان قل وقال الجلال المحلى ان كثر اى الذى اردنا وقوله تعالى إِذْ
واسر بتسعفى التعليل اى لانهم كَانُوا اى طبعا وخلقا يَجْحَدُونَ اى يكررون على سبيل الزمان
الجحد بِآيَاتِ اللَّهِ اى لانكارها مع العلم بانها من دلائل الملك الاعظم وَحَاقَ اى نزل بِهِم
مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ لانهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء وايثار المضارع
بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع امرهم اتبعهم من كان مشاركا لهم
فى التكذيب فشاركهم فى الهلاك فقال تعالى وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا اى بما لنا من العظمة مَا حَوْلَكُم
يا اهل مكة مِّنَ الْقُرَىٰ كحجر ثمود وعاد وارض سدوم وسبا ومدين والايكة وقوم
لوط وفرعون واصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر وَصَرَّفْنَا اى بينا الْآيَاتِ اى
الحجج البينات لَعَلَّهُمْ اى الكفار يَرْجِعُونَ اى ليكونوا عند من يعرف حالهم من رؤية الايات
حال من يرجع عن الغى الذى هو عليه لتقليد او شبهة بسبب الايات وفصيحتها الدلالات
فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سببا لاهلاكهم فَلَوْلَا اى فهلا لم نهلكهم إِذْ جَاءَهُم
اى بعض هؤلاء المهلكين الذين اتخذوا بَأْسُنَا اى اخذنا اياهم بالعذاب الذى صرفنا بغيهم عن رؤيته
حتى اخذوا مِن دُونِ اللَّهِ اى الملك الذى هو اعظم من كل عظيم قُرْبَانًا اى متقربا بهم الى الله
تعالى آلِهَةً معه وهم الاصنام ومفعول اتخذ الاول ضميرهم المحذوف يعود على الموصول
اى هم وقربانا المفعول الثانى والهة بدل منه بَلْ ضَلُّوا اى غابوا عَنْهُمْ وقت نزول النقمة
وقرأ الكسائى بادغام اللام فى الضاد والباقون بالاظهار وَذَٰلِكَ اى اتخاذهم الاصنام آلهة قربانا
إِفْكُهُمْ اى كذبهم وَمَا كَانُوا اى عمل وجد الدوام لكونه فى طباعهم يَفْتَرُونَ اى يتعمدون كذبه
لان اصرارهم عليه بعد مجىء الايات لا يكون الا لكبر لا من نظر فيها بحر دا نفسه عن الهوى
اهتدى وَإِذْ اى واذكر اذ صَرَفْنَا اى املنا إِلَيْكَ نَفَرًا وهو اسم يطلق على ما دون العشرة
وسيأتى فى ذلك خلاف مِّنَ الْجِنِّ اى جن نصيبين اليمن او جن نينوى يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ

اى

اى يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير الفارق بين كل بلس وانت فى صلاة الفجر فى مكة فصلى
باصحابك فلما قضوه اى حضروا وانجبت بسمعونه فقالوا اى قال بعضهم لبعض الا تجلسون فنسمع
اى استمعوا وسكتوا وكلما تكلموا واستمعوا احفظ للادب على بساط الخدمة وفيه تأديب
مع العلم فى تعلمه قال القشيرى واهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار
تنبيه ذكروا فى كيفية هذه الواقعة قولين احدهما قال سعيد بن جبير كان الجن
يستمعون فلما رجعوا قالوا هذا الذى حدث فى السما انما حدث لشئ فى الارض فذهبوا يطلبون
السبب وكان قد انقض النبى صلى الله عليه وسلم لما ايس من اقبال مكة ان يجيبوه فخرج
الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن مكة نخلة قام يقرأ القرآن
فمر به نفر من اشراف جن نصيبين كما ليس يعنهم ليعرف السبب الذى اوجب حراسة السما
بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا انه ذلك هو السبب والقول الثانى ان الله تعالى امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله
تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه القرآن وينذرون قومهم روى ان الجن كانوا
يهودا الا ان فى الجن مللا كما فى الانس من اليهود والنصارى والمجوس ومن عبدة الاوثان والمحققون على ان الجن مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم
عقاب يأكلون فى اثوابه الجنة ويشربون ويتناكحون على ابوابها وروى الطبرى عن ابن عباس ان اولاد
الجن كانوا تسعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا
الى قومهم وعن قتادة بن محشن كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه
من نينوى وروى فى الحديث ان الجن ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهوا وصنف
حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون واختلفت الروايات هل كان بعد الاسرا من سعود
مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وروى عن انس قال كنت عند النبى صلى الله عليه
وسلم ونحن بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكأ على عكاز فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انها لسنة حتى يمر الى فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انها لنغمة حتى يقال الشيخ اجل يا رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من اين الجن انت
قال يا رسول الله انا هام ابن هيم ابن لاقيس ابن ابليس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين قال اجل يا رسول الله قال كم اتى تملك من العمر قال
اكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حتى قتل قابيل هابيل غلاما المراهقا فكنت اتشوف
على الاكام واصطاد الهام واورس بين الاثام فقال النبى صلى الله عليه وسلم بئس العمل
قال يا رسول الله دعنى من العتب فانى ممن امن مع نوح عليه السلام وعاش بدعوته
فبكى وابكانى وقال والله انى لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت
هودا فعاش بدعوته فبكى وابكانى وقال والله انى لمن النادمين واعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وامنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى
به فى المنجنيق وكنت معه فى النار اذ القى فيها وكنت مع يوسف اذ القى فى الجب فسبقته
الى قعره ولقيت موسى ابن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم فقال لى ان لقيت
محمدا فاقرأه منى السلام قال انس فقال النبى صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك
السلام يا هام ما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وان عيسى علمنى الانجيل فعلمنى

القران قال انس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا
الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين فلما قضى اي فرغ
من قراءته ولوا اي رجعوا الى قومهم الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه منذرين
اي مخوفين لهم ومحذرين عواقب الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ولما كان كانه
قيل ما قالوا لهم في انذارهم قيل قالوا يا قومنا مترفقين لهم مترفقين بهم بذكر
ما يدل على انهم منهم يهمهم ما يهمهم انا سمعنا اي ما بيننا وبين القارئ واسطة
واشاروا الى انه لم ينزل بعد التورية شيء جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب
غير هذا وبذلك عرفوا انه ناسخ لجميع الشرايع بقولهم كتابا اي ذكرا جامعا لا كما انزل
بعد التورية على بني اسرائيل انزل اي ممن لا منزل غيره وهو ملك الملوك لان عليه
من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه بانه منها فكيف اذا انضم الى ذلك
الاعجاز وعلموا قطعا بقرينته انه عربي وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربها
ويسمعون قراءة الناس لما يحدثون من الحكم والخطب والكهانة والرسائل والاشعار
وانه مباين لجميع ذلك من بعد موسى فلم يقتدوا بما انزل بين هذا الكتاب وبين
التورية من الانجيل وما قبله لانه لا يساوي التورية في الجمع وروي عن عطاء والحسن
انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس ان الجن ما سمعوا امر عيسى فلذلك
قالوا من بعد موسى ولما اخبروا بانه منزل اتبعوه ما يشهد له بالصحة بقولهم
مصدقا لما بين يديه اي من جميع كتب بني اسرائيل الانجيل وما قبله ثم بينوا تصديقه
بقولهم يهدي الى الحق اي الامر الثابت الذي يطابق الواقع فلا يقدر احد على ازالة
شيء مما يخبر به الكامل في جميع ذلك والى طريق موصل الى المقصود مستقيم لا عوج فيه
يا قومنا الذين لهم قوة العلم والعمل اجيبوا داعي الله اي الملك الاعظم المحيط بصفات
الكمال فان دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق فالاجابة واجبة على كل من بلغه امره
وفي هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا
الى الانس قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله وامنوا به اي اوقعوا
التصديق بسبب الداعي وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا بسبب اخر فان المفعول
معه مفعول مع الله تعالى فان قيل قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل
ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وامنوا به اجيب بانه لما ذكر الايمان
على التعيين لانه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القران العظيم بانه يذكر
اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل
وميكائيل وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما
امر تعالى بالايمان ذكر فائدته بقوله تعالى يغفر لكم اي الله تعالى من ذنوبكم اي
بعضها من الشرك وما شابهه مما هو حق الله تعالى وكذا ما يجازى به صاحبه
في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها كما اشار اليه قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير واما المظالم فلا تغفر الا برضى اربابها
وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته ان كلمة من هنا لابتداء الغاية

والمعنى

والمعنى انه يقع ابتداء العفو ان بالذنوب ثم ينتهي الى الغفران ما صدر عنكم من ترك الاولى
والافضل ويحذركم اي يمنعكم منع الجبار لكونكم بالتحيز الى داعية صرتم من حزبه
من عذاب اليم قال ابن عباس فاستخاب لهم من قومهم وستين رجلا من الجن
فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوها في البطحاء فقرأ عليهم القرآن
وامرهم ونهاهم تنبيه اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ولا فقيل لا ثواب لهم
الا النجاة من النار وقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى
ويجركم من عذاب اليم وهو قول ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني ادم يستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم
عن ابن عباس ايضا خلاف ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لا كل
دليل ذلك على ان البشر تبتغون الثواب فهو بعينه قايم في حق الجن والفرق بينهما
بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون
من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فينصبهم من لذيذ ما يصيبه بنو ادم من نعيم
الجنة وقال ارطاة بن المنذر سمعت ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مرضى الجن حول الجنة في رياض
ورحاب ويسمعون فيها ولما فهم كلامهم انهم يحبون ان ينتقم منهم بالعذاب
الاليم ينعوه ما هو اعظم ابتداء منه فقالوا اوفى كبير اي يتحدد منها بحجاب ناموس الله
اي الملك الذي لا تفوته فليس بمعجز اي لا يعجز الله عز وجل ما اهرب منه في الارض فيفوته
فانه اي مكان تسلك فيها فهو في ملكه وملكه وقدرته محيطة به وليس دونه اي الله
تعالى الذي لا يعجز عليه اولياء تنصرونه لاجله ما يفعل التوبيخ مع قربه من الذنب
عنه والاستشفاع له والاقتداء اولئك اي البعيدون من كل خير في ضلال مبين
ظاهر في نفسه انه ضلال يظهر لكل احد قبح حالتهم تنبيه ههنا هم بان مضمون كل
من كلمتي لا نظم لهما في القرآن العظيم فزاقلون والبزي بتسهيل الاولى كالباقين مع المد
والقصر وتسهيل الثانية ورش وقنبل بعد تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدال الثانية
الفا واسقط الاولى ابو عمرو مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد
اولم يروا اي يعلموا علما هو في الوضوح كالرويا بصرية ودل على ما دل عليه هذا الاسم
الاعظم بقوله تعالى الذي خلق السموات عما فيهن احتوت عليه بديع الوصف من العبر
والايات على ما اشتملت عليه من الايات المدركة بالعيان والخبر ولم يعي اي ولم ينعب
ولم يعجز بخلقهن من الاشياب فانه لو حصل له شيء من ذلك ادى الى تفاوت فيهما
او في احدهما والاكتفاء المتضمن للنفي بزيادة الجار في خبر ان فقال بقادر اي قدرة
عظيمة على ان يحيي الموتى اي على سبيل التجدد مستمر القدرة والامر فيهم كونه اعادة ولكونهم
جزءا يسيرا مما ذكر اختار اعيا اصغر شانا واسهل صنعا واجاب بقوله تعالى بلى لان هذا
الاستفهام الانكاري في معنى النفي اي قد علموا انه قادر على ذلك علما هو في اتقانه
كالرويا بالبصر لانهم يعلمون انه المتجرع لذلك وان الاعادة اهون من الابتداء في مجاري
عاداتهم ولكنهم عند ذلك عما قلون لانهم عنه معرضون وقوله تعالى انه على كل شيء قدير
تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة

RULAC

بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ولما اثبت البعث بما قام من الدلايل ذكر ببعض
ما يحصل في يومه من الاهوال بقوله تعالى ويوم اي واذكر يوم يعرض اي يا يسر امر
من اوامرنا الذين كفروا اي ستروا بغفلتهم وتماديهم الادلة الظاهرة على النار
عرض الجند على الملك فيسمعوا من تغيظها وزفيرها ما لو قدر ان احدا يموت في ذلك
اليوم لماتوا من معاينته وهايل رويته ثم يقال لهم اليس هذا اي الامر الثابت
الذي يطابقه الواقع ام هو جبال وسحر قالوا اي مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق
بلى وما كفاهم البدار الى تكذيب انفسهم حتى اقسموا عليه بقولهم وربنا اي انه الحق
هو اثبت الاشيا وليس فيه شي مما يقارب السحر تنبيه المقصود من هذا الاستفهام
التهكم والتوبيخ على استهزايهم بوعد الله تعالى ووعيده قال فذوقوا العذاب
اي باشروه مباشرة الذايق باللسان ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم
صرح بالسبب فقال بما كنتم اي خلقا مستمرا تكفرون في دار العمل ولما قرر تعالى المطالب
الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري مجرى
الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يوذونه
ويوحشون صدره فقال تعالى فاصبر اي على مشاق ما ترى في تبليغ الرسالة وعلى اذى
قومك قال القشيري الصبر هو الوثوق بحكم الله تعالى والثبات من غير بث ولا
استكراه كما صبر اولوا العزم اي الثبات والجد في الامور وقال ابن عباس اولوا الحزم
وقوله تعالى من الرسل يجوز فيه ان تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولوا عزم
وغير اولي عزم ويجوز ان تكون للبيان وجرى عليه الجلال المحلي فكلهم على هذا اولوا عزم
قال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما ادخلت من
للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية من البز وقال
بعضهم الانبيا كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله
عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجبا الرسل وهم المذكورون في سورة
الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع اعدا الله تعالى وقيل هم
ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق
في سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم
صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره
ويوسف صبر في الجب والسجن وايوب صبر على الضر قال ابن عباس وقتادة
هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة
ونظمهم بعضهم في بيت فقال محمد ابراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم اولوا العزم فاعلم
قال البغوي ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الاية وعن مسروق قال قالت عايشة قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض
من اولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها لم يرض الا ان كلفني ما كلفهم

قال

قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا
واجتهدن ولا قوة الا بالله ولما امره تعالى بالصبر الذي هو من اعلى الفضائل نهاه
عن العجلة التي هي من امهات الرذائل فقال عز من قائل ولا تستعجل لهم اي تطلب
العجلة وتوجدها بان تفعل شيئا مما يسوءهم في غير حينه الا ليق به فانه نازل بهم
في وقته لا محالة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه واحب ان ينزل
الله تعالى العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك
العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار
فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون اي من العذاب بهم في الاخرة بقوله لم يلبثوا
اي في الدنيا الا ساعة من نهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من نهار
او كانه لم يكن لهول ما عاينوا لان ما مضى وان كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر

كان شيئا لم يكن اذا مضى ۞ كان شيئا لم يكن اذا اتى

تنبيه قد تم الكلام ههنا وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدا محذوف قدره بعضهم
تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله تعالى الا ساعة من نهار وقال بعضهم هذا اي القران بلاغ
اي تبليغ من الله تعالى اليكم وجرى عليه الجلال المحلي فهل يهلك اي بالعذاب اذا نزل الا القوم
اي الذين هم اهل القيام بما يحاولونه من اللدد الفاسقون اي العريقون في ادامة الخروج
عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال الزجاج تاويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته
الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله اقوى من هذه الاية
وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا حديث موضوع سورة محمد
صلى الله عليه وسلم مدنية وتسمى القتال والذين كفروا وهي ثمان وثمانون اية وخمسماية
وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلثماية وتسعة واربعون حرفا بسم الله الملك الاعظم
الذي اقام جنده للذب عن حماه الرحمن الذي عمت رحمته تارة بالبرهان وتارة بالسيف
واللسان الرحيم الذي خص حزبه بالحفظ في طريق الجنان واختلف في قوله تعالى الذين كفروا
من هم فقيل هم الذين كفروا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحارث ابنا هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل كل كافر لانهم
ستروا انوار الادلة وضلوا عن علم وصدوا اي امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لعواقبهم
في الكفر عن سبيل الله اي الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك الاعظم اضل اي ابطل
ابطالا عظيما يزيل العين والاثر اعمالهم اي كاطعام الطعام وصلة الرحم وفك الاسارى
وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها في الاخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى
تنبيه اول هذه السورة مناسبة لاخر السورة المتقدمة ولما ذكر اهل الكفر معبرا
عنهم بادنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر اضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع
الفرق بقوله تعالى والذين امنوا اي اقروا بالايمان باللسان وعملوا تصديقا لدعواهم
الصالحات اي الاعمال الكاملة في الصلاح بتاسيسها على الايمان ولما كان هذا الوصف
لا يخص اتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى وامنوا اي مع ذلك بما نزل اي
ممن لا منزل الا هو مفرقا ليجددوا بعد الايمان به اجمالا الايمان بكل نجم منه على محمد

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

النبي الامي العربي القرشي المكي المدني الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وهو اي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم موصوف بانه الحق اي الكامل
في الحقيقة ينسخ ولا ينسخ كائنا من ربهم المحسن اليهم بالرسالة اما احسانه الى امته فواضح واما
سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيمة وامته هي الشاهدة لهم
جملة معترضة وقرا قالون وابو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها كفر عنهم
سيئاتهم اي ستر اعمالهم السيئة بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا
بالتوفيق والتاييد ذلك اي الامر العظيم الذي ذكر هنا من جزاء الطائعين بان اي بسبب
ان الذين كفروا اي ستروا مرائي عقولهم اتبعوا اي بغاية جهدهم ومعالجتهم الباطل
من العمل الذي لا حقيقة له في الخارج يطابقه وذلك هو الابتداع والميل من الهوى فضلوا
وان الذين آمنوا ولو كانوا في اقل درجات الايمان اتبعوا اي بغاية جهدهم الحق اي الذي له واقع يطابقه
وذلك هو الحكمة وهي العلم بموافقة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه من ربهم
اي الذي احسن اليهم بايجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا كذلك اي مثل هذا
الضرب العظيم الشان يضرب الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال للناس اي كل من فيه
قوة الاضطراب والحركة امثالهم اي امثال انفسهم وامثال الفريقين المتقدمين او امثال
جميع الاشياء التي يحتاجون الى بيان امثالها مبينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل احد من ذلك
جزاء حاله فقد علم من هذا المثل ان من اتبع الباطل اضل الله تعالى اعماله عمله ووفر سيئاته وافسد
باله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها ولما بين تعالى ان الذين كفروا اضل
اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده بسبب عنه
قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا ايها المؤمنون في المحاربة وقوله تعالى فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
ضما الى التاكيد والاختصار والحكمة في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من الاعضاء
ان المؤمن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع الصائل لا ينبغي
ان يقصد اولا مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرقى
الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى انه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود رفعهم
من وجه الارض فاذن ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل والرقبة
اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك
والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع
ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى لقيتم ما ينبئ عن مخالفتهم الصائل لان قوله تعالى لقيتم
يدل على ان المقصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال تعالى في غير هذا الموضع فاقتلوهم
حيث ثقفتموهم حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم فيهم القتل وهذه غاية الامر بضرب
الرقاب لا لبيان غاية القتل فشدوا اي فامسكوا عن القتل واسروهم فشدوا الوثاق
اي ما يوثق به الاسرى وقوله تعالى فاما منا بعد اي في جميع ازمان ما بعد الاسر واما فداء فيه
وجهان اشهرهما انهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى
سبق تفصيلا لعاقبة حمله وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما

ان

ان تمنوا منا اي باطلاقهم من غير شيء واما ان تفدوا فدا اي تفادوهم بمال او اسرى مسلمين
ومثل هذا قول القايل لاحمدن فاما درا واقعة تخشى واما بلوغ السول والامل
والثاني قاله ابو البقا انهما مفعولان بهما لعامل مقدر تقديره اولوهم منا واقبلوا منهم
فدا قال ابو حيان وليس باعراب يحوي وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها
من السلاح وغيره بان يسلم الكافر او يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اي اهل الحرب
وهو غاية للقتل والاسر والمعنى اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى تدخل الملل كلها في الاسلام
ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وجاء
في الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال وقال الفرا حتى لا يبقى الا مسلم
او مسالم تنبيه اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة
والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الراي وقالوا لا يجوز المن على من وقع
في الاسر من الكفار ولا الفدا وذهب اخرون الى ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال
العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم
بغير عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا
واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون
واشتد سلطانهم انزل الله تعالى في الاسارى فاما منا بعد واما فدا وهذا هو الاصح
والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده روى البخاري عن ابي هريرة قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجات برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة
ابن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم
على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شئت حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم
ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد
قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب
من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
والله ما كان على وجه الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي
والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد
ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة
فماذا ترى فبشره صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت
قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران ابن حصين قال اسر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فاثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين
اسرتهما ثقيف وقوله تعالى ذلك يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب
باضمار افعلوا قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القايل ان فعلت
فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب قال المفسرون معناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم
الكفار ولو يشا الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال لانتصر منهم اي بنفسه من غير
احد انتصارا عظيما فيهلكهم بان لا يبقى فيهم احدا وكفاكم امرهم بغير قتال ولكن امركم بذلك

ليبلو اي يختبر بعضكم ببعض اي يفعل في ذلك فعل المختبر ليرتب عليه الجزا فيصير من قتل
من المومنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار فان قيل فايدة الابتلا حصول العلم
عند المبتلى فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشيا فاي فايدة فيه اجيب بان هذا السوال كقول
القايل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها
بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسئل عما يفعل ونزل يوم احد لما فشى في المسلمين القتل والجراحات
والذين قتلوا في سبيل الله اي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال
فلن يضل اي يضيع ويبطل اعمالهم وقرا ابو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التا مبنيا للمفعول
على معنى انه اصاب القتل بعضهم كقوله تعالى قتل معه ربيون والباقون بفتح القاف والتا
والف بينهما اي جاهدوا سيهديهم اي ايام حياتهم في الدين الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات
بوعد لا خلف فيه ويصلح بالهم اي يرضي خصماهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة اي الكاملة
في النعيم عرفها اي اعلمها وبينها لهم مما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد
يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا يستدلون عليها
وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل مشي اعطاه
الله تعالى وعن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف
اي مطيب يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك ان تنصروا الله على عدوكم فانه الناصر لا غيره
من عدد او عدد ويثبت اقدامكم اي في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار
ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين ما لاهل الكفران بقوله تعالى والذين كفروا وهو مبتدا
اي ستروا ما دل عليه العقل وقادت اليه الفطرة الاولى وخبره تعسوا يدل عليه
قوله تعالى فتعسا لهم اي هلاكا وخيبة من الله تعالى وقال ابن عباس اي بعدا
لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الراس وقوله تعالى واضل اعمالهم
عطف على تعسوا اي ابطلها وان كانت ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان
وهو قوله تعالى ذلك يجوز ان يكون مبتدا والخبر الجار بعده او خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك
بانهم اي بسبب انهم كرهوا ما انزل الله اي الملك الاعظم الذي لا نعمة الا منه من القران وما انزل
الله تعالى فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات
والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم والذي انزله من القران وغيره هو روح الوجود
الذي لا تعابدونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت ارواحهم فتبعتها اشباحهم
وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى اضلال اعمالهم فاحبط اي ابطل ابطالا لا صلاح
معه اعمالهم بسبب انهم افسدوها بنياتهم فصارت وان كانت صورها صالحة
ليس لها ارواح لكونها واقعة على غيرها امر الله به الله الذي لا امر الا له ولا يقبل
من العمل الا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض اي التي فيها
اثار الوقايع فينظروا كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين من قبلهم دمر الله
اي اوقع الملك الاعظم الهلاك عليهم بما عم اهاليهم واموالهم وكل من رضي فعالهم او مقالهم
وعدل عن ان يقول ولهولا الى قوله تعالى وللكافرين تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو
العراقة في الكفر امثالها اي امثال عاقبة من قبلهم ذلك اي الامر العظيم وهو نصر المومنين
وقهر الكافرين بان الله اي بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال مولى اي ولي
وناصر الذين امنوا فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب

اي دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ينصركم

له قال القشيري ويصح ان يقال ارجى اية في القران هذه الاية لانه تعالى لم يقل الزهاد والعباد
واصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالايمان وان الكافرين اي الفريقين في هذا
الوصف لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه ما للفريقين بقوله تعالى ان الله اي الذي له جميع
الصفات يدخل الذين امنوا اي اوقعوا التصديق وعملوا اي تصديقا لما ادعوا انهم اوقعوه
الصالحات اي الطاعات جنات اي بساتين عظيمة الشان موصوفة بانها تجري من تحتها
اي من تحت قصورها الانهار فهي دائمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة والذين كفروا
يتمتعون اي في الدنيا بالملاذ كما تتمتع الانعام بايسر ما امر الله تعالى به معرضين
عن لقائه ويأكلون اي على سبيل الاستمرار كما تأكل الانعام اي اكل التذاذ ومرح من اي
موضع كما تأكل الانعام اي اكل التذاذ ومرح من اي موضع كان وكيف كان الاكل من غير
تمييز لحرام من غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون الى الاخرة لان الله
تعالى اعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى شغلتهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم
فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى والنار مثوى لهم اي منزل ومقام ومصير
ولما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله سبحانه افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم
من الدلائل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال تعالى وكاين اي وكم من قرية
اريد اهلها اي كذبت رسولها هي اشد قوة واكثر عدة من قريتك مكة اي اهلها وقوله تعالى
التي اخرجتك روعي فيه لفظ قرية وقوله تعالى اهلكناهم اي بانواع العذاب روعي
فيه معنى قرية الاولى فلا ناصر لهم يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر
رسلهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة
وقال انت احب ارض الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج
منك فانزل الله هذه افمن كان اي في جميع احواله على بينة اي حجة ظاهرة البيان في انها
حق من ربه المربي المدبر له المحسن اليه وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كمن زين له
بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه سوء عمله فراه حسنا وهم ابو جهل والكفار
واتبعوا اهواءهم في ذلك فلا شبهة لهم في شيء من اعمالهم السيئة فضلا عن دليل
ولما تكرر ذكر الجنة في هذه السورة بين صفتها بقوله تعالى مثل اي صفة الجنة اي البساتين
العظيمة التي يستر داخلها من كثرة اشجارها التي وعد المتقون اي الذين حملتهم
تقواهم بعد الوقوف على فعل لم يدل عليه دليل على ان استمعوا منك فانتفعوا
بما دللتهم عليه من امور الدين تنبيه اختلف في اعراب هذه الاية على اوجه احدها
ان مثل مبتدا وخبره مقدر قدره النضر ابن شميل مثل الجنة ما يسمعون فما يسمعون
خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها
ايضا مفسرة للمثل ثانيها ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم في قول القائل الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ثالثها ان مثل الجنة مبتدا والخبر قوله تعالى كمن هو خالد في النار فقدره ابن
عطية امثل الجنة كمن هو خالد بتقدير حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشري
امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله تعالى فيها انهار حال من الجنة

اهل ح

اي مستقرة فيها انهار من ماء ولما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم مع اتحاد الارض ببساطتها
وشدة اتصالها للدلالة على ان فاعل ذلك قادر مختار وقد يكون آسنا اي متغيرا عن الماء
الذي يشرب بريح منتنة من اصل خلقته او من عارض عرض له من منبعه او مجراه
قال تعالى غير آسن اي ثابت له في وقت ما شيء من الطعم او الريح او اللون بوجه
من الوجوه وان طالت اقامته وان اضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه
بخلاف ماء الدنيا فيتغير لعارض وقرا ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدها وهما لغتان
وانهار من لبن ولما كان التغير غير محمود قال تعالى لم يتغير طعمه اي بنفسه عن اصل
خلقته وان اقام مدى الدهر بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع وهذا يفهم انهم
لو ارادوا تغييره لشهوة اشتهوها تغير وانه مع طيبه على انواع كثيرة كما كان في الدنيا
متنوعا وانهار من خمر ولما كان الخمر يكره طعمها وانما يشربها شاربوها لاثرها وانه
متى تغير طعمها زال اسمها عرف ان كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم
فقال تعالى لذة اي لذيذة للشاربين في طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا
فانها كريهة عند الشرب وانهار من عسل ولما كان عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطا
لخروجه من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى قال تعالى مصفى اي هو صاف
صفا ما اجتهد في تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت له دائما لا انفكاك له
في وقت ما تنبيه قال ابو حيان في حكمة ترتيب هذه الانهار انه بدا بالماء الذي
لا يستغنى عنه بالمشروبات ثم باللبن اذا كان يجري مجرى المطعومات في كثير من اوقات
العرب ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والطعم تشوقت النفس الى ما يلتذ به ثم بالعسل
لان فيه الشفاء في الدنيا بما يعرض من المطعوم والمشروب انتهى فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالى في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال
في العسل مصفى للناظرين اجاب الرازي بان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص
فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الاخر فقال لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر
كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة اي لا يكون في خمرة الاخرة كراهة طعم واما الطعم
واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل احد
لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على ان له طعما واحدا وكذلك
اللبن فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة انتهى فائدة روي عن كعب الاحبار انه قال
نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان
وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن
عبد الحكم في فتوح مصر ان كعب الاحبار سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله
تعالى خبرا حال والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله عز وجل
يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري
ما كتب الله تعالى له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل عز حميدا وعن كعب
ايضا انه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله عز وجل في الدنيا والنيل نهر العسل
في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة
وعنه ايضا انه قال النيل في الاخرة يكون عسلا اغزر ما يكون من الانهار التي تسمى

الله

الله عز وجل ودجلة في الآخرة لنيلنا اعز منه ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل
والفرات خيرا اعز منه ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان ما اعز
ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل واصل هذا كله ما في الصحيح في وصف الجنة
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من انهار
الجنة والمراد بالتمار المستطاب بعد سائغ الشراب قال تعالى وفيها فاكهة ومنها
قوله تعالى من كل الثمرات فيه وجهان احدهما ان هذا الجار صفة لمحذوف ذلك المقدر مبتدا
وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به والتقدير ولهم فيها رزق من كل الثمرات
كما انتزاعه من قوله تعالى فيها من كل فاكهة زوجان وقدم بعضهم صنف والاول
كما قال ابن عادل اليق ثانيهما ان من مزيدة في المبتدا ومغفرة من ربهم
عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون مع احسانه
اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر مبتدا مقدر اي امن
هو في هذا النعيم كمن هو مقيم اقامة لا انقطاع معها في النار التي لا انطفاء لهبها
ولا ينفد اسيرها ولا يموت حزينها لان الخلود يعم من فيها على حد سواء ويسقوا عوض ما ذكر
من شراب اهل الجنة ماء حميما هو في غاية الحرارة فقطع امعاءهم اي مصارينهم
فخرجت من ادبارهم وهو جمع معا بالقصر والقه عنيا لقولهم معيان ومنهم من يستمع
اليك اي في خطبة الجمعة وهم المنافقون والضمير في قوله تعالى ومنهم يحتمل ان يعود الى الناس
كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول امنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل
ان يعود الى اهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى هي اشد قوة من قريتك التي
اخرجتك ويحتمل ان يرجع الى مقدر في قوله تعالى هو خالد في النار وسقوا ماء حميما اي ومن
الخالدين في النار قوم يستمعون اليك حتى اذا خرجوا من عندك اي استمرارهم لا نفسهم في الاصغاء حتى
اذا انصرفوا اي المستمعون والتاء مقوت من عندك اي الفريقان قياما واستهزاء
قالوا للذين اوتوا العلم بسبب نفاقهم لعلمهم من صفا الاحبار ينخرهم عن الناموس والخطوط
والتغاير بينهم لما تدعوا الله الفطرة الاولى منهم ابن مسعود وابن عباس ماذا قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم آنفا اي قبل افترقنا وخرجنا عنه روي متقابلا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخطب ويعيب المنافقين ماذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله ابن مسعود ماذا سمعوا منه
ماذا قال محمد انفا اي الساعة اي لا نرجع اليه وقرأ الذي يقصر الهمزة بعد الواو وعنه والباقون
بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وبما استعمل الحاذر وحذر آنفا اي البعد من كل خير
اذ طبع الله اي الملك الاعظم على قلوبهم اي بالكفر فلم يفهموا فهم الانتفاع لان مثل
هذا الجمود لا يكون الا بذلك واتبعوا اي بغاية جهدهم اهواءهم اي في الكفر والنفاق
فلذلك هم يتهاونون باعظم الكلام ويقبلون على جمع الحطام فهم اهل النار المشار اليهم
بقوله اية مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية ثم ذكر تعالى اضدادهم لا يستوون سبحانه والذين
اهتدوا اي اجتهدوا باستعمالهم مكنه بالصدق في الاعمال والتسليم والاذعان بانواع
المجاهدات وهم المؤمنون زادهم اي الله الذي طبع على قلوب الكفرة هدى اي بان شرح
صدورهم ونور قلوبها بانوار المجاهدات فصارت اوعية للحكمة وآتاهم تقواهم
اي الهمهم ما يتقون به النار قال ابن عباس ان التقوى عمل الايمان كما ان اعمال الجوارح

عمل الاسلام فهل اي ما ينظرون اي ينتظرون وجرده اشارة الى شدة قربها الا الساعة وقوله تعالى
ان تأتيهم اي الكافرين بدل اشتمال من الساعة اي ليس الامر الا ان تأتيهم بغتة اي فجاة من غير
شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى فقد جاء اشراطها جمع شرط بسكون الراء وفتحها
قال ابو الاسود فان كنت قد اذمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراطا وله نبذوا
والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اي الزمها امورا قال اوس
فاشرط فيها نفسه وهو يعصم فالقى باسباب له وتوكلا والشرط القطع ايضا مصدر شرط الجلد
يشرطه شرطا قال السهيلي بن سعد رايت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى
والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين وعن انس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الربا
ويكثر شرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد وعن ابي هريرة
قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي قال متى الساعة
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال وقال بعضهم
لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال
اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة فقيل كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير
اهله فانتظر الساعة ومن اشراطها انشقاق القمر المؤذن بانه الشمس في طلوعها من مغربها
وغير ذلك وما بعد مقدمات الشر الا حضوره فانى اي فكيف واين لهم اي التذكر
والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم ذكراهم اي الساعة اي لا ينفعهم نظيره قوله تعالى يومئذ
يتذكر الانسان وانى له الذكرى وكما علم بذلك الذكرى غير نافعة اذا انقضت هذه الدار
التي جعلت للعمل اوجات الاشراط المحققة الكاشفة لها سبب عنه امر اعظم الخلق
تكوينا ليكون لغيره تكليفا فقال فاعلم انه اي الشان العظيم لا اله اي لا معبود بحق الا الله
اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما اثبت عليه من العلم
بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقيل الخطاب مع النبي والمراد غيره وقال الحسن
ابن الفضل فازدد علما الى علمك وقال ابو العالية وابن عيينة معناه اذا جاءتهم
الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا مفزع عند قيامها الا الله واستغفر لذنبك اي لاجله
امر بذلك مع عصمته لتستن به امته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك اي لذنب اهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات
الذين ليسوا من امتك باهل بيت وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذي
هو بالنسبة اليه ذنب وحسنات تنادون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وقيل هو كل مقام عال ارتفع عنه
الى اعلا منه الى اعلا منه وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات فيه اكرام من الله تعالى
لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم والله المحيط بجميع صفات
الكمال يعلم متقلبكم اي تصرفكم لاشغالكم بالنهار ومكانه وزمانه ومثواكم اي ماواكم
الى مضاجعكم بالليل اي هو عالم بجميع احوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين
وغيرهم وقيل يعلم متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في الجنة فالنار ومثله حقيق بان تتقى وتخشى
ويستغفر ويسترحم وعن سفيان ابن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع

قوله

قوله تعالى حين بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامره بالعلم قبل العمل فقال
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية ويقول الذين آمنوا طلبا للجهاد لولا
ولا التفات الى قول بعضهم ان الارادة والاصل لو نزلت سورة انه اي بسورة كانت
لنفس بسماعها وتتشدد بتلاوتها وتعمل بما فيها فاذا انزلت سورة اي قطعة
من القرآن تكامل نزولها تدريجا او جملة وزادت على مطلوبهم في الحض بانها محكمة
اي مبينة لا يلتبس معناها بنوع اجمال ولا ينسخ لكونها جامعا للمحاسن في كل زمان ومكان
وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين
وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم مرض اي شك وهم المنافقون
ينظرون اليك نظر المغشي عليه شزرا بحدق شديد كراهية منهم للجهاد وحيدا عن لقاء العدو
نظر المغشي عليه والاصل نظرا مثل نظر المغشي عليه من الموت الذي هو غاية المغشي فهو
لا يطرف بعينه بل شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن والخور والمعنى ان
المؤمن كان ينتظر نزول الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا نزلت عنه
التكليف كان يقول اهلا امرت بشيء من العبادة خوفا من ان لا ترهل لها واما المنافق
فاذا انزلت السورة او الآية وفيها تكليف شق عليه ذلك لحصول التباين بين الفريقين
في العلم والعمل وقدم تعالى قوله طاعة وقول معروف وعد تمنعا قول الحوفي وفعل امر الوفي وهو الغريب
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه وقوله تعالى طاعة وقول معروف مستانف
اي طاعة وقول معروف خير لهم وامثل اي لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان امثل
وأحسن وشاع الابتداء بالنكرة لانها وصفت بدليل قوله تعالى وقول معروف
فانه موصوف فكانه تعالى قال لطاعة محلصة قول معروف وقيل معروف خبر وقيل يقول المنافقون
فتنازل السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اي امرنا طاعة او منا طاعة وقول معروف
حسن وقيل متصل بما قبله واللام في قوله تعالى بعض البناء فاولى لهم طاعة الله ورسوله
وقول معروف بالاجابة اي لو اطاعوا الله تعالى كانت الطاعة تولى اجابته اولى لهم وهذا
قول ابن عباس في رواية عطاء سبب عنهما قوله تعالى مسندا الى الامر ما هو لاهله
تاكيد المضمون الكلام فاذا عزم الامر اي فاذا امر بالقتال الذي ذكر في اول السورة
وغيره من الاوامر امر محتم وما به معزوم ما علم فكرهه فاولى لهم اي الملك الاعظم في قوله
الذي قاله في طلب التنزيل فكان صدقهم له خيرا لهم اي من تعللهم حمله لو حوارا اذا
نحو اذا اجابك فلعرجيتني اطمعك وقيل محذوف وقد قدرنا فاصدوكذا اقدر
ابو البقاء وعزم الامر على بسل المحارب كقوله قد جدت الحرب بكم وجدوا او يكون
على حذف مضاف اي عزم اهل الامر وقوله تعالى فهل عسيتم فيه التفات
عن الغيبة اي لعلكم ان توليتم اي اعرضتم عن الايمان والجهاد ان تفسدوا اي تتوقعوا
الافساد العظيم الذي يستتم تحدده وتقطعوا بالمعصية والبغي وسفك الدماء الذي يسخط
الله ويفضيه اشد غضبا على فاعله وتكونوا في غاية الجراءة على ربكم وترجعوا الى الفوضى
يوجد جمعكم اليه بالاستلام وقرا نافع بكسر السين والباقون بفتحها ويقطعوا
كسرا وتخفيفا اي يقطعوا الى امر الجاهلية في الاحقاد من بعض على بعض وغير ذلك قال
قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله لم يسفكوا الدم الحرام ويقطعوا

الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية قال الفرا يقول فهل عسيتم
ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض بالظلم انزلت في بني امية وبني هاشم
اولئك اي المفسدون الذين لعنهم الله اي طردهم اشد الطرد الملك الاعظم لما ذكر
من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى فاصمهم اي عن الانتفاع
بما يسمعون واعمى ابصارهم اي عن الارتفاق بما يبصرون فليس سماعهم سماع
ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا سماع ولا ابصار افلا يتدبرون بقلوب منفتحة
منشرحة ليهتدوا الى كل خير القران بان يجهدوا انفسهم في ان يتفكروا في الكتاب
الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا على المعاصي فان قيل قال تعالى
فاصمهم واعمى ابصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القران وهو كقول القائل للاعمى ابصر
وللاصم اسمع اجيب بثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من بعض الاول
تكليفه ما لا يطاق جائز والله تعالى امر من علم منه انه لا يؤمن بان يؤمن فلذلك
جاز ان يصمهم ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني ان قوله افلا يتدبرون
القران المراد منه الناس الثالث ان يقال ان هذه الاية وردت محققة لمعنى
الاية المتقدمة كانه تعالى قال اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن الصدق
او الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم
لا يبصرون طريقة الاسلام فاذن هم بين امرين اما لا يتدبرون القران فيبعدون
منه لان الله تعالى لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقران منهما هو الصف الاعلى
بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا يدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة
تقديره افلا يتدبرون القران لكونهم ملعونين مبعدين ام اي بل على قلوب
عن قلوب الفاعلين لذلك اقفالها فلا تعي شيئا ولا تفهم امرا ولا تزداد الا غباوة وعناء
لانها لا تقدر على التدبر قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط
عليها شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكما لا يخرج
ما فيه فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذي يدعون اليه يدخل انتهى فان قيل ما الفائدة
في تنكير القلوب اجاب الزمخشري بقوله يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه على
ان يكون موصوفا لان النكرة بالوصف اولى من المعرفة فكانه قال ام على قلوب قاسية
او مظلمة الثاني ان يكون للتبعيض كانه قال ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول
جاني رجال فيفهم البعض وجاني الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار
الذي في ذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن
فيه المعرفة فكانه لا يعرف قلبا فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذي هذا
ليس بانسان وكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر واذا علم هذا فالتعريف اما
بالالف واللام واما بالاضافة بان يقال على قلوب اقفالها وهي لعدم عود فائدة
اليهم كانها ليست لهم فان قيل قد قال تعالى ختم الله على قلوبهم وقال تعالى فويل
للقاسية قلوبهم اجيب بان الافعال ابلغ من الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم راسا
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى اقفالها بالاضافة ولم يقل اقفال كما قال قلوب اجيب
بان الاقفال كانها ليست الا لها ولم يضف القلوب اليهم لعدم نفعها اياهم واضاف

الافعال

الافعال اليها لكونها مناسبة لها او نقال ما اريد به افعالا مخصوصة هي افعال الكفر
والعناد ولما اخبر تعالى بافعالهم بين منشأ ذلك فقال تعالى ان الذين ارتدوا
اي من اهل الكتاب وغيرهم على ادبارهم اي رجعوا كفارا من بعد ما تبين
البيان لهم الهدى اي الدلايل التي من شدة ظهورها عبر عنها عن تبيان ما بين
الشيطان سول لهم اي زين وسهل لهم اقتراف الكبايروالتعبير اي ومد الشيطان
لهم في الامال والاماني بارادته تعالى فهو الفاعل لهم وقرا ابو عمرو بضم الهمزة وكسر
اللام وفتح الياء والباقون بفتح الهمزة واللام وسكون الالف المنقلبة واما الهاء
همزة والكسائي مخصصة وقرا ورش بالفتح وبين النقطين والباقون بالفتح قال
في الكشاف فان قلت من هولاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين
لهم الهدى وهو يعنته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك اي اضلالهم اياهم
بسببه انهم قالوا اي المنافقون للذين كرهوا ما اي وهم المشركون ما جميع ما نزل الله
اي الملك الاعظم على التدريج بحسب الوقايع بتنزيلا فانه اعجاز الخلق في بلاغة التركيب
مع وضاحة المفردات وحسن التهايع السهولة في النطق والعذوبة في السمع والملايمة
للطبع سنطيعكم في بعض الامر اي امر المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فاظهره الله تعالى والله اي قالوا ذلك
والى ان الملك الاعظم المحيط بكل شئ قدرة وعلما نعلم اي على مر الاوقات انهم
اي كاتبها هذا الذي افشاه عليهم وغيره مما في ضمايرهم مما لم يعبر على السنتهم ولعلهم
لم يعلموه فضلا عن اقوالهم التي تحدث بها انفسهم فبان تبذلك انه لا اطلاع لهم ولا
لمخلوق والاسرار وقرا حمزة في الكسايي بكسر الهمزة مصدر والباقون بفتحها
جمع سر بكسر اي حالهم اذا يتوفتهم الملايكة اي قبضت رسلنا وهم ملك الموت واعوانه
ارواحهم كاملة وقوله تعالى يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم مما يحافون
منه ويكبتون عن التمثال له وعن ان يمسهم باس لا يتوفى في اخذ على معصية الا بضرب
في وجهه ودبره وقوله تعالى ذلك اشارة الى التوفي في الموصوف بانهم اي بسبب انهم اتبعوا
اي عالجوا فطرهم الاولى في ان اتبعوا ما اسخط الله اي الملك الاعظم وهو الكفر وكتمان نعت
الرسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيان الامر وعصيان الامر وزهدوا بالاشراك وغيره
بكبراهتهم اعظم اسباب رضاه وهو الايمان بهم لما دونه بالعقود عن الطاعات كليه
لان ذلك ظاهر غاية الظهور في انه سخط فعاله غير معذور في تركه النظر فيه حبط
اي فلذلك نسبت عنه انه افسد اعمالهم اي الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق لها وزن
اصلا لتضييع الاساس من مكارم الاخلاق من البر وصلة الارحام والاعتاق وغير ذلك من وجوه الارفاق ام حسب الذين وكان الاصل ام حسبوا الضعف
عقولهم بما افهمه التعبير بالحسبان ولكنه عبر تعالى بما دل على الافة التي اذهبهم الى ذلك بقوله
تعالى في قلوبهم اي التي اذا افسدت فسد جميع اجسادهم مرض اي افة لا طب لها حسبانا
هو في غاية الشدة لما دل عليه التاكيد في قوله تعالى ان لن يخرج الله اي ينزل من غوامض
بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين على سبيل التحذير والاستمرار وقرا
تعالى اضغانهم جمع ضغن وهي الاحقاد اي احقادهم على المومنين فسيدبها حتى يعرفوا
نفاقهم وكانت صدورهم تغلي حنقا ولو نشاء لاريناكهم منورة البصر وجاء على الافصح

من اتصال الضمير بن ولوجا على ارتكاب اياهم جاز وقال الرازي الاراءة هنا بمعنى
التعريف وقوله تعالى فلعرفتهم عطف على جواب لو بسيماهم اي بسبب علامتهم التي تجعلها
عالمة عليهم غالبة لهم في اظهار ضمايرهم غلبة لا يقدرون على مدافعتها بوجه ولو يريدهم
سبحانه باشخاصهم اتقا على قرايتهم المخلصين من الفتن وقوله تعالى ولتعرفنهم
جواب قسم محذوف في لحن القول اي الصادر منهم ولحن نحوه اي معناه وما يدل
عليه ونلوح به من مشكله عن خفايا نفسه الى عواقبه وما يؤول اليه امره مما يخفى
على غيرك قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية
شيء من المنافقين بعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم ما لنا
ان اطعنا من الثواب ولا نقول ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك
اي تميله الى نحو من الاخبار ليفطن لمقاصدك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت
لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للخطأ لحن لانه يعدل بالكلام
عن الصواب وقال ابو حيان كانوا اصطلحوا على الفاظ يخاطبون بها الرسول
صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح والله اعالم من الكل
يعلم اعمالكم كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها علما ثابتا غيبيا وعلما ايجاديا
شهوديا يتجدد بحسب تجدد ما يستمر اباشتمراره ذلك ونبلونكم اي نعاملكم معاملة المبتلي
باظهار الجاهد منا من الصابر بالاوامر الشاقة على النفوس والنواهي الكريهة اليها
حتى نعلم اي حالا بتلا علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فيستتبع
من سرايركم ما جبلتم عليه مما لا يعلمه احد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه الجاهدين منكم
في القتال وفي سايرا لاعمال والشدايد والاهوال امتثالا للامر بذلك والصابرين
اي على شدايد الجهاد وغيره من الاكاد قال القشيري فيه ايتلاء والامتحان
تتبين جواهر الرجال فيظهر المخلص وتفتضح المازق وتنكشف المنافق انتهى
وعن الفضيل انه كان اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا
فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ونبلو اخباركم اي نخالطها بان نسلط عليها
من يحرفها فنجعل حسنها قبيحا وقبيحها مليحا لنظهر للناس العامل لله والعامل
للشيطان فان العامل لله اذا سمي قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى
اليه فيستحي منه ويرجع اليه واذا سمي حسنه باسم القبيح واشتهر به علم ان ذلك لطف
من الله تعالى به لكيلا يدركه العجب او صاحبه الرياء فيزيد في احسانه والعامل للشيطان
يزداد في القبايح لان شهرته عند الناس تحبط اثره ويرجع عن الحسن لانه لم يوصله الى ما اراد
به من ثنا الناس عليه بالخير ان الذين كفروا اي غطوا اماد لتهم عليه عقولهم من ظاهر ايات
الله لا سيما تقدم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم المويد بواضح المعجزات وصدوا
اي امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم عن سبيل الله اي الطريق الواضح الذي نصبه
الملك الاعظم وشاقوا الرسول اي الكامل في الرسالة المعروف غاية المعرفة
من بعد ما تبين اي غاية التبين بالمعجزات لهم الهدى بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج
بما اظهره الرسول من الايات الظاهرة وهم فريظة والنضير والمطعون يوم بدر
لن يضروا الله اي ملك الملوك شيئا مما هم عليه من الكفر والضد ولن يضروا رسوله صلى
الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اي يفسد
فيبطل بر بعد لا خلف فيه اعمالهم من الحسن لبنايها على غير اساس ما نبه انه يا ايها الذين امنوا

ايا فروا

اي اقروا بالسنتهم أطيعوا الله اي الملك الاعظم تصديقا لدعواكم طاعة بشدة الاجتهاد
فيها انها خالصة وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى وأطيعوا
الرسول لان طاعته من طاعة الذي ارسله فاذا فعلتم ذلك حصنتم انفسكم واعمالكم
فتكون صحيحة بنيانها على الطاعة بتصحيح النيات وتصفيتها مع الاحسان
للصورة في الظاهر ليكمل العمل صورة وروحا ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق
وقال الكلبي بالريا والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكباير وقال ابو العالية كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك
عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكباير اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه
ليس شي من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل
اعمالنا فقلنا الكباير الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكباير
ونرجو لمن يصيبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السي وعن
ابن عباس لا تبطلوها بالريا والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب ان الذين كفروا اي اوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر
لما دل عليه عقله من ايات الله المرئية والمسموعة وصدوا عن سبيل الله اي الملك
الاعلى عن الواضح المستقيم الموصل الى كل ما ينبغي ان يقصد كل من اراد تماديهم
على باطلهم واذاهم لمن خالفهم ثم ماتوا بعد المد لهم في مضمارهم بالتطويل في اعمارهم
وهم اي والحال انهم كفار فلن يغفر الله اي المحيط بجميع صفات الكمال التي تمنع من سنوية
المسي بالمحسن لهم فلا يمحو ذنوبهم ولا يستر عيوبهم بل يفضح سرايرهم ويردهم
على اعقابهم في كل ما يتقلبون فيه لانهم قد ابطلوا اعمالهم بالخروج عن دايرة الطاعة
فلم يبق لهم ما يغفر لهم بسببه وقد دلت هذه الاية على ما دلت عليه اية البقرة من ان
احباط العمل في المرتد مشروط بالموت على الكفر قيل نزلت في اصحاب القليب قال الزمخشري
والظاهر العموم ثم رغب تعالى في لزوم الجهاد محذرا من تركه بقوله تعالى فلا تهنوا
اي تضعفوا ضعفا يودي بكم الى الهوان والذل وتدعوا اعداكم الى السلم اي المسالمة
وهي الصلح وانتم اي والحال انكم الاعلون اي الظاهرون الغالبون قال الكلبي اخر
الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات واصل الاعلون الاعليون فاعل وقرا حمزة
وشعبة بكسر الشين والباقون بفتحها ثم عطف على الحال قوله تعالى والله اي الملك
الاعظم الذي لا يعجزه شي ولا كقوله معكم اي بنصره ومعونته وجميع ما يفعله الكريم
اذا كان مع عبده وعلم انه سيده وعلم انه قادر على ما يريد لم يبال بشي اصلا ولن يتركم
اي ينقصكم اعمالكم اي ثوابها كما يفعل مع اعدائكم في احباط اعمالهم لانكم لم تبطلوا اعمالكم
بجعل الدنيا محط امركم انما الحياة واشار الى دناءتها تنفيرا عنها بقوله الدنيا اي الاشتغال
بها لعب اي اعمال ضايعة سافلة تزيد في السرور ما يسرع اضمحلاله فيبطل من غير
ثمرة ولهو اي مشغلة يطلب بها اثارة اللذة كالغنا وان تؤمنوا وتتقوا اي تخافوا

BULAC

فتجعلوا بينكم وبين غضبه سبحانه وقاية من جهاد اعدائه وذلك من اعمال الاخرة
يؤتكم اي الله سبحانه الذي فعلتم ذلك من اجله في الدار الاخرة اجوركم اي ثواب كل
اعمالكم لبنائها على الاساس ولانه غني لا ينقصه الاعطاء ولا يسألكم اي الله في الدنيا
اموالكم اي لنفسه ولا كلها لغيره بل يقتصر على جزء يسير مما تفضل به عليكم كربع العشر
وعشره ان يسألكموها اي كلها فيحفكم اي يبالغ في سؤالكم ويبلغ فيه الغاية حتى
يستأصلها فيجهدكم بذلك فالاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه
في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استأصله تبخلوا فلا تعطوا شيئا
ويخرج اضغانكم اي تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج
لله او الرسول او السؤال او البخل واقتصر عليه الجلال المحلي قال قتادة علم الله تعالى
ان في مسألة الاموال خروج الاضغان يعني ما طلبها ولو طلبها والح عليكم في الطلب
لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير ها انتم وحقر امرهم
بقوله تعالى هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون
لتنفقوا في سبيل الله اي الملك الاعظم الذي يرجى خيره ولا يخشى غيره استئناف
مقدر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما
فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وحذف القسم الاخر وهو ومنكم من يجود لان المراد
الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عمن اعطاه المال بجزء يسير منه انما طلبه
لينفع المطلوب منه فقط زاد العجب بقوله تعالى ومن اي والحال انه من يبخل بذلك
فانما يبخل بماله بخلا صادرا عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه
والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك التعبدي فانه امساك عن مستحق
والله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال الغني وحده عن نفقتكم
وانتم ايها المكلفون خاصة الفقراء لاحتياجكم في جميع احوالكم اليه وقوله تعالى
وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم اي يخلق قوما
سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى ثم لا يكونوا امثالكم
في التولي عنه والزهد في الايمان كقوله تعالى وآيات بخلق جديد قيل هم الملائكة
وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس
والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه
فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا
لو كان بالثريا لتناوله رجال من فارس والروم رواه الترمذي والحاكم وصححاه وما رواه
البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان
حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة موضوع ∴ سورة الفتح مدنية
وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة والفان واربعمائة وثمانية
وثلاثون حرفا بسم الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم خلقه بنعمه
الرحيم الذي خص اهل وداده بمزيد فضله روى زيد ابن اسلم عن ابيه ان عمر
ابن الخطاب كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسأله
عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس

وخشيت

وخشيت ان يكون نزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فجئت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب
الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك اي بما امرتك به من الطاعة التي لا تثبت
لها الجبال لك فتحا مبينا اي لا لبس فيه على احد واختلفوا في هذا الفتح فروي عن انس
انه فتح مكة وقال بعضهم هو فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية قال انس نزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الى آخر الآية منصرفه من الحديبية
واصحابه يخالطهم الحزن والكآبة فقال نزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعها
فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا قد بين الله لك
ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار الى آخر الآية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة
والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى افتحوا بيننا وبين قومنا
بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لآخر السورة
التي قبلها من وجوه احدها انه تعالى لما قال لهم انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل
الله الى ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم
وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم
ثانيها لما قال تعالى والله معكم وقال تعالى وانتم الاعلون بين بها انه يفتح مكة فانهم
كانوا هم الاعلون ثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا
الصلح بل اصبروا فانكم تغالبون الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حينئذ
صناديد قريش منا ثمانين وسوسنين وسنتلين وسنتسلمين فان قيل اذا كان المراد فتح
مكة فلم لم تكن فتحت فكيف قال تعالى فتحنا بلفظ الماضي اجيب من وجهين
احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا لانها ما فدرة الله تعالى فهو كائن فاخبر بصيغة
الماضي اشارة الى انه امر واقع لا دافع له والحاجة قول الاكثرين على انه صلح الحديبية
فلما روى البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد
الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة
والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاها فجلس على شفيرها فدعا بانا من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فدعنا
بالماء حتى شربنا جميعا من كان معه وقيل جاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ما وردها الله
وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر واظهر انخذل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم
على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح
اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فلم يكن
الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام وقال
البغوي انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضاء مبينا وقال الضحاك اي لغير
مال وكان الصلح من الفتح واختلفوا في قول المفسرين هذا معنى اللام في قوله تعالى
ليغفر لك الله اي الملك الاعظم فقال البيضاوي علة للفتح من حيث انه سبب عن جهاد

BULAC

الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي
قيل اللام لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة
في الفتح وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فمدخولها معيب لا سبب وقال
بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون
ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا
ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول
مردود وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل
علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة
وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك
لنجمع لك بين عز الدارين واغراض الآجل والعاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث
انه جهاد للعدو وسببا للمغفرة والثواب انتهى قال ابن عادل وهذا الذي قاله
مخالف لظهور الآية فان اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح
والفتح معلل بها فكان ينبغي ان تقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم تقول
لم يجعل معللا انتهى وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي واختلف ايضا
في الذنب في قوله تعالى ما تقدم من ذنبك فقال البقاعي اي الذي تقدم في القتال
امرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه اكمل منه فتراه
بالنسبة الى اكملية المقام الثاني ذنبا وكذا قوله تعالى وما تأخر وقال الرازي
المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيئات
المقربين وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابيك آدم وحوا ببركتك
وما تأخر ذنوب امتك بدعوتك وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت
في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله قال البغوي ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد
كما يقال اعطا من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة
زيد وقيل المراد به ترك الافضل وقيل الصغائر على طريق من جوز الصغائر على الانبياء
وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله تعالى وما تأخر قيل انه وعد للنبي صلى
الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عنه وقيل
المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك والاولى في ذلك هو الاول واختلف ايضا
في النعمة في قوله تعالى ويتم نعمته عليك فقال البقاعي بنقلتك من عالم الشهادة الى عالم
الغيب ومن عالم الكون والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذي هو اخص بحضرته
واولى برحمته واظهار اصحابك من بعدك على جميع اهل الملل وقال البيضاوي
باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وقال الجلال المحلي بالفتح المذكور وقيل ان
التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكليف نعمة
وقيل باجلاء الارض لك عن معانديك فان من يوم الفتح لم يبق للنبي صلى الله
عليه وسلم عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح
وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فباستجابة دعائك في طلب الفتح
وفي الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير ذلك والاول اولى واختلف ايضا في معنى الهداية

في قوله

في قوله تعالى ويهديك صراطا اي طريقا مستقيما اي واضحا جليا فقال التقاعي اي
بهداية جميع قومك ولما كانت هدايته من هدايته اضافها سبحانه اليه اعلاما له
انها هداية تليق بجنابه الشريف سرور اله وقال البيضاوي في تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرياسة وقيل يثبتك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل
جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على الحد من الجهاد لعلهم
بفوائده العاجلة والاجلة وقيل المراد التعريف اي ليتعرف انك على صراط مستقيم
وينصرك الله اي على ملوك الامم نصرا يليق باسناده الى اسمه المحيط بسائر العظم
نصرا عزيزا اي يغلب المنصور به كل من ناداه ولا يغلبه شيء دوامه فلذا زيد
لان الامة التي يتصف به لا يظهر عليها احد والدين الذي قضاة لاجله لا ينسخ شيء
فان قيل ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز لعالم النصر اجيب عن وجهين
احدهما قاله الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عزة كقولك
في عيشة راضية اي ذات رضى فانها وصف النصر بما وصف به المنصور اسناد
مجازي يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق فالمراد نصرا عزيزا صاحبه
الوجه الثاني فان يقال الغالب لزم ما ذكره الزمخشري اذا قلت العزة بمعنى الغلبة
والعزيز الغالب واما اذا قلت العزيز هو النفيس القليل النظير او المحتاج اليه
القليل الوجود فيقال عز الشيء في مسوف كذا اي قل وجوده مع انه محتاج اليه
فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ بيتا لله تعالى من الكفار المعنيين
فيه من غير عدد ولا عدد هو اي وحده الذي انزل اي في يوم الحديبية وغيره
السكينة اي الثبات على الدين والطمأنينة في قلوب المؤمنين اي الراسخين في ذلك
وهم اهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها ما من شانه ان يزعج النفوس ويزيغ القلوب
من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع احد منهم عن ايمانه
بعد ان هاج الناس وزلزلوا حتى عمر مع انه الفاروق مع وضعه في الكتب
السالفة بانه فرد من حديد فما الظن بغيره وكان عند الصديق من اليقين الثابت
والاصل الراسخ ما علم به انه لم يسابقهم اليهم الله تعالى احمعين وقال الرازي
السكينة الثقة بوعد الله والصبر على حكم الله وقيل السكينة ههنا معنى
يجمع قوة وروحا يسكن الى الخائف ويتسلى به الحزين وانشد هذه السكينة
الوقار والخشوع وظهور الحزم في الامور انتهى وقال اكثر المفسرين ان هذه
السكينة ان هذه السكينة غير السكينة المذكورة وقوله تعالى ان يأتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان تكون هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه
البقين وثبات القلب ليزدادوا اي تصديقا لرسول صلى الله عليه وسلم
حتى قال لهم انه لا بد ان يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت ايمانا مع ايمانهم التصديق
بالغيب مع ايمانهم اذا ثبت فتل هذه الواقعة آخر شرائع الدين مع ايمانهم
بالله واليوم الآخر وقال القشيري مطلوع افعال عن السكون على مخرج علم اليقين
ثم مطلوع متمكن حق اليقين على يدي عين اليقين وقال ابن عباس لما بعث الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة

ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء فصدقوه
ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقيل ازدادوا
ايمانا استدلالا مع ايمانهم الفطري فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في حق الكفار
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم اجيب بان كفر الكافر عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الامكان
كفر غير عنادي لينضم الى الكفر العنادي بل الكفر ليس الا عنادا وكذلك الكفر بالفروع
لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس
من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا
قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله اي الملك الاعظم الذي انزل السكينة في قلوب
المؤمنين جنود السموات والارض فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة
ولم يفعل بل انزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك اعدائه بايديهم فيكون لهم
الثواب وجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود
الارض الجن والحيوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية وكان الله اي الملك
الاعظم ازلا وابدا عليما اي بالذوات والمعاني حكيما في اتقان ما يصنع وقوله
تعالى ليدخل متعلق بمحذوف اي امر بالجهاد ليدخل المؤمنين والمؤمنات الذين
جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين
ولو سلط على الكفار جنوده من اول الامر فاهلكوهم او دمر عليهم بغير واسطة
لفات دخول اكثرهم الجنة وهم من امن منهم بعد صلح الحديبية جنات اي بساتين
لا تصل الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وان كان الامر اعظم من ذلك
تجري من تحتها الانهار فاي موضع اردت ان تجري منه بهذا قدرت على ذلك لان الما
قرب من وجه الارض مع صلابتها وحسنها خالدين فيها اي لا الى اخر فان قيل ما الحكمة
في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعضها اكتفى بذكر المؤمنين
ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله تعالى وبشر المؤمنين اجيب
بانه في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة
المؤمنات لهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي فيها ما لا يوهم ذلك اكتفى بدخولهم
في المؤمنين بقوله تعالى وبشر المؤمنين ولما كان ههنا قوله تعالى ليدخل المؤمنين
متعلق بالامر بالقتال والمراة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح الله تعالى
بذكرهن ويكفر اي يستر سترا بليغا عنهم سيئاتهم فلا يظهرها فان قيل تكفير السيئات
قبل الادخال فكيف ذكره بعده اجيب بان الواو لا تقتضي الترتيب وبان تكفير السيئات
والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل
الجنة وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله اي الملك الاعظم ذي الجلال والاكرام
فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من طلب نفع ودفع ضر تنبيه عند متعلق بمحذوف
على انه حال من فوزا ولما كان من اعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من العدو
وكان العدو المكاتم اشد من المجاهر المراغم تعالى ويعذب المنافقين المخفين
الكفر المظهرين الايمان فيزيل كل ما لهم من العذوبة والمنافقات لما غاظهم من ازدياد

الايمان

الايمان والمشركين والمشركات اي المظهر الكفر للمؤمنين وقدم المنافقين على المشركين
لانهم اكثر في المواضع لانهم كانوا اشد على المؤمنين من الكفار المجاهدين لان المؤمن
انما كان يتوقى المشرك المجاهد ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشي اسراره والى هذا
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله احذر عدوك مرة واحذر صديقك مرة فربما انقلب الصديق
اذ فكان اخبر بالضرر وقوله تعالى الظانين بالله اي المحيط بصفات الكمال صفة
ذم للغرنتين واما قوله تعالى ظن السوء فقال اكثر المفسرين هو ان لا ينصر محمدا صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين عليهم دائرة السوء اي دائر فهاتوعون
وينتظر صيرورته بالمؤمنين فتوحا ينعم وادبر علينهم لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
بضم السين والباقون بالفتح وهما لغتان كالكره والكره والضعف والضعف وقيل
الاول المفتوح غلب في الشر كما اضيف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء بمعنى الشر
الذي هو نقيض الخير وغضب الله اي الملك الاعظم بما لهم من صفات الجلال والجمال
فاستعلى عضبه عليهم وهو انه تعالى بما علم معاملة الغضبان بالاهانة لهم به
ولعنهم اي طردهم طردا انزلوا به اسفل السافلين فيبعدوا به عن كل خير واعد
لهم جهنم الاية تلقاهم بالعنوسة والتقبيض والزفير والتهيج كما تتوانه الحموم
عياذا بالله مع ما فيها من العذاب بالحر والبرد والاعراق وغير ذلك من انواع الشاق
ومصيرا اي مرجعا وقوله تعالى ولله اي الملك الاعظم جنود السموات
والارض تقدم تفسيره وفائدة الاعادة التاكيد وجنود السموات والارض منهم
من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب وقدم ذكر جنود السموات والارض قيل اراد بالمؤمنين
الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فيسيرونهم على الصراط وعند الميزان
فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والتزوير عنه فلا حاجة لهم بعد
ذلك الى تيسير احد ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكفار والمنافقين
ليكون معهم جنود التخطيط فلا يتمارى فتوعهم ابدا كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما امرهم فان قيل قال تعالى في الاية الاولى وكان الله عليما
حكيما وقال هنا وكان الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه الا وامره عزيزا اي يغلب
ولا يغلب حكيما اي يضع الشيء في احكم مواضعه فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب اليه
اجيب بانه لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب
وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب ان يكون ختم الاية الثانية وكان الله
عزيزا حكيما اي بما له من العز والحكمة ارسلناك اي عالين من العظمة الى الخلق
كافة شاهدا اي على اعمالهم من كفر وايمان وطاعة ومعصية ان كان يحضرك فيشهد
ومن كان بعيدا منك اوغايبا عنك فيكفيك ما شهد به ادناك من الخطة من الملائكة
الكرام ومبشرا اي لمن اطاع بنوع البشائر ونذيرا اي يخوف قابل من خالف الملك وعصاه
بالنار بنوعها في ابدية الارسال لتؤمنوا بالله اي الاسوع الاجد
من خلقه والكل خلقه الموجد الى غيره ورسوله اي الذي ارسله من لدنه كل شيء ملكا
وملكا الى جميع خلقه وتعزروه اي بقيتموه وتنصروه والتعزير بالنصر مع تعظيم

BULAC

وتوقروه اي يعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل والتجلد ويسبحوه من التسبيح
الذي هو التنزيه من جميع النقايص او من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر
لله عز وجل والمراد بتعزير الله تقوية دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد
وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى رسوله صلى الله
عليه وسلم وعليها تم الكلام ثم الوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدأ بقوله
تعالى ويسبحوه بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا او دائما وعن ابن عباس صلاة
الفجر وصلاة الظهر والعصر على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل
وقال النقاش والافعال الثلاثة تحتمل ان يراد بها تعالى لان من يبقى في جمع الكفار
فقد فعل فعل المعزر الموقر فيكون اما عائدا على المذكور واما ان يكون جعل
الاسمين واحدا اشار الى اتحاد المسمى ثم بغى الامر فلما اختلفا مرهما وحد الضمائر اشارة الى ذلك
انتهى وعندي انه يصح رجوع الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فشر ويسبحوه
بقوله ينزهوه عن كل وصمة من اخلاف الموعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام
وبحو ذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء في الاربعة على الغيبة رجوعا الى قوله تعالى
المومنين والمومنات والبافون بالتاء على الخطاب والمعنى تعالى انهم رسل ذكر ان من بايع
رسوله فقد بايعه فقال تعالى ان الذين يبايعونك ما اشرف الرسل بالجديدة
على الانعراب ثم بين بايعونك بقوله انما يبايعون الله اي ان ملكك الاعظم لان عملك كله من قول وفعل وما
ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لانهم باعوا انفسهم فيها من الله تعالى بالجنة قال الله
تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم الاية وعن يزيد بن ابي عبيد قال قلت
لسلمة ابن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
قال على الموت وعن معقل ابن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه
وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن رأسه ونحن اربعة عشر ماية
قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال ابو عيسى معنى الحديث صحيح
مبايعة جماعة على الموت ان لا يولي الى بقاتل من يسلكه بما لم يقتل او يبايعه اخر وزوقا لو
لا نفر وقوله تعالى يد الله اي المتردي بالكبرياء فوق ايديهم اي في المبايعة يحتمل
وجوها وذلك ان اليد في الوضع اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين
فان كانت بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق
ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ثانيهما قال
ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير واقوى اعلاما من نصرتهم
اياه يقال اليد للغلبة اي الغلبة فالقوة وان كانت بمعنيين فهي في حق الله تعالى بمعنى
الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال البيضاوي كانوا اذا خدمت سدة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه وبد الله تعالى فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين
اذا مد احدهما يده الى الاخر في البيع وضع احدهما ثالث يضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما
الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما بترك يد الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فجعل
وضع اليد فوق الايدي بسبب الحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم

على البيعة

يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط ايدي المتبايعين قال البقاعي فلعنة الله على من حمله
على الظاهر من اهل العناد ببدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا
الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الائمة الاعلام ورضوا لانفسهم ان يكونوا
اتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين انتهى وقد مر ان التاويل في الايات
المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن التاويل وامرار الصفات على ما جاءت
وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف فمن نكث اي نقض البيعة في وقت
من الاوقات فجعلها كالكساء الخلق والحبل البالي الذي ينقض فانما ينكث اي يرجع وبال نقضه
على نفسه فلا يضر الا هي ومن اوفى اي فعل الاتمام والاكثار والاطالة بما عاهد وقدم الظرف في قوله
تعالى عليه الله اي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما من هذه المبايعة وغيرها اهتماما به
وقرا حفص بضم الهاء قبل الاسم الجليل وتفخيم الاسم الجليل والباقون بكسر الهاء والترقيق
فسيؤتيه بوعد موكد لا خلف فيه اجرا عظيما لا تسع عقولكم شرح وصفه قال ابن عادل
والمراد به الجنة وقرا ابو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون ولما ذكر تعالى
اهل بيعة الرضوان واضافهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب وابطا عن حضرة
تلك العمرة بقوله تعالى سيقول بوعد لا خلف فيه لك اي لانهم يعلمون شدة رحمك ورفقك
وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون في قبولك من فاسد عذرهم ما لا يطمعون فيه من غيرك
من خلص المؤمنين المخلفون اي الذين خلفهم الله تعالى عنك فلم يرضهم لصحبتك في هذه
العمرة فجعلهم كالشيء التافه الذي يخلفه الانسان لانه لا فائدة فيه فلا يعبا به وقال تعالى من الاعراب
ليخرج من تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم وممن كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم
بالقلب قال ابن عباس ومجاهد يعني بالاعراب اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع
واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
استنفر من حول المدينة من الاعراب والبوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا
له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد
هربا فتثاقل كثير من الاعراب فتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك
المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله تعالى من الاعراب عن صحبتك اذا رجعت اليهم
من عمرتك وعاتبتهم على التخلف شغلتنا اي عن اجابتك في هذه العمرة اموالنا واهلونا
اي النساء والذراري فانا لو تركناهم لضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وانت قد نهيت
عن ضياع المال والتفريط في العيال ثم سبوا عن هذا القول المراد به السوء قولهم
فاستغفر اي اطلب المغفرة لنا من الله تعالى ان كنا اخطانا وقصرنا فكذبهم الله تعالى في اعتذارهم
بقوله سبحانه يقولون بالسنتهم اي في الشغل والاستغفار واكد ما افهمه ذكر اللسان من انه
قول ظاهري نفيا للكلام الحقيقي الذي هو النفسي بكل اعتبار بقوله تعالى ما ليس في قلوبهم
لانهم لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم نية في سؤال الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم
الرسول ام لا قل يا اشرف الرسل لهؤلاء الاغبياء واعظا لهم مسببا عن مخادعتهم لمن لا يخفى عليه
خافية اشارة الى ان العاقل يقبح عليه ان يقدم على ما هو بحيث يخشى عاقبته فمن يملك لكم اي
ايها المخادعون من الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه لانه لا كفو له شيئا يمنعكم ان اراد بكم ضرا اي نوعا
من انواع الضر عظيما او حقيرا فاهلك الاموال والاهلين وانتم محتاطون في حفظهما فلم ينفعهما

حضوركم او اهلككم انتم وقرا حمزة والكسائي بضم الضاد والباقون بفتحها أو أراد بكم نفعا يحفظها
به مع غيبتكم فلا يضرهم بعدكم عنهم ويحفظكم في انفسكم بل كان الله اي المحيط ازلا وابدا بكل
شيء قدرة وعلما بما تعملون ايها الجهلة خبيرا لعلم بواطن اموركم هذه وغيرها كما يعلم
ظواهرها بل ظننتم اي وانتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس لكم نفوذ الى البواطن وقرا
الكسائي بادغام اللام في الظاء والباقون بالاظهار واشار الى ان تاكد ظنهم على زعمهم بقوله
تعالى أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي ظننتم ان العدو يستاصلهم
ولا يرجعون لما في قلوبكم من عظيمة المشركين وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على ان قلتم
ما هم في قريش الا اكلة رأس فان قيل ما الفرق بين حرفي الاضراب اجيب بان الاول
اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا تتبعوه واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم
باضافة الحسد الى المؤمنين اي وصفهم بما هو اعم منه وهو الجهل وقلة العفة وزين ذلك
اي الامر القبيح الذي هو خراب الدنيا في قلوبكم حتى قلتموه وظننتم اي بذلك وغيره مما يترتب
عليه من اظهار الكفر وما يتفرع عنه ظن السوء اي الذي لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة
الا احاط به وقوله تعالى وكنتم قوما بورا جمع بائر اي هالكين عند الله تعالى بهذا
الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع لا بالنسبة الى كل فرد فانه قد اخلص منهم بعد
ذلك كثير وثبتوا ولم يرتدوا ومن لم يؤمن اي منكم ومن غيركم بالله الذي لا مود على الحقيقة
سواه ورسوله اي الذي ارسله لاظهار دينه وهو الحقيق بالاضافة اليه فانا اي
على ما لنا من العظمة اعتدنا اي له هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى معلقا للحكم بالوصف
للكافرين ايذانا بان من لم يجمع الايمان بهما فهو كافر واعد له سعيرا اي نارا شديدة ولله اي
الملك الاعظم وحده ملك السموات والارض اي من الجنود وغيرها يدبر ذلك كله كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اي لا اعتراض لاحد عليه لانه لا يجب عليه شيء ولا يكافيه احد
وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الاكفاء المعارضين لهم في الجملة وعلم
من هذا ان منهم من يرتد فيعذبه ومنهم من يثبت على الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب
بغير ذنب وان كان له ان يفعل ذلك لانه لا يسال عما يفعل وملكه تام فتصرفه فيه عدل
كيف ما كان وكان الله اي المحيط بصفات الكمال ازلا وابدا لم يتجدد له شيء لم يكن غفورا
اي لذنوب المسيئين رحيما اي مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول وقدرته على الانعام
كقدرته على الانتقام سيقول اي بوعد لا خلف فيه المخلفون اي الذين تخلفوا عن الحديبية
اذا انطلقتم اي سرتم ايها المؤمنون الى مغانم لتأخذوها اي مغانم خيبر وذلك ان المؤمنين
لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيئا وعدهم الله تعالى
فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث
انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا اي على اي حالة شئتم من الاحوال الدنية نتبعكم
اي الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا
شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في الغنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم
حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون اي بذهابهم معكم ان يبدلوا كلام الله اي يريدون
ان يغيروا مواعيد الملك الاعظم لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور
المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه

منهم

منهم احد الى خيبر وقال لابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله تعالى على طهم واظهر لهم نفاقهم وقال ليلى صلى الله عليه وسلم فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقرا حمزة والكسائي بكسر اللام بعد الكاف والالف بعد اللام والباقون بفتح اللام والف بعدها قل يا اشرف الخلق لهؤلاء المبعدين اذا بلغك كلامهم انت بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك في هذا الامر المهم قولا موكدا لن تخرجوا اي وان اجتهدتم في ذلك وساقته مساق النفي وان كان المراد به النهي لانه ابلغ كقوله اكذبوني عليا من اعلام النبوة وهو اجود وادل على الاستمرار انتم بدأكم اي مثل هذا القول البديع الشان العالي الرتبة رضيكم الله اي الذي لا يكون الا ما يريد وليس سوكما الملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاؤا والعقاب لمن شاؤا من قبل اي من قبل وقتنا هذا او من قبل رجوعنا اليكم ان عندنا خبرا من مضى الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب والحكمة فيما فعل لا يعتقدون ولا يعلمون هذه الاقوال بل يظنون انها تحصل على التوصل الى المرادات الدنيوية سبب عن قولهم ذلك قوله تعالى ينبئها على جهالاتهم وفساد ظنونهم فسيقولون ليس الامر كما ذكرتم يا ادعى انه قول الله بل انما قلتم ذلك لانكم تحسدوننا فلا تريدون ان نصيب الغنائم معكم قال الغنائم سير وقتا فمغانم وحمزة والكسائي ادغام اللام في التاء والباقون بالاظهار بل كانوا اي جعلة وطبعا لا يفقهون اي لا يفهمون فهما ظاهرا الا قليلا اي زمانا قليلا من امور دنياهم وهي ذكاؤهم بالايمان لاجلها واما امور الاخرة فلا يفهمون منها شيئا قل اي يا اشرف الرسل للمخلفين من الاعراب الذين ارادوا في مهم بنسبتهم الى الجهل الى الاقرب تقولون لن تدعوا اي اهل غلظ الاكباد ستدعون بعد لا تخلفهم الى قوم اولي اصحاب منصبه اي شدة في الحرب وشجاعة قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان قوم حنين وقال الزهري ومقاتل وعاتهم بنو حنيفة اصحاب اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع ابن خديج كنا نقرأ هذه الاية فلا ندري من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الاية بعد قال ابن الخازن واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيما شان الوقوع احد الامرين اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فانكم يعلم الان القتال لا غير وان اسلموا لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى فان تطيعوا اي توفقوا الطاعة الداعي الى ذلك يؤتكم الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء اجرا حسنا دنيا واخرى وهي الجنة وان تتولوا اي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل اي عام الحديبية يعذبكم اي في الطول بعقوبة تزيل النعمة في الدنيا او في الاخرة او فيهما عذابا اليما لا حل تكرر ذلك منكم فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى اي في تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم او في عذر من زمانة الهدى حرج اي مثل يثقل الاعمى لانه لا يمكنه الاقدام على العدو ولا الطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب ولا على الاعرج حرج وان كان لا ينقصه دون من ينقصه الاعمى حرج وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع ولا على المريض اي ما مرض كان منعه حرج وفي معناه صاحب العمال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخرون

ما ذكر لتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه تنبيه جعل تعالى
كل جملة مستقلة تأكيدا لهذا الحكم وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر
لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا في غيره بخلاف الاعرج وقدم الاعرج على المريض
لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب ومن يطع الله
اي المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفا
المانع منها من يشاء وان كان قويا ورسوله من المعذورين وغيرهم فيما ندبا
اليه باي طاعة كانت يدخله اي الله الملك الاعظم جزاء له جنات تجري
من تحتها الانهار اي من اي موضع اردت اجريت ومن يتول اي يعرض عن الطاعة
ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه اي على توليه في الدارين او احدهما عذابا اليما اي
مولما وقرا نافع وابن عامر يدخله ويعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية
ولما بين تعالى حال المخلفين بعد قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله عاد الى حال بيان المنافقين بقوله تعالى لقد رضي الله اي الذي له الجلال والكمال
عن المؤمنين اي الراسخين في الايمان اي فعل بهم فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما
قدر لهم من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا مع ما اعد
لهم في الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بامور مشاهدة وقوله تعالى اذ اي حين
يبايعونك منصوب برضي واللام في قوله تعالى تحت الشجرة للعهد الذهني
وكانت سمرة في الموضع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم نازلا به في الحديبية ولاجل هذا
الرضى سميت بيعة الرضوان وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث
جواس ابن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا
عمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي
يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم
انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقرون وقالوا ان شئت تطوف
ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لافعل قبل ان يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحتبس عندهم فارجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى
نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة روى البغوي من طريق
الثعلبي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة
وقال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها
وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم
يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة
وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية انتم خير اهل الارض ولنا الفا واربعمائة ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم
مكان الشجرة وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره
غصن من اغصانها قال عبد الله ابن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن
من الشجرة اذب عنه فوقفت الغصن في ظهره وبايعوه على الموت دونه على ان لا يفروا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين

واحدها حبوش وهي الفوج من قبائل شتى صح

الفا

الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة
وقال عبد الله ابن ابي اوفى كنا اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة ولما دل على اخلاصهم وصفهم
سبب عنه قوله تعالى فعلم اي بما له من الاخلاص ما في قلوبهم اي من الصدق والوفا
فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اي الطمانينة والامن بسبب الصلح عليهم او بالتشجيع
وسكون النفس في كل حالة برضى الله ورسوله فلم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا اليه
واذا كانوا في كثرة الكفار كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود واثابهم اي اعطاهم
جزاءهم على ما وهبهموه من الطاعة فتحا قريبا هو فتح خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن
فتح هجر ونبه تعالى بصيغة منتهى الجموع في قوله تعالى ومغانم على انها عظيمة ثم صرح
بذلك بقوله تعالى كثيرة ياخذونها وهي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله اي الذي لا كفو له عزيزا اي يغلب
ولا يغلب حكيما اي يقضي ما يريد فلا ينقض فحكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم
ليثيبكم عليه وعدكم الله اي الملك الاعظم مغانم وحقق معناها بقوله تعالى كثيرة تاخذونها
اي فيما ياتي من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر وليس الغنائم كل الثواب بل الجنة والنظر
الى وجهه الكريم قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها ولهذا قال تعالى فعجل لكم اي
من الغنائم هذه اي مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها هممت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال
المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى ايديهم بالقا الرعب في قلوبهم فنكصوا
وقيل ايدي اهل مكة بالصلح وقوله تعالى ولتكون اي هذه المعجلة عطف على مقدر
اي لتشكروه ولتكون آية اي علامة هي في غاية الوضوح للمؤمنين اي انهم من الله
تعالى بمكان او صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
من الحديبية او وعد الغنم او عنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا اي طريقا مستقيما
اي يثبتكم على الاسلام ويؤيدكم بصبره ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض
المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر روى انس ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا غزا بنا قوما لم يكن يغزينا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم
يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع
اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي ليمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال
فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
محمد والله محمد والخميس اي الجيش فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس ابن
سلمة قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي
عامر يرتجز بالقوم • تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا • ونحن
من فضلك ما استغنينا • فثبت الاقدام ان لاقينا • وانزلن سكينة علينا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال انا عامر قال غفر لك ربك وما استغفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانسان الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل
له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر

بسيفه يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب
قال فبرز له عامر بن عثمان فقال قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر
فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في قوس عامر فرجع سيف عامر على نفسه
فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت
يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت
ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو
ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاتيت
عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق
في عينيه فبرا واعطاه الراية وخرج مرحب وقال قد علمت خيبر اني مرحب شاكي
السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب فقال علي انا الذي سمتني امي حيدرة
كليث غابات كريه المنظره اكيلكم بالسيف كيل السندرة قال فضرب راس مرحب
فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى اكيلكم بالسيف كيل السندرة اي اقتلكم قتلا واسعا
ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة
يعمل منها النبل والقسي والسندرة ايضا العجلة والنون زائدة قال ابن الاثير
وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروي فتح خيبر من طريق
اخرى في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى وأخرى صفة مغانم
مقدر مبتدا وقيل هي مبتدا والخبر لم تقدروا عليها وهي كما قال ابن عباس فارس
والروم وما كانت العرب تقدر تقاتل فارس والروم بل كانوا حولا لهم حتى قدروا
عليها بالاسلام وقال الضحاك هي خيبر وحدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال
البقاعي وهي والله اعلم غنائم هوازن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها قد احاط الله
اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بها اي علم انها ستكون لكم وكان الله اي المحيط بجميع
صفات الكمال ازلا وابدا على كل شيء منها ومن غيرها قديرا اي بالغ القدرة لانه
بكل شيء عليم ولو قاتلكم الذين كفروا وهم اهل مكة ومن وافقهم وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا
الاحابيش ومن اطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم الى كراع الغميم ولم يكن
اسلم بعد لولوا اي بغاية جهدهم الادبار منهزمين ثم اي بعد طول الزمان وكثرة
الاعوان لا يجدون اي في وقت من الاوقات وليا اي من يفعل معهم فعل القريب من المشقة
والحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية ولا نصيرا ينصرهم ولما كانت هذه
عادة جارية قديما مع اولياء الله تعالى حيث ما كانوا من الرسل وانتاعهم وان جندنا
لهم الغالبون قال تعالى سنة الله اي سن المحيط بكل شيء علما غلبة انبيائه وانتاعهم
التي قد خلت من قبل اي فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن انا ورسلي ولن تجد
ايها السامع لسنة الله اي الذي لا يخلف قوله لانه محيط بجميع صفات الكمال تبديلا
اي تغييرا من مغير ما يغيرها بما يكون بدلها ثم عطف على ما تقديره هو الذي سن
هذه السنة العامة قوله تعالى وهو الذي كف اي وحده ايديهم اي الذين كفروا من اهل
مكة وغيرهم فان الكف مشروع لكل احد عنكم وايديكم ايها المؤمنون عنهم ببطن مكة اي
بالحديبية قبل التنعيم وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة من بعد ان اظفركم اي

اظهركم

اظهركم عليهم وهذا تبيين لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار
بتقدير انه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وتركهم روى ثابت عن انس
ابن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل
التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما
فاستحياهم فنزلت هذه الاية وقال عبد الله ابن مغفل المزني كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله تعالى في القران وعلى ظهره
غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه
يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فنادوا في وجوهنا
فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله ابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله تعالى هذه الاية وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقيل ان ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد
ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله اي المحيط بالجلال والاكرام
ازلا وابدا وقرا بما يعملون اي الكفار والباقون بالتاء الفوقية اي انتم
بصيرا اي محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره ولما كان ما مضى من وصف
الكفار يشمل كفار مكة غيرهم عينهم بسبب كفهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
عن البيت بقوله تعالى هم اي اهل مكة ومن لامهم الذين كفروا اي اوغلوا في هذا
الوصف ببواطنهم وظواهرهم وصدوكم زيادة على كفرهم في عمرة الحديبية عن المسجد الحرام
اي منعوكم الوصول الى مكة ونفس المسجد والكعبة للاخلال بما انتم فيه من شعائر الاحرام
بالعمرة روى الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم كل منهما
يصدق في حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية
في بضع عشر مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين
بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذي الحليفة قلد
الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة تخبره عن قريش فسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عيينة
الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم يقاتلوك وصادوك
عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون اني اميل على ذراري
هولاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان لجوا تكن عنقا قطعها
الله او ترون نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت
عامدا لهذا البيت لا يريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا
على اسم الله فنفذوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد ابن الوليد بالغميم في خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اتاهم بغبرة الجيش
فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي
تهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصوى فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوى وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل

ابو عمرو بالياء التحتية

ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها
صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فغدا حتى نزل بأقصى الحديبية على
ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم تلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى
الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية
ابن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه فوالله ما زال
يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل ابن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه
وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت
كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل
وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد
ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة
ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد
جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن
الله امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئتكم
من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقا سفهاؤهم
لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته
يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي
فقال اي قوم السنتم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني
قالوا لا قال السنتم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بحوا علي جئتكم باهلي وولدي
ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشيدة فاقبلوها ودعوني آته
قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله
لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت احدا
من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله لارى وجوها واني لارى اوشابا من الناس
خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه
فقال من ذا قالوا ابا بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها
لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة قائم
على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى
لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة ابن شعبة فقال اي غدر
الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم
ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فقد قبلنا ما قبله واما المال فليست
منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله
ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه
وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال
اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت

ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان رأى ما ينخم نخامة الا وقعت في كف رجل
منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلم خفضوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له وان قد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها فقال رجل دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان ومن قوم يعظمون البدن
فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله
ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت
واشعرت فما أرى لهم ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد
الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون
فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في
قلائده قد أكل اوبارها من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحل صد الهدي قد قلائده
قد أكل اوبارها من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب
الجليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا
عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الجليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له
او لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا يا جليس حتى نأخذ لانفسنا
بما نرضى به فقام رجل منهم فقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما
اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو فقال عكرمة لما رآه النبي صلى الله عليه وسلم
قال قد سهل لكم من امركم قال اللواحدي في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات نكتب
بيننا وبينك كتابا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهل اما الرحمن فلا ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم
كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال
سهل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب
محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان ارغموني
اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا تسألوني خطة تعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهل بن عمرو واصطلحا
على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى ان نخلوا بيننا وبين البيت نطوف به فقال سهل والله لا تخذت
العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذاك من العام المقبل فكتب فقال سهل وعلى انه لا يأتيك
منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين
وقد جاء مسلما وروى ابو اسحق عن البراء قضية الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله
ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله
ثم قال لعلي امح رسول الله قال والله لا امحوك ابدا قال فأرنيه ما رآه اياه فمحاه النبي صلى

الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب
فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البرا صالح على ثلاثة اشيا على ان من اتى من المشركين
برده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة ايام
ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروي في صلح الحديبية طرق اخر
في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى والهدي معطوف على كم
من وصدوكم اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
سبعين وقوله تعالى معكوفا اي محبوسا حال وقوله تعالى ان يبلغ محله اي مكانه
الذي ينحرف فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ولولا رجال اي مقيمون بين اظهر الكفار
بمكة مؤمنون اي عريقون في الايمان فكانوا لذلك اهلا للوصف بالرجولية ونساء مؤمنات
اي كذلك حبس الكل عن الهجرة العذر لان الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة على ان ذلك
شامل لمن جبله الله تعالى على الخير وعلم منه الايمان وان كان في ذلك الوقت كافرا لم تعلموهم
اي لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم باعيانهم عن المشركين لانهم ليس لهم قوة
التميز منهم وانتم لا تعرفون اماكنهم لتعاملوهم بما هم له اهل ولا سيما في حال الحرب والطعن
والضرب ثم ابدل من الرجال والنسا قوله تعالى ان تطؤهم اي تؤذوهم بالقتل او ما يقاربه
من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر
فتصيبكم اي فتسبب عن هذا الوطء ان يصيبكم منهم اي من جهتهم وبسببهم معرة اي
مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم
بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه وقوله تعالى بغير علم متعلق
بان تطؤهم غير عالمين بهم واجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى ولولا كراهة
ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف
ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله اي الذي له جميع صفات الكمال متعلق بمقدر اي كان
انتفا التسليط على اهل مكة وانتفا العذاب ليدخل الله قال البغوي فاللام في ليدخل
متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام معنى ليدخل الله في رحمته اي في اكرامه وانتقامه
من يشاء بعد الصلح قبل ان يدخلوها من المشركين بان يعطفهم الى الاسلام ومن المؤمنين
بان يستنقذهم منهم على ارفق وجه وقوله تعالى لو تزيلوا يجوز ان يعود على المؤمنين
فقط او على الكافرين او على الفريقين والمعنى لو تميز هولاء من هولاء لعذبنا اي بايديكم
بتسليطنا لكم عليهم بالقتل والسبي الذين كفروا اي اوقعوا ستر الايمان منهم اي
اهل مكة عذابا اليما اي شديد الايجاع قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع
بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ولما بين
شرط استحقاقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى اذ اي حين
جعل الذين كفروا اي سترى ما تراءى من الحق في مرائي عقولهم وقوله تعالى في قلوبهم
اي في قلوب انفسهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى القى فتتعدى لواحد اي اذا القى
الكافرون في قلوبهم الحمية وان تتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان مقدم على انها
بمعنى صير الحمية اي المنع الشديد والاباء الذي هو في شدة حره ونفوذه في اشد الاجسام
كالسم والنار وانشدوا الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما

قال قيل اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون اجيب بانه يصيبهم وجوب الدية والكفارة وبسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى بينهم بعض التقصير

وقرا

وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الها والميم وحمزة والكسائي بضم الها والميم والباقون بكسر الها
وضم الميم واظهر الدال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم واذغمها الباقون
وقوله تعالى حمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال
حميت من كذا حمية وحمية الجاهلية هي التي مقداها مطلق المنع سوا كان بحق
ام باطل فيمتنع من الاذعان للحق ومبناها التشفي على مقتضى الغضب لغير الله
فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك انفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة
البيت العتيق الذي الناس فيه سوا قال مقاتل قال اهل مكة قتلوا ابنانا واخواننا
ثم يدخلون علينا فيتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا في اللات والعزى
لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله اي الذي
لا يغلبه شي بسبب حميتهم سكينته اي الشي اللايق اضافته اليه سبحانه من الفهم عن الله والروح
الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على النصر عليه انزالا كاينا على رسوله الذي
عظمته من عظمته ففهم عن الله تعالى مراده في هذه القضية فجرى على اتم ما يرضيه
وعلى المؤمنين اي الفريقين في الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فالزمهم
قبول امره وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من الحمية ليقاتلوا
غضبا لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع والزمهم اي المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام
اهانة وتعنيف كلمة التقوى فانها السبب الاقوى وهي كل قول او فعل ناشي
عن التقوى واعلاه كلمة الاخلاص المتقدمة في القتال وهي لا اله الا الله التي
هي احق الحق ولا بد من قول محمد رسول الله والا لم يتم اسلامه وعن الحسن كلمة التقوى
هي الوفا بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل
كلمة اهل التقوى وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله وكانوا اي جبلة
وطبعا احق بها اي كلمة التقوى من الكفار واهلها اي وكانوا اهلها في علم الله تعالى
لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه اهل الخير وكان الله اي المحيط علما وقدرة
بكل شي اي من ذلك وغيره عليما اي محيط العلم وروي انه صلى الله عليه وسلم راى
في المنام في المدينة عام الحديبية قبل خروجه انه يدخل مكة هو واصحابه امنين
ويحلقون ويقصرون فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار
بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين فانزل الله قوله تعالى لقد صدق
الله اي الملك الذي لا كفوله المحيط بجميع صفات الكمال رسوله اي الذي هو اعز الخلايق عنده
وهو غني عن الاخبار عما لا يكون انه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله الرؤيا التي هي من الوحي
اي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار
واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروي عن مجمع بن جارية الانصاري
قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس
يعدون الاباعد فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم
فلما اجتمع اليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا

BULAC

كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اي الرؤيا التي اراه اياها
في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام صدق وحق وقوله تعالى بالحق
فيه اوجه احدها ان يتعلق بصدق ثانيها ان يكون صفة لمصدر محذوف اي صدقا ملتبسا
بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن
المخلص وبين من في قلبه مرض ثالثها ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرؤيا اي ملتبسة
بالحق رابعها انه قسم واجوابه لتدخلن اي بعد هذا دخولا قد تختم مره امنين
اي الذي يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله الا بدخول الحرم محلقين اي الذي احاروا من امتهان
الحلاق ومنعه من كل ظاهر قال الزمخشري وعلى تقدير قسما اما ان تكون قسما بالله فالحق
من اسمائه تعالى واما ان يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل فان قلت ما وجه دخول
ان شاء الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال لحبيب باوجه احدها انه تعالى ذكره تعليما
لعباده الادب لان يقولوا في امثالهم مثل ذلك متادبين بادب الله ومقتدين بسنته
لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثانيها ان يريد لتدخلن جميعا
ان شاء الله ولم يمت منكم احد ثالثها ان ذلك كان على لسان ملك فاوحى الملك ان شاء الله
رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقف عليهم وقال
ابو عبيدة ان بمعنى اذ فعلى هذا ان شاء الله كقوله تعالى ان كنتم تعلمون خامسها انها للتبرك وقيل
هي متعلقة بامنين والاستثناء واقع على امن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه
شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء
راجع الى اللحوق لا الى الموت وقوله تعالى امنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين
رؤسكم اي كلها لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى انهم يتوفى الحج من دار الهجرة
فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله محلقين ومقصرين اشارة الى الاخر فان قيل
محلقين حال الداخلين والواحد لا يكون الا حال واحد فكيف يكون محلقا ومقصرا اجيب بان قوله
تعالى آمنين معناه متمكنين من ان تفعلوا الحج محلقين ومقصرين رؤسكم وبعضها
اي بعضها اي مقصرين بعضكم بحسب التحلق والتقصير الى شعوركم واشار بصيغة التفعيل
الى الكثرة فيهما اعلم ان التقديم يفيد ان الاول اكثر وقوله تعالى لا تخافون اي لا تجدد لكم
خوف بعد ذلك يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا ثالثة اما من فاعل لتدخلن
او من ضمير آمنين او محلقين او مقصرين فان كان حالا من امنين او حالا من فاعل لتدخلن
فهي حال للتوكيد وامنين حال متقارنة وما بعدها حال مقدرة لان الامن لا تخافون فاذا احتمل
حالا فانها مقدرة ايضا فان قيل قوله تعالى لا تخافون معناه عند خالقين وذلك يحصل
يقول تقال امنين اجيب بان فيه كمال الامن لان بعد الخلق يخرج الانسان عن الاحرام
فلا يحرم عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال
تدخلون امنين ولا تخافون وبقي امنكم بعد خروجكم عن الاحرام فعلم اي الله تعالى الصلح
من المصلحة ما لم تعلموا من المصالح فان الصلاح كان في الصلح وارد فولكم في سنتكم
سبب لوطي الموحدين والمومنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مومنون الآية
فان قيل الفاء في قوله تعالى فعلم فالتعقيب فقوله تعالى فعلم يرتفع عقيب ماذا
اجيب بانه ان كان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقب فتح وان كان المراد

فعلم

فعلم المصلحة فالمعنى علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير لما حصلت المصلحة
في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل اي بسبب احاطة
علمه من دون اي ادنى رتبة من ذلك اي الدخول العظيم في هذا العام فتحا قريبا
بقوتكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعض الناس
بسبب ذلك ببعض الموجب لاسلام ناس كثير يتقون بهم فيكون تلك الكثرة والقوة
سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال فتقل القتلى رفقا باهل حرم الله اكراما
لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله اي الذي لا رسول
احق منه باضافته اليه بالهدى اي الكامل الذي يقتضي ان يهتدي به اكثر الناس تاكيد لبيان صدق
الله تعالى في الرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريد ما لا يكون فيحدث الناس
فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فان قيل الرؤيا الموافقة للواقع قد يقع
لغير المرسل اجيب بان ذلك قليل لا يقع لكل احد تنبيه الهدى يحتمل ان يكون هو
القرآن كقوله تعالى انزلنا فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا قوله تعالى ودين الحق هو
ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون الهدى هو المعجزة اي ارسل بالمعجزة فيكون
قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف واللام في الهدى يحتمل ان تكون للعهد
وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وان تكون للتعريف اي كل ما هو هدى
تنبيه دين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسماء الله تعالى ويحتمل ان يكون
الحق نقيض الباطل فكانه قال تعالى ودين الامر الحق ليظهره اي دينه على الدين كله
اي جميع باقي الاديان وكفى بالله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال شهيدا
على انك مرسل بما ذكر كما قال تعالى محمد مبتدا كغيره رسول الله اي الملك الذي لا كفو له
فهو الرسول الذي لا رسول يساويه لانه رسول الى جميع الخلق من ادرك زمانه بالفعل
في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد
اخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان ادركوه واخذ ذلك الانبياء على اممهم واشار
بذكر هذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى انه صلى الله عليه وسلم هو الختام بما اشارت
اليه الميم التي مخرجها ختام المخارج واستنبط بعض العلماء من محمد ثلثمائة واربعة عشر
رسولا فقال فيه ثلاث ميمات واذا بسطت كلا منها قلت فيه م ي م وعدتها بحساب
الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت
دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة والجملة ما ذكر والاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم
ثلثمائة وخمسة عشر وقد تم الكلام على اولي العزم منهم في سورة الاحقاف تنبيه
يجوز ان يكون محمد خبر مبتدا مضمر لانه لما تقدم هو الذي ارسل رسوله دل على ذلك المقدر
اي هو اي الرسول بالهدى محمد رسول الله بدل او بيان او نعت وان يكون محمد مبتدا
وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما ذكر الرسول ذكر المرسل اليهم فقال تعالى والذين
معه اي بمعية الصحبة من الصحابة وحسن التبعية من التابعين لهم باحسان اشداء
اي غلاظ على الكفار فهم لا تاخذهم بهم رافة بل هم معهم كالاسد على فريسته لان الله تعالى امرهم
بالغلظة عليهم لا يرحمونهم رحماء بينهم اي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد
كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وعن الحسن بلغ من تشدد على الكفار

BULAC

انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم
فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا
هذا التذلل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوانهم
في الاسلام معطفين بالبر والصلة والمعونة وكف الاذى والاحتمال منهم تنبيه والذين
معه مبتدا خبره اشداء على الكفار ورحماء خبر ثان وقيل غير ذلك ثم بين تعالى الحامل
لهم على ذلك بقوله سبحانه تراهم اي ايها الناظر لهم ركعا سجدا اي دائمي الخشوع
فاكثر اوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة
امرة بالخير مصينة عن كل نقص وضير ثم اشار الى اخلاصهم بقوله تعالى يبتغون اي
يطلبون بذلك وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم تقليبا لعقولهم على شهواتهم
وحظوظهم فضلا اي زيادة من الخير من الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال
من الجلال والجمال الذي اعطاهم ملكة العظمة على الكفار بما وهبهم من جلاله والرافة
على اوليائه ورضوانا اي رضى منه عظيما بما اتاهم من رحمته التي هياهم بها للاحسان
الى عياله ضرعوا الهوى من صدورهم وصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن اليهم لا يرون
سيدا غيره ولا محسن سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى سيماهم اي علامتهم
التي لا تفارقهم في وجوههم ثم بين العلامة بقوله تعالى من اثر السجود وهو
نور وبياض في وجوههم يوم القيمة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
رواه عطية العوفي عن ابن عباس وعن انس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم
وقال شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال
مجاهد هو السمت الحسن والخشوع والتواضع والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع
والسمت الحسن الذي يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه وقال الحسن
اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عكرمة هو اثر التراب على الجباه قال
ابو العالية لانهم يسجدون على التراب لا على الاثواب وقال عطا استنارت وجوههم من طول
ما صلوا بالليل لان من كثرة صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال بعضهم دخل في هذه
الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعي ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض
المرائين من اثر هيئة سجود في جبهته فان ذلك من سيما الخوارج وفي نهاية ابن الاثير
في تفسير الثقات ومنه حديث ابي الدردا انه راى رجلا بين عينيه مثل ثفنة
العنز فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعني كان على جبهته اثر السجود وانما كرهها خوفا
من الريا عليه وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لابغض الرجل واكرهه
اذا رايت بين عينيه اثر السجود وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا نرى بين اعيننا
شي ونرى احدنا الان يصلي فنرى بين عينيه ركبة العنز فما ندري اثقلت
الرؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك النفاق ثم اشار تعالى
الى علو مرتبة ذلك الوصف بقوله سبحانه ذلك اي هذا الوصف العالي جدا
البديع المثال البعيد المنال مثلهم اي صفتهم في التورية وههنا تم الكلام فان
مثلهم مبتدا وخبره في التورية وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل اي الذي نسخ الله تعالى
به بعض احكام التورية مبتدا خبره كزرع اي مثل زرع اخرج شطاه اي فراخه

تعالى

يقال اشطا الزرع اذا فرخ وهل يختص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط
او لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر اخرج الشطا على وجه الثرى ومن الاشجار
افنان الثمر وقرا ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطا والباقون باسكانها وهما لغتان
كالنهر والنهر وادغم ابو عمرو الجيم في الشين بخلاف عنه ثم سبب عن هذا الاخراج
قوله تعالى فآزره اي قواه واعانه وقرا ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفا والباقون
بالمد فاستغلظ اي فطلب المذكور من الزرع والشطا الغلظ واوجده فتسبب عن ذلك
اعتداله فاستوى اي قوي واستقام وقوله تعالى على سوقه متعلق باستوى
ويجوز ان يكون حالا اي كاينا على سوقه اي قايما عليها هذا مثل ضربه الله تعالى
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون
قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه يستخرج قوم
ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد
صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه والمومنون وروى مبارك ابن فضالة عن الحسن
قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق اشدا على الكفار عمر ابن الخطاب
رحما بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا
من الله العشرة المبشرون كمثل زرع محمد اخرج شطاه ابو بكر فآزره عمر
فاستغلظ عثمان يعني استغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي ابن
ابي طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال المومنون ليغيظ بهم
الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روى انس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي ابو بكر واشدهم في امر الله
عمر واصدقهم حيا عثمان وافرضهم زيدا واقراهم ابي واعلمهم بالحلال والحرام
معاذ ابن جبل ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح وفي رواية
اخرى واقضاهم علي وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات
من اصحابي بارض كان نورهم وقايدهم يوم القيامة تنبيه يعجب حال
اي معجبا وهنا قد تم الكلام وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه اوجه احدها
انه متعلق بمحذوف دل على تشبيههم بالزرع في نمايهم وقوتهم قاله الزمخشري
اي شبههم الله بذلك ليغيظ ثالثها انه متعلق بما دل عليه قوله اشدا على الكفار
الى اخره اي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ ثالثها انه متعلق بقوله تعالى وعد الله
اي الملك الاعظم الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا بعز المومنين في الدنيا
وما اعد لهم في الاخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى وعملوا الصالحات فيه اشارة
الى تصديق دعواهم ومن في قوله تعالى منهم للبيان لا للتبعيض لان كلهم كذلك
فهي كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولما كان الانسان وان اجتهد
مقصرا عن بلوغ ما يحق لله من العبادة اشار الى ذلك بقوله تعالى مغفرة
اي لما يقع منهم من الذنوب والهفوات واجرا عظيما بعد ذلك التستر وهو الجنة
وهما ايضا لمن بعدهم وايات فايدة قد جمعت هذه الاية الخاتمة لهذه
السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشاير

BULAC

التفريحية مع ما فيها باجتماع امرهم وعلو نصرهم رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم نحن
ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه قال البقاعي وهذا اخر القسم الاول
من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه
وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل
بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا انتهى
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة حديث
موضوع وقال ابن عادل روي ان من قرا في اول ليلة من رمضان انا فتحنا
لك فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام ولم اره لغيره سورة الحجرات مدنية
وهي ثماني عشرة اية وثلثماية وثلاث واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا
بسم الله الجبار المتكبر الذي اعز رسوله صلى الله عليه وسلم الرحمن الذي من عموم
رحمته اقامة الاداب للتوصل الى حسن المآب الرحيم الذي خص اولي الالباب
بالاقبال على ما يوجب لهم دار الثواب ولما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله
عليه وسلم وصرح في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به وملا سورة
الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه السورة باشتراط
الادب معه في القول والفعل فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان
لا تقدموا من قدم بمعنى تقدم اي لا تتقدموا وحذف المفعول ليعم كلما يصح تقديمه
فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه اصلا بل يكون
النهي موجها الى نفس التقدمة اي تتلبسوا بهذا الفعل بين يدي الله اي الملك الذي
لا يطاق انتفاء ورسوله اي الذي عظمته ظاهرة جدا لانها من عظمته ولذلك قرن
اسمه باسمه واختلف في سبب نزول ذلك فقال الشعبي عن جابر انه في الذبح
يوم الاضحى قبل الصلاة اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان ناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال
من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وعن مسروق
عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وعن ابن
الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع
ابن معبد ابن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع ابن حابس فقال ابو بكر ما اردت
الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت هذه
الاية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية حتى يستفهمه اي يخفض صوته فلا يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه
وعن ابن ابي مليكة نزل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم وهذا السبب
وقال الضحاك يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله
قال الرازي والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات
وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة تنبيه معنى
بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه ناظر اليه

وحقيقة

وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين بيمينه
وشماله قريبا منه فتسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب
توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه وعبر موضع وقد جرت هذه
العبارة هنا على ضرب من المجاز وهو الذي يفهمه اهل البيان تمثيلا وقيل المراد
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له واشعار بانه
صلى الله عليه وسلم بمكان يوجب اجلاله وَاتَّقُوا اللَّهَ اي اجعلوا بينكم وبين غضب
الملك الاعظم وقاية فان التقوى مانعة من ان تضيعوا حقه وتخالفوا امره
وتقدموا على شيء لتعلموا رضاه فيه إِنَّ اللَّهَ اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال
سَمِيعٌ لاقوالكم عَلِيمٌ باعمالكم وذلك في من رفع صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ اي في شيء من الاشياء عند النطق اذا نطقتم
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ اذا نطق نبه في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان
زيادة الشفقة على المعتنى بشأنه كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها
ان تك يا بني في الصلاة لان النداء ينبه المنادى ليتفطن على استماع الكلام ويجعل
بالله منه فاعاد ذلك تعهدا يتجدد ذلك عنده منها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا
غير المخاطب اولا فان من الجائز ان يقول القائل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو
فاذا اعاد مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب
اولا هو المخاطب ثانيا ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني
تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان يقول يا زيد
لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
اي اذا كلمتموه سواء كان ذلك مثل صوته او اخفض من صوته فان ذلك غير مناسب
لما تهابه من العظيم وتوقره الكبير لَهُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اي ولا تلغوا مع الجهر الذي امرتم
بل اخفضوا اصواتكم اخفض من ذلك مخافة ان لم تفعلوا ذلك لم تظهر فرقة بين النبي صلى
الله عليه وسلم وبين غيره فان قيل ما الفائدة في لا تجهروا بعد ولا ترفعوا اجيب
بان المنع من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه وصوته اعلى من كلام النبي صلى
الله عليه وسلم وصوته والنهي عن الجهر منه من المشاورة اي لا تجهروا له بالقول
كما تجهرون لنظرائكم بل اخفضوا كلمته عليكم ثم حذرهم بقوله تعالى أَنْ اي كراهة
ان تحبط اعمالكم تعليل للنهي تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ اي التي هي الاعمال بالحقيقة وهي الحسنات كلها وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ اي بانها حبطت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استخف به واذا
استخف واظب عليه واذا واظب عليه وشك ان يستخف بالمخاطب فكيف وهو
لا يشعر روى انس بن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى
الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان
ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى فاتاه سعد فذكر
له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الآية وقد علمتم
اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر

ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وروى لما نزلت هذه
الاية فقد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه
الاية اخوف ان تكون فيّ نزلت فيّ وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي واكون من اهل
النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ثابت البكاء فاتى امراته
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فسدي عليّ
الضمة بمسمار وفرجت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب
فادعه لي فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس
فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضمة فانثار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال
انا مبيت واخاف ان تكون هذه الاية نزلت فيّ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما ترضى ان تعيش حميدا او تقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله
لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ان الذين يغضون
اي يخفضون ويلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة خبر نقال الطبري واصل
الغض الكف في لين اصواتهم تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا عند رسول الله
اي الذي من شانه ان يعلو الكلام عما كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وغير بعيد الذي
للظاهر اشارة الى ان اهل حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا اكمل الادب اولئك اي العالو الرتبة
لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن ارسله مولاهم الذي لا احسان عندهم الا منه الذين امتحن
الله اي فعل الممتحن بجميع صفات الكمال فعل المختبر قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها
لتظهر منهم من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه فان الامتحان اختبار
يلبغ يودي الى خير فالمعنى انه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصايغ الذهب والفضة
بالاذابة للتصفية والتخليص من كل غش لاجل اظهار ما يطن فيها من النقوى ليصير
معلوما للخلق في عالم الشهادة كما كان معلوما لله سبحانه في عالم الغيب لهم مغفرة
اي لصغواتهم وزلاتهم واجر عظيم لغضهم وسايط اعانتهم والتنكير للتفخيم قال انس
فقدنا اي بعد نزول هذه الاية في حوف ثابت ننظر الى اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان
يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فاخرج من طايفة
منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لشماس مولى له حديقة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه
درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع
درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي
برمة وقد اتى خالد بن الوليد فاخبره حتى يبعث درعي واتى ابا بكر خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال له ان عليّ دينا حتى يقضيه عني فلان من رايي عيني فاخبر عن الرجل
فاتى خالدا فوجد درعه والفرس على وصفه فاشترد الدرع واخبر خالدا ابا بكر بذلك الرؤيا
فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك ابن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه
واختلف في سبب نزول قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فقال ابن عباس

بعد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عقبة بن حصن الفزاري
فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فساهم عتبة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم
يبكون وكان لكل امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه
فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يامرك
ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون
بيني وبينكم شبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال شبرة انا لا احكم بينهم وعمي
شاهد وهو الاعور ابن بسامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان يفادي نصفهم ويعتق
نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وعتق نصفهم
فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهي ما تحجر عليه من الارض بحايط ونحوه
كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في ايها مناداة الاعراب بغلظة وجفاء
اكثرهم اي المنادي والراضي دون الساكت لعذر لا يعقلون اي محلك الرفيع وما يناسبه
من التعظيم فلم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض
ولو انهم اي المنادي والراضي صبروا اي حبسوا انفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر
حبس النفس عن ان تنازع الى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر حتى تخرج من تلقا
نفسك عند فراغ ما انت فيه مما يهمك من واردات الحق ومصالح الخلق لكان اي الصبر
خيرا لهم اي من استعجالهم ايقاظك الهاجرة وما لو قرعوا الباب بالاظافير كما كان
يفعل غيرهم من الصحابة قال ابو عثمن الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات
العلى والخير في الاولى والعقبى انتهى فانهم لو تادبوا لربهم لزادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل
فاعتق جميع سبيهم واطلقهم بلا فداء والله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور
اي ستور ذنب من تاب من جهله رحيم يعامله معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمه وقال
قتادة نزلت في ناس من اعراب تميم جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب
اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول
انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جينا بشاعرنا
وخطيبنا بشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا
بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ثم
فاجبه فاجابه وقام شاعر فذكر ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت
اجبه فاجابه فقام الاقرع ابن حابس فقال ان محمدا لولي تكلم خطيبنا فكان خطيبهم
احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنى من النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما يضرك
ما كان من قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف
في ركابهم عمرو بن الاهيم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم

BULAC

رسول الله صلى الله عليه وسلم مما تركت ملوك من قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن لاهيم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الآيات الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد ابن ارقم جاءنا ناس من الاعراب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض اطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد
الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاوا فجعلوا ينادون يا محمد يا محمد فانزل
الله ان الذين ينادونك الآية وقال ادم باكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل
احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل مما لا يحيط به علم الانسان في بعض الاشيا
فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور اتى بما يناسب
كلامهم وفيه اشارة الى الطيفة وهي ان الله تعالى يقول مع احاطة علمي بكل شئ جريت على عادتكم
استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتذكروها واجعلوا اختياره
ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي به لكم فكم تتبنه جعل المخبر عنهم من
وكوا نفسكم فاعلا تفعل معذرا اي ولو ثبت ضررهم وجعل اسم كان ضميرا عايدا على هذا
الفاعل ولكن مذهب سيبويه انه في محل رفع بالابتدا وجملة تكون اسم كان ضميرا
عايدا على ضررهم المفهوم من الفعل وجرى على هذا الاول البيضاوي وعلى الثاني الجلال المحلي واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم اي في وقت من الاوقات
فاسق اي خارج من ربقة الديانة بنبا اي خبر يعظم خطبه فيورث شرا فتبينوا اصدق
من كذبه فقال اكثر المفسرين نزلت في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط وهو اخو عثمان لامه
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد الوقعة والياو مصدقا
اي ياخذ منهم الصدقة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه
تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهاب ان يمضي فرجع
من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم واراد قتلي
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا بمجيئك رسولا فتلقاك ونكرمه ونؤدي
اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب
جاه منك لغضب غضبته علينا ونحن نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره وقال انظر فان رايت
منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك
فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذانا صلاتهم
المغرب والعشا فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا اي باذى قوما اي بسبب قومنا الى قوله لاهل الاسلام ترا ما نسب
اليهم جهالة اي مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك فتصبحوا اي فتصيروا ولكنه عبر بذلك
لان اشنع الندم ما استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه واقباله على لذاته

عليه العلم

على ما فعلتم ﴿ان جاءكم﴾ اى عرض لكم ﴿فاسق﴾ اى عريق فى الاتصاف على ما فات مما وقع الله تعالى فى نفوسكم من امور تزعزع القلوب وقال الرازى هذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل انى انزلتها الكذا والنبى صلى الله عليه وسلم لم يشتغل عنه انه قال لورود الآية لبيان ذلك حسب عناية ما فى الباب انها نزلت فى ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الآية مما يصدق ذلك ويؤكده ان الحلاف لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقا فكيف والفاسق فى اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله تعالى واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الى غير ذلك انتهى وقال ابن الخازن فى تفسيره وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا اولى من حمل الآية على رجل بعينه تنبيه قوله تعالى ان تصيبوا مفعول له لقوله تعالى ان تخطئوا وقال الرازى معناه كراهة ان تصيبوا قوما ﴿بجهالة﴾ اى ملتبسين بالجهل بحالهم ﴿فتصبحوا﴾ اى تصيروا ﴿على ما فعلتم﴾ اى من قتالهم ﴿نادمين﴾ اى عريقين فى الاتصاف بالندم

اي المحيط بصفات الكمال عليم اي محيط العلم فهو يعلم احوال المومنين وما بينهم من التفاضل
حكيم اي بالغ الحكمة فهو يضع الاشيا في اوفق محالها واتقنها فلذلك وضع نعمته من الرسالة
والايمان على حسب علمه وحكمته ونزل في قضيته وان طايفتان من المومنين الاية
وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن ابي فباك الحمار فسد ابن ابي انفه
فقال ابن رواحة والله لبول حماره اطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما ضرب بالايدي
والنعال والسعف وعن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله
ابن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون
معه وهو بارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله
لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهم
اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم ويروى
انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض
وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال احدهما للاخر
لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه
وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي
والنعال وان لم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امراة من الانصار
يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرقا بها الى علية وحبسها
فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت وجمع
تعالى قوله سبحانه اقتتلوا نظرا للمعنى لان كل طايفة جماعة وثنى الضمير في قوله تعالى
فاصلحوا اي اوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح بينهما نظرا الى اللفظ اي اصلحوا بينهما بالنصح
والدعا الى حكم الله تعالى فان بغت اي اوقعت الارادة السيئة الكاينة من النفوس التي
لا تامر بخير احديهما اي الطايفتين على الاخرى فلم ترجع الى حكم الله التي خرجت عنه
ولم تقبل الحق فقاتلوا اي اطلبوا واوجدوا مقاتلة التي تبغي اي توقع الارادة
السيئة وتصر عليها واديموا القتال لها حتى تفي اي ترجع عما صارت اليه من جر
القطيعة الذي كانه جر الشمس حين نسخه الظل الى ما كانت فيه من البر والخير الذي
هو كالظل الذي نسخته الشمس وهو معنى قوله تعالى الى امر الله اي التزام ما امر
به الملك الذي لا يهمل الظالم بل لا بد من ان يقاصصه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بتسهيل الهمزة الثانية كالياء والباقون بتحقيقها فان فات اي رجعت الى ما كانت
عليه من التمسك بامر الله الذي هو العدل فاصلحوا اي اوقعوا الاصلاح بينهما
بالعدل اي بالانصاف ولا يحملنكم القتال على الحقد على المقاتلين فتحيفوا
واقسطوا اي وازيلوا القسط بالفتح وهو الجرم بان تفعلوا القسط بالكسر وهو العدل
العظيم الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع اموركم ثم علله ترغيبا فيه بقوله تعالى
موكدا تنبيها على انه من اعظم ما يتمادح به ورد اعلى من لعله يقول انه لا يلزم نفسه
الوقوف عنده الا ضعيف ان الله اي الذي بيده النصر والخذلان يحب المقسطين
اي يفعل مع اهل العدل من الاكرام فعل المحب انما المومنون اي كلهم وان تباعدت انسابهم

فان بغت

وبلادهم

وبلادهم اخوة اي في الدين لانتسابهم الى اصل واحد هو الايمان ولما كانت الاخوة داعية
ولابد الى الاصلاح سبب عنها قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم كما تصلحون بين اخويكم
من النسب ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامور مبالغة في التقرير والتخصيص
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع فيهما الشقاق وعن ابي عثمان الحيري ان اخوة الدين
اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع
بمخالفة النسب واتقوا الله اي الملك الاعظم في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون
اي لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجا عند انفسكم ان يكرمكم الذي لا قادر على الاكرام في الحقيقة
غيره بانواع الكرامات كما رحمتم اخوانكم باكرامهم عن افساد ذات البين وعن الزهري
عن سالم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يشتمه فمن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج
الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة
تنبيه في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى
سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين يدل عليه ما روي عن علي بن ابي طالب سيل
وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركين هم فقال لا من الشرك
فروا فقيل امنافقين هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل
فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج عن الامام العدل
بتاويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة للشوك وان لم يكن لهم امام والحكم
فيهم ان يبعث اليهم الامام امينا فطنا ناصحا يسالهم ما ينقمون فان ذكروا مظلمة
او شبهة ازالها فان اصروا نصحهم ثم اعلمهم بالقتال فان استمهلوا اجتهد وفعل ما راه
صوابا والحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم
اليهم اذا انقضت الحرب وامنت غائلتهم ولا يستعمل في قتال الا لضرورة ولا يقاتلون
بعظيم كنار ومنجنيق الا لضرورة ولو اقاموا حدا او اخذوا زكاة وجزية واخراجا
وفرقوا سهم المرتزقة على جندهم صح ما فعلوه وما اتلفه باغ على عادل وعكسه
ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد منهما والا فعلى المتلف الضمان قال ابن سهل
كانت في تلك الفتنة دما يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال
ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد
ولا اغرم ما لا اتلفه ولو اظهر قوم راي الخوارج كترك الجماعات وتكفير ذي كبيرة ولم
يقاتلوا فلا يتعرض لهم روي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله
فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا
فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدوكم بقتال
فان قاتلوا فحكمهم حكم قطاع الطريق وبعد تعلق احكام البغاة مذكورة في الفقه
وفي هذا القدر كفاية واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي اوقعوا
الاقرار بالتصديق لا يسخر اي لا يهزا والسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه
بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته قوم اي ناس فيهم قوة
المحاولة وهم الرجال وفي التعبير بذلك تنبيه على قيام الانسان على نفسه وكفها

عما تريده من النقايص شكرا لما اعطاه الله تعالى من القوة من قوم فان ذلك يوجب الشر
لان اضعف الناس اذا استهزئ به قوي لما يثور عنده من حظ نفسه فقال ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس كان في اذنه وقر اي ثقل فكان اذا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم
وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة احد
اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه اي بخل به فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان
الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قائم قائما فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبين رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت
مجلسا فاجلس فجعله ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا
فقال انا فلان فقال له ثابت بن فلانة ذكر امه كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل
راسه فاستحيا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن
بفقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وفارس
وسالم مولى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم
ثم علل النهي بقوله تعالى عسى لانه جدير وخليق لهم ان يكونوا اي المستهزا بهم خيرا منهم
فينقلب الامر عليهم ويكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت
من كلب خشيت ان احول كلبا وقال القشيري ما استصغر احد احدا الا سلط عليه
ولا ينبغي ان يغتر بظاهر احوال الناس فان في الزوايا خبايا والحق سبحانه يستر اولياءه
في حجاب الظنة كذا في الخبر كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره
ولا يسخر نساء من نساء ثم علل النهي بقوله تعالى عسى اي ينبغي ان يخفن من ان يكن اي المسخور
بهن خيرا منهن اي الساخرات روي انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام
سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال
لها النساء يهودية بنت يهوديين تنبهان احدهما قال الرازي القوم اسم يقع على جمع من الرجال
ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم والقائم بالامور هم الرجال وعلى هذا فنفي
الرجال والنساء فائدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار ان يصدر في اكثر الامر من الرجال
بالنسبة الى الرجال لان المراة في نفسها ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم فالمراة
لا يوجد منها استحقار لرجل لانها مضطرة اليه في دفع حوائجها واما الرجال بالنسبة
الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهم ذلك الثاني في حكمه قوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم هي انهم اذا وجد منهم التكبر المفضي الى احباط الاعمال جعل نفسه
خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى ادم وقال انا خير منه فصار هو خيرا منه
ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى يكونوا اي يصيروا فان من استحقر انسانا لفقره او ضعفه
لا يامن ان يفتقر هو ويستغني الفقير ويقوى الضعيف ولا تلمزوا اي تعيبوا على وجه
الحقيقة انفسكم بان يعيب بعضكم بعضا باشارة او نحوها فكيف اذا كان على وجه الظهور
فانكم في التواصل والتراحم كنفس واحدة او يعمل الانسان ما يعاب به فيكون الانسان قد لمز
نفسه او يلمز غيره فيكون لمزه له سببا لان يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو الذي لمز

نفسه

نفسه او يلمز غيره فيكون لمزة له سببا لان يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو الذي لمز
نفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز يختص بلقب
السوء واختلف في هذا اللقب فقال عكرمة هو قول الرجل يا فاسق يا منافق يا كافر
وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا
عن ذلك وقال عطا هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز
بالالقاب هو ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله والحاصل
انه يحرم تلقب الشخص بما يكره وان كان فيه كالاعور والاعمش ويجوز ذكره بنية
التعريف لمن لا يعرفه الا به واما القاب المدح فنعما هي فقد لقب الصديق بعتيق
وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وما زالت الالقاب الحسنة
في الجاهلية والاسلام قال الزمخشري الا ما احدثه الناس في زماننا من التوسع
حتى لقبوا السفلة بالالقاب العلية وهب ان العذر مبسوط فما اقول في تلقيب
من ليس من الدين في قبيل ولا دبير بفلان الدين لعمر الله انها الفضة التي لا تشاع
ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم يشعر بضعة المسمى او رفعته والمقصود به الشهرة
فما كان مكروها نهي عنه وليس ان يكنى اهل الفضل الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد
واما التكني بابي القاسم فهو حرام وقيل انما يحرم في زمانه صلى الله عليه وسلم فقط
وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافر ولا فاسق ولا مبتدع لان الكنية
للتكرمة وليسوا من اهلها بل امرنا بالاغلاظ عليهم الا لخوف فتنة من ذكره باسمه
او تعريف كما قيل به في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب واسمه عبد العزى ولا باس بكنية
الصغير ويسن ان يكنى من له اولاد باكبر اولاده ويسن لولد الشخص وتلميذه وغلامه
ان لا يسميه باسمه والادب ان لا يكني الشخص نفسه في كتاب او غيره الا ان كان لا يعرف
بغيرها او كانت اشهر من الاسم تنبيه ذكر في الاية ثلاثة امور مرتبة بعضها دون بعض
كما علم من تقديرها بئس الاسم اي المذكور من السخرية واللمز والتنابز وقوله تعالى
الفسوق اي الخروج من ربقة الدين بعد الايمان بدل من الاسم لافادة انه فسق لتكرره
عادة وروي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وعليهما وسلم ومن لم يتب اي رجع عما نهى الله
تعالى عنه فخفف على نفسه ما كان يشدد عليها فاولئك اي البعداء من الله تعالى هم
الظالمون اي العريقون في وضع الاشياء في غير مواضعها وادغم ابو عمرو والكسائي
الباء في الفاء واختلف عن خلاد والباقون بالاظهار يا ايها الذين امنوا اي كلفوا انفسكم
ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم اي اعترفوا بالايمان وان كانوا في اول
مراتبه اجتنبوا اي كلفوا انفسكم ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم
كثيرا من الظن اي في الناس وغيرهم واحتاطوا في كل ظن ولا تتمادوا معه حتى تجزموا
به فتقدموا بسببه تنبيه افهم ذلك ان من الظن ما لا يجتنب كما في الاجتهاد حيث
لا قاطع وكما في ظن الخير في الله تعالى ففي الحديث انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا
بل قد يجب كما قال تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا

وقيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا
او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما
طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان
الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال غلبتني عيناي
قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليطعمك وكان اسامة خازن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما
فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد
عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان
هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قال والله يا رسول الله ما تناولنا
يومنا هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر قال
صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث والاثم الذنب الذي يستحق
العقوبة عليه وجعل الزمخشري همزه بدلا من واو قال لانه يثم الاعمال اي يكسرها
قال ابن عادل وهذا غير مسلم بل تلك مادة اخرى قال سفيان الثوري الظن ظنان
احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقوله تعالى
ولا تجسسوا حذف منه احدى التائين اي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها
قال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من امن بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات
المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر
ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم عند الله
حرمة منك وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال
فقال انا نهينا عن التجسس وان يظهر لنا شيئا ناخذه به تنبيه قرا ولا تنابزوا
ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد
ولما كانت الغيبة اعم من التجسس قال ولا يغتب اي يتعمد اي يذكر بعضكم بعضا
في غيبته بما يكره قال القشيري وليس تحصيل الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق
وقال ابو حيان قال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال
ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول
فقد اغتبته وان كان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
فقالوا لا ناكل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم

اغتبتموه

اغتبتموه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت اخاك بما فيه وفي هذا
اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن فان تمزيق عرض الانسان كتمزيق اديمه ولحمه
كما قال تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه وقوله تعالى ميتا قراءة نافع بتشديد
اليا والباقون بالسكون ولما كان الجواب قطعا لا يحب احد ذلك اشار اليه بما سببه
عن قوله تعالى فكرهتموه اي بسبب ما ذكر طبعا فاولى ان يكرهوا الغيبة المحرمة
عقلا لان داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع اعمى جاهل تنبيه في هذا التشبيه
اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض
كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض المرء اشرف
من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم
بالطريق الاولى لان ذلك اشد الما وقوله تعالى لحم اخيه اكد في المنع لان العدو يحمله
الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال
في الشتم في الوجه يولم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يولم فيقال
لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يولم ومع هذا هو في غاية القبح لما انه لو اطلع عليه
لتالم وهذا الميت لو احس باكل لحمه لالمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب
ياكل لحم الادمي ميتا ولا يحل اكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم
الشاة الميتة ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا
غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء
غائبا قال الزجاج تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو
ميت لا يحس بذلك قال الرازي وفي ضمير كرهتموه وجوه اظهرها ان يعود الى الاكل
وثانيها ان يعود الى اللحم اي فكرهتم اللحم وثالثها ان يعود الى الميت في قوله تعالى
ميتا تقديره ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا بغير فكرهتموه فكانه صفة لقوله
ميتا وتكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان اكلت في الندرة
وستطاب نادرا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يوكل اصلا فكذلك ينبغي ان يكون
الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد لا يشتهي الانسان ان يبيت
في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكله ففيه اذن كراهية شديدة فكذلك
حال الغيبة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما عرج بي مررت بقوم لهم اظافير
من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هولا يا جبريل قال هولا الذين
ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقال ميمون بن سنان بينما انا نائم
اذا انا بجيفة نجي وقائل يقول لي كل قلت يا عبد الله ولم اكل هذا قال انك
اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت
ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب غيره وقوله تعالى
واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم
من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا الله ان الله اي الملك الاعظم تواب
اي مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب

وان كرر الذنب فلا يئس احد وان كثرت ذنوبه وعظمت رحمة تزيده على ذلك
بان يكرمه غاية الاكرام تنبيه ختم سبحانه وتعالى الاية بذكر التوبة فقال في الاولى
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان
الابتداء في الاية الاولى النهي في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النعي الذي
هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالامر في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
فذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر وقوله تعالى يا ايها الناس اي كافة المؤمن
وغيره انا اي على ما لنا من العظمة خلقناكم ايها وجدناكم من العدم على ما انتم
عليه من المقادير من ذكر وانثى الاية مبتدا ومقرر لما تقدم لان السخرية من الغير
وعيبه ان كان ذلك بسبب الدين والايمان فهو جايز وكذلك لمزه وعيبه
وان لم يكن بسبب الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعوم كاسنانهم وهم
سوف يكون فيما يفتخر به المفتخر لان الكفر والافتخار ان كان بسبب الفضائل
فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر
قد يكون نسيبا والمؤمن مولى وعبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين
والتقوى متساوون او متقاربون ولا يوثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى اي ادم وحوا فانتم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونهم
ابناء رجل واحد وامراة واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله
للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة قال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر
فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال
ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين
والتقوى فنزلت هذه الاية ونزل في الذي لم يتفسح له يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الاية وقال قتادة لما كان فتح مكة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب ابن
اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحارث
ابن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو
ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به
رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم
وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله عز وجل هذه الاية وزجرهم عن التفاخر
بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء تنبيه الحكمة في اختيار النسب
مع ان من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر لان الاموال التي يفتخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار
المفتخر به عليه والسن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت فمشترك غير مقدور
التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله تعالى للذكر وابطل اعتبار بالنسبة التقوى
لعلمه منه بطلان غيره بطريق الاولى فان قيل اذا كان ورود الاية لبيان عدم جواز
الافتخار بغير التقوى فما فايدة قوله تعالى انا خلقناكم اجيب بان فايدته

ان كل شيء يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده
واما ان يترجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف
المطلوبة من ذلك الشيء واما الذي قبله فاما راجع الى اصله الذي وجد فيه او الى الفاعل
الذي اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا
عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح باخلقتم منه لانكم كلكم من ذكر
وانثى ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان عندكم تفاوت
فهو تفاوت فيما يرجع بامر يحصل لكم بعد وجوده واشرفها التقوى ولما كان تفضيلهم
الى فوق لكل منها نعرف به امرا ظاهرا عرفنا بنون العظمة فقال تعالى وجعلناكم
اي بعظمتنا شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانسان مثل ربيعة
ومضر والاوس والخزرج وقبائل اي الشعوب وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب
سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل
واحد يدخل فيما قبله فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون
تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم
فصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس بعد العشيرة حي يوصف انه منهم وسمي
الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم به كتشعب اغصان الشجرة والشعب
من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعب الفتح وشعب اي فرق والقبائل
واحدها قبيلة سميت بذلك لتقابلها مشبهت بقبائل الراس وهي قطع متقابلة
وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والانساط في بني اسرائيل وقيل الشعب
النسب الابعد والقبيلة الاقرب والنسب الى الشعب شعوبي بفتح الشين
وهم جيل يبغضون العرب والعمائر واخذتها عمارة بفتح العين والبطون واحدتها
بطن والفصائل واحدتها فصيلة والعشائر واحدتها عشيرة وقال ابو روق
الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب
الذين ينتسبون الى اباهم ثم ذكر تعالى علة التشعب بقوله تعالى سبحانه لتعارفوا
اي ليعرف الانسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له لا لتفاخروا
بان اكرمكم ايها المتفاخرون عند الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه ولا كرم الا من اكرمه
بكرمه والكمال لاحد سواه اتقاكم اي ارفعكم منزلة عند الله اتقاكم قال قتادة
في هذه الاية اكرم الكرم التقوى واشأم اللؤم الفجور وقال عليه السلام احسب
المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنا وكرم الاخرة التقوى وعن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه
وهو عصا محنية الراس فلما خرج لم يجد منا خا فنزل على يدي الرجال ثم قام فخطبهم
فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية يعني كبرها
وفخرها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر
الله لي ولكم وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس

اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن
العرب تسالوني قالوا نعم قال خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا بضم
القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع وقال الله عليه
وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم قال الرازي والمراد بالاية
وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام والثاني ان الاكرام يورث التقوى كما يقال
المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوى من الاعمال والعلم
اشرف لقوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد
اجيب بان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالتقوى
الا للعالم فالمتقي العالم اتم عملا والعالم الذي لا يتقي كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة
المثمرة اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هي حطب قال الحسن البصري انما الفقيه
العامل بعلمه اي وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين ومن قوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فان قيل خطاب
الناس بقوله تعالى اكرمكم يقتضي اشتراك الكل في الاكرام والاكرامة للاكرام فانه افضل
من الانعام اجيب بان ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل وقوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم لان كل من خلق فقد اعتنى فيه بتم من استشعر عليه ويزداد في كرامته
ومن رجع عنه ازيل عنه اثر الكرامة ان الله اي المحيط علما وقدرة علمه بالغ
العلم بظواهركم يعلم انشائكم خبيرا اي محيط العلم ببواطنكم لا يخفى عليه انسراركم فاجعلوا
التقوى زادكم ولما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والا تقيا لا يكون الا بعد
حصول التقوى واصله الايمان والانقاد من الشرك قالت الاعراب اي اهل البادية
من بني اسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء امنا اي بجميع ما جئت به
فامتثلنا ما امرنا في هذه السورة ولنا الامر الخالص فنحن اشرف من غيرنا
من اهل المدر قل يا اشرف الخلق تكذيبا لهم مع مراعاة الادب في عدم التصريح
بالتكذيب لم تؤمنوا اي لم تصدقوا قلوبكم لانكم لو امنتم لم تمنوا ان الايمان
التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه انه لولا منه بالهداية لحصل الايمان
فله ولرسوله الذي كان ذلك على يده المنة والفضل ولكن قولوا اسلمنا اي
اظهرنا الانقياد الظاهر للاحكام الظاهرة وامنا من ان تكونوا حربا للمؤمنين وعونا
للمشركين فاخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار
باللسان واظهار شرائعه لا بد ان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص
والاستسلام هو الدخول في السلم كما يقال اشتا اذا دخل في الشتاء واصافا اذا
دخل في الصيف وارتبع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة بالبدن
والاركان والجنان كقوله عز وجل عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه
ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله تعالى ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل
الايمان اي المعرفة التامة المستلزم يدخل الى هذا الوقت في قلوبكم فلا بعد فزاد
اللسان ايمانا لا لمواطاة القلب قال ابن برجان فعموم الناس واكثر اهل العقلة

مسلمون

مسلمون غير مومنين وعن سعيد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رهطا وانا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم
لم يعطه وهو اعجبهم الي فقمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت
ما لك عن فلان والله اني لاراه مومنا فقال صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك
سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية
ان يكب في النار على وجهه وقال الرازي المومن والمسلم واحد عند اهل السنة فنقول
الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب
وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص
ولا يكون امرا اخر غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة
الانسان امرا ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون
انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود وكذلك المومن
والمسلم وسياتي زيادة على ذلك في الذاريات ان شاء الله تعالى وقال الرازي في الاية
اشارة الى بيان حال المولفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فيقال لهم لم تومنوا
لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبهم وسيدخل باطلاعكم على محاسن
الاسلام انتهى بل الايمان دخل في قلوبهم ولكن لم يبالغوا باهل الاسلام تنبيه
التعبير بلما يفهم انهم امنوا بعد ذلك ويجوز ان يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن
في القلب لا نفي مطلق الدخول بدليل انما المومنون دون انما الذين امنوا ولا تطيعوا
الله اي الملك الذي من خالفه لم يامن عقوبته ورسوله اي الذي طاعته من طاعته
على ما انتم عليه من الامر الظاهر فتومن قلوبكم لا يلتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا
بل يوتيكم ما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة في السوق درهم فاعطاه
الملك درهما انتسب الملك الى البخل فهو يعطي ما تتوقعون باعمالكم وزيادة من غير
نقص فلا حاجة الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال وقرا
الدوري عن ابي عمرو بعد اليا التحتية بهمزة ساكنة وابدلها السوسي الفا والباقون
بغير همز ولا الف ولما كان الانسان مبنيا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله
تعالى ان الله اي الذي له صفات الكمال غفور اي ستور للهفوات والزلات لمن تاب
وصحت نيته ولغيره ان شا فلا عقاب ولا عتاب رحيم اي يزيد على الستر عظيم الاكرام
ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله تعالى انما المومنون اي العريقون في الايمان
الذي هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب لا تحيى الا بعد ذبح النفوس والنفوس
لا تموت ولكنها تعيش الذين امنوا اي صدقوا معترفين بالله معتقدين جميع ما له من صفات
الكمال ورسوله شاهدين شاهدين برسالته وهو الاثبات هنا يدل على ان المنفي
فيما قبل الكمال المطلق والا لقال تعالى انما المومنون الذين امنوا ثم لم يرتابوا اي يشكوا
في دينهم وايقنوا بان الايمان ايقان تنبيه ثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا
ثم اقول شيا اخر لم يرتابوا ويحتمل ان تكون للتراخي في الفعل اي امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا فيما فعل النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وجاهدوا اي اوقعوا
الجهاد بكل ما ينبغي ان تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الايمان

BULAC

بأموالهم وذلك هو العفة وقوله تعالى وأنفسهم أعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة
وقدم الأموال لقلتها عند العرب في سبيل الله أي طريق الملك الأعظم بقتال الكفار
وغيره من سائر العبادات المحتاجة إلى المال والنفس إلا الذين يتخلصون ويقولون
شغلتنا أموالنا وأهلونا قال القشيري جعل الله تعالى الإيمان مشروطا بخصال
ذكرها وذكر بلفظ إنما وهي للتحقيق تقتضي الطرد والعكس فمن أفرد الإيمان
عن شرائطه التي جعلها له فمردود عليه أولئك أي العالوا الرتبة هم الصادقون
أي في قولهم وفعلهم أنهم مؤمنون ولما نزل هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله أنهم مؤمنون صادقون وعلم الله تعالى منهم
غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل أي لهؤلاء الأعراب مجهلا
لهم مبكتا أتعلمون الله أي أتخبرون أخبارا عظيما الملك الأعظم المحيط قدرة وعلما
بدينكم أي بقولكم آمنا والله أي والحال أن الملك المحيط بكل شيء يعلم ما في السموات
كلها على عظمها وكثرة ما فيها ومن فيها وما في الأرض كذلك والله أي الذي له الإحاطة
الكاملة بكل شيء أي مما ذكر وما لم يذكر عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ يمنون
عليك أي يذكرون ذكر من اصطنع عندك صنيعة وأسدى إليك نعمة أن أسلموا
أي من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ولما كان المن هو القطع
من العطاء الذي لا يراد عليه جزاء قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل أي في جواب
قولهم هذا لا تمنوا علي إسلامكم لو فرض أنكم كنتم متدينين بدين الإسلام الذي
هو العناد الظاهر مع إذعان الباطن أي لا تذكروه على وجه الامتنان إسلاما
لأن الإسلام لا يطلب جزاؤه إلا من الله تعالى فلا ينبغي عده صنيعة على أحد وإن ذلك
يفسده بل الله أي الملك الأعظم الذي له المنة على كل موجود ولا منة عليه بوجه
يمن عليكم أي يذكر أنه أسدى إليكم نعمة أن أي بأن هداكم للإيمان أي فهو المان عليكم
لا أنتم عليه وعلي فإن قيل كيف من عليهم بالهداية إلى الإيمان مع أنه يتبين أنهم
لم يؤمنوا أجيب بأوجه أحدها أنه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم أن رزقكم الإيمان
بل قال إن هداكم للإيمان ثانيها إرسال الرسول بالآيات البينات هداية ثالثها
أنه تعالى يمن عليهم بما زعموا فكأنه تعالى قال أنتم قلتم آمنا بذلك نعمة في حقكم حيث
تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم فوزعمكم ولهذا قال تعالى إن كنتم صادقين أي في قولكم
آمنا فإنه على تقدير الصدق إنما هو بتوثيق الله وهو الذي خلق لكم قدرة الطاعة
فهو الفاعل في الحقيقة فله المنة عليكم قال القشيري من لاحظ شيئا من أعماله وأحواله
فإن رآها من نفسه كان شركا وإن رآها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو
شرك أو مكر والذي يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا لعمري
فضيحة والمنة تكدر الصنيعة إذا كانت من المخلوقين وبالمنة تطيب النعمة
إذا كانت من قبل الله تعالى إن الله أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما يعلم غيب السموات أي
ما غاب فيها كلها والأرض كذلك ولما أراد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر ولم يضمر
قوله تعالى والله أي الذي له الإحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون بصير أي عالم أتم
العلم ظاهرا وباطنا بما تعملون أي من ظاهر إسلامكم وباطن إيمانكم في الماضي والحاضر

والآتي

والاتي سوا كان ظاهرا ام باطنا سوا كان قد حدث فصار بحيث يعلمونه انتم او كان
مغروزا في جبلاتكم وهو خفي عنكم وقرا ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا
لقوله تعالى يمنون وما بعده والباقون بالفوقية على الخطاب نظرا الى قوله تعالى
لا تمنوا علي اسلامكم الى اخره وفي هذه الاية اشارة الى انه يبصر اعمال جوارحكم الظاهرة
والباطنة لا يخفى عليه شي وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه حديث موضوع
سورة ق مكية الا ولقد خلقنا السموات الاية فمدنية وهي خمس واربعون اية
وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربعماية واربعة وتسعون حرفا بسم الله
الذي احاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم والباد الرحمن الذي عم خلقه من جهة برحمته
حين ارسل اليهم بشرايعه اصدق العباد الرحيم الذي خص بالفوز في دار القرار اهل الرشاد
واختلف في تفسير قوله تعالى ق فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل
اسم من اسما القران وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب
وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا ومنه خضرة السما
والسما مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورايه
بمسيرة سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسما كهيئة القبة
وعليه كنفاها قال الرازي وهذا القول ضعيف لوجوه احدها ان اكثر القرا تقف عليها
ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى اقسم
به ثانيها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفا كما يكتب عين جارية
ويكتب اليس الله بكاف وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر
فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق فان قيل هو منقول عن ابن
عباس بقول المنقول عنه ان القاف اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا انتهى
وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كاين كما قالوا في حم وفي ص صدق الله قال الرازي
وقد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران ليكون السامع بسببها يقبل
على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شي من الكلام الرايق والمعنى الفايق وذكرنا
ايضا ان العبادة فيها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية ظاهرة ووجد في الخارجية
ما عقل معناه ووجد منها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما
ووجد في القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله
تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط
الممدود الاحد من السيف الارق من الشعر والميزان الذي يوزن به الاعمال فكذلك
ينبغي ان تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القران الا قليل
منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون
في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق
به تعبدا محضا ويويد هذا وجه اخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما اقسم
بالتين والزيتون كان تشريفا لها فاذا اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي
هو دليل المعرفة والة التعريف كان اولى واذا عرفت هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع

BULAC

بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله
تعالى ص وق ووقع بامرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وفي قوله تعالى والسماء
والطارق وبحرفين كما في قوله تعالى طه وطس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله
تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله تعالى والسماء ذات البروج واليوم
الموعود وشاهد ومشهود وبثلاثة احرف كما في قوله تعالى الم وطسم والر ووقع
باربعة امور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات
وفي قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وباربعة احرف
كما في المص والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت
المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات
والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي والنازعات وفي والفجر وفي خمسة احرف
كما في كهيعص وحمعسق ولم يقسم باكثر من خمسة اشيا الا في سورة واحدة وهي
والشمس وضحاها ولما اقسم بالاشيا المعهود ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور
والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحم وق لان القسم
لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين
الحروف ولم يدخل القسم بالحروف في اثنا السورة لانه يخل بالنظم وقوله تعالى والقرآن
اي الكتاب الجامع الفاق المجيد اي الذي له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل
كلام فسر وفي جوابه اوجه احدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم
ثانيها ما يبدل القول لدي ثالثها ما يلفظ من قول رابعها ان في ذلك لذكرى
خامسها بل عجبوا وهو قول كوفي قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها انه محذوف
قدره الزجاج والاخفش والمبرد لتبعثن وغيرهم لقد جاءكم منذر وقدره الجلال
المحلي بقوله ما امن من كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم تنبيه جوابات القسم
سبعة ان المشددة كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر وما النافية كقوله
تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله تعالى
فوربك لنسألنهم وان الخفيفة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال ولا النافية
كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله
تعالى والشمس وضحاها قد افلح وبل كقوله تعالى والقرآن المجيد بل اي ان تكذيبهم
ليس لانكار شيء من مجدك ولا انكار صدقك بل لانهم عجبوا اي الكفار واضمرهم قبل
الذكر اشارة الى انه اذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والعجب
تغير النفس لامر خارج عن العادة ان جاءهم منذر منهم اي رسول من انفسهم يخوفهم
بالنار بعد البعث واقتصر على الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم او من عليه باسلام او غيره ولتخويف من انكر
البعث والعجب منهم هو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس
انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم في انذاره شك بوجه من الوجوه وهولا
خالفوا عادة الناس في تعجبهم من كون النذير وهو احدهم خص بالرسالة
دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم فلذلك انكروا رسالته

وفضل

وفضل كتابه بالسنتهم نفاسة وحسدا لانهم كانوا معترفين بخصايصه التي رفعه
الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة فحظهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات
السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا ان كان الرسول بشرا واوجبوا ان يكون الاله
حجرا وعجبوا ان يعادوا من تراب ثبتت لهم الحياة ولم يعجبوا ان ينبذوا من تراب
لم يكن له اصل في الحياة ولذلك سبب عنه قوله تعالى فقال اي بسبب انذاره بالبعث
الكافرون وصرح به في موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم شيء من امره ولكنهم
ستروا تعديا مراي عقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل
على النذارة لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجر ان ظاهر
فيها هذا اي كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به
هو البعث بعد الموت شيء عجيب اي بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا
في ذلك اما من جهة النذير فان اكثر الرسل من الطوايف الذين ارسلوا اليهم
وقليل منهم من كان غريبا ممن ارسل اليه واما من جهة البعث فان اكثر ما في الكون
مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحيا الارض بعد موتها واخراج
النبات والاشجار والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان المتعجب منه
مجملا اوضحه بقوله تعالى حكاية عنهم مبالغين في الانكار بافتتاح انكار
باستفهام انكاري ايذا مننا ففارقت ارواحنا ابداننا وكنا ترابا لا فرق
بينه وبين تراب الارض ولما كان العامل في الظرف ما تقديره نرجع دل عليه
بقوله تعالى دالا بالاشارة بادلة البعد الى عظيم استبعادهم ذلك اي الامر الذي
في غاية البعد وهو مضمون الخبر برجوعنا رجع اي رد الى ما كنا عليه بعيد جدا
لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب وقرا قالون وابو عمرو بتسهيل
الهمزة الثانية وهي المكسورة وادخال الف بينها وبين الهمزة الاولى المفتوحة
وقرا ورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرا الباقون بتحقيقهما
وادخل هشام بينهما الفا بخلاف عنه والباقون بغير ادخال وكسر الميم من متنا
نافع وحفص وحمزة والكسائي والباقون بالضم وقوله تعالى قد علمنا اي بما لنا
من العظمة ما تنقص الارض منهم اي تاكل من اجزايهم المتخللة من ابدانهم بعد
الموت وقبله رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص
الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احيا
كما كانوا وعنه صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي
ما تنقص الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى وهذه الاية تدل على جواز البعث
وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى عالم باجزا كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء
واحد بجزء الاخر قادر على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله
تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب
لما كانوا يقولون ايذا ضللنا في الارض اي انه تعالى كما يعلم اجزاهم يعلم اعمالهم
فيرجعهم ويعذبهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون وعندنا اي على ما لنا
من الغنا عن كل شيء كتاب اي جامع لكل شيء حفيظ اي بالغ في الحفظ لا يشذ

BULAC

عنه شيء من الاشياء جل او دق وقيل محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس او يتغير
وعلى الحالين هو اللوح المحفوظ قال الرازي والاول هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ
وارد في القرآن قال تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم ولان
الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن
عن ان يحفظ وقوله تعالى بل كذبوا بالحق اي الامر الثابت الذي لا اثبت منه اضراب
ثان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع
من تعجبهم وهو التكذيب بالحق لما اي حين جاءهم لما ثار عندهم من اجل تعجبهم
من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس حسدا منهم من غير تامل لما قالوه ولا تدبر
ولا نظر فيه ولا تذكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على ايجاد شيء من العدم
وابدائه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له فهم اي لاجل مبادرتهم الى هذا القول
الشفاف في امر مريج اي مضطرب جدا مختلط من المرج الذي هو اختلاط البعث
بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعر وتارة كذب وتارة
كذب وغير ذلك لا يثبتون على شيء واحد والاضطراب موجب للاختلاف وذلك ادل
دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الحقية
قال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم
ثم ذكر تعالى الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى افلم ينظروا اي
بعين البصر والبصيرة الى السماء اي المحيطة بهم فوقهم فان غيرها انما هو فوق ناس
منهم لا فوق الكل كيف بنيناها اي اوجدناها على ما لنا من المجد والعز مبنية كالخيمة
الا انها من غير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب الكبار والصغار السيارة والثابتة
وما اي والحال ان ما لها واكد النفي بقوله تعالى من فروج اي فتوق وطاقات وشقوق
بل هي ملساء ملاصقة الاجزاء والارض اي المحيطة بهم التي هم عليها مددناها اي بسطناها
بما لنا من العظمة على وجه الماء والقينا اي بعظمتنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت
كانت سببا لثباتها وخالفت عادة المراسي في انها من فوق والمراسي التي يعالجونها
انتم من تحت وانبتنا اي بما لنا من العظمة فيها اي الارض وعظم قدرته بالتبعيض فقال
تعالى من كل زوج اي صنف من النبات تزاوجه اشكاله بهيج اي هو في غاية الرونق
والاعجاب فكان مع كونه رزقا مستنزها تبصرة اي جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل ان تنظروا
بابصاركم وتتفكروا ببصائركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة
وذكرى اي ولتذكروا بها تذكيرا عظيما بما لكم من القوى والقدر فتعلموا تعجزكم عن كل
شيء من ذلك ان صانعها لا يعجزه شيء وانه محيط بجميع صفات الكمال وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بالامالة بين بين والنافون بالفتح
تنبيه قال الرازي يحتمل ان يكون الامران عائدان الى السماء والارض اي
خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ان ذلك ان السماء وزينتها
مستمرة غير مستجدة في كل عام فهي كالشيء المرئي على ممر الزمان واما الارض
فهي كل سنة تاخذ زخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل
ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة

وتذكرة

وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها ايات مستمرة منصوبة
في مقابلة البصائر وايات متجددة مذكرة عند التناسي لكل عبد انيب لتبصروا
تذكر كل عبد بما له من النقص وبما دل عليه هذا الصنع من الكمال انه عبد مربوب
لصانعه منيب اي رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يغلبه عليه عقله فيرجع
من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دليلا
اخر بقوله تعالى وانزلنا من السماء اي المحل العالي الذي لا يمسك فيه الماء عن دوام
التقاطر الا بقاهر ماء اي شيئا فشيئا في اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا
التي لا تضاهى لغلبته بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة
فاهلك ما نزل عليه فزالت المرة وعادت المنفعة مضرة مباركا اي نافعا جدا
كثير البركة وفيه حياة كل شيء وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما
وهو انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت فانبتنا بما لنا من القدرة
الباهرة به جنات من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيره مما يجمعه البساتين
فنحن اي نستر الداخل فيها وحب الحصيد اي النجم الذي من شانه ان يحصد من البر
والشعير ونحوهما وقوله تعالى والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اي
وانبتنا النخل وقوله تعالى باسقات اي طوال حال مقدرة لانها وقت الانبات
لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل
ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة يا ابن الذين تمجدهم بسقت قيس فزارة
وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت النخلة تبسق بسوقا اي طالت قال
الشاعر لنا خمر وليس خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها ايدي الجناة
وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج وقال
سعيد بن جبير باسقات مستويات وافردها بالذكر لمفرط ارتفاعها وكثرة منافعها
وقوله تعالى لها طلع يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير في باسقات
ويجوز ان يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به وقوله تعالى نضيد بمعنى منضود
بعضها فوق بعض في كمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال
ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها اصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع
كالسنبلة الواحدة يكون على اصل واحد وقوله تعالى رزقا يجوز ان يكون حالا اي
اي مرزوقا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي الثمار
قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السماء والارض ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة
اجيب بان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني البقاء بعد
الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم
والعقاب الدائم وانكروا ذلك فقال اما الاول فالله القادر على خلق السموات
والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء واما الثاني فلان البقاء في الدنيا بالرزق
والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر

BULAC

فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني بذكره بالبقا بالرزق ويدل على هذا الفصل
بينهما بقوله تعالى بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الايتين ثم
بدا بذكر الما وانزاله وانبات النبات تنبيه لم يقيد هنا العبد بالانابة وقيده
في قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق
يعم كل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا شاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام
فلم يخصص بقيد ولما كان في ذلك اعظم مذكر للبصر بالبعث وبجميع صفات الكمال
اتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال تعالى واحيينا به اي الما بعظمتنا
بلدة وسمها بالتانيث اشارة الى انها في غاية الضعف والحاجة الى النبات
والخلو عنه وذكر ميتا للزيادة في تقرير يمكن الحاجة فيها او حملا على معنى المكان
فان قيل ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى واية لهم الارض الميتة حيث
اثبت الها هناك اجيب بان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى
الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية
صارت اهلة واقام بها القوم وعمروها فصار بلدة فاسقط التا لان معنى
الفاعلية ظاهرة فثبت فيه الها واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا تثبت
فيه الها ويحقق هذا قوله تعالى بلدة طيبة حيث اثبت الها حيث ظهر معنى
الفاعل ولم تثبت بحيث لم يظهر كذلك اي مثل هذا الاخراج العظيم الخروج
من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا اذ لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم
وتفتت في الارض وصار ترابا كما كان من بين اصفره وابيضه واحمره وازرقه
الى غير ذلك وبين اخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا تنبيه قال
ابو حيان ذكر تعالى في السما ثلاثة البنا والتزيين ونفي الفروج وفي الارض
ثلاثة المد والقا الرواسي والانبات فقابل المد بالبنا لان المد وضع والبنا
رفع والقا الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاب كل واحد منها اي على سطح
ما هو فيه والانبات المترتب على الشق بانتفا الفروج فلا شق فيها
ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع
كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض
الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت وقوله تعالى
كذبت قبلهم الاية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بان حاله
كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم
ولما لم يكن لهولا المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى قوم نوح الذين كان
اخر امرهم انه التقى عليهم الما ان نزل عليهم ما السما وطلع اليهم ما الارض
فاغرقهم ورسم الفعل بالتا اشارة الى هوانهم في جنب هذا المجد واسقط
الجار من قوله تعالى قبلهم اشارة الى ان هولا الاحزاب لقوتهم وكثرتهم كانهم اهل
الارض قد استغرقوا مكانها وزمانها ثم اتبع قوم نوح بمشابهيهم بقوله
تعالى واصحاب الرس اي البير كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام
ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره فخسفت تلك البير مع ما حولها

فذهبت

فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان ثم اتبع اصحاب الرس بقوم صالح
عليه السلام فقال وثمود لان الرجفة التي اخذتهم مبدا الخسف ثم اتبع ثمود
بقوم هود عليه السلام فقال تعالى وعاد لان الريح التي اهلكتهم اثرت بها
صيحة ثمود وقال تعالى وفرعون ولم يقل قوم فرعون لان ليس في مادة هذه
الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وانه استخف قومه فاطاعوه واخوان
لوط اي صهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة لملوكهم على من ناواهم
بنفسه وعمه خليل الله ابراهيم عليهما السلام ومع ذلك عاملوه بالخيانة والتكذيب
ولما كان تبع الحميري واسمه سعد وكنيته ابو كرب مع كونه من قومه ملكا قاهرا وخالفوه
مع ذلك وكان لقومه نار في بلادهم يتحاكمون اليها فتاكل الظالم ختم بهم فقال تعالى وقوم
تبع مع كونه ملكا وهو يدعوهم الى الله تعالى فلا يظن ان التكذيب مخصوص بمن كان
قويا لمن كان مستضعفا بل هو واقع عن شيئا من قوي وضعيف لا يخرج شيء عن مرادنا
كل اي من هذه الفرق كذب الرسل اي كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون
فيما يوجب الايمان من اظهار المعجز والدعا الى الله تعالى فحق اي فتسبب عن تكذيبهم
لهم انه ثبت عليهم ووجب وعيد اي الذي كانوا يكذبون به عند انذارهم لهم اياه
لتعجلنا لهم منه في الدنيا ما حكمنا به عليهم في الازل فاهلكناهم اهلاكا عاما كاهلاك
نفس واحدة على انحا مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه
ما هو في البرزخ واخرنا ما هو في القيامة الى يوم البعث فثبت باهلاكنا لهم
على تناي ديارهم وتباعد اعصارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسل
باخوانك المرسلين وتاس بهم وليحذر قومك ما حل بمن كذبهم ان اصروا
افعيينا بالخلق اي احصل لنا مع ما لنا من العظمة الاعيا وهو العجز بسبب الخلق
في شيء من ايجاده او اعدامه الاول اي من السموات والارض وما بينهما حين ابتدانا
اختراعا من العدم ومن خلق الانسان وساير الحيوان مجددا في كل اوان في الاطوار
المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد ان خلقنا اصله على ذلك الوجه مما ليس
له اصل في الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم او تدريجا كغيرهم
بل هم في لبس اي شك شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى
بل السكوت عنه اجمل من اي لاجل خلق جديد اي بالاعادة ولما ذكر الخافقين اتبعه
خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال تعالى ولقد اي والحال انا قد خلقنا
بما لنا من العظمة الانسان وهو اعجب خلقا واعجب من جميع ما مضى ذكره بما فيه
من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير
ذلك من عجيب الشان ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته
وجميع احواله ونعلم اي والحال انا نعلم بما لنا من الاحاطة ما توسوس اي تكلم على وجه
الخفا به الان وفيما بعد ذلك نفسه مما لم ينقدح بعد من خزاين الغيب
الى سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهي الخواطر التي تعرض له حتى انه هو ربما عجز عن ضبطها
فنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا على اكمل ما يريد وبصحة القران واعجازه
وصدق الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والكبر

BULAC

والرياسة على الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وتمادوا فيه حتى غطى على قلوبهم
عقولهم فصاروا في لبس محيط بهم من جميع الجوانب ونحن اي بما لنا من العظمة اقرب اليه
قرب علم وشهود من غير مسافة من حبل الوريد لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها
بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شيء والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي
العنق في مقدمهما متصلان من الراس الى الوتين وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع
مات صاحبه وهذا مثل في فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع اي حبل العرق
الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان نحو بعير سانية او يراد حبل العاتق فاضيف
الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما في عضو واحد وقال البغوي حبل الوريد عرق
العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فاضيف
الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيري وفي هذه الاية هيبة وفزع وخوف لقوم
وروح وانس وسكون قلب لقوم وقوله تعالى اذ يتلقى ظرف لاقرب ويجوز ان يكون
منصوبا باذكر اي واذكر اذ يتلقى اي بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كل انسان
خلقناه وابرزناه الى هذا الوجود المتلقيان اي الملكان الموكلان بعمل الانسان
ومنطقه يحفظانه ويكتبانه حال كونهما عن اليمين لكل انسان وعن الشمال اي احدهما
عن يمينه والاخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال
يكتب السيئات وقوله تعالى قعيد اي قاعد ان مبتدا خبره ما قبله لان فعيل يطلق
على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود ان يدعى
حذف اما من الاول اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثاني فيكون
قعيد الملفوظ به للاول ومثل قوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل
الطوى رماني وقال مجاهد القعيد الرصد ونحن اعلم منهما واقرب وانما استحفظناهما
لاقامة الحجة بهما على مجازي عاداتكم وغير ذلك من الحكم ما يلفظ اي يرمي ويخرج المكلف
من فيه وعم في النفي بقوله تعالى من قول جل او قل الا لديه اي الانسان او القول على هيئة
من القدرة والعظمة من اغراب المستغرب رقيب من حفظنا شديد المراعاة
له في كل من احواله عتيد اي حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلي وكل
منهما بمعنى المثنى اي رقيبان عتيدان روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا
واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله
يسبح او يستغفر تنبيه اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى
انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه ويوزر فيه فايدتان احدهما
قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالتين عند غائطه وعند جماعه
والثانية قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن
يعجبه ان ينظف عنفقته وجاءت اي اتت وحضرت سكرة الموت اي حالته عند
النزع وشدته وغمرته يصير المريض بها كالسكران لا يعي ويخرج بها افعاله
واقواله عن قانون الاعتدال محييا ملتبسا بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه

العرق

الواقع

الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ذلك
اي هذا الامر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل احد الاعتداد له بغاية الجهد
ما اي الامر الذي كنت اي جبلة وطبعا منه تحيد اي تميل وتنفر وتروغ وتهرب
تنبيه قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي وهو منكر وقيل مع الكافر
قال ابن عادل والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا اولى وقوله
تعالى ونفخ في الصور عطف على قوله وجاءت سكرة الموت وهو القرآن الذي ينفخ
فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع
اوان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه
السلام قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته
واصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظمة ما اغفلنا عنها وانسانا لها
والمراد بهذه نفخة البعث وقوله تعالى ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله
نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان العظيم
الاهوال والزلازل والاوجال يوم الوعيد اي للكفار بالعذاب وجاءت اي فيه كل
نفس اي مكلفة معها سائق اي ملك يسوقها اليه وشهيد يشهد عليها بعملها
قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم وهو الايدي والارجل وغيرها
وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقيل هما جميعا من الملائكة والسائق كما قيل
لا تعلق له بالشهادة لئلا تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته
وقيل السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب
والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر فالى النار قال
تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها
بما عملت تنبيه يجوز في جملة معها سائق وشهيد ان يكون في موضع جر صفة
لنفس وان يكون في موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر لقد كنت
اي كونه كانه جبلة لك في غفلة اي عظيمة محيطة لك ناشئة لك من هذا اي من تصور
هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الانساب والجزاء بالثواب او العقاب
لانه على شدة جلائه خفي على من اتبع الشهوات فكشفنا بعظمتنا بالموت ثم بالبعث
عنك غطاءك الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالآمال
في الحال والمآل وسائر الحظوظ والشهوات فبصرك اليوم اي بعد البعث حديد اي في غاية
الحدة والنفوذ فلا انقر بما كنت تنكر في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك على لسان
ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك والمعنى ازلنا غفلتك فبصرك اليوم
حديد وكان من قبل كليلا واختلف في القرين في قوله تعالى وقال قرينه فاكثر
المفسرين على انه الملك الموكل به فيقول هذا ما اي الذي لدي عتيد اي حاضر
ونقل الكرماني عن ابن عباس انه الشيطان الذي سلط على اغوائه واستدراجه
الى ما يريد فزين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقيضنا لهم قرنا
وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا
الى المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد للنار ومعناه ان الشيطان
يقول هذا العاصي شيء هو عندي معتد لجهنم اعتدته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى

ألقيا في جهنم اي النار التي تلقى الملقى فيها بما كان يعامل فيها عباد الله من الكبر والعبودية
كل كفار خطاب من الله تعالى للسابق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية
الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كانه قيل الق الق وقيل اراد القين
بالنون الخفيفة فابدلها الفا اجرا للوصل مجرى الوقف وقيل العرب تخاطب
الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا كقوله فان تزجراني يا ابن عفان ازدجر وان
تردعاني اجم عرضا ممنعا قال ابن عادل وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق
لان المراد ملكان يفعلان ذلك وهو القول المتقدم عنيد وهو المبالغ في ستر الحق
والمعاداة لاهله بغير حجة حمية وانفة نظرا الى استحسان ما عنده والثبات عليه
تجبرا وتكبرا على ما عند غيره ازدراء له كائنا من كان مناع اي كثير المنع للخير من المال
وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والقال والفعال وقيل المراد بالخير الاسلام فان
الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد اي مجاوز للحدود مريب
اي داخل في الريب وهو الشك والتهمة في اهل الدين وقوله تعالى الذي جعل مع الله
اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال الها اخر يجوز ان يكون منصوبا على الذم او على البدل
من كل وان يكون مجرورا بدلا ومرفوعا بالابتدا والخبر فالقياه في العذاب اي الذي يزيل
كل عذوبة الشديد ودخلت الفا في الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط ويجوز ان يكون
خبر مبتدا مضمر اي هو الذي جعل ويكون فالقياه تاكيدا قال قرينه مناديا باسقاط
الاداة كداب اهل القرب ايهاما انه منهم ربنا اي ايها المحسن الينا ايتها الخلائق
كلهم ما اطغيته اي اوقعته فيما كان فيه من الطغيان فاني لا سلطان لي عليه وانت
اعلم بذلك ولكن كان اي بجبلته وطبعه في ضلال بعيد محيط به من جميع جوانبه
لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى تنبيه هذا جواب
لكلام مقدر فان الكافر حين ما يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول ربنا
ما اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين
ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل انتم لا مرحبا بكم الى قوله تعالى ان ذلك لحق
تخاصم اهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الاية المتقدمة
هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد قال الرازي وجاءت هذه الاية بلا واو
وفي الاولى بالواو العاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل
نفس في ذلك الوقت تجي ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني
لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو فان الفا في قوله تعالى فالقياه
في العذاب لا تناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك مناسبة
مقتضية للعطف فان قيل كيف قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين اجيب
بان المراد من قوله لاغوينهم اي لاديمنهم على الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص
انت على الجادة فلا يتركها يقال انه يضله كذا هنا فقوله ما اطغيته اي ما كان
ابتدا الغي مني وقوله تعالى قال اي الله تعالى المحيط علما وقدرة الذي حكم عليهم بذلك
في الازل لا تختصموا اي توقعوا الخصومة بهذا الحد والاجتهاد استيناف كان قائلا
قال فماذا قال الله تعالى له فاجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى لدي اي في دار
الجزاء بهذه الخصومة التي هي فوق ما كنتم تدركونه من الاخبار عنها بكثير وقد قدمت

يفيد مفهومه ان الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى

إليكم

إليكم بالوعيد اي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفر والعدوان جملة
حالية ولا بد من تاويلها وذلك ان النفي في الاخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا فاختلف
الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتاويلها هو ان المعنى وقد صح اني قدمت وزمان
الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدمت فتكون البا للحال
ولا بد من حذف مضاف اي وتقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت
على حاله متعديا والبا مزيدة في المفعول اي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت
بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل البا هنا للمصاحبة كقولك اشتريت
الفرس بلجامه اي معه فكانه قال تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه
والانذار ما يبدل اي يغير بوجه من الوجوه القول لدي اي الواصل اليكم من حضرتي
التي لا يحيط بها احد من خلقي وعبر بما التي هي للحاضر دون لا التي للمستقبل لان الاوقات
كلها عنده حاضرة وما انا واكد النفي بقوله تعالى بظلام للعبيد فاعذبهم بغير ظلم فان قيل
الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اثباته اثبات اصل الظلم فاذا قال القايل هو
كذاب يلزم ان يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي اصل الكذب لجواز ان يقال ليس
بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله تعالى ما انا بظلام لا يفهم منه نفي اصل
الظلم وان الله ليس بظالم اجيب باوجه احدها ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر
فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم
لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانيها قال الزمخشري ان ذلك امر تقديري كانه تعالى يقول
لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك
فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما وتحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث
قال تعالى وما انا بظلام للعبيد اي في ذلك اليوم الذي املا فيه جهنم مع سعتها حتى
تصيح وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استكثار
ثالثها انه لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع اني القي في جهنم عددا
لا حصوله لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم لانه قال وما انا بظلام للعبيد
يوم نقول اي على ما لنا من العظمة لجهنم ولم يقل وما انا بظلام في جميع الازمان
وخصص بالعبيد ولم يطلق فكذلك خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم
منه ان يكون ظالما في غير ذلك اليوم لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه
نفي كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفي كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما
لغيرهم تنبيه يحتمل ان يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم
من رسول الاية والمعنى اعذبهم وما انا بظلام لهم ويحتمل ان يكون المراد منه المومنين
والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد
ظالما لعبادي المومنين لاني منعتهم من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال
من لم يات بما اتى به المومن ما يناله المومن لكان اتيان المومن بما اتى به من الايمان
والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
ويحتمل ان يكون المراد التعميم وهذا اظهر وقوله تعالى لجهنم التي هي دار العذاب مع الكراهة
والعبوسة والتجهم هل امتلات استفهام تحقيق لوعده علينا وهو قوله تعالى لاملان

جهنم من الجنة والناس اجمعين وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال هل من مزيد
اي قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار بمعنى الاستزادة رواه ابو
صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله تعالى هل امتلات قبل
دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سبق اعداد الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب
فيها ولاملاها فتقول البست فاذا قسمت لتملان قبض قدمه عليها فتقول
هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس في مزيد وعن انس بن مالك
رسول صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع
رب العزة فيها قدمه فتزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط
بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة
ولابي هريرة نحوه ولا تظلم الله من خلقه احدا تبيد هذا الحديث من مشاهير احاديث
الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة
من المتكلمين انه لا يتكلم في تاويلها بل نفوض علمها الى الله ورسوله ونعتقد
على ظاهرها او لها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثاني وهو قول
جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث
فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو شايع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه
لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه
الى ذلك المخلوق والعلوم وقيل يحتمل ان في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية
وخلقوا لها قال القاضي عياض ظهر لنا وبلات انهم استخدموها وخلقوا
لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي على استحالة
الجارحة على الله تعالى وقوله قط قط اي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات
اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقد ذكر النار التي هي دار بني دار القهار وقدمه
لان المقام للانذار بانبعاثها دار الاشرار فقال تعالى بسبب اقترافهم سيئات الاعمار وطي
المسير وطي مشقة البعد وازلفت الجنة اي قربت بايسر امر مع الدرجات العلى من
الممتلية للمتقين اي العريقين في هذا الوصف فادارها وهاتسابقوا اليها وتكونوا
مما كانوا فيه في الموقف من مشاهد النور وكثبان المسك ونحو هذا واما غيرهم من اهل
الايمان فقد يكون لهم غير هذا الوصف فيساقون اليها الذين اتقوا كما مضى في الامر وقوله
تعالى غير بعيد يجوز ان يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لانها بمعنى البستان
او لان فعيلا لا يؤنث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري ومنعه ابو حيان وتقدم
الكلام على ذلك في قوله تعالى ان رحمت الله قريب الاية ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف
المكاني اي مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي زلفا غير بعيد
وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال او شيا غير بعيد فان قيل ما وجه التقريب
مع ان الجنة مكان والامكنة تقرب بها وهي لا تقرب احيانا من وجوه احدها
ان الجنة لا تزال والابرار المؤمنون في ذلك النعيم بالانتقال اليها مع بعدها
لكن الله يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب فان قيل فعلى هذا

ليس ازدلاف الجنة من المؤمن باولى من ازدلاف المؤمن من الجنة فما فائدة قوله تعالى
ازلفت الجنة اجيب بان ذلك اكرام للمؤمن وبيان لشرفه وانه ممن يمشي اليه ثانيها
قربت من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني ثالثها ان الله تعالى قادر على نقل
الجنة من السما الى الارض فيقربها للمؤمن ويحتمل انها ازلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها
مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة وخص المتقين لها
بذلك لانهم احق بها وقوله تعالى هذا اي الازدلاف والذي ترونه من كل ما يسركم ما
ايما لامر الذي توعدون اي وقع الوعد لكم به في الدنيا يجوز فيه وجهان احدهما
ان يكون معترضا بين البدل والمبدل منه وذلك ان لكل اواب اي رجاع الى طاعة الله
تعالى بدل من للمتقين باعادة العامل ثانيهما ان يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول
منصوب على الحال اي مقولا لهم وقرا ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون بالتاء
على الخطاب ونسب ابو حيان قراءة الياء لابن كثير ولابي عمرو وانما هي لابن كثير فقط
وقال سعيد بن المسيب الاواب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب
وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقال ابن عباس
وعطا هو المسبح من قوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال قتادة هو المصلي وقوله
تعالى حفيظ اختلف فيه فقال ابن عباس هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها
ويستغفر منها وعن ابن عباس ايضا الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه
الله تعالى من حقه والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة اي يكون كثير الاوب
شديد الحفظ ثم ابدل من كل تتميما لبيان المتقين قوله تعالى من خشي اي خاف ونبه
على كثرة خشيته بقوله تعالى الرحمن لانه اذا خاف مع استحضار الرحمة العامة للمطيع
والعاصي كان خوفه مع استحضار غيرها اولى وقال القشيري التعبير بذلك للاشارة
الى انها خشية تكون مقرونة بالانس يعني الرجا كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار
او القهار ويقال الخشية الطف من الخوف فكانها قريبة من الهيبة وقوله تعالى
بالغيب حال اي غائبا عنه فيحتمل ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما وقيل
الباء للمصاحبة اي مصاحبا له من غير ان يطلب آية او امرا يصير به الى حد المكاشفة
بل استغنى بالبراهين القطعية التي منها انه مربوب وهو ايضا بيان لبليغ خشيته
ويجوز ان يكون صفة لمصدر خشي اي خشية خشية ملتبسة بالغيب ومعنى الآية
من خاف الرحمن فاطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث
لا يراه احد وقال الحسن اذا رخى الستر واغلق الباب وقوله تعالى وجاء اي بعد الموت
بقلب منيب اي راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شان الخائف ان يهرب فاما المتقي
فجارية لعلمه انه لا ينجي الفرار منه والباء في بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية
والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى وجلب بقلب سليم اي سليم من الشرك والضمير
في قوله تعالى ادخلوها عائد الى الجنة وقوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها اي سالمين
من العذاب والهموم فهي حال مقارنة او بسلام من الله تعالى وملائكته عليهم فهي حال
مقارنة كقوله تعالى فادخلوها خالدين كذا قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع
من مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه

لا يعقل الخلود الا بعد الدخول ذلك اليوم الذي جعل فيه الدخول يوم الخلود اي الدوام في الجنة
الذي لا آخر له ولا نفاد لشيء من لذاته اصلا ولذلك وصله بقوله تعالى خوابا لمن كانه قال
على اي وجه خلودهم لهم ما يشاؤن اي نطوا هرهم وبواطنهم ما يشاؤن اي تتجدد مشتهياتهم او يمكن
مشتهاهم له فيها اي الجنة وليدنا اي عندنا من الامور التي هي في غاية الغرابة عندهم
وان كان كلما عندهم مستغربا مزيد اي مما لا يدخل تحت اوهامهم لشاوه فان سياق
الامتنان يدل على ان تنوينه للتعظيم والتعشير الذي يؤكد ذلك فان قيل ما الحكمة
في انه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم احيب من وجوه اولها
ان قوله تعالى ادخلوها فيه معنى اراي فيقال لهم ادخلوها فلا يكون التفات ثانيها انه
التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير مخل بعلمي في عينتهم وحضورهم
في حضورهم الحضور وفي عينتهم الحضور والمقصود ثالثها انه يجوز ان يكون قوله تعالى لهم كلاما
مع الملائكة يقول للملائكة تنزلوا واخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاؤن فيها فاحضروا بين
ايديهم ما يشاؤن واما انا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه والمزيد يحتمل
ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون
بمعنى المفعول اي عندنا ما مزيدة على ما يرجون ويأملون فالناس وجايزهو النظر الى وجه
الله الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد والحاذر
تعالى في اول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قارون ماضية بقوله تعالى
وكم اهلكنا اي بالنا من العظمة قبلهم من قرن اي جيل هم في غاية القوة وزاد في بيان القوة
بقوله تعالى هم اي اولئك القرون بطوا هرهم وبواطنهم اشد منهم اي من قريش بطشا اي قوة
واخذا الماسر يد وبه بالعنف والسطوة والسيدة بنفسه كم منصوبة بالعدة وقدمها لانه
استفهام واما لان كم الخبرية تجري مجرى الاستفهامية في التصدير ومن قرن تمييز وهم
سد صفة اما كم واما القول والنافي قوله تعالى فنقبوا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد
بطشهم فنقبوا في البلاد والضمير في نقبوا اما للقرن المتقدم وهو الظاهر واما لقريش
والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف في البلاد قال الحارث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال

وقال امرؤ القيس وقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والمكان التقدير
ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم بوجد سوال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت
للعاند الجاهل بقوله تعالى هل من محيص اي معدل ومحيد ومهرب سوال دفع فيقضايا
ليكون لهولا وجد ما في مرامنا ان في ذلك اي فيما ذكر في هذه السورة من الاساليب العجيبة
والطرق الغريبة لذكرى اي تذكيرا عظيما جدا لمن كان اي كونا عظيما له قلب
اي عقل له غاية العظمة فهو يحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له
ستليم بل له قلب لاه او القى السمع اي استمع الوعظ بغاية اصغاء حتى كانه ينصت
تقبل من علو الى سفل وهو اي والحال انه في حال القايه شهيد اي حاضر بكليته فهو
في غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شيء مما تاتي عليه والقي اليه
فيتذكر وعطف على قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قوله تعالى وليقد خلقنا
اي بالنا من العظمة التي لا تقدر قدرها ولا يطاق حصرها السموات والارض

على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع وما بينهما من الامور التي لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب
والمسببات بدونها في ستة ايام الارض في يومين ومنافعها في يومين والسموات في يومين
ولو شاء لكان ذلك في اقل من لمح البصر ولكنه تعالى سن لنا التاني بذلك وما مسنا اي لاجل
ما لنا من العظمة ادنى مس وعم في النفي فقال تعالى من لغوب اي اعيا فانه لو كان لاقتضى
ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك مشي على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا
في الباقي وانتم تشاهدون الامر في الكل على حد سوا من نفوذ الامر وتمام التصرف فاصبر
يا اشرف الخلق على ما يقولون اي اليهود وغيرهم من انكارهم البعث والتشبيه وغير ذلك
فان من قدر على خلق العالم بلا اعيا قدر على البعث وغيره وسبح اي اوقع التنزيه عن كل شائبة
نقص ملتبسا بحمد ربك اي باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن
اليك بجميع هذه البراهين التي خصك بها مفصلا لك على جميع الخلق وقوله تعالى
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار وقوله تعالى ومن الليل فسبحه
اشارة الى زلفى من الليل وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا بامرين احدهما
عبادة الله تعالى والثاني هداية الله الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك
الاخر وهو العبادة وخص قبل الطلوع وقبل الغروب لانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد
بقوله تعالى ومن الليل اوله لانه ايضا وقت اجتماعهم وقال اكثر المفسرين قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشائين والتهجد وادبار
السجود التنفيل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشا وقال مجاهد ومن الليل يعني
صلاة الليل اي وقت صلى وقرا نافع وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة على انه مصدر قام
مقام ظرف الزمان كقولهم اتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلاة
اي انقضائها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو اخر الصلاة وعقبها ومنه قول
اوس على دبر الشهر الحرام فارضنا وما حولها جدب سنون تلمع ولم يختلفوا في وادبار النجوم
وقوله تعالى وادبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب
وعلي بن ابي طالب ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل
صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروي عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول
اكثر المفسرين عن عايشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل
اشد معاهدة منه على الركعتين امام الصبح وعن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد
الله ابن مسعود ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين
بعد المغرب والركعتين قبل الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وعن مجاهد وادبار
السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين
وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذاك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وعنه ايضا ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومادراك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا
اموال قال فلا اخبركم بامر تدركون من قبلكم وتسبقون به من جاء بعدكم ولا يأتي احد
مثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا
وقوله تعالى يوم يستمع اي الى الخبر كذا به من احوال القيامة مذهبي تهويل وتعظيم للخبر به
والحديث هذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ
اسمع ما اقول لم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى يوم ظرف لا ستمع الى يستمع ربك
في يوم ينادي المنادي اي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي الحشر فيقول
ايتها العظام البالية والاوصال المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل عن مكان قريب بحيث يسمع الصوت من تحت
كما يسمعه من فوقه مكتوب في الفقاح سوا الانبياء وات واختلف في ذلك المكان
القريب فاكثر المفسرين انه صخرة بيت المقدس فانها اقرب الارض الى السما باثني عشر
ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم
يسمع من كل شعرة انبتها العظام البالية وقوله تعالى يوم يسمعون الصيحة
بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى بالحق حال من الصيحة اي متلبسة
بالحق او من الفاعل اي يسمعون متلبسين بسماع الحق ذلك اي اليوم العظيم الذي تظهر
به المجد ويعلو به ضعفا المومنين الحد يوم الخروج الذي لا خروج اعظم منه وهو خروجهم
من وسط الارض فنورهم من الارض التي خلقوا منها الى المحشر وهو من اسما يوم القيمة
انا اي بعاثنا من العظام نحن اي خاصة نحيي ونميت اي نجدد ذلك بعد ما بعد متى مثلنا
مستقرة وعادة مستمرة كما تشاهد وقد كان منا با لاحيا الاول المبدا والمعيد
اي خاصة نا لاماتة ثم الاحيا الاخر اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي
في الاخرة للبعث والبقا الصير بعد البعث وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله وما بينهما
اعتراض وقرا تشقق الارض بالتخفيف وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف
عنهم اي عاورتهم بعد ان كانوا في بطنها فيخرجون منها احيا كما كانوا على ظهرها احيا
حال كونهم سراعا الى اجابة صا دينا وهو جمع سريع ذلك اي الاخراج العظيم حشر
اي جمع بكره وقد اراد في بيان عظمة هذا الامر بدا لانه على اختصاصه بتقدم الجار فقال
تعالى علينا اي خاصة يسير تكليف يتوقف فيه على ما قال فضلا عن ان يتاثر واما
غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه نحن اعلم علينا متعلق بيسير فصل بمعمول الصفة
بينها وبين موصوفها لا بضرب ذلك وقال الزمخشري التقديم للاختصاص وهو ما اثرت
اليه اي لا تيسر ذلك الا على الله وحده وهو اعاد ضمير قولهم ذلك رجع بعيد
وقوله تعالى نحن اعلم اي عالم ون بما يقولون اي في الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث
وغيره تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم
على الاسلام انما انت منذر وقد فعلت ما امرت به وخص بالقران لانه اكثر ما عارضوه به
من العلم المحيط وهذا قبل الامر بالقتال فذكر اي بطريق البشارة والنذارة بالقران
اي بالجامع بحيث لكل خير المحيط بكل صلاح فيخاف وعيد فانه لا ينتفع بغيره وهم
المومنون وقرا ورش بخلف عنه بايات الياء بعد الالف وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا

ووقفا

ووقفا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
ق هون الله عليه ثارات الموت ومسكراته حديث موضوع وثارات الموت بمثلثة وهمزة
مفتوحة اهواله سورة والذاريات مكية وهي ستون اية وثلثماية وستون كلمة
والف ومايتان وتسعة وثمانون حرفا بسم الله اي المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف
الميعاد الرحمن الذي عم الخلائق بنعمة الايجاد الرحيم الذي خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه
من المرام ولما ختم سبحانه قوله لتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه
فقال عز من قائل مناسبا بين القسم والمقسم عليه والذاريات اي الريح تذرو التراب
وغيره وقيل النسا الوالدات فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى ذروا منصوب
على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصادا
يقال ذرت الريح التراب واذرت فالحاملات اي السحب تحمل الما وقيل الرياح الحاملة للسحاب
وقيل النسا الحوامل وقوله تعالى وقرا اي ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان
عدلا ثقيلا قال الرازي ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربه سوطا
فالجاريات اي السفن وقيل الرياح الجارية في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها
وقوله تعالى يسرا اي بسهولة مصدر في موضع الحال اي ميسرة فالمقسمات اي الملائكة
التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد وقوله تعالى امرا يجوز ان يكون
مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق او المال وان يكون حالا اي مامورة وهل هذه اشيا
مختلفة فتكون على بابها من عطف المتغايرات والفا للترتيب في القسم لا في المقسم
به قال الزمخشري ويجوز ان يراد الريح وحدها لانها تنشئ السحاب وتقلبه وتصرفه
وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد فتكون
الفا على هذا لترتيب الامور في الوجود وعن علي بن ابي طالب انه قال وهو على المنبر سلوني
قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح
قال فما الحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال
فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها
ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ
السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب
فانث ان كان وقرا مفعول فلم لا يجمع وما قيل او قارا اجيب بان جماعة من الرياح قد تحمل
وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لان جماعة من الملائكة
قد تجتمع على امر واحد فايدة اقسم الله تعالى بجمع السلامة المؤنث في خمس سور ولم
يقسم بجمع السلامة المذكر في سورة اصلا فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين
الى غير ذلك مع ان المذكر اشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل
ولما كانوا يكذبون بالوعيد اكد الجواب بعد التاكيد بنفس القسم فقال تعالى انما
توعدون لصادق اي مطابق الاخبار به للواقع وستبرون مطابقته له تنبيه ما
يجوز ان تكون اسمية وعايدها محذوف اي توعدونه وان تكون مصدرية فلا عايد على المشهور
وحينئذ يحتمل ان يكون توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح
ان يقال اوعدته فهو موعد ووعدته فهو موعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم

او ان وعيدكم وان الدين اي المجازاة لكل احد بما كسب يوم البعث لواقع لا بد منه وان انكرتم ابتدا
قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن
المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات
الزينة اي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت النجوم وقال مقاتل والكلبي والضحاك
ذات الطرائق كحبك الما اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو اثار تثنيه وتكسره
قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والحبك جمع يحتمل
ان يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال كانما حللها الحواك طنفسة
في وشيها حباك واصل الحبك احكام الشي واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب المقسم
انكم يا معشر قريش لفي قول محيط بكم في امر القران والاتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون
به ابطال الدين الحق لمختلف فتقولون في القران سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد
صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب يؤفك اي يصرف عنه
اي عن النبي والقران اي عن الايمان بذلك من افك اي صرف عن الهداية في علم الله تعالى ومعناه حينئذ
الذم وقيل انه مدح المومنين ومعناه تصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول
ويرشد الى القول المستوي وقيل اي لعن الخراصون اي الكذابون وهم الذين لا يجزمون بامر
بل هم شاكون متحيرون وهم اصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى
الذين هم اي خاصة في غمرة اي جهل يغمرهم ساهون اي غريقون في السهو وهو النسيان
والغفلة والحيوة وذهاب القلب الى غير ما يهمه ففاعل ذلك ذو الوان متخالفة
من هول ما فيه وشدة كربه يسألون النبي استهزا ايان اي متى واي حين يوم الدين اي
وقوع الجزا الذي تخوفنا به ولولا انهم بهذه الحالة لتذكروا من انفسهم انه ليس احد منهم
يترك عبيده واجراه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في احوالهم
ويحكم بينهم في اقوالهم وافعالهم فكيف يظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم
على هذا النظام المحكم وابدع لهم هذين الخافقين وهيا لاجلهم فيهما كل ما يحتاجون اليه
فيتركهم سدا ويوجدهم عبثا وقوله تعالى يوم هم منصوب بمضمر جواب لسوالهم
ايان يوم الدين اي الجزا كاين يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون فيها وقال الرازي
يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكما انهم لم يسالوا سوال مستفهم
طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يومهم على النار يفتنون فجهلهم بالثاني
اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال قايل متى يقدم زيد فلو اجيب
بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب الا اذا كان
الكلام في صورة جواب ثانيهما ان يكون ذلك ابتدا كلام تمامه في قوله تعالى ذوقوا فتنتكم
اي تعذيبكم فان قيل هذا يفضي الى الاضمار اجيب بان الاضمار لا بد منه لان قوله تعالى
ذوقوا فتنتكم غير متصل بما قبله الا باضمار تقال هذا اي العذاب الملون الذي كنتم به
تستعجلون في الدنيا استهزا ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال
تعالى ان المتقين اي الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا في جنات اي بساتين عظيمة
تجن داخلها داخلها اي تستره من كثرة ظلالها لكثرة اشجارها وعظمها وعيون
جارية في خلال الجنان تنبيه المتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك واعلاها

ان يتقي

ان يتقي الدنيا والاخرة وادنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة
وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بالضم وقوله
تعالى آخذين حال من الضمير في خبر ان وقوله تعالى ما آتاهم ربهم اي المحسن اليهم
المدبر لهم بتمام علمه وشامل قدرته ان كان مما في الجنة فتكون حالا حقيقية وان كان
مما اتاهم من اوامره ونواهيه في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين
تنبيه اعلم انه تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله
تعالى ههنا ان المتقين في جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة
واحدة واما جمعها فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنان لا يحصرها عدد
واما تثنيتها فسياتي ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان فقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لترك شهوته وجنة لخفاه وقيل جنة
لخائف الانس وجنة لخائف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازي غير انا نقول
ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشرا فقال تعالى ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطا جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد
موجودة بخلاف ما الوعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعود ومعنى آخذين
قابضين ما آتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفا ما لا نهاية له وقيل
قابلين قبول راض كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها قاله الزمخشري وقوله
تعالى انهم كانوا قبل ذلك محسنين اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان
في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتا الله تعالى واما ليوم الدين والاحسان
يكون في مقابلة الخالق والخلائق وقيل هو قول لا اله الا الله ولهذا قيل في معنى
كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله وقوله
تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله ثم فسر احسانهم
معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى كانوا اي لما عندهم من الاجلال
له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون عليه قليلا من الليل الذي هو وقت الراحات
وقضا الشهوات ما يهجعون اي يفعلون المهجوع وهو النوم الخفيف القليل بالليل
فما ظنك بما فوقه فما مزيدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف اي ينامون في زمن
يسير من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا
اما من اولها او من وسطها وعن انس بن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشا وقال
محمد بن علي كانوا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة اتت
عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ووقف بعضهم على قليلا
ليواخي بها قوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويبتدي والليل ما يهجعون
اي ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدا فقال ما يهجعون
وجعله جحدا اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول
الضحاك ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذي وعائدها محذوف تقديره كانوا قليلا
من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف ولما كان المحسن لا يرى نفسه

BULAC

الا مقصر قال الا على ذلك وعلى انه يحمدهم يتصل باخر الليل وبالاسحار قال ابن
زيد السحر السدس الاخير من الليل هم اي دايما نظواهرهم وبواطنهم يستغفرون
اي يعبدون ومع هذا الاجتهاد انفسهم مذنبين ويسالون غفران ذنوبهم
لوقور علمهم بالله وانهم لا يقدرون على ان يعبدوه حق قدره وان اجتهدوا
لقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك وايراد الضمير دل على ان
غيرهم لو فعل هذه الليلة لاعجب بنفسه ورايى انه لا احد افضل منه وعسى ان استغفارهم
في الكبيرة يقتضي انهم يكونون بحيث يظن بهم احق بالتذلل من المصرين على المعاصي
فان استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا الى الله سبحانه في الافاق وفي انفسهم الايات
والحكم البالغة فاستدلوا على الاستغفار بما بين بانه تعالى لا يقدر حق قدره بنبه
بالاسحار متعلق بيستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز تقديم
العامل وقال الكلبي ومجاهد والاسحار يصلون وذلك صلاتهم بالاسحار
لطلب المغفرة وفي ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله
الى السماء كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني
فاستجيب له من الذي يسالني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفر له وهذا الحديث
من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وعزم
انه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان
به وتنزيه الرب سبحانه وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول
جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى
منزه عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال
على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك
وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عنه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار
حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت
واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وزاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت
او لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذكر تعالى معاملتهم للخالق
اتبعه المعاملة للخلايق تمثيلا لحقيقة الاحسان فقال تعالى وفي اموالهم اي كل
اصناف حق اي نصيب ثابت للسائل اي الذي ينبه على حاجته بسوال الناس
وهو المتكلف والمحروم وهو المتعفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسال الناس
ولا يفطن له ليتصدق عليه وهذه صفة اهل الصفة رضي الله تعالى عنهم والمحسنون
يعرفون صاحب الوصف لما لهم من ثاقب البصيرة وبه تعالى يهتم من المعاينة وقدم
للسائل لانه يعرف بسواله او يكون اشارة الى الحث على العطاء فيعطى السؤال ما دام لم يجدهم
يسال من المحتاجين فيكونوا سايلا ومسولا وقيل قدم السايل لتجانس رؤس
الاي وقيل السايل هو الادبي والمحروم كل ذي مروة غيره من الحيوانات المحترمة قال على

الله

الله عليه وسلم في كل كبد حرا اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي مقدم على البهايم وقال
ابن عباس وسعيد بن المسيب السايل الذي يسال الناس والمحروم الذي ليس له في الغنايم
سهم ولا يجري عليه من الفي شي وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال
وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن
كعب القرظي قال المحروم صاحب الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون وفي الارض
اي من الجبال والبحار والاشجار والثمار والنبات وغيرها آيات اي دلالات على قدرة
الله تعالى ووحدانيته للموقنين اي الذين صار الايقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك
يتفطنون لروية ما فيها قال القشيري من الايات فيها انها تحمل كل شي فكذلك
العارف يحمل كل احد ومن استثقل احدا او تبرم برويته احد فلغيبته عن الحقيقة
ومطالعته الخلق بعين البعوضة واهل الحقايق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الايات
فيها انه يلقي عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب
ما يسقى من الجفا ولا يترشح الا بكل خلق علي وشيمة زكية وفي انفسكم ايات ايضا من مبدا
خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجايب افلا تبصرون اي بابصاركم وبصايركم
فتاملوا ما في ذلك من الايات فمن تاملها علم انه عبد ومتى علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج
الى احد وفي السماء اي جهة العلو رزقكم بما ياتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك
مما رتبه سبحانه لمنافع العباد وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق
وقيل في السما رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السما ولولاه لما حصل في الارض
حبة قوت وما توعدون قال عطا من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر
وقال الضحاك من الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال تعالى فورب اي مبدع
ومدبر السماء والارض بما اودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه انه اي الذي توعدونه من الخير
والشر والجنة والنار وما ذكر من امر الرزق وما تقدم الاقسام عليه لحق اي ثابت
يطابقه الواقع مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك في انكم تنطقون ينبغي
لكم ان لا تشكوا في تحقق ذلك وقال بعض الحكما معناه ان كل انسان ينطق بلسان نفسه
لا يمكن ان ينطق بلسان غيره كذلك كل احد ياكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان ياكل رزق
غيره وانشدوا

ما لا يكون فلا يكون بحيلة • ابدا وما هو كاين سيكون
سيكون ما هو كاين في وقته • واخو الجهالة مكمد مغبون

وقيل ان القران لحق تكلم به الملك النازل من السما مثل ما تتكلمون وقرا حمزة والكسائي
وشعبة برفع اللام على انه نعت لحق وما مزيدة وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر
تقدير اضافتها لمعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب على انه نعت لحق
ايضا كما في القراة الاولى وانما بني الاسم لاضافته الى غير متمكن كما بناه القايل في قوله
فتداعى منخراه بدم مثل ما انمر حماض الجعل بفتح مثل مع انها نعت لدم وقيل انه نعت
لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم وقوله تعالى هل اتاك اي يا اكمل الخلق حديث ضيف
ابراهيم المكرمين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حبسهم
كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين اي عند الله ام لان ابراهيم عليه السلام
اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم في اكرم المواضع واختيار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين

BULAC

وكون النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بان يتبع ملته وكان ابراهيم عليه السلام اكرم
الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد كان ابراهيم عليه السلام
خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمون لانهم جاؤا غير مدعوين وقال صلى الله
عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الاية
التفضيل والانذار فاي فائدة في حكاية الضيافة اجيب بان في ذكر ايشان الى الفرح
في حق الانبياء والبلاء على الجملة باقي من هيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع
منزلته قال التستري وقيل كان عددهم اثني عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان
معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرا ابن كثير وعاصم باظهار الذال والباقون بالادغام تنبيه اختلف
في العامل في اذ على اربعة اوجه احدها انه حديث اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت
دخولهم عليه ثانيها انه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل مصدر ولذلك
استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه ثالثها
انه منصوب بالمكرمين اذا اريد باكرامهم ان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى
يقول اكرموا اذ دخلوا رابعها انه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك لاختلاف
الزمانين فان قيل انما ارسلوا الى قوم لوط فما الحكمة في مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام اجيب
من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن عادة
الملك اذا ارسل رسولا لملك وفي طريقه من هو كبير منه يقول له اعبر على فلان الملك
واخبره برسالتك وخذ فيها راية ثانيهما ان ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة
حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة
منه على العباد فقال لهم بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعافهم ثم هلك ويكون من صلبه
فروخ الانبياء عليهم السلام فقالوا سلاما اي هذا اللفظ قال سلام اي هذا اللفظ
والمشهور ان السلام الاول المراد به التحية اي نسلم سلاما وقيل ان سلاما معناه حسنا
لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو واثم فكانهم قالوا قولا حسنا سليما من الاثم فيكون
مفعولا به لانه في معنى القول واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية فهو مبتدا وخبره
محذوف اي عليكم وقيل انه السلامة اي امن وسلام لا بي لا عرفكم وقرا حمزة والكسائي بكسر
السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام والف بعدها والمعنى واحد وقوله
قوم منكرون اي غرباء لا عهد لي بكم قال ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدا مقدر اي هم قوم
وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك
الزمان وفي تلك الارض فراغ اي ذهب في خفية من صيغة فان من اديب الضيف ان يبادر
بالقرى حذرا من ان يلحقه الضيق او يصير منتظرا الى علمه اي الذي عندهم بقرى فما لبث
اي فما تاخر ولا اداه البطء لانه كان عاما بما ينالله النفر سمين قد سواه وانضجه قال تعالى في سورة
هود بعجل حنيذ اي مشوي فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم لياكلوا فلم ياكلوا قال
الا تاكلون والهمزة اما للانكار عليهم في عدم اكلهم او اما للعرض واما للتخصيص فلم يجيبوا

قاموس

فأوجس اي اضمر في نفسه منهم خيفة لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا العذاب فلما عرفوا منه ذلك قالوا مؤنسين له لا تخف
واعلموه انهم رسل الله وبشروه بغلام يأتيه على شيخوخته ويأس امرأته بالطعن في السن
بعد عقمها وهو اسحاق عليه السلام عليم اي مجبول جبلة مهيأة للعلم ولا يموت حتى يظهر
علمه بالفعل في اوانه فان جميع الانبياء بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام تنبيه ذكر ههنا من ان آداب الضيافة تسليم
المضيف على الضيف ولقاؤه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله سلام وهو آكد وسلامهم
بالمصدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام
يدل على العداوة والعدو لا يليق بالانبياء فقال سلام اي امري مسلامة ثم فيها من آداب
المضيف تعجيل الضيافة فان الفاء في قوله فراغ تدل على التعقيب واخفاؤها لان
الروغان يقتضي الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتي بما يمنعه الحياء
منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف في مكانه
ولا ينقل الضيف للطعام لقوله قدمه اليهم ويعرض الاكل عليه لا يأمره لقوله الا تأكلون
ولم يقل كلوا وسروره باكله لا كما يوجد في بعض البخلاء الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل
نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله فأوجس منهم خيفة
بعدم اكلهم [illegible] ومن آداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه
مضرا به او يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح
لي بل يأتي بعبارة حسنة ويقول بي مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم لا تخف
ولم يذكروا في الطعام شيئا ولا انه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا بانهم ملائكة وبشروه
بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه انهم ليسوا ممن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال
لان العلم اشرف الصفات ثم ادب آخر في البشارة وهو ان لا يخبر الانسان بما يسره دفعة
واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلبوا واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك فان قيل قال
تعالى في سورة هود فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب
العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله
بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه اجيب بان يقال
لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منكرون اي عند كل احد
واشترك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون في انفسكم
عند كل احد منا ثم لما امتنعوا عن الطعام تأكد الانكار لان ابراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة
امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في سورة هود ابسط مما ذكره ههنا
فانه ههنا لم يبين البشرية وهناك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من
وهناك قال قوم لوط ولما كانا بعيدين عن قبول الولد بسبب عن ذلك قوله تعالى دالا
على ان المولد اسحق مع الدلالة على ان اخفاء الاسباب لا يؤثر في وجود المسببات فأقبلت
اي من سماع هذا الكلام امرأته سارة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت
فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه وقوله تعالى في صرة اي صيحة حال اي جاءت

BULAC

صاحبة لانها قد امتلأت عجبا فصكت اي لطمت وجهها واختلف في صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهي عادة النساء اذا انكرت شيئا واصل الصك ضرب الشيء العريض وقيل جمعت اصابعها وضربت جبهتها عجبا وذكر من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيئا وقالت تريد ان تستبعد الامر هل الولد منها او من غيرها عجوز قال المفسرون قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ومع ذلك عقيم نهي في حال شبابها لم تلد فقط ولما قالت ذلك قالوا مجيبين لها كذلك اي مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة قال ربك اي الحسن البك بنا هيلك لذلك على ما ذكرت من حالك وبنا هيلك من قبل للانصال عليه صلى الله عليه وسلم انه هو اي وحده الحكيم اي الذي يضع الاشياء في احق مواضعها العليم المحيط العلم بكل شيء لا يعجزه شيء بين سبحانه ما كان من حال ابراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى قال اي ابراهيم عليه السلام مسببا عما رأى من حالهم وان اختلاف الملائكة بعد تلك العصبة لم يكن كهذه البشارة فقط فما خطبكم اي خبركم العظيم ايها المرسلون اي لامر عظيم وهذا ايضا من ادب الضعف اذا ناب وهيبة الضعف للحر وح قال له ما هذه العجلة وما شأنك لان في سلوته ما يوهم استثقاله ثم انهم ابتدروا بما هو من ادب الصديق الذي لا يبشر عن الصديق شيئا وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابراهيم عليه السلام على هلاكهم وحبر قلبه بتقدم البشارة بأني لانبأ استحق عليه السلام فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفاء ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم العجل لكم اجيب بانه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وانيس فلما انسوه قال فما خطبكم اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الاحاش الاليم قالوا قاطعين بالتاكيد بانا في مضمون خبرهم حتم لابد منه ولا مدخل للشفاعة فيه انا ارسلنا اي بارسال من نقل الى قوم مجرمين اي هم في غاية القوة على ما يحاولونه وقد صرفنا ما اقدرنا الله تعالى به عليهم من القوة في قطع ما حق وصله ووصل ما حق قطعه يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي من السماء التي فيها ما وعد العباد وتوعد حجارة من طين اي متهيأة للاحتراق والاحراق مسومة اي معلمة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقوله عند ربك اي المحسن اليك بهذه البشارة وغيرها ظرف لمسومة اي معلمة عنده للمسرفين اي المتجاوزين للحدود غير قانعين بما يبيح لهم ظاهر المتعارف المتمادي ولو في الصغائر فانهم مجرمون مشركون والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اعظم الذنوب وهذا لطيف وهي ان الجبار سومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد اي هؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف فجارة مسومة واشرافهم بانهم انوا بما لم يسبق به احد من العالمين وفي هذا دليل على رحم اللوط والغائط في ارسال جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهما اذ الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما اهلك البعوض وكما اهلك بالقمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة اظهارا للقدرة وقد تكثر الاسباب كما في يوم بدر

امر

امر حسنة الافوه الملائكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا لعظيم قدرته تنبيه قوله
تعالى من طين اى ليس من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء انهم يقولون
ان البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع به ذلك التوهم قال الرازى ان بعض من يدعى
العقل يقول لا ينزل من السماء الا حجارة من طين مدورات على صيغة البرد وهيئة البنادق
التى تتخذ منها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعاصير تصعد الغبار من الفلوات العظيمة
التى لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد وتنعقد ذلك الهواء الذى فيصير
طينا رطبا واذا رطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت الماء الى فوق ثم تفرقت
اليه رأيته يقطر كرات مدورات كاللآلى الكبار ثم فى النزول ان اتفق ان تضربها الرياح
التى فى الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من يصيبه الله تعالى اهلاكه وقد
ينزل كثيرا فى المواضع التى لا عمارة فيها فلا يدرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين لا بد ان
يكون من طين كالحجر الذى فى الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا تعسف لان ذلك
الاعصار لما وقع فان وقع حادث اخر لزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث
فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك وله ان لا يفعله
الحجارة من طين على وجه الامر هذا اخر من غير نار ولا اعصار لكن العقل لا طريق له الى الجزم
بطريق حدانيته وما لا يصل العقل اليه لا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول
حجارة الطين من السماء اغرب واعجب من غيرها ولما اراد الله تعالى ان يهلك المجرمين
من المومنين منهم بقوله تعالى فاخرجنا اى بما لنا من العظمة بعد ان مضت رسلنا اليهم
ووقعت بينهم وبين لوط عليه السلام محاولات معروفة لم ندع الحال هنا الى ذكرها من كان
فيها اى قرى قوم لوط غير بيت منهم اى المصدقين بقلوبهم لانا لا نسوى بالمجرمين
فخلصناهم من العذاب على قلتهم وضعفهم وقد التحق الفين وكسر تاء تم فما وجدنا فيها
اى ملك القرى اسند الامر اليه تشريفا لرسله اعلاما بان فعلهم فعله تعالى غير بيت
اى واحد وهو بيت ابراهيم عليه السلام وقيل كانت عدة الناجين منهم ثلاثة
عشر من المسلمين اى العريقين فى الاسلام الظاهر والباطن لله تعالى من غير اعتراض
اصلا وهم ابراهيم واله عليهم السلام فانهم اولدين وجدهم الاسلام الا نم ونسموا
به كما مر فى سورة البقرة وسموا به ابناءهم فكان هذا البيت الواحد صادقا عليهم
الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى هو الانقياد قال البغوى وصفهم
الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم يقين لما بينهما
من التلازم وان اختلف المفهوم بان وقال الاصبهانى وقيل كان لوط واهل بيته الذى
كونوا ثلاثة عشر وقيل هم لوط وابناه وصفوا بالايمان والاسلام باعتبار هم مصدقون
بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات تنبيه فى الاية اشارة الى ان الكفر اذا غلب
والنفوق اذا فشى لا ينفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة
المستقيمة وفيهم شرذمة تسيرة يسرقون ويزنون ومثاله ان العالم كالبدن
ووجود الصالحين كالاغذية النافعة والحار والسموم الواردة عليه العفارة ثم ان
البدن اذا خلا عن المنافع وفيه الضار هلك فان خلا عن الضار وفيه المنافع طاب ذكاء
وان وجد فيه فالحكم للاغلب واطلاق الخاص على العام لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن

فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا
الا عم منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين وتركنا
اي بما لنا من العظمة فيها اي تلك القرى بما اوقعنا بها من العذاب اية اي علامة عبرة
على هلاكهم كالحجارة او الما المنتن فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت في الجو كالغمام الى عنان
السما ولم يشعر احدا من اهلها بشي من ذلك ثم قلبت واتبعت الحجارة ثم خسف بها وغمرت
بالما الذي لا يشبهه شي من مياه الارض كما ان خيانتهم لم تكن تشبه خيانة احد ممن تقدمهم
من اهل الارض للذين يخافون العذاب الاليم اي ان يحل بهم كما حل بهذه القرى
في الدنيا من رفع الملايكة لهم في الهوا الذاري الى عنان السما وقلبهم واتباعهم الحجارة
المحرقة وغمرهم بالما المناسب لفعلهم بنبيه وعدم نفعه وما ادخر لهم في الاخرة اعظم وخص
الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى وفي موسى عطف على قوله فيها
باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون
التقدير وتركنا في قصة موسى اية اذ ارسلناه اي بما لنا من العظمة الى فرعون بسلطان
مبين اي بحجة واضحة وهي معجزاته الظاهرة كاليد والعصى ومع ذلك لم ينتفع بها ولذلك
سبب عنها وعقب بها قوله تعالى فتولى اي كلف نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه علمها
الى الاقبال اليها واشار الى قواه بقوله تعالى بركنه اي بسبب ما يركن اليه من القوة
في نفسه وباعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه كناية عن المبالغة في الاعراض
وقال معلما بعجزه فيما اتاه به وهو لا يشعر ساحر ثم ناقض كمناقضتكم فقال بجهله
عما يلزم على قوله او مجنون اي لاجترايه على مع ما لي من عظم الملك بمثل هذا الذي يدعو
اليه نبيه او هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه
يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك في امره تمويها على قومه وقال ابو عبيدة او بمعنى
الواو قال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا لساحر عليم وقال في موضع اخر ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو
الى ذلك واما الايتان فلا تدلان على انه قالهما معا وانما يفيد انه قالهما اعم
من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر ولما وقعت التسلية بهذا للاوليا
قال تعالى محذرا للاعدا فاخذناه اي اخذ غضب وقهر بعظمتنا وقوله تعالى وجنوده
يجوز ان يكون معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه
فنبذناهم اي طرحناهم طرح مستهين بهم كما تطرح الحصيات في اليم اي البحر الذي هو اهل
لان يقصد بعد ان سلطنا الريح عليه ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه
ونشفت ارضه فايبست ما ابرزت فيه من الطرق لنجاة اوليائنا وهلاك اعدائنا
وهو اي والحال ان فرعون مليم اي ات بما يلايم عليه من تكذيب الرسول ودعوى الربوبية
وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصا اخر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم احدهما قوله تعالى
وفي عاد اي اهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام اية عظيمة اذ اي حين ارسلنا بعظمتنا
عليهم الريح فاتتهم تحمل سحابة سودا وهي تذروا الرمل وترمي بالحجارة على كيفية لا تطاق
العقيم اي التي لا خير فيها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ثم بين عقمها واعقامها
بقوله تعالى ما تذر اي تترك على حالة ردية واغرق في النفي فقال تعالى من شيء اتت

عليه

عليه اي اتيانا اراد مرسلها اهلاكه بها إلا جعلته كالرميم اي الشيء البالي الذي وهكته الايام
والليالي الى حالة الرماد وهو في كلامهم ما ييبس من نبات الارض وديس قاله ابن جرير فان قيل
الجبال والصخور وغير ذلك اتت عليه وما جعلته كالرميم اجيب بان المراد اتت عليه قاصدة
له كما مرت الاشارة اليه وهو عاد وابنيتهم وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند
الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيئا من تلك الاشياء الا جعلته كالرميم ثانيها قوله
تعالى وفي ثمود اي اهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام اية عظيمة كذلك اذ اي حين قيل لهم
اي ممن لا يخلف الميعاد وقرا هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها تمتعوا اي
بلبن الناقة وغيره مما مكناكم فيه من الزروع والنخيل والابنية حتى حين اي وقت
ضربناه لاجالكم فعتوا اي اوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو التكبر والابا
عن امر ربهم اي مولاهم الذي اعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته وارادوا قتل نبيه صالح
عليه السلام فاخذتهم اي بسبب عتوهم اخذ قهر وعذاب الصاعقة اي الصيحة
العظيمة التي حملتها الريح فاوصلتها الى مسامعهم بغاية العظمة ورجت ديارهم رجة
ازالت ارواحهم بالصعق وقرا الكسائي باسكان العين ولا الف قبلها والباقون بكسر العين
وقبلها الفا وقوله تعالى وهم ينظرون دال على انها كانت في غمام وكان فيها نار ويجوز
مع كونه من النظر ان يكون ايضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة ايام وجعل
لهم في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه في اليوم الرابع وقال بعض المفسرين
المراد منه هو ما امهلهم الله تعالى بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة ايام في قوله تعالى تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام وكان في تلك الايام تغير الوانهم فتحمر وتصفر وتسود قال الرازي
وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد
قوله تعالى تمتعوا فاذن الظاهر ان المراد هو ما قدر الله تعالى للناس من الاجال فما من احد
الا وهو ممهل مدة الاجل انتهى ولحسن هذا فسرت الاية به فما اي فتسبب عن ذلك
انهم ما استطاعوا اي تمكنوا واكد النفي بقوله تعالى من قيام اي فما قاموا بعد نزول
العذاب ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى
فاصبحوا في ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا
اي كونا ما منتصرين اي لم يكن فيهم اهل الانتصار بوجه لا بانفسهم ولا بناصر ينصرهم
فيطاوعونه في النصرة لان تهيئوهم لذلك سقط بكل اعتبار ثالثها قوله تعالى وقوم
نوح بالجر وهي قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي عطف على ثمود اي وفي اهلاكهم بما السماء
والارض اية وبالنصب وهي قراءة الباقين اي واهلكنا قوم نوح من قبل اي من قبل
اهلاك هولاء المذكورين ثم علل اهلاكهم بقوله تعالى انهم كانوا خلقا وطبعا لا جبلة
لغيرنا من اهل الاسباب في صلاحهم قوما اي اقويا فاسقين اي عريقين في الخروج
عن حظيرة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام القدرة على البعث بقوله تعالى والسماء بنيناها
اي بما لنا من العظمة بايد اي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها فايدة رسم بايد بياءين
بعد الالف وانا اي على عظمتنا بعد ذلك لموسعون اي اغنياء وقادرون ذو سعة
لا تتناهى ولذلك اوسعنا مقدر جريها وما فيها من الرزق عن اهلها فالارض كانها
على اتساعها كالنقطة في وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الالهية التي لا يصح فيها الشرك اصلا

BULAC

ملتنا كم تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا شيا لم يقدر واعلى اعظم منه وان قدر وا كان ذلك
منهم بكلفة ومشقة وستعرفون في اليوم الآخر ما تلاقي ما تركون في جنبه ومن انشاءنا
جعلها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوايد وعن الحسن
لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة **والارض فرشناها**
اي بسطناها وجعلناها مهادا لنا من العظمة فصارت بحيث يمكن ان يستقر عليها
الاشيا وهي انه على تمهيد ارض الجنة وتسقيفا لانهارها وغرسنا لاشجارها **فنعم**
اي فتسبب عن ذلك ان يقال في وصفنا نعم **الماهدون** والمخصوص بالمدح محذوف
لفهم المعنى اي نحن لكمال قدرتنا ما نزال من الشماشي ولا ينبغ من الارض شي الا بارادتنا
واختيارنا وتقديرنا من الازل الا انا اذا اصنعنا شيا علمنا ما يكون منه من حين انشايه
الى حين افنايه ولا يكون شي الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيها من خير
فهو اية على الجنة وما فيها من شر فهو اية على النار وقوله تعالى **ومن كل شي خلقنا**
يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شي **زوجين** وان يتعلق بمحذوف على انه حال
من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شي اي
صنفين كل منهما يزاوج الاخر من وجه وان خالفه من اخر والمراد بهما الا الاخر
من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبيح
والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر
والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين بهما من نفسي حضانة بينة عليها وبناها
على الاعتدال في بعض الاحوال اية على الجنة مذكرة بما سبوقته اليها والايمان والكفر والسعادة
والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال الحسن كل اثنين منهما زوج والله تعالى فرد لا مثل
له **لعلكم تذكرون** اي جعلنا ذلك كله من بنا السما وفرش الارض وخلق الازواج ارادة
ان تتذكروا حضرة الاحدية فتعلموا ان خالق هذه الاشيا واحد لا شريك له لا يعجز وحشر الاجساد
وجمع الارواح وقرا حفص والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد **ففروا** اي اقبلوا
والجاوا **الى الله** اي الذي لا سمي له فضلا عن مكافي وله الكمال كله مهو في غاية العلو فلا يقهر
ويسكن احد الى محتاج مثله فان المحتاج لا غنا عنده ولا نفر اليه سبحانه الا من تجرد
عن حضيض علايق الجسمية الى اوج صفاته الروحانية وذلك من عبد الى وعده
اللذين دل عليهما بال وحين تتكفل السياق بالتحذير والاستعطاف تا لا ستدعا
فهو من باب لا ملجا منك الا اليك اعوذ بك منك قال التيمي ومن صح فراره الى الله
صح فراره مع الله قال النقاش وهو بكمال المتابعة ليس غير ومن فهم منه الفرار بذاته
او صفة فقد بعد بذا طريق القوم فعليه لعنة الله **اني لكم منه** اي لامر غيره **نذير**
اي من ان يغر احدا غيري فانه لا يحصل له قصده **مبين** اي بين الانذار فمن العامة من الجهل
الى العلم عمدا وسفها ومن الكسل الى النشر حذرا ومن الضعف الى الشغف ثقة وحبا
وفرارا الخاصة من الحيرة الى الشهود ومن الرسوم الى الاصول ومن الخطوط الى التجريد وفرار
خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغراقا في وحدانيته **ولا تجعلوا** اي ما هو اكمل **مع الله**
وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تفخيما للامر ولانه لم يشاركه في التسمية به احد وتنبيها على ما له
من صفات الكمال وكتبها لوجوه المقاصد ليتلا يظن لو قيل معه ان المراد النهي عن الجعل

من جهة الفرار لا من جهة غيرها إلها آخر ثم علل النهي مع التأكيد لطعنهم في نذارته فقال إني لكم
منه أي لا من غيره فإن غيره لا يقدر على شيء نذير أي محذر من الهلاك الأبدي بالعقوبة التي لا خلاص
معها إن فعلتم ذلك مبين أي لا أقول شيئا من واضح النقل إلا ودليله ظاهر من صريح العقل
كذلك أي مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بما له من الاضطراب
وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله تعالى مستأنفا ما أتى الذين من قبلهم أي كفار
مكة وعمم النفي فقال تعالى من رسول أي من عند الله تعالى إلا قالوا ساحر أو مجنون
أي مثل تكذيبهم لك بقولهم ذلك لأن الرسول يأتيهم بمخالفة ما لوفاتهم التي قادتهم إليها
أهواؤهم والهوى هو الذي أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء أكانت أو للتفصيل بأن
بعضهم قال واحدا وبعضهم قال آخرا وكانت للشك لأن الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز
عنه كثير من الناس والمجنون بالضد من ذلك فإن قيل قوله تعالى إلا قالوا يدل على أنهم كلهم
قالوا ذلك والأمر ليس كذلك لأن ما من رسول إلا وآمن معه قوم أجيب بأن ذلك ليس بعام فإنه
لم يقل إلا قال كلهم وإنما قال إلا قالوا ولما كان كثير منهم قائلين قال تعالى إلا قالوا فإن قيل فلم
لم يذكر المصدقين مع المكذبين وقال إلا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت أجيب بأن المقصود
التسلية أو هي على التكذيب قال لا تأس على تكذيب قومك فإن أفواجا قبلك كذبوا ورسلا
كذبوا ثم عجب منهم بقوله تعالى أتواصوا به فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به
يعود على القول المدلول عليه بقالوا أي أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول المتضمن لساحر
أو مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كأنهم تواطؤوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا
إلا هذا وأوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وقوله تعالى بل هم قوم أي ذو شماخة وكبر طاغون
إضراب عن أن التواصي جامعهم لتباعد آبائهم إلى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم
في الطغيان الحامل عليه ثم إن الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فتول أي أعرض
عنهم أي كلف نفسك الإعراض عن الإبلاغ في إبلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الإسلام فما أنت
بملوم لأنك بلغتهم الرسالة وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية
حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع
وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله تعالى وذكر
أي ولا تدع التذكير والموعظة فإن الذكرى تنفع المؤمنين فطابت أنفسهم والمعنى ليس
التولي مطلقا بل تول وأقبل وأعرض وادع فلا التولي يضرك إذا كان عليهم ولا التذكير
يضيع إذا كان مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فإن الذكرى تنفع
من علم الله أنه يؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم
ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة
الله الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون واختلف
في تفسير ذلك فأكثر المفسرين على أن المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن
الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به هكذا
قاله الجلال المحلي وأوضح منه ما قاله ابن عادل أن المعنى إلا معدين للعبادة ثم منهم من يتأتى
منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد تكتب به وقد لا تكتب انتهى
أو أن المراد إلا لآمرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن علي بن أبي طالب أو أن المراد

ليطيعوا وينقادوا للقضاء فالمؤمن يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها او ان المراد
الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحد اختيارا في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة
والبلاء دون النعمة والرخاء وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال الفقوي وهذا احسن لانه لو لم
يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل
المراد به الخصوص اي ما خلقت السعداء من الجن والانس الا للعبادة والاشقياء منهم الا للعصيان
قاله زيد ابن اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس الموسنين وقيل الطائعين
تبيينه استدل المعتزلة بهذه الاية على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا
بوجوه منها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله
تعالى وظلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه وزينت الخلق بالعبادة اذ خلقتهم
وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على ان الافعال لا تعلل
الله كقوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وامثاله ومنها قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وقوله
تعالى ويفعل الله ما يشاء وقوله تحكم ما يريد فان قيل لما الحكمة في انه لم يذكر الملائكة مع انهم
من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون
وقال تعالى لا يستنكفون ومن عبادته اجيب بوجوه احدها ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله
الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالانس والجن لان الكفر هو جود فيهما دون الملائكة
ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بها فذكر
به وهو كون الخلق للعبادة وخصص امته بالذكر اي ذكر الانس والجن ثالثها ان عباد الاصنام
كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله
وخلقهم لعبادته ونحن لنزولنا رتبتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله
تعالى كما قالوا وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المنازع فيه رابعها فعل الجن يتناول
الملائكة لان افضل الجن من الاستثناء وهم مشتركون في اصل الخلق فذكر الجن ليدخل الملائكة فيهم
ولما حصر سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى ما اريد منهم اي
في وقت من الاوقات بهم في النفي بقوله تعالى من رزق اي مثل من الاشياء على وجه ينفعني
من جلب او دفع لاني منزه عن كل ما فيه نفع او ضر كما تفعل غيري من الموالي مع عبيدهم فان
ملاك العبيد انما ملكوهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وارزاقهم فاما انا فمن عبادي ان يسعى
لي ربحا او من يشتغل فلاحة ليقتل لي ضأنا او يسلخ لي بقرة ليشبع بلحمها او يخيط او يحتش
او يستقي او يطابخ او يخابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي يتصرف في اسبابها العبيد
وابواب الرزق لاني الغني المطلق وكل شيء مفتقر الي وما اريد ان يطعمون اي ان
يرزقوني فاخاطبهم بقولي رزقا خاصا فهو الاطعام وفيه تعريض بما يصنعون فانهم كانوا يطعمون معها
ما ينفعها ويحضرون لها الماكل فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك
عن عبادتها وقيل لانه حذف مضافا يعني ما اريد ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند
الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال الله فقد اطعمه كما صح في الحديث

عن ابي

عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال
يا رب اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما تعلم انك لو عدته
لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين
قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم
استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي
فلان فلم تسقه اما انك لو اسقيته لوجدت ذلك عندي فان قيل ما الفايدة في تكرير
الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه اجيب بان السيد قد يطلب
من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغني به عن التكسب لكنه يطلب
من العبد قضاء حوايجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا هذا وقدم طلب
الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الادنى الى الاعلا فان قيل ما فايدة تخصيص
الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم اجيب بانه لما عمم النفي في الطلب الاول
بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفي الادنى لسبقه نفي الاعلى بطريق الاولى
فكانه قال ما اريد منهم من غنى ولا عمل فان قيل المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري
العبد لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة اجيب بان عموم قوله
تعالى ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين تعالى انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قايل
ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوايب النقص هو اي لا غيره الرزاق
اي على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت ذو القوة اي التي لا تزول بوجه المتين اي الشديد
الدايم فان قيل لم لم يقل اني راق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله هو الرزاق
فما الحكمة اجيب بان المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم
الى الغيبة او يكون قل مضمرا عند قوله تعالى ما اريد منهم اي قل يا اشرف الخلق ما اريد منهم
من رزق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة
الرزق وهو عدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذا القوة لا يدل الا على ان له قوة ما
فزاد في الوصف المتانة وهو الذي له ثبات لا يتزلزل والمعنى في وصفه سبحانه بالقوة
والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شي ولما اقسم سبحانه على الصدق في وعيدهم
الى ان ختم بقوته التي لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى مؤكدا لاجل
انكارهم فان للذين ظلموا اي اوقعوا الاشيا في غير مواقعها ذنوبا اي نصيبا من العذاب
طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب مثل ذنوب اصحابهم اي الذين تقدم ظلمهم بتكذيب
الرسل من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة الممتلوة ماء وفي الحديث
فاتي بذنوب من ماء فان لم يكن ملا فهي دلو ثم عبر به عن النصيب قال عمرو بن شاس وفي كل
حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبه قال الزمخشري
وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر

لنا ذنوب ولكم ذنوب ۞ فان ابيتم فلنا الغليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى مراعى الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس
الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب اي طويل الشر

استعارة من ذلك ويجمع في القلة على اذنبة وفي الكثرة على ذنايب فلا تستعجلون اي تطلبوا ان اتيهم
به قبل اوانه الاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وانا متعال عن ذلك لا اخاف الفوت
ولا يلحقني عجز ولا اوصف به ولا بد ان اوقعه بهم في الوقت الذي قضيت به في الازل فانه احق
الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم فويل اي شدة عذاب للذين كفروا اي ستروا ما ظهر
من هذه الادلة التي لا يسع عاقل انكارها من يومهم الذي يوعدون اضافه اليهم
لانه خاص بهم دون المومنين وهو يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العايد
لاستكمال شروطه اي يوعدونه وقرا حمزة والكسائي في الوصل بضم الها والميم وابو عمرو
بكسر الها والميم والباقون بكسر الها وضم الميم واما الوقف عليها فالجميع بكسر الها والميم
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والذاريات
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا حديث موضوع
سورة والطور مكية وهي تسع واربعون اية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف
وخمسمائة حرف بسم الله الملك الاعظم ذي الملك والملكوت الرحمن الذي عم خلقه بالرحموت
الرحيم الحي الذي لا يموت وقوله تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع
والواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذي كلم
الله تعالى عليه موسى عليه السلام وهو بمدين اقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذي قال
الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس تنبيه مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث
الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب في قوله تعالى وكتاب مسطور اي متفق
الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة هو كتاب موسى عليه
السلام وهو التورية وقيل القران وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحايف اعمال الخلق
قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى في رق متعلق
بمسطور اي مكتوب في رق والرق الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب
فيه شبه كاغد فهو اعم من كونه جلدا وغيره منشور اي مبسوط مهيا للقراة وقوله
تعالى والبيت المعمور مختلف في مكانه فقيل في السما العليا تحت العرش وقيل
في السما الثالثة وقيل السادسة وعلى كل قول هو بحيال الكعبة يقال له الضراح
حرمته في السما كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة يطوفون
به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطايفين به من الملايكة
وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معمورا بالحجاج والعمار والمجاورين وقيل اللام في البيت
المعمور لتعريف الجنس كانه تعالى اقسم بالبيوت المعمورة والعماير المشهورة وقوله تعالى
والسقف المرفوع مختلف فيه ايضا فالاكثر على انه السما كما قال تعالى وجعلنا السما سقفا
محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس
وقوله تعالى والبحر المسجور من الاضداد يقال بحر مسجور اي مملو وبحر مسجور اي فارغ
وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس انه قال خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض
مسجور اي فارغ ويويد هذا ان البحار يذهب ماوها يوم القيمة وقيل المسجور
الممسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي يعني
اي بالمسجور الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روي انه تعالى يجعل

سورة والطور مكية

البحار

البحار كلها يوم القيمة نارا فيراد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن علي انه سال يهوديا
اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا
فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع ابن انس المختلط العذب بالملح وروى
الضحاك عن المنزال بن سمرة عن علي انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمره كما
بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه
بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل فان قيل ما الحكمة
في القسم بهذه الثلاثة اشيا اجيب بان هذه الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور
والبحر المسجور كانت لثلاثة انبيا للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى
اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام وخاطب الله سبحانه وتعالى هناك واما البيت
المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس
يونس عليه السلام ونادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت
هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فلان الانبيا
كان لهم في هذه الاماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب تنبيه اقسم تعالى في بعض
السور بالجموع كقوله تعالى والذاريات والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله
تعالى والطور ولم يقل والاطوار والابحار قال الرازي والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم
عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هي متبدلة بافرادها مستمرة
بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة
الى النوع المستمر لا الى المفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد
من الجبال دايم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله والنجم ولو قال والريح
لما علم المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى ان عذاب ربك اي الذي تولى تربيتك لواقع
اي ثابت نازل بمستحقه جواب القسم كما مر ما له من دافع اي مانع لانه لا شريك لموقعه لما دلت
عليه هذه الاقسام من كمال قدرته وجلال حكمته قال جبير بن مطعم قدمت المدينة
لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه
المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ فاسلمت خوفا من العذاب
وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع في العذاب ثم بين تعالى انه متى يقع بقوله
تعالى يوم تمور السما اي تتحرك وتضطرب وتجي وتذهب وتدور دوران الرحى ويموج
بعضها في بعض وتتكفا باهلها تكفو السفينة وتختلف اجزاوها بعضها في بعض قال
البغوي والمور مجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والمجي والتردد والدوران
والاضطراب قال الرازي وقيل تجي وتذهب كالدخان وتضمحل مورا اي اضطرابا شديدا وتسير
الجبال اي تنتقل من امكنتها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله تعالى سيرا فتصير
هبا منثورا وتكون الارض قاعا صفصفا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى فويل
اي شدة عذاب يومئذ اي يوم اذ يكون ما تقدم ذكره للمكذبين اي الفريقين في التكذيب

للرسل الذين يقعون اي من بين الناس بظواهرهم وبواطنهم في خوض اي اقوالهم وافعالهم اعمالهم الخائض في الماء هو لا يدري اين يضع رجله يلعبون فاجتمع عليهم انهم وجبان للباطل الخوض واللعب فهم بحيث لا انكار ينفع لهم قولا ولا فعلا في موضعه فلا يوشش على بيان الحجة قال قتيل اهل الكبائر لا يكذبون فمقتضى ذلك انهم لا يعذبون اجيب بان ذلك العذاب لا ينفع على اهل الكبائر لقوله تعالى كما انفي فيها افوج صالهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا قلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فالوبال انما هو للمكذبين وقوله تعالى يوم يدعون بدل من يوم يقولون اي يوم يدعون اي يدفعون دفعا عنيفا لخفوة وغلظة من كل من يتقيه الله تعالى لذلك ذاهبين وقيل الى نار جهنم وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة واكد المعنى وحققه بقوله تعالى دعا قال البغوي وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم مقولا لهم تبكيتا وتوبيخا هذه النار اي الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الناعل على اللعب التي كنتم بها في الدنيا تكذبون على التجرد والاستمرار وقوله تعالى افسحر خبر مقدم وقوله تعالى هذا هو المبتدأ وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي الابصار بالسحر وان الملائكة في الغار وامثال السحر فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا اي الذي انتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذي تصلون منه ام انتم في منام ونحوه لا تبصرون بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في اكنة ولا نعي كما كنتم تقولون للمنذرين بيننا وبينك حجاب فاعملوا انا عاملون اصلوها اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم انها ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فقاسوا شدتها فاصبروا على هذا الذي لا طاقة لكم به او لا تصبروا فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الصبر والجزع فان صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجبا كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ولما ذكر ما للمعذبين من العذاب اتبعه ما لاضدادهم من الثواب فقال تعالى ان المتقين اي الذين ممارسة التقوى لهم صفة راسخة وشيمة اي يسابين انية بساتين اي في الدنيا حكما وفي الآخرة حقيقة وعيونا اثنتا نعيم في العاجل معنى لما لهم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق التنعم بقوله تعالى فاكهين اي متلذذين من معجبين بما عندهم اتاهم اي اعطاهم ربهم الذي تولى تربيتهم بتعليمهم بالطاعات الى ان وصلهم الى هذا النعيم ووقاهم اي قبل ذلك ربهم اي المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصي والمفاسد وزادهم عذاب الجحيم اي النار الشديدة التوقد لما كان من شأن النعمة وجانب التنعم ومنها عطف قال منوحا ذلك على تقدير القول كلوا اي اكلا هنيا واشربوا اي شربا هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه فكلما ما تتنا ولذة ما تعون العاقبة من التخمة والسقم وغيرهما اي بسبب ما كنتم اي كونا راسخا تعملون اي تجددون له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم ينبه على انهم مع هذا النعيم مخدومون بقوله تعالى متكئين اي مستندين استنادا راحة لانهم مخدومون على الاحلة لهم الى الحركة على سرر مصفوفة اي مضمومة واحدا الى جنب واحد مسنونة كأنها التطور على احسن نظام وابدعه تنبيه على تمام سرورهم بالتمتع بقوله تعالى وزوجناهم اي يترويجا

يليق بالنساء من العظمة اى صيرناهن معتنيات بحور اى نساءهن فى شدة بياض العين وسوادها
واستدارة حدقتها ورقة جفونها فى غاية لا توصف عين اى واسعات الاعين فى رونق
وحسن تنبيه اعلم انه تعالى بين اسباب التمتع على الترتيب فاول ما يكون المنزل وفرش
الخيام ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه امور اربعة ذكرها الله تعالى
على الترتيب وذكر فى كل واحد منها ما يدل على كماله بقوله جنات اشارة الى المنزل وقال
فاكهين اشارة الى عدم التنغيص وعلو المرتبة لكونه مما اتاهم الله وقال كلوا واشربوا
هنيا اى مامونى العاقبة وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تتويعهما وكثرتهما
وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى انه تعالى يقول انى بيع كوني بكم وخالتكم وادخلكم
الجنة بمحض فضلى فلا منة لى عليكم اليوم وانما منتى عليكم كما كنتم فى الدنيا هديتكم ووافقتكم
للاعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وامامنة فلا منة عليكم
لان هذا انجاز الوعد وقوله والذين امنوا اى اقروا بالايمان وادام يتابعوا فى الاعمال
الصالحة مبتدا وقرا ابو عمرو واتبعتهم اى بمان من الفضل الناشئ عما نالت من العظمة
بقطع العرق وسكون التاء الفوقية وسكون النون وبعد العين بواو مفتوحة بعدها
الف والباقون بهمزة وصل بعدها فوقية وتشديد التاء الفوقية وفتح العين وبعدها
تاء فوقية ساكنة وهو مقطوف على امنوا ذرياتهم اى الصغار والكبار فالكبار بايمانهم
بانفسهم والصغار بايمانا بهم فان المولد الصغير يحكم باسلام تبعا لاحد ابويه بايمان
اى بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان فى ادنى درجات الايمان وكلفهم بسط عملية الى آخر ما نوا
وذلك بشرط ابنائهم الذريات قال القاضى ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان
الذرية جعفنقة ان كانوا كبارا وحكما ان كانوا صغارا لم اخبر عن الوصول المتعدى بنفسه
تعالى الحقنا بهم تفضلا منا عليهم ذرياتهم والم يكن للذرية اعمال لانه لغرض بخارى
الله عن وتكرم والذريات هنا تضاف الى الاباء وعلى الابناء وان المومن اذا كان عمله
اكثر الحق به من دونه فى العمل ابناء كانوا اوابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق
بالذرية من النسب الذرية بالتبنى وهو الحقة فان كان معها اخذ لعمله وعمل كانت
احدى منكوحة ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب فى جواب من سال عمن يحبه القوم والم يلحق بهم وقرا ذرياتهم بالجمع
والحقنا بهم ذرياتهم نافع بالعكس الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرا ابن كثير
وابو بكر فيهما بالعكس مع ضم التاء وقرا ابو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرا ابن عامر
بالجمع فيهما الا انه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية فان قيل قوله تعالى انعامهم
ذرياتهم بعيد فائدة فقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم اجيب بان قوله تعالى الحقنا بهم اى
فى الدرجات والاتباع انما هو فى حكم الايمان وان لم يبلغوه كما مر اشارة الى عدم تقصان
المتبوع بقوله تعالى وما التناهم اى نقصنا المتبوع من عملهم واكد النفى بقوله تعالى
من شىء اى بسبب هذا الالحاق والمراد بنى اتباع الادنى لكلا على فى الخبرين ان الادنى لا يتبع
الاعلى فى الشر بقوله تعالى كل امرئ اى من الذين امنوا والمتقين وغيرهم بما كسب اى عمل
من خير او شر رهين اى مرهون موخذ بالشر ومجازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر
بما عمل من الشرك مرتهن فى النار والمومن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت

رهينة الا اصحاب اليمين وقال الواحدي يعود الى ذكر اهل النار وهو قول مجاهد ايضا قال الرازي وفيه
وجه اخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن
اي دايم ان احسن ففي الجنة مويدا وان اسا ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال
بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الاخرة دوام الاعيان
بدوام الاعمال فان الله تعالى يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات
وما عند الله باق والباقي يبقى مع عمله وامددناهم اي الذين امنوا والمتقين ومن الحق
بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة بفاكهة وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت
الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان كان عيش الجنة بجميع الاشيا تفكها ليس فيه
شي يقصد به حفظ البدن قال تعالى ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان والمعنى
زدناهم ماكولا ومشروبا فالماكول الفاكهة واللحم والمشروب الكاس وفي هذا لطيفة
وهي انه تعالى لما قال وما التناهم ونفي النقصان يصدق بحصول المساوي فقال ليس
عدم النقصان بالاقتصار على التساوي بل بالزيادة والامداد وقوله تعالى يتنازعون
في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستانفا وقوله تعالى
فيها يجوز ان يعود الضمير لشربها وان يعود للجنة ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل
ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه
نوع لذة لانهم يعقلون ذلك وجلساوهم من اقربايهم واخوانهم كاسا اي خمرا من رقة
حاشيتها وان لا ترى في كاسها لا لغو اي لا سقط الحديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر
فيها اي في تنازعها ولا بسببها لانها لا تذهب بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل
بخلاف المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا تاثيم اي لا يكون
منهم ما يوثمهم وقال الزجاج لا يجري منهم ما يلقى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا لشربة
الخمر قال الرازي ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقيل لا ياثمون في شرعنا
وقرا ابن كثير وابو عمرو بنصب لغو ولا تاثيم من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما
مع التنوين ولما كانت المعاطات لا يكمل بسطها ويعظم انسها الا بخدم وسعاه
قال تعالى ويطوف عليهم بالكووس وغيرها من انواع التحيز غلمان اي ارقا ولما كان
احب ما الى الانسان ما يختص به قال تعالى لهم ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن انهم الذين
كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم احدا في الدنيا بقول او فعل ان يكون
خادما له في الجنة فيجزى بكونه لا يزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له
خدما لم يعرفهم قبل ذلك كانهم في بياضهم وشدة صفايهم لؤلؤ مكنون اي مخزون
مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف لانه فيها احسن منه في غيرها
او مصون في الجنة لم تغيره العوارض قال عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى
عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم واما المخدوم فروي
عن الحسن انه لما تلى هذه الاية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللولو المكنون فكيف المخدوم
قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك
لبيك وقرا السوسي وشعبة لولو بالبدل والباقون بالهمز واقبل بعضهم لما ازدهاهم

من السرور

من السرور واللذة والحبور **على سرر** يتحدثون اى يتسائل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن
عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف فى الدنيا **قالوا** اى قال كل منهم **انا كنا قبل**
اى فى دار العمل **فى اهلنا** اى مما لهم من العدد والعدد والشفقة ولنا يفهم من حوالب اللذة
والداعى الى اللعب **مشفقين** اى عريقين فى الخوف من الله تعالى لا يأمنا عذابه نشأ مع
لزومنا لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء
والكمال حق قدره والمعنى انهم يسألون عن سبب ما وصلوا اليه تلذذا واعترافا
بالنعمة فيقولون ذلك خشية الله اى كنا نخاف ان لا **نمن الله** الذى له جميع الكمال **بسبب**
الشفاقتنا منه **علينا** بالرحمة والتوفيق **ووقانا** اى وجنبنا بما ستر نا به **عذاب السموم**
قال الكلبى عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم والسموم فى الاصل الريح الحارة
التى تتخلل المسام والجمع سمائم يقال يوم سموم اى يشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر
وشدة البرد فى النهار وقاله ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل
وقد يكون بالنهار **انا** اى بما طبعنا عليه ولهمنا الرشد **من قبل** اى فى الدنيا **ندعوه** اى
نسأله ونعبده بالعقل واما خوفنا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكون **انه هو البر** اى
اياه موحدين لانا نعامله على تقصيرهم مما لا يكاد ينفك عنه فهو مما يعجب منه غاية
العجب بقولهم **انه هو** اى وحده وقرا نافع والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها **البر** اى
الواسع الجواد الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطاء ولا يزيده منع فهو يبر
عبده المؤمن بما يوافق نفعه فى مباشرته بالنعمة ومباشرته بالبؤس فهو يختار له من الاحوال
ما هو خير له ليوسع له البر فى العقبى فعلى المؤمن ان لا ينهم ربه فى شئ من قضايه **الرحيم**
اى للمؤمن لمن اراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر فى حمده
ولما بين تعالى ان فى الوجود قوما ينجاهون الله ويستغفرون فى اعلامهم والنبى صلى الله عليه
وسلم مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى بقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب
التذكير فلذلك قال تعالى **فذكر** اى عظ يا اشرف الخلق بالقرآن ودم على ذكرهم لا يرجع
عنه لقول المشركين لك **ما انت بنعمة ربك** اى بسببها **بكاهن** اى بمخبر عن المغيبات
ولا بمجنون كما هم يجنون **ولا بمجنون** اى بسببها **ام** منقطعة **يقولون** اى بل اتقولون
كلاما مع كونه تنحطه منكم لفاكرة وقارع ويحكم على الغيبات من غير وحى **شاعر** اى بل
كلاما لا انتظام له فنربص الاخبار بعض الغيبات فلا تترك قولهم هذا عن التذكير فانه
قول باطل لا يلتفت اليه مرة اصلا وهما قليل يكون عبثا لهم لا يغسله عنهم الا انباءهم لك
فحينئذ يتمكن منهم غسل عار ومن اشتهر على عباده اشتهر نبأه وخسارة تتبيته من اشتهر
الا انه فى الدين افتشموا اعقاما مكة مرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون
والشعر **نتربص** اى هو الا فتشموا **ريب المنون** اى هو شاعر قال الخليل كل ما فى سورة
والطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقاء ام فى هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف
فى المنقطعة هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثانى وقال مجاهد فى قوله تعالى امرهم
تقديره بل تامرهم **نتربص** اى ننتظر به **ريب المنون** اى حوادث الدهر وتقلبات الزمان

لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

• • • •

اى تكلف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام
بعضهم بالعلم ومعرفة جزاين من الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزون عن مثله
بل عن مثل شئ منه تنبيه التقول تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب وهذا ايضا
متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر يقدير كاهن زعم ام يقولون شاعر ام يقولون
بقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون بالقرآن استئناف انم انهم لعجزهم
وابطال جميع الاقسام فعالهم عز من قايل فليأتوا اى على اى تقدير اراد وه
بحديث اى كلام مفرق محدث اتيانه مع الازمان مثله اى القرآن فى البلاغة
وصحة المعانى والاخبار بالغيبات مما كان او يكون على ما ياتى عليه لا يكلفهم ان ياتوا
به جملة فان قيل الصفة تتبع الموصوف فى التعريف والتنكير والتوصوف هنا حديث
وهو منكر ومثله مضاف الى القرآن وهو مضاف الى القرآن معرف فكيف هذا اجيب
بان مثل وغير لا يتعرفان بالاضافة وذلك ان غير ومثله وامثالهما فى غاية التنكير
لانك اذا قلت مثل زيد ينتا ولكل شئ فان كل شئ مثل زيد فى شئ ما الجماد مثله فى الجسم
والحيوان والامكان والنبات مثله فى النشو والنما والذبول والفنا والحيوان مثله
فى الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند
قطع الاضافة ربما يتعرف ذلك اذا قلت غير زيد صار فى غاية الابهام فانه يتناول
امور الا حصر لها واما اذا قطعت غير عن الاضافة فقد يراد بها كون الغير والمغايرة
من باب واحد وكذلك التعرف فتحمل الغير كاسما الاجناس وتجعله مبتدا وتريد به
شيئا معينا تنبيه قالت المعتزلة لما حدث محدث والقرآن سماه حديثا فيلزم
محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشارك يقال للمحدث والمنقول وهذا يصح ان يقال
هذا حديث قديم اى متقادم العهد لا معنى بسبب الاولية وذلك لا نزاع فيه قال
الرازى والظاهر ان الامر هنا على حقيقته لانه لم ينقل انهم طلبوا منه ذلك تعالى
ايكونوا هم السخون فيه صادقين اى فى انه يقوله من عند نفسه كما يزعمون
فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط جاء به واما التعجيز لقوله
تعالى فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر وفى هذا
نشنيع عليهم سواء ادعوا انه مجنون ام شاعر ام كاهن ام غير ذلك لان العادة تحيل
ان ياتى واحد من قومه وهو مثلهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشئ
الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما ياتى به فانه صلى الله عليه
وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر
ومخالطة العلما ومناولة الخطب والرسايل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه
الا بتاييد الاهى وهو المراد من تكذيبهم ام خلقوا اى وقع خلقهم على هذه الكيفية
المتقنة من غير شئ اى خالق خلقهم فوجدوا ولا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون
لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان الذى والخالق لم يجز ان يوجدوا ولا
خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك فى البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق
فاذا ابطل الوجهان قامت الحجة عليهم بانهم خالقا وهو الله تعالى فلم لا يوحدونه
ويؤمنون برسوله ويكتابه وقال الزجاج معناه اخلقوا باطلا لا يحيا ستون

ما التعجيز العالم وهذا
امر تعجيزى

ولا يؤمنون وقال ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القايل
فعلت كذا وكذا من غير شيء اي لغير شيء ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل
معناه اخلقوا من غير اب وام تنبيه لا خلاف ان ام هنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين
على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كانه يقول اخلقوا من غير شيء
قال الرازي ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام الذي يقع في اثنا الكلام وتقديره
اخلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا اي على وجه الشركة السموات والارض فهم بذلك عالمون
بما فيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا انك تقولته ليصير لهم رده والتهكم عليه بل لا يوقنون
فهم بذلك عالمون بما فيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى اي ليس لهم نوع يقين والا لامنوا
برسوله وكتابه ام عندهم اي خاصة دون غيرهم خزاين ربك اي المحسن اليك بارسالك
فيعلموا ان هذا الذي اتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم انك تقولته
ام هم اي لا غيرهم المسيطرون اي الرقبا الحافظون والمتسلطون الجبارون الروسا
الحكام الكتبة ليكونوا ضابطين الاشيا كلها كما هو شان كتاب السر عند الملوك فيعلموا
انك تقولت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك ام لهم سلم يصعدون به الى السما يستمعون
اي يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها فيه اي صاعدين في ذلك السلم الى كلام الملايكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب يعلموا ما هو كاين فليات مستمعهم اي مدعي الاستماع
بسلطان مبين اي بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم لزعمهم ان الملايكة
بنات الله قال الله تعالى ام له البنات اي بزعمكم ولكم البنون اي خاصة لتكونوا اقوى
منه فتكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا امنين
من عذاب ياتيكم منه لضعفه وقوتكم ام تسالهم اي ايها الطاهر الشيم البعيد
عن مواقع التهم اجرا على ابلاغ ما اتيتهم به فهم من مغرم اي غرم لك ولو قل والمغرم التزام
ما لا يجب مثقلون فهم لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا
مما جره لهم من الثقل ام عندهم اي خاصة بهم الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون
اي يجددون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك
فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبونك الى ما نسبوك اليه مما لا يعلم كل احد
نزاهتك عنه وبعدك منه وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام في الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد
نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم يريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما معينا ام يريدون
اي بهذا القول الذي يرومونك به كيدا اي مكرا وضررا عظيما ليهلكوك فالذين كفروا
وكان الاصل فهم ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف هم اي خاصة المكيدون
اي المغلوبون المهلكون فانهم مكروا به في دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم
اهلكهم ببدر عند انتها سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهي خمس عشرة مرة
لان بدرا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله
تعالى فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الى هلاكهم بامور خارقة للعادة فلو كانت
لهم بصاير لكفتهم في الهداية والرد عن الضلالة والغواية ام لهم اله يمنعهم من التصديق
بكتابنا او يستندون اليه للامان من عذابنا غير الله الذي احاط بجميع صفات

الكمال

الكمال سبحان الله الملك الاعظم الذي تعالى عن ان يرا في جنابه شايبة نقص عما يشركون
من الاصنام وغيرها تنبيه الاستفهام بام في مواضعها للتقبيح والتوبيخ ولما بين تعالى
فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انه لم يبق لهم عذر فان الايات والحجج قد ظهرت ولم
يومنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى وان يروا اي معاينة كسفا
اي قطعة وقيل قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر من السما جهارا نهارا
ساقطا يقولوا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السما تقول لو عذبناهم بسقوط
قطعة من السما عليهم لم ينتهوا عن قولهم ويقولون لمعاندتهم هذا سحاب فان قيل
لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا مركوم اي مركب بعضه على بعض
فتلبد وتصلب وقوله تعالى فذرهم اي اتركهم على سر احوالهم كقوله تعالى فاعرض
عنهم وقوله تعالى وتول عنهم الى غير ذلك فقيل كانها منسوخة باية القتال قال
ابن عادل وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن يصحبه
دعه فانه سينال خيانته حتى يلاقوا يومهم الذي فيه اي لا في غيره لان ما حكمنا به
لا يتقدم ولا يتاخر يصعقون اي يموتون من شدة الاهوال وعظيم الزلزال كما صعق
بنوا اسرايل في الطور ولكن لا نعيمهم كما اقمنا اوليك الا عند النفخ في الصور ليحشرهم
للحساب الذي يكذبون به قال البقاعي والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا
قاطعين بالنصر فيه فما اغنى احد منهم عن احد شيا كما قال ابو سفيان بن الحرث ما هو
الا انا لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاوا ويأسروننا كيف شاوا وقوله
تعالى يوم لا يغني اي بوجه من الوجوه بدل من يومهم عنهم كيدهم الذي يرومونه
بهذه الاقوال المتناقضة شيا اي من الاغنا في دفع شي يكرهونه من الموت ولا غيره
كما يظنون انه يغني عنهم في غير ذلك من احوال هذه الدار ولا هم ينصرون اي يتجدد
لهم نصر من احد ما في ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى وان للذين ظلموا
يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موضع المضمر وان لا يكون والمعنى وان للذين اوقعوا
الاشيا في غير مواقعها كما يقولونه في القران ويفعلونه من العصيان ويعتقدونه
من الشرك والبهتان عذابا دون ذلك اي غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس
يعني القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال ابن عمار
عذاب القبر والاية تحتمل هذه المعاني كلها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب
نازل بهم واصبر اي اوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما انت عليه من اداء الرسالة
لحكم ربك اي المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده لم يكن شي منه فهو احسان
منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله تعالى مولدا
لما يغلب على الطبع البشري في بعض اوقات الامتحان من نوع نسيان فانك باعيننا
اي بمرامنا نراك ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها وهي ظاهرة
في الجمع واشارة الى انه محفوظ بالجنود الذين رويتهم من رويته سبحانه وسبح
ملتبسا بحمد ربك اي المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فلا يكون
في ملكه ما لا يريد ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطا
اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت

احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة
لما بينهما وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك
والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله تعالى باللسان حين يقوم من الفراش
الى ان يدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سالت عائشة باي شي كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد
الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني
ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لامر ما ومن الليل اي الذي هو
محل السكون والراحة فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء
وادبار النجوم اي صل الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب
فهو الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلاة الصبح وهذه
الاية نظير قوله سبحانه تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم
الكلام عليها قال الرازي قال تعالى هنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار السجود
فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى
والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السما وقيل النجم ما لا ساق له من النبات
قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض الاية او المراد من النجوم الوظايف
وكل وظيفة نجم في اللغة اذا فرغت من وظايف الصلاة فقل سبحان الله كما مر
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
والطور كان حقا على الله ان يومنه من عذابه وان ينعمه في جنته حديث موضوع
سورة والنجم مكية ثنتان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة
وخمسة احرف بسم الله الذي احاط بصفات الكمال الرحمن الذي عم الموجودات بصفة
الجمال الرحيم الذي خص اهل وده بصالح الاعمال والنجم اذا هوى قال ابن عباس
في رواية العوفي يعني الثريا اذا غابت وسقطت وهويت مغيبة والعرب
تسمي الثريا نجما وجا في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهات
شي الا رفع واراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هو نجم السما كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه
الجمع يسمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع
وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرجم به الشياطين عند استراقهم السمع وقال
ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القران سمي نجما
لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة ويسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن
عباس في رواية عطا وقول الكلبي والهوي النزول من اعلى الى اسفل وقال الاخفش
النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه
على الارض وقال جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السما ليلة المعراج
والهوي النزول يقال هوى يهوي هويا والكلام في قوله تعالى والنجم كالكلام في قوله
تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات

كما مر

كما مر تنبيه اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها فانه تعالى قال في آخر تلك وادبار النجوم
وقال تعالى في اول هذه والنجم اذا هوى قال الرازي والفائدة في تقييد القسم به وقت هويه
انه اذا كان في وسط السما يكون بعيدا عن الارض لا يهتدي به السارى لانه لا يعلم به المشرق
من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا نزل عن وسط السما تبين بنزوله جانب المغرب
عن المشرق والجنوب عن الشمال وقوله تعالى ما ضل اي عن طريق الهداية صاحبكم
محمد صلى الله عليه وسلم وقتا من الاوقات جواب القسم وعبر بالصحبة لانها مع كونها
ادل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومقبحة عليهم اتهامه في انذاره وهم يعرفون
طهارة شمايله وما غوى اي وما مال ادنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس من اسباب
غواية الشياطين وغيرها تنبيه الغي جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف الضلال وذهب
اكثر المفسرين الى ان الضلال والغي بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة
الهوى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي قال الرازي وتحقيق القول
فيه ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غي فايدة
قد دافع الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما بقية الانبيا فدافعوا
عن انفسهم ليس في ضلالة ليس في سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري فان قيل كيف الجمع بين
قوله تعالى ما ضل صاحبكم وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اجيب بان المراد من الاية
الانية وجدك ضالا عما انت عليه الان من الشريعة فهداك اليها بخلاف هذه الاية
وما ينطق اي يجاوز نطقه فمه في وقت من الاوقات لا في هذا الحال ولا في الاستقبال
نطقا ناشيا عن الهوى اي عن امره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعرا وغيرهم
وما يقول هذا القران من عند نفسه ان اي ما هو اي الذي يتكلم به من القران وكل اقواله
وافعاله واحواله الا وحي اي من الله تعالى واكده بقوله تعالى يوحى اي يجدد اليه ايحاوه منا
وقتا بعد وقت تنبيه استدل بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبيا واجيب بان الله تعالى
اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى
علمه اي صاحبكم الوحي الذي اتاكم به ملك شديد القوى فلا تعجبوا من هذه
البحار الزاخرة فان معلمه بهذه الصفة التي هي بها بحيث ينفذ كل ما امره الله
تعالى وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابدا الخوارق روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبيا وصعوده في اوحى من رجفة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى
على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه في اقصى جبل الهند
ذو مرة قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال اكثر المفسرين ذو قوة وقدرة عظيمة
على الذهاب فيما امر به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج غلبت
عليه الحدة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقة واحدة على غاية من الشدة
لا يوصف لا التفات له بوجه الى غير ما امر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشان شديد
الشكيمة لا يسام في شي يزاوله ومن جملتها اعطي من القوة القدرة على التشكل والى ذلك
اشار بما سيجي عن هذا من قوله تعالى فاستوى اي فاستقام واعتدل بغاية ما يكون
من قوته على اكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها وهو اي والحال ان جبريل عليه السلام

BULAC

بالافق الاعلى اي عند مطلع الشمس وذلك لان جبريل عليه السلام كان ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا عليهم السلام قبله فسأله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فاراه
نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى
والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان بحرا وكان جبريل
واعده ان ياتيه وهو بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب
فخر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين
ثم دنى اي قرب منه فتدلى زاد في القرب فكان منه قاب اي قدر قوسين اي عربيتين
او ادنى من ذلك وضمه الى نفسه حتى افاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه
واما في السما فعند سدرة المنتهى ولم ير احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير
محمد صلى الله عليه وسلم تنبيه القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار
وقد جا التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر
والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين في الحديث
لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط
ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر • وقد جعلتني من خزيمة اصبعا
فان قيل كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين اجيب بان تقديره فكان
مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي
في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا • اي ذا مقدار مسافة اصبع وروى
الشيباني قال سالت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا
عبد الله يعني ابن مسعود انه محمد صلى الله عليه وسلم راى جبريل له ستمائة جناح
وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال اخرون دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله
عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى ومعنى دنوه تعالى
تقرب منزله كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة
وهذا اشارة المعنى المجازي قال البغوي وروينا في قصة المعراج من مشرك
ابن عبد الله بن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل
من ربه وقد قدمت الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه
وسلم ربه في اول الاسرا وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز
وجل فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب
والقوس ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان
بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد
معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فيه
ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا الصفا والعهد خرجا بقوسيهما والصقا بينهما
يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله
ابن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير والقوس الذراع

يقاس

يقاس بها كل شيء او ادنى بل اقرب وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب
فاوحى الله تعالى وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس الى عبده اي جبريل عليه السلام ما اوحى
اي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشانه وهذا
التعبير ما جرى عليه الجلال المحلي وهو ظاهر وقيل فاوحى اي جبريل بسبب هذا
القرب وعقبه الى عبده اي عبد الله ما اوحى اي جبريل وقيل الضماير كلها لله
تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه
منه برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف في الموحى
على اقوال الاول قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما الى قوله تعالى ورفعنا لك
ذكرك الثاني اوحى اليه الصلاة الثالث ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وان امة
من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه مبهم لا يطلع عليه احد وتعبدنا به على الجملة
الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل ما كذب الفؤاد اي فؤاد النبي صلى الله عليه
وسلم ما راى اي ما راه ببصره من صورة جبريل عليه السلام وهذا ايضا ما جرى عليه
الجلال المحلي وقال البقاعي ما راى البصر اي حين رؤية البصر كان حاضر القلب لا انها رؤية
بصر فقط يمكن فيها الخلو عن حضور القلب وقال القشيري ما معناه ما كذب فؤاد محمد
صلى الله عليه وسلم ما راه ببصره على الوصف الذي علمه قبل اراه فكان علمه حق اليقين
وقرا هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف وقوله تعالى افتمارونه اي تجادلونه
وتغلبونه على ما يرى خطاب للمشركين المكذبين رؤية النبي لجبريل وهذا ما قاله ابن
مسعود وعايشة ومن قال ان المرئي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم
جعل بصره في فؤاده فراه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال راه بفؤاده مرتين ما كذب
الفؤاد ما راى وقال الحسن وعكرمة راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه وروى
عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة واصطفى
موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وكانت عايشة
تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحمل الرؤية على رؤية جبريل قال مسروق قلت
لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث
من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
ومن حدثك انه كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك الاية ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه وحاصل المسئلة ان الصحيح
ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات
وقد راجعه ابو عمرو فاخبره انه راه ولم يقدح في ذلك حديث عايشة لانها لم تخبر انها
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم ار وانما اعتمدت على الاستنباط
مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص
بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة واجيب عن احتجاجها بقوله تعالى

انس ومحمد

وما كان لبشر ان يكلمه الله الاية بانه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز
وجود الرؤية من غير كلام وبانه عام مخصوص بما تقدم من الادلة واما قوله صلى الله
عليه وسلم نور اني اراه فقال الماوردي الضمير في اراه عايد الى الله تعالى ومعناه هو
خالق النور المانع من رؤيته اي رؤية احاطة كامر اذ من المستحيل ان تكون ذات
الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك فان قيل هلا قيل
افتمارونه على ما راى بصيغة الماضي لانهم انما جادلوه حين اسري به فقالوا صف
لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وما الحكمة في ايراده
بصيغة المضارع اجيب بان التقدير افتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد راه
في السما فماذا تقولون فيه والواو في قوله تعالى ولقد راه يحتمل ان يكون عاطفة
ويحتمل ان يكون للحال اي كيف تجادلونه فيما راه وهو قد راه نزلة اخرى على وجه
لا شك فيه تنبيه قوله تعالى نزلة فعلة من النزول لجلسة من الجلوس فلا بد
من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير في راه عايد الى جبريل
اي راى جبريل نزلة اخرى اي راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما
مرة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السما عند
سدرة المنتهى قال الرازي ويحتمل ان تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني ان
الضمير عايد الى الله تعالى اي راى الله تعالى نزلة اخرى وهذا قول من قال في قوله تعالى
ما كذب الفواد ما راى هو الله تعالى وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه
بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان احدهما قول من يجوز على الله الحركة من غير
تشبيه ثانيهما ان نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث ان محمدا راى الله نزلة
اخرى والمراد من النزلة ضدها وهي الفرجة كانه قال راه فرجة اخرى قال ابن عباس
نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فرجات في تلك الليلة لمسيلة التخفيف
في الصلوات فيكون لكل فرجة نزلة فراى ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه وعلى ان المرئي
هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى ظرفا للراي كما اذا قال القايل
رايت الهلال فيقال له اين رايته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية
واما قول من قال بان الله تعالى في مكان فذلك باطل فان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام
فظاهر تنبيه اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها اضافة الشي الى مكانه
كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن كيسان
سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش
على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقيل
ينتهي اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهي اليها الملايكة والانبيا
وقال الربيع ينتهي اليها ارواح الشهدا وقال قتادة ينتهي اليها ارواح المومنين وثانيها
اضافة الملك الى مالكه كقوله دار زيد وشجر زيد وحينئذ المنتهى فيه محذوف تقديره
سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافة
السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال في التسبيح

يا غارية

يا غاية رغبتاه ويا منتهى املاه وثالثها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه
وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم فتلقى هناك قال البقاعي وذلك
والله اعلم ليلة الاسرى في السنة الثالثة عشر من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد ان ترقى
في معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما بينها من المسافات فانتهى
الى منتهى يسمع فيه صرير الاقلام وعظمها بقوله تعالى عندها اي السدرة جنة المأوى
اي الذي لا مأوى في الحقيقة غيره وهي الجنة التي وعد بها المتقون كقوله تعالى
دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها تكون ارواح المؤمنين الشهداء وقيل
هي جنة الملائكة وقوله تعالى اذ معمول لرأى اي رأى من آيات ربه الكبرى حين
يغشى السدرة وهي شجرة النبق وقوله تعالى ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا
فيما يغشاها فقيل فراش او جراد من ذهب وقول ابن عباس وابن مسعود والضحاك
قال الرازي وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا
وجه له قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وذلك قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى وقيل ملائكة تغشاها كانهم طيور يرتعون اليها متشوقين متبركين
بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروي في حديث المعراج عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا
ثمرها كقلال هجر فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله تعالى
يقدر ان ينعتها من حسنها واوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
وقيل تغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها
كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل
دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن
قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قال لان السدرة تختص
بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع
قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة الشبه
لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار وسئل ابو داود عن معنى
هذا الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل
والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار ثم اكد سبحانه
الرؤية وقررها بقوله تعالى ما زاغ اي ما مال ادنى ميل البصر اي الذي لا بصر لمخلوق
اكمل منه فاقصر عن النظر الى ما اذن له فيه ولا زاد وما طغى اي تجاوز الحد الى ما لم يؤذن
له فيه مع ان ذاك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت
له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على اتم قوانين العدل
واثبت ما رآه على حقيقته وكما هو قال السهروردي في اول الباب الثاني والثلاثين

BULAC

من عوارفه واخبر تعالى بحسن ادبه في الحضرة بهذه الاية وهذه غامضة من غوامض
الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه اللام في البصر تحتمل وجهين احدهما
المعروف اي ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل بان الغاشي للسدرة
هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده
فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان قيل ان الغاشي
انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل
بمطالعتها الثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر
وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد صلى الله عليه وسلم عليه وفي الثاني بيان قوته
الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظم
هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض
النفي تعم اجيب بان هذا مثل كقوله تعالى لا تدركه الابصار ولم يقل ولا يدركه بصر
ولما كانوا قد انكروا الاسرا انكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في تاكيده على وجه يعم
غيره فقال تعالى لقد راى اي ابصر ما اهلناه له من الرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا
الى البواطن غير مقتصر على الظواهر من ايات ربه اي المحسن اليه بما لم يصل اليه احد
قبله ولا يصل اليه احد بعده الكبرى اي العظام اي بعضها واختلف في ذلك البعض
فقيل جبريل عليه السلام راه في صورته له ستمائة جناح قال الرازي والظاهر ان هذه
الايات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن قد ورد في الاخبار ان لله ملائكة
اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال راى من ايات ربه هي اكبر الايات
وقيل راى رفرفا اخضر سد الافق وقيل اراد ما راى في تلك الليلة في مسيره وعوده
ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبيا عليهم الصلاة والسلام في السموات ولما قرر
تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدا به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك
فقوله تعالى افرايتم اللات والعزى اشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف
الملك ثم راه العقلا في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي
يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره فلذلك قال تعالى افرايتم
اللات والعزى اي كما هما فكيف تشركونهما بالله تعالى واللات صنم ثقيف
والعزى شجرة لغسان وهما اعظم اصنامهم اشتقوا لهما اسما من اسما الله تعالى
فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز وعن ابن
عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه
وعن مجاهد ان العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقال يا عز
كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعة ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قد قلعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت
فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتثت اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها
ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا

وقال

وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعيد بن ظالم الغطفاني وذلك انه لما قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة يطوفون بهما فعاد الى بطن نخلة وقال للقوم ما زال الاهل مكة الصفا والمروة وليبتا لكم ولهم الى بعيد دونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اضع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى بحرة وقال لهم اذا نحن فعلنا بالحجرين ما رايتموني فعلت بالحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة ونفت خالد ابن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد بنى بيت بالطائف كما تعبده فتحتفت واما قوله تعالى ومناة فقال قتادة هي صخرة كانت لخزاعة تعبدها وقالت عائشة في الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد بنيت بالمشلل تعبدها بنو الحارث وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبده اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة تعبدها وقوله تعالى الثالثة الاخرى نعت لمناة اذ هي الثالثة للصنمين في الذكر واما الاخرى فقال ابو البقاء تاكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت اخراهم اي وضعافهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولى والتقدم عندهم اللات والعزى انتهى قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على التاخر بقيد وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم وانما يتضح ما قاله الزمخشري بما ذكرته انتهى ووجه التزييف اللات كان وثنا على صورة ادمي والعزى شجرة وهي بنيات ومناة صخرة فهي جماد فهي في اخريات المراتب فظن قبح ما فاجاءه الفاء في قوله تعالى افرايتم وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون من دون الله ارايتم شركاءكم الذين تدعون ونبه تعالى بالاقدم على عظمته في ملكوته وان رسوله الى الرسل تبدا الافاق بعضرا جثته فيهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السرعة في مقام جلال الله وعزته قال افرايتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقب ما سمعتم من عظمة الله الكبرى وتفاوت امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى انظروا الى اللات والعزى يعلموا فساد ما ذهبتم اليه تنبيه مفعول ارايتم الاول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى اخبروني الهذه الاصنام قدرة على شيء فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقد ابن الشيء مناة بميم مفتوحة بعد الالف والباقون بغير ميم وما زعموا ايضا ان الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات بزلة الكم اي خاصة الذكر اي النوع الاعلى وله اي وحده الانثى اي النوع الاسفل تلك اي هذه القسمة البعيدة عن الصواب اذا اي اذ جعلتم البنات له والبنين لكم قسمة ضيزى اي جائرة ظالمة ناقصة فيها خسر للحق الى الغاية عوجاء غير مستقيمة حيث خصصتم به ما وصلتكم الكراهة له الى دفنه حيا بل كان ينبغي ان تجعلوا الاعظم للتعظيم والانقص للحقير فخالف العقل والنقل والعادة ان اي ما بني لهذه الاصنام الا اسماء اي لا حقائق لها فيما ادعيتم لها من الالهية لها من ذلك غير الاسم والدليل بقوله تعالى سميتموها اي ابتدعتم تسميتها بها فان قيل الاسماء اسمى وانا تسمى بها اجيب

بان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسما وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها
أنتم وآباؤكم اي لا غير ما أنزل الله اي الذي له جميع صفات الكمال بها اي باستحقاقها
للاسما ولا لما سميتموها به من الالهية واغرق في النفي فقال تعالى من سلطان اي حجة تصلح
سلطانا على ما يدعى فيها بل بمجرد الهوى لم يروا منها اية ولا كلمتكم قط كلمة تعتمدونها وعلى تقدير
ان تتكلم الشياطين على السنتها فاي طريقة قويمة شرعت لكم واي كلام صالح او بليغ برز
اليكم منها واي اية كبرى اريتكموها إن اي ما يتبعون اي في وقت من الاوقات في امر هذه
الاوثان بغاية جهدهم من انها الهة وانها تشفع لهم او تقربهم الى الله تعالى إلا الظن اي
وهو غاية امرهم لمن يحسن الظن بهم والظن ترجيح احد الجائزين على زعم الظان ولما كان
الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال تعالى وما تهوى الأنفس اي تشتهي
وهي لما لها من النقص لا تشتهي ابدا الا ما يهوي بها عن غاية اوجها الى اسفل حضيضها
واما المعالي وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال القشيري فاما الظن الجميل
بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عواقب الشخص عليه ليس من هذه الجملة
بسبيل انما الظن المعلول في الله تعالى وصفاته واحكامه انتهى ولهذا كان كثير
من الفقه ظنينا وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه انا عند ظن عبدي بي
ولقد اي العجب انهم يفعلون ذلك والحال انه قد جاءهم من ربهم المحسن اليهم الهدى على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع انها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح
الا لله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرا حمزة والكسائي في الوصل بضم
الهاء والميم وقرا ابو عمرو بكسرها والباقون بكسر الهاء وضم الميم أم للإنسان
اي لكل انسان منهم ما تمنى اي من اتباع ما يشتهي من جاه ومال وطول عمر ورفاهة
عيش ومن ان الاصنام تشفع له ليس الامر كذلك فلله اي الملك الاعظم وحده الآخرة
فهو لا يعطي ما فيها الا لمن تبع هداه وترك هواه والأولى اي الدنيا فهو لا يعطي
جميع الاماني فيها لاحد اصلا كما هو مشاهد ولكنه يعطي منها ما يشاء لمن يريد وليس
لاحد ان يتحكم عليه سبحانه في شيء منهما وكم من ملك اي كثير من الملائكة اي ممن يعبدهم
هؤلاء الكفار ودل على زيادة قربهم بشرف مسكنهم وهو قوله تعالى في السموات
اي وهم في الكرامة والزلفى لا تغني شفاعتهم اي عن احد من الناس شيئا ثم قصر الامر عليه ورده
بحذافيره اليه بقوله تعالى إلا من بعد أن يأذن اي يمكن ويريد الله اي الملك
الذي لا امر اصلا لاحد معه لمن يشاء من عباده من الملائكة او من الناس ان يشفع
ويرضى اي ويراه اهلا لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها لتشفع لهم إن الذين
لا يؤمنون اي لا يصدقون بالآخرة ولا يقرون بالبعث وغيره من احوال يوم القيامة
ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الأنثى بان سموه بنتا وذلك انهم كانوا
يقولون الملائكة وجدوا من الله فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم راوا في الملائكة
تا التانيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم
تسمية الاناث فان قيل كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت ويعتقدون
انه يحشر عليه اجيب بانهم كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا

شفعا

شفعا بدليل ما حكى الله تعالى عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وبانهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى ورد به الرسل فان قيل كيف قالوا تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث اجيب بان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الآى بما قبلها ومالهم اى الحامل لهم على ذلك بقولهم بما لا يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى اى ما لهم بالله تعالى من علم ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله تعالى ان اى ما يتبعون اى يقتفون من شهوة النفس فى ذلك وغيره الا الظن اى الذى يخطئ ويصيب وان اى والحال ان الظن اى ما يظن فى هذا وفى غيره ولذلك اظهر فى موضع الاضمار لانه اى لعنا مبتدا بما اى الامر الثابت فى نفس الامر الذى هو حقيقة بان يتحرى ويتأنى بحيث يكون الظن بتلك والظن انما يعتبر فى العمليات لا فى العلميات ولا سيما الاصولية منها اى من الاعتناء باحد من الخلق فانه لا يؤدى ابدا الى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الامر فهو ممنوع فى اصول الدين وان المنقود فيها تحقيق الامر على ما هو عليه فى الواقع واما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه وهو رده الى الاصول المستنبط منها فعجز الانسان عن القطع فى جميع الفروع لتنبهها على عجزه وافتقاره الى الله تعالى ليتفضل عليه ويستر من حوله وقوته ليكشف عن الحقايق ولما امر واعلم الهوى بعد مجئ الهدى بتنحية عن ذلك بقوله تعالى فاعرض اى يا ايها الرسل عمن تولى اى كان نفسه خلافا لمن يدعو اليه العقل والفطرة الاولى عن ذكرنا اى القرآن الذى انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه ولم يرد اى فى وقت من الاوقات الا الحياة الدنيا اى الحاضرة لتعتقده بالمحسوسات كانها تمام العلم عن دنائتها وحقارتها قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر بالجهاد قال الرازى واكثر المفسرين يقولون بان كل ما فى القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض يوافق الامر بالقتال فكيف ينسخ بها وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم فى الاول كان مامورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بابطالهم امر بازالة شبههم والجواب عن ابطالهم وقابل جدالهم بالتى هى احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم والاقبال عليهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم فالاعراض عن المناظرة شئ وتحريم القتال شئ فكيف يكون منسوخا بها ذلك اى الامر المتباهى فى الجهل والفضاحة مبلغهم اى غاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل لهم وهكذا يفهم بقوله تعالى من العلم اى غايتهم من العلم انهم انزوا الدنيا على الآخرة والجملة اعتراض مقرر لقصورهم على الدنيا وقوله تعالى ان ربك اى المحسن اليك بالرسالة هو اعلم اى عالم هو اعلم من ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اى ظاهرا وباطنا فيجازى كلا بما يليق به من الاعراض اذ ما تعلم الله من يحبب ممن لا يحبب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لان النبى صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب للقلوب فانى على تنزيل الاطباء فى ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذا لا يستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا الضعيف لا يستعملون الدوا القوى اذا عجزوا عن المداوات بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الجديد والكى كما قيل لآخر والله اعلم والنبى صلى الله عليه وسلم اول امر القلوب بتذكر الله تعالى فقط فان تذكر الله تعالى ينظم القلوب كما ان بالغذا

تطمئن النفوس والذكر غذاء القلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أولا قولوا لا إله إلا الله
أمر بالذكر فانتفع مثل أبي بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا
أفلا ينظرون إلى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض
عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فإن قيل إن الله تعالى بين أن غايتهم
ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها والمجنون الذي لا علم له أو الصبي لا يؤمر بما فوق
احتماله فكيف يعاقبهم الله تعالى أجيب بأنه ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله فكان
عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وإنما قدر الله تعالى توليهم ليضاف الجهل إلى ذلك فيتحقق
العقاب وقوله تعالى ولله أي الملك الأعظم وحده ما في السموات وما في الأرض أي من الذوات
والمعاني فيشمل ذلك السموات والأرض معترض بين الآية الأولى وبين قوله تعالى ليجزي الذين
أساؤوا أي بالضلال بما عملوا أي بسببه وبجنسه إما بواسطتك بسيوفك وسيوف أتباعك
إذا أذنت لكم في القتال وإما بغير ذلك بالموت حتف الأنف تضرب الملائكة وجوههم
وأدبارهم ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم في الدنيا شيء ينقص
بسببه عذاب الآخرة تنبيه اللام في ليجزي يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بمن ضل وبمن اهتدى
واللام للصيرورة أي عاقبة أمرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشري وأن يتعلق
بما دل عليه قوله تعالى أعلم بمن ضل أي حفظ ذلك ليجزي قاله أبو البقاء ويجزي أي ويثيب ويكرم
الذين أحسنوا أي على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم بالحسنى أي بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى الذين يجتنبون أي يكلفون أنفسهم ويجهدونها
على أن يتركوا كبائر الإثم أي ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد والحد وقرأ حمزة
والكسائي بكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعد
الألف همزة مكسورة وعطف على كبائر قوله تعالى والفواحش والفاحشة من الكبائر
ما كرهه الطبع وأنكره العقل واستخبثه الشرع فالكبيرة صفة عائدة إلى المقدار والفاحشة
صفة عائدة إلى الكيفية وقوله تعالى إلا اللمم فيه أوجه أحدها وهو المشهور أنه
استثناء منقطع أي لكن اللمم لأنه الصغائر فلم يندرج فيما قبلها ثانيها أنه صفة وإلا
بمنزلة غير كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أي كبائر الإثم والفواحش غير
اللمم ثالثها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا إن اللمم من الكبائر والفواحش
قالوا معنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول
أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواه عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو ابن العاص اللمم
ما دون الشرك قال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل إلا اللمم فقلت
هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك
كريم وروي عن ابن عباس أنه قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة
فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه
ولمسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان
زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب
يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه تنبيه ذهب الجماهير من السلف
والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك

دلايل

دلايل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هي ما لحق صاحبها وعيد شديد
بنص كتاب او سنة وقال جمع هي المعصية الموجبة للحد والاول اوجه لانهم عدوا الربا واكل مال
اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حد فيها وقال امام الحرمين هي كل جريمة تؤذن
بقلة اكتراث مرتكبها بالدين واما تعريفها بالعد فقال ابن عباس هي الى السبعين اقرب
وقال سعيد بن جبير هي الى السبعمائة اقرب باعتبار اصناف انواعها وما عدا المحدود من المعاصي
فمن الصغائر ولا باس بذكر شيء من النوعين فمن الاول تقديم الصلاة او تاخيرها عن وقتها
بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القران
واليأس من رحمة الله تعالى وامن مكر الله تعالى والقتل عمدا او شبه عمد والفرار من الزحف
واكل الربا واكل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط
وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ ربع مثقال
كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا وسب الصحابة واخذ الرشوة والنميمة واما
الغيبة فان كانت في اهل العلم وحملة القران فهي كبيرة والا فصغيرة ومن الصغائر النظر
المحرم وكذب لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك
في الصلاة في المفروضة والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتبختر في المشي والجلوس
بين الفساق ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة تغلب تنجيسهم المسجد واستعمال
نجاسة في بدن او ثوب لغير حاجة والاصرار على صغيرة من نوع او انواع يصيرها كبيرة
الا ان تغلب طاعاته معاصيه كما اوضحت ذلك في شرح المنهاج وغيره ان ربك اي المحسن اليك
بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن امتك واسع المغفرة يغفر الصغائر باجتناب
الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة وله ان يغفر ما شاء من الذنوب ما عدا الشرك صغيرها وكبيرها
كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك
فانه لا يغفر لمن تكررت ذنوبه اليهم وان صغرت قال البيضاوي ولعله عقب به وعيد
المشين ليلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى انتهى ونزل
فيمن كان يقول صلاتنا اصيامنا حجنا هو اعلم بكم اي بذواتكم واحوالكم منكم بانفسكم اذ اي
حين انشأكم من الارض اي التي طبعها طبع الموت البرد واليبس بانشاء ابيكم ادم عليه السلام
منها وتهيئتكم للتكوين بعد ان لم يكن فيكم وانتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة او بعيدة
اصلا فميز التراب الذي يصلح لتكوينكم منه والذي لا يصلح واذ اي وحين انتم اجنة اي
مستورون في بطون امهاتكم فهو يعلم اذ ذاك ما انتم صائرون اليه من خير وشر
وان علمتم مدة من العمر بخلافه لانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وقرا حمزة والكسائي في الوصل
بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون واما في الابتداء بالهمزة فالجميع
بضمها فلا تزكوا اي تمدحوا بالزكاة وهو البركة والطهارة عن الدناءة انفسكم اي
حقيقة بان يثني الانسان على نفسه فان تزكيته لنفسه قال القشيري من علامات
كونه محجوبا عن الله اي من مدح نفسه على سبيل الاعجاب اما على سبيل الاعتراف بالنعمة
فمحسن او مجازا بان يثني على غيره من اخوانه فانه كثيرا ما يثني بشيء فيظهر خلافه
وربما حصل له الاذى بسببه وان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها

الاتباع او ذراع الحديث ولذلك علل بقوله تعالى هو اعلم اي منكم اي ومن جميع الخلق بمن اتقى
فانه يعلم المتقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم عليه السلام فمن جاهد نفسه حتى
حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يوصل من الثواب في الدارين فكيف بمن صارت له
التقوى وصفا ثابتا ولما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم بسوء فعله
فقال تعالى افرايت الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه قال مجاهد وابن
زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه
فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب
الله فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله
فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض الذي ضمن ومنعه تمامه فانزل الله تعالى
افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى قليلا من المال المسمى واكدى اي منع الباقي
ماخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البير اذا وصل اليها من الحفر اذا وصل
اليها من الحفر فاكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعته من الحفر
اجبل اي صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل
من طلب شيئا فلم يصل اليه او لم يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ اخره قال الحطيئة واعطى
قليلا ثم اكدى عطاؤه ومن يبذل المعروف في الناس يجهد وقال السدي نزلت
في العاص بن وائل السهمي وذلك انه راى توافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم
الاخلاق فذاك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى ان لم يؤمن به ومعنى اكدى قطع
وروي ان عثمن كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد ابن ابي سرح وهو
اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني
اطلب بما اصنع رضى الله تعالى فارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل
عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطا فنزلت وقوله تعالى
اعنده علم الغيب اي ما غاب عنه هو المفعول الثاني لرايت بمعنى اخبرني والمفعول
الاول محذوف اقتضاء الاعطى فهو اي فتسبب عن ذلك ان يرى اي يعلم ان صاحبه
يتحمل عنه عذابه ام اي بل لم ينبا اي يخبر اخبارا عظيما متتابعا بما في صحف موسى
اي التورية المنسوبة اليه بانزالها عليه وكذا ما تبعها من اسفار الانبياء الذين
جاؤا بعده بتقديرها وقدم صحف موسى عليه السلام على قوله وابراهيم اي وصحفه
لان كتاب موسى عليه السلام اعظم كتاب بعد القران مع انه موجود بين الناس يمكن
مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى الذي وفى اي اتم ما امر به من ذلك
تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه
كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن
ما امره الله تعالى بشيء الا وفى به وصبر على ما امتحن به وما قلق شيئا من قلق وصبر
على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال لجبريل عليه السلام لما قال له
الك حاجة قال اما اليك فلا وقال الضحاك وفي المناسك وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذي وفى اربع ركعات من اول النهار وهي صلاة

الضحى

الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح واامسى
فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل فوفى تمام الاسلام وهى ثلاثون
عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب المسلمين وعشرة فى المومنون قد
افلح المومنون وخص هذين النبيين لان المدعوين من بنى اسرائيل اليهود والنصارى
يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب يدعون متابعة ابراهيم عليه السلام
ومن عداهم لا تمسك لهم ولا سلف فى نبوة محققة ولا شريعة محفوظة وقرا هشام
بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء وبا بعدها ثم فتح تعالى الذى فى الصحف
او استانف به بقوله تعالى ابراهيم الذى وفى اى تام وكمل وزر اى
اى بنفس بلغت مسلفا
تكون فيه حاملة لوزر وزر اخرى اى حملها التقيل من الاثم وفى هذا ابطال قول
من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قتال
ابراهيم عليه السلام ياخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه
واخيه وعمه وخاله وامراته والعبد بسيده حتى جاء ابراهيم عليه السلام فنهاهم
عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى ولما نفى ان يضر اثم
غيره نفى ان ينفعه سعى غيره بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
فلا بد ان يعلم الحق نفى ان جهة فسعى فيرود عا المومنين كلهم من تبعيه بمواد نة
ولو بمرافقته لهم فى الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما واما الولد فواضح فى ذلك
واما ما كان بسبب العلم والصدقة ونحوها فكذلك وتضحية النبى صلى الله عليه وسلم
عن امته اصل كبير فى ذلك فان من تبعه فقد اداده وهو اصل فى التصدق عن الغير
واهدا له من الثواب فى القراءة ونحوها الله وقال ابن عباس هذا منسوخ الحكم
فى هذه الشريعة اى وانما هو فى صحف موسى وابراهيم بقوله الحقنا بهم ذريتهم
فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما
هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان امراة رفعت صبيا لها
فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم
ان امى نسلت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين
ابو العباس احمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق
الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو
انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف فى الحساب
ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكبائر فى الخروج من النار وهذا انتفاع بسعى
الغير ثالثها ان كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير رابعها ان
الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها
ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير
عملهم سادسها ان اولاد المومنين يدخلون الجنة بعمل اباءهم وذلك انتفاع
بمحض عمل الغير سابعها قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما
صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس هو من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع
بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره تاسعها

ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها
ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع
بعمل الغير حادي عشرها المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى
قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى
الله عليه وسلم وبردت جلدته بقضا دينه وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل
له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها ان الانسان تبرا ذمته من ديون الخلق اذا
قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل غيره رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم
اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل غيره خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع
في المحيا والممات كما جا في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس اهل الذكر
يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع
بعمل غيره سابع عشرها الصلاة على الميت والدعا له في الصلاة انتفاع للميت
بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثاني عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة
بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى
الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مومنون ونسا
مومنات وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله تعالى العذاب
عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب
عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له حادي
عشرها ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون فيثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم
وجد من انتفاع الانسان بما لم يعلمه ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان يتاول الاية على خلاف
صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان العموم وقال الربيع ابن انس
ليس للانسان يعني الكافر واما المومن فله ما سعى وما سعي له وقيل ليس للكافر
من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الاخرة خير ويروى ان عبد الله
ابن ابي كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الاخرة يثاب عليها **وان سعيه** من خير
وشر **سوف يرى** اي في ميزانه من غير شك يوم القيمة بوعد لا خلف فيه وان طال
المدا من ارينه الشي اي يعرض عليه فيكشف ويكشف له فان قيل العمل كيف يرى
بعد وجوده ومضيه اجيب بانه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال
الرازي وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة
كل ما عدم فيعيد الفعل فيرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه
اعماله الصالحة ليفرح بها ويخزي الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما **ثم يجزاه**
اي السعي **الجزا الاوفى** اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزا سعيه بالجزا الاوفى
يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الرازي الجزا الاوفى يليق بالمومنين
الصالحين لان جزا الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاوكم جزا موفورا وذلك
ان جهنم ضررها اكثر من نفع الانام فهي في نفسها اوفى **وان الى ربك** اي المحسن اليك

سان
جزا

الى غيره المنتهى اى لانتهاء رجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وفى مسند احمد انتهاء الامانى وروى ابو هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفى رواية لا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره قال القرطبى ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتى الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته واحسن من قال

ولا تفكرن فى ذات الاله وكنه فانك ان تفعل تزدد عن تخبله ... وذرذاك ان لم تخل منه عانة فانك لن تعدو ان تكون مضيعا

وقال مثل ما قال الخليل المخبل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفى المخاطب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك ايها السامع والعاقل والثانى انه خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثانى يكون تسلية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام فى المنتهى للعهد الموعود فى القرآن وعلى الثانى يكون للعموم اى الى ربك كل منتهى وقوله تعالى وانه هو اى لا غيره اضحك وابكى يدل على ان كل ما يعلمه الانسان فبقضاء الله تعالى وخلقه حتى الضحك والبكاء وفى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك انه هو اضحك وابكى فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبريل فقال انت هؤلاء قيل لهم الله يقول انه هو اضحك وابكى اى قضى اسباب الضحك والبكاء وقال بسام ابن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد

السن تضحك والاحشاء تحترق ... وانما ضحكها زور ومختلق

يا رب باك بعين لا دموع لها ... ورب ضاحك بسن وما به رمق

وقال مجاهد والكلبى اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقال عطاء ابن ابى مسلم يعنى افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان وقيل المرء وجده يضحك ولا يبكى وان الثاكل وحدها تبكى ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين بينما طاهر المقدسى اذ ضحك الملائكة فقال ما ضحكوا الا لكلمة سمعوها من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء احد ولكنه قال ان الكافر ليزيده الله ببكاء اهله عذابا وان الله هو اضحك وابكى تبنيه قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وما بعده يسميه البيانيون الطباق المتضاد وهو نوع من البديع وهو ان يذكر ضدان او نقيضان او متنافيان من نوع من الوجوه واضحك وابكى لا مفعول لهما فى هذا الوضع لانهما سيقا لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقولك القائل فلان بيده الاخذ والعطاء يعطى ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى واختار هذين الوصفين المذكورين لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من الاطباء يعين لانحصار الانسان بالضحك والبكاء وجها وسببا واذا لم يعلل يا مر فلا بد له من موجد فهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهما

يقولون سببهما اعتدال المزاج وخروجه عن الاعتدال وما يدل على ذلك انهم اذا اعتلوا
الضحك قالوا القوة المتعجبة وهو باطل لان الانسان ربما يبهت عند رؤية الامور
العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكي لقوة الفرح
كما قال بعضهم تهجم السرور علي حتى انني من عظم ما قد سرني لبكاني
وانه هو اي لا غيره اماتَ واحيا واضحك وابكى رايتم اسنادا ظاهرا يتعذر به لا عبرة بها في نفس
الامر بل هو الذي خلقها اي اماتَ في الدنيا واحيا في البعث وقال الزجاج قضا اسباب
الموت والحياة وقيل اماتَ الاباء واحيا الابناء وقيل اماتَ الكافر بالكفر واحيا المؤمن
بالايمان وانه خلق الزوجين الذكر والانثى فسرها بقوله تعالى من نطفة اذا تمنى فانه لو كان بيد لك في هذه
عبرة لمنع النساء لانها مكروهة لغالب الناس وقوله تعالى من نطفة اذا تمنى اي
تصب تشمل سائر الحيوانات لان ذلك مختص بادم وحوا لانهما ما خلقا من نطفة وهذا
ايضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم منتاسب الاجزاء وخلق الله تعالى
منها اعضاء مختلفة وطباعها متباينة وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا
لم يقدر احد على ان يدعي خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قال تعالى في ليس مسألتهم
من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق الزوجين ولم يقل وانه هو خلق كما قال تعالى وانه
هو اضحك وابكى اجيب بانه ضحك وابكا بما توهم انه يفعل الانسان والاماتة والاحيا
وان كان في ذلك التوهم ابعد لكن ربما يقول به جاهل كما قال مر حاج ابراهيم عليه السلام
فقال انا احيي واميت فاكد ذلك بالفصل واما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم
احد انه يخلق احد من الناس فلم يؤكد بالفصل الا ترى الى قوله تعالى وانه هو اغنى
واقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان مدعاهم ان ذلك
بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي وكذلك قال هو رب العشيرى
فاكد في مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكد في عبرة وانه هو اي خاصة علما وقدرة
النشاة اي الحياة الاخرة للبعث يوم القيامة بعد الحياة الاولى فان قيل الاعادة
لا يجب على الله تعالى فما معنى قوله اجيب بانه عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن
نحيي الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح
الشين وبعدها الف ممدودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين وبعدها
الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين وانه هو اي وحده
من غير نظر الى مغن سواه ولا غيره اغنى قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال
واقنى اعطى القنية واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك
اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة
اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى وارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى
بما اعطى وقنع قال الراغب ويحتمل انه يجعل له قنية من الرضا وقال
سليمان التيمي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وقال ابن زيد اغنى الكثير واقنى
القليل وقرا ابسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اغنى افقر وقال ابن كيسان
اولد وقال الزجاج اقنى اعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت ان لا تخرج

من يدك

من يدك تنبيه حذف مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وكذلك
باقيها والف اقنى منقلبة عن يا لانه من القنية قال الشاعر الا ان بعد العدم للمرء قنية
ويقال قنيت كذا واقنيته قال قنيت حياتي عفة وتكرما وانه هو اي لا غيره
رب الشعرى اي رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن ذلك
رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا
والشعرا تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وابو كبشة احد
اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون
النبي صلى الله عليه وسلم بابن ابي كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف اديانهم
تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير دينهم والشعرا في لسان العرب كوكبان
يسمى احدهما الشعرا العبور وهي المرادة في الاية الكريمة وهي تطلع بعد الجوزا في شدة الحر
ويقال لها مرزم الجوزا وتسمى كليب الجبار ايضا وتسمى الشعرا اليمانية والثاني الشعرا الغميصا
وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصا على ما زعمه العرب
انهما كانا اختين او زوجين لسهيل وانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرا العبور
فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا تبكي حتى غمصت عينها ولذلك
كانت اخفى من العبور وكان من لا يعبد الشعرا من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها
في العالم وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود هلكوا بريح صرصر والاخرى قوم
صالح وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وقرا نافع وابو عمرو
بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلا وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة
والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا
قرا القارئ عادا الولى لقالون وابي عمرو فله في الوصل اي وصل عاد بلولى وجه
واحد وهو النقل المذكور وقالون على اصله بالهمز كما ذكر فاذا وقف على عاد وابتدا
بلولى فله الابتدا بهمز الوصل وهو الولى وله ايضا الابتدا بغير همز الوصل وهو لولى
وله ايضا الابتدا بالوصل وهو لولى وقالون يهمز الواو في الوجهين الاولين
ولم يهمز في الوجه الثالث الذي هو الاصل وواقفهما ورش في الاوجه المذكورة
في الوصل والابتدا الا في الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه
الا النقل وثمود وهم قوم صالح اهلكهم الله بصيحة فما ابقى منهم احدا وقرا عاصم
وحمزة بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين
في الوصل والوقف على الالف وقوم نوح اي اهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب من قبل
اي قبل الفريقين انهم اي قوم نوح كانوا اي بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات
التي لا انفكاك عنها هم اي خاصة اظلم اي من الطايفتين المذكورتين واطغى اي واشد
تجاوزا في الظلم وعلوا واشرافا في المعاصي وتجبرا وعتوا لتمادي دعوة نوح عليه السلام
قريبا من الف سنة ولانهم اطوال اعمارا واشد ابدانا وكانوا مع ذلك ملا الارض
روي ان الرجل منهم كان ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول
احذر هذا فانه كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت
الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه ولهذا قال نوح عليه السلام

BULAC

رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً وقوله تعالى والمؤتفكة منصوب بقوله تعالى اهوى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط رفعها الى عنان السماء جبريل بأجنحته ثم اهواها الى الارض اى اسقطها واتبعها حجارة النار السجيلية وهو قوله تعالى فغشاها اى اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهو قوله بقوله تعالى ما غشى اى امراً عظيماً من الحجارة المنضودة المسومة واتبعها حجارة النار وغيرها مما لا تبلغ العقول وصفه فبأى آلاء اى أنعم ربك اى الحسن اليك تتمارى اى تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اى تكذب وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اشكك فى اجالة الخواطر وفكرك فى ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان احداً منهم يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته فكان بعض خواطرك فى تلك الاحاطة يشككك بعضاً هذا اى النبى صلى الله عليه وسلم نذير اى محذر بليغ التحذير من النذر الاولى اى من جنسهم اى من سول كالرسل قبله ارسل اليكم كما ارسل الى اقوامهم وقال تعالى الاولى على تاويل الجماعة وهذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذرها من قبلكم ازفت الازفة اى قربت الموصوفة بالقرب فى قوله تعالى اقتربت الساعة وهو يوم القيامة ليس لها من دون الله اى من ادنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شئ مقدرة وعلما وقوله تعالى كاشفة يجوز ان يكون وصفا وان يكون مصدراً فان كان وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه وصف لمؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة او حال كاشفة اى مبينة منبئة تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه تعالى لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بالتاخير وان كانت مصدراً فهى بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره افمن هذا الحديث قال اكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن العظيم الذى يأتى على سبيل التحدى بحسب الوقايع والحادثات تعجبون انكاراً وهو فى غاية ما يكون من بريق القلوب وفر ابو عمر وباد غام المثلثة فى التاء المثناة بخلاف عنه وتضحكون اى استهزاء من هذا الحديث وذلك فى كل وقت وانتم سامدون اى كما هو حق من سمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازى يحتمل ان يكون ذلك اشارة الى الحديث ازفت الازفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله تعالى وانتم سامدون جملة مستانفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالاً اى انتفى عنكم البكاء فى حال كونكم سامدون واختلف فى معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة عن الشئ اى وانتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك اى لهوك قاله العوالى والعوفى عن ابن عباس وقال الشاعر الا ايها الانسان ان كنت سامداً كانك لا تغنى ولا تنشها لك فهذا يعنى لاه لاعب وقيل هو الجمود وقيل الاستكبار قال الشاعر رأى الحديان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا

فرد

فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة وابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير يقولون
يا جارية اسمدي لنا اي غني فكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقال الضحاك
اسرون وقال مجاهد غضاب يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع
راسه من قولهم بعير سامد في مسيره وقال الحسن السامد الواقف للصلاة قيل وقوف
الامام لما روي انه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي
اراكم سامدون وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجان ورماد وقوله تعالى
فاسجدوا اي اخضعوا خضوعا كبيرا بالسجود لله اي الملك الاعظم يحتمل ان يكون
المراد به سجود التلاوة واعبدوا اي اشتغلوا بكل انواع العبادة ولم يقل واعبدوا
الله اما لكونه معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله واما لان العبادة في الحقيقة
لا يكون الا لله ويقوي الاحتمال الاول ما روي عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وعن عبد الله ابن
مسعود قال اول سورة انزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب
فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد ذلك قتل
كافرا وهو امية بن خلف كما في بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرات
على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة
غير واجب قال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشا وهو قول الشافعي
واحمد اي فهي مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع جميعا
وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وذهب قوم الى انها في المفصل
غير مستحبة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به حديث موضوع ∴ سورة القمر وتسمى اقتربت مكية لا يستهزم
الجمع الاية وهي خمس وخمسون اية وثلثماية واثنتان واربعون كلمة والف
واربعماية وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الذي احاط علمه فنمت قدرته
الرحمن الذي وسعت رحمته كل شي فعمت الشقي والسعيد نعمته الرحيم الذي
خص باتمام النعمة من اصطفاه فاسعدتهم رحمته اقتربت الساعة دنت
القيامة وفي اول هذه السورة مناسبة لاخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت
الازفة فكانه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله تعالى ازفت الازفة فهو حق
اذ القمر انشق وقوله تعالى وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين
الا من لا يلتفت الى قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وروى انس ابن مالك ان اهل مكة سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما

BULA

قال سنان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد
الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق
يوم القيامة فاوقع الماضي موضع المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى
انفلق عنه عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند مشق الصبح داعي

وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة
فسالوا السفار فسالوهم قالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر **وان يروا** اي كفار قريش **آية** معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر
يعرضوا عنها **ويقولوا** هذا **سحر مستمر** اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم
مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قال مجاهد وقتادة وقال
ابو العالية والضحاك مستمر اي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد
وامررته اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل مستمر اي دائم فان
محمدا صلى الله عليه وسلم كان ياتي كل زمان بمعجز فقالوا هذا سحر مستمر دائم
لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة
ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

الا انما الدنيا ليال واعصر • وليس على شيء قويم بمستمر •

وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر
قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم يطرد وكل شيء قد انقادت طريقه ودامت
حاله قيل فيه قد استمر وقال ابو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان
ان فعل ذلك وقال ليلة بدر اي ليلة اربعة عشر في الشهر فسال ربه فانشق القمر
فقالوا سحر مستمر ولم يوضعوا **وكذبوا** بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول
صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا **واتبعوا** اي بمعالجة فطرهم الاولى
المستقيمة في دعائها الى التصديق **اهواءهم** في انه صلى الله عليه وسلم سحر القمر
وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب اخر من الحر يشبه نصف القمر
وانه سحر اعيننا وان القمر لم يصبه شيء فهذه اهواؤهم قال القشيري اذا حصل
اتباع الهوى فمن شومه يحصل التكذيب لان الله تعالى يلبس على قلب صاحبه
حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضى مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات
الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فياتي بالتصديق **وكل امر** اي من اموركم من الخير
او الشر **مستقر** اي باهله في الجنة او النار وقال قتادة كل امر مستقر فالخير مستقر
باهل الخير والشر باهل الشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى تعرفوا
حقيقته بالثواب والعذاب وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه
شيء فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله
منهم شيء **ولقد جاءهم** اي اهل مكة في القرآن قبل الانشقاق **من الانباء** اي اخبار اهلاك

الامم

الامم الماضية المكذبة رسلهم لان الانبا الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك
من سبا بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا اي بامر
له خطر وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه امر ذو بال ما فيه خاصة
مزدجر عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من اراد الله تعالى تنبيه المزدجر
اسم مصدر اي ازدجارا او اسم مكان اي موضع ازدجار والدال بدل من تا الافتعال
وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة او موصوفة وقوله تعالى حكمة
خبر مبتدا محذوف او بدل من ما او من مزدجر بالغة اي لها اعظم البلوغ الى انتهى غايات
الحكمة لصحتها ووضوحها ففيها مع الزجر ترجيه ومواعظ واحكام ودقائق فما تغن
اي تنفع النذر اي الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها انما المعنى بذلك هو
الله تعالى فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن قال البقاعي ولعل الاشارة باسقاط يا تغني
باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ الى انه كما سقطت غاية احرف الكلمة سقطت
ثمرة الانذار وهو القبول تنبيه يجوز فيما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب
مفعولا مقدما اي اي شيء تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيئا والنذر جمع نذير
والمراد به المصدر او اسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم
فهو لذلك ربما انتهى اجابتهم الى مقترحاتهم سبب عن ذلك قوله تعالى فتول عنهم اي كلف
نفسك الاعراض عن تمني ذلك فما عليك الا البلاغ واما الهداية فالى الله تعالى وحده
تنبيه قال اكثر المفسرين نسختها اية السيف وقال الرازي ان قول المفسرين في قوله
تعالى فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام وقوله تعالى يوم منصوب
باذكر اي واذكر يوم يدع الداعي وقيل منصوب بيخرجون بعد والداعي معرف كالمنادي
في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي وداعيا
يدعو فقيل الداعي اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل
وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية ويكون كقولنا جاء رجل
فقال الرجل قاله الرازي وقرا نافع وابو عمرو بحذف اليا بعد العين وقفا واثباتها
وصلا وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا الى شيء نكر
اي فظيع منكر لم ير مثله فينكرونه استعظاما فان قيل ما ذلك الشيء المنكر اجيب
بانه الحساب او الجمع له او النشر للجمع فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه احيا ولان
الكافر من اين يعرف وقت النشر ما يجري عليه لينكره اجيب بانه يعلم ذلك لقوله
تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرا ابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع
ولما بين دعاه بمال اهال امره بين حال المدعوين زيادة في الهول فقال خاشعا
ابصارهم اي ينظرون نظر الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي هو بشر
حال ونسب الخشوع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر فالذل ان يرمي به صاحبه
الى الارض مثلا مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون
من طرف خفي وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخا والف بعدها وكسر الشين والباقون
بضم الخا ولا الف بعدها وفتح الشين مشددة اما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة
الفصحى من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد بقول تخشع

ابصارهم ولا يقول تخشعن ابصارهم واما القراءة الثانية فجاءت على لغة من يقول اكلوني البراغيث قال الزمخشري ويجوز ان يكون في خشعا ضمير هم ويقع ابصارهم بدلا عنه انتهى وتقدم نظير ذلك في قوله تعالى في الانبياء واسروا النجوى الذين ظلموا وجملة خاشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون اي الناس من الاجداث اي القبور كانهم جراد اي في كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتوجههم فقال في الحشر الجراد ينبث بعضه فوق بعض حاو اكالجراد وكالذياب منتشر اي منبث متفرق في كل مكان لكثرتهم لا يدرون اين يذهبون مهطعين اي مسرعين منادي اعناقهم الى الداعي مصوبي رؤسهم لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل واما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى يقول اي على سبيل التكرار الكافرون اي الذين كانوا في الدنيا عرضة للتعنت والتمرد الاذلة واظهار الاباطيل المضلة هذا اي الوقت الذي نحن فيه من الاهوال يوم عسر اي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسبهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين ولما فرغ من حكاية كلام الكافر ومن اذكر علامات الساعة اعاد ذكر بعض الانبا فقال تعالى كذبت اي اوقعت التكذيب العظيم الذي يحمو به جميع الرسالات وجميع الرسل قبلهم اي اهل مكة قوم نوح مع ما كان لهم من القوة ولهم من الانتشار في جميع الاقطار وانت فعلهم تحقير لهم وتهوين لامرهم في جنب قدرته تعالى فان قيل الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جايز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوز وكذبوا قوم نوح ويجوز وكذبت قبلهم قوم نوح اجاب الرازي بان التانيث انما جاز قبل الجمع لاجل الانوثة والذكورة للفاعل امر لا ينفصل ولم يحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام على حال من العظمة بنسبته الينا مع تشريفنا اياه بالرسالة وقالوا زيادة على التكذيب مجنون اي فهذا الذي نظهر منه من الخوارق من امر الجن وازدجر وهل هذا من مقولهم اي قالوا انه ازدجر اي ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد وهو من كلام الله تعالى اخبر تعالى عنه بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذى وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال الرازي وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بتذكير من تقدمه وايضا ترتب عليه قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانتهروه عن دعايهم دعا ربه الذي رباه بالاحسان اليه وبرسالته اني اي بانى مغلوب من قومي بالقوة والمنعة لا بالحجة واكده ايذانا في الشكاية واظهارا للذل والعبودية لان الله تعالى عالم بسر العبد وجهره مما شرع الدعا في اصله الاظهار والتذلل وكذا الايلاغ فيه وقال ابو عطية غلبتني نفسي وجلتني على الدعا عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف فانتصر اي اوقع نصرك عليهم انت وحدك على اليغ وجه فانتقم لي منهم ففتحنا اي بسبب دعايه ففتحا يليق بعظمتنا ابواب السماء اي كلها في جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب واضحا حقايقها واما ابواب الفتح وتغلق وفتح هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان الماء كان من السحاب فهو كقول القايل في المطر الوابل ميازيب السماء في قوله

تعالى ففتحنا

تعالى ففتحنا بيان بان الله تعالى انتصر منهم وانتقم بما لا يحمد انزله ومن العجب انهم كانوا
يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى بمطلوبهم وقرا ابن عامر بتشديد التا بعد الفا
والباقون بالتخفيف وفي البا في قوله تعالى بماء وجهان اظهرهما انها للتعدية وذلك
على المبالغة في انه جعل الما كالالة للفتح به كما تقول فتحت بالمفتاح والثاني
انها للحال اي فتحناها ملتبسة بما منهمر اي منصب بابلغ ما يكون من السيلان
والصب كثرة وعظما ولذلك لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك
اربعين يوما الارض عيونا اي صدعنا بما لنا من العظمة وشققنا وبعثنا واسلنا
اي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة بان وجه
الارض صار كله عيونا وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين
والباقون بضمها فالتقى الما اي المعهود وهو ما السما وما الارض بسبب فعلنا
هذا وزاد في تعظيمه باداة الاستعلا فقال تعالى على امر اي حال قد قدر اي
قضي في الازل وهو هلاكهم غرقا بما مقدر لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من امرناه
باهلاكه وحملناه اي نوحا تتميما لانتصاره على ذات اي سفينة صاحبة الواح
اي اخشاب نجرت حتى صارت عريضة ودسر جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به
السفينة من مسمار وحديد او خشب او من خيوط الليف ونحوها قال البقاعي
ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد تجري اي
السفينة باعيننا اي محفوظة من ان تدخل نحو الظلمات او ياتي عليها غير ذلك
من الافات بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشي باعين كثيرة ولا يغيب
عنه اصلا وجوزوا ان يكون جمع تكسير لعين الما وقوله تعالى جزا منصوب
بفعل مقدر اي اغرقوا انتصارا لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام والباري
تعالى ولقد تركناها اي ابقينا هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة على هذا
الوجه وابقا نوعها دالة على ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها
بقيت على الجودي حتى ادرك بقاياها هذه الامة اية اي علامة عظيمة على ما لنا
من العلم المحيط والقدرة العامة فهل من مدكر اي معتبر ومتعظ بها واصله مذتكر
ابدلت التا دالا مهملة وكذا المعجمة وادغمت فيها وقوله تعالى فكيف كان عذابي
اي وجد وتحقق عذابي اي لمن كفر وكذب رسلي ونذر اي انذاري استفهام تقرير
فكيف خبر كان وهي للسوال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع
عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه وقرا ورش باثبات اليا بعد الرا وصلا لا وقفا
جميع ما في هذه السورة والباقون بغير يا وقفا ووصلا قال البقاعي ولما كان
هذا المفصل مما انزل اول القران تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله تعالى
ولقد يسرنا اي على ما لنا من العظمة القران اي على ما له من الجمع والفرق والعظمة
المناسبة لكونه وصفا لنا للذكر اي الاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والحفظ والتشريف
لمن يراعيه قال ابن برجان انزلناه باللسان العربي ونزلناه للافهام تنزيلا وضربنا
لهم الامثال واطلنا لهم في هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق الماخوذ عليهم وقال القشيري
يسر قراته على السنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه

على قلوب قوم وكلهم اهل القران وخاصته وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيره
قاله المحلى هل من مدكر اى معتبر ومتعظ بها ويقدم اصله ولما انقضت قصة نوح
عليه السلام على هذا الهول العظيم ذكر قصة عاد لانها اعظم قصة جرت بعد قوم
نوح فيما يعرفه العرب بقوله تعالى كذبت عاد اى وقعت التكذيب العام المطلق
الذى اوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه السلام فى دعايته لهم الى التوحيد وانذاره عذابى
تكيف اى فعلى اى الاحوال الاجل تكذيبهم كانت عذابى لهم ونذر الى وانذارى اياهم
بلسان رسولى فتل نزوله اى وقع موقعه فان قيل لم يقل فكذبوا هودا كما قال
تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدنا اجيب بان تكذيب قوم نوح علم ابلغ لطول مقامه
فيهم وكثرة عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى انا ارسلنا
اى بالبين العظيم عليهم ريحا وهو حرف الاشتعلا اعلاما بالغة ثم وصف الريح بقوله
تعالى صرصرا اى شديدة الصوت من صرصر الباب او القلم اذا صوت وقيل
الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكى اصله صرر من صر الشى اذا صوت
لكن ابدل احد الراءين المتحدة صادا وهذا قول الكوفيين وقال الرازى الصرصر
الريح الباردة الهبوب من صر على الشى اذا دام وثبت والدشور هبوبها بذم رماها فقال
تعالى فى يوم نحس اى شديد العتاحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء فى اخر الشهر
وهو شوال لثمان بقين الى غروب الاربعاء اخر فانه تعالى قال فى سورة الحاقة
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقال تعالى فى حم السجدة فى ايام نحسات
فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان لا الواحد بالوصف بعد ما عدد الايام بل الاستمرار
يعبر عن امتداد الزمان كما يعبر عنه بالايام والحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار وحذف
الزمان ولم يذكر مقدارها على سبيل الايجاز وقوله تعالى مستمر اى دايم الشوم الى وقت
انعاد المراد منه فاستمر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم احد الا اهلكه هذا وصفها
فى ذاتها واما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى تنزع اى تاخذ الناس اى الكفرة
هم صور لاشباحهم بارواح التنوعى من الارض بعضهم من رجليها وبعضهم من خصر
حفروها لينحققوا بها من العذاب فتطرحهم بين السماء والارض كانهم اعجاز نخل
منقعر اى منقلع رؤسهم من جثثهم وقوله تعالى كانهم اى حين يزعون فيلقون الارواح
فيهم اعجاز نخل اى اصول نخل قطعت رؤسها حال من الناس مقدرة وقوله تعالى
منقعر صفة لنخل باعتبار الجنس وانث فى الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار
معنى الجماعة قال الزمخشرى عادل فاما ذكرها هنا وانث هناك مراعاة للفواصل فى الموضعين
وقال الرازى دلت الله تعالى لفظ النخل فى مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة
فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال عنها وهى كالوصف وقال تعالى نخل
خاوية ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر فى حقيقة الامر
كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مفعول والخاوى والباسق فاعل واخلا المفعول
عن علامة التانيث اولى بقوله امراة قتيل واما الباسقات فهى فاعلات حقيقة
لان البسوق امر قام بها واما الخاوية فهى من باب حسن الوجه لان الخاوى موصوفها
فكانه قال نخل خاوية المواضع وهنا غاية الايجاز حيث اتى بلفظ مناسب للالفاظ

السابقة

المنقعر

السابقة واللاحقة تنبيه الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء ومنه العجز لانه يؤدي الى
باخر الامور والمنقلع من اصله يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت وقعرت
البير وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله
تعالى فكيف كان عذابي ونذر للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق
بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ولعذاب الاخرة اخزى وتقدم تفسير قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
وكرره ايذانا بتيسير القرآن مع اعجازه لا يكون الا بعظمة الله تفوت قوى البشر
ويعجز عنها منهم القدر ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانها تلي قصة
عاد في الفظاعة فقال تعالى كذبت ثمود اي قوم صالح وقوله تعالى بالنذر
جمع نذير بمعنى منذر اي بالانذارات التي انذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام
ان لم يؤمنوا به ثم علل ذلك وعقبه بقوله تعالى فقالوا منكرين لما جاءهم من الله تعالى
غاية الانكار ابشرا انكار الرسالة هذا النوع ليكون انكار النبوة بنبيهم على ابلغ
الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره نتبعه الاتي وقولهم منا نعت له اي فلا فضل
له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم واحدا نعت له ايضا ثم عظموا
الانكار بقولهم نتبعه اي نجاهد انفسنا في خلع ما لوفنا وما كان عليه اباؤنا
والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن الناس قوة وكثرة وهو واحد منا
ثم استنتجوا عن هذا الانكار الشديد قولهم موكدين انا اذن اي انا ان اتبعناه لفي ضلال
اي ذهاب عن الصواب محيط بنا وسعر اي ونيران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا ان
اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كان بها سعرا اذ العيس هزها ذميل وارخا من السير متعب

ثم استدلوا بامر اخر ساقوه مساق الانكار فقالوا أؤلقي اي انزل الذكر اي الوحي الذي
يكون به الشرف الاعظم بغتة في سرعة عليه لانه لم يكن عندهم في مضمار هذا الشان ولا
توسعوا فيه قبل اسناده به شامته بل اتاهم به بغتة في غاية الاسراع ودلوا على وجه
العجب والانكار بالاختصاص بها لاختصاص بقولهم من بيننا اي وفينا من هو اولى
بذلك منه سنا وشرفا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة
وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا بخلاف عن ابي
عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير الفا واما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وادخال
الالف بينهما مع التحقيق والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله
في الثانية التسهيل وابدالها واوا والتحقيق ثم اضربوا عن ذلك الاستفهام لانه
بمعنى النفي بقولهم بل هو كذاب اي بليغ في الكذب في قوله تعالى انه اوحي اليه ما ذكر اشر
اي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى اعجبته نفسه فتجبر فهو يريد الترفع قال
الله تعالى سيعلمون اي بوعد لا خلف فيه غدا اي في الزمن الاتي القريب لان كل
ما حقق اتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيمة وقرا ابن عامر
وحمزة بعد السين بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح عليه السلام
لقومه والثاني انه خطاب الله تعالى على جهة الالتفات والباقون بياء الغيبة جريا

على الغيب قبله في قوله تعالى فقالوا ابشرا واختار هذه القراءة مكي لان عليها الاكثر
من الكذاب الاشر اي وهو هم بان يعذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح وروي انهم تعنتوا
عليه فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمرا عشرا فقال تعالى انا اي بما لنا من العظمة
مرسلوا الناقة اي موجدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا من حجر اهلناه لذلك وخصصناه
من بين الحجارة دلالة على ارسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه
وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام يريد ان يعرف المحق منا بان تدعوا الهتنا وندعوا الهك فمن
اجابه الهه علم انه المحق فدعوا اوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع انت فقال فما تريدون
قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة شعرا عشرا فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه
بذلك واكدوا فكذبوا بعدما كذبوا ان الهتهم تجيبهم وصدق اسلام في كل ما قال فاخبره
ربه سبحانه انه يجيبهم الى اخراجها فتنة لهم اي امتحانا يخالطهم به فيميلهم عن حالتهم
التي وعدوا بها ويحيلهم عنها لان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة
تصديق وحينئذ يعترف المصدق من المكذب او يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة
ودورانها بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلوا الناقة ولم يقل
مخرجوا فارتقبهم اي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على اعمالهم انتظار
من يحرسهم واصطبر اي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم واصل الطاء في اصطبر
تاء فتحولت طاء ليكون موافقة للصاد في الاطباق ونبئهم اي اخبرهم اخبارا عظيما
بامر عظيم وهو ان الماء اي الذي يشربونه وهو ما بيرهم قسمة بينهم اي بين قوم
صالح عليه السلام والناقة فغلب العاقل عليها والمعنى انا اذا بعثناها كان لهم
يوم لا يشاركهم فيه في الماء ولها يوم لا تدع في البير قطرة ياخذها احد منهم وتوسع
الكل بدل الماء لبنا كل شرب اي نصيب من الماء محتضر فالناقة تحضر الماء يوم ورودها
وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم
غيبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون تنبيه الحكمة
في قسمة اما لان الناقة عظيمة الخلق فتنفر منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم
واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد
الناقة على هولاء يرجعون على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون النقصان على الكل
ولا تختص الناقة بجمع الماء روي انهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الاية
الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله تعالى كل شرب محتضر يقصد الوجه الثالث
وحضر واحتضر بمعنى واحد وقوله تعالى فنادوا صاحبهم فيه حذف قبله
اي فنادوا على ذلك ثم ملوه فعرسوا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف
الذي انتدبوه بطرا واشرا لقتل الناقة وكذبا في وعدهم الايمان واكرامها بالاحسان
وكان اشجعهم وقيل كان ربيبهم فتعاطى اي فاجترا على تعاطي الامر العظيم غير
مكترث له فعقر اي فتسبب عن ذلك عقرها وقيل فتعاطى الناقة فعقرها
او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تفاعل الشيء بتكلف قال محمد بن اسحق كمن
لها في اصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها
بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها وقال ابن عباس

كان

كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر اكشف افعى يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي
الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشوم ال ثمود فكيف كان عذابي اي كان على حال
ووجه هو اهل لان يجتهد في الاقبال على تعرفه والسوال عنه ونذر اي انذاري لهم بالعذاب
قبل نزوله اي وقع موقعه وبينه بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة ارسلنا
اي ارسالا عظيما عليهم صيحة وحقر شانهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله تعالى
واحدة صاحها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن بصيحته هذه التي هي واحدة طاقة
كما قال تعالى فكانوا كهشيم المحتظر وهو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك
يحفظهن فيها من الذياب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم والهشيم
المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا
في الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالخشب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله
تعالى هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم
اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان او لانضمام بعضهم الى بعض فاجتمعوا
بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب بصفة شيا فوق شي منتظر الحضور من يشتري
منه قال ابن عادل ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم اي كانوا كالحطب اليابس الذي
للوقيد كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم
حطبا تنبيهات احدها قوله تعالى انه تعالى ذكر فكيف كان عذابي ونذر في ثلاثة مواضع
ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية
عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف حكاية
لغير العارف هل تعلم كيف كان امر فلان وغرضه ان يقول اخبرني عنه وحيث ذكرها بعد
بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول القايل ضرب فلان اي ضرب وايما ضرب وتقول ضربته
وكيف ضربته اي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام ثانيها انه تعالى
انه تعالى ذكر في حكاية نوح الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لان عذاب قوم نوح
كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا
بهم ثالثها انه تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على اتم
وجه لان حال صالح عليه السلام كان اتم مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه اتى بامر
عجيب ارضي وكان اعجب مما جاء به الانبيا لان عيسى عليه السلام احيى الميت لكن الميت كان
محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله تعالى في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام
انقلبت عصاه ثعبانا فاثبت الله تعالى له في الخشب الحياة باذن الله تعالى لكن الخشبة نبات
كان له قوة في النمو فاشبه الحيوان في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في بدء خروج الناقة
من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو والنبي صلى الله عليه وسلم اتى باعجب من الكل
وهو التصرف في الجرم السماوي الذي يقول المشرك لا وصول لاحد الى السما واما الارضيات
فقالوا انها اجسام مشتركة المواد يقبل كل واحدة منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل
ذلك فلما اتى بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله ادمي كان اتم وابلغ من معجزة صالح عليه
السلام التي هي اتم من معجزة سائر الانبيا غير محمد صلى الله عليه وسلم ولقد يسرنا
اي على ما لنا من العظمة القران اي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس

ولقد اي لحفظ والتذكير والتذكر وحصول الشرف في الدارين فهل من مدكر اي من ناظر يعين الاوصاف
والتجرد عن الهوى ليرى كما اخبر به فينعيه عليه ولما انقضت قصة ثمود ذكر تعالى
قصة لوط عليه السلام لانها اعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الاثار
فقال تعالى كذبت قوم لوط اي وهم في قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كانوا في تكذيبهم
هذا اضعف من عقول البشر عن التجرد عن الهوى بادل عليه تاثيث الفعل بالتاء وكذا
ما قبلها من الفصص بالنذر اي بالامور المنذرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام
ودل على تناهي الفاحشة في مرتكبيهم بتقديم الاخبار عن عدهم فقال تعالى مؤكدا لتوعد
لمن استمر على التكذيب انا اي بالنا من العظمة ارسلنا عليهم حاصبا اي بحاصبية
ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا الا ال لوط وهم من امن
به فكانوا بحيث اذا رايته فكانك رايت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من اقباله والمعنى
على مثل الذي في اقباله واقباله نجيناهم اي بعظمتنا بسحر اي باخر ليلة من الليالي
وهي الليلة التي عذب فيها فعمه وابصر فلانه تكره لانا لا نعرف تلك الليلة بعينها
ولو قصد بها وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن ال هذا هو المشهور ورجح
صدر الافاضل انه مبني على الفتح كما مر منها على الكسر نبه قال الجلال المحلي وهل ارسل
الحاصب على ال لوط او لا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل وعلى الثاني بانه
منقطع وان كانوا من الجنس تسمحا وقوله تعالى نعمة اما مفعول له واما مصدر بفعل
من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتاويل اما في العامل واما في المصدر
وقوله تعالى من عندنا متعلق بنعمة او بمحذوف صفة لها كذلك اي مثل هذا الانجاء العظيم
الذي جعلناه جزاء لهم نجزي من شكر اي من امن بالله واطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد
لامة محمد صلى الله عليه وسلم بانه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازي وعلى ان يقال
هو وعد لهم لا وبالثواب يوم القيمة كما انجاهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وقال مقاتل من وحد الله تعالى
لم يعذبه مع المشركين ولقد انذرهم اي رسولنا لوطا عليه السلام بطشتنا اي اخذتنا لهم
المعروفة من الشدة فماروا اي تعاطوا الشك الذي تزايلهم وقيل هي عذاب الاخرة
لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى فتماروا اي تجادلوا او كذبوا بالنذر اي بانذار
اي بانذار فكان سبب الاخذ ولقد راودوه عن ضيفه اي ارادوا ان يخلي بينهم وبين القوم
الذين اتوه في صورة الاضياف ليحتفلوا بهم وكانوا ملائكة في صورة شباب مرد وامرد لا لحية
الجشع فطمسنا اي فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا اعينهم اي اعميناها وجعلناها
بلا شق كباقي الوجه بان صفقها جبريل عليه السلام بجناحه وقال الضحاك بل اعماهم الله
تعالى فلم يروا الرسل وقالوا القدر اينا هم حتى دخلوا البيت فجاؤا هبوا مرجعوا فلم يروهم وهذا
قول ابن عباس ومرة انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفيحة الواحدة وقال القشيري
مسح جناحه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير والعرب تقول طمست
الريح الاعلام اذا درستها بما تسفي عليها من التراب فانطلقوا هاربين مسرعين الى الباب
يهتدون اليه ولا يقفون عليه بل يصادمون الجدران يتوقعون ما هو اعظم من ذلك وهم يقولون
عند ذلك لوطا اسحر الناس وما اذهم عقولهم الى ان يتوصلوا انتهم قال القشيري

وكذلك اجرى الله تعالى سنته في اوليائه بان يطمس على قلوب اعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف
يؤذون اولياءه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر اي انذاري وتخويفي
خطاب لهم اي قلنا على لسان الملائكة فذوقوا وهو خطاب مع كل مكذب اي ان كنتم تكذبون
فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط
عليه السلام فان قيل النذر كيف يذاق اجيب بان المراد ثمرته وفائدته فان قيل اذا كان
المراد بقوله تعالى عذابي هو العذاب العاجل وبقوله تعالى ونذر هو العذاب الآجل فهما
لم يكونا في زمان واحد فكيف قال تعالى ذوقوا اجيب بان العذاب الآجل اوله متصل باخر
العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا ولقد
صبحهم اي اتاهم في وقت الصباح وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال
عند الصاد والباقون بلا اظهار وحقق المعنى بقوله تعالى بكرة اي في اول نهار العذاب
فانصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتانيث والتعريف
عذاب اي فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن
الذي لا يعيش به حيوان مستقر اي ثابت عليهم غير مزايل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا عند
الطمس فانه اهلكهم واتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الاكبر
في الطبقة التي تناسب اعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق لسان القال
فذوقوا اي بسبب افعالكم الخبيثة عذابي ونذر تنبيه قد علم من تكرير هذا ان سبب العذاب
التكذيب بالانذار لاي رسول كان وكان استيناف كل قصة منبها على انها اصل على حدتها
لان يتعظ بها ولقد يسرنا على ما لنا من العظمة القرآن اي الجامع الفارق بين الحق والباطل
للذكر ولو شئنا لاعليناه بما لنا من القدرة الى حد يعجز القوى عن فهمه كما اعليناه الى رتبة
وقعت القوى عن معارضته فهل من مدكر اي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي اوقع فيه
هؤلاء انفسهم ظنا منهم ان الامر لا يصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب
ولما انقضت قصة لوط عليه السلام اتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط
بقوله تعالى ولقد جاء آل فرعون اي فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين اذا راوا
كان كانه رؤي فيهم لشدة قربهم منه وتخلقهم باخلاقه النذر اي الانذار على لسان
موسى وهرون عليهما السلام فلم يؤمنوا بل كذبوا اي تكذيبا عظيما مستهزئين
بآياتنا اي التي اتاهم بها موسى عليه السلام وغيرها كلها اي التسع التي اوتيها وهي
العصى واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فان قيل
كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء اجيب بان موسى لما جاء كان غائبا عن القوم فقدم
عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى ولقد جاءكم رسول من انفسكم
لانه جاء من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى فقومه من الطور والنذر
الرسل وقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى وقيل النذر الانذارات تنبيه
ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرا ابو عمرو وقالون باسقاط الهمزة الاولى مع المد
والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية ولهما ايضا ابدالها الفا وورش على اصله في الهمزة
المسهلة ومد بعد الجيم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة وهشام
ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر فاخذناهم اي بما لنا من العظمة بنحو ما اخذنا به

قوم نوح من الاغراق أخذ عزيز اي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي مقتدر اي لا يعجل
بالاخذ لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف
كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم اي الراسخون منكم يا اهل مكة في الكفر الثابتون
عليه يا ايها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه خير في الدنيا بالقوة
والكثرة او في الدين عند الله او عند الناس من اولئكم اي المذكورين من قوم نوح
الى فرعون الذين وعظناكم بهم في هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار
اي ليسوا باقوى منهم فمعناه نفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين
اهلكوا بكفرهم تنبيه قوله تعالى خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان فخير
كما لشر كما الفدا او هو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة او لان كل ممكن
فلا بد وان يكون له صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم اي يا اهل مكة براءة في الزبر
اي انزل لكم من الكتب السماوية اي من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله تعالى والاستفهام
هذا ايضا بمعنى النفي اي ليس الامر كذلك ام يقولون اي كفار قريش نحن جميع
اي جمع مبالغ في اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له منتصر اي على كل
من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الاي ولما قلب
ابو جهل يوم بدر انا جميع منتصر نزل سيهزم الجمع بايسر امر بوعد لا خلف فيه
وقال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر
اليوم على محمد واصحابه فانزل الله ام يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد
ابن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت
لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يقل الادبار لموافقة رؤوس الاي بل الساعة اي القيمة التي يكون فيها الجمع
الاعظم والهول الاكبر موعدهم اي للعذاب والساعة ادهى اي من كل ما يفرض وقوعه
في الدنيا اذ هي افعل تفضيل من الداهية وهي امر هائل لا يهتدى لدوائه
فهي امر عظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت
داهية داهية دهوا ودهيا وهي توكيد لها وقرا حمزة والكسائي بالامالة
محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وامر لان عذابها
للكافر غير مفارق ولا مزايل فهي اعظم نائبة واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا
جادلتك وتحادر رسولك بفخرها بخيلها فاحنهم الغداة يقال احنى عليه الدهر
اي غلبه واهلكه ومنه قول النابغة احنى عليه الذي احنى على لبد وحنيت
عليه افسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تاويلها وهذا
من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال
ابن عباس كان بين نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية
وفي البخاري عن عائشة ام المؤمنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس

ان النبي

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر مما لحقهم يوم بدر ان المجرمين اي المشركين الغاطسين لما امر الله تعالى ان يوصل به ضلال اي هلاك بالقتل في الدنيا وسعر اي نار مسعرة اي مهيجة في الاخرة وقيل في ضلال اي عمى عن القصد يتكدسهم بالبعث وسعر قال الضحاك اي نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الاخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال الحسن ان الفعل ان المجرمين في ضلال اي في الدنيا وسعر في الاخرة وقال قتادة في عناء وعذاب في الدنيا وفي الاخرة بقوله تعالى يوم يسحبون اي في القيامة اهانة لهم من اي سحب كان في النار اي الكاملة في النارية على وجوههم لانهم في غاية الذل والهوان تجبايا كانوا يدلون اولياء الله تعالى في قولهم لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ذوقوا مس سقر اي حر النار والمها او ما مسها سبب للالم بها وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس او النار اي لوحته وبقال الصاد وهي مبدلة من السين قال ذو الرمة اذا دنت الشمس اتقى صقراتها بافنان مرعوع الصريمة معقل وعدم صرفها للتعريف والتانيث وقال بعض المفسرين ان هذه الاية نزلت في القدرية لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجبرون الذين سماهم الله تعالى في قوله سبحانه ان المجرمين في ضلال وسعر وفي مسلم عن ابن هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الاية الى اخرها قال الرازي والقدري هو الذي ينكر القدر ويسند الحوادث لانفسها لا تكون الكواكب لها مدبرة فريشبه ان يكون اراد النبي صلى الله عليه وسلم في القدر ومذهبهم ان الله تعالى لم يكون العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على ان يطعم الغير وقد قالوا لو شاء الله لاطعمه فكذبهم الله تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة ان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كما لفهم فالقدرية في زماننا صلى الله عليه وسلم هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم القدرية وان اريد بالامة من امن به صلى الله عليه وسلم فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة فان المجوس اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشدهم مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكفرهم في النار فالحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى وقدره وعلمه بالكتاب والسنة واما من الكتاب فقوله تعالى انا اي بما لنا من الاحاطة كل شيء من الاشياء الحقيرة صغيرها وكبيرها خلقناه بقدر اي قضاء وحكم وقياس مضبوط ونسق محدود وقدر بالغة وتدبير محكم في وقت معلوم ومكان محدود ومكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه واما من السنة فما روى عبد الله بن عمرو ان العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني قال ادركت مشايخنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت من عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس

او الكيس والعجز وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد
حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث
بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره تبت كل شئ منصوب بفعل مضمر
تفسره الظاهر ولما بين سبحانه ان كل شئ يفعله بين يسره لذلك وسهوله عليه بقوله تعالى
وما امرنا في كل شئ اردناه وان عظم امرا الا واحدة اي فعلة يسيرة لا معالجة فيها وليس
هناك احداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة بالعدم وهو على وفق الارادة الازلية وقيل
الا كلمة واحدة وهي قوله تعالى كن كما قال تعالى اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون هم مثل
لنا فلكن باسرع ما تعقله واخفه بقوله تعالى كلمح البصر واللمح النظر بالعجلة وفي
الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف اي كما ان لمح احدكم بصره لا كلفة عليه فيه
فكذلك الافعال كلها عندنا بل اسرع وعن ابن عباس مثله وانما امرنا بالمجيء الساعة في السرعة
الاطرف البصر وقيل اعلم بالناس العظة اشياعكم اي اشباهكم ونظرائكم في الكفر من الامم
السالفة والعذاب عليكم كالعذاب عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما اصابهم ولذلك سبب
عنه قوله تعالى فهل من مدكر اي يا وقع لهم انه مثل من مضى بكل اضعف وانه قدرته
تعالى عليه كقدرته عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام بمعنى الامر اي
واذكروا وانقطوا وكل شئ فعلوه قال الجلال المحلي اي العباد وقال اكثر المفسرين
اي الاشياع لانه هو المتقدم ذكره في الزبر اي مكتوب في دواوين الحفظة وقيل في اللوح
المحفوظ وقيل في ام الكتاب فليحذر وامن افعالهم فانها غير منسية هذا اما اطبق
عليه الزاما ادى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لا يضيف الا وهم تعلق الجار بالفعل
فيوهم انهم فعلوا في الزبر كل شئ من الاشياء وهو فاسد وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم
واحوالهم مستطر اي مكتوب في اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين
موكدا رادا على المنكر فقال ان المتقين اي العريقين في وصف الخوف
من الله الذي وفقهم لطاعته في جنات اي في خلال بساتين ذات اشجار تشتبك
اغصانها ونهر اريد به الجنس لان فيها انهارا من ماء ولبن وعسل وخمر وافرده لموافقة
رؤس الاي ولشدة اتصال بعضها ببعض فكانها شئ واحد والمعنى انهم يشربون
من انهارها وقيل هو السعة والضياء بالنهار وكما جعل للمتقين في تلك الديار ذلك
جعل لهم في هذه الدار ايضا جنات العلوم وانهار المعارف ولهذا كانوا في مقعد صدق
اي خلوا لا لغو فيه ولا تاثيم ولم يقل في مجلس صدق لان القعود جلوس فيه ملك ومنه قواعد
البيت والقواعد من النساء ولذا قال عند مليك اي ملك تام الملك مقتدر اي قادر لا يعجزه
شئ وهو الله تعالى وعند اشارة للرتبة والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى
وجميع احبابنا منهم وما رواه البيهقي وغيره للذ تخشى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
القمر في كل غب اي يوما بعد يوما ويترك يوما بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل الليلة
البدر حديث موضوع سورة الرحمن مكية وتسمى عروس القرآن لانها مجمع النعم والكمالات
والبهجة في نوعها والكمال المكية كلها في قول الحسن وعروة وابن الزبير وعلى منزل وعطا
وجابر وقال ابن عباس الا آية منها وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض
الآية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها قال ابن عادل والاول

سورة الرحمن مكية

اصح

اصح لما روى عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا انخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فاباه ثم قام عند المقام ففرأ بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في اندية لها فتأملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثر في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بمكة فقرأ سورة الرحمن ومن الغريب من الحسن فاستمعوا له وهي سبع وثمانون اية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الذي ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجايب مخلوقاته الرحمن الذي ظهر عموم رحمته بما ظهر من بدايع مصنوعاته الرحيم الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بقوله تعالى الرحمن علم اي من شاء القرآن من نعمه الدنيوية ما هو في اعلا مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه تعالى بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله تعالى رتبة واعلاها واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو ينتظم الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها بقيد هذه السورة مناسبة لاحقيتها لانها اخر تلك بليك مقتدر واول هذه الرحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاثة سور اذا جمعت كن اسما من اسماء الله تعالى الرحيم والرحمن فتكون مجموع هذه الرحمن ولله تعالى رحمتان رحمة بها خلق الخلق ورحمة لاجلها ماذا اعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار الشاقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمان ولما تخلق ببعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطلق ونفع جاز ان يقال له رحيم وفي اعراب الرحمن ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن ربنا الثالث انه مبتدا خبره علم القرآن فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله اجيب بانا ان قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر وان قلنا بالوقف على الله وبتمام القول له تعالى والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فتواضع مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب ببعض تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعظيم القرآن او يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال اكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن اي سهله ليذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كذلك قيل كيف علمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه قال تعالى خلق الانسان اي الجنس بان قدره واوجد على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منتقلا عن جميع الحيوانات واصله منها ثم عن سائر النباتات ثم عن غيره من الحيوانات وخلقه له دليل على خلقه لكل شيء موجود انا كل

شيء خلقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية علمه البيان اي القوة الناطقة وهي
الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغايب بقياسه على الحاضر وغير ذلك
مما اودعه له سبحانه مع تعبيره عما ادركه مما هو غايب في ضميره وافهامه لغيره تارة بالقول
وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره
فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة والحسن يعني
ادم عليه السلام اسما كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان ادم يتكلم بسبعمائة الف لغة
افضلها العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد صلى الله عليه
وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه
بين عين الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع
ابن انس هو ما ينفعه وما يضره وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل بيان
الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فان قيل لم قدم تعليم القرآن للانسان
على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود اجيب بان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل
كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القرآن اجيب بان في ذلك
اشارة الى النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص وبان المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد
النعم على الانسان واستدعا للشكر منه ولم يذكر الملايكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وقيل
تقديره علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه تنبيه هذه الجمل
من قوله تعالى علم القرآن الى هنا جي بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان
احسن الى فلان اكرمه اشاد ذكراه رفع من قدره فلشدة الوصل ترك العاطف وهي اخبار مترادفة
للرحمن ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين بقوله تعالى
الشمس وهي اية النهار والقمر وهو اية الليل بحسبان فانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران
وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لفات كثير من المنافع الظاهرة
بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل احد مثل ظهور نعمتهما وانهما بحساب لا يتغيرا
ابدا ولو كان مسيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة
والمعنى يحدثان بحساب معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقال ابو وقتادة وابو مالك يجريان
بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يجروان عنها وقال ابو زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات
والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا اذا كان الدهر كله ليلا
او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير اجالهما اي يجريان باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما
هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له
والشجر اي كالبقول الذي له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن قوله تعالى وانبتنا عليه شجرة
من يقطين في سورة الصافات يسجدان اي ينقادان فيما يريدهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما وقال الفرا سجودهما انهما
يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان معها حتى ينكس الفي وقال الزجاج سجودهما
دوران الظل معهما كما قال تعالى يتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السما وسجوده
في قول مجاهد دوران ظلمته وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها
حكاه الماوردي وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل

فهو

فهو من المؤنث كله استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذا قال فقيل
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن اجيب بانه استغنى فيهما عن الوصل للقطع الصوري
المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لانفرد فكانه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له فان قيل اى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
اجيب بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان بين السفلي من تناسب حيث
التقابل فان السما والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبانه
من حسن الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر **والسما** اى ورفع
السماء فشرفها حيث جعلها كالمذكور مدبرة اشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيها من الحكم
فقال تعالى **رفعها** اى حسما قال التقاعي يقدر ما كانت ملتصقة بالارض ففتقها واعلاها
عنها وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي وخلقها مرفوعة قال البيضاوي محلا او رتبة
قال الزمخشري حيث جعلها منشا احكامها ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه
ومسكن ملائكته الذي يهبط بالوحي على انبيائه وتنبه بذلك على كبريائه وملكه
وسلطانه **ووضع الميزان** اى العدل الذي دبر به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة
لتنتظم امورنا كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال السدي وضع
في الارض العدل الذي امر به تعالى ووضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي الغه وقيل
على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن
وقتادة والضحاك هو الميزان الذي يوزن به ليتصف به الناس بعضهم من بعض وهو
خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل
وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الاخرة ليوزن الاعمال **ان** اى لاجل ان **لا تطغوا** اى
تتجاوزوا الحديد **في الميزان** ممن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي
توزن به قال طغيانه النحس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر
الموالي لستم امرين بها هلك الناس الكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف
وقيل فيه اضمار اى وضع الميزان وامر ان لا تطغوا فيه فان قيل اذا كان المراد به ما يوزن به
فاي نعمة عظيمة فيه حتى تعد في الآلاء اجيب بان التفويض نائب المغنى والارض احد
النقلين غيره ولو في الشيء اليسير وبرئ ان ذلك استهانة به فلا يترك حصه يعلمه فوضع
الله تعالى لعباده ما يزن به الشاوي ولا يقع به التضايق بين الناس وهو الميزان وهو كل
ما توزن به الاشياء يعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال ومقياس وهو نعمة كاملة ولا ينظر
الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما
الا عند فقدهما **واقيموا الوزن بالقسط** اى اقيموا مستقيما بالعدل وقال ابن الدريد
اقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عيينة اقامته باليد والقسط بالقلب وقال ابن الهائم
القسط العدل بالرومية **ولا تخسروا في الميزان** اى لا تنقصوا الموزون وامر بالتسوية ونهى عن الطغيان
الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله ولحث علمائه وقيل كرره لاختلاف رؤس الآي
وقيل ذكر ثلاث مرات الاول بمعنى الآلة وهو مفعول لقوله تعالى ووضع الميزان والثاني بمعنى
المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون قال ابن

عادل وبين القران والميزان مناسبة فان القران فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان
به يقام العدل الذي لا يقام بغيره من الالات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السما
ذكر على ذلك الوجه مقابلها بعد ان وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة
العناية والاهتمام به فقال تعالى والارض اي ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل في قوله
تعالى والسما رفعها فقال تعالى وضعها اي دحاها وبسطها على الما للانام اي كل من فيه
قابلية النوم او قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنوا ادم خاصة
وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز
الانيم وقال الواحدي قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس
والجن فيها اي الارض فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها
دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى اذ التنكير فيها
للتعظيم والتكثير نبه عليه بتعريف فرع منها ونوه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو
اكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالى والنخل ودل على تمام القدرة
بقوله تعالى ذات اي صاحبة الاكمام اي اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان تنفتق بالثمر
والاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعا الطلع وغطا التنور والجمع كمام
واكمة واكمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا يعض وكم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة
والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس والحب اي جميع الحبوب التي تقتات بها كالحنطة
والشعير ذو العصف قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي يعصفه الريح وقال مجاهد
ورق الشجر والزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع الذي اول ما ينبت منه وهو قول
الفرا والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وقيل العصف حطام
النبات والريحان وهو في الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له
واسترزاقا وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول ابن
زيد وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفرا العصف الماكول من الزرع
والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي العصف الورق الذي يوكل والريحان هو الحب الماكول
وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رايحة طيبة اي يشم
وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله
وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرا ابن عامر بنصب الحب وذا والريحان بخلق مضمرا
اي وخلق الحب وذا العصف والريحان وقرا حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطفا
على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة
اي وفيها ايضا هذه الاشيا ولما دخل في قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهما
بقوله تعالى فباي الا اي نعم ربكما اي المحسن اليكما المدبر لكما الذي لا مدبر ولا سيد لكما غيره تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها وكرر هذه الاية في هذه السورة في احدى وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة
وتاكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كما يقول
لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن
خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا

قال

قال القايل كم نعمة كانت لكم كم كم وكم . وقال اخر لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة اياك من دمه
اياك اياك وقال اخر لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك عن قول كاشح اشر ولا تملن
يوما من زيارته زره وزره وزر وزر وزر وقال الحسن بن الفضل التكرير طرد للغفلة
وتاكيد للحجة قال بعض العلما والتكرير ههنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر
وكقوله تعالى فيما سياتي ويومئذ للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير
لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع واحدة واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ
الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر
بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة تسعا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل
لخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل
المقصود واعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة
ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للجن والانس ثلاثون والزايد
لبيان التاكيد روى جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات
عليهم هذه الاية من مرة فباي الا ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب
فلك الحمد وقرا ورش فباي الا على اصله بالمد والتوسط والقصر جميع ما في هذه السورة
ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السما والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته
ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى خلق الانسان اي ادم من صلصال اي من طين يابس
له صلصلة اي صوت اذا نقر كالفخار اي كالخزف المصنوع المشوي بالنار وقيل هو
طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن تنبيه قال
تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى في الحجر من حما مسنون وقال تعالى في الصافات
من طين لازب وقال تعالى في ال عمران كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى
وذلك انه اخذه من تراب الارض فعجنه بالما فصار طينا ثم تركه حتى صار حماء
مسنونا ثم منتنا ثم صوره كما يصور الابريق وغيره من الاواني ثم ايبسه حتى
صار في غاية الصلابة فصار كالخزف الذي اذا نقر صوت صوتا يعلم منه
هل فيه عيب او لا فالمذكور هنا اخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها
تارة مبدوة وتارة اثناؤه فالارض امه والما ابوه ممزوجين بالهوا الحامل
للجز الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الما روحه وعقله
ومن النار غوايته وحدته ومن الهوا حركته وتقلبه في محامده ومذامه
فالغالب في جبلته التراب فلهذا نسب اليه وان خلقه من العناصر الاربع
كما ان الجان خلق من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال
تعالى والجان اي وخلق الجان اي ابا الجن وهو ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس
وقيل هو اسم جنس كالانسان من مارج من نار وهو لهبها الخالص من الدخان وقال
القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار اغلب عناصره وقال الليث
المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي
يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر وهو مشاهد في النار ترى الالوان

BULA

الثلاثة مختلط بعضها ببعض وجوه عن مجاهد وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط
النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى ان الله تعالى خلق
نارين فمرج احديهما بالاخرى فاكلت احديهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس
تبنيه من مارج من نارين الاولى لابتداء الغاية وفي الثانية تنبيه جهان احديهما انها للبيان
والثاني انها للتبعيض فبأي آلاء اي نعم ربكما التي تعمكما وسيدكما
تكذبان اي يا ايها الثقلان واطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة
الكائنات رب اي خالق ومدبر المشرقين اي مشرق الشتاء ومشرق الصيف ورب
المغربين كذلك فبأي آلاء ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان اي يا من في ذلك
من العجائب التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب
كلا من وصل فيه الى عبده ذلك مرج اي ارسل الرحمن البحرين اي العذب والملح
فجعلهما مضطربين من طبعهما الاصلي لحالة كونهما يلتقيان اي يتماسان
على وجه الارض لا فصل بينهما في رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض
قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة
بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر الملح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق
وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان بينهما برزخ اي حاجز عظيم بفعل الله
انها بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك
وعلى الاقوال الباقية قال الحسن وقتادة هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية
وهذا اولى من قوله تعالى لا يبغيان اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس
فيغرقانهم كما طغيا فاهلكا من على الارض ايام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين
الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه
وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة
الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله تعالى في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا
وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريقا الخير
والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازي معنى الاية ان الله
تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض وبين شأنهما الاختلاط فجعلهما بمرزخ
من قدرته فهما لا يبغيان اي لا عاوز كل واحد هنا ملحه له خالقه لا في الظاهر
ولا في الباطن فمتى حفرت على جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب
وان قربت للحفر منه قال البقاعي كلما قربت كان احلى فمحلهما سبحانه في راي
العين وحجز بينهما في عين العذب هذا وهما جمادان لا يطيق لهما ولا ادراك
فكيف يبغي بعضهم على بعض ايها المدركون العقلاء فبأي آلاء اي نعم ربكما اي الموجد
لكما والمربي تكذبان اي يا ثقلي النعم ايم بغيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من انواع
الموجودات فصدقتم بالاخرة لعلكم تتحولون من عداة الله تعالى الى محبيه
اللؤلؤ وهو كبار الدر والمرجان وهو صغاره قاله علي وابن عباس والضحاك
وقيل بالعكس وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض فالمرجان اعجمي
اي بمخالطة العذب الملح من غير واسطة او بواسطة السحاب فصار ذلك كالمطر

المزني

والانثى

والانثى قال الرازي فيكون العذب كاللقاح للملح وقال ابو حيان قال الجمهور انما يخرج
من الاجاج في المواضع التي يقع فيها الانهار والمياه العذبة فاسند ذلك اليها
وهذا مشهور عند الغواصين قال مكي كما قال على رجل من القريتين عظيم اي من احدى
القريتين وحذف المضاف كثير شايع وقيل هو كقوله تعالى نسيا حوتهما وانما
الناسي فتاه ويعزى لابي عبيدة قال البغوي وهذا جايز في كلام العرب ان يذكر
شيئين ثم يخص احدهما بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم
وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من احدهما اللولو ومن الاخر المرجان وقيل
بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاشيا في البحر بنزول المطر
والصدف بفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولده من بحر السماء
وبحر الارض وهذا قول الطبري وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان
من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان
من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة من محالة من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب وقال بعضهم كلام الله تعالى اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجايز
انه يسوقها من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البر
اشيا تخفى على التجار المترددين القاطعين الفاوز فكيف بما في قعر البحر قال ابن
عادل والجواب عن هذا ان الله تعالى لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يالفون
ويشاهدون وقرا نافع وابو عمرو يخرج بضم اليا وفتح الرا مبنيا للمفعول والباقون
بفتح اليا وضم الرا مبنيا للفاعل على المجاز وقرا السوسي وشعبة اللولو بابدال
الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية
فبأي آلاء اي نعم ربكما اي الملك الاعظم المالك لكما تكذبان اي تلك النعم من خلق المنافع في البحار
وتسليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة او غيرها وله اي لا لغيره الجواري اي السفن الكبار
والصغار الفارغة والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتتفقوا معها فتسندوا
شيا من ذلك اليها وقرا المنشآت حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى انها تنشي
الموج بجريها او تنشي السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع
القلع وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشآت والا فليست منها ونسبة
الرفع اليها مجاز كما يقال انشات السحابة المطر وقرا الباقون بفتح الشين وهو اسم
مفعول اي انشاها الله تعالى او الناس او رافعوا شراعها تنبيه الجواري جمع جارية
وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون
بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله وحده وسميت
السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر
بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبلي ان لم يكن كذلك
فقال تعالى انوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة
فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي فالفلك اولا ثم السفينة ثم
الجارية والمراة المملوكة تسمى ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوايج سيدها

بخلاف الزوجة فهو من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد
اي تسفن الماء وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسحورة وقوله تعالى في البحر متعلق
بالمنشآت وقوله تعالى كالاعلام حال اي من الضمير المستكن في المنشآت واما من الجواري
وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل على اعلى الارض قال القائل

اذا قطعنا علما بدا لنا علم ربما اوفيت في علم يدفعن ثوبي شمالات

وقال الخنساء في صخر وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار اي جبل
فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووجد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة
البحر فبأي آلاء اي نعم ربكما العظمى التي عمت خلقه تكذبان اي تلك النعم
من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر واسباب
لا تقدر على حفظها وجمعها غيره وقوله تعالى كل من عليها فان اي هالك غلب فيه من يعقل
على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله
تعالى حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله تعالى والارض وضعها
وقيل الضمير عائد الى الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلكت
اهل الارض فنزل كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك فان قيل الكلام
في تعدد النعم فاين النعمة في فناء الخلق اجيب بانها التسوية بينهم في الموت بسبب النقل
الى دار الجزاء والثواب ويبقى اي بعد فناء الكل بقاء مستمرا الى ما لا نهاية له وجه ربك
اي ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه فان قيل كيف
خاطب الاثنين بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه
ربك ولم يقل وجه ربكما اجيب بان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه
ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يخرج
نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء فان قيل فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب
كان ادل على فناء الكل اجيب بان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر
والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب
ولما ذكر تعالى مباينته للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالى
ذو الجلال اي العظمة التي لا ترام وهو صفة ذاته التي تقتضي اجلاله عن كل ما لا يليق به
والاكرام اي الاحسان العام وهو صفة فعله مع جلاله وعظمته فبأي آلاء اي نعم
ربكما المربي لكما على هذا الوجه الذي مآله الى القدم الى اجل مسمى تكذبان اي تلك النعم
من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم ام بغيرها وقوله تعالى
يسأله من في السموات اي كلها كلهم والارض كذلك مستأنف وقيل حال من وجه والعامل
فيه يبقى اي يبقى مسؤولا من اهل السموات والارض بلسان الحال او المقال او بهما قال ابن
عباس وابو صالح اهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق واهل الارض يسألونهما
جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسألتان جميعا من اهل
السماء واهل الارض لاهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه
وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى
الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل

الله

الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطا انهم يسالوه القوة على العبادة وقوله تعالى كل يوم
منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله تعالى هو في شان والشان الامر روى
ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربة ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقال اكثر المفسرين من شانه انه
يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي قوما ويفرج مكروبا ويجيب داعيا
ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا وروى
البغوي عن ابن عباس انه قال اول ما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه
من ياقوتة حمرا قلمه نور وكلماته نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثماية وستين
نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله تعالى كل
يوم هو في شان وقال سفيان ابن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان احدهما
اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه اي في كل يوم من ايامها الامر والنهي والاماتة
والاحيا والاعطا والمنع والثاني يوم القيامة وشانه فيه الجزا والحساب والثواب
والعقاب وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد برجديد
وقال بعض المفسرين شانه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاث عساكر عسكرا
من اصلاب الابا الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا
الى القبور ثم يرحلون جميعا الى الله تعالى وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيا وسال بعض الملوك وزيره عن هذه الاية فاستمهله الى الغد
وذهب كيبا يتفكر فيها فقال غلام له اسود ما مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله
تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان
الله تعالى ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم صحيحا ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا
ويذل عزيزا ويغفر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع
عليه ثياب الرزانة فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله ابن طاهر
انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشف لي قوله
تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وصح
ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه
ليس له الا ما سعى فما بال الاضعاف قال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة
ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم تشاركهم فيها الامم
وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله
تعالى كل يوم هو في شان فانها شون يبديها لا شون يبتديها فقام عبد الله وقبل
راسه وسوغ خراجه فباي الا اي نعم ربكما المدبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان
اي بتلك النعم ام بغيرها سنفرغ لكم اي سنقصد لحسابكم وجزايكم وقرا حمزة والكسائي
بعد السين بالياء التحتية والباقون بالنون ايه الثقلان اي الانس والجن ذلك يوم

القيمة فانه تعالى لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل فروغا
وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ
به وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك
كقول القايل لمن يريد تهديده اذن اتفرغ لك اي اقصدك وانشد ابن الانباري لجرير
الآن وقد فرغت الى نمير فهذا حين كنت لهم عذابا ... يريد وقد قصدت
وانشد الزجاج والنحاس فرغت الى العبد المقيد في الحجل وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا مذمم
يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله
يا عدو الله لا تفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار الكسائي
وغيره قال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير الشعر وهو ههنا شيطان اسمه
ازب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور
ثم قال سنفرغ لكم او مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانفرغ منه
قاله الحسن ومقاتل وابن زيد تنبيه رسم ايه بغير الف واذا وقف عليها وقف ابو عمرو
والكسائي ايها بالالف ووقف الباقون على الرسم ايه وفي الوصل قرا ابن عامر ايه
برفع الهاء والباقون بنصبها فايدة سمي الانس والجن بالثقلين لعظم شانهما بالاضافة
الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احياء
وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه
وقال بعض اهل المعاني كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض
النعام ثقل لان واحده وصايده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين
لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن بذلك مجازا للمجاورة
والتغليب كالعمرين والقمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم
ثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما بهذا الصنيع
المحكم تكذبان اتسلك النعم من اثابة طاعته وعقوبة اهل معصيته ام بغيرها ان
يا معشر الجن اي يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق والانس اي الخواص
والمستانسين والمانوسين المبني امرهم على الاقامة والاجتماع ان استطعتم اي
اي وجدت لكم طاعة الكون في ان تنفذوا اي تسلكوا باجسامكم وتمضوا من غير
مانع يمنعكم من اقطار اي نواحي السموات والارض هاربين من الله تعالى من ايقاع
الجن ايتيكم او عصيان عليه في قبول احكامه وجري مراداته واقضيته عليكم
من الموت وغيره فانفذوا امر تعجيز والمعنى ان استطعتم ان تجوزوا نواحي
السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا يعني لا مهرب لكم ولا خروج
لكم عن ملك الله تعالى اينما تولوا فثم ملك الله عز وجل فان قيل ما الحكمة في تقديم
الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
اجيب بان النفوذ من اقطار السموات والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان
بمثل القران بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به فان قيل لم جمع

في قوله

في قوله تعالى سنفرغ لكم وفي قوله ان استطعتم ونحن في قوله تعالى ايه الثقلان لجميع بانهما فريقان يوم القيامة كقوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم لا تنفذون اي لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي الا بقوة وقهر واني لكم ذلك وروي عن ابن عباس انه قال معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي بينة من الله تعالى ثم قال فبأي آلاء ربكما تكذبان في هذه الآيات والتي في الاحقاف وفي قل اوحي ودليل على ان الجن مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الفاسق فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما المربي لكما بانواع فنون نعمه فقد تتعلى ما يريد تكذبان انتكذبان النعم ام تنكرها وقال البغوي هذا خبر بمعنى الامر اي ليقر بذلك الخلق بالملائكة وبلسان من نار يرسل عليهم يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما اي ايها العاملون قال ابن عباس حين يخرجون من القبور ليسوقهم الى المحشر شواظ من نار قال مجاهد اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس هو اللهب الخالص الذي لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير وعن ابن عباس اذا رأيتموه فوقهم سائقهم شواظ الى المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال عمرو هو النار والدخان جميعا وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان فحوتك فاختضعت لها بذل بعافية تاجج كالشواظ وقرأ ابن كثير يرسل الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلف في قوله تعالى ونحاس فقيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى لهم يوم القيامة به وقيل هو الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو معروف في كلام العرب وانشد الاصمعي

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال ابن عباس والعرب تسمي الدخان نحاسا تضم النون وكسرها واجمع القراء على ضمها انتهى وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها دخ شديد فلا تنتصران اي فلا تمتنعان ولا ينتصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المدبر لكما هذا التدبير المتقن تكذبان انتكذبان النعم فان التعديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي للجزاء والانتقام من الكفار في عدد الآلاء ام تغيرها فاذا انشقت السماء اي انفرجت فكانت ابوابا للنزول للملائكة فكانت وردة اي مثلها محمرة فكالدهان اي كالادهم الاحمر على خلاف العهد بها لشدة حر نار جهنم وقال مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي يذوب مع جريان الدهن حتى يصير جمرا من حرارة نار جهنم ويصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقال الحسين كصب الدهن فانك اذا صببته تراه في الوانا وحواب فما اعظم الهول عبادي الا اي يغير ربكما اي الخالق والرزاق لكما تكذبان انتكذبان النعم ام تغيرها فيومئذ يكون بعد ذلك فيومئذ اي فتسبب عن يوم اذا انشقت السماء انه لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اي سؤال تعرف واستعلام بل سؤال توبيخ وتقريع وتعذيب وهذا وذلك انه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا

على ان ذلك اليوم طويل وهو ذو الوان تارة يسال فيه وتارة لا يسال والامر في غاية الشدة
وكل لون من تلك الالوان يسمى يوما فيسال في بعض ولا يسال في بعض وقيل المعنى لا يسالون
اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله تعالى
حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا
لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله تعالى يعرف المجرمون
بسيماهم ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين وقوله تعالى
فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسالهم
لم علمتموها سؤال توبيخ وقال ابو العالية غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة
يسالون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم
تنبيه الجان هنا وفيما سياتي بمعنى الجن والانس بمعنى الانسي فبأي آلاء اي نعم
ربكما اي الذي ربى كلا منكم بما لا مطمع في انكاره ولا خفاء فيه تكذبان ابتلك النعم
ام بغيرها اي مما انعم الله تعالى على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف اي لكل احد
المجرمون اي الفريقون في هذا الوصف بسيماهم اي العلامات التي صور الله تعالى
ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد ان كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الآن
الليل اذا جا لا يخفى على احد اصلا وكذا النهار ونحوهما لغير الاعمى قال البقاعي وتلك
السيما والله اعلم زرقة العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشي على الوجوه ونحو ذلك
وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتبسمها والغرة والتحجيل
ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله تعالى مشيرا بالبنا للمفعول الى سهولة الاخذ من اي
اخذ كان فيؤخذ بالنواصي اي منهم وهي مقدمات الروس والاقدام بعد ان يجمع بينها
فيسحبون بها سحبا من كل ساحب اقامه الله تعالى لذلك لا يقدرون على الامتناع
بوجه فيلقون في النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة
من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره
ثم يلقى في النار وفعل بالكافر ذلك ليكون اشد لعذابه وقيل تسحبه الملائكة
الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه
على وجهه فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المنعم عليكم الذي دبر مصالحكم بعد ان اوجدكم
تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها مما وعد ان يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان
يعمل في الدنيا او غير ذلك من الفضل هذه جهنم اي يقال لهم اذا القوا فيها هذه
جهنم التي يكذب اي ماضيا وحالا ومآلا استهانة ولو ردوا الى الدنيا بعد ادخالهم
اياها لعادوا لما نهوا عنه بها المجرمون اي المشركون الحقيقون بالاجرام وهو قطع
ما من حقه ان يوصل وهو ما امر الله تعالى به وخص هذا الاسم اشارة الى انها
تلقاهم بالتهجم والعبوسة والكلاحة والقطاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين
عند الاجرام يطوفون بينها اي بين درك النار وبين حميم آن اي حار متناه
في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال انى يأنى فهو آن كقضى يقضي فهو قاض والمعنى
انهم يسعون بين الحميم والجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن
الذي صار كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل وقال كعب الاحبار

لا يسالهم

واد

وادمن اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فينغمسون فيه
حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون
في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان فان قيل هذه الامور ليست
نعمة فكيف قال عز وجل فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن ايها الثقلان اليكما تكذبان
اجيب من وجهين احدهما ان ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين
فيه زجر على المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم النعم روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السما فكانت وردة
كالدهان فوقف الشاب وحتفته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه
السما ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى منها فوالذي نفسي بيده
لقد بكت ملايكة السما من بكايك الثاني ان المعنى ان كذبتم بالنعمة المتقدمة
استحقيتم هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم
ولما عرف ما للمجرم المجترئ على العظايم وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترغيب
وجعله سبعا اشارة الى ابواب النار السبع عطف عليه ما للخايف الذي اداه خوفه
الى الطاعة وجعله ثمانيا على عدد ابواب الجنة الثمانية فقال تعالى ولمن خاف
اي من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة الخايفين مقام
ربه اي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال القرطبي ويجوز
ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا جا اجلهم
وقوله تعالى في موضع اخر ان اجل الله اذا جا لا يؤخر وقال مجاهد هو الذي يهم
بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل جنتان اي لكل خايف
جنتان على حدة قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد ابن علي الترمذي
جنة تخوفه ربه وجنة تترك شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد ادا الفرايض
وقيل لجميع الخايفين وقيل جنة لخايف الانس واخرى لخايف الجن فيكون من باب
التوزيع وقيل مقام هنا مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك
وانشد ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذيب
قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين جنته
التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعل
روسا الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل
القصور والاخرى اعاليها وقال الفرا انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الاي
وانكر القتبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما يقال تسعة عشر
مراعاة لرؤس الاي وقيل جنة واحدة وانما ثنى تاكيدا كقوله تعالى القيا في جهنم وعن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان يبلغه الله تعالى عاليه الا ان يبلغه الله الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج
مخففا سير اول الليل ومثقلا سير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد
والاجتهاد في اول الامر فان من سار في اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روى البغوي
بسنده عن ابي الدردا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو

BULA

يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت الثالثة وان زنا وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدردا فايدة
قال القرطبي في هذه الاية دليل ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق
انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحيا منه وقاله سفيان الثوري
وافتى به هذا ومذهب الشافعي انه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام وقال
عطا نزلت هذه الاية في ابي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت
وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه
الاية فبأي آلاء اي نعم ربكما المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر احد على شي منها تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها من نعمه التي لا تحصى ثم وصف الجنتين بقوله تعالى ذواتا
اي صاحبتا او خبر لمبتدا محذوف اي هما ذواتا وهي تثنية ذات لغتان الرد الى الاصل
فان اصلها ذوة فالعين واو واللام يا لانها مونثة ذوو الثانية على اللفظ فيقال
ذاتا وقوله تعالى افنان فيه وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن
المستقيم طولا تكون به الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع قال النابغة الذبياني

بكا حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحولون الوفانين يريد الوافين وهو جمع افنان وافنان
جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي قال قتادة ذواتا افنان اي ذواتا
سعة وفضل على سواهما والوجه الثاني انه جمع فن واليه اشار ابن عباس والمعنى ذواتا
انواع واشكال وقال الضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن الا ان الكثير في فن ان يجمع
على فنون وقال عطا كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى فبأي
آلاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما والمدبر لكما تكذبان ابتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم
من امثاله ما تعتبرون به ام بغيرها ولما كانت الجنان لا تقوم الا بالانهار قال تعالى فيهما
عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ما بالزيادة
والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء
الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احدهما من ما غير اسن
والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما
عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى فيجريان في اي مكان
شا صاحبها وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها
فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المالك لكما والمحسن اليكما تكذبان ابتلك النعم التي ذكروها وجعل لها
في الدنيا امثالا كثيرة ام بغيرها فيهما اي الجنتين من كل فاكهة اي تعلموها او لا تعلموها
زوجان اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا
ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فان قيل
قوله تعالى ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف

للجنتين

للجنتين فما الحكمة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان مع انه تعالى لم يفصل
حتى ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
مع ان ارسال الشواظ غير ارسال النحاس اجيب بانه تعالى جمع العذاب جملة وفصل
آيات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا
للسامع فان اعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن فان قيل فما وجه
توسط آية التعيين بين ذكر الافنان وآية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان
فالمناسبة ان لا يفصل بين آية الاغصان والفاكهة اجيب بان ذلك على عادة المتنعمين
اذا خرجوا متفرجين في البستان فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا
فبأي آلاء اي نعم ربكما التي ادخرها الموجد لكما المحسن اليكما تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها
مما فوضه اليكم من سائر النعم التي لا تحصى ولما كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم من طيب
الفرش وغيره قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم متكئين اي لهم ما ذكر
حال الاتكاء والعامل في الحال محذوف اي يتنعمون متكئين على فرش وعظمها بقوله
تعالى مخاطبا للمكلفين بما يحتمل عقولهم والا فليس في الجنة كل ما تشتهيه على الحقيقة
شيء من الدنيا بطائنها من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة
اذا كانت البطائن التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة وقيل لسعد بن جبير البطائن من استبرق
فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن
عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى
ونظير ذلك في الجنة قوله تعالى عرضها السموات والارض واما الطول فلا يعلمه الا الله
عز وجل لكن قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلألأ
وقيل الظهائر من السندس وعن الحسن البطائن والظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة
والعرب تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفراء قد تكون
البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا
ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون
هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحائط بينك وبين قوم
وعلى السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد
يعرف ما الظواهر تنبيه قال الرازي الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين اي وهذا
ومثله لا يخرج القرآن عن كونه عربيا لان العربي ما نطقت به العرب وضعا واستعمالا
من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام
العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم بخلاف المريض
والمهموم وجنى الجنتين اي ثمرها دان اي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى
يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد
يده بعد ولا شوك قال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه احدها
ان الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمرة تتدلى
اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الآخرة هي تدنو اليهم
وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها

وثمار الجنة كلها تدنوا اليهم في وقت واحد ومكان واحد فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المربي لكما الذي
يقدر على كل ما يريده تكذبان امن قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار ام من غيرها
ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالنسوان الحسان قال تعالى فيهن اي الجنان التي علم مما مضى
ان لكل فرد من الخافقين منها جنتين فصح الجمع وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالها
على اماكن وقصور ومجالس انتهى قال ابو حيان وفيه اي الاول بعد لان الاستعمال
ان يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشري
مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك وقيل يعود على الجنتين لان اقل الجمع اثنان
وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن قاصرات الطرف اي
ازواجهن المتكئين من الانس والجن قال الرازي وقوله قاصرات الطرف اي نساء او ازواج
فحذف الموصوف للنكتة وهي انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال
تعالى حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات
لوجهين اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن باوصافهن واما لانهن لما كملن كانهن
خرجن من جنسهن وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في اعينهن
فيحببن ازواجهن حبا لشغلهن عن النظر الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة
ربي ما ارى في الجنة احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك ويدل ايضا
على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها تنبيه انظر الى حسن
هذا الترتيب فانه تعالى بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين
الجارية ثم ذكر الماكول فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو
الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من اعظم الملذذات لا سيما
المراة قال تعالى لم يطمثهن اي لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال طمست المراة كضرب وفرح
حاضت وطمسها الرجل افتضها وايضا جامعها انس قبلهم اي المتكئين ولا جان فكانه
قيل هن ابكار لم يخالطهن احد هذا جمع كل من يمكن منه جماع وفي ذلك دليل على ان الجني يغشى
كما يغشى الانسي وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنتان قال ضمرة للمؤمنين منهم ازواج من الحور
والانسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون
من حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ انشئن خلقا وهو قول الكلبي اي
لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان واما في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع
الرجل ولم يسم ينطوي الجاني على احليله فيجامع معه وقال القرطبي لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع
قبل ازواجهن احد وهذا شامل لنساء الجنة ولنساء الدنيا بعد انشائهن خلقا جديدا وقرا الكسائي
يطمثهن بضم الميم في الموضعين بخلاف عنه وتخييرا في احدهما وهما لغتان يقال طمثها يطمثها
ويطمثها اذا جامعها فبأي آلاء اي نعم ربكما المدبر مصالحكما تكذبان اي باي نوع من انواع
هذا الاحسان ام غيره كانهن الياقوت اي صفاء والمرجان اي اللؤلؤ بياضا والياقوت جوهر
نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه والمرجان صغار اللؤلؤ واشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض
اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة قال ابن الخازن والاصح انه شبههن
بالياقوت لصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استضيئته لرايت السلك من ظاهره

لصفائه

لا تصفايه فانه محرم اذا دخلت عليهم سطعا قال عمرو بن ميمون المراة من الحور العين ليرى مخ
ساق حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء ذكر ذلك
ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المراة من نساء
اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول
كما نهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استضيئه
لرايته من وراءه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج
الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري
في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة
وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة اي يجورهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ ساقهما من وراء لحمها من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل
واحد فبأي آلاء اي نعم ربكما الاله المالك المربي ببدائع التربية تكذبان اي ما حصل
منا بالاذكر من وصفهن ام بغيره هل جزاء الاحسان اي بالطاعة من الانس والجن وغيرهما
الا الاحسان اي بالثواب وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم الا الجنة وعن انس بن مالك قال فزا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء
الاحسان الا الاحسان ثم قال لقد رون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر
وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية تقول الله عز وجل
هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا الجنة وجزيرة قدسي رحمتي
فبأي آلاء اي نعم ربكما الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال تكذبان ايها الثقلان من هذه النعم
الجزيلة ام بغيرها ومن دونهما اي من ادنى مكان ومرتبة جنتان هو الاحسنان للقربين
جنتان اي لكل واحد ممن دون هو الاحسنان من الخائفين وهم اصحاب اليمين وقال
ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين جنتان من فضة لاصحاب اليمين وقال
ابن جريج هي اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان
لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما
اي امامهما وقبلهما يدل عليه قول اصحاب الجنتان الاولتان من ذهب وفضة والاخريان
من ياقوتة وعلى هذا فهما افضل من الاولتين وعلى هذا القول ذهب ابو عبد
الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان اي دونهما
هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل الجنتان الاولتان جنة
عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الخلد وجنة المأوى فبأي آلاء اي نعم ربكما
ايها الثقلان بعد جميع خلقه تكذبان ايشيء مما تفضل به عليكم ام بغيره ثم وصف تلك الجنتين
بقوله تعالى مدهامتان قال ابن عباس خضراوان وقال مجاهد سوداوان
لان الخضرة اذا اشتدت تضرب الى السواد وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد
العراق لكثرة شجره وزرعه والارض اذا احضرت غاية الخضرة تضرب الى السواد
قال الرازي والتحقيق فيه ان ابتداء الالوان هو البياض وانتهاؤها هو السواد
فان الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيئا من الالوان فبأي آلاء اي نعم

ربكما اي المحسن اليكما بالرزق وغيره تكذبان اي شيء من تلك النعم ام بغيرها ثم وصف تلك الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما اي في جنتي كل شخص منهم عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة لان النضخ بالمهملة الرش والرشح وبالمعجمة فوران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضخ على اولياء الله تعالى بالمسك والعنبر والكافور وفي دور اهل الجنة كما ينضح رشح المطر وقال سعيد ابن جبير بانواع الفواكه والماء فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المربي البليغ الحكمة في التربية تكذبان اي تلك النعم ام بغيرها ثم وصف الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما فاكهة وخص اشرفها واكثرها وجدانا في الحرث والشتا كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لما هنا بقوله تعالى ونخل ورمان فان كلا منهما فاكهة وادام فلذا حصا تشريفا وتنبيها على ما فيهما مع التغذية واوليهما اعم نفعا واعجب خلقا ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذكر من الفاكهة ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وقال المنذري وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما من الذكر من الفواكه وافرد الفواكه عن احدهما وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتغذية قال البغوي وعن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وسعفها كسوة اهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليين من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة مثل جلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزع عنها عادت مكانها اخرى المعقود منها اثنا عشر ذراعا فبأي آلاء اي نعم ربكما المحسن الى الثقلين بجليل التربية تكذبان اي تلك النعم ام بغيرها مما احسن به اليكم فيهن اي الجنات الاربع او الجنتين وقصورهما خيرات حسان اي نساء الواحدة خيرة على تمشي ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات مخفف كميت ولين روى الحسن عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذارى ايكارا وقال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختيار فاختيار الله تعالى لا مثنوية اختيار الادميين فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله تعالى خالق الحسن شيأ بالحسن فانظر ما هناك وقال الرازي في بالمهن الخير وفي ظاهر من الحسن فبأي آلاء اي نعم ربكما اي الكامل الاحسان اليكما تكذبان ايتها الثقلان كلكم من انواع الفواكه ام غيرها ثم زاد في وصفهن بقوله تعالى حور جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها مقصورات والقصورات المحبوسات المستورات في الخيام وهي الحجال خلقن للطوافات في الطرق قاله ابن عباس والنساء تمدح بالاقامة منهن

البيوت

البيوت كما قال قيس بن الاسلت وتكسل عن جيرانها فيزرنها وتقتل من ابنائهن
فتعذر ويقال امراة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة وانت التي
حببت كل قصيرة الي ولم يعلم بذاك القصاير عنيت قصيرات الحجال ولم ارد
قصار الخطا شر النسا البحاير والخيمة اربعة اعواد تنصب وتسقف بشي من نبات الارض وجمعها
خيم كتمرة وتمر ويجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع واما ما يتخذ من شعر او وبر او نحوه فيقال
له خبا وقد يطلق عليه خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة وقال ابن عباس قال وهو فرسخ
في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من لولوة مجوفة
والمقصورات المحبوسات عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون الاخرين
يطوف عليهم المومنون وقال ابو عبد الله الحكيم الترمذي بلغنا ان سبحانه مطرت من الفرش
فخلقن اي الحور العين من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطي الانهار
سعتها اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة
عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملايكة والخدم لم ياخذها فهي مقصورة
قد قصرتها عن ابصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرت اطرافهن وانفسهن على ازواجهن
فلا يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من نسا اهل الجنة اطلعت على اهل
الارض لاضات ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها
فايدة اختلفوا ايما اكثر حسنا واتم جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر في وصفهن في القران
والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه في صلاة الجنازة وابدله زوجا خيرا من زوجه
وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور
العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين يخلقن في الاخرة
على احسن صورة قاله الحسن البصري قال ابن عادل والمشهور ان الحور العين ليس من نسا اهل الدنيا
انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا
اهل الدنيا مطموثات انتهى لكن مر انه لم يطمثهن بعد انشايهن خلقا اخر وعلى هذا
لا دليل في ذلك فباي الا اي نعم ربكما الذي صوركم فاحسن صوركم تكذبان ايهذه
النعمة ام بغيرها لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الجنتين الاوليين وضميرهم
في قبلهم لاصحاب الجنتين فباي الا اي نعم ربكما الذي جعل لكم في الجنة ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تكذبان ايهذه النعم ام بغيرها
متكين اي لهم ما ذكر حالة الاتكا والعامل في الحال محذوف اي يتنعمون متكين على رفرف
اي ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسايد عظيمة ورياض
باهرة وبسط لها اطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لان الله سبحانه وتعالى وصفه
بالجمع بقوله تعالى خضر ووصفه بذلك لان الخضرة احسن الالوان وابهجها وقال
الجوهري هو ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطاير
اي ارتفع في الهوا ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران وقيل الرفرف طرف الفسطاط
والخبا الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقال الحكيم الترمذي
في نوادر الاصول الرفرف اعظم خطر من الفرش فذكر في الاوليين متكين على فرش

بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شيء
اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به حيثما يريد كالمرجاح وروي في حديث
المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف
فتناوله من جبريل وطار به الى سدرة العرش فذكر انه قال طار بي يحفظني ويرفعني
حتى وقف بي على ربي اي في محل تنزلات رحمة ربي ثم لما جاء الانصراف تناوله
فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم
بين يدي الله تعالى له خواص الامور من الدنو والقرب كما ان البراق دابة تركبها الانبياء
مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدابتين هو متكاؤهما
وفرشهما مرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث يشاء الى خيام ازواجه وقوله تعالى
وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب
قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية بناؤها في غاية الحسن والعبقري
الكامل من كل شيء وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم وقال قطرب
ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وتختي انتهى والمراد به الجنس ولذلك قال تعالى
حسان حملا على المعنى اي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف فبأي آلاء
اي نعم ربكما المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه تكذبان ابشيء من هذه
النعم ام بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطة مبدعها باوصاف
الكمال وختم نعم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة
الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعم الاخرة بقوله عز من قال
تبارك قال ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكره جل ذكره الا عند امر معجب
انتهى ومعناه ثبت ثباتا لا يسع وصفه ولما كان تعظيم الاسم ابلغ في تعظيم
المسمى قال تعالى اسم ربك اي المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذي حث لك
على متابعته فصرت مظهرا له وصار خلقا لك فصار احسانه اليك موف الوصف
وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلي والاول اولى ذي الجلال اي العظمة
الباهرة والاكرام قال القرطبي كانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال
الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض
وصنعه وانه تعالى كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيمة
واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر الصفة تبارك اسم
ربك ذي الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه
يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض
والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله وقرا ابن عامر
بالواو رفعا صفة للاسم والباقون بالياء خفضا صفة لرب فانه هو الموصوف
بذلك روى الثعلبي عن علي انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوي تبعا
للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه حديث موضوع

سورة

سورة الواقعة مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة
الا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي
مكية الا اربع آيات منها الثلاث الاول انهم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا في سفره الى المدينة
وقدمنا ان في المدني والمكي اصطلاحين وان المشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني
ما نزل بعدها وهي سنة وسبعون آية قال الخليل المحلي وهي ست او سبع وسبع وسبع
وسبعون آية إنتهى وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وستمائة وثلاثة
احرف بسم الله الذي له الكمال كله فما وقت بين الناس في الاحوال الرحمن الذي عم
بنعمة البيان وفاضل في فضلها بين اهل الادبار واهل الاقبال الرحيم الذي قرب
اهل حضرته فغاروا لجالس الاقوال والافعال ولما قسم سبحانه الناس في تلك السورة
الى ثلاثة اصناف محرمين وسابقين ولاحقين شرح احوالهم في هذه السورة وبين
الوقت الذي تظهر فيه كرامته وانتقامه بقوله تعالى إذا وقعت الواقعة
اي التي لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال غيرها بالغة
غيرها وهي النفخة الثانية التي يكون عنها البعث الاكبر الذي هو القيامة الجامعة
لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدايد
وانتصاب اذا بمحذوف فصل اذكر او كانت كيت وكيت وقال الزجاج اذا صلة لقوله تعالى
اقتربت الساعة واتى امر الله وهو كما تقول جاء الصوم اي دنا وقرب وقوله تعالى ليس لوقعتها
كاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله
تعالى لا يسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كاذبة قاله الكسائي او صفة والموصوف
محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق او نفس كاذبة
بان تنفيها كما انفتها في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا يرد ها شيء وقيل قيامها
جد لا هزل وقوله تعالى خافضة رافعة تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدا محذوف
اي هي قال عكرمة يقتل خفضت الصوت واسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت
من نائي يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت
المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله تعالى ورفعت اقواما
الى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب خفضت اعداء الله تعالى في النار ورفعت اولياء
الله تعالى في الجنة وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل
ولا مانع ان تكل ذلك هو وجود فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب في العلو والمكانة
والعز والاهانة ونسب سبحانه الرفع والخفض الى القيمة توسعا وجاريا على عادة
العرب في اضافتها الفعل الى الجمل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليلك
قائم ونهارك صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله
تعالى واللام في قوله تعالى لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها
واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها
احد يوجدها كاذبة اذ الخبر عنه قال الرازي وعلى هذا لا يكون ليس عاملا في اذا وهو
بمعنى لئن لها كاذبة إذا رجت الارض اي زلزلت عما سعتها وقلقلها يا بنسان امرا رجا اي حركت

تحريكا شديدا بحيث تهدم ما فوقها من بنا وجبل قال بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى تهدم ما عليها وتنكس كل شئ عليها من الجبال وغيرها والرجرجة الاضطراب البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت ولما ذكر حركتها المرتجة اتبعها غايتها بقوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي بلت والبسيسة السويق والدقيق بلت بالسمن او الزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز لا يجعل الجد الجواد بسا ولا تطيل امتاح حبسا او سقتة وسرت من بس الغنم اذا سقتها وبست الابل وابستها الفتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت وتطيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت بالرمل والتراب فكانت اي بسبب ذلك هباء اي غبارا هو في غاية الاضمحلاق والى شدة لطافته اشار بصفته فقال تعالى منبثا اي منتشرا متفرقا بسببه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا اضطرمت تطاير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيا وكنتم اي قسمتم بما كان في جبلاتكم وطباعكم في الدنيا ازواجا اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى فاصحاب الميمنة وهم الذين يؤتون كتبهم بايمانهم مبتدا وقوله تعالى ما استفهام فيه تعظيم مبتدا ثان وقوله تعالى اصحاب الميمنة خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الاول وتكرير المبتدا هنا بلفظه معين عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم ولما ذكر الناجين بين سبب انجائهم اضدادهم بقوله تعالى واصحاب المشئمة اي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقد تقدم بيانه بقوله تعالى واما اصحاب الشمال فخص لشامهم بدخولهم النار وقال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشامة هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار والشامة الميسرة وكذا الشمال والعرب تقول للبلد الشمالي الشوني وللجانب الشمال الاشام وكذلك يقال لما جاء عن اليمن اليمن ولما جاء عن الشمال السوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها وقال ابن عباس اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هلموا الى الجنة ولا ابالي وقال عكرمة اصحاب الشمال هم الذين اخذوا من شؤم ادم الامم وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشامة هم اهل السيئات وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاذا عليما على يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت لجبريل من هذا قال ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المراد باصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين تبعه الفاسي وقوله تعالى فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة

اصحاب

اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فاما اصحاب
الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها
فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال اجيب بان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا
منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار
من الشيء اليسير اشارة الى ضعفه واستعملوا منه الفاظا تشاؤما به فذكر المشامة
في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله ولما ذكر
تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين ذكرا على اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم
ولم يقسم اهل المشامة ترهيبا في سوء حالهم فقال تعالى والسابقون اي الى اعمال
الطاعة مبتدا وقوله تعالى السابقون تاكيد عن المهدوي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس
بحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب القرظي هم الانبياء وقال الحسن وقتادة هم السابقون
الى الايمان من كل امة وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد
واول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي ابن ابي طالب هم السابقون الى الصلوات الخمس
وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
ثم اثنى عليهم فقال تعالى اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقال ابن عباس
هم اربعة منهم سابق امة موسى عليه السلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى
عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان امة محمد صلى الله عليه
وسلم وهما ابو بكر وعمر وقال سميط بن عجلان الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير في حداثة سنه
ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وروي عن كعب قال هم اهل القرآن
المتوجون يوم القيامة وقيل هم اول الناس رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل
الله وخبر المبتدا اولئك اي العالوا الرتبة جدا المقربون اي الذين قربت زوجاتهم
في الجنة من العرش واعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فارادهم لقربه
ولولا فضله في تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازي في اللوامع المقربون خلصوا
من نفوسهم واعمالهم كلها لله دنيا ودينا من حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما
عندهم حق الله تعالى والدنيا عندهم آخرتهم لانهم يرافقون ما يبدو لهم من ملكوته
فيتلقونه بالرضى والانقياد وهم صنفان صنف قلوبهم في جلاله وعظمته هائمة
قد ملكتهم هيبتهم فالحق يستعملهم وصنف آخر قد ارخى من عنانه فالامر عليه اسهل
لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة ومحله اعلى فهو امين الله في ارضه فيكون عليه اوسع
انتهى ثم بين تقريبهم له بقوله تعالى في جنات النعيم اي الذي لا كدر فيه بوجه
ولا منغص ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى ثلة اي جماعة وقيده الزمخشري
وقال البغوي هي الثلة جماعة بالكثرة وانشد وجاءت اليهم ثلة خندفية تخلس كثيار

من السبيل مزيد قال ابن عادل ولم يقيد غيره بل صرح بانها الجماعة قلت او كثرت ثم قال
والكثرة التي فهمها الزمخشري قد يكون من السياق انتهى لكن قال البغوي والثلة جماعة
غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم السابقة من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه
وسلم من النبيين عليهم السلام ومن امن بهم وقليل من الاخرين وهم من امن بمحمد
صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبيا عليهم السلام ماية الف وثيفا وعشرين الفا
وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو مومن به من الرجال المقاتلين ممن هو
فوق العشرين ودور الثمانين ستماية الف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون
العشرين من البالغين والصبيان ومن النسا فكيف بمن عداه من ساير النبيين عليهم السلام
المجددين من بني اسرايل وغيرهم قال البيضاوي ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام
امتي يكثرون ساير الامم لجواز ان يكون سابقوا ساير الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا
هذه اكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو
ان تكونوا ربع اهل بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة
ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود
وكانه اراد انها منسوقة قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان عدد امة محمد صلى
الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة
فالمراد بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا جمعوا اكثر من السابقين من هذه الامة
ولان هذا خبر والخبر لا ينسخ وقال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذا قال تعالى
وقليل من الاخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون امتي شطر اهل الجنة ثم تلا
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وروى الطبراني ان الثلة والقليل كلاهما من هذه
الامة فتكون الصحابة كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى راس القرن
الثالث وهم من لا يحصيهم الا الله تعالى ومن المعلوم انه تناقض الامر بعد ذلك الى ان
صار السابق في الناس اقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال الذي بدا عليها
من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا اي وهم الذين اذا
فسد الناس صلحوا كما فسر به النبي ذلك وقال ابو بكر كلا الثلتين من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا
الصالحات وبالاخرين ذرياتهم الملحقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم واشتقاق الثلة وهي مبتدا من الثل وهو القطع والخبر على سرر
جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة
~~على سرر جمع سرير وهو ما يجعل للانسان~~ موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب
وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة اي مصفوفة
لقوله تعالى في موضع اخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب
مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة واصله من وضنت الشي اي ركبت

بعضه

بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتراكب حلقها قال الاعشى ومن نسج داود
موضونة تسير مع الحي عيرا فعيرا ومنه ايضا وضين الناقة وهو جزا منها لتراكب
طاقاته قال عمرو وهو مار بوادي محسر اليك تعدوا قلقا وضينها • معترضا في بطنها
جنينها مخالفا دين النصارى دينها • رواه البيهقي ومعناه ان ناقتي تعدوا اليك
مسرعة في طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالحزام من كثرة السير والاقبال التام
والاجتهاد البالغ في طاعتك والمراد صاحب الناقة فيسن للمار بوادي محسر ان يقول
هذا الكلام الذي قاله عمرو ولما ذكر تعالى السرر وبين عظمتها ذكر غايتها فقال سبحانه
متكئين عليها اي السرر على الجنب وغيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته
شي اخر للاتكا عليه متقابلين فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا
في المومن وزوجته واهله اي يتكئون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلثماية ذراع
فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا
ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور تنبيه متكئين عليها متقابلين حالان
من ضمير متكئين ثم بين تعالى انهم في غاية الراحة بقوله تعالى يطوف عليهم اي لكفاية كل
ما يحتاجون اليه ولدان اي على احسن صورة وزي وهيئة مخلدون قد حكم الله تعالى
ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة على شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون
ومنه قول امرئ القيس وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال
وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل في الاذن
من الحلق وقيل مقرطون اي ممنطقون من المناطق والمنطقة ما يجعل في الوسط واكثر
المفسرين انهم على سن واحد انشاهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شا من غير
ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن ابي طالب والحسن البصري المولدان ههنا
ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي
اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات
يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة
وقوله تعالى باكواب متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي كيزان مستديرة
الافواه بلا عرى ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من اي موضع اراد منها
فلا يحتاج ان يحول الاناء عن الحالة التي تناوله بها ليشرب وقوله تعالى واباريق جمع ابريق
وهي اواني لها عرى وخراطيم فيها من انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
سمي بذلك لبريق لونه من صفائه وكاس اي انا شرب الخمر من معين اي خمر صافية صفا
الماء ليس يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع ابدا فان قيل كيف جمع الاكواب
والاباريق وافرد الكاس اجيب بان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر
في اواني كثيرة ويشربون بكاس واحد وفيها مباينتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون
بالاكواب والاباريق ولا تثقل عليهم بخلاف الدنيا لا يصدعون عنها اي بسببها قال
الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان
في راسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبدة في وصف الخمر تشفي الصداع ولا يؤذيك صالتها
ولا يخالطها في الراس تدويم قال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال لي الشيخ ابو جعفر

BULAC

ابن الزبير والمعنى لا تتصدع رؤوسهم من شربها فهي لذة بلا اذى بخلاف خمر الدنيا وقيل
لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي تذهب بعقولهم بوجه من الوجوه او بفرغ شرابهم من نزفت
البير اذا نزح ماؤها كله وقرا عاصم وحمزة والكسائي بكسر الزاي والباقون بفتحها
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ما يشتهون ولحم طير مما يشتهون من الفواكه لكثرتها
وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون
قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقال انه يقع
على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب فان قيل ما الحكمة في تخصيص الفاكهة
بالتخير واللحم بالاشتهاء اجيب بان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجايع تميل نفسه
الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجايع مشته والشبعان
غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم للفاكهة
اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة في القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه
حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة
على اللحم فان قيل الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضي ذلك اجيب
بان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حال الشرب فجاز ان يطوف بهما الولدان فيناولونهم
الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يصنع المكرم للضيف انواع
الفواكه او بيده او يكون معطوفا على المعنى في قولنا جنات النعيم اي مقربون
في جنات وفاكهة ولحم اي في هذا النعيم يتقلبون ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشتهى
من النسا قال تعالى وحور اي نسا شديدات سواد العيون وبياضها عين اي
ضخام العيون وقرا حمزة والكسائي بخفض الاسمين عطفا على سرر فان النسا في معنى المتكا
لانهن يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على ولدان كامثال اللؤلؤ المكنون
اي المخزون في الصدف المصون الذي لا تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوا فيكون
في نهاية الصفا قال البغوي ويروى انه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا
فيقال ثغر حورا ضحكت في وجه زوجها ويروى ان الحورا اذا مشت تسمع
تقديس الخلاخل من ساقها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت
يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح
ولما ابلغ في وصف جزائهم بالحسن والصفا دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزا من جنس
العمل فقال تعالى جزاء اي فعل لهم ذلك لاجل الجزا بما كانوا يعملون اي يجددون
عمله على جهة الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب
على الله تعالى لان الجزا لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروه لما كان
في الوعد بهذه الاشيا فايدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزا قبيح وعلم بالعقل
ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشيا لانها جزاوه
وايصال الجزا واجب فكان لا يصح التمدح به لا يسمعون فيها لغوا اي شيا مما لا ينفع
واللغو الساقط ولا تاثيما اي ما يحصل به الاثم او النسبة الى الاثم بل حركاتهم
وسكناتهم كلها رضى لله تعالى وقال ابن عباس باطلا وكذبا قال محمد بن كعب
ولا تاثيما اي لا يوثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا ماثما وقوله تعالى

الا قليلا

إلا قيلا فيه قولان احدهما انه استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت
اللغو والتأثيم والثاني انه متصل وفيه بعد قال ابن عادل وكان هذا راى
ان الاصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه ثم بين ذلك بقوله تعالى سلاما
اي قولا سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام او تحييهم الملائكة او يحييهم ربهم
ودل على دوامه بتكريره فقال تعالى سلاما ففيه اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا
لم يكرر في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل
من الاول والمعنى الا قولا يسلم فيه من اللغو ولما مر حال السابقين شرع في بيان
حال اصحاب الميمنة فقال تعالى واصحاب اليمين ثم فخم امرهم واعلى مد جهدهم لتعظيم
جزائهم فقال تعالى ما اصحاب اليمين فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند
تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام اجيب بان ذلك تفنن
في العبارة والمعنى واحد في سدر اي شجر نبق مخضود اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه
اي قطع ونزع منه قال ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انا لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال اقبل اعرابي
يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى
في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر
فان له شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس تقول بسدر مخضود
خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين
لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون
الى وج وهو وادي بالطائف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذه
فنزلت قال امية ابن ابي الصلت يصف الجنة ان الحدائق في الجنان ظليلة • فيها
الكواعب سدرها مخضود وقال مجاهد في سدر مخضود هو الموقت حملا الذي
تثني اغصانه كثرة حمله من حصد الغصن اذا ثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير
ثمرها اعظم من القلال وطلح منضود اي منظوم بالحمل من اعلاه الى اسفله
ليست له ساق بارزة متراكم يتركب بعضه على بعض على ترتيب هو في غاية الاعجاب
والطلح هو جمع الطلحة قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده
طلحة وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وابو عبيدة
شجر عظام له شوك فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان
قال مجاهد ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا خوطبوا ووعدوا
بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال
السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقال مسروق اشجار الجنة
من عروقها الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها احسن منها وظل
ممدود اي دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل
كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل ليس ظل اشجار بل ظل يخلقه الله
تعالى قال الربيع ابن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين
الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع

ممدود قال الشاعر: غلب الغرا وكان غير مغلب * دهر طويل دايم ممدود
وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا ان شئتم وظل ممدود وفي هذا
الحديث رد على من يقول ان الاشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي
هو اخر اهل الجنة دخولا اذا هو ترآت له شجرة يقول يا رب ادنني من هذه
لاستظل في ظلها الحديث من اي شي يستظل والشمس قد كورت اجاب بقوله تعالى
وظل ممدود وبقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال اذ لا يلزم من تكوير الشمس عدم
الظل لانه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل امر وجودي له نفع باذن الله تعالى
في الابدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس
في قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة في الجنة تخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون
ويشتهي بعضهم لهولا الدنيا فيرسل الله عليهم ريحا من الجنة فتتحرك تلك الشجرة
بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب اي جار في منازلهم في غير اخدود لا يحتاجون فيه الى جلب
من الاماكن البعيدة ولا ادلا في بير كاهل البراري فان العرب كانت اصحاب بادية
وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الما الا بالدلو والرشا
فوعدوا في الجنة خلاف ذلك وفاكهة كثيرة اي اجناسها وانواعها واشخاصها
لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا ينقطع اذا جنيت ولا يمتنع من احد
اذا اراد اخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما ينقطع
اكثر ثمار الدنيا اذا جا الشتا ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يمنع من ارادها
بشوك ولا بعد ولا حايط بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها
قال تعالى قطوفها دانية وجا في الحديث ما قطع من ثمار الجنة الا ابدل الله مكانها
ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل الا لتزاد به الا مع الراحة قال تعالى وفرش مرفوعة
اي رفيعة القدر يقال ثوب رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله
تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهايرها ومرفوعها فوق
السرر بعضها فوق بعض روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض مسيرة خمسماية
سنة قال حديث غريب وقيل هي كناية عن النسا كما كني عنهن باللباس اي ونسا
مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة
دليل هذا التاويل قوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شي انشاناهن
اي الفرش التي معناها النسا من اهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزاد في التاكيد
فقال تعالى انشا اي خلقا جديدا من غير ولادة بل جمعناهن من التراب
كساير بني ادم ليكونوا كابيهم ادم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة
كالبداة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى
النحاس باسناده ان ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
انا انشاناهن انشا فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا
رمصا جعلهن الله بعد الكبر ترابا على ميلاد واحد في الاستوا وروى انس ابن

مالك

مالك يرفعه في قوله تعالى انا انشاهن انشا قال هن العجايز العمش الرمص كن في الدنيا
عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا
انشاناهن انشا قال هو عجايز الدنيا انشاهن الله تعالى خلقا جديدا كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عايشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة
لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله
تعالى يقول انا انشاناهن انشا فجعلناهن اي الفرش الثيبات وغيرهن بعظمتنا
المحيطة بكل شي ممكن ابكارا اي عذارى كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن عذارى
ولا وجع وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال
مقاتل وغيره هن الحور العين انشاهن الله تعالى لم تقع عليهن الولادة وقوله تعالى
عربا جمع عروب كصبور وصبر وهي الغنجة المحببة الى زوجها وقال الرازي في اللوامع
الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب وقيل الحسنا وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن
عباس الفراش هن العواتق وانشدوا وفي الخبا عروب غير فاحشة ربا
الروادف يعشى دونها البصر وقرا حمزة وشعبة بسكون الرا والباقون بضمها كرسل
ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى اترابا جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه
يمس جلدها التراب في وقت واحد وهو اكد في الايتلاف وهو من الاسما التي لا تتصرف
بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك
قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة فقال في النسا اتراب وفي الرجال
اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الفتى من النسا وانحطت عن الكبر
وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض
فيهن ولا تحاسد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدخل اهل الجنة
الجنة جردا مردا بيضا مكحلين ابنا ثلاثين او قال ثلاثا وثلاثين على خلق ادم عليه
السلام ستون ذراعا في سبعة اذرع وروي انه صلى الله عليه والسلام قال من مات
من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها
ابدا وكذلك اهل النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون الف
درجة وتنصب له قبة من لولو وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعا
ينظر وجهه في خدها اصفى من المراة وان ادنى لولوة عليها تضي ما بين المشرق
والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها
من ورا ذلك وعن ابي هريرة ان ادنى اهل الجنة منزلة وما منهم دان لمن يغدوا
عليه ويروح عشرة الاف خادم مع كل واحد منهم طريقه ليست مع صاحبه وفي تعلق
اللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين وجهان احدهما انها متعلقة بانشاناهن
اي لاجل اصحاب اليمين والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا
اي مساو له ثم بينهم بقوله تعالى ثلة من الاولين اي من اصحاب اليمين وثلة اي منهم من الاخرين

فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر ان الاخرين اكثر فان وصف
الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون
صفا واربعون من ساير الامم وعن عروة بن رويم قال لما نزل قوله تعالى ثلة
من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر وقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه
ومن ينجوا منا قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا
عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة
ومني الى القيمة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله
وعن ابن عباس قال عرضت علي الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان
والنبي معه الرهط والنبي ليس معه الرهط والنبي ليس معه احد ورفع الي سودان
عظيم فقلت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت
فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه
امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس
ولم يبين لهم فتذاكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك
ولكنا امنا بالله ورسوله ولكن هولاء هم ابناونا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال انت منهم
ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
والرهط دون العشرة وقيل الى الاربعين وعن عبد الله بن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي الانبيا الليلة باتباعها حتى اتى علي موسى
في كبكبة بني اسرايل فلما رايتهم اعجبوني فقلت اي رب من هولا قيل هو اخوك
موسى ومن معه من بني اسرايل قلت يا رب فاين امتي قيل انظر عن يمينك
فاذا ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقيل هولا امتك ارضيت فقلت رضيت
رب قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال فقيل هولا امتك ارضيت
قلت رب رضيت فقيل ان مع هولا سبعين الفا يدخلون الجنة لا حساب عليهم فقال
صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم
فكونوا من اهل الظراب فان عجزتم فكونوا من اهل الافق فاني قد رايت اناسا
يتهاوشون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة
فقلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي
بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس
مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود
وكالشعرة السودا في جلد الثور الاحمر وتقدم في الحديث المار انهم ثلثا اهل
الجنة ولا منافاة لانه صلى الله عليه وسلم اخبر اولا بالقليل ثم اطلعه الله تعالى

على الزيادة

على الزيادة ولما اتم اصحاب الميمنة اتبعه اضدادهم بقوله تعالى واصحاب الشمال اي
الجهة التي تتشاءم العرب بها ويعبر بها عن الشيء الاخس والاحط الانقص قال البقاعي
والظاهر انهم ادنى اصحاب المشامة كما ان اصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب
الميمنة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال تعالى ما اصحاب الشمال اي انهم بحال
من الشوم هو جدير بان يسال عنه وسماهم بذلك لانهم ياخذون كتبهم بشمائلهم ثم
بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى في سموم اي ما حار بالغ في الحرارة الى حد
يذيب اللحم وحميم اي ريح حارة من النار تنفذ في المسام وحميم اي ما حار بالغ في الحرارة
الى حد يذيب اللحم وظل من يحموم اي دخان اسود كالحمم اي الفحم شديد السواد وقيل
النار سوداء واهلها سود وكل شيء فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار قال
الرازي وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دائما لانهم ان تعرضوا لمهب
الهواء اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان
بالكن يكونون في ظل من يحموم وان ارادوا التبرد بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم
فلا انفكاك لهم من العذاب او يقال ان السموم يضربه فيعطش وتلهب نار السموم
في احشائه فيشرب الماء فيقطع امعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل
اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كانه قال ابرد الاشياء
في الدنيا حار عندهم فكيف اخرها وقوله تعالى لا بارد اي ليروح النفس ولا كريم
ليونس به ويلجا اليه صفتان للظل كقوله تعالى من يحموم وقال الضحاك لا بارد
اي كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد
ابن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ونفى عنه برد
الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحو ما في مدلول الظل
من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات
وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يتساهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم
في الجنة ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله تعالى انهم كانوا اي في الدنيا قبل ذلك اي الامر
العظيم الذي وصلوا اليه مترفين اي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا
في الدنيا وكانوا يصرون اي يقيمون ويدومون على سبيل التجديد لما لهم من الميل الجبلي
الى ذلك على الحنث اي الذنب ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا الحنث
وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يواخذ بالحنث اي الذنب ويحنث فلان
اي جانب الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حراء اي يتعبد لمجانبته الاثم نحو حرج
فتفعل في هذه كلها للسلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغائر التي تغفر قال تعالى
العظيم اي وهو الشرك قاله الحسن والضحاك ومجاهد هو الذنب الذي لا يتوبون منه
وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع
فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم فان قيل الترفه
هو التنعم وذلك لا يوجب ذما اجيب بان الذم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون
على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح وفي الاية
مبالغات لان قوله تعالى يصرون يقتضي ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية

ولان الحسنات البلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحسنات
اى بلغ مبلغا يخفه فيه الكبيرة ووصفه بالعظم يخرج الصغائر فانها لا توصف بذلك قال
الرازى والحكمة فى ذكر سبب عذابهم ولم يذكر فى اصحاب الشمال سبب ثوابهم فلم يقل
انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان الثواب منه فضل والعقاب
منه عدل والفضل سواذكر سببه اولم يذكر لا توهم بالمتفضل نقص وظلم واما العدل
انما يعلم سبب العقاب فظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل فى حق اصحاب
اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قاله فى المتقين لان اصحاب اليمين نحوا بالفضل العظيم
لا بالعمل بخلاف من كثر حسناته يحسن املاق الجزا فى خفة وبالحرى اى زيادة على ما ذكر
يعودون اى انكارا يجدد بن لذلك دايما عناد اذا اى انبعث اذا متنا وكنا اى كونا
ثانيا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اى لاحيا ون وثابت بعثنا ساعة من الدهر واكدوا التكرير انكارا لما دون ذلك بطريق الاولى
وقرا قالون بابدال الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة وادخال الف
بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة فى ايئا وقرا ورش بتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية والادخال بينهما وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة فى ايئا مع النقل
على اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو والاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية الا ان ابا عمرو
يدخل بينهما الفا فيهما وابن كثير لا يدخل الفا وصاحبا ميم متنا او اباؤنا اى او نبعث اباؤنا
الاولون اى الذين قد بليت مع تحوهم عظامهم فصار اكلهم ترابا ولا سيما ان حملتهم
السيول فمزقت اعضاءهم وذهبت بها فى الاقاق فان قيل كيف حسن العطف
على الضمير فى لمبعوثون من غير تاكيد نجعل اجيب بانه حسن للفاصل الذى هو الهمزة
كما حسن فى قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا للفصل لا الوكدة للنفى وقرا قالون وابن عامر
بسكون الواو من اوو الباقون بفتحها ثم رد الله تعالى عليهم فقال لهم ذلك بقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى لهولا ولكل من كان من شانهم وانما لانكارهم نعم وان الاولين
الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الاباء والاخرين وهم الابناء لمجموعون اى فى المكان الذى
يكون فيه الحساب الى ميقات يوم اى زمان معلوم اى معين عند الله تعالى وهو يوم القيمة
اذ هو من شانه ان يعلم ما عليه من الامارات والميقات ما وقت به الشئ من زمان
او مكان اى حرم انكم اى تعدهذا الجمع انكم الضالون اى الذين غلبت عليهم الغباوة
فهم لا يتدبرون فضلوا عن الهدى ثم اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال
تعالى لتاكلون اى بالبعثة والخطاب لاهل مكة ومن مثل حالهم لاكلون من شجر
من زقوم وهو من احبث الشجر المرتهامة بشعها الله تعالى فى الجحيم فهو فى غاية
الكراهة وشاعة المنظر ونتن الرايحة وقد مر الكلام على ذلك فى الصافات
تنبيه من الاولى لابتدا الغاية والثانية لبيان الشجر فمالئون اى ملا هو فى غاية
الثبات وانتم فى غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظم الكراهة منها اى
الشجر وانما لانه جمع مؤنث وهو انتم جنس قال البقاعى وهم يكرهون الاناث
فتانيثه والله اعلم زيادة فى تنفيرهم وقال الزمخشرى انث ضمير الشجر على المعنى
وذكره على اللفظ فى قوله منها وهو لف ونشر مرتب فشاربون اى يضطرون الى تناول

هذا

هذا لكونه حتى تملؤ بطونكم منه ثم لما بين ما كلهم اتبعه مشربهم فقال تعالى فشاربون
عليه اي الاكل او الزقوم من الحميم لاجل مرارته وحرارته يحتاجون الى شرب الما فيشربون
من الما الحار فشاربون اي منه شرب الهيم اي الابل العطاش وهو جمع هيمان
للذكر وهيما للانثى كعطشان وعطشى والهيام وهو دا معطش تشرب الابل منه
الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وقيل انه جمع هايم وهايمة من الهيام ايضا الا ان جمع
فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو نازل ونزل وعايد وعود وقيل انه جمع هيام
بفتح الها وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الما اصلا فيكون مثل سحاب
وسحب بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاوه لتصح اليا كما فعل بالذي قبله
والمعنى انه تسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملوا
منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاهم
فيشربون منه شرب الهيم فان قيل كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات
متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه اجيب بانهما ليستا
بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعا
امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الما امر عجيب ايضا فكانتا صفتين
مختلفتين وقرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها هذا اي ما ذكر نزلهم
اي ما يعد لهم اول قدومهم مكان ما يعد للضيف اول حلوله كرامة له يوم الدين اي الجزا
الذي هو حكمة القيامة واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما ياتي بعد ما استقروا في الجحيم
وفي ذلك تهكم كما في قوله تعالى وبشرهم بعذاب اليم فان النزل ما يعد للنازل تكرمة له
ثم استدل على منكري البعث بقوله تعالى نحن اي لا غيرنا خلقناكم اي بما لنا من العظمة
وقوله تعالى فلولا تخصيص اي فهلا تصدقون اي بالبعث فان الاعادة اسهل
من الابتدا وقيل نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تومنوا
ومتعلق التصديق محذوف تقديره لولا تصدقون بخلقنا افرايتم اي اخبروني
هل رايتم بالبصر والبصيرة ما تمنون اي تصبون من المني في ارحام النسا ءانتم تخلقونه
اي توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستوا والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة
الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام
والاعصاب ام نحن اي خاصة الخالقون اي الثابت لنا ذلك وقرا افرايتم في الثلاثة
مواضع نافع بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه ثان وهو ابدالها الفا
واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق وقرا انتم في الثلاثة مواضع نافع
وابن كثير وابو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل
بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام ولم يدخل بينهما ورش وابن كثير ولورش وجه
ثان وهو ابدال الثانية الفا والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال بينهما ولما كان
الجواب قطعا انت الخالق وحدك اكد ذلك بقوله تعالى نحن اي بما لنا من العظمة
لا غيرنا قدرنا اي تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص شي منه بينكم الموت اي قسمناه
عليكم فلم يترك احدا منكم بغير حصة منه واقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه
فقصرنا عمر هذا وربما كان في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق

BULAC

كلهم على اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه لحظة واطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف
البدن واضطراب المزاج فلو تمالوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا وقرا ابن كثير بتخفيف
الدال والباقون بالتشديد وما نحن اي على ما لنا من العظمة بمسبوقين اي بالموت اي
لا عاجزين ولا مغلوبين على اي عن ان نبدل تبديلا عظيما امثالكم اي صوركم واشخاصكم
وننشئكم اي انشا جديدا بعد تبديل ذواتكم في ما لا تعلمون فان بعضهم تاكله السباع
او الحيتان او الطيور فتنشا ابدانها منه وبعضهم يصير ترابا فربما نشا منه نبات كلي
فاكلته الدواب فنشات منه ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة
والحديد والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا
الى اخرها ويكون المعنى كما قال البغوي نات بخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم في ما لا تعلمون
من الصور اي بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة
وقال الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين
من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم
في ما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام
قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فنجعل المؤمن بياض وجهه
ونقبح الكافر بسواد وجهه فائدة في ما مقطوعة في الرسم ولقد علمتم النشاة الاولى
اي الترابية لابيكم ادم عليه السلام واللحمية لامكم حوا رضي الله تعالى عنها والنطفية
لكم وكل منها تحويل من شيء الى غيره فما للذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم
بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من الصور ولهذا سبب عن ما تقدم قوله تعالى
فلولا اي فهلا ولم لا تذكرون اي تذكرا عظيما تكرهون انفسكم عليه فتعلمون ان من قدر
على النشاة الاولى قدر على الثانية فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق
المثال وفيه دليل على صحة القياس وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة
وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرا
ابن كثير وابو عمرو النشاة بفتح الشين وبعدها الف قبل الهمزة والباقون بسكونها
ولا الف بعدها واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين وخفف ذال يذكرون حمزة
والكسائي وحفص وشددها الباقون ثم ذكر لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم
اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهناكم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبهكم
لذلك انكم رايتم ما تحرثون اي تجددون حرثه على الاستمرار من ارضكم فتطرحون فيه البدر
ءانتم تزرعونه اي تنشونه بعد طرحكم وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن
اي خاصة الزارعون اي المنبتون له والحافظون روي انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله تعالى افرايتم الاية
ولما كان الجواب قطعا انت الفعال لذلك وحدك قال تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره
لو نشاء اي لو عاملناكم بصفة العظمة لجعلناه اي بتلك العظمة حطاما اي مكسورا
مفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج او بعده ببرد مفرط او حر مهلك
او غير ذلك فلا ينتفع به فظلتم اي فاقمتم بسبب ذلك نهارا في وقت الاشغال العظيمة
وفي كل وقت وتركتم كل ما يهمكم تفكهون حذفت منه احدى التائين في الاصل تخفيفا

اي

اى تحصون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى
اوجبت تلك العقوبة قاله الزمخشرى وهذا الحديث مثل القائل لمثل الجنة ما تنبها
البعد او تركها القربا بينا هنداز غارما وهاما تنقع بها قدم وبلى قدم تتفكهون
اى تندمون وقاله الكسائى ان التفكه التلهف على ما فات وهو من الاضداد
تقول العرب تفكهت اى تنعمت وتفكهت اى حزنت ويقولون انا لمغرمون فحذف
العقول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن معنى الغرام
بمعنى الهلاك قول القائل ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالى
وقال ابن عباس الغرام العذاب اى عذبوا بذهاب اموالهم والمعنى انا غرمنا الحب
الذى نزرناه فذهب بغير عوض وبين الغرام بمعنى العذاب بقول القائل

وبقيت بان الحلم منى سجية ... وان فؤادى مبتلا بك مغرم

وقرا شعبة انا بهمزة مفتوحة يعقبها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون
بهمزة واحدة مكسورة على الخبر بل نحن اى خاصة محرومون اى ممنوعون رزقنا من
من الارد قضاوه فلا حظ لنا فى الاكتساب فلو كان الزراع ممن له حظ فى زرعه
ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم الماء اى اخبرونى هل رايتم بالبصر
والبصيرة ما نبهنا عليه بما مضى فى المطعم وغيره فرايتم الماء الذى تشربون لتحيوا
به انفسكم وتستكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التى انعم بها عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر
عليه احد الا الله عز وجل انتم انزلتموه من المزن اى السحاب وهو اسم جنس
واحدة مزنة قال القائل . فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها
وعن ابن عباس والنورى المزن السماء والسحاب وقال ابو زيد المزنة السحابة
البيضاء خاصة وهى اعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة لو نشاء اى حال انزاله
وبعده قبل ان ينتفع به لجعلناه اى بما تقتضيه صفة القطعة اجاجا اى ملحا مرا
محرقا كانه فى الاحتراق لهب النار الوهج فلا يبرد عطشا ولا ينبت نباتا ينتفع به
وقال ابن عباس الاجاج المالح الشديد الملوحة فلولا اى فهلا اذا لا تشكرون اى
تجحدون النعم على سبيل الاستهزاء استعمالا لما افادكم ذلك من القوى فى طاعة الذى
اوجده لكم وملكنكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم النار اى اخبرونى
هل رايتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرايتم النار التى تورون اى تخرجون من الشجر
الاخضر انتم انشاتم اى اخترعتم واوجدتم وربيتم ورفقتم شجرتها
اى التى يقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان يقتدح منهما النار وهما
عندهم كالزند والزندة وقيل اراد جميع الشجر الذى يوقد النار ام نحن اى خاصة وانما بقوله
تعالى المنشئون لها ما الناس الا عمة عن تلك الهيبة نحن قدرنا على ايجاد النار
التى يابس ما يكون فى الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان اقدر
على اعادة الطراوة فى نزاعات الجسد الذى كان غضا طريا يابسا ولا يكون الجواب قطعا
انت وجدل قال تعالى لا الا على لكن تنبيها على عظم هذا الخطر نحن اى خاصة جعلناها
اى بما اقتضته عظمتنا تذكرة اى شانا يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كلما اخبرنا به
من البعث وعذاب النار الكبرى وما بثثنا فيها من منجرات الرقوم وغير ذلك وقيل نحن عظمة

يتعظ بها المؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم التي توقدون
جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها
فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثلها مثل حرها **ومتاعا** اي بلغة ومنفعة
للمقوين اي المسافرين والمقوي النازل في ارض القوا بالكسر والقصر والمد وهي القفر
الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والاسفار فان منفعتهم
بها اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل ليهرب السباع ويهتدي الضال الى غير
ذلك من المنافع وقال مجاهد للمقوين اي المنتفعين بها من الناس اجمعين في الظلمة
ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع ويتذكر
بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم
يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا قال الشاعر واني لاختار الغريّ
طاوي الحشا محافظة من ان يقال لئيم وقال قطرب المقوي من الاضداد يقال
للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا
ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها وقال المهدوي الاية تصلح
للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير ولما ذكر تعالى ما يدل
على وجود وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله
عليه وسلم او كل احد من الناس بقوله تعالى **فسبح** اي اوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة
نقص من ترك البعث وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الادلة **باسم** اي متلبسا بذكر
اسم **ربك** اي المحسن اليك بهذا البيان الاعظم فائدة اثبتوا الف الوصل هنا في باسم
لانه لم يكثر دون كثرته في البسملة وحذفوه منها لكثرة دورها وهم شانهم الايجاز
وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف لا يجهل واثبات ما اثبت من اشكاله
مما لا يكثر دليل على الحذف وكذا لا تحذف الالف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير
الجلالة الكريمة من الاسماء وقد اوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة
ولما كان المقام للعظمة قال تعالى **العظيم** اي الذي ملأ الاكوان كلها عظمة فلا شيء منها
الا وهو مملوء بعظمته تنزها عن ان يلحقه شائبة نقص او يفوته شيء من كمال
فالعظيم صفة للاسم او الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد اي فسبح
ربك واختلف في لا في قوله تعالى **فلا اقسم** فقال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا
صلة مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم
اهل الكتاب والتقدير ليعلم وقال بعضهم انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف
وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر
وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا ينبغي فان القائل
بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القرآن وبحره عبد الله بن عباس ويبعد ان يقوله
سعيد الا بتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والاصل فلا قسم فاشبعت
الفتحة فتولد منها الف كقول بعضهم اعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري
ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقترن بها النون المؤكدة
والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لا فعلن في جواب القسم للاستقبال

وفعل القسم يجب ان يكون للحال واختلف ايضا في معنى قوله تعالى بمواقع النجوم فقال
اكثر المفسرين بمساقطها لغروبها قال الزمخشري ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت
النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة وللملائكة عبادات موصوفة او لانه
وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عبادة الصالحين ونزول الرحمة والرضوان
عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وقال عطا ابن رباح اراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري وله في ذلك من الدليل
على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعها انكدارها
وانتثارها يوم القيمة وقال ابن عباس والسدي المراد نجوم القران اي اوقات
نزولها وقال الضحاك هي الانوا التي كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا
بنوكذا وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى
وصفاته القديمة فان قيل جواب لو تعلمون ماذا اجيب بانه مقدر تقديره
لعظمتموه اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما علمتموه فعلم
انكم لا تعلمون وقرا بمواقع حمزة والكسائي بسكون الواو ولا الف بعدها والباقون
بفتح الواو والف بعدها وقوله تعالى انه اي القران الذي افهمته النجوم بعموم
افهامها لقران اي جامع سهل ذو انواع جليلة كريم اي بالغ الكرم منزه عن كل
شائبة لوم ودناة هو المقسم عليه وفي الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله
تعالى وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون
بين الصفة والموصوف تنبيه من كرم هذا القران العظيم كونه من الملك الاعلى
الى خير الخلق بسفارة روح القدس مشتملا على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد وبلسان العرب الذين اتفق علما الفرق على ان لسانهم افصح الالسن وعلى وجه
اعجز العرب كافة وبقية الخلق اجمعين واختلف في معنى قوله تعالى في كتاب اي مكتوب
مكنون اي مصون فالذي عليه الاكثر انه المصحف سمي قرانا لقرب الجوار على الاتساع
ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف
وقوله تعالى لا يمسه خبر بمعنى النهي وقوله تعالى الا المطهرون المحدثون وهو قول عطا
وطاوس ولو كان باقيا على خبريته لزم فيه الخلف لان غير المتطهر يمسه وخبر الله
تعالى لا يقع فيه خلف لان المراد بقوله تعالى الا المطهرون المحدثون وهو قول عطا وطاوس
وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي وقال ابن عادل والصحيح
ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو بن حزم
لا يمس القران الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر
وقالت اخت لعمر يعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون
فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث
والانجاس وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السما وقال
جابر هو اللوح المحفوظ اي لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال عكرمة
التورية والانجيل فيهما ذكر القران وقال السدي الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية

والضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا ففي الجملة وجهان احدهما ان محلها الجر لكتاب
والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة او المراد به المصاحف والمراد
بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرين
الملائكة فقط اي لا يطلع عليه لان نسبة المس الى المعاني متعذر وقيل انها ناهية
والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى
لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك بالضم لاجل ها ضمير المذكر الغائب
وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم بضم الدال وان كان القياس يقتضي
جواز فتحه تخفيفا وبهذا ظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا كان يقال
لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا التحويل بل لا يجوز سيبويه
غيره وقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة
وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل
من بني آدم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك
وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون اي الا الرسل من الملائكة
على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا
الملائكة المطهرون ولو كان المراد بطهر الحديث لقال المتطهرون او المطهرون
بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون بمعنى المتطهرين تنبيه
اختلف العلماء في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة
لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد ابن ابي وقاص وسعيد
ابن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي
واما الحمل فلانه ابلغ من المس سواء حمله بعلاقته ام في كمه ام على رأسه وسواء مس
نفس الاسطر ام ما بينها ام الحواشي ام الجلد ام العلاقة ام الخريطة ام الصندوق اذا كان
المصحف فيهما وسواء مس باعضاء الوضوء ام بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله
واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه
هو واصحابه وبان الصبيان يحملون الالواح محدثين بلا انكار وبانه اذا لم تحرم القراءة
والحمل والمس اولى وبانه يجوز حمله في امتعة واجيب عن الاول بان ذلك الكتاب
كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفا ولا ما في معناه وبانه كان كتابا قد تضمن مع القرآن
دعاء الى الاسلام فلم يكن القرآن بانفراده مقصودا فجاز تغليبا للمقصود فيه
وعن الثاني بانه ابيح للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بان القراءة
ابيحت للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت وبانا لا نسلم الاولوية المذكورة بدليل
ان الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بان جواز حمل
المصحف في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة
المس دون الحمل واحتجوا بان المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله واجيب عنه بانه
غير صحيح لان حمل المصحف ابلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم

الاعلى

الاعلى اولى ولان تحريم المصحف انما هو لحرمته فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف مطهر المحرم فانه يحرم
مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه على يده وقلبه به اوراق
المصحف حرم عليه لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلبه بذلك بعود ويحرم كتب
شئ من القرآن او من اسمائه تعالى بخط او على نحو درهم ومسنده اذا كان غير مقطوع عنه ولو خاف
على المصحف من حرق او غرق او وقوع نجاسة عليه او وقوعه بيد كافر جاز حمله
مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء
فله حمله مع الحدث ويلزمه ان يتيمم ان وجد التراب والا تجوز المسافرة بالمصحف الى ارض
الكفار اذا خيف وقوعه في ايديهم للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره نحو
كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا ان يكون القرآن اكثر
من التفسير او مثلا وبالة فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة
ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى نزلا اي منزلا للكم بالتدريج بحسب
الوقايع والتقريب للافهام والتاني والترقية من حال الى حال وحكما الى حكم بوسايط
الرسل من الملايكة من رب العالمين اي الخالق العالم بترتيبهم صفة القرآن اي القرآن
منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق
الله واوثر المصدر لانه يتعلق المصدر بالفاعل اكثر وفي ذلك رد على قول من قال بان القرآن
شعر او سحر او كهانة انه اي القرآن الذي تعقد منته او صافه العالية وهو
يتحدى بالكلمة انزاله وفق تعقد وفق انتم منذ صوته اي منتها ونوبتكم كذلك في الامس
اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه نهاونا به قال ابن عرفان الادهان والداهنة
الملاينة في الامور والتغافل والركون الى التحاون انتهى قال التقاعي وهو على هذا انكار
على من سمع احدا يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة واهل الاتحاد كابن
عربي الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية اول من صوبت اليه
هذه الاية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يبطل الدين اضل الله تعالى بهذه عروة عروة
فهم اضر الناس على هذا الدين ومن تقول لهم او تاسف عنهم ويعتذر لهم ويحسن الظن بهم
مخالف لاجماع الامة بحسن حالهم فان مراده اتعاب كلامهم الذي لا افسد للاسلام منه من يعلم
ان كلون لا بقايه فضلا عما يوجب حسن الوجوه انتهى وحكى ابن الفرس قدس سره وهم على من شك
في كفر طايفة ابن عربي الذين ظاهر كلامهم عند عارفهم الاتحاد وهو بحسب ما فهمه من ظاهر
كلامهم ولكن كلام هو لاء جار على اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة في مصطلاحي
مجاز في غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح واما من اعتقد ظاهر
من جهلة الصوفية الذين لا علم عندهم بل اكثرهم يدعي ان العلم حجاب ومدعي ذلك هو
المحجوب فانه يعرف ان استمر على ذلك بعد وقفه ضار كافرا فنسال الله تعالى التوفيق
والعصمة والامكان هذا القرآن مستغلا بسعادة الدارين قال تعالى تعالى وجعلوا بينه وبينكم
اي حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كلها انتم تلذذون بسماعه
فتصفقون الذي يكاد المنكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون وكان الصلاة قال القرطبي
وفيه بيان ان ما اصاب العباد من ضر فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي

جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي جرت العادة بان تكون
اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم تقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان
نقمة مكروها تقيدا له وتذللا وعن ابن عباس المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول
العرب مطرنا بنوء كذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالى
وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا قال فانزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم
حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
في سفر فمطروا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم اذ غوث الله تعالى لكم فسقيتم
لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى
ركعتين ودعى ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه عصابة من اصحابه برجل يعترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا وقع بقل
هذا من رزق الله فانزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر الله على رزقه اياكم انكم
تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا والقول حملت احسابي الكذب شاة منك
الى وجعلت انعامي لذيذ ان اتخذ بتي عدوا قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا
بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحدث شيا
من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال
مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول اهل الشرك فهو كافر حلال دمه
ان لم يتب وحاصله انه ان اعتقد ان النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والا فكره
له ذلك كراهة تنزيه وسبب الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فسا الظن
تعالى ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه انه لا فاعل في
الحقيقة سواه بقوله تعالى فلولا وهي اذا تفهم طلبا تحضيض وتقريع
بمعنى تهلا ولم لا اذا بلغت الحلقوم اي تلفت الروح منكم ومن غيركم عند
الاحتضار والحلقوم اضيف اليه من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة وفي الحديث
ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيا فشيا حتى تنتهي
الى الحلقوم فينزعها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام في الحلق والحلق مشارع
الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم ادنى الحلق الى جهة اللسان وانتم اي والحال
انكم ايها الحاضرون حول المحتضر المتوجعون له حينئذ اي حين اذ بلغت الروح
ذلك الموضع تنظرون اي الى مرءى وسلطاني او الى الميت ولا حيلة لكم ولا فعل يغير المقدر
ولم يقل ينظرون ليدل نظرهم انهم ادركوا بالبصر شيا من البواطن من حقيقة الروح
ونحوها ونحن اي والحال اننا نحن بالناس الصفة اقرب اليه اي المحتضر بعلمنا وقدرتنا
منكم شيدة قربكم منه قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله اقرب الي منه
ولكن لا تبصرون من البصر منع اي لا تعلمون ذلك فلولا اي فهلا ان كنتم ايها المكذبون
بالبعث غير مدينين اي مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ومتعبدين
مملوكين مجزيين محاسبين تعاملونهم في دار البلاء التي اقامكم فيها احكم الحاكمين لمن دان

اذا ادلم

اذا ذله واستعبده وافضل تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوي ترجعونها
اي الروح الى ما كانت عليه انتم اي كونا ثانيا صادقين فيما زعمتم فلولا الثانية تاكيد للاول
والظرف فيه لترجعونها المتعلق به الشرطان والمعنى انكم في محو دلكم افعال الله تعالى واياته
وكل شيء ان انزل عليكم كتابا بمعجز اقلتم سحر او افتراه وان ارسل اليكم الكم رسولا صادقا
قلتم شاعر كذاب وان رزقكم مطرا كجيتكم به قلتم صدفنوء كنجم كذا عاى مذهب نوء
الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم تكونوا
قادرين وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحي الممسك المبدئ المعيد ثم ذكر تعالى طبقات
الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من قائل فاما ان كان اي المتوفى من المقربين
اي السابقين الذين احتازهم الحق من انفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا
مريدين وليس الوقت قربة مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو بالتخلق بالصفات
الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحا خالصا كالملائكة لا سبيل
للحظوظ والشهوات عليه وقوله تعالى فروح مبتدا خبره مقدر قبله اي فله
روح اي راحة ورحمة وما يتعيشه من نسيم الريح وقال سعيد بن جبير فله فرح وقال
الضحاك مغفرة ورحمة وريحان اي رزق عظيم وثناء حسن يهيج وازاهير
طيبة الرائحة وقال مقاتل هو بلسان حمير رزق وقال الخرجت الطلبة ريحان الله
اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفرق احد من المقربين الدنيا
حتى يوتى بقبض من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه وقال ابو بكر الوراق الروح
النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وجنت اي بستان جامع للفواكه والملاهي
نعيم اي ذات تنعم ليس فيها غيره واصله مقصورة عليهم تنبيه جنت هنا مجرورة
التاء وقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالامالة في الوقف
على اصله والباقون بالتاء على الرسوم واما ان كان اي المتوفى من اصحاب اليمين اي الذين
هم في الدرجة الثانية من اصحاب اليمنة فسلام لك اي يا صاحب اليمين من اخوانك
اصحاب اليمين لم يسلموا عليك كقوله تعالى لا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقال الفرطي
فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم
بانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام عليك منهم اي انت سالم من الاهتمام
لهم والمعنى واحد وقيل اصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك
ويسلم وقيل انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره
فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام اكراما وعلى هذا
في محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت
قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك
يقرئك السلام الثاني عند مسئلة في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه
في الجنة يسلم عليه الملائكة فتتلقى وصوله اليها قال الفرطي ويحتمل ان يسلم عليه
في المواطن الثلاثة ويكون ذلك اكراما بعد اكرام ولما ذكر تعالى اصناف الناجين
اتبعها الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لان من اريدت له السعادة يكفيه ذلك
ومن ختم له بشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الاختلاط والاقتران فقال تعالى

وأما إن كان أي المتوفى من المكذبين الذي أخذناه من أصحاب المشأمة وأنتم حوله ينقطع
إكثاركم له ولا تقدرون له على شيء أصلا الضالين أي عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم
كما قال تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون إلى أن قال تعالى ثم إن لهم عليها لشوبا
من حميم أي ما متناه في الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض
كما يبادر به للقادم ليبرد به عليه عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم
أي ونزل من تصلية جحيم والمعنى إدخال في النار وقيل إقامة في الجحيم ومقاساة
لأنواع عذابها يقال أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا
مضاف إلى المفعول كما يقال لفلان أعطاء مال أي يعطي المال إن هذا أي الذي ذكر
في هذه السورة من أمر البعث الذي كذبوا به في قولهم أئنا لمبعوثون ومن قيام
الأدلة عليه لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين أي لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة
كأنه مشاهد مباشر وقيل إنما جاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما
وذلك من باب إضافة المترادفين ولما حقق له تعالى هذا اليقين سبب عن أمره
لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالفجر فقال تعالى
فسبح أي أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة
وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه عنه
نفسه باسم ربك أي المحسن إليك بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك وإذا كان هذا لاسمه
فكيف بما هو له العظيم أي الذي ملأت عظمته جميع الأقطار والأكوان وزادت
على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لأن من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا
الكلام الأعز الأكرم لا ينبغي لشائبة نقص أن تلم بجنابه أو تدنو من فنائه وعن عقبة
ابن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في
في سجودكم خرجه أبو داود وعن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله وبحمده وعن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان
إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في البخاري
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده
غرست له نخلة في الجنة وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة
أبدا ورواه البيهقي وغيره وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الأثير في كتابه
جامع الأصول ولم يعزه سورة الحديد مكية أو مدنية تسع وعشرون آية
وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وست وسبعون حرفا
بسم الله الذي أحاطت هيبته جميع الموجودات الرحمن الذي وسعهم جوده في جميع
الحركات والسكنات الرحيم الذي خص أهل ولايته بما يرضيه من العبادات ولما ختمت
الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه
فقال تعالى سبح لله أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال ما في السموات أي الأجرام العالية
والذي فيها والأرض والذي فيها أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر

سورة الواقعة مكية أو مدنية

وهو

وتر اى وحده العزيز الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ الخلق اى الذى اتقن كل شئ
صنعه وقرا قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها له اى وحده ملك
السموات والارض وما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الان موجود
فى الدنيا من ارض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضيئة وافلاك وريح وسحاب
مربية وغير ذلك مما يحيط به علمه تعالى والملك الباطن الغايب عنا واعظمه المضاف
الى الاخرة وهو الملكوت يحيى اى له صفة الاحياء فيحيى ما يشاء من الخلق بان يوجد
على صفة الحياة كيف شاء فى اطوار يقلبها كيف شاء وقما شاء ويميت اى له هاتان
الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت
له من صفة الاحياء وهو على كل شئ اى من الاحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن
قدير اى بالغ القدرة هو اى وحده الاول اى بالازلية قبل كل شئ فلا اول له
والقديم الذى منه وجود كل شئ وليس وجوده من شئ لان كل ما نشاهده متاثر
لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متاثر والاخر اى بالابدية
الذى ينتهى اليه وجود كل شئ فى سلسلة الترقى وهو بعد فناء كل شئ فلا اخر له لانه
يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل متغير بنوع من التغير جاز اعدامه
وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا معدم اعدامه والظاهر اى الغالب
العلى على كل شئ والباطن اى العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقال عمان
هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقال السدى هو الاول
بصره اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر
بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن لستره اذ عصيته فستر عليك
وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر بقبول التوب والظاهر بكشف
الكروب والباطن بعلم الغيوب وسال عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه
بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شئ عليم اى لكون الاشياء
عنده على حد سواء والبطون والظهور انما هو بالنسبة الى الخلق واما هو سبحانه وتعالى
فلا باطن من الخلق عنده بل هو فى غاية الظهور لديه لانه الذى اوجدهم فان قيل ما معنى
هذه الواوات اجيب بان الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين
الاولية والاخرية والثالثة انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه
الجامع بين الصفتين الاوليتين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود
فى جميع الاوقات الماضية والحاضرة والاتية وهو من حيث انه ظاهر وباطن جامع
للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس قال الزمخشرى وفى هذا حجة على من جوز
ادراكه فى الاخرة بالحاسة وهذا على راية الفاسد وهو راى المعتزلة المنكرين رويته
الله تعالى فى الاخرة واما اهل السنة فانهم يثبتون الرويه للاحاديث الدالة عليه ولكن
من غير تشبيه ولا تكييف تعالى الله عن ذلك علو كبيرا وعن سهل قال كان ابو صالح
يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب
السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوراة
والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شئ انت اخذ بناصيته اللهم انت الاول

فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن
فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من فضلك وكان يروي ذلك عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اي وحده الذي خلق السموات وجمعها لعلم العرب بتعددها
والارض اي الجنس الشامل للكل وافردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددها وقال تعالى
في ستة ايام اي من ايام الدنيا اولها الاحد واخرها الجمعة تبيينا للتاني في الامور
وتقريرا للايام التي اوترها سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي دل يوم خلقه
باسمه الجمعة على انه المقصود بالذات وبانه السابع على انه نهاية المخلوقات وقوله تعالى
ثم استوى على العرش اي السرير كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال
في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك يعني انه انفرد بالتدبير وقد لا يكون هناك سرير
فضلا عن جلوس واتى باداة التراخي تنبيها على عظمته يعلم ما يلج اي يدخل دخولا
يغيب به في الارض اي من النبات وغيره من اجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك
في غاية البعد فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سوا في القرب والبعد
وما يخرج منها كذلك تنبيه في التعبير بالمضارع دلالة على ما اودع في الخافقين
من القرى فصارا بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابهما
وما ينزل من السما من الوحي والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع
التي يوجدها سبحانه من مقادير اعمار بني ادم وارزاقهم وغيرها من جميع شوونهم
وما يعرج اي يصعد ويرتقي ويغيب فيها كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال
وغيرها ولم يجمع السما لان المقصود حاصل بالواحدة مع افهام التعبير بها الجنس
الشامل للكل وهو معكم اي بالعلم والقدرة ايها الخلق اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته
عنكم بحال فهو عالم بجميع اموركم قادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم ومماسة
او انفصال عنه بغيبة او مسافة والله اي المحيط بجميع صفات الكمال بما تعملون
اي على سبيل التجدد والاستمرار بصير اي عالم بجليله وحقيره فيجازيكم به وقدم الجار
لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقق الاحاطة له اي وحده ملك السموات وجمع
لاقتضا المقام له والارض وافرد لخفا تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه
واحاطته بقوله تعالى والى الله اي الملك الذي لا كفو له ترجع بكل اعتبار على غاية السهولة
الامور اي كلها حسا بالبعث ومعنى بالابتدا والافنا ودل على ذلك بقوله تعالى يولج
اي يدخل ويغيب بالنقص والمحو الليل في النهار فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد انمحى
بعد تشخصه وجلوله وزاد النهار وملا الضيا الاقطار بعد ذلك الظلام ويولج النهار
الذي عم الكون ضياؤه في الليل الذي كان قد غاب في علمه فاذا الظلام قد طبق
الافاق ليزيد الليل والطول الذي كان في النهار قد صار نقصا وهو اي وحده عليم اي
بالغ العلم بذات الصدور اي بما فيها من الاسرار والمعتقدات على كثرة اختلافها
وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت الادلة على تنزيهه سبحانه قال
تعالى امرا بالاذعان له ولرسوله صلى الله عليه وسلم امنوا اي ايها الثقلان بالله
اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ورسوله الذي عظمته من عظمته ونزل في غزوة العسرة
وهي غزوة تبوك وانفقوا اي في سبيل الله مما جعلكم مستخلفين فيه اي من الاموال

التي

التي في ايديكم فانها اموال الله لانها بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع
بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة
الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها
كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان
قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل
منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالانفاق منها انفسكم ولما امر تعالى بالانفاق
ووصفه بما سهله سبب عنه ما يرغب فيه فقال تعالى فالذين امنوا منكم وانفقوا
اي من اموالهم في الوجوه التي ندب اليها على وجه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق
لهم اجر كبير اي لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق في ايام استخلافكم
قبل عزلكم واتلافكم وخصهم بالذكر بقوله تعالى منكم لضيق الحال في زمانهم وقيل ان ذلك
اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله تعالى وما اي واي شيء لكم من الاعذار
او غيرها في انكم او حال كونكم لا تؤمنون بالله اي تجددون الايمان تجديدا مستمرا
بالملك الاعلى الذي له الملك كله والامر كله خطاب للكفار اي لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر
والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة العامة يدعوكم في الصباح والمساء لتؤمنوا
اي لاجل ان تؤمنوا بربكم اي الذي احسن تربيتكم بان جعلكم من امة هذا النبي
الكريم فشرفكم به وقد اي والحال انه قد اخذ ميثاقكم اي وقع اخذه فصار في غاية
القباحة ترك التوثق بسببه بنصب الادلة والتمكين من النظر بايداع العقول وذلك
كله منضم الى اخذ الذرية من ظهر ادم عليه وسلم حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى وقرا ابو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف على البناء للمفعول ليكون المعنى
من اي اخذ كان من غير نظر الى معين وقرا الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف
على البناء للفاعل فالاخذ هو الله القادر على كل شيء العالم بكل شيء والحاصل انهم نقضوا
الميثاق والايمان فلم يواخذهم حتى ارسل الرسل ان كنتم مؤمنين اي مريدين الايمان
فبادروا اليه هو اي لا غيره الذي ينزل اي على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة
وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد
الزاي على عبده اي الذي هو احق الناس بحضرة جماله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ايات
اي علامات هي من ظهورها حقيقة ان يرجع اليها ويتقيد بها بينات اي واضحات
وهي ايات القران الكريم ليخرجكم اي الله بالقران او عبده بالدعوة من الظلمات
التي انتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التي جبل عليها الانسان والغفلة
الحاملة على تراكم الجهل فمن اتاه الله تعالى العلم والايمان فقد اخرجه من هذه الظلمات
التي طرات عليه الى النور الذي كان له وصفا لروحه وفطرته الاولى السليمة وان الله
اي الذي له صفات الكمال بكم لرؤف رحيم اي حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على ما نصب
لكم من الحجج العقلية وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد
وورش على اصله والتوسط والقصر وليس قصره كقصر ابي عمرو ومن معه وانما قصره كمد قالون
ومن وافقه وما اي واي شيء يحصل لكم في ان لا تنفقوا اي توجدوا الانفاق للمال في سبيل
الله اي وكل ما يرضي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال ليكون لكم به وصلة فيحصنكم

BULAC

بالرافة التي هي اعظم الرحمة فانه ما بخل احد عن وجه خير الا سلط الله تعالى عليه غرامة في وجه
شر ولله الذي له صفات الكمال لا سيما صفة الارث المقتضية للزهد في الموروث
ميراث السموات والارض اي يرث كل شيء فيهما فلا يبقى لاحد مال فمن تامل انه زايل هو وكلما
في يده والموت من ورايه وطوارق الحوادث مطيفة به وعما قليل ينقل ما في يده
الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال
تعالى لا يستوي منكم من انفق اي اوجد الانفاق في ماله وجميع قواه وما يقدر
عليه من قبل الفتح اي الذي هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة وهو فتح مكة الذي
كان سببا لظهور الدين الحق على الدين كله وقاتل سعيا في انفاق نفسه لمن امن به
قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا افواجا وقلة الحاجة
الى القتال والنصيحة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوحه ودلالة ما بعده
عليه وفضل الاول لما ناله اذ ذاك بالانفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ
وفي هذا دليل على فضل ابي بكر فانه اول من انفق لم يسبقه في ذلك احد وخاصم الكفار
حتى ضرب ضربا شديدا اشرف فيه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن الكلبي ان هذه
الاية نزلت في ابي بكر الصديق وعن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده ابو بكر الصديق عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل
فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح
قال فان الله عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول لك انت راض
عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن ربي راض اني
عن ربي راض اولئك اي المنفقون المقاتلون وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ
من احدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال اعظم درجة وتعظيم الدرجة يكون
لعظم صاحبها من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وقاتلوا اي من بعد الفتح
وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله اي الذي له الجلال والاكرام الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرا ابن عامر برفع اللام
على الابتدا اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها اي وعد كلا
والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال بما تعملون اي يجددون عمله
على الاوقات خبير اي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل
جزا الاعمال على قدر النيات التي هي ارواح صورها تنبيه التقدم والتاخر
قد يكون في احكام الدنيا وقد يكون في احكام الدين فاما التقدم في احكام الدين
فقالت عائشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم
واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل
بالناس وقال يوم القوم اقروهم لكتاب الله وقال فليومكما اكبركما واما احكام الدنيا فهي
مرتبة عن احكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر
كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه

من يكرمه

من يكرمه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى من واكد بالاشارة بقوله تعالى ذا لاجل ما للنفوس
من الشح الذي يقرض الله اي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام المستحق شبه
ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكانه اقرضه
اياه قرضا حسنا اي طيبا خالصا مخلصا فيه صحيحا به افضل الوجوه من غير من وكدر
بتسويف ونحوه فيضاعفه له اي يوتي اجره اضعافا من عشرة الى اكثر من سبعماية
كما ذكره في البقرة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن ان يقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل
وقال الحسن التطوع بالعبادات وقرا ابن عامر وعاصم بنصب الفا بعد العين
والباقون بالرفع وقرا ابن كثير وابن عامر بغير الف بعد الضاد وتشديد العين
والباقون بالف بعد الضاد وتخفيف العين وله اي المقرض زيادة على ذلك اجر
لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى كريم اي حسن طيب زاك
تام وقوله تعالى يوم ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر اي واذكر
يوم ترى اي بالعين المؤمنين والمؤمنات اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة يسعى
نورهم اي ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعدا
يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا يوتونها من شمايلهم ورا
ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا
وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى
معهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة
والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضي نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك
حتى ان من المؤمنين من لا يضي نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود
يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى
نوره كالرجل القايم وادناهم نورا نوره على ابهامه فيطفا مرة ويقد اخرى
ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملايكة بشراكم اليوم اي بشارتكم العظيمة في جميع
ما يستقبلكم من الزمان تنبيه بشراكم مبتدا واليوم ظرف وقوله تعالى
جنات خبره على حذف مضاف اي دخوله جنات وهو المبشر به ثم وصفها بما لا تكمل
اللذة الا به بقوله تعالى تجري من تحتها الانهار ثم امنهم من خوف الانقطاع بقوله
تعالى خالدين فيها اي خلودا لا اخر له لان الله تعالى اورثهم ذلك فلا يورث عنهم لان
الجنة لا موت فيها ذلك اي هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنان المخلدة
هو الفوز العظيم اي الذي ملا بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح تعالى حال المؤمنين في موقف
القيمة اتبع ذلك بحال شرح المنافقين بقوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات
وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفران تنبيه يوم بدل من يوم ترى او منصوب
باذكر للذين امنوا اي ظاهرا وباطنا انظرونا اي انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة
كالبرق الخاطف على ركاب تدق بهم وهو لا مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرا حمزة بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظا

والباقون بوصل الهمزة ورفع الظا واما الوقف على امنوا والابتدا بانظرونا فهمزة على حاله
كما يقرا في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتدا والظا على حالها من الضم نقتبس اي
نستضي من نوركم اي هذا الذي نراه لكم ولا يلحقنا منه شي كما كنا في الدنيا نرى ايمانكم
بما نرى من ظواهركم ولا يتعلق من ذلك بشي جزا وفاقا وذلك ان الله تعالى يضي
للمومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا
نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى عز وجل وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث
الله تعالى ريحا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم
لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار
او السراج قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي اظنها
بعد فصل القضا ثم يعطون نورا يمشون فيه قيل لهم جوابا لسوالهم قال ابن عباس تقول
لهم المومنون اي قول رد وتوبيخ وتهكم وتنديم ارجعوا وراكم اي ارجعوا الى الموقف
حيث اعطينا النور فالتمسوا نورا هناك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خايبين وتنحوا عنا والتمسوا نورا اخر
فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراهم وانما هو تخييب واقناط لهم
وقال قتادة تقول لهم الملايكة ارجعوا وراكم من حيث جيتم وقرا هشام والكسائي
بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان التقدير فرجعوا او فاقاموا في الظلمة سبب
عنه وعقب قوله تعالى فضرب بينهم اي بين المومنين والمنافقين بسور اي حايط
حايل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو الاعراف له اي لذلك السور باب موكل به
حجاب لا يفتحون الا لمن اذن له الله تعالى من المومنين بما يهديهم اليه من نورهم الذي
بين ايديهم لشفاعة او نحوها باطنه اي ذلك السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة
التي هي ساترة تبطن من فيها لانه يلي باشجارها وباستارها كما كانت بواطنهم ملاى
رحمة وظاهره اي ما ظهر لاهل النار من قبله اي من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة
والنار لانه يليهما لاقتصار اهله على الظواهر من غير ان يكون لهم نفوذ الى باطن وروي عن عبد
الله بن عمر ان السور الذي ذكر الله تعالى في القران هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه
المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن سريج كان كعب يقول في الباب الذي
يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية
وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المومنين ينادونهم اي ينادي المنافقون
الذين امنوا ويترفقون لهم الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم فنستحق المشاركة فيما صرتم
اليه بسبب ذلك الذي نساعدكم فيه قالوا اي الذين امنوا بلى اي كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم
انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة
وتربصتم اي بالايمان والتوبة ومحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه
وارتبتم اي شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما اوعدكم به وغرتكم الاماني
اي ما تتمنون من الارادة التي معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التي لا سبب
لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لنا من دواير السوء حتى جا امر الله

من جهة الذين امنوا جزا لايمانهم الذي هو غيب فيه الرحمة وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة صح

اي

اى قضا الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفوء له ولا خلف وقرا قالون وابو عمرو باسقاط
الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها واوا والباقون
بتحقيقهما وامال الالف بعد الميم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة
وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والقصر والتوسط وقل بالله اى الملك الذى له جميع ما
الفظة الغرور اى باس لا صنع له الا الكذب وهو الشيطان فانه يزين لكم بغرور التسويف
ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وماذا لعسى ان يكون ذو توبة عنده وهو عظيم
ومحسن وحليم وخو ذلك فلا يزال يزين حتى يقع الانسان فاذا اوقعه واضل عليه مثل ذلك
حتى يتمادى فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده
فالغرم اى بسبب افعالكم تلك لا يؤخذ منكم فدية اى نوع من انواع الفداء وهو البدل
والعوض للنفس على اى حال كان من قلة وكثرة لان الله غنى وقد فات محل العمل الذى
شرعه لكم لانقياد انفسكم وقرا ابن عامر بالتاء الفوقية على التانيث والباقون بالتحتية
على التذكير ولا من الذين كفروا اى الذين اظهروا الكفر ولم يسروه كما سيروه انتم
لسانا وانكم لهم فى الكفر وانما عطف الكافر على المنافق مع ان المنافق كافر فى الحقيقة
لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق بحسن عطفه على المنافق
مأواكم النار اى منزلكم ومسكنكم لا مقر لكم غيرها تخرقكم كما تنتم تخرقون ثياب الاولياء
نافيا لكم على الشهوات واضاعة الحقوق فى الحاجات وقرا حمزة والكسائى
بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وورش
لا يبدل هذه الهمزة ثم الكد ذلك بقوله تعالى هى اى لا غيرها مولاكم اى هى اولى بكم
وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
والشاهد فى مولى المخافة فمولى بمعنى اولى والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام
وهو وصف نعرة وحشية اى غدت على حاله كالاجانب منها محوف وحقيقته فى الاية
محل اكم بحالة مولاى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو منية للكريم
اى مكان يقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هى ناصركم اى لانا صركم غيرها
والمراد بقى الناصر على البنات وقتل بنو لام كما تو لتتم فى الهنا اعمال اهل النار ولما
كان التقدير بئس المولى هى عطف عليه فقال تعالى وبئس المصير اى هذه النار واختلف
فى سبب نزول قوله تعالى الم يأن اى يحن ويدرك وبنته الى الغاية للذين امنوا
اى اقروا بالايمان ان تخشع اى تلين وتسكن وتخضع وتذكر وتطمئن قلوبهم لذكر الله
اى الملك الاعظم الذى لا غنى لاحد عنه فيصدق فى ايمانه من كان كاذبا ويقوى فى الدين من كان
ضعيفا فيعرض عن الفانى ويقبل على الباقى ولا يطلبه لكن دينه دواء والاحرص
قلبه شفاء فى غير القرآن فقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فى غاتهم
على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن الحسن ما والله لقد استبطاهم وهم
يقرأون من القرآن اقل مما يقرأون فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفظ
وقتل كانوا يحدثون بينهم فلما هجروا ما اصابوا الرزق والنعمة فقنعوا واعلموا كما ملوا
عليه فنزلت وعن ابى بكر ان هذه الاية قد بينت بين يديه وعند قوم من اهل

اليها منكوا بكاء شديدا فنظر اليهم وقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقال الشاعر

الا يا ذا الذي قد بات يغفل ان يموت ويترك الشيب المنير لنا عقلا

وقوله تعالى ومانزل من الحق اى القرآن عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر لان القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السموات ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاى والباقون بالتشديد وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل اى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى معطوف فيعلى يخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله تعالى فطال عليهم الامد اى الاجل لطول اعمارهم وامالهم وما بينهم وبين انبيائهم قست اى يبست وطال امدها فاوعيت اى صلبت واعوجت بحيث لا تنفعل بالطاعات والخير فكانت اكثر قلبا فى نفسك حديدا على انبيائهم عليهم السلام بما لوثهم المفترى وامابعد انبيائهم فما بعد وافى القساوة مالوا الى دار الكدر بكلياتهم واعرضوا عن دار الصفا فاخروا الى الهلاك باتباع الشهوات قال القشيرى وقسوة القلب انما تحصل من اتباع الشهوة والصوفية لا يجتمعان وعن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاقرؤه ولا تطولن عليكم الامد فتقسى قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وانتم مسفسفة اخرجته فساورته عن الدنيا اصلا واراها هم فاسقون اى عريقون فى صفة الا قدام على الخروج من ربقة الحق الذى حدها لهم الكتاب حين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالى اعلموا ان الله اى الملك الاعظم الذى له الكمال كله فلا يعجز شيء يحييها اى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدون الارض اى البنات بعد ما يبسها امثل لاحياء الاموات بجميع اجسامهم واقاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام اول مرة ولاحيا القلوب القاسية بالذكر والتلاوة فاحذروا واسطوا نة واخشوا غضبه وارجوا رحمته لاحيا القلوب فانه قادر على احيائها بروح الوحى كما احيى الارض بروح المطر بل هو اقدر بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض المرابية بعد خشوعها وبوتها ولا تيئسوا من هذا اتباعا لانكشاف الخ قوله تعالى قد بينا اى على ما لنا من العظمة لكم الآيات اى العلامات التى من جملتها ما تلوتموه عند من علم ذلك وسمعه من الحقائق على ما هى عليه حسبما تصل اليه عقولكم بما تتجددون من فهمه على سبيل التواصل الى الابد بالاستمرار وقرئ المصدقين اى المعروفين بهذا الوصف من الرجال والمصدقات اى من النساء اثر كثير وبشعة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما من التصدق اذ غمت التاء فى الصاد اى الذين تصدقوا وقوله تعالى وأقرضوا الله اى الذى له الكمال كله عطف على معنى الفعل فى المصدقين فان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل كانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا الله قرضا حسنا اى بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والنفقة فى سبيل الخير وجنسه كما قال الرازى انصرف بصيغته عن النظر الى فعله والامتنان به وقلت الموصوف عليه يضاعف اى ذلك القرض لهم من عشرة الى سبعمائة كما مر لان الذى كان له القرض كريم قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا الف بينها وبين الضاد والباقون بتخفيف

العين وسنها وبين الصاد الف ربعهم اى مع المضاعفة اجرهم اى ثواب حسن وهو الجنة
والنظر الى وجه الكريم عم بين سبحانه الحامل على الصدقة ترغيبا فيه وهو الايمان فقال
تعالى والذين امنوا اى وحدوا هذه الحقيقة العظيمة فى انفسهم بالله اى الملك الاعلا الذى
له الجلال والاكرام ورسله اى كلهم لاجل ما لهم من النسبة اليه فمن كذب واحدا منهم لم يكن مؤمنا
بالله تعالى اولئك اى هؤلا العالوا الرتبة هم الصديقون اى الذين هم فى غاية الصدق
والتصديق لما يجب له ان تصدق من سمعه وقال القشيرى الصديق من استوى
ظاهره وباطنه وقيل هو الذى يحمل الامر على الاشق ولا يترك الى الرخص ولا يحتج للتاويلات
وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله فهو صديق وتلى هذه الاية وقال الضحاك
الاية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة تقدموا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام
ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحاكم
الله تعالى به للحق فى صدره وقيل اختلف فى نظم قوله تعالى والشهدا عند ربهم
اى المحسن اليهم بالتربية مثل تلك التربية العالية منهم من قال هى منفصلة عما قبلها
والواو للعطف واراد بالشهدا المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم
وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه الاية وقال مقاتل تم الكلام عند قوله
تعالى هم الصديقون ثم ابتدا بقوله تعالى والشهدا فهو مبتدا وخبره لهم اجرهم اى الذى جعله
لهم ونورهم اى الذى ازاده من فضله برحمته قالوا والواو للاستيناف وهو قول
ابن عباس ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم من قال هم الانبيا عليهم السلام الذين
يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان وقال مقاتل
ابن سليمان هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عز وجل والذكر تعالى اهل الشقاوة فقال
الله تعالى والذين كفروا اى ستروا ما دلت عليه الادلة وكذبوا بايتنا اى على ما لها من العظمة
بتسميتها البنا اولئك اى هؤلا البعداء من كل خير اصحاب الجحيم اى النار التى هى غاية فى توقدها
وفى ذلك دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالحصر
والصحة تدل على الملازمة عرفوا واما غيرهم من العصاة فدخولهم لها ليس على وجه الصحبة
الدالة على الملازمة والذكر حال العرض لا اخر حقق امر الدنيا بقوله تعالى اعلموا
ايها العباد المبتلون بحب الدنيا انما الحياة الدنيا اى الحاضرة التى رغب فى الزهد
فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة للتاكيد اى الحياة فى هذه الدار
لعب اى تعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ولهو اى شغل يفرح به الانسان فيلهيه
اى يشغله عما ينفعه ثم ينقضى كما هو الفتيان عم النوع ذلك لعظم ما يلهى به الدنيا فقول
تعالى وزينة اى شى يتجمل العين وبسر النفس كزينة النسوان واتباعها ثم تفنى
بقوله تعالى وتفاخر بينكم اى كتفاخر الاقران بفتح بعضهم على بعض فيحرك ذلك الحسد
والبغضا وانفع ذلك ما يحصل به الفخر بقوله تعالى وتكاثر اى بين الجانبين كتكاثر
الرهبان فى الاموال اى التى لا تفتخر بها الا احمق لكونها مائلة والاولاد اى التى
لا تفتخر الا سفيه لانها زائلة وانما هى فتنة وابتلا تظهر بها
الشاكر من غيره ثم ذلك كله قد يكون ذهابا عن قرب فيكون على اضد ما كان عليه

فيكون اشد في الحسرة ثم في اخر ذلك يموت فاذا هو قد اضمحل امره ونسي عما قليل
ذكره وصار ماله لغيره وزينته متمتعا بها سواه فالدنيا حقيرة واحقر منها
طالبها لانها جيفة وطالب الجيفة ليس له حظ واخسهم من يبخل بها وقال علي لعمار
لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم
ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو نزقة ذبابة واكثر شرابها الما
ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل
مشمومها المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال
واما المنكوح فهو النسا وهو ميال في ميال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به
اقبحها انتهى وتناسب بعض ذلك قول الشاعر فخير لباسها نسجات دود وخير شرابها
قي الذباب واشهى ما ينال المرء فيها مبال في مبال مستطاب قال القشيري وهذه الدنيا
المذمومة هي ما يشغل العبد عن الاخرة فكل ما يشغله عن الاخرة فهو الدنيا انتهى
اي واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الاخرة ثم ضرب للدنيا مثلا بقوله تعالى
كمثل اي هذا الذي ذكرته من امرها يشبه مثل غيث اي مطر حصل بعد جدب وسوء
حال اعجب الكفار اي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث
كما يستر الكافر حقيقة انوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان نباته اي نبات
ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى
ثم يهيج اي ييبس فيتم جفافه فيحين حصاده فتراه اي عقب ذلك وبالقرب منه
مصفرا اي على حالة لا نمو بعدها ثم اي بعد تناهي الجفاف يكون اي كونا كانه مطبوع عليه
حطاما اي فتاتا يضمحل بالرياح ولما ذكر تعالى الظل الزايل ذكر اثره الثابت الدايم
مقسما له الى قسمين فقال تعالى وفي الاخرة عذاب شديد اي على من اثر الدنيا
واخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الاخرة هذا احد القسمين واما القسم
الاخر فهو ما ذكره بقوله تعالى ومغفرة اي لمن اقبل على الاخرة ورفض الدنيا ولم تشغله
عن ذكر الله تعالى مغفرة من الله اي الملك الاعظم ورضوان اي في جنة عالية تفضلا
منه ورحمة وقوله تعالى وما الحياة الدنيا اي لكونها تشغل بزينتها مع انها زايلة
الا متاع الغرور اي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا ذلك لانه لا يسر بقدر
ما يضر تاكيد لما سبق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب
الاخرة فاذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة
ثم ارشدهم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والاخرة
بقا وكمال بقوله تعالى سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة
اي ستر لذنوبكم عينا واثرا من ربكم اي المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة
لكم من ربكم وقال الكلبي سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة وقال مكحول
هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول وجنة اي بستان هو من عظم اشجاره
واطراد انهاره بحيث يستر داخله عرضها كعرض السما والارض اي السموات السبع
والارضين السبع لو جعلت صفايح والزقت بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها
جميعا وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقال مقاتل

ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكان
عرض في جنة واحدة من الجنان وسال عمر ناس من اليهود اذا كانت الجنة عرضها ذلك
فاين النار فقال لهم ارايتم اذا جا الليل اين يكون النهار واذا جا النهار اين يكون الليل
فقالوا انه لمثلها في التورية ومعناه انه حيث شا الله تعالى وهذا عرضها ولا شك
ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل
ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار
السموات والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس اعدت اي هيئت هذه الجنة الموعود
بها وفرغ من امرها بايسر امر للذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة بالله اي الذي له جميع العظمة
لاجل ذاته مخلصين له الايمان ورسله فلم يفرقوا بين احد منهم وفي هذا اعظم رجا واقوى
اصل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيا اخر يدل
عليه قوله تعالى في سياق الاية ذلك اي الفضل العظيم جدا فضل الله اي الملك الذي لا كفو له
فلا اعتراض عليه يؤتيه من يشا فبين انه لا يدخل الجنة احد الا بفضل الله لا بعمله
لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد
منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته
ولا ينافي ذلك قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان البا في الحديث عوضية وفي الاية
سببية فان قيل يلزم على هذا ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة وان يقطع بانه لا عقاب
عليهم اجيب بان يقطع بحصول الجنة ولا يقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم
نقلوا الى الجنة بقوا فيها اباد الاباد فكانت معدة لهم والله اي والحال ان الملك المختص بجميع
صفات الكمال فله الامر كله ذو الفضل العظيم اي الذي جل ان يحيط بوصفه العقول
ما اصاب من مصيبة في الارض اي من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلا الاسعار
وتتابع الحوائج وغير ذلك ولا في انفسكم اي من الامراض والفقر وذهاب الاولاد وضيق
العيش وغير ذلك الا في كتاب اي مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله تعالى من قبل
ان نبراها اي نخلق ونوجد ونقدر المصيبة والارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب
العباد بخلقه سبحانه وبتقديره ان ذلك اي الامر الجليل وهو علمه بالشي وكتبه له
على تفاصيله قبل ان يخلقه على الله اي لما له من الاحاطة بصفات الكمال يسير اي لان علمه محيط
بكل شي فقدرها شاملة لا يعجزها شي ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالى لكيلا اي
اعلمناكم بانا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم
ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير لا الحزن يدفعه ولا السرور يجليه ويجمعه كما قال صلى
الله عليه وسلم يا معاذ لتقل كل ما قدر يكن لاجل ان لا تاسوا اي تحزنوا حزنا
كبيرا زايدا على ما في اصل الجبلة فربما جر ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضا على ما فاتكم
اي من المحبوبات الدنيوية ولا تفرحوا اي تسروا سرورا يوصل الى النظر بالتمادي على ما في
اصل الجبلة وقوله تعالى بما اتاكم قراه ابو عمرو بقصر الهمزة اي جاكم منه والباقون بالمد
اي اعطاكم قال جعفر الصادق ما لك تاسف على مفقود ولا يرده اليك الفوت
وما لك تفرح بموجود ولا تتركه في يديك الموت انتهى ولقد عز الله تعالى المومنين
رحمة لهم في مصايبهم وزهدهم في رغايبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لا يعبده

وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده ولان ذلك لا مطمع في بقائه الا بادخاره عند الله تعالى
وذلك بان يقول في المصيبة قدر الله تعالى وما شاء فعل ويصبر وفي النعمة هكذا قضى
وما ادري ما له هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فلا يزال خائفا عند النعمة
قائلا في الحالين ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن واكمل من هذا ان يكون
مسرورا بذكر ربه في كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير
بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما اشار اليه القشيري وقال ابن عباس
ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا
والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز والله اي الذي له صفة
الكمال لا يحب اي لا يفعل فعل المحب بان يكرم كل مختال اي متكبر نظر الى ما في يده من الدنيا
فخور اي به على الناس قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والفخر
من رؤية خطر ما به يفتخر وقوله تعالى الذين يبخلون بدل من كل مختال فخور فالمختال
بالمال يضن به غالبا ويأمرون الناس اي كل من يعرفونه بالبخل ارادة ان يكونوا لهم رفقا
يعملون باعمالهم الخبيثة او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى ومن يتول
اي يكلف نفسه الاعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير والاقبال على الله تعالى فان الله
الذي له جميع صفات الكمال هو اي وحده الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق
فان الله غني ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلنا اي الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا
من الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام
ومن الانبياء الى الامم بالبينات اي بالحجج القواطع وانزلنا اي بعظمتنا التي لا شيء اعلا منها
معهم الكتاب اي الكتب المتضمنة للاحكام وشرائع الدين والميزان اي العدل وقيل الالة
روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به
وانزلنا اي خلقنا خلقا عظيما بما لنا من العزة الحديد اي المعروف على وجه من القوة
والصلابة واللين فلذلك سمي ايجاده انزالا وعن ابن عباس قال نزل ادم عليه السلام
من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد وروي من الة الحديد من السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال في الميقعة ما يحدد به يقال
يقال اقعت الحديدة اقعها اي حديدتها وفي الصحاح الميقعة الموضع الذي يألفه
البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروي
ومعه المبرد والمسحاة وعن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع
بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس
قال انزل ثلاثة اشياء مع ادم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج
وعصى موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع مع طول موسى
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل
من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس اي قوة وشدة فمنه جنة وهي الة الرفع
ومنه سلاح وهو الة الضرب ومنافع للناس بما يعمل منه من موافقهم ليقوم احوالهم
بذلك قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد الة لها وقال مجاهد معنى جنة وقيل
انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك وروي ان الحديد انزل في يوم

الثلاثا

الثلاثا ساعة لا يراق فيها الدم وقوله تعالى وليعلم الله اى الذى له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق بمقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم عطف على قوله تعالى ليقوم الناس اى كيفما ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت وليعلم الله من ينصره اى ينصر دينه بالآت الحرب من الحديد وغير ذلك وقوله تعالى ورسله عطف على مفعول لينصره اى وينصر رسله وقوله تعالى بالغيب حال من هما ينصره اى غائبا عنهم فى الدنيا قال ابن عباس من ينصره ولا يبصره ان الله الذى له العظمة كما لا يزال قويا اى فهو قادر على اهلاك جميع اعدائه وتائيد من ينصره من اوليائه عزيز فهو غنى مقتدر فلا حاجة به الى نصرة احد وانما دعا عباده الى نصر دينه لتعم الحجة عليهم فيرحم من اراد امتثال الامور ويعذب من شاء بارتكاب المنهى ثم شاهد قدرته الدالة على حكمته ربط المسببات بالاسباب وما احال الرسل به فقال تعالى ولقد ارسلنا اى الناس من العظمة نوحا وهو الاب الثانى وجعلنا الاعلب على رسالته مظهر الجلال وانذارهم وهو اب العرب والروم وسبى اسرائيل الذى اكثر الانبياء من نسله وجعلنا الاعلب على رسالته مجلى الاكرام وجعلنا اى بالناس من العظمة فى ذريتهما النبوة فلا يوجد نبى الا من نسلهما والكتاب اى الكتب الاربعة وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعن ابن عباس الكتاب الخط بالقلم مثل كتب كتابا وكتابة والضمير فى قوله تعالى فمنهم مهتد يعود على الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود الى المرسل اليهم لدلالة ارسلنا اى هو يعنى الرضا منا وهو من لزم طريقة الاصفياء وان كان من اولاد الاعداء وكثير منهم اى المذكورين فاسقون اى هم بعيد السخط وان كانوا من اولاد الاصفياء والمراد بالناس ههنا الكفار لانه جعل الفساق قسما للمهتدين وقيل هو الذى اتى بكبيرة سوى الكفر لان الكافر لا يكون فاسقا بهذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره ثم قفينا اى اتبعنا ما لنا من العظمة على اثارهم اى الاثنين المذكورين ومن مضى قبلهم من الرسل او عاصرهما منهم برسلنا اى فارسلنا هم واحدا فى اثر واحد كموسى والياس وداود وادريس وغيرهم ولا يعود الضمير على الذرية لانها باقية مع الرسل وبعدهم وايضا الرسل اتقى لهم من الذرية وقفينا اى اتبعنا بالناس من العظمة على اثارهم قبل ان تندرس بعيسى بن مريم وهو من ذرية ابراهيم من حفدته امه وهو اخر من قبل النبى الخاتم عليهم السلام فاتته او كالاتم لما تابعه صلى الله عليه وسلم وآتيناه اى بالناس من العظمة الانجيل كتابا فاضبطا لما جاء فيه لملتنه مبشرا بالنبى العربى يوضح الامر مكررا من ذكر وجعلنا اى بالناس من العظمة فى قلوب الذين اتبعوه اى على دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه رأفة اى اشد رقة على من كان ينسب الى الاتصال بهم ورحمة اى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الاتصال بهم كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذل على المؤمنين مع ان قلوبهم فى غاية الصلابة فهم اعزة على الكافرين متوادون بعضهم لبعض وقوله تعالى ورهبانية منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وهو قوله تعالى ابتدعوها قال ابو على ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فتكون المسئلة من باب الاشتغال والى هذا ذهب الفارسى والزمخشرى وابو البقاء وجماعة الا ان هذا

من باب الاشتغال وهذا الخلاف مبني على ان الله اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون
ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة والرافة لما كانتا من فعل الله تنسب
خلقها الله والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستحيل بفعلها
تنسب ابتداعها اليه وقيل ان رهبانية معطوفة على رافة ورحمة وجعل اما
بمعنى خلق او بمعنى صيّر وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية وانما خصت
بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر غريزي لا تكليف للانسان فيها
بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن وللانسان فيها تكسب لكن ابو البقاء منع
هذا بانه ما جعله الله لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة
صح ذلك فيها والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين
متخلين كافين انفسهم على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس
الخشن والاعتزال عن النساء والتقعد في الكهوف والغيران روى ابن عباس
قال في ايام الفترة بين محمد عليها الصلاة والسلام غيّر الملوك التوراة والانجيل
فساح نفر وبقي بقية قليل فترهبوا وتنسكوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى
عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج
عيسى فقتلوهم فقال قوم بقي بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فلسنا بتغيير القائم
بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها
رفض النساء واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع بي لجوفهم بالبراري والجبال
وقوله تعالى ما كتبناها صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بذلك
قاله ابن زيد مبتدأ وما فرضناها عليهم وامرناهم بها في كتابهم ولا على لسان رسولهم
وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله الى الملك الاعظم استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله وقيل متصل بما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء
من الاشياء الا لابتغاء مرضات الله وبكونه كتبه عليهم قضى وصار العلي كتبناها
عليهم ابتغاء مرضات الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضيعوا
الا النقليل وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم
وامنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاتينا اي بقينا من صفات الكمال الذين امنوا
اي بالنبي صلى الله عليه وسلم منهم اجرهم اي الذي وعدناهم وهو الرضوان المضاعف
وكثير منهم اي من هؤلاء الذين ابتدعوا فاسقون اي عريقون في وصف الخروج
عن الحدود التي حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى
عليه السلام روى البغوي بسنده عن ابن مسعود انه قال دخلت غار بسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلفت من كان قبلكم على اثنتين
وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم فرقة غيّرت الملوك وقاتلوهم
على دين عيسى وفرقة لم تكن لهم طاقة بمقاتلة الملوك ولا ان يقيموا بين اظهرهم
يدعونهم الى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد فترهبوا وهم
الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي صلى
الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها

فضيعوا

وسلم

ومن لم يؤمن لي فاولئك هم الهالكون وعن ابن مسعود ايضا قال كنت رديف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل
الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون
بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزموا اهل الايمان ثلاث مرار فلم يبق
منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا
نتفرق في الارض الى ان يبعث الله تعالى النبي الذي اوعدنا عيسى عليه السلام يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غير ان الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر ثم تلى هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فاتينا الذين امنوا
منهم اجرهم يعني من ثبت عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد
اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة
والصوم والحج والعمرة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية
ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن مسعود قال كانت ملوك بعد
عيسى عليه السلام بدلوا التورية والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التورية
والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا
عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتال او يتركوا
قراءة التورية والانجيل والا فما بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم انفسنا فقالت
طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا
وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب
الوحش وان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دارا في الفيافي
نحتفر الابار ونحترث البقر فلا نرد عليكم ولا نراكم ففعلوا بهم ذلك فمضى اولئك
على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون
في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان
وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية
ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين الذين
جاؤا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء
مرضات الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح
من سياحته وصاحب دير من ديره وامنوا وصدقوا فقال تعالى يا ايها الذين امنوا
اي بموسى وعيسى عليهما السلام ايمانا صحيحا اتقوا الله اي خافوا عقاب الملك الاعظم
وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا مضموما الى ايمانكم بمن تقدمه هذا
اذا كان خطابا للمؤمنين اهل الكتاب واما اذا كان خطابا للمؤمنين من اهل الكتاب
وغيرهم فالمعنى امنوا برسوله ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله تعالى فانه لا يصح الايمان
بالله الا مع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم يؤتكم اي يثبتكم على اتباعه
كفلين اي نصيبين ضخمين من رحمته يحصناكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب
من الوقوع وهو كساء يقعد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره

على العجز وهذا التحصين لاجل ايمانكم به صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة
العمل ورفع الاصار ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام
وقيل الخطاب كان للنصارى الذين في عصره وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين
بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين اخر الدنيا والاخرة وعن ابي موسى الاشعري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجورهم مرتين رجل كانت له جارية
فاديها واحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه
وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده ويجعل لكم
اي مع ذلك نورا مجازيا في الدنيا من العلوم والمعارف القلبية وحسيا في الاخرة
بسبب العمل تمشون به اي مجازا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة في الاخرة
بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القران
وقال الزمخشري هو النور المذكور في قوله تعالى نسورهم يسعى وقيل تمشون في الناس
يدعونهم الى الاسلام فيكونون رؤسا في دار الاسلام لا تزول عنكم رياستكم فيه
وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم
اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله لا الرياسة الحقيقية في الدين
ويغفر لكم اي ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل وجد والله اي المحيط بجميع صفات الكمال
غفور اي بليغ المحو للذنوب عينا واثرا رحيم اي بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه
للعمل بما يرضيه ولما بلغ من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم
مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا
ومن لم يؤمن منا فله اجره كاجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله تعالى لئلا يعلم اي ليعلم
ولا زائدة للتاكيد اهل الكتاب اي الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ان مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان والمعنى انهم لا يقدرون على شيء اي في زمن الازمان
من فضل الله اي الملك الاعلى فلا اجر لهم ولا نصيب في فضله ان لم يؤمنوا بنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب المؤمنين
منهم فنزلت هذه الاية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي تقطع
الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت هذه الاية وروي ان موسى
اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق
الله وقيل نعم الله تعالى التي لا تحصى وان اي وليعلموا ان الفضل اي الذي لا يحتاج اليه
من هو عنده بيد الله اي الذي له الامر كله يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار فاتى المؤمنين
منهم اجرهم مرتين والله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال ذو الفضل العظيم
اي مالكه ملكا لا ينفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه اصلا فلذلك خص
من يشاء بما يشاء روى البخاري عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة
العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار
ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى

صلاة

صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت
الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التورية ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا
قال هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية
فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفي رواية انما اجلكم في اجل من كان قبلكم
خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى
كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود
الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة
العصر على قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط
ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين
الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم اجر مرتين
فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا قال الله تعالى هل ظلمتكم
من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اوتيه من اشاء وعن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون
له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك
الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية عملكم وخذوا اجركم
كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا
ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا
باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار
شيء يسير فابوا فاستاجر اخرين على ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم
حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا
من هذا النور وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله حديث موضوع

سورة المجادلة مدنية في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني
وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون
كلمة والف وسبعماية واثنان وسبعون حرفا بسم الله الذي تمت قدرته وكملت جميع
صفاته الرحمن الذي شمل الخلائق جودا بالايجاد وارسال هداية الرحيم الذي خص
اصفياه فتمت عليهم نعمة مرضاته ونزل في خولة بنت ثعلبة وكانت تحت اوس
ابن الصامت وكان قد ظاهر منها قد سمع الله اي اجاب بعظيم فضله الذي احاط بجميع
صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات قول التي تجادلك اي تراجعك ايها النبي
في زوجها المظاهر منها روي ان عمر ابن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار والناس
معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك
يا عمر ثم قيل لك امير المومنين فاين الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن
بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف
لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لازلت الا

للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها
من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عائشة تبارك
الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي
تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل
شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكوا
اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
الاية وروي انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها
فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرا به
لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق
في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما علا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاق او انه ابو ولدي واحب
الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكوا الى الله
فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
هتفت وقالت اشكوا الى الله فاقتي وشدة حالي وان ناصية صغارا ان ضممتهم
الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اني
اشكوا اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله
تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الاية فارسل الله رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال
نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال
هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين
لكل بصري واظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا فقال ما اجد الا
ان تعينني منك بعون وصلة واعانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة
عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال لها مريه ان يعتق رقبة فقالت اي رقبة والله
لا نجد رقبة وما له خادم غيري فقال مريه فليصم شهرين فقالت والله ما يقدر
على ذلك انه يشرب في اليوم كذا وكذا مرة فقال مريه فليطعم ستين مسكينا
فقالت انى له ذلك وتشتكي اي تتعمد بتلك المجادلة الشكوى منتهية الى الله
اي سوال الملك العظيم الرحمة الذي احاط بكل شيء علما فان قيل ما معنى قد
في قوله تعالى قد سمع اجيب بان معناها التوقع لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله تعالى مجادلتها وشكواها وينزل
في ذلك ما يفرج عنها لصدقها في شكواها وقطع رجائها في كشف ما بها من غير
الله ان الله تعالى يكشف كربتها والله اي والحال ان الذي وسعت

رحمته

رحمته كل شئ لان له الامر كله سميعا بصيرا اي تراجعا الكلام وهو على تغليب الخطاب
ان الله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال سميع اي بالغ السمع لكل مسموع بصير
اي بالغ البصر لكل ما يبصر فهما صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهما
من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما ولما اتم تعالى الخبر عن احاطة
العلم استانف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالى الذين يظهرون
اي يوجدون الظهار في اي زمان كان وقوله تعالى منكم اي ايها العرب السكوت
توبيخهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون سائر الامم فنبه
تعالى على ان اللائق بهم ان يكونوا بعد الناس من هذا الكلام لان الكذب
لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا من نسائهم
اي تحريمهن على انفسهم بتحريم الله تعالى عليهم ظهورا نهاتهم والظهار
لغة ماخوذ من الظهر لان صورته الاصلية ان يقول لزوجته انت علي كظهر
امي وخصوا الظهر دون البطن والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب والمراة
مركوب الزوج وقيل من العلو فان تعالى ما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه
وكان طلاقا في الجاهلية وقيل رجعيا اول الاسلام ويقال كان في الجاهلية اذا ذكر
احدهم امراته ولم يدر ان يتزوج بغيرها ام لا ومنها او ظاهر فتبقى لا ذات زوج
ولا خلية تتاكل عنده فغير الشارع حكمه الى تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة
كما ياتي وحقيقته الشرعية تشبيه الزوجة او جزء ممن يحرم وطؤه ابدا بنسب
او رضاع او مصاهرة او بما يحرم منها مؤقتا كاخت الزوجة او عمتها او خالتها
وسمي هذا المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر الام وله اركان اربعة مظاهر
ومظاهر منها وصيغة ومشبه به وشرط في المظاهر كونه زوجا يصح طلاقه
وشرط في المشبه به كونه انثى محرم او جزء انثى محرم لم تكن حلالا له كبنته واخته
وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت او را سك او بدنك كظهر امي
او كجسمها او بدنها او كناية كانت امي او كعنقها او نحوها مما يذكر للكرامة
كراسها ورجلها ويصح نافيته وتعليقه واصل تظهرون تتظهرون ادغمت التاء
في الظاء وقرا الذين تظهرون والذين يظهرون عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء وبعدها
الف وتخفيف الهاء مكسورة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الياء وتشديد الظاء
وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء والهاء الف والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء
والهاء بلا الف بينهما ما هن امهاتهم اي نساؤهم امهاتهم اي على الحقيقة ان اي ما امهاتهم
اي حقيقة الا اللاتي ولدنهم ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم تحريم موبدة
للاكرام والاحترام ولا هن من الحقوق الامهات بوجه يصح كازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام والاعظام لان النبي
صلى الله عليه وسلم اعظم في ابوة الدين من ابوة النسب وكذا المرضعات لما لهن
من حق الارضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة واما الزوجة فصيانة بجميع ذلك
وقرا قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا يا بعدها وقرا ورش والبزي وابو عمرو
بتسهيل الهمزة مع المد والقصر والبزي وابي عمرو ايضا مع وضع الهمزة ياء كالتي مع المد
والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم في المد وانهم اي المظهرون

ليقولون اي في هذا التظهر على كل حالة منكرا من القول اذ الشرع انكره وهو حرام
اتفاقا كما نقل عن الرافعي في باب الشهادات وزورا اي قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد
لان الزوجة معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان والام في غاية البعد
عن ذلك فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي فشبه بامه ولم يقل انها امه فما معنى
انه منكر من القول وزور والزور الكذب وهذا ليس بكذب اجيب بان قوله هذا ان كان
خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك
وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا تتابد تحريمها بالظهار فهو
زور محض فان قيل قوله تعالى الا اللائي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا مشكل
بقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اجيب بان الشارع
الحقهن بالوالدات لما مر وان الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه في شرع ولا غيره
لعفو اي من صفاته اي يترك عقاب من يشاء غفور اي من صفاته اي يمحو عين الذنب
واثره ثم بين احكام الظهار بقوله تعالى والذين يظهرون منكم من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا والعود في ظهار غير موقت من غير رجعية ان يمسكها بعد ظهاره مع علمه
بوجود الصفة في المعلق من امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته يقال
قال فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه اي خالفه ونقضه وهو قريب من قولهم عاد
في هبته ومقصود الظهار وصف المرأة بالتحريم وامساكها يخالفه فلو اتصل بظهاره
جنونه او اغماؤه او فرقة بموت او فسخ من احدهما بمقتضيه كعيب باحدهما او بطلاق
بائن او رجعي ولم يراجع فلا عود والعود في ظهار غير موقت من رجعية سواء اطلقها
عقب الظهار ام قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول ثم اسلم في العدة
فلا عود باسلام بل بعده والفرق ان الرجعة امساك في ذلك النكاح والاسلام بعد
الردة تبديل للدين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امساك وانما يحصل بعده
والعود في ظهار موقت يحصل بمغيب حشفة اقدرها من فاقدها في المدة ويجب
في العود به وان حل نزع لما غيبه كما لو قال ان وطئتك فانت طالق لحرمة الوطء قبل
التكفير كما سيأتي او انقضاء المدة واستمرار الوطء وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن
معنى الشرط ادخل الفاء في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال
عز من قائل فتحرير اي فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير رقبة مؤمنة
فلا تجزي كافرة قال تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة والحق بها غيرها قياسا
عليها بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار او حملا للمطلق على المقيد كما في حمل
المطلق في قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد في قوله تعالى واشهدوا
ذوي عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزي صغير ولو ابن يوم واقرع واعرج
يمكن تباع مشي بان يكون عرجه غير شديد واعور لم يضعف عوده بصر عينه السليمة
ضعفا يخل بالعمل واصم واخرس يفهم الاشارة وتفهم عنه واخشم وفاقد انفه
واذنيه واصابع رجليه لا فاقد رجل او خنصر وبنصر من يد او انملتين من كل منهما
او فاقد انملتين من اصبع غيرهما او فاقد انملة ابهام لاخلال كل من الصفات
المذكورة بالعمل ولا يجزي مريض لا يرجى برؤه ولم يبرأ كذي مسل وهرم بخلاف من يرجى

برؤه

بروه ومن لا يرجى بروه اذا برئ ولا مجنون افاقته اقل من جنونه تغليبا للاكثر ويجزئ معلق
بصفة بان ينجز عتقه بنية الكفارة او يعلقه كذلك بصفة اخرى ويوجد قبل الاولى
ويجزئ نصفا رقيقين اعتقهما عن كفارة باقيهما او باقي احدهما كما استظهره بعضهم
حر ويجزئ اعتاق رقيقه عن كفارته لا جعل العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة
ولا مستحق عتق كام ولد صحيح كناية من قبل ان يتماسا اي يتجدد بينهما مس روى ابو داود
وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امراته وواقعها لا تقربها حتى تكفر وكالتكفير
مدة مضي الوقت لانتهائه بها وحمل التماس هنا لشبه الظهار بالحيض على التمتع بما بين
السرة والركبة ومن حمله على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة
كانتن كظهر امي فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها او ظاهر منهن باربع كلمات
ولو متوالية فعائد من غير اخيرة ولو كرر في امراة متصلا تعدد الظهار ان قصد
استئنافا ويصير المظاهر بالاستئناف عائدا ذلكم اي ذلك الحكم بالكفارة توعظون به
اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله اي الذي له
الاحاطة بالكمال بما تعملون اي تتجددون فعله خبير اي عالم بظاهره وباطنه فهو عالم
بما يكفره فافعلوا ما امر به وقفوا عند حدوده وانما يلزم الاعتاق عن الكفارة من ملك
رقيقا او ثمنه فاضلا عن كفاية ممونه من نفسه وغيره قال الرافعي وسكتوا عن تقدير
مدة ذلك ويجوز ان يقدر بالعمر الغالب وان يقدر بسنة انتهى والذي عليه الجمهور
وهو الاول ولا يلزمه بيع عقار وراس مال تجارة وماشية لا يفضل دخلها من غلة
العقار وربح مال التجارة وفوائد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية ممونه
ولا بيع مسكن ورقيق نفيسين الفهما ولا يلزمه شراء بعين فمن لم يجد اي الرقبة بان عجز
المكفر عن الاعتاق حسا او شرعا وقت اداء الكفارة فصيام اي فعليه صيام شهرين
متتابعين عن كفارته فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر اذ لا يملك شيئا وليس
لسيده منعه من الصوم في كفارة الظهار لضرره بدوام التحريم بخلاف كفارة غيره
فان له منعه من الصوم ان ضره وانما اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت الوجوب قياسا
على سائر العبادات ولو ابتدأ الصيام ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به
حيث دخل فيه وقال ابو حنيفة يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رات
الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستانف الحيض اجماعا ويكفيه نية صوم الكفارة
وان نوى الولاء فان انكسر الشهر الاول اتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه
الى الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض او سفر فيجب الاستئناف
ولو كان الفائت اليوم الاخير او اليوم الذي نسيت النية له بخلاف ما اذا فات
بجنون او اغماء مستغرق لمنافاة ذلك للصوم من قبل ان يتماسا كما مر في العتق فان جامع
ليلا عصى ولم ينقطع التتابع لانه ليس محلا للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك
يبطل بكل حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع
بان عجز عن صوم او ولاء لمرض بدوام شهرين متتابعين بالظن المستفاد من العادة
في مثله او من قول الاطباء او لمشقة شديدة تلحقه بالصوم او بولائه ولو كانت
المشقة لشدة شهوة الوطء او خوف زيادة مرض فاطعام اي فعليه اطعام

مسكينا اي من قبل ان يتماسا حملا للمطلق على المقيد بان يملك كل مسكين من اهل
الزكاة مدا من جنس الفطرة كبر وشعير وافط ولبن فلا يجزئ خبز ودقيق وسويق
وخرج باهل زكاة غيرهم فلا يجزئ دفعها لكافر ولا لهاشمي ومطلبي ولا لمواليهما
ولا لمن تلزمه مونته ولا لرقيق لانها حق الله تعالى فاعتبر فيها صفات الزكاة
ذلك اي التخيير العظيم العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من امر الله الذي هو موافق
للحنيفية السمحة ملة ابيكم ابراهيم عليه السلام لتؤمنوا اي لتحققوا ايمانكم بالله
اي الملك الذي لا امر لاحد معه فتطيعوا الا انسلاخ من فعل الجاهلية ورسوله
اي الذي تعظيمه من تعظيمه والاعتناء بهذا الحكم زهد من انتهاون بقوله تعالى
وتلك اي هذه الاحكام العظيمة المذكورة حدود الله اي اوامر الملك الاعظم ونواهيه
التي يجب امتثالها والتقيد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها وقفوا عندها ولا
تقربوها فانه لا يطاق انتقامه اذا انفرى نقضه او ابرامه وللكافرين اي الغريقين
او الكفر بها او بشيء من شرايعه عذاب اليم اي مما الموا المومنين به من الاعتراف
محبر عن جميع خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته الى ان يقدر
على شيء منها فاذا قدر على خصلة من خصالها فعلها ولا تسقط العتق ولا الصوم
بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مدا خرجه لانه لا بدل له ويبقى الباقي في ذمته
قال الزمخشري فان قلت فاذا امتنع الظاهر من الكفارة هل للمرأة ان تزاقه
قلت لها وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا يثنى من الكفارات
يحبس عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضرها في ترك التكفير والاستمتاع
والاستمتاع فيلزم ايقاعها فان قلت فان مات قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر
ولا يعود حتى يكفر الحاكم ان شاء من صحر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرت من امراتي ثم اقربت خلخالها في ليلة فرأى فوقعتها فقال عليه الصلاة والسلام
استغفر ربك ولا تقربها حتى تكفر اتنتي والمراد بالاستغفار هنا التوبة والاذكر تعالى
للمومنين الواقفين عند حدوده ذكر الحادين المخالفين لها بقوله تعالى ان الذين يحادون
الله اي يغالبون الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورة
صورة العداوة لان المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو لقوله تعالى ومن
يشاقق الله ورسوله الذي عز من عزه وقيل يحادون الله اي ولي الله كما في الخبر
من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والضمير في قوله تعالى يحادون يحتمل ان يرجع
الى المنافقين فانهم كانوا يوذون الكافرين ويظاهرونهم على النبي صلى الله عليه
وسلم فاذلهم الله تعالى ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم انهم كبتوا اي اذلوا وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة
اخذوا وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء غيظوا وتقدم
الخندق وقيل يوم بدر كما كبت الذين من قبلهم اي من الحادين المخالفين رسلهم
كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان قال القشيري ومن ضيع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة او احدث في دينه بدعة اخرط في هذا السلك وقد انزلنا
اي بالنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم آيات بينات اي دلالات عظيمة في غاية البيان

لذلك

لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان كترك المعاندة وتحصيل الاذعان **وللكافرين**
اى الراسخين فى الكفر بالايات او بغيرها من امر الله **عذاب النار** اى بما تكبروا
واغتروا واعلم ان ايلاء الله تعالى وشر اتعد بهم ذلك العذاب تنويه عظيم عز شانه
وشماخته وينزكون به محادتهم وقوله تعالى **يوم** منصوب باذكر كما قاله الزمخشرى
قال بعضهم اليوم او بالاستقرار الذى يتضمنه لو فوقوعه خبرا او بفعل مقدر
وذهب ابو البقاء تبعا لغيره الى انه بدل من محل اولئك او بعذبون او استقر ذلك يوم **يبعثهم الله** اى الملك الاعظم
جميعا اى حال كونهم مجتمعين الكافرين للصرح بهم والمومنين للتشاريهم الرجال والنسا
احيا كما كانوا لا يترك منهم احد او قيل مجتمعين فى حال واحد **فينبئهم** اى يخبرهم اخبارا
عظيما مستفضحا **بما عملوا** لتخجيلهم وتوبيخهم وتشهير الخلائق **احصاه الله** اى احاط به علما
كما وكيفا وزمانا ومكانا بالله من صفات الجلال والجمال **ونسوه** لانهم تهاونوا به
حتى تركوه ولم يبالوا به لغرقهم بالمعاصى وانما يحفظ معظمات الامور والخروج
عن الحد فى الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده **والله** اى بما له من القدرة الشاملة والعلم
المحيط **على كل شئ** على الاطلاق **شهيد** اى حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل
ثم انه تعالى لكمال بيان كونه عالما بكل المعلومات تفاعل الى ذكر **الم تر** اى تعلم علما هو فى وضوح
كالرويه بالعين **ان الله** اى الذى له صفات الكمال كلها **يعلم ما فى السموات** كلها
وما فى الارض لذلك كلها ستة ذلك وجزيانه لا يغيب عنه شئ منه بدليل ان تدبيره
محيط بذلك على انهم ما يكون وهو خبر من شا من انبيائه فاصفائه بما شاء من اخبار
ذلك الغائبة الدائنة الماضية والآتية فيكون كما اخبر وقوله تعالى **ما يكون من نجوى**
يكون فيه من تمام التتمة ومن نجوى فاعلها ومن زيدة فيه اى ما يقع من تناجى
ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف اى اهل نجوى فيكون ثلاثة صفة لاهل وارجع فى
نجوى ممتنا خبر جعلوا نجوى مبالغة فتكون ثلاثة صفة للنجوى واشتقاقها من القوة
وهى ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الى الناطقين لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه
وقوله تعالى **الا هو رابعهم** استثنا من اعم الاحوال كما يوجد شئ من هذه الاشيا فى حال
من الاحوال الا وهو يعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع
الذى يكون معهم **ولا خمسة** امر من نجواهم **الا هو سادسهم** اى يعلم نجواهم كما مر فان قيل
ما الداعى الى تخصيص الثلاثة والخمسة اجيب بوجهين احدهما ان قوما من المنافقين
تحالفوا للتناجى فيما بينهم دون المومنين مخالفة للمومنين على هذين العددين الثلاثة
وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تزعمون **ولا ادنى من ذلك**
اى من عددهم **ولا اكثر** اى من ذلك **الا هو معهم** بسمع ما يقولون **اينما** اى فى اى مكان كانوا
فانه لا مسافة بينه وبين شئ فتقدر وعن ابن عباس انها نزلت فى ثلاثة وخبيب
ابنى عمرو وصفوان من امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول
فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله
وصدق لان من علم بعض الاشيا بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت
له مع كل معلوم والواجب الثابت لذاته فصدد ان يذكرها حرضا على العادة من اعداد اهل
النجوى والمتحالفين للشورى والمشورة وبوبت لذلك ليبوا بكل احد واياهم طايفة

BULAK

بحتناة من اولى النهى والاحلام ورهط من اهل الراى والتجارب واول عددهم اثنان
فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر
ابن الخطاب كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى جماعة فذكر عز وجل
الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر
فدل على ما يلى هذا العدد وتجاربه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته الكبرى
اخرجها الحارث بن ابى اسامة من رواية الزهرى وقال يا ايها الناس اسمعوا من خلفكم
ثلاث مرات فدنى الناس وانضم بعضهم الى بعض فى التفتوا فلم ير واحد فقال رجل
منهم بعد الثالثة لمن يسمع يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا
بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليكونوا فى مكان الايمان
هنا والشمائل بل فى المكانة من ذلك فالله عز وجل جلاله اعلا واجل وانزه مكانة
وآلم استوآ ثم نبتدئ اى بخبر اصحاب النحوى اخبارا عظيما يا عباد دقيقه وجليله
تقع العينة الذى هو المراد الاعظم من الوجود لاظهار الصفات القلوبية اتم اظهار
ثم انه اى الذى له الكمال كله علم سنا اى مما ذكر وغيره عليه اى بالغ العلم فهو على كل
شئ شهيد وهذا تحذير من المعاصى وترغيب فى الطاعات واختلف فى سبب
نزول قوله تعالى الم تر اى تعلم علما هو كالرؤية الى الذين نهوا عن النجوى فقيل
فى اليهود وقيل فى المنافقين وقيل فى فريق من الكفار وقيل فى فريق من المسلمين
رواه ابو سعيد الخدرى قال كنا قعودا بالبقيع نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لنا هذه النجوى فقلنا قد انتهينا الى الله تعالى يا رسول الله صلى الله عليك
وسلم انا كنا فى ذكر المسيح يعنى الدجال فزعنا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بما هو اخوف عندى منه قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشرك
الخفى ان يقوم الرجل يصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل ذكره الماوردى وقال ابن عباس نزلت فى اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين وينغامزون بأعينهم
يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نرى هذه
الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل او موت او هزيمة
فيفرح ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم واشتكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك فعادوا الى مناجاتهم
فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم
اى من عزان يعتدوا لما يتوقع من جهة الناهى من الضرر عنده ويتناجون
اى يقبل جميعهم على المناجاة افتعالا واخذا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الاخر مرة
بعد اخرى على سبيل الاستمرار وفتح الجيم بعد الياء تون ساكنة بعدها تاء فوقية
مفتوحة ولا الف قبل الجيم وضم الجيم والباقون تاء فوقية مفتوحة وبعدها
نون مفتوحة وبعد النون الف وفتح الجيم بالاثم اى بالشئ الذى يثبت عليهم به
الذنب وبالكذب وبما لا يحل وبالعدوان اى بالعدو الذى هو معاندة فى قصد الشر
بالافراط فى مجاوزة الحدود ومعصيت الرسول اى مخالفته الذى جاء اليهم من الملك الاعلى

وهو كامل في الرسالة لكونه مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده
فهو لذلك مستحق غاية الاكرام فائدة رسمت معصيت في الموضعين بالتاء المجرورة
واذا وقف فابو عمرو وابن كثير والكسائي بالامالة في الوقف على اصله ووقف الباقون
بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء **واذا جاؤك** اي يا اشرف الخلق **حيوك** اي
واجهوك بما يعدونه تحية **بما لم يحيك به الله** اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه
وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك
والسام الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يرد عليهم فيقول وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه
عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهللا يا عائشة عليك بالرفق واياك
والعنفة والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب فيهم ولا يستجاب لهم
في وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك
ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وروى انس انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض
العلماء ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم فيما دعوا به علينا
من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سام يسام سامة وساما وقال
بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي الماء
اجزنا انتحى فزاد الواو وقال اخرون هي للاستئناف كانه قال والسام عليكم وقال
اخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا
كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة تنبيه اختلف العلماء في رد السلام
على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك
وقال مالك ليس بواجب فان اردت فقل عليك وعندنا يجب ان تقول له وعليك لما مر
في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد عليك السلام اي ارتفع عنك وقال بعض
المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة ولما كانوا يخفون ذلك
جهدهم ويظنون باملاء الله تعالى لهم انه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع
عليه لم يقدر ان ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله تعالى **ويقولون في انفسهم** من غير ان يطلع
عليه احد **لولا** اي هلا ولم لا **يعذبنا الله** اي الذي له الاحاطة بكل شيء **بما نقول**
اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام
فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب
وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون
من يغضبهم بالعذاب **حسبهم** اي كافيهم في الانتقام **جهنم** اي الطبقة التي تلقاهم بالتهجم
والعبوسة والفظاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم
بالعذاب محض رعونة **يصلونها** اي يقاسون عذابها دائما فانا قد اعددناها لهم
فبئس المصير اي مصيرهم **يا ايها الذين امنوا** اي ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة **اذا تناجيتم**
اي اطلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه لصاحبه سوا **فلا تتناجوا** اي يوجدوا

BULAC

هذه الحقيقة بالبر والقرآن ومقتضيات الرسول اي الكامل في الرسالة
كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل اراد تعالى بقوله امنوا المنافقين امنوا
بلسانهم وقال عطاء يريد الذين امنوا بزعمهم وقيل يا ايها الذين امنوا موسى وشايعوه
بالبر اي بالطاعة والتقوى العفاف عما نهى الله تعالى عنه واتقوا الله اي اقصدوا
قصدا تنجيكم العمل بان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية الذي اليه
خاصة تحشرون اي تجمعون يا بشر امرا واسهله بعثهم وكرم وهو يوم القيمة
فيتجلى فيه سبحانه للحاكمين الخلق والانصاف منهم بالعدل ومحاسبتهم
على التقدير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تبقى منه واقية انما النجوى اي المعهودة
وهي المنهي عنها من الشيطان اي مستدنه وممتدة من المحرض وشيطانه عن رحمة
الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها فاعلها تابع لاعدا اعدائه مخالف لاعظم
اولياءه ليحزن اي الشيطان الذين امنوا اي ليوهمهم انها بسبب مني وقع بما يؤلمهم
والحزن هم عارض ونوجع يدوم يقال حزنه واحزنه بمعنى قال ابو العباس
او احزنه جعله حزينا وحزنه جعله حزينا وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي
من احزن والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الاولى اشد
في المعنى على ما في القاموس وليس اي الشيطان وما حام عليه من النواحي بضارهم
اي الذين امنوا شيئا من الضرر وان قل الا باذن الله اي بمشيئة الملك المحيط
علما وقدرة فان قيل كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم الا باذن الله اجيب بانهم
كانوا يهمون المؤمنين في نجواهم وتقاعدهم ان عدائهم غلبوا وان قاتلهم قتلوا
فقال تعالى لا يضرهم الشيطان والحزن بذلك الوهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو
ان يقضي الموت على قاتلهم او الغلبة على الغزاة وعلى الله اي الملك الذي لا قوة له
لا على احد غيره فليتوكل المؤمنون اي الراسخون في الايمان في جميع امورهم
فانه القادر وحده على اضلالهم وافسادها فلا يحزنوا من احد ان يلتهم بسوء ولا يجهدوا
وانهم توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه وخص الله سبحانه لامكان ذلك منهم في العادة
واما اصحاب البدايات فلا يلتفتون لذلك منهم لاخرق عادة روى ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه
فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فيمن هذا
الحديث علة المنع وهو ان عدد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر ويؤيد ذلك انه كان
يتحدث شخص رجل مع اخر يريد ان يناجيه فلما اخذ حتى دعا رابعا فقال له ولاولاك تأخرا وانما
الرجل الطالب للمناجاة خرجة في الغالب وتكلة على العلة بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه
ما يحزن لاجله وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد
ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير
اكمل واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتأتى فيه ذلك
قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب الله ابن عمر
ومالك والجمهور وسواء كان التناجي في واجب او مندوب او مباح فان الحزن ثابت

به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فينبغي
المنافقون دون المؤمنين فلما فتح الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص
بالشعر وفي المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين القراء فلا لانه
يحدث بغيضة بخلاف الشعر فانه مظنة الاغتيال وعدم الفوت والثاني المؤمنين
مما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي الذين اتصفوا بهذا الوصف اذا قيل لكم اي من اي قائل كان
فان الخير يرغب فيه كذا في تفسير تفسحوا اي توسعوا اي كلفوا انفسكم في اتساع المواضع
في المجلس اي للجلوس او مكانه لاجل من يأتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه قال قتادة
ومجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض
وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا استطفوا للحرب قال الحسن وزيد
ابن اسلم وحبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين يتشاح اصحابه على الصف
الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت تفسحوا يقول
تعالى يتفاسحوا للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان
في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من اهل بدر
وقد سبقوا الى المجلس فقاموا قبل النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم يتبسطون
ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملهم على القيام وشق ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان يا فلان بعدد
القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية
في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم
واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطأ فنزلت الآية يوم الجمعة وروي
عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد
وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
للوقر الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم ثم صار بقعة بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته
في سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح الميم والفاء بعدها جميعا الا ان الكسائي فتح
كل واحد في مجلسه والباقون بضم الميم وكسر الفاء فرادى قال البغوي لان المراد منه مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون
فيه للخير والآجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد احق
بمكانه الذي سبق اليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به
ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه فيلزم الرد بالمجلس
الجلس ويؤيد قراءة الجمع وانشزوا اي وسعوا فيه عن سعة صدر يفسح الله
اي ازال الامر كله لكم في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين وقال الرازي هذا مطلق فيما
تطلبه الناس فسحة فيه من المكان والرزق في الصدر والقبر والجنة قال ولا يشعر
للعاقل ان يقيده الآية بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال
السرور في قلبه واذا قيل اي من اي قائل كان كما مضى اذا كان يريد الاصلاح والخير

انشزوا اى ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذى يترونه به او يقتضيه الحال للتوسعة
او غيرها من الاوامر كالصلاة والجهاد فانشزوا اى فارتفعوا وانهضوا يرفع الله اى الله
له جميع صفات الكمال الذين امنوا وان كانوا غير عالمين منكم ايها المامورون بالتفسح السامعون
للاوامر المتبادرون الى امتثالها طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقيامهم فى مجالسهم
وتوسعهم لاخوانهم وقوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات عطف على الذين امنوا منكم
على الذين امنوا فهو من عطف الخاص على العام لان الذين اوتوا العلم بعض المومنين
منهم ويجوز ان يكون والذين اوتوا من عطف الصفات لذات واحدة كانه قيل يرفع
الله المومنين العلماء درجات مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى
منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر ويخص الذين اوتوا العلم درجات اى برفع
درجات قال المفسرون فى هذه الاية ان الله تعالى رفع المومن العالم على من ليس بمومن
على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء فى هذه الاية والمعنى ان الله
تعالى يرفع الذين اوتوا العلم على الذين امنوا ولم يوتوا العلم درجات فى الجنة اذا فعلوا
ما امروا به وقال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل
رب زدنى علما وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والايات فى ذلك كثيرة معلومة
واما الاحاديث فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وروى ان عمر
رضى الله تعالى عنه كان يقدم عبد الله ابن عباس على الصحابة فكلموه فى ذلك فدعاهم
ودعاه فسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال لابن عباس هو اجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم وروى انه
صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق
ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها والمراد بالحسد الغبطة وهى ان يتمنى مثله ومنها انه
صلى الله عليه وسلم قال لعلى لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها
انه صلى الله عليه وسلم قال من جاءه اجله وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام لم يفصله
النبيون الا بدرجة واحدة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة
درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم
قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفى رواية كفضلى
على ادناكم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام
انى عليم احب كل عليم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال يشفع ثلاثة يوم القيمة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة من واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم من جلس فى مسجد
احد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه
اما هولاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هولاء فيتعلمون الفقه ويعلمون
الجاهل فهولاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا
واما اقوال السلف فلا تحصر منها ما قال ابن عباس رضى الله عنهما علم سليمان عليه السلام خيرين
العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء البيت

شعر

ليت شعري اي شئ ادركني فانه العلم واي شئ فاتني من ادرك العلم وما قاله الاحنف
كاد العلماء يكونون ربانيا وكل عزلم تقطد بعلم فالى ذل ما يصير وما قاله الزبير العلم
ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال وما قاله ابو مسلم الخولاني مثل العلماء في الارض مثل النجوم
في السماء اذا ابرزت للناس اهتدوا بها واذا اخفيت عليهم تحيروا وما قاله جعفر
تعلم العلم فان تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد
وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وما قاله علي العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وما قاله الزهري ما
جلس فقه خمسين عبادة ستين سنة وما قاله الشافعي من ازر طلب العلم افضل
من صلاة النافلة وقال الحبس بعد الفرض افضل من طلب العلم وقال من اراد الدنيا
فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم اي فانه يحتاج اليه في كل منهما وقد ذكرت
في اول شرح المنهاج من الاحاديث ومن اقوال السلف ما يسر الناظر الراغب الخير
وفيما ذكرته هنا كفاية لاولي البصائر والله اي والحال ان المحيط بكل شئ قدرة وعلما
بما يفعلون اي حال الامر وغيره حسنوا اي عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم مربيا بالعمل
ما مشتملا للاوامر واجتناب المناهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه ولن كان
على غير ذلك فلذلك ولا خلاف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي ادعوا
انهم اوحدوا هذه الحقيقة اعنا كانوا وقوله اذا ناجيتم الرسول اي اردتم
مناجاة الذي كل منه في الرسالة الاية فقال ابن عباس لما سئل المسلمين كانوا يكثرون
المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشقوا عليه فانزل الله تعالى هذه
الاية فكف كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يتناجون بالنبي
يناجونه فظن عليهم قوم من المسلمين انهم يتناجون في الخوض فشق عليهم ذلك
فامرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن اشتغالهم وقال زيد انما سلم
ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن
يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان
كان يلقي في انفسهم انهم يناجون ان رجوعا اجتمعت لقتاله فنزلت يا ايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول اي اردتم مناجاته فقدموا اي بسبب هذه الارادة وقول تعالى
بين يدي نجواكم استعان بمن له بدان والمعنى قبل نجواكم التي هي سبب الذي تريدون
ان تتفوا به صدقة لقول عمر يكون لكم برهانا على اخلاصكم وروي ان الصدقة برهان
فمن تصدق فكم في دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكل ما جاء
عن الله تعالى بصيغة ظاهرة الامر يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب
ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا
لقوله تعالى ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الرسية وجب المال لهذا
انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما ازيل وجوبه والكلام متصل
بعده وهو قوله تعالى اشفقتم الاية واجيب عن الاول بان المندوب كما يوصف بانه خير
واطهر فكذلك يضاف وصفه الوجوب وعن الثاني بانه لا يلزم من اتصال الاية
في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في الاية الدالة على وجوب الاعتداد باربعة

مرا فضل ما انفق المرء ما يحاجه ويستظهر
الكريم ويتقى به الشح ويبدأ بمن يعول قيل يا رسول الله ايهما افضل الصدقة في

اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي
انه قال لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت
لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم
فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه ثم نسخت واختلف في مقدار
تاخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الاية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة
من نهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ لما روي
عن علي انه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي
دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية عنه فاشتريت به
عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت
فلم يعمل بها احد وعن ابن عباس انهم نهوا عن المناجات حتى يتصدقوا فلم يناج احد
الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عند المناجاة
شيا او ان لا يكون احتاج الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت
لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية
النجوى واختلف في الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة بالزكاة واكثر المفسرين انها منسوخة
بالاية التي بعدها وهي ءاشفقتم كما سياتي وكان علي يقول وخفف عن هذه الامة
فانكم تجدوا اي ما تقدمونه فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال غفور رحيم اي له صفتا الستر
للمساوي والاكرام باظهار المحاسن على الدوام فهو يغفر ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي
وتارة بالتوسعة للضيق بان ينسخ ما يشق الى ما يخف وقوله تعالى ءاشفقتم اي خفتم
العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا كاد ان تفطر قلوبكم ان تقدموا اي باعطاء
الفقراء وهم اخوانكم بين يدي نجواكم اي للنبي صلى الله عليه وسلم صدقات وجمع لانه اكثر توبيخا
من حيث انه يدل على ان النجوى تتكرر استفهام معناه التقرير وهو الناسخ عند
الاكثر كامر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل
بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا ادخال والاولى مخففة
بلا خلاف فاذ اي فحين لم تفعلوا اي ما امرتم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا
الاشفاق وتاب الله اي الملك الاعلى عليكم اي رجع بكم عنها بان نسخها عنكم تخفيفا عليكم
فاقيموا اي بسبب العفو عنكم شكرا على هذا الكرم والحلم الصلاة التي هي طهرة لارواحكم
وصلة لكم بربكم واتوا الزكاة التي هي براءة لابدانكم وتطهير ونماء لاموالكم وصلة لكم باخوانكم
ولا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه فالصلاة نور يهدي الى المقاصد الدنيوية والاخروية
وتعين على نوائب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة ثم عمم بعد
ان خصص اشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى واطيعوا الله
اي الذي له الكمال كله ورسوله الذي عظمته من عظمته في سائر ما يامرانكم به فانه تعالى
ما امركم لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة والله اي الذي
احاط بكل شيء قدرة وعلما خبير بما تعملون اي يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا يخفى عليه
خافية الم تر اي تنظر يا اشرف الخلق الى الذين تولوا اي تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون
اي جعلوا اولياءهم الذين ينزلون بهم امورهم قوما وهم اليهود ابتغوا عندهم العزة

اغترارا

اعتزازا بما يظهر لهم من القوة غضب الله اي الملك الاعلى الذي لا ند له عليهم اي المتولين والمتولى
لهم ما هم اي المنافقون منكم اي المؤمنين ولا منهم اي اليهود بل هم مذبذبون وزاد في الشناعة
عليهم باقبح الاشيا بقوله تعالى ويحلفون اي المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ودل
بارادة الاستعلاء على انهم في غاية الجراة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بان التقدير
مجترئين على الكذب في دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقفون فيه من عظايم الاثام
فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان وهم يعلمون انهم كاذبون متعمدون روي ان عبد الله
ابن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الان
رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل بن نبتل وكان ازرق العينين
اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك
فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجا باصحابه فحلفوا
بالله ما سبوه فنزلت اعد الله اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفو له لهم عذابا
اي امرا قاطعا لكل عذوبة شديدا اي لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بما دل على انه واقع
في اتم مواقعه بقوله تعالى موكدا تقبيحا على من كان يستحسن فعالهم انهم ساء
اي بلغ الغاية مما يسوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالى ما كانوا يعملون
اي يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه قال الزمخشري او هي حكاية
ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم اي الكاذبة التي لا يهون على من في قلبه مثقال
حبة من خردل من ايمان جنة اي وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان
فصدوا اي كان قبول ذلك منهم وتاخير عقابهم سببا لايقاعهم الصد عن سبيل الله
اي شرع الملك الاعلى الذي هو طريق الى رضوانه الذي هو سبب الفوز الاعظم فانهم
كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه
ومن وراهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الخائنة وردت عليهم الارزاق استدراجا
وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من اقوالهم الموكدة بالايمان عزه ذلك
فاتبع سنتهم في اقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر امرهم معرضا عما توعدهم
الله تعالى عليه من جزا خداعهم وامرهم واجرى الامر على اسلوب التهكم باللام التي تكون
في المحبوب فقال تعالى فلهم اي فتسبب عن صدهم انه كان لهم عذاب مهين جزاء بما طلبوا
بذلك الصد اعزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام لن تغني اي بوجه من الوجوه عنهم اموالهم
اي في الدنيا ولا في الاخرة بالاقتدا ولا بغيره ولا اولادهم اي بالنصرة والمدافعة من الله
اي افشا مبتدا من الملك الاعلى شيئا ولو قل جدا فمهما اراد بهم سبحانه كان ونفذ ومضى
لا يدفعه شي تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيمة لنكونن اسعد فيه معكم كما نحن الان
ولننصرنا بانفسنا واولادنا واموالنا اولئك اي البعدا من كل خير اصحاب النار هم اي خاصة
فيها اي خاصة خالدون اي دايمون لازمون الى غير نهاية وقوله تعالى يوم منصوب
باذكر اي واذكر يوم يبعثهم الله اي الذي له جميع صفات الكمال جميعا فلا يترك احدا منهم
ولا من غيرهم الا اعاده الى ما كان قبل موته فيحلفون اي فيتسبب عن ظهور القدرة
التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به انهم يحلفون له اي الله في الاخرة انهم مسلمون

فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك كما يحلفون لكم في الدنيا انهم مثلكم وقال ابن
عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لاوليايه في الدنيا وهو قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين ويحسبون اي في القيمة بايمانهم الكاذبة انهم على شيء اي يحصل لهم به نفع
بانكارهم وحلفهم وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق
باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة انهم
يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينادي مناد يوم القيمة اين خصما الله تعالى فيقوم القدرية مسودة وجوههم
مزرقة اعينهم مايل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك
شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله
اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها الا انهم هم الكاذبون اي المحكوم بكذبهم
في حسابهم هم والله القدرية ثلاثا استحوذ اي استولى عليهم الشيطان مع انه
طريد ومحترق ووصل منهم الى ما يريده وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا
رعيته وصار هو محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حذت
الابل وحزتها اذا استوليت عليها والحوذ السوق السريع ومنه الاحوذي الخفيف
في الشيء لحذقه واستحوذ مما جا على الاصل وهو ثبوت الواو دون قلبها الفا فانساهم
اي فتسبب عن استحواذه عليهم ان انساهم ذكر الله اي الذي له الاسما الحسنى والصفات العلى
اولئك اي البعدا البغضا حزب الشيطان اي اتباعه وجنوده وطايفته واصحابه
الا ان حزب الشيطان اي الطريد المحترق هم الخاسرون اي العريقون في هذا الوصف لانهم
لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق ان الذين يحادون الله اي يفعلون مع الملك الاعظم
الذي لا كفو له فعل من ينازع اخر في الارض فيغلب على طايفة فيحصل لها حدا لا يتعداه
خصمه ورسوله اي الذي عظمته من عظمته اولئك اي البعدا البغضا في الاذلين اي في جملة
من هو اذل خلق الله تعالى واختلف في معنى قوله تعالى كتب الله اي الملك الذي لا كفو له
فقال اكثر المفسرين اي قضى الله عز وجل لاغلبن وقال قتادة كتب في اللوح المحفوظ
وقال الفرا كتب بمعنى قال وقوله تعالى انا توكيد ورسلي اي من بعث منهم بالحرب
ومن بعث منهم بالحجة فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى
وقال مقاتل قال المومنون لئن فتح الله تعالى لنا مكة والطايف وخيبر وما حولهن
رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله ابن ابي ابن سلول اتظنون
الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان
تظنوا فيهم ذلك فنزل لاغلبن انا ورسلي ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرا نافع وابن عامر بفتح
اليا والباقون بالسكون ان الله اي الذي له الامر كله قوي اي على نصر اوليايه عزيز
اي لا يغلب عليه في مراده ثم نهى تعالى عن موالاة اعدا الله تعالى بقوله سبحانه لا تجد
اي بعد هذا الشان قوما اي لا تسالهم قوة على ما يريدون محاولته يومنون اي يجددون

الايمان

الايمان ويديمونه بالله اي الذي له كمال الصفات واليوم الآخر اي الذي هو موضع الجزاء لكل عامل
بكل ما عمل الذي هو محط الحكمة يوادون اي يحصل منهم ود لا ظاهرا ولا باطنا من حاد الله اي
عادى بالمناصبة في الحدود الملك الاعلى ورسوله فان من حاده فقد حاد الذي ارسله بل لا
تحدهم الا يحادونهم لا انهم يوادونهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله تعالى ولو كانوا آباءهم
اي الذين اوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم في المعروف وذلك كما فعل ابو عبيدة بن
الجراح حيث قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد او ابناءهم اي الذين جبلوا على
محبتهم ورحمتهم كما فعل ابو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعني
يا رسول الله اكر في الوعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك
يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم اي الذين هم اعضادهم
كما فعل مصعب بن عمير يوم احد وخرق سعد ابن ابي وقاص الصفوف يومئذ على اخيه
عقبة ابن ابي وقاص غير مرة ليقتله فراغ عنه روغان الثعلب فنهاه النبي صلى الله
عليه وسلم عنه وقال اتريد ان تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصاري اخاه
من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودي راس النضير او عشيرتهم اي الذين هم انصارهم
واحدادهم كما فعل عمر خاله العاصي وهشام ابن المغيرة يوم بدر وعلي وحمزة وعبيدة
ابن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة
وعن الثوري ان السلف كانوا يرون ان الآية نزلت فيمن يصحب السلطان انتهى
ومدار ذلك على ان الانسان يقطع رجاه من غير الله تعالى وان لم يكن كذلك لم يكن مخلصا
في ايمانه تنبيه قدم الآباء اولا لانهم تجب طاعتهم على ابنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق
بالقلوب وهم حياتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر

اخاك اخاك ان من لا اخا له • كساع الى الهيجا بغير سلاح •
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه • وهل ينهض الطائر بغير جناح •

ثم ربع بالعشيرة لانها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة
ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس نزلت هذه
الآية في ابي عبيدة ابن الجراح لما قتل اباه وفي عمر بن الخطاب لما قتل اخاه العاص بن
هشام يوم بدر وروي انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه
وسلم فصكه صكة سقطت منها اسنانه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال
او فعلت قال نعم قال لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني
قريبا لقتلته فهؤلاء لم يوادوا اقاربهم قال القرطبي استدل مالك بهذه الآية
على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي معنى اهل القدر جميع اهل
الظلم وعن عبد العزيز ابن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه
وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت
الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية اولئك اي العالوا الهمة كتب اي اثبت
قاله الربيع بن انس وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا
وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون وقيل كتب في قلوبهم الايمان بما وفقهم فيه وشرح
لهم صدورهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان

قال البيضاوي وهو دليل على ان روح العمل من مفهوم الايمان فان جزء الشيء يكون
ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم اي وفقهم وسددهم وشرفهم بروح اي نور
يشرف بعد ابتهم ولهم ما اودع في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل
منه اي من الله تعالى احياهم به فلذا اضافه اليه تعالى وقيل اي بروح القدس في بعض
الاوقات فانهم لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا الاعمال الصالحة فكانوا الدنيا كالسرج فلا حد سبيلا
ادخل في الاخلاص من تولاه اولياء الله تعالى ومعاداة اعدائه بل هو عين الاخلاص
ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقيدته نزع الله تعالى نور التوحيد
من قلبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه
في نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا
لان به يحيى امرهم وقال الربيع ابن انس بالغنائم واحجه وقال ابن جريج بنور وبرهان
وهدى وقيل برحمة وقيل ايدهم بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات اي بساتين
تستتر داخلها من كثرة الشجر وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجدهم يتوجون على العنب وقالوا يا محمد واعنة على الدهر واعنة
وبالية على انثر باكية قال نعم قالوا اذن نابى يعجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب
واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم اي لا تخرجوا من الحصن
فان قاتلكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم وان خرجتم لنخرجن معكم فتربصوا على الازقة
وحصنوها بهم احموا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين
رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى يلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون
منك فان صدقك فوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه
وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود
لبعض كيف تخلصون اليه وبعثة ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن
ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن سبعون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك
في ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك فان امنوا بك امنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر
واراد وا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من بني
النضير الى اختها وهو حليف مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر
برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
بثلاث فحذرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب على اصرهم
احدى وعشرين ليلة فعذف الله تعالى في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين
فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما سالهم
به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك وصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل
من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يحملوا ديارهم وعقارهم وكانوا اهل الحضر
قال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم وليس الله صلى
الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وراسقاء من طعام

ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل بيتين من آل بني
الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله
تعالى هو اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب الذي اخرج اي على وجه القهر الذين
كفروا اي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في وطرهم
الاولى من اتباع الحق من اهل الكتاب اي الذي انزله الله تعالى على رسوله موسى
صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفي التعبير بكفروا اشعار بانهم الذين ازالوا بالتبديل
او الاخفاء ما قدروا عليه مما بقي من التورية من ديارهم اي مساكنهم بالمدينة عقوبة
لهم لان الوطن عديل الروح لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية
العسر قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة
عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر هو حشر الى الشام واخره ان جلاهم عمر
في خلافته الى خيبر وقال مرة الهمداني كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع
جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من الشام في ايام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة
اضرب حشران في الدنيا وحشران في الآخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله
تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام
قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام فليقرأ هذه الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا اول الحشر قال ابن عباس
هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة
قال قتادة ثاني نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم
حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى
بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلاء بني النضير
والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة وحالفه بقية
المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي ما ظننتم اي ايها المؤمنون
ان يخرجوا اي يوقعوا الخروج من شيء اورثتموه منهم لما كان لكم من الضعف وهم من القوة
لكثرتهم وشدة باسهم وقرب بني قريظة منهم واهل خيبر ايضا غير بعيدين عنهم وكلهم اهل
ملتهم والمنافقون من انصارهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك وظنوا انهم وقوله تعالى مانعتهم
حصونهم فيه وجهان احدهما ان يكون حصونهم مبتدأ ومانعتهم خبر مقدم والجملة
خبر انهم الثاني ان يكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمروا
قائمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان في نحو قائم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدأ
مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق اولى وقال الزمخشري فان قلت
اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه
قلت بتقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما
لان والجملة واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
لا يبالي معها باحد يتعرض اليهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى وهذا الذي
ذكره انما يتاتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح ودل على ضعف عقولهم

بان عبر عن جنده باسمه الاعظم بقوله تعالى امر الله اي الملك الذي لا عز الا له فاتاهم الله اي جاءهم
الملك الاعظم الذي لا يحتملون بعبه بما صوّر لهم من خفران انفسهم على حسبما وبخ ذلك المنافقين
وعابر عبهم وفزاعهم والكفاي بالامالة محضة ودرش بالطاح وبين اللفظين والبافون بتحتها
وقذف اي انزل انزال الاكانه قذف بحجارة فنبت في قلوبهم الرعب اي الخوف الذي سكنها
بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك وملأ قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرئ في قلوبهم الرعب
وعليهم الجلاء والاخوانهم الذين حمزة والكاف اي على الوصل بضم الهاء والميم وابو عمر وبكسرهما والباقون
بكسر الهاء وضم الميم وحمزة بالغين بالغين المعجمة من غلمر والكفاي والباقون بالسكون ثم بين تعالى حالهم
عند ذلك الرعب وفسر قذف الرعب بقوله تعالى يخربون بيوتهم اي ينقلوا ما استحسنوه من
منازلهم وغيره وقرأ ابو عمر وبفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء
وبمعنى لان خرب عداه ابو عمر وبالتضعيف وهم بالهمزة وعن ابي عمر وانه فرق بينهما فقال
خرّب بالتشديد يهدم ويفسد واخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو
قول العراقال المبرد ولا اعلم لهذا وجها وزعم سيبويه انهما معاقبان في بعض الكلام
فيجري كل واحد مجرى الآخر نحو فرحته واخرجته وقرأ ورش وابو عمر وحفص بيوتهم
بضم الباء الوحدة والباقون بكسرها بايديهم وايدي المؤمنين قال الزهري وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم
فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها
وقال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل
ليبنوا اما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان اليهود لما قتل من قتل منهم وسبى من سبى
عليهم الازقة وكان المسلمون سائر الحوائط فقبل ما معنى تخريبهم بايدي المؤمنين
اجيب بانهم لما عرضوهم لذلك كانوا السبب فيه فكانهم امروهم به ويكفوهم اياه وقال ابو عمر
ابن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها ولما كان في عاقبة الغارة
الفعل الانسان بنفسه كما يفعل فيه عدوه نسب عن ذلك بقوله تعالى فاعتبروا اي احملوا
انفسكم بالامعان في التامل في عظم قدرة الله تعالى والاعتبار ما حوذ من العبور والمجاوزة
من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد ويسمى علم التعبير
لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني
عن لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينقل عقله من حال ذلك
الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيري الاعتبار
هو النظر في حقائق الاشياء وجهاتها ولا انها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها
ثم بين ان الاعتبار لا يحصل الا للكامل بقوله تعالى يا اولي الابصار بالنظر بابصار هذه
وبصائرهم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعد الله على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا يعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد
هؤلاء على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى صغار ومذلة
ولولا ان كتب الله اي قدر وقضى حتما الملك الذي له الامر كله عليهم الجلاء اي الخروج
من ديارهم والخلو ان عن الارض واما معظمهم فاجلاهم بخت نصر من بلاد الشام الى العراق
واما هؤلاء فحماهم الله تعالى بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ذلك الجلاء وجعله

عابد

على يده صلى الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة
تنبيه قال الماوردي الجلا اخص من الخروج لانه لا يقال الا لجماعة والاخراج يكون
للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلا ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج
فانه لا يستلزم ذلك لعذبهم اي بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل بقريظة من اليهود
ولهم اي على كل حال اجلوا او تركوا في الآخرة التي هي دار البقا عذاب النار وهو العذاب
الاكبر ذلك اي الامر العظيم الذي فعله بهم من الجلا ومقدماته في الدنيا وبفعله بهم في الآخرة
بانهم شاقوا الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه
بان صاروا في شق الاعدا المحاربين بعد ما كانوا في شق الموادعين وشاقوا رسوله
اي الذي اجلاه من اجلاله ومن يشاق الله اي يوقع في الباطن مشاقة الملك الاعلى الذي لا كفو له
في الماضي والحال والاستقبال فان الله اي المحيط بجميع العظمة شديد العقاب
وذلك كما فعل ببني قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم واظهروا المشاقة في غزوة
الاحزاب وكما فعل باهل خيبر وقوله تعالى ما شرطية في موضع نصب بقوله تعالى
قطعتم وقوله تعالى من لينة بيان له واختلف في معنى قوله تعالى من لينة فاكثر المفسرين
على انها هي النخلة مطلقا كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كان قتودي فوقها عش طائر ... على لينة سوقا تهفو جنوبها

وقال الزهري هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا بريئة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة
وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة
اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقال سفيان
هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه وتقيب
فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة الكريمة اي القريبة من الارض
وقيل هي الفسيلة اي بالفا وهي صغار النخل لانها الين من النخلة وقيل هي الاشجار
كلها للينها بالحياة وقال الاصمعي هي الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الازهري
ومالك وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ
لان تكسير ما يفرق بتا التانيث شاذ كرطبة ورطب وارطاب والضمير في قوله تعالى
او تركتموها عائد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة او مقطوعة قال تعالى
قائمة على اصولها فباذن الله اي فقطعها بتمكين الملك الاعظم روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم
واحراقها فجزع اعدا الله تعالى عن ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح
فمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد
في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا
في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم
بقطعه فانزل الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه
من الاثم وان ذلك كان باذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نخل بني النضير وقطع واللام في قوله تعالى وليخزي الفاسقين متعلقة بمحذوف
اي واذن في قطعها ليخزي اليهود في اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد او ليسر المؤمنين

بيان عند

ويعرهم ويخرى ما ان قيل لم خصت اللينة بالقطع اجيب بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم الحجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليتركوا عرط اليهود اشد واحفوا بهذه
الاية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتخريبها وتغريقها وان يرمى بالمناجيق
وكذا اشجارهم وعرايشهم مسموحا بها فقطعوا منها ما كان موصفا للقتال وروى ان رجلين
كانا يقطعان احدى النخوة والاخر الوانا فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد
استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جواز حضور النبى صلى الله عليه وسلم لانهما اجتهدا
فعلا ذلك واحتج به كل من يقول كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبرى فان كان
الاجتهاد يبعد فى مسئلة مع وجود النبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربى
وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم ولا اجتهاد مع حضور صلى الله
عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم
الادلة للكفار ودخولا للاذن فى الكل بما يقضى عليهم بالبوار وذلك فقر لقال والبخرى
الفاسقين وما افاء الله اى رده الملك الذى له الامر كله رد استهلاك بعد ان كان فى غاية
العسر والصعوبة على رسوله فصيره فى يده بعد ان كان خرجه عنها بوضع ايدى الكفرة
عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالغى الذى هو عود الظل الى الناحية التى كان ابتدا
منها منهم اى رد ابتدا من الفاسقين فمن تعالى ان هذا اى فى عينه وقد دخل فى الفى اموال
من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارثه عنه حاجز وكذا الجزية وعشر
تجارتهم وما جلوا اى تفرقوا عنه ولو لغير خوف كقضاء ذمتهم واما الغنيمة فهى ما حصل
لنا من الحربيين بما هو لهم بايجاف خيل وركاب حصل بسرقة او التقاط وكذا ما انهزموا عنه
عند التقاء الصفين ولو قبل شهر السلاح او اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم يحل
الغانم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا ما لا جمعوه فتاتى نار من السماء
تاخذه ثم احلت للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت فى صدر الاسلام له خاصة كانه
كالمقاتلين كلهم مضرة وشجاعة بل اعظم ثم نسخ ذلك واستقر على ما مر فى سورة
الانفال وقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ الاية واما الفى فهو مذكور هنا بقوله
تعالى ما افاء اى اشرعنه يا مسلمين على رسوله ومن فى قوله تعالى من خيل من زيدة اى
خيلا والركاب جمع راكبة الناقة وغلب ذلك على الابل من بين الكوم باعتبار احدها راحلة ولا واحد لها من لفظها
وقال الازهرى العرب لا تطلق لفظ الراكب الا على البعير ويسمون راكب الفرس
فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم لها حربا ولا مشقة فانها كانت قريبة
على مبلغين قالوا الفرا فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبى صلى الله عليه
وسلم ركب حمارا وقيل حمارا يعطوها بلتيف وافتتحها صلحا قال الرازى اجمع الصحابة
طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفى بينهم كما قسم الغنيمة بينهم وذكر الله تعالى
الفرق بين الامرين وان الغنيمة بنى الى الفتح انقسم فى مخمسها واما الفى فلم يوجف
عليه بخيل ولا ركاب بحكم الامر فيه مفوضا الى النبى صلى الله عليه وسلم يضعه حيث شاء

وذكر الله

زمن

ولكن الله اي الذي له العز كله فلا كقوله يسلط رسله اي له هذه السنة في كل زمن على من يشاء
يجعل ما اتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب اعدايه والله اي الملك الذي له الكمال كله
على كل شيء يصح ان يتعلق المشبه به وهو كل ممكن من التسليط وغيره قدير اي بالغ
القدرة الى اقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه
في الاية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من ان لكل منهم خمس الخمس وله
صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء ثم بين تعالى مصرف الفيء بقوله تعالى ما افاء الله
اي الذي اختص بالعزة والحكمة والقدرة على رسوله من اهل القرى اي قرية بني النضير
وغيرها من وادي القرى والصفرا وينبع وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى
عربية فيخمس ذلك خمسة اخماس وان لم يكن في الاية تخميس فانه مذكور في اية الغنيمة
فحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له اربعة اخماسه وخمس خمسه
ولكل من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله تعالى فلله اي الملك الاعلى الذي
له الامر كله بيده ذكر للتبرك فان كل امر لا يبدا فيه به فهو اجذم وللرسول اي الذي
عظمته من عظمته تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم واما بعده صلى الله عليه وسلم
فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالح المسلمين كسد ثغور وقضاة وعلما بعلوم تتعلق
بمصالح المسلمين كتفسير وقراة والمراد بالقضاة غير قضاة العسكر اما قضاته وهم الذين
يحكمون لاهل الفيء في مغزاهم فيرزقون من الاخماس الاربعة لا من خمس الخمس يقدم
وجوبا الاهم فالاهم للجهاد واما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم فاولها
المذكورة في قوله تعالى ولذي القربى اي منه وهم مومنوا بني هاشم وبني المطلب
لاقتصاره صلى الله عليه وسلم في القسم عليهم مع سوال غيرهم من بني عميهم نوفل وعبد
شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم اما بنوا هاشم وبنوا المطلب فشيء واحد وشبك بين
اصابعه فيعطون ولو اغنيا لانه صلى الله عليه وسلم اعطى العباس وكان غنيا ويفضل
الذكر على الانثى كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى تستحق بقرابة الاب
كالارث سوا الكبير والصغير والعبرة بالانتساب الى الابا فلا يعطى اولاد البنات من بني
هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان ام كل منهما كانت
هاشمية وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين
بين والباقون بالفتح خالفهم ابو عمرو في واليتامى ثانيها المذكور في قوله تعالى واليتامى
اي الفقرا منا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه مال او نحوه اخذ من الكفار فاختص
بناكسهم المصالح واليتيم صغير ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه ابو داود وحسنه
النووي وان ضعفه غيره لا اب له وان كان له ام وجد واليتيم في البهايم من فقد امه
وفي الطير من فقد اباه وامه ومن فقد امه فقط من الادميين يقال له منقطع ثالثها
المذكور في قوله تعالى والمساكين الصادقين بالفقرا وهم اهل الحاجة منا وتقدم تعريفهما
في سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور في قوله تعالى وابن السبيل اي الطريق الفقير منا
ذكورا كانوا او اناثا ولو اجتمع في واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة اعطي باليتم
فقط لانه وصف لازم والمسكنة زايلة وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة

ويعم الامام ولو بنائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوبا بالعدم الاية فلا يخص الحاضر
بل يضع حصول الغنى والامن في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا
بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين
منهم واما الاخماس الاربعة فهي للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام لهم للعمل
الاولى به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من الغنى بل من الزكاة عكس المرتزقة ويشارك
المرتزقة في ذلك فضلاتهم كما مر وابنائهم ومؤنهم وعيالهم وجب على الامام ان يعطي كلا
من المرتزقة نقد حاجة تموينه من نفسه وغيرها كزوجة ليتفرغ للجهاد ويراعي في الحاجة
الزمان والمكان والرخص والغلاء وعادة الشخص مروءة وضدها ويزاد ان زاد حاجته
بزيادة ولد او حدوث زوجة فالكثر ومن لا عبد له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال
معه او لخدمته ان كان ممن يخدم ويعطى مؤنته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطى من الخيل
ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن
واربع ثم ما يدفعه اليه لزوجته وولده الملك فيه لها حاصل من الغنى وقيل بملكه
هو ويصير اليها من حصته فان مات اعطى الامام اصوله وزوجاته وبناته الى ان يستغنوا
وتنبيه الى ان يستغنوا ويبتدأ الامام ديوانا وهو الدفتر الذي يثبت فيه اسماء
المرتزقة واول من وضع عمر وان يتصل كل جمع عريفا وان يقدم في اسم واعطاء قريشا
لشرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وظهر قدموا قريشا وان يقدم منهم بني هاشم وبني المطلب
فبني عبد شمس فبني عبد العزى فسائر بطون العرب الاقرب فالاقرب الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسائر العرب فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح للغزو ومن مرض فيصح
وان لم يرج برؤه ويمحى اسم من لم يرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام
صرف بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار في مرجح او بيعه وقسم غلته
او ثمنه كقسم المنقول اربعة اخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح وله ايضا قسمته كالمنقول
لكن خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل الى قسمته والحاصل شحانه هذا الحكم في الغنى الحالف
لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاعنياء بين عملكة المظهرة لعظمته بقوله تعالى
كي لا يكون اي الغنى الذي يسره تعالى بقوته من قذف الرعب في قلوب اعدائه
ومن حفه ان يعطاه الفقراء دولة اي متداولا بين الاغنياء منكم اي يتداوله الاغنياء
ويدورون بينهم كما كان في الجاهلية فانهم كانوا يقولون نحن عز فمنه نقول الحسن اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا نريد من تعلق نهم اخذه وانتشاتهم به وتراهشهم خلاف
عنه يكون بالتاء لتأنيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فاما الرفع فعلى ان كان تامة
واما التأنيث والتذكير فواضحان لانه تأنيث مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة
واسمها ضمير عايد على الغنى والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة
عايد على ما اعنينا والعطف عليها وكون لا هنا مفطوعة في الرسم وما اتاكم الرسول اي
ستي احضره اليكم الكامل في الرسالة من الغنيمة او مال الغنى او عين فخذوه اي فاقبلوه
لانه حلال لكم وتمسكوا به فانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه اي من جميع الاشياء فانتهوا
لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما امره به ربه عز وجل تنبيه هذه الاية
تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت في الغنايم

فجيء او امره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي
ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثياب وقال انزع عنك هذا فقال الرجل انقرأ
على بهذه الاية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال عبيد الله ابن محمد ابن هارون الغريابي سمعت الشافعي يقول
سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن
عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليماني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر حدثنا سفين
ابن عيينة عن سعيد بن كرام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب
انه امر بقتل الزنبور وهو الجواب في رواية الحسن انه يقتل الزنبور في الاحرام وفيه
انه يقتدى فيهما وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء وان الله تعالى امر بقبول
ما يقوله صلى الله عليه وسلم فجوز قتله من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن امهات
الاولاد هل هن احرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وعن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت
بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول
فقال لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث فايت الوشم هو غرز العضو من الانسان
بالابرة ثم يحشى بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي
التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفرج ما بين ثنيتها بصاغة
وقيل تتفلج في مشيها في كل شيء منهي عنه وقراحسن والكساي بالامالة محضة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمز ممدودة بلا خلاف لانها بمعنى الاعطاء
واتقوا الله اي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب
الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالى ان الله اي الذي له الجلال والاكرام
على الاطلاق شديد العقاب اي العذاب الواقع بعد الذنب قال النقاش ومن زعم
انسيا ما في هذه السورة نسخ بشيء مما بسورة الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت
في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى للفقراء اي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه
من الجوع ويتخذ الحفن في الشتاء لتقيه البرد ما لهم دثار غيرها بدل من لذي القربى
وما عطف عليه قاله الزمخشري والذي منع الابدال من الله وللرسول والعطف عليهما
وان كان الحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اخرج رسوله صلى الله عليه
وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله ولانه تعالى يترضع برسوله صلى الله عليه
وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره انه خبر لمبتدا محذوف اي هم للفقراء وقيل تقديره

ولكن يكون للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء واقتصر على هذا التقدير الجلال المحلي وانما جعله
الزمخشري بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يسقطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء
ولذا قال البيضاوي ومن اعطاء اغنياء ذوي القربى اي كالشافعي خصص الابدال بما بعده او الفيء
بفيء بني النضير انتهى او انهم كانوا عند نزول الاية كذلك ثم خصص بالوصف بقوله تعالى
المهاجرين وقيد ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم لان الهجرة قد تطلق على من هجر
اهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى واموالهم اشارة الى ان المال لما كان لستره
الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدنيا من النقائص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك
وانه لا يكون قادحا في الاخلاص فقال تعالى يبتغون اي اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه
الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شيء بقوله تعالى فضلا من الله اي الملك الاعظم
الذي لا كفو له لانه المختص بجميع صفات الكمال فيغنيهم بفضله عمن سواه ورضوانا بان يوفقهم
لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته
وقرا شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وينصرون اي على سبيل التجديد والاستمرار الله اي دين
الملك الاعظم ورسوله الذي عظمته من عظمته بانفسهم واموالهم ليضمحل حزب الشيطان اولئك
اي العالوا الرتبة في الاخلاص الفاضلة هم الصادقون اي العريقون في هذا الوصف لان مهاجرتهم
لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم
حيث نابذوا من عاداهما ووالوا اولياءهما وان بعدت ديارهم وشط مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين
بذكر الانصار الذين كانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شاء فعل
ومهما اراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى والذين تبوؤا الدار اي جعلوا بغاية جهدهم الدار
اي الكاملة في الدور التي جعلها الله تعالى في الازل للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها محل اقامتهم
وفي قوله تعالى والايمان اوجه احدها انه ضمن تبوؤا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان
لا يتبوأ ثانيها انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا او الفوا او واحبوا او واخلصوا كقول
القائل علفتها تبنا وماء باردا ومقلدا سيفا ورمحا ثالثها ان يتجوز في الايمان فيجعل
لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين
الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها ان يكون الاصل دار الهجرة
ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان
ووضع المضاف اليه مقامه خامسها ان يكون سمي المدينة به لانها دار الهجرة ومكان ظهور
الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا قيام ال مقام المضاف اليه وهو محل خلاف
وهو ان ال هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله تعالى فان
الجنة هي المأوى اي مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي المأوى له
واما كونها عوضا عن المضاف اليه فقال ابن عادل لا يعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب
على المفعول معه اي مع الايمان تنبيه قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها
من الافاق فقال ان المدينة تبوأت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت
بالسيف ثم قرأ والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اي وهم الانصار يحبون على سبيل التجديد
والتكرار من هاجر وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله تعالى اليهم لان القصد الى الانسان
يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه ولا يجدون في صدورهم

اي التي

التي هي مساكن قلوبهم فضلا عن ان تنطق السنتهم حاجة قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا
مما اوتوا اي اتى النبي المهاجرين من اموال بني النضير وغيرهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد
والغيظ والحزازة لان هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل
الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للحاين بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين وقيل
ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون
طلب محتاج اليه مما اتى المهاجرين من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خدمته
حاجتك واعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري والضميران على ما تقدم وقال ابو
البقا مس الحاجة اي انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوؤا الدار
والايمان قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم
اموال بني النضير دعى الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم
واشراكهم في الاموال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افا الله
علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم
وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعيد بن معاذ بل نقسمه
بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خراشة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ولما اخبر تعالى عن تخليهم عن الرذائل اتبعه الاخبار
بتحليهم بالفضائل فقال عز من قائل ويؤثرون على انفسهم فيبذلون لغيرهم كائنا
من كان ما في ايديهم فان الايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ
الاخروية وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة وذكر النفس
دليل على انهم في غاية النزاهة من الرذائل فان النفس اذا طهرت كان القلب اطهر واكد
ذلك بقوله تعالى ولو كان اي كونا هو في غاية المكنة بهم اي خاصة لا بالمؤثر خصاصة
اي فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روي عن ابي هريرة ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده
الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف
ما عندك فنزلت هذه الاية وعنه ايضا قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا
يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني
قال فعليلهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية
فقام رجل من الانصار يقال له ابا طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي انها
نزلت في ثابت ابن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته
وذكر القشيري قال اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة
فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعث بها واحد
الى اخر حتى تناولها سبعة ابيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الاية وذكر القرطبي
عن انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه بها الى جار له

فتداولها سبعمائة نفس في سبعة ابيات ثم عادت الى الاول فنزلت فان قيل قد صح في الخبر النهي
عن التصدق بجميع ما يملكه المرء اجيب بان محل النهي فيمن لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف
ان يتعرض للمسئلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم بالايثار
على انفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فكان الايثار
فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة اولى من الايثار كما روي
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه
بها وقال يأتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس والايثار
بالنفس فوق الايثار بالمال بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال والجود بالنفس
اقصى غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك
نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة الدوري
انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا برجل يقول آه آه فاشار الي ابن عمي
ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول
آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام
فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي ما غلبني
احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم الينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم
فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد
عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال
ثلاث تفريق المجموع وترك تطلب المفقود والايثار عند الفوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا يقربه من قوى الزي وبينهم ارغفة معدودة
لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام
بحاله لم يأكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه ومن يوق شح نفسه اي يجعل بينه وبين
اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده حريصا
على ما عند غيره حسدا قال ابن عمر الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبي
الشح والبخل سواء وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل
مع حرص والمراد بالشح في الآية الشح بالوكرة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة
وما شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع
على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاموي عن ابي
مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت
الله يقول ومن يوق شح نفسه وانا رجل صحيح لا اكاد اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود
ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء
البخل ففرق بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان
يشح بما في ايدي الناس يجب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم

ليس

ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة
وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث لترك الفرايض وانتهاك المحارم
وقال ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ
شيا نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع شيا امر الله تعالى باعطايه فقد وقاه الله تعالى شح
نفسه وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ترى من الشح من ادى الزكاة واقرى
الضيف واعطى في النايبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ
بك من شح نفسي واشرافها وسواتها وقال ابن الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف
يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي
لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبي ويدل
على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا
الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان
جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه
اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع
والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا فاولئك اي العالوا المنزلة هم المفلحون اي الكاملون
في الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الاعراض والافلاك صفة السادة
والاكابر من اسرته الاخطار ولما اثنى سبحانه على المهاجرين والانصار بما هم اهله
اتبعهم بذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى والذين جاؤا اي من اي
طايفة كانوا من بعدهم اي بعد المهاجرين والانصار وهم من امن بعد انقطاع الهجرة
بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة
يقولون على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعايهم ربنا اي ايها
المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا اغفر لنا اي اوقع ستر النقايص اعيانها
واثارها ولاخواننا اي في الدين فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم الذين سبقونا
بالايمان قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوا الدار والايمان
والذين جاوا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا
فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل باعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر
لهم كما امر الله تعالى وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان
وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده انه جاه رجل فقال يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان
فقال له يا اخي انت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقرا المهاجرين الاية قال لا قال فانت
من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله ان لم تكن
من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم
الاية وروي ان نفرا من اهل العراق جاوا الى محمد بن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر
وعثمان فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوا
الدار والايمان قالوا لا قال فقد تبرانم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين

الشح

قال الله والذين جاوا من بعدهم قوموا فعل الله تعالى بكم وفعل تنبيه هذه الاية دليل
على وجوب محبة الصحابة لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفي ما قاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار
لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفي قال مالك من كان يبغض
احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في في المسلمين
ثم قرا والذين جاوا من بعدهم والاية عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم الى يوم الدين يروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا
الله بكم لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم
على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من اتى بعدهم لا كما قال السدي والكلبي
انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاوا من بعدهم من قصد الى النبي
صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة وانما بدوا في الدعا بانفسهم
لقوله صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى
على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل اليمن ملتكم فقالوا اصحاب موسى
وسيلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسيلت الرافضة من شر
اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم
وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه
الامة حتى يلعن اخرها اولها اعاذنا الله تعالى ومحبينا من الاهوا المضلة
ولا تجعل في قلوبنا غلا اي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام
للذين امنوا اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى درجاته وقيدوا بالقلب لان رذايل
النفس قل ان تنفك وانها ان كانت مع صحة القلب اوشك ان لا تؤثر ربنا اي ايها
المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولون
بقولهم انك رؤف اي راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من افعال الخير
رحيم مكرم غاية الاكرام لمن اردت ولو لم يكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا
لانا بين ان يكون لنا وصلة فنكون من اهل الرافة او لا فنكون من اهل الرحمة فقد افادت
هذه الاية ان من كان في قلبه غل على احد من الصحابة فليس ممن عنى الله تعالى بهذه الاية
وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بمدها ولما ذكر تعالى
حال المومنين اتبعه بذكر حال المنافقين فقال تعالى الم تر اي تعلم علما هو في قوة الجزم
كالمشاهدة يا اعلى الخلق وبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه الشريف العالي
باداة الانتها فقال تعالى الى الذين نافقوا اي اظهروا غير ما اضمروا وبالغوا في اخفا
عقايدهم وهم عبد الله ابن ابي واصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب
تعرفه قبله وهو استعارة من نفق الضب في نافقائه وقاصعائه وصور حالهم بقوله
تعالى يقولون لاخوانهم الذين كفروا اي غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق من اهل
الكتاب وهم اليهود من بني قريظة والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها
احدها الاخوة في الكفر لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب

اشتراكهم

اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن أخرجتم أي من مخرج ما
من المدينة لنخرجن معكم أي منها ولا نطيع فيكم أي في خذلانكم أحدا أي يسألنا خذلانكم من الرسول
والمؤمنين وأكدوا بقولهم أبدا أي ما دمنا نعيش وبمثل هذا العزم استحق الكافر
الخلود الأبدي في العذاب وإن قوتلتم أي من أي مقاتل كان فقاتلتم ولم تخرجوا لننصرنكم
أي لنعينكم ولنقاتلن معكم ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي عليه سامعه بالصدق من حيث
كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله تعالى والله
أي يقولون ذلك والحال أن المحيط بكل شيء قدرة وعلما يشهد إنهم أي المنافقين لكاذبون
أي فيما قالوا ووعدوا وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بغيب بعيد عن العمارة
ثم أخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى لئن أخرجوا أي بنو النضير من أي مخرج كان
لا يخرجون أي المنافقون معهم أي حمية لهم لأسباب يعلمها الله تعالى ولئن قوتلوا
أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم لا ينصرونهم
أي المنافقون ولقد صدق الله تعالى وكذبوا في الأمرين معا القتال والإخراج لا نصروهم
ولا خرجوا معهم فكان ذلك من أعلام النبوة وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين
ولئن نصروهم أي المنافقون في وقت من الأوقات ليولن أي المنافقون ومن ينصرونه
وحقرهم بقوله تعالى الأدبار أي ولو قدر وجود نصرهم لولوا الأدبار منهزمين ثم لا ينصرون
أي لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهما نصرة في وقت من الأوقات ولم تزل المنافقون واليهود
في الذل لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة أي خوفا في صدورهم أي اليهود ومن ينصرهم من الله
أي لتأخير عذابه وأصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم
يرهبونكم ويخافون منكم أشد الخوف وأشد من رهبتهم من الله لما مر ذلك أي الأمر الغريب وهو
خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق
على ما له من العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم بأنهم قوم أي على ما لهم من القوة لا يفقهون
أي لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم
ليدركوا به أن الله هو الذي ينبغي أن يخشى لا غيره بل هم كالأنعام لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم
مع المحسوسات والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة
فطنة وجودة قريحة لا يقاتلونكم أي اليهود والمنافقون جميعا أي قتالا يقصدونه مجاهرة
وهم مجتمعون كلهم في وقت من الأوقات ومكان من الأماكن إلا في قرى محصنة أي
ممتنعة بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالأبواب والخنادق ونحوها أو من وراء
جدار أي يحيط بهم سواء كان بقرية أم بغيرها لشدة خوفهم وقد أخرج بهذا ما حصل
من بعضهم عن ضرورة كاليسير ومن كان يتولى من أهل خيبر من الحصن يبارز ونحو ذلك
فإنه لم يكن عن اجتماع أو يكون غدا خاصا ببني النضير في هذه الكرة وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها وإمال الألف أبو عمرو والباقون بضم الجيم
والدال بأسهم أي حربهم بينهم شديد أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا
شديدة وقيل بأسهم بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فإذا خرجوا إليكم
فهم أجبن خلق الله تعالى تحسبهم أي اليهود والمنافقين يا أعلى الخلق ويا أيها الناظر وقرأ
نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها جميعا لما هم فيه من اجتماع الأشباح

BULAC

وقلوبهم شتى اي متفرقة اشد افتراق وموجب هذا الشتات اختلاف الاهوا التي لا جامع لها
من نظام العقل كالبهايم وان اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع البهايم في الهرب من الذيب
قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل تخاذل
ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد موجب
كل ظفر وكل سعادة وقرا شتى والحسنى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح ذلك اي الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق
الذي يحيل الاجتماع بانهم قوم اي مع شدتهم لا يعقلون فلا دين لهم مثلهم في ترك الايمان
كمثل الذين من قبلهم قريبا اي بزمن قريب وهم كما قال ابن عباس بنو قينقاع من اهل
دينهم اليهود اظهروا باسا شديدا عندما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر
غزوة بدر فوعظهم وحذرهم باس الله تعالى فقالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب واصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس ثم مكروا بامراة
من المسلمين فراودوها على كشف وجهها فابت فعقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها
فلما قامت انكشفت سواقها فصاحت فعاد لها شخص من الصحابة فقتل اليهودي الذي
عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله فاذلهم
الله تعالى ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفا ابن ابي ولم يغن عنهم
شيا غير انه سال النبي صلى الله عليه وسلم في ان لا يقتلهم والح عليه حتى كف عن قتلهم
فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير حشر لهم بالالزام بالجلا ذاقوا وبال امرهم
اي عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ولهم عذاب اليم اي مولم في الاخرة ومثلهم ايضا في سماعهم من المنافقين
وتخلفهم عنهم كمثل الشيطان اي البعيد من كل خير لبعده من الله تعالى المحترق بعذابه والشيطان
هذا مثل المنافقين اذ قال للانسان وهو هنا مثل اليهود اكفر اي بالله بما زين له ووسوس اليه
من اتباع الشهوات القايم مقام الامر فلما كفر اي اوجد الانسان الكفر على اي وجه كان ودلت
الفا على اسراعه في متابعة ترهيبه قال اي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين اني بريء
منك اي ليس بيني وبينك علاقة في شي اصلا ظنا منه ان هذه البراة تنفعه شيا مما استوجبه المامور
بقبوله لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفا في نصرتهم
وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كقولك انت عاقل
انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم
ليدعو لها فزين له الشيطان فوطيها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها
على موضعها فجاوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاه الشيطان فوعده ان يسجد له انجاه منهم
فسجد له فتبرا منه وروى عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد
في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات
يوم مردة الشياطين فقال الا احد فيكم من يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب
الانبيا عليهم السلام وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاه في صورة جبريل عليه السلام
ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى اقصى ارض الهند فقال الابيض
لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهابين وحلق وسط راسه واتى صومعة

برصيصا

برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة ولا يفطر
في كل عشرة الا مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة فلما اصبح صومعته فعلما
انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئته
الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم على نفسه حين لم يجبه فقال له انك حين نادبتني لشيء
مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتي اني احب ان اكون معك فاتأدب بأدبك
واقتبس من علمك وتجتمع على العبادة معك واد عو لك فقال برصيصا اني لفي
شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب
لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا
اربعين يوما فلما التفت بعدها اراه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض
قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تأذن لي ان ارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فوصف له
فاقام معه لا يتعشى فلا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا لذكر وربما
مدّ الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض
فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني لصاحب غير ظنين انك اشد اجتهادا مما رأيت
وكان بلغنا عنك انك غير الذي نراه فتعرض لكل عابر برصيصا امر يشد بذكره فسأله
للذي يراه من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمها تدعو
بهن فهن خير ما انت فيه يشفي الله بها المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا
اني اكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا واني اخاف ان اعلمه الناس يشغلوني عن عبادة
ربي عز وجل فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال والله قد
اهلكت الرجل فما انطلق الابيض فتمثل له رجل فجسده ثم جاء في صورة رجل طبيب
فقال لاهله ان ببصاحبكم جنونا فاعالجه قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جسده
ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه فانطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم
الذي اذا دعي به اجاب فانطلقوا به اليه فسألوه فدعى بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان
فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق
الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة وكان ابوهم
هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم
جاء اليهم في صورة رجل طبيب فقال انا اعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض عليها
امر لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تشفونه به تدعو بها عنده اذا جاءها الشيطان
دعي لها حتى تعلموا انها قد عوفيت فتردوها صحيحة قالوا فمن هو قال برصيصا
قالوا كيف لنا ان نجيء به الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال ابنوا صومعته الى جانب
صومعته ولتكن لها طاقة صومعته شرف عليه فان قتلها فلا اقتضوها في صومعتها
ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب امانتك فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فابى
فبنوا صومعة على ما امر به الابيض ووضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا
هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته
عاين الجارية وما بها عليه من الحال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان
فخنقها فدعى برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا

على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاء الشيطان
وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الامر فلم يزل به
حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك
يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها
ولم اقر عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
ليلا فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فاقبل
على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها
ويوصونه بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها
فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا مكروبين جاء الشيطان الى اكبرهم
في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا
فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتابع عليه ثلاث
ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر
به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخوته والله لقد رأيت كذا وكذا
فقال الاوسط انا والله رأيت مثله وقال الاكبر انا والله رأيت مثله فانطلقوا الى
برصيصا وقالوا له ما فعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني
فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها
مدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم
على ما رأوا في النوم فذهبوا اليه ودفعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤوس والمساحي
فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم اتوا به الى الملك فاقر على نفسه
وذلك ان الشيطان اتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك امران قتل ومكابرة
اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض
وقال يا برصيصا تعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب
لك ويحك اما اتقيت الله تعالى في الامانة خنت اهلها وانك زعمت انك
اعبد بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال الم يكفك ما صنعت حتى
اقريت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه
الحالة فلم يفلح احد من نظائرك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة
حتى انجيك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال
تسجد لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت
عاقبة امرك الى ان كفرت بربك اني بريء منك **اني اخاف الله** اي الملك الذي لا امر
لاحد معه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها **رب العالمين**
اي الذي اوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا فلا
يغني احد من خلقه عن احد شيئا الا باذنه **فكان** اي فتسبب عن قوله ذلك انه كان
عاقبتهما اي الغار والمغرور **انهما في النار** حال كونهما **خالدين فيها** لانهما ظلما ظلما لا فلاح
معه **وذلك** اي العذاب الاكبر **جزاء الظالمين** اي كل من وضع العبادة في غير محلها وهم
الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود

بني

بني النضير والمنافقين من اهل المدينة فدس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا
الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم فاجابوهم وان اخرجكم خرجنا
معكم فاجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين فناصبوه
الحرب رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرأوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله
فكان عاقبة الفريقين في النار قال ابن عباس وكانت الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل
لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق في الاحبار ورموهم بالبهتان
حتى كان امر جريج الراهب فلما براه الله تعالى مما رموه به انبسطت الرهبان وظهروا للناس
وكانت قصة جريج ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها
فاتت امه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال رب امي وصلاتي واقبل على صلاته فانصرفت
فلما كان من الغد اتته فقال مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومنات
فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي تتمثل بحسنها فقالت ان شئتم
لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته وامكنته
من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا
صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم فقالوا زنيت بهذه البغي فحملت منك فقال اين
الصبي فجاوا به وقال دعوني حتى اصلي فلما انصرف من صلاته اتى الصبي وطعن في بطنه
وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا
نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم امه
وهي ترضعه وقصته مشهورة يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان باللسان اتقوا الله
اي اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع اوامره واجتناب مناهيه واحذروا
عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من امر او نهي ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لاجل
الغد من بعد الموت اي في يوم القيمة لان هذه الدنيا كلها كيوم واحد يجيء فيه ناس وتذهب
اخرون والموت والاخرة لا بد من كل منهما وكل ما لا بد فهو في غاية القرب والعرب تكني عن
المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقول القايل وان غدا للناظرين
قريب وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل ات قريب والموت
لا محالة ات ومعنى ما قدمت من خير او شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت
للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد
لا تعرف كميته لعظمته وقوله تعالى واتقوا الله اي الجامع لجميع صفات الكمال تاكيد وقيل
كرر لتغاير متعلق التقويتين فمتعلق الاولى اداء الفرايض لاقترانه بالعمل والثانية
ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشري ان الله اي الذي له
الاسماء الحسنى والصفات العليا خبير اي عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة
بما تعملون فلا تعملون عملا الا كان بمراى منه وسمع فاستحيوا منه ولا تكونوا ايها المحتاجون
الى التحذير وهم الذين امنوا كالذين نسوا الله اي اعرضوا عن اوامر ونواهي الملك
الاعظم وتركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ما له من صفات الجلال والاكرام

BULAC

فانساهم اى فتسببت عن ذلك انا انسيناهم بما لهم من الاحاطة بالظواهر والبواطن انفسهم اى فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيئا كان مشوبا بالمفسدات من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة الاية لانهم لم يدعوا بابا من ابواب الفسق فانه راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس بما عرف الناس بنفسه اعرفهم بربه اولئك اى البعداء من كل خير هم الفاسقون اى العريقون فى المروق من دائرة الدين لا يستوى اى بوجه من الوجوه اصحاب النار التى هى محل الشقاء الاعظم واصحاب الجنة اى التى هى دار النعيم الاكبر لا فى الدنيا ولا فى الاخرة واستدل بعضهم بهذه الاية ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون اى الناجون من كل مكروه المدركون لكل محبوب واصحاب النار هم الهالكون فى الدارين كما وقع فى هذه الغزوة لغريمى الرسول وبنى النضير ومن والاهم من المنافقين مثنانى ما يثنى بها لو انزلنا اى بعظمتنا التى ابانها هذا الانزال هذا القرآن اى الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم على جبل اى جبل كان وجعل فيه تمييز كالانسان لرايته يا اشرف الخلق ولو لم تر ايانا هل غيرك لمثل تلك الرؤية خاشعا اى متذللا باكيا متصدعا اى متشققا غاية التشقق على صلابته من خشية الله اى من الخوف العظيم ممن له الكمال كله وفى هذا حث عظيم على تدبر مواعظ القرآن وتذبر اياته ولعلكم اى الى لا يضاهيها شئ يتفكرون اى فتنصرفون عما انتم عليه من الغفلة والمعنى انا لو انزلنا هذا القرآن على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المجبورون بالعجز لا ترتدعون فى وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على فساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى لو انزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لاشفقت وتصدعت من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وتشاهد له ملكة ولكن امتنانا عليك اى بتثبيتك لئلا تشفق عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة وانه تعالى لو انزل هذا القرآن على الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة والين بنية وهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على ربه ان عصى لانه موعود بالثواب ومرجو بالعقاب ولما وصف تعالى القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال عز من قائل هو اى الذى وجوده من ذاته فلا عدم لوجوده من الوجوه فلا شئ يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود ايمانا لا ابدا فهو حاضر فى كل ضمير غايب بعظمته عن كل حس ولذلك تصدع الجبل من خشيته ولما عرفنا عنه باخص اسمائه اخبرنا عنه لطفا بنا وتنزلا الى افهامنا باشهر الذى هو متسم الاسماء كلها بقوله تعالى الله اى المعبود الذى لا تنبغى العبادة والالهية الا له الذى لا اله الا هو فانه لا يجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شئ والاله اصله الاله دخل عليه ال للتعريف فحذفت همزته تخفيفا لكثرة الاستعمال احد متسلما الالوهية منفردا بها فرد صمد وهو اساس كل فريضة عالم الغيب اى الذى غاب عن جميع خلقه والشهادة اى الذى وجد فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه هو الرحمن وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون ولم يزل قال ابن عباس عالم بالاخرة والدنيا وقيل استوى فى علمه السر والعلانية والوجود والعدوم وقوله تعالى

هو الرحمن الرحيم معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه
وقيل ان رحمن اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالى باحسانه
في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين هو الله اي الذي لا يقدر
على تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها لمن شاء الا هو الذي لا اله اي معبود بحق الا هو الملك فلا
مليك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شيء فانه مهما اراد كان فهو متصرف بالامر والنهي في جميع
خلقه فهو تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي البليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس
او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يخلج اليه ضمير ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة
سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام اي الذي سلم من النقائص وكل افة تلحق
الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف
كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة المؤمن قال ابن عباس هو الذي امن الناس
من ظلمه وامن من امن به عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق
للمؤمنين بما وعدهم من الثواب ربما اوعد الكافرين من العذاب وقال مجاهد المؤمن الذي
وحد نفسه بقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو قال ابن عباس اذا كان يوم القيمة اخرج
اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها
من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون
وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد
على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه بقدرته وقيل هو
الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار اي الذي جبر خلقه
على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي صفة الناس
صفة ذم وكذا قوله تعالى المتكبر اي الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا في حقه
تعالى صفة مدح لانه له جميع صفات الكمال العلو والعظمة وفي صفة الناس صفة ذم
لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه التكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو
بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا في فعله سبحان الله اي تنزه الملك الاعلى
الذي اختص بجميع صفات الكمال تنزها لا يدرك العقول منه اكثر من انه علا عن اوصاف
الخلق فلا يدانيه شيء من نقص تعالى عما يشركون اي من هذه المخلوقات من الاصنام
وغيرها مما في الارض او في السماء من صغير وكبير وحقير وجليل هو اي الذي لا شيء يستحق ان يطلق
عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا شيء غيره الا وهو ممكن ولما ابتدا بهذا الغيب
المحض الذي هو اظهر الاشياء اخبر عنه باشهر الاشياء الذي لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى
الله اي الذي ليس له سمي فلا كفو له فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه الخالق اي المقدر
للاشياء على مقتضى حكمته البارئ اي المخترع المنشئ للاشياء من العدم الى الوجود بريئا
من التفاوت فقوله تعالى المصور اي الذي يخلق صور الاشياء على ما يريد بكسر الواو
ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط عن قراءة امير المؤمنين علي ابن
ابي طالب والحسن فانهما قرآ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة شاذة وانما تعرضت لها
لابين وجهها وهو ان تخرج هذه القراءة على ان يكون المصور منصوبا بالبارئ والمصور
هو الانسان اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف على المصور بل يجب

الوصل ليظهر النصب في الرا والا فقد ينوهم منه في الوقف ما لا يجوز له اي خاصة الاسما
الحسنى التسعة والتسعون الواردة فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسرا والحسنى
مونث الاحسن سبح اي يكبر والتسبيه الاعظم من كل شايبة تنقص على سبيل التجديد
والاستمرار له اي على وجه الاختصاص ما في السموات اي السموات ومن فيهن والارض ومن فيهن
وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يقلب كل شي ولا يقلبه شي الحكيم اي الجامع للكمالات
باسرها فالعزة اشارة الى الكمال في القدرة والعلم عن معقل بن يسار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من السميع العليم
من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف
ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي
كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن انس هريرة انه قال سالت خليلي
ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة
الحشر واكثر قراتها ما عدت عليه فعاد علي وقال جابر بن يزيد ان اسم الله الاعظم
هو الله لكان هذه الاية دليلا رواه البيضاوي ونقلا للزمخشري عن انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر حديث موضوع سورة
الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية وثلثمايئة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمايئة
وعشرة احرف بسم الله اي الذي من تولاه اغناه عم الرحمن الذي شمل برحمة البيان من حاطه
بالعقل ورعاه الرحيم الذي خص بالتوفيق من احبه وارتضاه ونزل في حاطب ابن ابي
بلتعة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اعدوي واعدائكم اولياء وانتم تدعون اني واني وبعد فلما
ما تقدم على الفتح في الرس اولياء وذلك انه روى ان حاطبا لما اراد عمر وبن صيفي بن هاشم بعثها
سارة مولاة لبني المطلب عبد مناف الى مكة وهو يتجهز للفتح فقال لها اسلمة حيث
قالت لا قال امهاجرة حيث قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة
وقد ذهبت الموالي فتغنى فقتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم
لتعطوني وتكسوني فقال صلى الله عليه وسلم فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية
نايحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحثت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب
وبنو المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب ابن ابي بلتعة
واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب ابن ابي بلتعة
الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وقد توجه اليكم
بجيش كالليل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله تعالى بكم وانجز له موعده
فكلم فالله وليه وناظر صخر حين سالك ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمرو وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل
مكة تخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها في الموضع وحلفت
ما معها كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله
ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب
والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من عقاص شعرها

سورة الممتحنة مدنية

فخلوا

فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك عليه فقال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا جبنتهم منذ
فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي غريرا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها
وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت
على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي
لا يغني عنهم شيا فصدقه وقيل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق
هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فقال الله ورسوله اعلم واضافة العدو الى الله تعالى
تغليظا في خروجهم وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وتقدم نظيره
في قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اوليا من دون المؤمنين وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى
استانف بيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك
بالتعبير بقوله تعالى تلقون اي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه القا الشي
الثقيل من علو اليهم على بعدهم منكم حسا ومعنا بالمودة اي بسببها وقال القرطبي تلقون
اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لهم اما صاحبكم بعد صدق وهذا نص في سلامة فواده وخلوص اعتقاده وقرا
حمزة بضم الها والباقون بكسرها وقوله تعالى وقد كفروا اي غطوا جميع ما لكم من الادلة
بما اي بسبب ما جاكم من الحق اي الامر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شي اعظم
ثباتا منه فيه اوجه احدها الاستيناف ثانيها الحال من فاعل تتخذوا ثالثها الحال
من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون الرسول
يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا
من فاعل كفروا وقوله تعالى واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى ان تؤمنوا اي توقعوا حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار
بالله اي الذي اختص بجميع صفات الكمال ربكم اي المحسن اليكم تعليل ليخرجون والمعنى
يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن
عباس وكان حاطب ممن خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم اي
عن اوطانكم وقوله تعالى بجهاد اخي سبيلي اي بسبب ارادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها
لعبادي ان يسلكوها وابتغاء مرضاتي اي ولاجل تطلبكم باعظم الرغبة لرضاي علة للخروج
وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرا الكسائي بالامالة محضة
والباقون بالفتح تسرون اي توجدون جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد اليهم
بالمودة اي بسببها بدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه ان يكون

بدل اشتمال لان الفا المودة تكون سرا وجهرا وانا اي والحال اني اعلم اي من كل احد حتى من نفس
الفاعل وفرا نافع بعد الالف بعد النون بما اخفيتم وما اعلنتم اخفيتموه في صدوركم وما اظفرتكم
بالاستتار اي فاي فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون اني عالم به وان كنتم
تتوهمون اني لا اعلمه ومن الفاضحة ومن يفعلها اي يوجد اسرار خبر النبي اليهم وبيانهم منكم
في وقت من الاوقات فقد ضل اي عمي ومال واخطا سواء السبيل اي قويم الطريق
الواسع الموصل الى القصد فقويه وعدله قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل
على فضله وكرامته وتصحيحه لرسوله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة
لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود
ما بقي العتاب وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الصاد والباقون بالادغام
ان يثقفوكم ان يظفروا بكم في وقت من الاوقات وكان من الاماكن يكونوا لكم اعداء
اي ولا ينفعكم القا المودة اليهم ويبسطوا اليكم اي بالضرب ان استطاعوا والسنتهم اي
بالشتم معمومة الى فعل ايديهم فعل من ضاق قصدن بما خرج من المخرجين المقصص
حتى اوجب له غاية السعد بالشوء اي بكل ما من شانه ان يسوء وودوا اي يتوافق
هذا الفعل منهم لان مصيبة الدين اعظم فهم اليها اسرع لان داب العدو القصد الى
اعظم ضرر يراه لعدوه وعد بانفهم التمني الذي يكون في المحالات ليكون المعنى انهم احبوا ذلك
غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى لانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه ابشع العداوة وان كان
الثاني انكا ولما كانت عداوتهم معروفة واتما عظاها محبة القرابات لان الحب للشيء يعمي
ويصم فخاطبهم في هذه الامور بما علمهم به من حالهم فقال تعالى مستانفا اعلاما بانها خطاء
على كل حال لن تنفعكم اي بوجه من الوجوه ارحامكم اي قرابتكم الحاملة لكم على رحمتكم والعطف
عليهم ولا اولادكم اي الذين هم اخص رحمكم ان والتم احمد الله لاجلهم وينبغي ان لا تعدوا
قربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله تعالى يوم القيمة اي القيام الاعظم
يفصل اي يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الاسباب وقرا عاصم
بفتح الياء واسكان الفاء وكسر الصاد مخففة وقرا ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وفتح
الصاد مشددة وحمزة والكسائي كذلك الا انهما يكسران الصاد والباقون بضم الياء
وسكون الفاء بينكم اي ايها الناس فمن دخل من شما من اهل طاعة الجنة ومن شا من اهل
معصية النار فلا ينفع احد احدا منكم بشيء من الاشياء ان كان قد اذن الله تعالى لقلب
سليم فيادن الله تعالى له اكرامه بذلك والله اي الذي له الاحاطة التامة بما تعملون
اي من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه في الدنيا والاخرة والمراد نهي المؤمنين عن موالاة
الكفار وذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار بقوله تعالى قد كانت
اي وجدت وجودا تاما وكان ناشئا عن الفعل اشتان الراسخ في الارض بها ولو كانت على ادنى
الوجوه لكم ايها المومنون اسوة اي موضع اقتداء وتاسية وطريقة مرضية وقرا اسوة
في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها حسنة اي يرغب فيه في ابراهيم اي في قول الانبيا
عليهم السلام والذين معه اي ممن كان قبله من الانبيا قاله القشيري وممن امن به في زمانه
كابن اخيه لوط عليه السلام وقيل قدوة اهل الجهاد والهجرة وقيل المراد ممن معه اصحابه
من المومنين وقرا هشام بفتح الهاء والف بعد ها والباقون بكسرها وبا بعدها اي فاقتدوا

ايد سلم ح

به لأبي استغفاره لأبيه قال القرطبي الآية نص في الأمر بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام في فعله وذلك يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله ورسوله وقيل إنه شرع لنا إذا ورد من شرعنا ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو الأصح عندنا إذا أي حين قالوا وقد كان منهم من به قال منهم واضعف لقوتهم أي الكفرة وقد كانوا أكثر من عددهم وأقوى وكان لهم فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم دين بالقيام والمحاولات إنا برآء أي متبرؤن تبرئة عظيمة منكم وإن كنتم أقرب الناس إلينا وأناصر لنا منهم عبرتم وما تعبدون أي يوجدون من عبادة في وقت من الأوقات من دون الله أي الملك الأعظم كفرنا بكم أي أنكرنا دينكم ؟ وبدا أظهر ظهورا عظيما بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة بالقلوب البغض العظيم ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا أبدا أي على المدوام وقرانا فيه وائتكثير والجمع وهي الوصل بإبدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون بتحقيقهما وبهم على مراتبهم في المد واذا وقف حزة وهشام ابدالا الهمزة الجامع المد والتوسط والقصر وفيها ايضا التسهيل مع المد والقصر والروم فيهما والاشمام في كل سوى شام من صلاح الحال وكان قد يكون لحظ نفس يسوا عاية تفوتهم حتى تؤمنوا بالله الملك الذي له الكمال كله وحده أي تكونوا بالله بين كل ما يعبد من دونه وقوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه فيه أوجه أحدها أنه استثناء منصل من قوله تعالى في إبراهيم ولكن لابد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره قد كانت لكم أسوة حسنة في مقالة إبراهيم إلا قوله لأبيه لأستغفرن لك وليست قدوة لنا أنه مستثنى من الأسوة حسنة واقتضى ذلك الجدلي الحالي وجاز ذلك لأن القول يضاف من جملة الأسوة لأن الأسوة الاقتداء بالشخص في قوله وفعله فكأنه قيل لكم فيه أسوة في جميع أحواله من قوله وفعله إلا قوله لأبيه وهذا واضح لأنه غير مخرج إلى التقدير المضاف وغير مخرج للاستثناء من الانفصال الذي هو أصله إلى الانقطاع ولكن لم يذكر الزمخشري غيره تابعا فيه ابن عطية ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت أي لم يقع صلة الكذا الرابع أنه استثناء منقطع أي لكن قول إبراهيم وهذا يأس من قائله على أن القول لم يقدر حتى تحقق فقوله لأستوفر منوح وهو ممنوع قال القرطبي معناه قولوا تعالى لا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك أي فلا تتأسوا به في الاستغفار فتستغفروا للمشركين فإن كان عن موعدة منه له قالها قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء أن إبراهيم هجر قومه وما عبدوا إلا الاستغفار لأبيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء لأنا حين أمرنا بالاقتداء بإبراهيم استثنى بعض أفعاله وهذا إنما جرى لأنه ظن أنه أسلم فلما بان أنه لم يسلم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن أنه أسلم وإنه لمجد وأمثل هذا الظن فلم تواخذهم وقوله وما أملك لك من الله من عذابه أو ثوابه الملك الأعلى المحيط بنعوت الجلال من هنا من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه وقوله ربنا أيها المحسن إلينا عليك توكلنا لا على غيرك توكلنا أي فوضنا أمرنا إليك يجوز أن يكون من مقول إبراهيم عليه السلام والذين معه فهو من جملة الأسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثنا

ويجوز ان يكون منقطعا عما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال
لهم قولوا ربنا عليك توكلنا واليك اي وحدك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا
واليك اي وحدك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا اي ايها المربي لنا والمحسن الينا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا اي بان تسلطهم علينا فيفتنوننا بعذاب لا نحتمله او فيظنوا انهم
على حق فيفتتنوا بذلك وقيل تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هولاء
على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم
واغفر لنا اي استر ما وقع منا من الذنوب وامح عينه واثره ربنا اي ايها المحسن
الينا واكدوا اعلاما بشدة رغبتهم في حسن الثنا عليه فقالوا انك انت اي وحدك
لا غيرك العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم اي الذي يضع الاشيا في اوقات
محالها فلا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطي من امله فوق
ما طلب وقوله تعالى لقد كان لكم اي يا امة محمد جواب قسم مقدر فيهم اي ابراهيم ومن معه
من الانبيا والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وكرر للتاكيد وقيل نزل
الثاني بعد الاول عدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه
وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال واليوم الاخر
اي الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل
وفي ذلك بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول
اي يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالى فيوالي الكفار فان الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة هو اي خاصة الغني اي عن كل شي الحميد اي الذي له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف
الكمال فهو حميد في نفسه وصفاته او حميد الى اوليائه واهل طاعته ولما نزلت
الاية الاولى عادى المسلمون اقرباهم من الكفار المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد
المسلمين في ذلك فنزل عسى الله اي انتم جديرون بان تطمعوا في الملك المحيط بكل شي
علما وقدرة ان يجعل اي باسباب لا تعلمونها بينكم وبين الذين عاديتم منهم
اي كفار مكة مودة اي بان يلهمهم للايمان فيصيروا لكم اوليا وقد جعل ذلك عام
الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لان عسى من الله تعالى وعد وهو لا يخلف الميعاد
والله اي الذي له كل الاحاطة قدير اي بالغ القدرة على كل ما يريده فهو يقدر
على تقليب القلوب وتيسير العسير والله اي الذي له جميع صفات الكمال
غفور اي محا لاعيان الذنوب واثارها رحيم يكرم الخاطئين اذا اراد بالتوبة
ثم بالجزا غاية الاكرام فيغفر ما فرط منكم في موالاتهم من قبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم
وقوله تعالى لا ينهاكم الله اي الذي اختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم
اي بالفعل في الدين الاية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم
قال ابن زيد هذا كان في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ
قال قتادة نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت في خزاعة
وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
احدا فرخص الله تعالى في برهم وقال اكثر اهل التاويل انها محكمة واحتجوا
بان اسما بنت ابي بكر قدمت امها وهي مشركة عليها المدينة بهدايا فقالت اسما

لا اقبل

لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسالته فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخل منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك اشارة الى
الاقتصاد في الولاية والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك مومنا
ما عسى ان يغضبك يوما ما وابغض بغضيك هونا ما عسى ان يكون حبيبك
يوما ما وروي عن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته
قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت
فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت
الى اسما بنت ابي بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان اي لا ينهاكم عن ان تبروهم
بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح في قصد الموادة وتقسطوا اليهم
اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به
من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل وحكي ان القاضي اسمعيل
ابن اسحق دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلى عليهم هذه
الاية ان الله اي الذي له الكمال كله يحب اي يثيب المقسطين اي الذين يزيلون الجور
ويوقعون العدل انما ينهاكم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة
عن الذين قاتلوكم اي جاهدوكم متعمدين لقتالكم في الدين اي عليه فليس
شي من ذلك خارجا عنه واخرجوكم من دياركم اي بانفسهم لبغضكم وهم عتاة اهل
مكة وظاهروا اي عاونوا غيرهم على اخراجكم وهم مشركوا مكة وقوله تعالى
ان تولوهم بدل اشتمال من الذين اي تتخذوهم اوليا وقرا البزي بتشديد اليا والباقون
بالتخفيف ولما كان التقدير فمن اطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى
ومن يتولهم اي يكلف نفسه الحمل على غير ما يدعوا اليه الفطرة الاولى من المنابذة واطلق
ولم يقيد بمنكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمومنين وغيرهم فاولئك اي الذين ابعدوا عن العدل
هم الظالمون اي العريقون في ايقاع الاشيا في غير مواضعها ولما امر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان
التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النسا بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اي اقروا بالايمان اذا جاءكم المومنات اي بالسنتهن مهاجرات اي من الكفار بعد الصلح
في الحديبية فامتحنوهن اي بالحلف انهن ما هاجرن الا رغبة في الاسلام لا بغضا
في ازواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحلفهن قيل ان سبب الامتحان انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت
ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن
الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما اعلم اي منكم ومن انفسهن بايمانهن هل هو كاين
ام لا على وجه الرسوخ ام لا فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر
اليكم في ذلك ستر للناس فان علمتموهن مومنات اي العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد

بالامارات الظاهرة بالحلف وغيره فلا ترجعوهن اي بوجه من الوجوه الى الكفار وان كانوا
ازواجا قال ابن عباس لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل
مكة رده اليهم جاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي
صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد ما قبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي ابن الراهب وقفل
مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فان شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب
لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
جاءت النبي صلى الله عليه وسلم مجاهلها يسلونه ان يردها وقيل هربت من زوجها
عمرو بن العاصي ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها
وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال صلى الله عليه وسلم
كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان
مما استرط سهل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان لا ياتيك منا
احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك
وابى سهل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه
سهل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل
الله تعالى في المومنات ما انزل وهذا يوحي الى ان الشرط في رد النساء بذلك وهذا
مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض العلماء كلمة منسوخ بالقران وقالت طائفة
لم يشترط رد هن في العقد لفظا وانما الفق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم
استثنى الله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى في خروجهن عن عموم رد وفرق بينهن وبين
الرجال لان من الرجال من اذا خرج ذوات فروج محرم عليهم النساء اشفق ان يقع بها
واسرع تعلقا منهم واما العصمة منهن على شركهن فمردودة عليهم لا هن اي للمومنات حل
اي موضع حل ثابت لهم اي الكفار باستمتاع ولغيره وقوله تعالى ولا هم اي رجال الكفار
يحلون لهن اي المومنات تاكيد للاول لتلازمهما وقال البيضاوي والتكرير لمطابقة
والمبالغة والاول لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وقيل المراد استمرار
الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا مشركين وهن مومنات والمعنى لم يحل
الله تعالى لهن مومنة لكافر في حال من الاحوال وهذا دليل على ان الدار لو وجب
فرقة المسلمة من زوجها الكافر استحلالا لا هي بها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما
هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عباس الاول لان الله تعالى بين العلة
وهو عدم الحل بالاسلام لاختلاف الدار ولما نهى عن الرد وعلله امر بما قدم من الاقساط
اليهم فقال تعالى وآتوهم اي اعطوا الازواج ما انفقوا اي عليهن من المهور فان المهر
في نظير اصل العشرة ودوامها وقد فوتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران ان الزوجية
والمالية واما الكسوة والنفقة فانها المستحق من الزمان بتسببه امر الله تعالى برد
ما انفقوا الى الازواج وان الخطاب بهذا الامام وهل يجب ذلك او يندب وظاهر الاية
الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعي لان البضع ليس بمال فلا يشمله الامان
كما لا يشمل زوجته والاية محتملة للندب الصادق بعدم الوجوب الموافق للاصل وقال
مقاتل يرد المهر للذي يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شيء وقال قتادة

الحكم

وان نفاها هو ما الوجوب

الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل الذمة فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد
عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال ولا جناح اي حرج وقيل عليكم يا ايها المشرفون
بالخطاب ان تنكحوهن اي تجددوا ازواجكم بهن بعد الاستبراء وان كان ازواجهن من الكفار
لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن لان الاسلام فرق بينهم قال تعالى ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد امر برد مهور الكفار فكان ربما ظن
انه مغن عن تجديد مهر لهن اذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله تعالى اذا آتيتموهن
اي لاجل النكاح اجورهن اي مهورهن وفي شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذان بان ما اعطى
ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي هنا عقد
النكاح فمن كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها فلا يكن
بينهن وبينكم عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة
قال النخعي المراد بالاية هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون
المسلمات والمسلمون يتزوجون الكافرات المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق
عمر بن الخطاب حينئذ امراتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها
معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد
الله ابن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما بمكة فلما ولي عمر قال ابو
سفيان لمعاوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبة في بيتك فاتى معاوية وكانت
عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام
بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فر الى النبي صلى
الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص ابن امية وقال
الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع
اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة
فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو داود عن عكرمة عن ابن
عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو في حديثه بعد ست سنين وقال
الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمرو فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم تخص
حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك
يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه انه عنى به العدة قال الزهري في قصة زينب
هذه كانت قبل ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع
العهود بينهم وبين المشركين تنبيه المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان وممن لا يجوز ابتداء
نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثني او مجوسي ولم
تسلم امراته فرق بينهما وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس وعطاء
وعكرمة وقتادة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة
وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن الحارث اسلم قبل
هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة تعتمد
على كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا
على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته

ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض ان كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشيء وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذا لا عدة عليها وكذا يقول مالك في المراة يرتد زوجها المسلم ينقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة قبله مالك والشافعي واحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الوثني اذا اسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة ابن ابي جهل احق ببضعها الى في عدتها الماذكر مالك في الموطا قال بعض العلماء بان اسلام صفوان وبين اسلام امراته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان تقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينتفخ النكاح بينهما الماروي عن ابن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس وسعيد بن المسيب وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها وانتم قالوا ايها المومنون الذين صبت ازواجهم الى الكفار مرتدات ما انفقتم اي من مهور نسائكم وليسئلوا اي الكفار ما انفقوا اي من مهور ازواجهم اللاتي اسلمن قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد فقال للكفار هاتوا مهورها وتقال للمسلمين اذا جاء احد من الكفرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهورها وكان في كل نصفا وعبدا بين الحالين ذلكم اي الحكم الذي ذكر في هذه الايات بعيد بعلو الرتبة عن كل سفيه حكم الله اي الملك الذي له صفات الكمال تلا لحقه شائبة نقص يحكم اي الله او حكمه على سبيل المبالغة بينكم اي في هذا الوقت وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واما قبل الحديبية فكان الحرب صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق والله اي الذي له الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم لا يخفى عليه شيء حكيم اي فهو تام علمه محكم كل امور عباده الاحكام فلا يستطيع احد نقض شيء منها روي ان المشركين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين ما منعوا فرق قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم اي واحدة فاكثر منهن ما وشيء من مهورهن بالذهاب الى الكفار مرتدات فعاقبتم اي فغزوتم وغنمتم من اموال الكفار فجاءت نوبة غزوكم باذا المهر الى الذين ذهبت ازواجهم عقابا اي فاعطيتموهم من الغنيمة بقدر ما انفقتم عليهن اي ما اعطوا من المهر المهاجرة الذين ذهبت ازواجهم اي منكم من الغنيمة مثل ما انفقوا اي اعطوا انتم عليهم من جهة الكفار وروي الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت حكم الله تعالى

بينهم

منهم فقال جل ثناؤه واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون فدحكم الله
تعالى بيننا بانه ان جاءكم امراة منا ان توجهوا اليها صدقتها وان جاءتنا امراة منكم وجهنا اليكم
بصداقها فكتبوا اما لحكم علا نعلم لكم عندنا شيا فان كان لنا عندكم شي فوجهوا به فانزل
الله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله
اي من المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم الى بعض قال الزهري كان لولا
العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهور في العقبة وقال ابن زيد في قوله تعالى فعاقبتم
وقال ان فاتكم شي من ازواجكم فغنمتم فاعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا اي
من المهور وقال ابن عباس معنى الاية ان الحقت امراة مؤمنة بكفار اهل مكة وليس
بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم فقتلكم فغنمتم ما اعطوا هذا الزوج المسلم مهرها من الغنيمة
قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفي وعنه يعطى من صدقات من الحق بنا نبيه
تحصل مذهب الشافعي في هذه الاية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يرد وا من جاءهم
منا مرتدا صح ولزمهم الوفاء به سواء كان رجلا ام امراة حرا او رقيقا فان امتنعوا
من رده فنا قضون للعهد لخوفنا الغدر منهم الشرط او عقدت على ان لا يردوه جاز ولو كان
المرتد امراة فلا يلزمهم رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في هدنة قريش حيث قال
لسهيل بن عمرو وقد جاءكم منا مسلم لتردنه الينا ورد جاءكم منا فسيحقا سحقا
ومثلهما لو اطلق العقد كانهم بالاولى ويغرمون فيها مهر المرتدة فان قيل لم غرموا مهر
المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من الخلاف اجيب بانهم قد فوتوا عليه
الاستمتاع الواجب علينا وايضا المانع حاصل من جهتها والزوج عمر متمكن منها بخلاف
المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام وقد اغرموا فيما مر فيما لو ارتد ورثم الحربي عاد الرقيق
المرتد الينا نعم اخذنا فيما مر ما انفق من صداقها لانا لا نعقد الهدنة حتى يبذل لنا بدله وبينها
ولولا ذلك لقاتلناهم حتى يردوها اجيب بان هذا ينبني على ان الامام هل يغرم لزوج
المسلمة المهاجرة ما انفق وقد تقدم الكلام على ذلك فايدة روى عمر ان عباس قال الله
تعالى لحق بالمشركين من نسائكم المؤمنين المهاجرات ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان
وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام
سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد ان يهاجر ابت وارتدت وبروع
بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة
وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن
العاص بن وائل وام كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رضي عن الاسلام
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهورنساءهم من الغنيمة ولما كان
النحري في مثل ذلك عسرا فان المهور تتفاوت تارة وتتساوى اخرى قال تعالى

واتقوا اي في الاعطاء والمنع وغير ذلك الله الذي له صفات الكمال وقد امركم
بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون الذي انتم به مؤمنون اي متمكنون في رتبة
الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع الحماية والنصرة للدين امر النبي صلى الله
عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بمبايعتهن بقوله تعالى يا ايها النبي مخاطبا له بالوصف
المقتضي للعلم اذا جاءك المؤمنات جعل اقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة
مصححا لاطلاق الوصف عليهن يبايعنك على ان لا يشركن اي كل واحدة منهن تبايعك
على عدم الاشراك في وقت من الاوقات بالله اي الملك الذي لا كفو له شيئا اي من اشراك
على الاطلاق ولا يسرقن اي ياخذن مال الغير بغير استحقاق في خفية ولا يزنين اي يمكن احدا
من وطيهن بغير عقد صحيح ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد كما كان يفعل في الجاهلية
من وأد البنات اي دفنهن احيا خوف العار والفقر ولا ياتين ببهتان اي بولد
ملفوظ او بشبهة بان يفترينه اي يتعمدن كذبه بان ينسبنه للزوج ووصفه
بصفة الولد الحقيقي بقوله تعالى بين ايديهن اي بالحمل في البطون وقيل بين
يديها السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة
او جسة وبين رجليها الجماع وروي ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان
لامر قبيح وما يامر الا بالارشد ومكارم الاخلاق وارجلهن اي بالوضع من الفروج
لان فرجها الذي تلد منه بين رجليها او لان الولد اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها
لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها ولا يعصينك اي على اي حال من الاحوال في معروف
وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق
الجيب وخمش الوجه فبايعهن اي التزم لهن بما وعدن على ذلك من اعطاء الثواب
في نظير ما الزمن انفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح
واحدة منهن قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط
الا بما امر الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وروي
انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية الا يشركن بالله
شيئا الى اخرها قالت والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها
وقالت امية بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال
فيما استطعتن اطقن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقلت
يا رسول الله صافحنا فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة امراة
وروي انه صلى الله عليه وسلم بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط
عليهن وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار
في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فردون عليه السلام فقال
انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيئا الاية فقلن نعم فمد
يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع
النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه وروي انه صلى الله عليه
وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب

اسفل

اسفل منه وهو يبايع النسا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه على ان لا يشركن
بالله شيا وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النسا خوفا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ
علينا امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح
واني اصبت من ماله قوتنا فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت
من شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها
فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عني ما سلف عفى الله عنك
وروي انها قالت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج
ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فحسب هند ان تقتصر
على ما يعطيها فتضع او تاخذ اكثر من ذلك فيكون سارقة باكنة البيعة المذكورة
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني
من غير استطالة الى اكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة
فقال ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد ولا يسقطن الا جنة فقالت هند ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا يوم بدر وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة ابن ابي سفيان
قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت والله ان البهتان لامر
قبيح وما يامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف
فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي قال اكثر المفسرين
معناه ولا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط ولدا تلحقه بزوجها
وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافترا وهذا عام في الاتيان
بولد والحاقه بالزوج وان يبق النهي عن الزنا تنبيه ذكر تعالى في هذه الاية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان
النهي ولم يذكر اركان الامر وهي ست ايضا الشهادة والصلاة والزكاة والصيام
والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان
التنبيه على اشتراط الدائم اكد وقيل ان هذه المناهي كان في النسا كثير ممن يرتكبها
ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه
وسلم لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على
ترك المعصية في شرب الخمر دون ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا
ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سايرها بما لا شهوة له فيها ولما كان
الانسان محل النقصان لا سيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله تعالى واستغفر
اي اسال لهن الله اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في الغفران ان وقع منهن تقصير
وهو واقع لانه لا يقدر احد ان يقدر الله تعالى حق قدره ان الله اي الذي له صفات
الكمال غفور اي بالغ الستر للذنوب عينا واثرا رحيم اي بالغ الاكرام بعد
الغفران تفضلا منه واحسانا وروي ان ناسا من فقرا المسلمين كانوا يواصلون

اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا
أي تعالجوا أنفسكم أن تتولوا قوما أي ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب أولى
غضب الله أي أوقع الملك الأعلى الغضب عليهم لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا
فهو عام في كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا قد يئسوا أي تحققوا عدم
الرجاء من الآخرة أي من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه الرسول
المنعوت في التورية كما يئس الكفار من أصحاب القبور أي من موتاهم أن يبعثوا
ويرجعوا أحيا وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا
من خير الآخرة إذ تعرض عليهم معاهدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه
من النار فتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء
يوم القيامة حديث موضوع سورة الصف مدنية في قول الأكثرين وذكر النحاس عن
ابن عباس أنها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وتسعمائة
حرف بسم الله الملك الأعظم الذي لا كفو له الرحمن الذي عم بفضله كل أحد الرحيم الذي
خص من شاء من عباده فهيأه لعبادته وأهله سبح لله أي أوقع التنزيه الأعظم
للملك الأعظم ما في السموات من جميع الأشياء من الملائكة وغيرها كالأفلاك والنجوم
وما في الأرض كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أي نزه الله وأتى
بما دون من قال الجلال المحلي تغليبا للأكثر انتهى فإن قيل ما الحكمة في أنه تعالى قال
في بعض السور يسبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها
سبح بلفظ الأمر أجيب بأن الحكمة في ذلك تعليم العبد أن يسبح الله تعالى على الدوام كما أن
الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والأمر يدل
عليه في الحال فإن قيل هلا قيل سبح لله ما في السموات والأرض وما فيهما وهو أكثر
مبالغة أجيب بأن المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالأرض جهة السفل
فيشمل الأرض وما فيها وهو أي وحده العزيز أي الغالب على غيره أي شيء كان ذلك الغير
ولا يمكن أن يغلب عليه غيره الحكيم أي يضع الأشياء في أتقن مواضعها روى الدارمي
في مسنده قال أنبأنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة
عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا
فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات
وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا أي ادعوا الإيمان لم تقولون ما لا
تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها
علينا أبو سلمة فقرأها علينا يحيى فقرأها علينا الأوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها
علينا الدارمي انتهى ولي بقراءتها سند متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد
الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فلما
نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو نعلم أي الأعمال أحب
إلى الله تعالى لسارعنا إليها فنزلت هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فمكثوا زمانا

يقولون

قال

تقولون لو نعلم ما أشتريناها بالاموال ولا الانفس والاهلين فذكرهم الله تعالى على ما يقول
تعالى يؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الآية فانتدبوا
يوم احد فمن فر فانه لينطلق هذه الآية تعيير لهم بترك الايمان الذي وفوا به وقال محمد بن كعب
لما اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد
لئن لقينا قتالا لنفرغن منه وسعينا فيه فهزموا يوم احد فعفرهم الله تعالى بذلك وقال
قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون لئن نحل جهادنا لنبلغن ولنفعلن ولم يفعلوا وقتل
فداذى المسلمين رجل فقال بعضهم فقتله صبرا لننحل قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول
الله قتلته صبرا قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وقال بدر ابن
زيد نزلت في المنافقين وهم باسمائهم مكتوبون عند الله وهم باسمائهم وبايمانهم كانوا يقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا انصرفوا عنهم وقال
القرطبي هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فعليه طاعة الله فيه وفي صحيح مسلم
عن ابي موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن
فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست
قلوب من قبلكم وانا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني
قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم
الا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني قد حفظت منها
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها
يوم القيمة قال العزيزي وهذا كله ثابت يستغنى الدين اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون فثابت في الدين لفظا ومعنى وهذه السورة واما قوله شهادة في اعناقكم
فتسألون عنها يوم القيمة فمعنى ذلك ثابت في الدين فان من التزم شيئا الزمه شرعا
وقال القرطبي تلا ابان بن عثمان ان اقضى على الناس اخاهم ومن الناس اكبر وتنسون
انفسكم وانا ريدان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على قوم
تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت فقلت من هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به
تنبيه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الانكار والتوبيخ
على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي
المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم الام الاضافة داخلة
على ما الاستفهامية كما دخل على غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم
والام وعلام وانما حذفت للالف لان بها والحرف كشئ واحد ووقع استعمالها كثيرا في الام
المستفهم وقال ابو حيان الاصل فيما الوقف عليها زيادة ها السكت والاسكان ومن
اسكن في الوصل فلاجراء المجرى في الوقف كما سمع ثلاثة اربعة بالهاء والقاف حركتا لهمزة
عليها بحذوفة انتهى ووقف الذي لم يها السكت بخلاف عنه كبر عظم وقوله
تعالى مقتا تمييز والمقت اشد البغض ومراد في تشنيعه مزيادة في التنفير منه بقوله

BULAC

تعالى عند الله اي الملك الاعظم الذي يحقر عنده كل متعاظم وقيل ان كبر من امثلة التعجب
وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة ما افعله وافعل به ولفعل
نحو لزم الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد
في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب
تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره
واشكاله وقوله تعالى ان تقولوا اي عظم من تلك الجهة ان تقع في وقت من الاوقات
او حال من الاحوال قولكم ما لا تفعلون فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه
السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد في سبيل الله
وابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد بقوله تعالى ان الله اي الذي
له جميع صفات الكمال يحب اي يفعل فعل المحب مع الذين يقاتلون اي يوقعون
القتال في سبيله اي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه وقوله تعالى صفا
حال اي مصطفين حتى كانهم في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي
في الاصطفاف كالبدن الواحد كانهم من شدة التواصي والمساواة بالصدور
والمناكب والثبات في المركز بنيان وزاد في التاكيد بقوله تعالى مرصوص اي
ملزق بعضه الى بعض ثابت كثبوت البناء وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم
يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة المرصوص وقال
الرازي يجوز ان يكون المعنى على ان يستوي شانهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع
الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال القرطبي استدل بعضهم بهذه
الاية على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون
على هذه الصفة قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر
والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج
من الصف ان قاومناهم الا متحرفا لقتال كمن ينصرف ليكمن في موضع ويهجم او ينصرف
من مضيق ليتبعه العدو الى متسع سهل للقتال او متحيزا الى فئة يستنجد بها
ولو بعيدة قليلة او كثيرة فيجوز انصرافه لقوله تعالى الا متحرفا لقتال ويجوز
المبارزة لكافر لم يطلبها بلا كره وندب لقوي اذن له الامام او نائبه لاقراره
صلى الله عليه وسلم عليها وهي ظهور اثنين من الصفين للقتال من البروز وهو
الظهور فان طلبها كافر سنت للقوي الماذون للامر بها في خبر ابي داود ولان
في تركها حينئذ اضعافا لنا وتقوية لهم والا كرهت ولما ذكر تعالى الجهاد
ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على
اذى قومه مبتدا بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال واذ اي واذكر يا اشرف
الخلق اذ قال موسى لقومه اي بني اسرائيل وقوله يا قوم استعطاف لهم واستنهاض الى رضى
ربهم لم تؤذونني اي تجددون اذاي مع الاستمرار وذلك حين رموه بالادرة
كما مر في سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون انه دس الى امراة تدعى
على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم فاذهب انت وربك

فقاتلا

فقاتلا انا ها هنا قاعدون وقولهم انك قتلت هارون وغير ذلك وقوله
وقد تعلمون جملة حالية اي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت تتجدد
اسبابه بما اتيتكم به من المعجزات والكتاب الحافظ لكم من الزيغ اني رسول الله اي الملك
الاعظم الذي لا كفو له اليكم ورسوله يعظم ويحترم لا انه ينتهك جلالته ويخترم
وانا لا اقول لكم شيئا الا عنه ولا انطق عن الهوى فلما زاغوا اي عدلوا عن الحق
بمخالفة اوامر الله تعالى وبايذائه وقرا حمزة بالامالة والباقون بالفتح ازاغ الله
اي الملك الذي له الامر كله قلوبهم اي امالها عن الهدى على وفق ما قدره في الازل
والله اي الذي له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال لا يهدي اي بالتوفيق
بعد هداية البيان القوم الفاسقين اي العريقين في الفسق الذين لهم قوة المحاولة
فلم يحملهم على الفسق ضعف مما حذروا ان يكونوا مثلهم في العزائم فتساووهم في عقوبات
الجرائم وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب
عن الهدى ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى واذ اي واذكر يا اشرف المرسلين
اذ قال عيسى ووصفه بقوله تعالى ابن مريم ليعلم انه من غير اب وثبتت
نبوته بالمعجزات وارسل الى قوم موسى عليه السلام الذين ارسل اليهم يا بني اسرائيل
فذكرهم بما كان عليه ابوهم من الدين وما اوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل
يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا اب له فيهم وان كانت امه منهم فان النسب
انما هو من جهة الاب واكد لانكار بعضهم فقال اني رسول الله اي الملك الاعظم اليكم
اي لا الى غيركم وقوله مصدقا لما بين يدي اي قبلي من التورية التي تعلمون
ان الله تعالى انزلها على موسى عليه السلام وهي اول الكتب التي نزلت بعد
الصحف وحكم بها النبيون فتصديقي مع تاييدي لها مؤيد لان ما اقمته من الدلائل
حق ومبين انها دليلي فيما لم انسخه منها كما يستدل بما قدامه من الاعلام ويراعيه
ببصره وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي بالامالة محضة وقرا حمزة ونافع بين بين
بخلاف عنه عن قالون والباقون بالفتح ومبشرا في حال تصديقي للتورية برسول
اي الى كل من شملته الربوبية ياتي من بعدي اي يصدق بالتورية فكانه قيل ما اسمه
قال اسمه احمد والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التورية وفي حال
تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه
جميعا ممن تقدم وتاخر فان قيل بما انتصب مصدقا ومبشرا ايما في الرسول من معنى
الارسال ام باليكم اجيب بانه بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان
يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل واذا وقعت
صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى
يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكما علما ابرارا اتقياء كانهم من الفقه
انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن
جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التورية احيد لاني احد امتي عن النار واسمي
في الزبور الماحي محى الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود
في اهل السما والارض بل ذكر بعض العلما انه له القاسم قال البغوي والالف في احمد
للمبالغة في الحمد وله وجهان احدهما لانه مبالغة من الفاعل اي ومعناه
ان الانبيا حمادون الله تعالى وهو اكثر حمدا من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول
اي ومعناه ان الانبيا كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة
واجمع للفضايل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها انتهى وعلى كلا الوجهين منعه
من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف
نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه
علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش وهي مسئلة مشهورة بين النحاة وانشد
حسان يمدحه وصرفه صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد
احمد بدل او بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن
في معنى المبالغة والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم
من الكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه
وتعالى سماه قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته او كان اسمه صادقا
عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة
فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه
وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد
وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة
محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكر فمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فاما وجد وبعث
كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد
الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فدل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم اشرف الانبيا
فانخالهم وخاتما عليهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون
بالسكون وقوله تعالى فلما جاءهم يحتمل ان يعود فيه الضمير لاحمد اي جا للكفار واقتصر
على ذلك الجلال المحلي ويحتمل عوده لعيسى اي جا لبني اسرايل بالبينات اي من المعجزات
العظيمة التي لا يسوغ لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين قالوا اي عند مجيئها
من غير نظر لتامل هذا اي الماتي به من البيان او الاتي بها على المبالغة سحر
فكانوا اول كافر به لان هذا وصف لهم لازم سوا بلغهم ذلك ام لا مبين اي في غاية
البيان في سحريته وقرا حمزة والكسائي بفتح السين والف بعدها وكسر الحا وهذه
القراة مناسبة للتفسير الثاني والباقون بكسر السين وسكون الحا وهذه مناسبة
للتفسير الاول ومن اي لا احد اظلم اي اشد ظلما ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعلى
الكذب اي بنسبة الشريك والولد اليه ووصف اياته بالسحر ووصف انبيايه بالسحرة
وهو اي والحال انه يدعى اي من اي داع كان الى الاسلام الذي هو احسن الاشيا فان
له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على الله تعالى والله اي الذي
له الامر كله فلا امر لاحد معه لا يهدي القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة
المحاولة للامور الصعاب الظالمين اي الذين يخبطون في عقولهم خبط من هو في الظلام

يريدون

يريدون اي يرفعون ارادة ردهم للرسالة بافترائهم ليطفئوا اي لاجل ان يطفئوا نور الله
اي الملك الاعلى الذي لا شيء يكافئه بافواههم اي بما يقولون من كذب لامتثاله غير الافواه لانه
لا اعتقاد له في القلوب تنبيه الاطفاء هو الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها
من الضياء والظهور ويفرق بين الاطفاء والاخماد من حيث ان الاطفاء يستعمل في القليل
فيقال اطفأت السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي هذه اللام اوجه احدها انها
تعليلية كما مر ثانيها انها مزيدة في مفعول الارادة قال الزمخشري اصله يريدون
ان يطفئوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا له
لما فيها من معنى الارادة في قولك جئت لاكرمك كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا
لمعنى الاضافة في لا اباك قال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطاء عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف
يا معشر يهود ابشروا فقد اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها
واختلف في النور فقال ابن عباس هو القران اي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول
وقال السدي الاسلام اي يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم
اي يريدون هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله تعالى ودلائله يريدون ابطالها
بانكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب اي من اراد اطفاء نور الشمس بفيه فوجده
مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال الحق والله اي الذي لا مدافع له لتمام عظمته
متم نوره فلا يضره ستر احد له بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى
ولو كره اي اتمامه له الكافرون اي الراسخون في جهة الكفر المجتهدون في المحاماة
عنه هو اي الذي ثبت انه جامع لصفات الجمال والجلال وحده من غير ان يكون له
شريك او وزير الذي ارسل رسوله اي الحقيق بان يعظمه كل من بلغه امره لان
عظمته من عظمته ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عموم الارسال الى كل من شمله الملك
كما مضى بالهدى اي البيان الشافي بالقران والمعجزة ودين الحق اي والملة الحنيفية
ليظهره اي يعليه مع الشهرة واذلال المنازع على الدين اي جنس الشريعة التي تجعل
ليجازي من يسلكها ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام كله فلا يبقى دين الا كان
دونه والمحق به وذل اهله له ذلا لا يقاس به ذل ولو كره اي اظهاره المشركون
اي المعاندون في كفرهم الراسخون في تلك المعاندة فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون
وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك اجيب بانه تعالى ارسل رسوله
وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون
لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون
فلفظ الكافر اليق به واما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد
واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الدعوة امر بالتوحيد بلا اله الا الله
فلم يقولوها فلهذا قال ولو كره المشركون واختلف في سبب نزول قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان هل ادلكم اي وانا المحيط علما وقدرة فهي
ايجاب في المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون اوقع في النفس على تجارة

تنجيكم من عذاب أليم اي مولم فقال مقاتل نزلت في عثمان ابن مظعون قال يا رسول الله
لو اذنت لي طلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر
نهارا ابدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما
رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصاء امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان
والله لوددت يا نبي الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت وقيل اذلكم
اي ساذلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
الاية وهذا خطاب لجميع المومنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم اي الاعمال
احب الى الله تعالى لعملنا به قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون
بها رضى الله تعالى ونيل جنته والنجاة من النار وقرا ابن عامر بفتح النون وتشديد
الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك التجارة بقوله تعالى
تؤمنون اي تدومون على الايمان بالله الذي له جميع صفات الكمال وعلى هذا فلا ينافي
ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا وقيل المراد من هذه الاية المنافقون وهم الذين
امنوا في الظاهر وقيل اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة
ورسوله الذي تصديقه اية الاذعان للعبودية وتجاهدون بيان الصحة ايمانكم على
سبيل التجديد والاستمرار في سبيل الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لغيره باموالكم
وانفسكم وقدم الاموال لعزتها في ذلك الزمان ولانها قوام الانفس والابدان فمن بذل
ماله كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا
بها في الانفاق ذلكم اي الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد خير لكم اي
من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم
تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم انه خير قبلتم عليه فكان لكم به امر عظيم وان كانت
قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحه فصلوا على انفسكم صلاة الموت وقوله تعالى
يغفر لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر اي امنوا وجاهدوا
والثاني انه مجزوم على جواب الاستفهام كما قاله الفراء والثالث انه مجزوم بشرط مقدر
اي ان تومنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام
فان الراء متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف انتهى
وتقدم في اخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي ورد عليهما ذنوبكم
اي يمحوا عيانها واثارها كلها ويدخلكم اي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات
اي بساتين تجري من تحتها اي تحت اشجارها وغرفها وكل متنزه فيها الانهار
فهي لا تزال غضة زهرا ولم يحتج هذا الاسلوب الى ذكر الخلود لاغناء ما بعده عنه
ودل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى الجموع ومساكن طيبة
روى الحسن قال سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة
فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر
من لولوة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا
من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون

على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا وصيفة فيعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله **وجنات عدن** اي بساتين هي لهم للاقامة بها لا يحتاج الى اصلاحها الى شيء خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها له قال حمنة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هن اي جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة اقربها الى العرش **ذلك** اي الامر العظيم حد **الفوز العظيم** اي الشهادة الدائمة الكثيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب والمذكر تعالى ما انعم به عليهم في الآخرة بشرهم بنعمة في الدنيا بقوله تعالى **وأخرى تحبونها** اي ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة تحبونها تعريضا بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقوله تعالى **نصر من الله** اي الذي احاطت عظمته بكل شيء خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر من الله **وفتح قريب** اي غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى **وبشر المؤمنين** عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على يا ايها الذين امنوا فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا اشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بذلك **كونوا** اي بغاية جهدكم **انصار الله** اي لدينه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمر وانصارا بالتنوين وحرك اللام من الاسم الجليل وترفيقها والباقون بغير تنوين وتحريك اللام **كما** اي كونوا الآن الى ذلك انا بقولي من غير واسطة ولذا تكلم بخطابي مثل ما كان الحواريون انصار الله حين **قال عيسى بن مريم** حين ارسلته الى بني اسرائيل يا سخا الشريعة موسى عليه السلام **للحواريين** اي خلص اصحابه وخاصته منهم **من انصاري الى الله** اي المحيط بكل شيء اي ناصرا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري الى الله اي من ينصر منهم دين الله تعالى **قال الحواريون** معلمين انهم جادون في ذلك جدا لا مزيد عليه لعلمهم ان اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله **نحن** اي باجمعنا وكانوا اثني عشر رجلا وهم اولى من امن بعيسى **انصار الله** اي الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض واهل كل الثغور ثم دعوا من خالفهم من بني اسرائيل وغيرهم تشتت عنه قوله تعالى **فآمنت** اي به **طائفة** اي ناس منهم اهل الاستدارة لما لهم من الكثرة **من بني اسرائيل** قومه **وكفرت طائفة** اي منهم فاصل الطائفة القطعة من الشيء وذلك انه لما رفع تعرف قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله تعالى فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى **فأيدنا** اي قويانا بعد رفع عيسى عليه السلام **الذين امنوا** اي اقروا بالايمان المخلص **على عدوهم** اي الذين عادوهم لاجل ايمانهم **فأصبحوا** اي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل **ظاهرين** اي عالين غالبين قاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام ظاهرة

بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه
مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيه حديث موضوع سورة الجمعة
مدنية وهي احدى عشرة آية وماتان وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا
روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيمة ونحن اول
من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا
فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا
الله له وقال يوم الجمعة لنا ويوم غد لليهود وبعد غد للنصارى لنسبحن الله
اي الذي احاط علمه بكل معلوم فنبه ببيانه الرحمن الذي غمت نعمته ببيانه فهو العظيم
شانه الرحيم الذي خص حزبه بالتوفيق فنبت عندهم حمده واسمه يسبح اي يوقع
التنزيه الاعظم الائق الاكمل لله اي الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما ما في السموات
اي من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم وما في الارض كذلك من الحيوان
وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اي يسبح الله ما في السموات والارض
تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون المراد بالشيء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض
جهة السفل فيشمل الارض وما فيها الملك الذي ثبت له جميع الكمالات فهو منزه عن
من حدد ولو كان قد لا فيصبح ظاهرا القدوس اي المنزه عما لا يليق به وعن خاطر
حدث من الخلق تعلم تحاد ان كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا التردد في سبوحات
قدسه والتدبر لمفاهيم نعوته وجلاله واخفهم بالغرب والعداد في حزب
المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يفعل ما لا ينبغي
او يلبس شيئا من امور على غير احكام العزيز اي الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ الحكيم
اي الذي يوقع كلما اراد في احكم مواقعه واتقنها هو اي وحده الذي بعث
في الاميين اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن والامي من لا يقرا ولا يكتب
رسولا منهم اي من جملتهم مباشلهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب
الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وفد ولدوه فالمراد بالاميين الامي نعلبه
فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا
في كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله تعالى بما لم يكن يعلم من غير تطلب
فكانت اثار البشرية عنه منتفية وانوار الحقائق عليه لائحة وذلك لسلا
يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مثل ذلك لا يحل من بعث فيهم فرب
الى مثلهم والتهم لعلوا مكنهم فيلزم من عدم امكان الشئ عادة دليل على الاعجاز وبعثه
الى العرب لا ينفي بعثه الى غيرهم لا سيما مع ما ورد فيه من صريح الدلائل القطعية
قدم الرسول موضع البعث وابتدا بما فتلون العامة مطلقة تقدم بها الى العامة الخلق
يتلو اي يقرا قراءة تتبع بعضها بعضا على وجه الترتيل والعلو والرفعة عليهم مع كونه اميا
منهم آياته اي بما يتهم بها على سبيل التجدد والمواصلة وهي القران الذي اعجز الجن والانس

ان يأتوا بسورة من مثله ويزكيهم اى يطهرهم من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقايد الزايغة فكانت تزكية لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم وتعظيمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بحسب القابليات والامور التى قضى الله تعالى ان تكون مهيات فكان له اعتق فكان لاتباعه الزم فكان فى كتاب الله وسنة ارسخ ويعلمهم الكتب اى القران المنزل عليه الجامع لكل خير دينى ودنيوى فى الاولى والاخرى والحكمة وهى غاية الكتاب فى فوق فهمه والعمل به وهى العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القران والحكمة السنة وقال الشعبى عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما كان شائعا فى العرب بالشرع لما امروا بالتقييد بالخط وقال مالك ابن انس الحكمة الفقه فى الدين وان اى والحال انهم كانوا اى لبثوا هو كالجملة لهذه من قبل اى قبل ارساله اليهم لفى ضلال اى بعد عن المقصود مبين اى ظاهر فى نفسه مناد لغيره انه ضلال بعنقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم الضعيف على شئ فى عموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى وآخرين منهم فيه وجهان احدهما انه مجرور عطفا على الاميين وبعث فى الغرباء من الامميين اى لهؤلاء ومن اولئك وابنائهم بعدهم لما اى لم يلحقوا بهم اى فى السابقة والفضل والثانى انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب فى يعلمهم اى ويعلم اخرين لما لم يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم تبشيرا للذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا فى عهده وسيجيئون بعده هم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجال من هؤلاء او قال من ابنا فارس حتى يتناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعنى من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقاله ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروى سهل بن سعد الساعدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من اصلاب امتى رجالا وشايد خلون الجنة بغير حساب ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الاول اثبت وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رايتنى استفرغ غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا فقلت يا ابا بكر قال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعنى جبريل عليه السلام رواه ابن ابى شيبة عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو جابر بن ابى طالب وهو اى والحال انه وحده العزيز الذى يقدر على كل ما اراد ولا يعلمه شئ فهو يزكى من يشاء ويعلمه ما اراد من اى طائفة كان ولو كان الجهل اهل تلك الطائفة لان الاشياء كلها بيده الحكيم فهو اذا اراد شيأ موافقا للشرع عده وامر جبلة على اتقن الوجوه واوثقها

فلا يستطاع نقضه ومهما اراده كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه ولما كان
هذا امرا باهرا عظمه بقوله تعالى على وجه الاستمرار من قدرته ذلك الامر العظيم الرتبة
من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب اتباعا لا وزن لهم
عند غيرهم من الطوائف فضل الله اي الذي له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقا
بخلاف الفرض يؤتيه من يشاء قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبي يعني
الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه المال ينفق
في الطاعة لما روى ابو صالح عن ابي هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك
فقالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق وينفقون
ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى
يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة
قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا
من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم
في دينه ونصرته ولما ترك اليهود العمل بالتورية ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب
الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا والزموا حمل الكتاب
الذي اتاه الله تعالى لبني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام بان علمهم اياه سبحانه
وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها
واحكامها عن الاهمال والتضييع ثم لم يحملوها بان حملوا الفاظها ولم يعملوا بما فيها
من الوصية باتباع عيسى عليه السلام اذا جاءهم ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاء فهي ضارة
لهم لشهادتها عليهم قاذفة لهم في النار من غير نفع اصلا كمثل اي مثل مثل الحمار
الذي هو ابلد الحيوان فهو مثل في الغباوة حال كونه يحمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب
العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه في عدم الانتفاع بها لانه يمشي ولا يدري
منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكبر والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله
ومثل ذلك قول الشاعر زوامل للاسفار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما تدري ما البعير اذا غدا باحماله او راح ما في الغرائر
من انشاد الشيخ ابن الخباز بئس مثل القوم اي الذين لهم قوة شديدة على محاولة
ما يريدون الذين كذبوا اي عمدا على علم بآيات الله اي دلالات الملك الاعظم على رسله
ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل
والله اي الذي له جميع صفات الكمال لا يهدي القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب الذين
تعمدوا الزيغ الظالمين اي الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدى الذي هو البيان الذي
لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن
ابناء الله واحباؤه نزل قوله تعالى قل اي يا اشرف الرسل يا ايها الذين هادوا اي تدينوا
باليهودية ان زعمتم اي قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك كذبتموه انكم اولياء لله

والله ذو الفضل العظيم

ابي

اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية عندية من دون اي ادنى
رتبة من رتب الناس فلم تتعد الولاية تلك الرتبة الدنيا الى احد منهم غيركم بل خصكم
بذلك عن كل من فيه اهلية الحركة لا سيما الاميين فتمنوا الموت واخبروا عن انفسكم
بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل الكرامة والالاء ان كنتم اي كونا راسخا صادقين
اي عريقين عند انفسكم في الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب
ومن المقطوع به ان من كان في كدر وكان اولى قد وعده عند الوصول اليه الراحة
التي لا يشوبها ضرر تمنى النقلة الى وليه روي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي نفسي
بيده لا يقولها منكم احد الا غص بريقه فلم يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله
عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم لا يتمنوه
في المستقبل ايضا بقوله تعالى ولا يتمنونه اي في المستقبل ابدا بما قدمت ايديهم
اي بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي التي احاطت بهم فلم يدع لهم حظا في الاخرة
تنبيه قال تعالى هنا ولا يتمنونه وفي البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق
بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس
في الاماني مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه رمزه بغير لفظه ولا يتمنونه قال ابو
حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب
الجماعة وهو انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه
وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى اخر انتهى الولاية للتوسل
الى الجنة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل ان الدنيا ليست خالصة للاولياء
المحقق لهم الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها والله اي الذي له الاحاطة بكل
شيء قدرة وعلما عليم اي بالغ العلم محيط بهم هكذا الاصل ولكنه قال تعالى بالظالمين
تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى انه عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين
فيه منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم قل اي لهؤلاء يا اشرف الرسل ان الموت
الذي تفرون منه اي الكف عن التمني فانه ملاقيكم اي لا تفوتونه لاحق بكم تنبيه
في هذه الفاء وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم
الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق
وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان افررتم منه
فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثاني انها من بدء
محضة لا للتضمن المذكور ولما كان الحبس في البرزخ امرا لا بد منه مهولا نبه عليه وعلى
طوله باداة التراخي فقال تعالى ثم تردون الى عالم الغيب اي السر والشهادة اي
العلانية او كلما غاب عن الخلق وكلما شوهد فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما
مستقصا مستوفا بما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعملون اي بكل جزء منه مما برز
الى الخارج ومما كان في جبلاتكم ولو بقيتم لقتلتموه ليجازيكم يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بالسنتهم بالايمان اذا نودي اي من اي مناد كان من اهل النداء للصلاة
اي صلاة الجمعة من اي يوم الجمعة كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض
والمراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال
وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء
الثالث على الزوار زاد في رواية فثبت الامر على ذلك وعن ابي داود قال كان
يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر
على باب المسجد روي انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس
على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلاة ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة
وعلى ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا آخر فامر بالقاذين
الاول على داره التي تسمى زورا فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن
الاذان الثاني الذي كان على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نزل اقام للصلاة
فلم يعب ذلك عليه عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي قال
الماوردي اما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس
لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثر اهلها وكان عمر امر ان يؤذن في السوق
قبل المسجد ليقوم الناس عن سوقهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان اذانين
في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحد فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث
ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كقوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء
يعني الاذان والاقامة ويفهم بعض الناس انه اذان اصل فجعلوا المؤذنين ثلاثة
قال ابن عادل فكان

واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله عز وجل جمع فيه خلق آدم
عليه السلام روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم
طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه اهبط وفيه مات
وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تعالى يوم المزيد وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها
عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن
ندعوه الى الآخرة يوم المزيد ومنهم من قال لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء
فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل
اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب
ابن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين
قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل
الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه
كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى
ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم انزل

يومئذ

الله

الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك
عن ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت
النداء ترحمت قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبت من حرة بلي بناضية في نقيع يقال
له نقيع الخضمات فقلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول
جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت
من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحا ومن تلك السنة بعد التاريخ فاقام بها الى يوم
الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم
ابن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي
اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره
واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة
والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان
ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله
ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى
به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم
الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عنوان صدق على ما
تتقون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به
الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم
وما كان مما سوى ذلك تود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله
رؤف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل
القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما
وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطته وان تقوى الله
تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله
فقد علمكم في كتابه واوضح لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا
كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا
بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله
يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك
من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم
قد ابطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله
تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم
فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة
تنبيه سمى الله تعالى الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار

يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله
وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فقال اخرج
منكم الى امام قوال وسيأتيكم الخطيب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد
وعنده صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة ولها اركان وشروط مذكورة في الفقه
فان قيل كيف يعتبر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسوله
والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقيائه المؤمنين في الموعظة والتذكير فهو
في حكم ما ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقائهم والثناء عليهم والدعاء لهم
وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فاذا انتصب للخطبة
اذا قال لصاحبه فيه فقد لغا فلا يكون الخطيب الثاني في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة
الاسلام ونكد الايام وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا
لهم وتكريما فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم
قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض
العلماء كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن
العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بثلثة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة
وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو
عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه واضافته
اليها معنى فلا فائدة واختلف في معنى قوله تعالى فاسعوا اي لتكونوا اولياء لله ولا
تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب
والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها
وانتم تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم
فاتموا واختلفوا ايضا في معنى قوله تعالى الى ذكر الله اي الملك الاعظم فقال سعيد
ابن المسيب هو موعظة وقال غيره الخطبة والصلاة المذكرة بالملك الاعظم
الذي من انقطع عن خدمته هلك ولما امر بالمبادرة الى تجارة الاخرة قال
تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا الثمن يفوق عن الجمعة وذروا البيع اي اتركوا البيع
والشرا لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشرا عند الاذان الثاني
وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع
والشرا وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة
يوم تهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصير من كل اوب ووقت
هبوطهم واجتماعهم واختصاص الاسواق بهم اذا انفتح النهار وتعالى الضحى ودنا
وقت الظهيرة وحينئذ تجر التجارة ويتكاثر البيع والشرا فلما كان ذلك الوقت
مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل بادروا تجارة الاخرة واتركوا
تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله ذلكم اي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال
بالدنيا خير لكم لان الامر الذي امركم به له الامر كله وهو يريد تطهيركم

وابدانكم

وابدانكم واموالكم وبيده اسعادكم واشقاؤكم فان قيل اذا كان البيع في هذا الوقت
محرما فهل هو فاسد اجيب بان عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا
لان البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض
المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد
وزاد في الحث على ذلك بقوله تعالى ان كنتم تعلمون اي يتحد ذلكم علم في يوم من الايام
وانتم ترون ذلك خيرا فاذا علمتموه خيرا اقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة الجمعة
فرض عين تجب على كل من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والاقامة
اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم
لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله
تعالى على قلبه قال ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية
اما من به عذر يعذر به في ترك الجماعة مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على اعمى
وجد قائدا وشيخا هرما وزمنا وجدا مركبا لا يشق ركوبه عليهما واختلف اهل
العلم في موضع اقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي
تجب ان يؤتى منها فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون بالصفة المتقدمة
تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عبد الله وعمر ابن عبد العزيز وبه
قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على هذه
الصفة المتقدمة وشرط عمر ابن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال وعند
ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي
وابو يوسف تنعقد بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين
كسائر الصلوات وقال شعبة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على اهل
البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم
يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء
مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية
تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال
سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من اواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان
على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة
اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل البوادي سواء كانت القرية قريبة
ام بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس ان اول جمعة
جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس
بجواثا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين تنبيه
فضل يوم الجمعة مشهور واحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها ومنها ان لله
في كل جمعة ستمائة عتيق من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم
الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم

اي بما هو لكم كالجبلة م

الجمعة تقدرت الملايكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب
يكتبون الاول فالاول على مراتبهم قال الزمخشري وكانت الطرقات في ايام السلف
وقت السحر وبعد الفجر مفتضة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة
احدثت في الاسلام ترك المشي الى الجمعة وعن ابن مسعود انه يكره ان يرى سلانة
ثغر يسقوه فاعتم واخذ ثقاتب نفسه بقول اراك رابع اربعة ومارابع اربعة
بسعيد وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة
غسل الجنابة اي مثل غسلها ثم راح في الساعة الاولى كان كمن قرب بدنة
ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت
الملايكة يستمعون الذكر رواه في النساء في الخامسة كالذي يهدي عصفورا
وفي السادسة بيضة تمن جاء في اول ساعة منها ومن جاء في اخرها مشى كان
في تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول كل من بدنة الاخر وبدنة المتوسط
متوسطة وبهذا في حق غير الامام اما هو فيسن له التاخير الى وقت الخطبة
اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن اكثار الدعا يومها وليلتها اما
يومها فلرجاء ان يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفيفة وارجاها من جلوس
الخطيب الى اخر الصلاة كما في خبر مسلم قال النووي واما خبر يوم الجمعة ثنتا
عشرة ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسال الله شيا الا اعطاه اياه فالتمسوها
اخر ساعة بعد العصر فيحتمل ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما في وقت
ويوما في اخر كما هو المختار في ليلة القدر واما ليلتها فالقياس على يومها
وقد قال الشافعي بلغني ان الدعا يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثروا علي من الصلاة
ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا واكثار
قراءة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من النور
ما بينه وبين العتيق وخبر من قراها في يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين
الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما حث على الصلاة وارشد الى ان وقتها
لا يصلح لطلب شيء غير ما بين لهم وقت المعاش بقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة
اي فرغ منها فانتشروا اي فيها على اي وجه كان فاقصدوا واذهبوا وتفرقوا واحتهدوا في ذلك
في الارض اي جميعها للتجارة والتصرف في جميع الحوائج ان شيتم لاحتياج عليكم ولا
حرج رخصة من الله تعالى لكم وابتغوا اي اطلبوا الرزق من فضل الله اي الذي
بيده كل شيء ولا شيء لغيره وهذا امر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
قال ابن عباس ان شيت فاخرج وان شيت فاقعد وان شيت فصل
الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا فكن لعيادة مريض
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير
وكلموا وابتغوا من فضله هو طلب العلم واذكروا الله اي الذي له كل كمال

كثيرا

كثيرا اي بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم اصلا ولا بالسنتكم حتى عند الدخول الى الخلا وعند اول
الجماع واستثنى من الثاني وقت التلبس بالقذر كوقت قضا الحاجة والجماع لعلكم
تفلحون اي تفوزون بالجنة والنظر الى وجهه الكريم وعن جابر بن عبدة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة فجات عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق
الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فانزل الله تعالى واذا راوا تجارة اي خمولا
هي موضع للتجارة او لهوا اي ما يلهي عن كل نافع انفضوا اي نفروا متفرقين من العجلة
اليها اي التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو وايضا العطف باو فافراد الضمير اولى وقال
الزمخشري تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما
لدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي
من الشام عن مجاعة وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج الناس اليه من بر ودقيق
وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب الطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج الناس
الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد
الا ثمانية رهط وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية
ابن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما راوه
قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا اليه فلما لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا رهط منهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد
بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بن حيان ومقاتل
ابن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن
خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا
اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند احجار
الزيت وكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه
الناس وليتبايعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا
عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولا لرميت عليهم الحجارة من السما
فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة
استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة سيل عبد الله اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك قايما وعن جابر بن عبد الله
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قايما يفصل بينهما بجلوس
وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد
كانوا حليفا لفضلهم ان لا يفصلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال
اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل ابن حيان قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية ابن خليفة قدم بتجارة وكان دحية
اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل
الله تعالى هذه الاية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة فكان

BULAC

لم يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه بيده فكان في الناس من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا انه يعلوه ثلاث ثمرات كل مرة غير تقدم من الشام وكان ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية بتجارته ونظرهم الى العير ثم لهو لا قائد فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على تلك الوجه وكذلك لما انفضل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرة غلظ وكبر ونزل فيه القران وتفجعا باسم اللهو ما نزل وقوله تعالى وتركوك اي تخطب حتى بقيت في اثنا عشر رجلا قال جابر انا احدهم قائما جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم تنبيه في قوله تعالى قائما تنبيه على شرط هيئة القيام في الخطبتين وهو من الشروط المقدرة على القيام واما اركانهما فحمد الله تعالى وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين وقراءة اية مفهمة ولو لو في احديهما والاولى في الاولى ودعا للمومنين في الثانية ومن الشروط كونهما عربيتين وكونهما في الوقت وولاء وطهر وستر كالصلاة قل يا اشرف الخلق للمومنين ما عند الله اي المحيط بجميع صفات الكمال خير ما موصولة مبتدا وخبر خبرها من اللهو ومن التجارة والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم والله اي ذو الجلال والاكرام وحده خير الرازقين اي خير من رزق واعطى بتمنه فاطلبوا واستغنوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والاخرة وما قالة البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في مصار المسلمين فحديث موضوع. سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الذي له الاحاطة العظمى علما وقدرة الرحمن الذي يعمهم رحمته من اراد من عباده الرحيم الذي وفق اهل وده لما يحبه ويرضاه اذا جاءك اي يا ايها الرسول المبشر بكن في التوراة والانجيل وقرا حمزة وابن ذكوان بالامالة محضة والباقون بالفتح واذا وقف حمزة تسهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر المنافقون اي المريقون في وصف النفاق وهم عبد الله ابن ابي بن سلول واصحابه قالوا مؤكدين لاجل استشعارهم لتكذيبهم بين يديهم لما عندهم من الامر بتامه نشهد قال الحسن هو عندهم يمين كانهم قالوا نقسم انك لرسول الله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق نظرا لجواب الهم وخالفوه نظرا لفعالهم وقوله تعالى والله يعلم اي وعلمه هو العلم الحقيقة واكد سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال تعالى انك لرسوله سوا شهد المنافقون بذلك ام لا فالشهادة بذلك حق ممن وافق

سورة المنافقين مدنية

لسانه

لسانه فعليه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله تعالى والله يشهد
لفائدة قال الزمخشري لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون
لكان يوهم قولهم هذا كذب فوسط قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الابهام
والله اي المحيط بجميع صفات الكمال يشهد شهادة هي اشهد لانها محيطة بدقايق
الظاهر والباطن إن المنافقين اي الراسخين في وصف النفاق لكاذبون اي
في اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون
ذلك ومن شرط قبول الخبر ان يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف ذلك
فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى
كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم اي كلها عن شهاداتهم وكل يمين سواها
جنة اي سترة عن اموالهم ودمائهم روى البخاري عن زيد ابن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت
عبد الله ابن ابي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره
عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله
ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني
هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله
تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل
فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد صدقك ورواه الترمذي عن زيد
ابن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب
فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقوننا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله
حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام
ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا فعاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس
الانصاري فشجه فاتى عبد الله ابن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه
فغضب عبد الله ابن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله
يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد
الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منكم الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد
الله ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذبني قال فجاء عمي الي فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله وكذبك والمنافقون
قال فوقع علي من الهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر قد خفقت راسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فكان سروري الى ان يصيبني الخلد فلم الثم ان ابا بكر لحقني
فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قاله لي شيا الا انه عرك اذني
وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا غدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

BULAC

وروي انه صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل
منهم ازدحم على الماء جهجاه ابن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد
الله ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان للانصار فاعان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا
محمدا الا لنلطم وهو هنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما
والله لئن رجعت الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالاعز عن نفسه وبالاذل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم
وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام ولم يكن رفا
بكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليه حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد
ابن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد
انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان تقتله مهاجري فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت صاحب الكلام الذي
بلغني قال والله الذي انزل الكتاب عليك ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب
فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق
عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فروي انه صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت
عليه قال لا قال فلعله اخطا سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت
لف صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وقت اذنك يا غلام ان الله قد
صدقك وكذب المنافق تنبيه سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي
يصف الاسلام ولا يعمل به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وروى عبد الله بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن
كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال ان بني يعقوب
حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله
عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا
ان يفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار
واعتياد انه منافق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن اذا حدث صدق واذا
وعد انجز واذا ائتمن وفا والمعنى المؤمن الكامل فصدوا اي عن سبب لهم اتخاذهم
هذا ان اعرضوا بانفسهم مع سوء البواطن وحرارة ما في الصدور وحملوا غيرهم
على الاعراض عن سبيل الله اي عن طريق الملك الاعظم الذي شرعه لعباده
ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بخداعهم ومكرهم بجراتهم على الايمان الخائنة
انهم ساء ما كانوا اي جبلة وطبعا يعملون اي يجددون عمله مستمرين عليه كما هو فالجبلة
من جراتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الخائنة ولما كانت

المعاصي

المعاصي تعمي القلب فكيف بأعظمها علله بقوله تعالى ذلك اي بسبب انهم امنوا ثم كفروا فان قيل المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى امنوا ثم كفروا اجيب بثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ما رأينا مثل هؤلاء الرجل ان نبيح لحضور كسري وقيصر بها ت وغزوه وقولهم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا وعرفوا الثاني قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام لقوله حاكيا عنهم انا معكم الى قولهم انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله تعالى بان المنافقين كفار الثالث ان يراد ذلك في قوم امنوا ثم ارتدوا وقيل اي في فصل الطبع وهو الختم مع ان معلوم انه لا يقدر على ذلك غير سبحانه بما يكونوا اي لاجل اختيارهم على الهدى الكبائر على وجه النفاق فهم اي ينسب عن ذلك انهم لا يعقلون اي لا يقع لهم فقه في شيء من الاشياء فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل وقد ان انهم اي ايها الرسول على ما لك من الحظوة ونفوذ العزيمة وايها الرائي كائنا من كان بين الامر تعجبه اجسامهم لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم بها بصلاح ظواهرهم وتزيينة انفسهم بمراعاة الباب وحدائق قال ابن عباس كان ابن ابي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه وهم حمارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه تعجبون بصامتهم وان يقولوا اي احد منهم فيقول في وقت من الاوقات سمع قولهم اي لفصاحته فيلذ السمع ويروق القلب كانهم اي في حسن ظواهرهم وسوء باطنهم وفي عدم الانتفاع بهم في شيء خشب جمع خشبة وهو دليل على كثرتهم مسندة اي قد قطعت من مغارسها ماثلة الى الجدار وقرأ ابو عمرو والكسائي بسكون السين والباقون بضمها يحسبون اي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم ما يسمعون من سوء اعمالهم كل صيحة من نداء في انشاد ضالة او انفلات دابة او بحرد لكل واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم ولعلمهم لما في قلوبهم من الرعب انه نزل فيهم ما يسيء هم وسئ اخذ الاخطل ما زلت احسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا ومنه قول الاخر كان بلادا الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل نحال الله ان كل شدة يتمتمها تريد الله تعالى تم العدو اي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع احتاط الى انهم في شدة عداوتهم للاسلام واهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه عاملك واحد وان اظهروا التودد في الكلام والتقرب له الى اهل الاسلام فان السنتهم معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدائكم فهم عيون لهم عليكم فاحذروهم لان اعدى عدو كمن يعاشرك وتحت ضلوعه الداء الكمين يلطفه الله دائم الحذر لان منكوسا في كرة تقلبا تم

بيد النهر والحرمان لسوء فعله تعالى قاتلهم الله اى اخلهم الملك المحيط قدرة وعلما
كل محل من قاتله عدو قاهر له اشد مقاتلة على عادة الفعل الذى يكون بين
اثنين وقال ابن عباس اى لعنهم الله وقال ابو مالك هى كلمة ذم وتقبيح وقد
تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب انى اى كيف
ومن اى وجه يؤفكون اى يصرفهم عن ادراك قبح ما هم عليه صارف ما كان
لما كان ليرحموا عما هم عليه وقال ابن عباس انى يؤفكون اى يكذبون وقال
مقاتل اى يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه
كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلايل وهو من الافك واذا
قيل لهم اى من اى قايل كان تعالوا اى ارقعوا انفسكم محمد يدع ذلك بالمجى
الى اشرف الخلق الذى لا ينزل مكانه عاليا لعلو مكانته يستغفر لكم اى يطلب
الغفران لاجلكم خاصة من اجل هذا الكذب بالذى انتم مصرون عليه لووا رؤسهم
اى اقرب الخلق الى الملك الاعظم الذى لا شبيه لجوده او قد ارسخهم
اى فعلوا اللى بغاية الشدة والكبر وهو العرف الى جهة اخرى اعراضا وعتوا
واطهارا للتغفر والنفرة ورأيتهم اى يعين البصيرة يصدون اى يعرضون اعراضا
فيما عادوا اليه بجدير لذلك كما دعوا الله والحلة فى موضع المفعول الثانى
لرأيت وهم مستكبرون اى تجاوزوا الكبر عما دعوا الله وعن اجلال انفسهم فى محل
الاعتذار فهم لشدة غلظهم لا يدركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون الى ما له
واذا ارشدهم غيرهم وبصرهم لا ينتهون فقد روى انه لما نزل القرآن فيهم اتاهم
عشايرهم من المومنين وقالوا تعالوا نعلم فتصحتم واهلكتم انفسكم فاستوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسلموا ان يستغفر لكم
فلووا رؤسهم اى حركوها استهزاء وايا قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد
الله ابن ابى موقف فى كل سبب يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل
له ويلك ما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك عضبان فاتى مستغفر
لك فابا وقال لا اذهب اليه وروى انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاشتهى لو عزر اسه وقال لهم
اشيروا على با لايمان فامنت واشيروا على بان اعطى زكاة مالى ففعلت ولم يبق
الا ان تامرونى بالسجود لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلايل
حتى استشهد وقتل ومات والكان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب ان يستغفر
لهم ويجاوبه ذلك الى بغيهم واقاربهم قال تعالى مبينا على انهم ليسوا باهل
الاستغفار لانهم لا يوبون يستوى عليهم استغفرت لهم ام لم استغفر لهم
عن همزة الوصل ام لم تستغفر لهم اى يستوى عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون
اليه ولا يعتدون به لكفرهم لن يغفر الله اى الملك الاعظم لهم لرسوخهم فى الكفر انه
اى الشان له كمال الصفات لا يهدى القوم اى الناس الذين لهم قوة فى انفسهم على ما
يريدونه الفاسقين اى لانهم لا عذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروف فى حضن
الاسلام بحرفته وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استحكم فيهم راسخون فى النفاق
والخروج عن ربقة الاستصلاح لهم اى خاصة بخلاف بعض اطرافهم الذين يقولون اى

1234

اوجدوا هذا القول للانصاف ولا يزالون يجدون له لانهم كانوا مربوطين بالاسباب
محجوبين عن شهود التقدير **لا تنفقوا** اي ايها المخلصون في النصرة **على من** اي
الذي **عند رسول الله** اي الملك المحيط بكل شيء وهم فقراء المهاجرين **حتى ينفضوا**
اي ينفرقوا فيذهب كل احد منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك قال
البقاعي وما درى الاجلاف انهم لو فعلوا ذلك اباح الله تعالى عنهم للانفاق وامر
رسوله صلى الله عليه وسلم قد عافى في السير فصار كثيرا وكان بحيث لا ينفد
او اعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لا ينفد معها كتمر ابي هريرة وشعير عائشة
وعكة ام ايمن وغير ذلك كما روى ذلك وغيره مرة ولكن من فضل الله فما له من رد
ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله تعالى **ولله** قالوا ذلك واستمروا على تحديد قوله
والحال ان الملك الذي لا امر لغيره **خزائن السموات** اي كلها **والارض** كذلك من الاشياء
المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
ومن الاشياء التي اوجدها فهو يعطي من يشاء منها حتى من ايديهم لا يقدر احد على منع
شيء من ذلك لا ما في بدن ولا ما في قدرة ولا غير ذلك فهم عباد مقهورون وانهم يقيدون بالوهم
حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم
بقوله تعالى **ولكن المنافقين** اي العريقين في وصف النفاق **لا يفقهون** اي لا يتجدد لهم
فهم اضلا من البهائم بل هم اضل لان البهائم اذا رات شيئا ينفعها يوما ما في مكان ظلمته
من اخرى وهؤلاء رأوا غير مرة ما اخرج الله تعالى من خوارق البركات على يد رسوله
صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم فقههم بقوله تعالى **يقولون**
اي يوجدون هذا القول ويجددونه موكدين لا سيما عند اشعارهم بانا اكثر قدرا منهم ينكر
لئن رجعنا اي ايها العصابة المنافقة **الى المدينة** اي عن غزاتنا هذه وهي غزوة
بني المصطلق حي من هذيل خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له
المريسيع بناحية قديد الى الساحل **ليخرجن الاعز** يعنون انفسهم **منها**
اي المدينة **الاذل** يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون في هذا الكلام
تصور والسدة عما وهم ان القوة لهم وانهم يقدرون على اخراج المومنين **ولله**
اي والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم انه الملك الاعلى وحده فهو الذي له وحده
العزة العلية كلها **ولرسوله** لان عزته من عزته **وللمومنين** فعزة الله قهرهم
من دونه وكل ما عداه دونه وعزة رسوله اظهاره دينه على الاديان كلها وعز المومنين
نصر الله تعالى اياهم على اعدائهم **ولكن المنافقين** اي الذين اشتغلهم فهم مرض القلوب
لا يعلمون اي لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم
يقولون مثل هذه الخرافة وروي انه لما نزلت هذه الاية جاء عبد الله ولد عبد الله
ابن ابي ابن سلول الذي نزلت هذه الايات بسببه كما مر الى النبي صلى الله عليه وسلم
المريسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال انت والله الذليل ورسوله
الله صلى الله عليه وسلم العزيز ولما اراد ان يدخل عبد الله بن ابي الى المدينة
اعترضه الله خباب وهو عبد الله عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم آيسه
وقال الخباب يا انيس شيطان وكان يخلصا وقال ورائك والله لا تدخلها حتى تقول

BULAC

رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه قال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن
عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المؤمنين خيرا فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون
وختم الثانية بقوله تعالى لا يعلمون اجيب بانه ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم
وبالثانية حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه
كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي
والثاني مزاجي ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين فقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بقلوبهم مذعنة كظواهرهم لا تلهكم
اي لا يشغلكم اموالكم ولا اولادكم سواء كان ذلك في اصلاحها او التمتع بها بحيث
تغفلون عن ذكر الله اي الملك الاعظم حذر المؤمنين اخلاف المنافقين اي لا
تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضحاك اي عن الصلوات الخمس نظيره
قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن عن جميع الفرائض كانه
قال عن طاعة الله وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القران وقيل عن
ادامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب
ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى ومن يفعل اي يوقع
في زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار فعل ذلك اي الامر البعيد
عن افعال ذوي الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالفاني والاعراض عن الباقي
فاولئك البعداء عن الخير هم الخاسرون اي العريقون في الخسارة في تجارتهم حيث
باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني حتى كانهم محتضرين بها دون الناس وذلك
بضد ما ارادوا وانفقوا اي ذا امرتم به من واجب او مندوب وقال ابن
عباس يريد زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد في الترغيب
بالرضى منهم باليسير بقوله تعالى مما رزقناكم اي بعظمتنا قال الزمخشري من في
مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب ثم قال تعالى محذرا من الاغترار
بالتسويف في اوقات السلامة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله
وامارته وكل لحظة مرت فهي دلائله وامارته قال القرطبي وهذا يدل على وجوب
تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا اي بلا عذر وكذا سائر العبادات
اذا دخل وقتها وقال الرازي وبالجملة فقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله تعالى وانفقوا مما
رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال الى الله تعالى
سبب عن ذلك قوله تعالى فيقول اي سائلا في الرجعة واشار الى ترقيقها للقلوب
بقوله رب لولا اي هلا ولم لا اخرتني اي اخرت موتي امهالا الى اجل اي زمان وقوله
قريب بين به ان مراده استدراك ما فات ليس الا وقيل لا زائدة ولو للتمني اي لو

اخرتني

اخرتنى الى اجل ما صدق اى للتزود فى بقية هذا الطويل الذى انا مستقبله وعن
ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل
وعنه ما منع احدكم اذا كان له مال ان يزكى واذا طاف للحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت
فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت فى مانعى الزكاة ووالله لو رأى
خيرا ما سأل الرجعة فقيل له اما تتقى الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا افترا
عليكم هذا انما تعنى بها نزلت فى المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن
ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وقال الضحاك لا ينزل باحد
لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت الا وسأل الرجعة وعن عكرمة نزلت فى اهل القبلة
وقيل نزلت فى المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس انه قال هذه الاية تدل على ان القوم
لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا معنى للرجوع الى الدنيا والتأخر فيها لمن عند
الله تعالى خير فى الاخرة اى اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال الغرطبى الا شهيد فانه
يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ ابو نوف مع القبلتين اى العربية فى هذا
الوصف بالمنازك ابو عمرو بواو بعد الكاف ونصب النون عطفا على فاصدق
والباقون بحذف الواو لالتقاء الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس
فى ذلك فقال الزمخشرى عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق وأكن
وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتنى اصدق واكن هذا مذهب
ابى على الفارسى وقال الغرطبى عطفا على موضع الفا لان قوله فاصدق لو لم تكن
الفا لكان مجزوما اى اصدق ثم زاد تعالى فى الحث على المبادرة بالطاعات قبل
الفوات بقوله تعالى ولن يؤخر الله الاجل عطم الرجاء بن هذا المحتضر بالتأخير عطفا على
ما تقدم فلا يؤخره الله فيفوته ما اراد ولن يؤخر الله اى الكل الاعظم الذى
لا كفوله فلا اعتراض عليه نفسا اى نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى
اذا جاء اجلها اى وقت موتها الذى حده الله تعالى فلا يؤخر الله تعالى نفس
هذا الفاضل لانها من جملة النفوس التى شملها النفى وقرأ قالون والبزى وابو عمرو
باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد
تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقهما والله اى الذى له الاحاطة
الشاملة علما وقدرة خبير اى بالغ الحذق والعلم ظاهرا وباطنا بما تعملون اى توقفون
عليه فى الماضى والحال والمال كله باطنه وظاهره وقرأ ستعقبه بالياء التحتية
على الغيبة على الخبر عمم بعد ان خص وقال هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب
وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
المنافقين برئ من النفاق فحديث موضوع سورة التغابن مدنية
فى قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبى مدنية ومكية وعن ابن عباس
ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من آخرها نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك
الاشجعى شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى آخرها وهى ثمان عشرة
اية ومائتا واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا بسم الله ملك الملك فلا لغو

ولا مثيل الرحمن الذي وسع الخلائق بن الجليل الرحيم الذي خص ممن عمه توفيقهم للعمل
يبسط اي يوسع التوبة التام مع التجديد والاستمرار له اي الذي له الاحاطة التامة
الكمال لما في السموات اي كلها وما في الارض كذلك وقيل اللام زائدة اي ان الله تعالى
فعال لما يشاء اي يريد ايجاده من الحلال المحلي واي تبادون من تغليبا للاكثر له اي وحده الملك اي كله مطلقا
في الدنيا والاخرة وله اي وحده الحمد اي الاحاطة بما وصاف الكمال كلها فالملك يزهه
جميع مخلوقاته وقدم الظرفان ليدل تقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد
بالله تعالى وذلك بان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به
والحافظ عليه وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه وان ملك غيره فتسليط منه
واستنزاع واحد اعتداد بان نعمة الله جرت على يده هو اي وحده الذي خلقكم
اي انشاكم على ما انتم عليه فمنكم اي فتسبب عن خلقه لكم وتقديره كافر اي عريق
في صفة الكفر ومنكم مؤمن اي راسخ في الايمان في حكم الله تعالى في الازل قال ابن عباس
ان الله تعالى خلق بني ادم مؤمنا وكافرا ويبعثهم في القيمة مؤمنا وكافرا وروى
ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شانا ما يكون
فقال ان ولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا
ويولد الرجل كافرا ويعيش الرجل كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا
ويموت مؤمنا اي وسكت عن القسم الاخر وهو ان يولد الرجل مؤمنا ويعيش
مؤمنا ويموت كافرا اكتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه
وسلم خلق الله تعالى مرعوفا في بطن امه كافرا وخلق يحيى ابن زكريا عليهما السلام
في بطن امه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل
ابن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل
الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو
للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي
بكل معلوم فيجري كما علم واراد وحكم فقد تريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد
يريد تعالى وقوعه على وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف وتقديره فمنكم مؤمن
ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال لا غير
لاحذف فلان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا والتقدير
هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى والله تعالى خلق دابة
من ماء ثم قال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فانه خلقهم والمشي فعلهم وهذا
اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال المغوي ورويانا عن ابن عباس عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا

وقال تعالى

وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد
الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل
فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية
كالمنافق ومنكم مومن في العلانية كعمار وزيد وقال عطا ابن ابي رباح فمنكم
كافر بالله مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانوا
كما جا في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه
الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب وخلق المومن وايمانه
فعل له وكسب واختيار كسبه واختياره بتقدير الله ومشيته فالمومن
بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه
منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه
منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود
خلاف المقدور عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى قال
البغوي وهذا طريق اهل السنة من سلكه اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر
قال الرازي فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر
فاي حكمة دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها
على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطايفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم
علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة والله اي الذي
له الاحاطة الكاملة بما تعملون اي توقعون عمله كسبا بصير اي بالغ العلم بذلك
فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي نسب كسبها اليكم وهو خالق جميع الاستعدادات
والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق الخالق
ما لا يعلمه ولو سيل الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدر فكيف لو سيل اين توضع
مشيه ومتى زمانه فكيف وانه ليمشي اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل
افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه ولما ذكر المظروف ذكر
ظرفه دالا على تمام احاطته بالبواطن والظواهر بقوله تعالى خلق السموات
على علوها وكبرها والارض اي بالامر الذي يطابقه الواقع لما اراد وصوركم اي ادم
عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال مقاتل وقيل جميع الخلايق على صور لا يوافق
شيا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها صورة توافق الاخرى من كل وجه
فاحسن صوركم فجعلها احسن الحيوانات كلها كما هو مشاهد وبدليل ان الانسان
لا يتمنى ان يكون على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته ان خلق منتصبا
غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم كما ياتي ان شا الله تعالى
فان قيل قد يوجد في افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة سمج الصورة اجيب
بانه للسماجة لان الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض
الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حسنه
فقبح القبيح منه انما هو بالنسبة الى احسن منه ولذا قال الحكما شيان لا غاية لهما

الجمال والبيان بقدرة الله تعالى لا يتناهى قال البقاعي فاياك ان تصغي لما وقع في كتب
الغزالي انه ليس في الامكان ابدع مما كان فان ذلك ينحل الى انه سبحانه لا يقدر على ان يخلق
احسن من هذا العالم اذ هذا لا يقوله احد وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كل
احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه قال الامام مالك وعزاه الغزالي نفسه الى ابن عباس
وقال الشافعي صنفت هذه الكتب وما الوت فيها جهدا واني لاعلم ان فيها الخطا
لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولما كان
التقدير فكان منه سبحانه المبدا عطف عليه قوله تعالى واليه اي وحده المصير
اي المرجع بعد البعث فيجازي كلا بعمله يعلم اي علمه حاصل في الماضي والحال والمال
ما اي كل شيء في السموات اي كلها والارض كذلك ويعلم اي على سبيل الاستمرار
ما تسرون اي تخفون وما تعلنون اي تظهرون من الكليات والجزئيات والله اي
الذي له الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم بذات اي صاحبة الصدور من الاسرار
والخواطر التي لم تبرز في الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها ام لا وعلمه لكل ذلك
على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي به يعلمه ما في السموات والارض
ثم يعلم ما يسره العباد ويعلنونه ثم يعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الكليات
والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترا على شيء مما
يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكلما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم
مومن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصي الخالق ولا يشكر نعمته الم ياتكم
اي ايها الناس ولا سيما الكفار نبا اي خبر الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح
فذاقوا اي باشروا مباشرة الرائق وبال امرهم اي ضرر كفرهم في الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر
ولهم عذاب اليم اي مولم البرزخ ثم يوم القيمة التي هي موضع الفصل الاعظم ذلك
اي الامر العظيم الشنيع العظيم من الوبال الدال قطعا على ان الكفر ابطل الباطل
وانه مما يغضب الخالق بانه اي بسبب ان الشان العظيم البالغ في الفظاعة كانت تاتيهم
على عادة مستمرة رسلهم اي رسل الله الذين ارسلهم اليهم بالبينات اي الحجج الظاهرة
على الايمان فقالوا اي الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار تكبرا وقولهم ابشر يهدوننا
يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة
تطلب الفعل ويجوز ان يكون مبتدا وخبر وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم
جنس وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد
كقوله تعالى ما هذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم فكفروا اي بهذا
القول اي قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء الى عباده وتولوا
عن الايمان فان قيل قوله تعالى فكفروا يفهم منه التولي والحاجة الى ذكره اجيب
بانهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية
وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا قال
فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان
والموعظة ونبه بقوله سبحانه واستغنى الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه

على ان

على ان هذا انما هو لمصالح الخلق فهو غني عن كل شيء فان قيل قوله تعالى وتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا اجيب بان معناه
وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك
والله اي المستجمع لصفات الكمال غني عن خلقه حميد اي محمود في افعاله زعم الذين
كفروا اي اوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولو على ادنى
الوجود وزعم قال ابن عمر هي كنية الكذب وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه
قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب
زعموا وفي حديث ابن مسعود عند ابي داود بئس مطية الرجل زعموا ان لن يبعثوا
اي من اي باعث ما بوجه من الوجوه قل يا اشرف الرسل لهؤلاء البعداء بلى اي لتبعثن
ثم اكده بصريح القسم فقال وربي اي المحسن الي بالانتقام ممن كذب لتبعثن اي باهون
شيء وايسر امر ثم لتنبؤن اي تخبرون اخبارا عظيما ممن يقيمه الله تعالى لاخباركم بما عملتم
اي باعمالكم لتجزون عليها وذلك اي الامر العظيم عندكم من البعث والحساب على الله
اي المحيط بصفات الكمال وحده يسير اذ الاعادة اسهل من الابتداء فان قيل كيف يفيد
القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم
يعتقدونه اعتقادا جازما فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون
الاخبار عنده صدق اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه
قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان
قال تعالى فآمنوا بالله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء ورسوله اي كل من ارسله
ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم والنور اي القرآن الذي انزلنا اي عالنا من العظمة لانه نور
يهتدى به من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمات فان قيل هلا قيل ونوره بالاضافة
كما قال ورسوله اجيب بان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله
ونوره والله اي المحيط علما وقدرة بما تعملون خبير اي بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه
في السر والعلانية وقوله تعالى يوم يجمعكم منصوب بقوله تعالى يوم يجمعكم منصوب
بقوله تعالى لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله
يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا بما اي بما دل عليه الكلام
اي يتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقاء ليوم الجمع اي لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم
القيمة الذي يجمع الله تعالى فيه الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع اهل السماء
والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل
يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي
بل هو جامع لجميع ما ذكر ذلك اي اليوم العظيم يوم التغابن والتغابن مستعار من تغابن
القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي
كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن ولهذا قيل التغابن هنا
من واحد لا من اثنين وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار
لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة

حسرة

وهو معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو
التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر في بعض
التفاسير ان التغابن هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة
الله تعالى فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن المبين والمغابن
ما انثنى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غبن في اهله ومنازله
في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان
وبضيعة الاثام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو
اعلى منزلة منه فان قيل فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها اجيب بانه
تمثيل للغبن في الشرا والبيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم
بل خسروا ذلك ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى
اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله
تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان
التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل علم
علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من جوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة
الله ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه
بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد
بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما قائلين
فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعشقتها من حرام ومن حلال وهؤلاء
الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب وما عسى ان يقول اكتسبه
حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فيعدا له وشحقا فيقول
الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات
الجنة فتقول غبناك وغبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن وقال
بعض علماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا
لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقى
الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد تنبيه استدل
بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية
لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيمة فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا
الاختصاص يفيد ان لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود
اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم
لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا
ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن
اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا
لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرؤية والفرق بين القليل

والكثير

والكثير في الشريعة معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون
معنى الآية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي
لا يستدرك ابدا ومن يؤمن اي يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله اي الملك
الاعظم الذي لا كفو له ويعمل تصديقا لايمانه صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام
بتحصيله لانه لا مثل له في جلب المصالح ودفع المضار يكفر عنه سيئاته التي غلب عليها
نقصان الطبع واتبع ذلك الحامل الآخر وهو الترجية بجلب المسار لان الانسان يطير
الى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجا والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة ويدخله
اي رحمة له واكراما وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار عظيمة واغصان ظليلة
تستر داخلها ورياض مديدة متنوعة الازاهير عطرة النشر تهيج ربها واشار الى دوام
ربها بقوله تعالى تجري من تحتها اي من تحت قصورها وانهارها الانهار وقرا يكفر عنه
ويدخله نافع وابن عامر بالنون فيهما اي نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية
اي الله الواحد القهار خالدين اي مقدرين الخلود واكده بقوله تعالى فيها ابدا فلا خروج
لهم منها ذلك اي الامر العالي جدا من الغفران والاكرام الفوز العظيم لانه جامع لجميع المصالح
ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى الفائز
بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه بضده ترهيبا فقال عز من قائل والذين كفروا اي غطوا
ادلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام وكذبوا اي اوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب
بآياتنا اي بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها الينا وهي القرآن فلم يعملوا به
اولئك اي البعداء البغضاء اصحاب النار خالدين اي مقدرين الخلود فيها وبئس المصير
هي قال الرازي فان قيل قال تعالى في المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار
قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا
وكذبوا بآياتنا ندخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار انتهى فان قيل قال
تعالى يؤمن بلفظ الواحد وخالدين بلفظ الجمع اجيب بان ذلك بحسب اللفظ وهذا
بحسب المعنى فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله خالدين فيها
وذلك بئس المصير اجيب بان ذلك وان كان في معناه فهو تصريح بما يؤكده كما تقدم في قوله
ابدا ما اصاب اي احدا من مصيبة اي مصيبة كانت دينية او دنيوية في نفس او مال
او قول او فعل تقتضيهما موجب عتابا آجلا او عاجلا الا باذن الله اي بتقدير الملك
الاعظم وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الآية
ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب في الدنيا
فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة الا بقضائه وقدره فان قيل لم يتصل قوله
تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اجيب بانه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله
ورسوله كما ان من يؤمن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن
بالله اي يصدق انه لا تصيبه مصيبة الا بقضاء الملك الاعظم وتقديره واذنه
يهد قلبه قال ابن عباس هو ان يجعل في قلبه اليقين حتى يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه اي فيسلم لقضاء الله وتقديره وقال الكلبي
هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا اظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب في الجنة

وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الهدى من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل
يهد قلبه عند المعصية فيقل انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير والله اي الملك الذي
لا نظير له بكل شيء مطلقا من غير استثناء عليم فلا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره فاذا تحقق
من هدى قلبه ذلك راح عنه كل اعتقاد باطل من كفر او بدعة او صفة خبيثة واطيعوا الله
اي الملك الاعلى الذي له الامر كله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بالطاعة
واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان تولوا اي عن الطاعة فانما على رسولنا
اضافه اليه على وجه العظمة تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه البلاغ المبين اي الظاهر
في نفسه المظهر لكل احد انه اوضح له غاية الايضاح ولم يدع ليسا وليس اليه خلق الهداية
في القلوب الله اي المحيط بجميع صفات الكمال لا اله الا هو فهو القادر على خلق الهداية
في القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك غيره وعلى الله اي الذي له الامر كله لا على غيره
فليتوكل المؤمنون اي لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا
بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به في امره حتى ينصره
على من كذبه وتولى عنه واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
اي وان اظهرن غاية المودة واولادكم اي وان اظهرن غاية الشفقة عدوا لكم
فقال ابن عباس نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم
جفا اهله وولده فنزل ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا ابن يسار قال نزلت سورة
التغابن كلها بمكة الا هولا الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فانها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزوة بكوه
ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الى اخر السورة بالمدينة
وروى الترمذي عن ابن عباس وسيل عن هذه الاية قال هولا رجال اسلموا من اهل
مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابا ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ياتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في الدين
فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الاية حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق
الايمان فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه فامن ثم قعد له على طريق الهجرة
فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد
فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساوك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق
على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما يكون بالوسوسة والثاني
ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرنا فزينوا
لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان
في الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس
عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناة اعظم من دناة الدينار والدرهم ولا اخس
من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل في قوله تعالى ان من ازواجكم الذكر والانثى
فكما ان الرجل يكون زوجته عدوا له كذلك المراة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى
فاحذروهم اي ان تطيعوهم في التخلف عن الخير ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا اي تدفعوا المجاوزة

عن

عن توبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة في ذلك لان من طبع على شيء لا يرجع عليه وانما
الناجع الحذر الذي ارشد الله تعالى اليه لئلا يكون سببا للوقوع المنهي عنه فتصفحوا اي بالاعراض
عن المقابلة بالتثريب بالتعابير وتغفروا اي تستروا ذنوبهم ستارا ما شاما لا
للعين والاثر بالتجاوز عنها فان الله اي الجامع لصفات الكمال غفور اي بالغ المحو لاعمال
المذنبين واثارها جزاكم على غفرانكم وتعرضوا بان تصلحوا لكم سبب مغفرة الكم رحيم فيكرمكم
بعد ذلك بالتنزيه بالانعام وتحلموا اي حلما فتعالى يزداد من فضله انما اموالكم اي غرامة واولادكم
كذلك فتنة اي اختبار من الله تعالى لكم وهو اعلم بما في نفوسكم منكم لكن لتظهر في عالم الشهادة
من يعمله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون عليه نعمة وعادة الانسان صلاح حاله
وولده قبل فاسد فتنة ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة
سفيان الثوري عنه انه قال يوتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عيالك حسناته وعن بعض
السلف العيال سوس الطاعات وقيل فتنة المال قصته ثعلبة بن حاطب احد
من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني
من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن
ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
ادخل من للتبعيض لانهم ليسوا ابعاضا ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
لانها لا تخلوا من الفتنة واشتقاق القلب بها روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن
بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن والحسين رضي الله تعالى
عنهما وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته ينبه
قدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال اكثر ونزر ذكر الازواج في الفتنة قال
البقاعي لان منهن من يكون صالحا وعونا على الاخرة والله اي المحيط بالكمال عنده اي
مما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته اجر ثم وصف بقوله تعالى عظيم اي ليس
باوامر التي اثرها هو ونفوذه تعالى فاتقوا الله اي الملك الاعلى ما استطعتم اي جهدكم
ووسعكم لما سمع لفوكم تعالى اتقوا الله حق تقاته قالته قتادة والربيع ابن انس والسدي
وذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جا
امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا ويبلغه فلما علم الله تعالى انه قد اشتد عليهم نسخه
عنهم وجا بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس نسخت محكمة
لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد في الله حق جهاده ولا ياخذه في الله لومة لائم
ويقوم لله بالقسط ولو على نفسه وابائهم وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية منسوخة
فكيف الجمع بين الاستثناء وما وجه الامر بالتقوى حق تقاته مطلقا من غير تخصيص
ولا شرط وبشرط ولا امر بالتقوى بشرط الاستطاعة اجيب بان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعله فسنة لكم من اموالكم واولادكم وتقلبكم
فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام وتتركوا الهجرة
وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى الا الذين يتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم

الى قوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر الله تعالى انه قد عفى عن من لا يستطيع حيلة
ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى فما استطعتم في الهجرة من دار
الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها فتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقب قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التاويل في ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار
تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم
وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع
به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت
على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا
فيهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل
لان المكره على المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها واسمعوا اي سماع
اذعان وتسليم لما توعظون وجميع اوامره واطيعوا اي وصدقوا ذلك الاذعان
بمباشرة الافعال الظاهرة في الاسلاميات من القيام بامر الله والشفقة على خلق
الله في كل امر ونهي على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة
وانفقوا اي اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما اوجب اندب اليه والانفاق لا يخص نوعا
بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي والخارجي وقوله تعالى خيرا لانفسكم في نصبه
اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره قدموا
خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خير
كان المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول
الكسائي والفراء اي انفاقا خيرا لانفسكم فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما يزكي
به النفس ويدخر عليه من الجزاء في الاخرة ما لا يدري كنهه فلا يغرنكم عاجل شيء من ذلك
فانما هو زخرف ولما ذكر ما في الانفاق من الخير عمم في جميع الاوامر بقوله تعالى
ومن يوق شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما امر به موقنا به مطمئنا اليه حتى
يرتفع عن قلبه الاخطار ويتحرر عن رق المكنونات والشح خلق باطن هو الداء
العضال والبخل فعل ظاهر ينشا عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصي
فتفعلها وتارة باعطاء الاعضاء في الطاعات فيتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل
ما فرض عليه خرج عن الشح ولما كان الواقي هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله
تعالى فاولئك اي العالوا الرتبة هم المفلحون اي الفائزون الذين حازوا جميع
المرادات بما اتقوا الله فيه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى ان تقرضوا الله
اي الملك الاعلى ذا الغنى المطلق الحائز لجميع صفات الكمال قرضا حسنا والقرض
الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب نفس ومع الاخلاص والمبادرة يضاعفه
لكم اي لاجلكم خاصة اقل ما يكون الواحد عشرا الى ما لا يتناهى على حسب النيات قال
القشيري يتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء في بذل اموالهم وعلى الفقراء في اخلاء ايامهم
واوقاتهم من مروءاتهم وايثار مراد الحق على مراد انفسهم فالغني يقال له اثر حكمي
على مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ولما كان

الانسان

الانسان لما له من النقصان وان اجتهد ان يبلغ جميع ما امر به لان الدين وان كان يسرا
يهون متين لن يشاده احد الا غلبه قاله تعالى وبغفر له اى يوقع الغفران وهو محو الذنوب
قولا عينه واثره وانشد اى الذى لا تقاس عظمته بشئ شكور اى بليغ الشكر لمن يعطى
لاجله ولو كان قليلا فيثيبه توابا حاضرا بلا احضار جاعلا عن الحمد وهو ناظر الى الصانعة
حليم فلا يعجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا لتذكر العبد
الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يمهل ولا يغتر بحلمه فان محض الحكمة لا يطابق
وهو راجع الى القهار عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو
داخل القلب مما تودعه الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره والشهادة
وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث
انه يوجب للمرء ترك ظاهر الاثم وباطنه وكل فضور وفتور وغفلة وتقاعد
فيعبد الله تعالى كانه يراه العزيز اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ الحليم اى بالغ الحكمة
التى تعجز عن ادراكها الخلائق وقال ابن الانبارى الحكمة هو الحلم فالحكيم الاشياء فصرف
عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف
عن مفعل الى فعيل وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة التغابن وقى عنه موت الفجاءة حديث موضوع سورة الطلاق
مدنية وهى اثنتا عشرة اية وقيل احدى عشرة وقيل ثلاث عشرة اية ومائتان
وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الذى جمع صفات الكمال الرحيم
الذى عم بالرحمة والنوال الرحيم الذى خص باتمام النعمة ذوى الهمم العوال وفى
يا ايها النبى نادع بتسهيل بالهمز وتسهيل الهمزة من اداوالدها ابصاوا واخصه
صلى الله عليه وسلم بالنداء مع عمه بالخطاب لان النبى لمام امته وقدوتهم كما يقال
لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترؤسه وانه لسان قومه والذى يصدر عن رايه ولا يستبد دونه
فكان صدوره منهم كلهم وساد امته جميعهم وقيل انه عام اضمر قبله اى يا ايها النبى
قل لامتك اذا طلقتم النساء اى اردتم طلاق هذا النوع واحدة منه فاكثر وقيل
انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبى وامته فحذف المعطوف لدلالة ما بعد
عليه كقوله اذا خذقرة حلها اى وبذرها وكقول بعض اهل تغلب الحر وقيل انه
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم ... وان شئت لم اطعم نقاحا ولا بردا

قال الرازى وجه تعلق اول هذه السورة باخر التى قبلها هو انه تعالى لما ختم التى
قبلها الى الكمال عله بقوله عالم الغيب والشهادة وفى اول هذه الشورة اشار الى الكمال عله
بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكان من ذلك الكلى هذه الجزيئات
وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلق حفصة ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتت
اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة
وهى من ازواجه فى الجنة ذكره الماوردى والثعلبى وزاد الثعلبى ونزل فى خروجها

الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الآية
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة
فطلقها فطلبته فنزلت وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضا تطليقة
واحدة فامره النبي صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
فان شاء امسكها وان شاء طلقها قبل ان يجامع فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وهو
قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في الوقت الذي يشرعن فيه في العدة وقد قيل ان رجالا
فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعيد بن
العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الآية فيهم وروى الدارقطني عن ابن عباس انه قال
الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها
طاهرا من غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها حائضا
وان يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا تنبيه الطلاق ينقسم الى سني
وبدعي ولا ولا فطلاق موطوءة ولو في دبر تعتد بافراء سني ان ابتدأتها الافراء عقب
الطلاق ولم يطأها في طهر طلقها فيه او علق طلاقها بمضي بعضه ولا وطئها في نحو حيض
قبله ولا في نحو حيض طلق مع آخره او علق بآخره وذلك لاستعقابه الشروع في العدة
وعدم الندم فيمن ذكرت والا فبدعي وان سألته طلاقا بلا عوض وطلاق غير الموطوءة
المذكورة بان لم توطأ او كانت صغيرة او آيسة او حاملا منه وخلع زوجته زمن حيض
بعوض لا سني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه وقسم جماعة الطلاق الى واجب كطلاق
المولي اي واجب مخير اي لم يكن عذر ومعين ان كان عذر شرعي كالاحرام ومندوب
كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه كمستقيمة الحال وحرام كطلاق
البدعة واشار الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير تمتع
بها وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا
ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيئا على وجه الارض احب اليه من العتاق
ولا خلق الله تعالى شيئا ابغض اليه من الطلاق وعن معاذ ابن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق واختلفوا
في الاستثناء في الطلاق والعتق فقال طائفة بجوازه وهو مروي عن طاوس
وبه قال جماعة قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الرأي وقال
مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء
في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول ولما كان نظر الشارع
الى العدة شديدا صرح بصيغة الامر فقال تعالى واحصوا اي اضبطوا ضبطا
كانه في اتقانه محسوس العدة ليعرف زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح
لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة واتقوا اي في ذلك الله اي
الملك الاعظم الذي له الخلق والامر ربكم اي لاحسانه في تربيتكم في حملكم على الحنيفية السمحا

ورفع

ورفع جميع الاصار عنكم لا تخرجوهن اي ايها الرجال في حال العدة من بيوتهن اي المساكن
التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت
اليهن لاختصاصهن من حيث السكنى وقرا ورش وابو عمرو وحفص بضم البا الموحدة
والباقون بكسرها ولا يخرجن اي من بيوتهن حتى تنقضي عدتهن ولو وافق الزوج
على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان في العدة حقا لله تعالى وقد وجبت في ذلك المسكن
وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبدو
على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة المبينة ان
تبدو على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقال ابن مسعود اراد بالفاحشة
المبينة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز
وذلك ان يطلقها على النشوز فتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثاني
للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر اما
العذر كثيرا غير من لها نفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان نهارا وغزلها
ونحوه كحديثها وتانيسها عند جارتها ليلا وترجع وتبيت ببيتها فانه جائز
للحاجة الى ذلك وكخوف على نفس او مال من نحو هدم وغرق وفسقة مجاورين
لها وشدة تاذيها بجيران وشدة تاذيهم بها للحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير
اذ لا يخلو منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج نعم ان اشتد اذاها
بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلعت
بيت ابويها وتاذت بهما او هما بها فلا تنقل لان الوحشة لا تطول بينهما
ولو انتقلت لبلد او مسكن باذن زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه
اعتدت فيه لانها مامورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن فتعتد
في الاول وان وجبت العدة بعد وصولها للثاني لعصيانها بذلك نعم ان اذن
لها بعد انتقالها ان تقيم في الثاني فكما لو انتقلت بالاذن ولو اذن لها في الانتقال
فوجبت العدة قبل خروجها اعتدت في الاولى ولو سافرت باذن زوجها فوجبت
في الطريق فقوها اولى من مضيها بان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها
ان سافرت لها او بعد انقضاء مدة الاذن ان قدر لها مدة او مدة اقامة المسافر
ان لم يقدر لها مدة في سفر غير حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال ما اذنت في الخروج
او قال وقد قالت اذنت في نقلتي اذنت لا لنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن
ملكا له ويليق بها تعين لان تعتد فيه لما مر ويصح بيعه في عدة اشهر كالمكتري او
كان مستعارا او مكرى وانقضت مدة الكرى انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان
ملكا لها تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة او اجارة والانتقال منه كما لو كان
المسكن خسيسا وتجبر هو ان كان نفيسا وسكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج
حيث تجب نفقتها عليه لو لم تفارق سواء كانت الفرقة بطلاق ام فسخ ام
وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ بانواعه
بجامع فرقة النكاح في الحياة ولخبر فريعة بضم الفا بنت مالك في الوفاة ان
زوجها قتل فسالت النبي صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى اهلها وقالت ان زوجي

BULAC

لم يتركني في منزل يملكه فاذن لها في الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة
او في المسجد دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت
فيه اربعة اشهر وعشرا صححه الترمذي وغيره وقرا ابن كثير وابو بكر بفتح
اليا التحتية والباقون بكسرها وتلك اي الاحكام العالية جدا لما فيها من الجلالة
وبانتسابها الى الملك الاعلى من هذا الذي ذكر في هذه السورة وغيره حدود الله
اي الملك الاعظم ومن يتعد اي يقع منه في وقت من الاوقات انه تعمد ان يعدو
حدود الله اي الملك الذي لا كفوله او بعضها كان طلق بدعيا فقد ظلم نفسه
اي عرضها للعقاب وقرا قالون وبن كثير وعاصم باظهار الدال عند الظا والباقون
بالادغام لا تدري اي النفس او ابنائها النبي او المطلق لعل الله اي الذي بيده القلوب
ومقاليد جميع الامور يحدث اي يوجد شيا حادثا لم يكن حادثا ثابتا لا تقدر
الخلق على التسبب في زواله بعد ذلك اي الحادث من الاساة والبغض
امرا بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال اكثر المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة
في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث وهذا
احسن الطلاق واجله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم
النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا
للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم
من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك ابن انس لا اعرف طلاق
السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة
واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار
فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امراته
وهي حايض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا ويطلقها
لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها تحيض ثم تطهر
ثم ليطلقها ان شا فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وعند الشافعي
لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو
مباح ومالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي
التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده قال الزمخشري فان قلت
هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب
الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها
ثلاثا فقال اذا عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر انه كان لا يوتى برجل
يطلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب
وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث
لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قوله تعالى اذا طلقتم النسا عام
يتناول المدخول بهن وغير المدخول بها فان قوله تعالى اذا طلقتم من ذوات الاقراء

والايسات

والايسات والصغاير والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقرا المدخول بهن
اجيب بانه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النسا اسم جنس للاناث من الانس وهذه
الجنسية معنى قايم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنسا هذا او ذاك فلما قيل
فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات
بالحيض ولما جد سبحانه ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضايها بقوله
تعالى فاذا بلغن اي المطلقات اجلهن اي شارفن انقضا العدة مشارفة عظيمة
فامسكوهن اي بالمراجعة وهذا يدل على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن
لا سيما الثلاث بمعروف اي حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق واحد لاجل ايجاب
عدة اخرى ولا غير ذلك او فارقوهن بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها بمعروف
اي بايفا الحق مع حسن الكلام وكل امر حسنه الشرع فلا يقصد اذاها بتفريقها
من ولدها مثلا او منه ان كانت عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة
وكذا ما اشبه ذلك من انواع الضرر بالفعل او القول فقد تضمنت الاية بافصاحها
الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات تنبيه قال بعض
العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في بدن المراة ولها حق
في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سوا كان مالا ام منفعة من ثمن او مثمن
او اجرة او بدل متلف او ضمان مغصوب او غير ذلك فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب
باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص
فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت
في بدله مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب
يودي باحسان ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاثا على الكيس واليقظة والبعد
عن افعال المغفلين العجزة واشهدوا اي على المراجعة او المفارقة وقيل المعنى اشهدوا
عند الرجعة والفرقة جميعا ذوي عدل منكم قطعا للتنازع وهذا الاشهاد مندوب
اليه عند الجمهور كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في الرجعة
الامام احمد في احدى الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو
حنيفة واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم
تفتقر الى الاشهاد كساير الحقوق واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة
فليس بمراجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة
وكذا النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة
وقيل وطيه مراجعة على كل نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث
وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطي ولم ينو الرجعة فهي وطي فاسد
ولا يعود الى وطيها حتى يستبريها من مايه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة
الاولى وليست له الرجعة في هذا الاستبرا تنبيه قوله تعالى منكم قال الحسن
من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة
بالذكور دون الاناث لان ذوي للمذكور وقوله تعالى واقيموا اي ايها المامورون

حيث كنتم شهودا الشهادة اي التي تحملتموها باداءها على اكمل احوالها لله اي
مخلصين لوجه الملك الاعلى لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله
فيه حث على اداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم الذي
يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الاباء عوائق ايضا ذلكم اي الذي ذكرت
لكم ايتها الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها بذلك هذا الاشهاد
واقامة الشهادة يوعظ اي يلين ويرقق به من كان اي كونا راسخا من جميع الناس
يؤمن بالله اي الذي له الكمال كله واليوم الآخر فانه المحط الاعظم للترقيق واما من لم
يتصف بذلك فكانه لقساوة قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به وقوله تعالى ومن يتق
الله اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه ظاهرا وباطنا لان التقوى اداء
وقاية بما يرضيه وهو اجلاب ما امر به واجتناب ما نهى عنه من الطلاق وغيره ظاهرا
وباطنا لان التقوى اداء القرون في القرآن عن مقارن عمت الامر والنهي وان اقترنت
بغيرها نحو احسان او رضوان خصت المناهي يجعل اي الله بسبب التقوى له مخرجا
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على ايقاع ما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق
في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاهما وقال ابن
عباس والثعلبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله تعالى
يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس
ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله
بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا
من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل
شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل
ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه اي الثواب
من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله
في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب
وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه
الله بالمعونة له وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي
وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها
وقال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات
الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي
اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة
وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تأمرني فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله
واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته

وقال

وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني وايكان تكلمن من قول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فحملا يقولان فتفضل العدو وعزا بنه فساق عنهم وجاءها
الى ابنه وعلى اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له
وروي انه جاء وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب حسين
بعيرا وفي رواية فاقطت ابنه من الاسر وركب ناقة نفوم فمر يسرح لهم فاشتاقته
وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فقال ابوه للنبي صلى الله عليه وسلم احل لي ان اكل مما اتى
به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى
الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله
كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكلها الله اليها
وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه وان كان ذا صنعة
ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من آثر الاستغفار
جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل
اي يسند امور كلها منعهدا فيها على الله اي الملك الذي بيده كل شيء والقوله وهو اي الله
في عيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله حسبه اي كافيه ما اهمه وحذف المتعلق
للتعميم وحرف الاستعلاء للاشارة الى انه كان حمل ابوه كلها عليه سبحانه لانه القوي
العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا يرد
له في عالم الشهادة مشيء يشينه وقيل من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعييه
من الامور من تواه كفاية وقلما يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وفي الحديث
لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ويوجد
من هذا ان التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدو وتروح
وهو من المقامات العظيمة قال البقاعي ولا كان انكالا ولا ليس بمقام بل اخبر تعالى عن الطير
همة وعدم مروءة لانه ابطال حكمة الله التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات على الاسباب
انتهى ولما كان امر الانكال يحيط به الوهم علله بقوله تعالى هو لا الله بالتاكيد والاظهار
في موضع الاضمار ان الله اي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص بالغ امره اي جميع
ما يريده فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل ام لا قال حمزة وقرئ بغير تنوين على اضافة امر
فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الامن توكل عليه يكفه عنه سيئاته ويعظم له اجرا
وقرأ حفص بالغ بغير تنوين امره بالجر مضافا اليه على التخفيف والباقون بالتنوين
امره بنصب الراء على الحال قال ابن عادل وهو الاصل خلافا لابي حيان قد جعل الله
اي الملك الذي لا كفوء له ولا مفت لحكمه جملة مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثية
لكل شيء كرخاء وشدة قدرا اي تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه
واحواله وان اجتهد جميع الخلائق على ان يتعداه فمن توكل استعاذ الاخر وخفف عنه
الالم وقذف في قلبه الطمأنينة ومن لم يتوكل لم ينفعه دكل وزاد المنه وطال غمه
شدة سعيه وخيبة اسبابه التي يعتقد انها هي المنجية فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط حف القلم فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء وحكي ان رجلا اتى
عمر فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرأ القرآن قال لا قال اتاك الله من لم يقرأ القرآن

فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القران رجا ان يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم القران تخلف
عن عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير المومنين لست ممن يهجر ولكني
تعلمت القران فاغناني الله يا عمر وعن باب عمر قال لي اي اية اغنتك قال قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم
لا يعلم كيف يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله وما لا يعلمه من علمه غيره
تنبيه الاية تفهم ان من لم يتق يقتر عليه وهو موافق لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يرد القدر الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيا من الاشيا وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه
نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله
قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق
به نجاه ومن دعاه اجابه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتوكل
على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي
الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان
ولما بين تعالى امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقرا
عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال ابو عثمان عمر بن سليمان لما نزلت
عدة النسا في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول
الله ان ناسا يقولون قد بقي من النسا من لم يذكر فيهن شي الصغار والكبار وذوات الحمل
فنزل واللائي يئسن اي من المطلقات من المحيض اي الحيض الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة
التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل
سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة
لا تدري دم حيض هو او دم علة واختلف في سن الياس فالذي عليه الاكثر انه اثنان
وستون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل ستون وقيل سبعون ولما كان هذا الحكم
خاصا بازواج المسلمين لحرمة فرشهم وحفظ انسابهم قال تعالى من نسائكم اي ايها المسلمون
سوا اكن مسلمات ام من اهل الكتاب ان ارتبتم اي شككتم في عدتهن فعدتهن ثلاثة
اشهر كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوائد النسا ان يكون كل قرء في شهر
واللائي لم يحضن اي لصغرهن او لانهن لا حيض لهن اصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة
اشهر ايضا هذا كله في غير المتوفى عنها ازواجهن اما هن فعدتهن ما في اية يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا وقرا واللائي في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز وياء بعده
وقرا قالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعده وقرا ورش والبزي وابو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد
والقصر ولا ياء بعده وللبزي وابي عمرو ايضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد لا غير ولما فرغ
من ذكر الحوامل اتبعه ذكر الحوامل بقوله تعالى واولات الاحمال اي من جميع الزوجات
المسلمات والكافرات المطلقات والمتوفى عنهن اجلهن اي لمنتهى العدة سوا كان لهن
مع الحيض حمل ام لا ان يضعن حملهن وهذا على عمومه مخصص لاية يتربصن بانفسهن

اربعة

اربعة اشهر وعشرا الان المحافظة على عمومه اولى من المحافظة على عموم ذاك في قوله تعالى
ازواجا الان عموم هذا بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم ازواجا بالعرض لانه
بدل لا يصلح لجميع الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحلية بخلاف ذلك ولان
هذه الاية متاخرة النزول عن اية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل
بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح للوفاق ولان سبيعة بنت
الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فاذنها النبي صلى الله عليه وسلم
ان تتزوج فنبينا اذا وضعت الولد ما في بطنها من علقة او مضغة خلق بعد ذلك
وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت
حاملا لتوءمين لم تنقض عدتها حتى يضع الثاني منهما ولا بد ان يلي الحمل منسوبا الى الزوج
اما اذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض ولما كانت امور النساء في المعاشرة والعشرة
في غاية المشقة كرر الحث على التقوى اشارة الى ذلك وترغيبا في لزوم ما حد سبحانه
فقال اعاطفا على ما تقدم من الحفظ هذه الحدود عشر الله تعالى اجله انوره ومن يتق
الله اي يوجد ايجادا مستمرا باستمرار التقوى ان الله لا يمل حتى تملوا يسر له اي كله في النكاح
وغيره يسرا اي سهولة وفرجا ومخرجا في الدارين بالدفع والنفع وذلك اعظم من مطلق
الخروج المتقدم في الاية الاولى وقال من يتق الله في اجتناب معاصيه
يجعل له من امره يسرا في توفيقه لطاعته ذلك اي الامر الذي ذكر من جميع هذه الاحكام العالية
المرتبة امر الله اي الملك الاعلى الذي له الملك كله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي الذي
لا امر لاحد معه في احكامه فراعى حقوقها يكفر اي يغط تغطية عظيمة عنه سيئاته
فيتخلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بان يبدله حسنات
حسنات ويوفيه اجرها في الدارين مضاعفة فيتحلى بالمقربات وهذا اعظم من مطلق
اليسر المتقدم اسكنوهن قال الرازي اسكنوهن مما بعد بيان الشرط من التقوى
في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل
اسكنوهن وقوله تعالى من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض
قال الزمخشري بعضها محذوف ومعناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان
سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن
الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه وقال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى
اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتداء الغاية قاله الحوفي وابو البقاء قال
ابو البقاء والمعنى تنسبوا الى اسكانهن من الوجد الذي تسكنون انفسكم وذا علم قوله
تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي ما تطيقونه وفي اعرابه وجهان احدهما انه عطف
بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم واليه ذهب الزمخشري وتبعه البيضاوي
قال ابن عادل الظاهر هنا انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل والى ذهب ابو البقاء
كانه قيل اسكنوهن من وسعكم وايضا فمن اي حال الساكن في المسكن لا في عين لا تضاروا
عليهن حتى يلجئوهن الى الخروج من ازلت اي الطلقات او ان حمل اي من الازواج من كالاذى
بان اوحى فانفقوا عليهن وان مضت الاشهر حتى يضعن حملهن ومنع حق من العدة
وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات البائن

ايجوز الجمع بين الكل الاعظم اجتماع المعنى الحقيقي والمجازي في لفظ واحد او لا يجوز الجمع بينهما اجتماع الاضداد

والاحاديث توبده قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فذهب مالك
والشافعي انها السكنى والا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه انها السكنى والنفقة
ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت
دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا
يزعم ان لي سكنى ولا نفقة قال لك السكنى والنفقة تعالى ان زوجها طلقها
ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على من له عليها رجعة فلما قدمت
الكوفة طعنني الاسود بن يزيد يسالني عن ذلك فان اصحاب عبد الله يقولون ان لها
السكنى والنفقة وعن الشعبي قال القيتني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله
وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت
لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب
عن ذلك بما روت عائشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها
فقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة
وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
وقوله تعالى اسكنوهن راجع الى ما قبله وهي المطلقة الرجعية فان ارضعن لكم
اي بعد انقضاء علقة النكاح فاتوهن اجورهن اي على ذلك الارضاع وللرجل
ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه
الا ان يستاجرها اذا كان الولد منهما حالمين ويجوز عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى
وائتمروا خطاب للازواج والزوجات اي ليامر بعضكم بعضا في الارضاع وليجر فيه
وغيره ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وقال الكسائي ائتمر وانتاور واوتلا وقوله تعالى
ان الملا يامرون بك ليقتلوك اي يتشاورون وقوله تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا وقوله
في ذلك بقوله تعالى بمعروف اي ان هذا الحق لا بعدوا وليه والمراد ذلك بقوله تعالى
وتكرهه سبحانه تحضيضا على الامة بالرضى بالمستطاع وهو يكون مع الاحلاف
بالانضاف ومع النفس بالخلاف فان تعاسرتم اي طلب كل منكم ما يعسر على الاخر كان طلبت
المراة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا فسترضع له اي الاب اخرى اي مرضعة
غير الام ويغني الله تعالى عنها وليس له ان يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ثدي غيرها
او لم يوجد غيرها اجبرت على ذلك لا لاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المتزوجة
كذلك واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت
الزوجية الا شرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه بعد فطامه في ماله وقال ابو حنيفة
لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال لو طلبت الام اجرة المثل وهناك اجنبية
ترضى بدون اجرة المثل او متبرعة تعين الاب بها ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة
لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح
لينفق ذو سعة اي مال واسع ولم يكلفه الله تعالى جميع ما يسعه بل قال تعالى من سعته
اي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فموسع اذا كان موسعا عليه

ومن قدر اي ضيق عليه رزقه فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة
من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة
الزوجة مقدرة وعند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها
هو بحال الزوج وحده من يسر وعسر والاعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب
لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر
قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار
بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها
تطلب قدر كفايتها فعذرت قطعا للخصومة ولقوله تعالى فلينفق اي وجوبا على المرضع
وغيرها من كل ما اوجبه الله تعالى عليه مما آتاه الله اي الملك الذي لا ينفد ما عنده
ولو من راس المال ومتاع البيت لا يكلف الله اي الذي له الكمال كله نفسا اي نفس كانت
الا ما آتاها اي اعطاها من المال سيجعل الله اي الملك الذي له الكمال كله فلا خلف لوعده
بعد عسر اي بعد كل عسر يسرا وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين حين نزول الاية
ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا اعين الناس وصدق الاية
دائم غير انه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم ابين لان ايمانهم اتم قال القشيري
وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاموال الذين انحطوا عن درجة الرضى وارتقوا
على حد الياس والقنوط ويعيشون في افناء الرجال ويتعللون بحسن المواعيد انتهى ولما ذكر الاحكام
والمواعظ والترغيب لمن اطاع حذر من خالف بقوله تعالى وكاين هي كاف الجر دخلت
على اي بمعنى كم من قرية اي وكثير من القرى وقرا ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد الالف
همزة مكسورة وقفا ووصلا وقرا الباقون في الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعد
الهمزة ياء تحتية مكسورة مشددة وعبر عن اهل القرية بها مبالغة فقال عتت اي
استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها وطغيانها فاعرضت عنادا عن امر ربها اي الذي احسن
اليها ولا يحسن اليها غيره ورسله فلم تقبل منهم ما جاوا به عن الله تعالى فان طاعتهم من طاعته
فحاسبناها اي في الاخرة وان لم تجئ لتحقق وقوعها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصا
وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب في الدنيا
فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة
وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط
والسيف والخسف والمسخ وساير المعايب وحسبناها في الاخرة حسابا شديدا وقرا
نافع وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها فذاقت اي فتسبب
عن ذلك انها ذاقت وبال اي عقوبة امرها اي كفرها وكان عاقبة امرها خسرا
اي في الدنيا بالاسر وضرب الجزية وغير ذلك وفي الاخرة بعذاب النار فان من زرع
الشوك كما قال القشيري لا يجني الورد ومن اضاع حق الله تعالى لا يطاع في حظ نفسه
ومن احترق بمخالفة امر الله فليصبر على عقوبته ثم استانف الجواب عمن يقول
هل لهما غير هذا في غير هذه الدار بقوله تعالى اعد الله اي الملك الاعظم لهم بعد الموت
وبعد البعث عذابا شديدا وفي ذلك تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور بها

فاتقوا الله اي الذي له الامر كله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه يا اولي الالباب اي اصحاب
العقول الصافية النافذة من الظواهر الى البواطن وقوله تعالى الذين آمنوا منصوب باضمار
اعني بيانا للمنادى وقوله تعالى يا اولي الالباب او يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له
اي خلصوا من دائرة الشرك واوجدوا الايمان حقيقة قد انزل الله اي الذي له صفات
الكمال اليكم ذكرا هو القرآن وفي نصب رسولا اوجه احدها قال الزجاج والفارسي
انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه يحل لحرف مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا
ويكون ذكره الرسول قوله تعالى محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه ويكون محمولا
على المعنى كانه قال قد اظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو
الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكرا رسولا الرابع انه
بدل منه على حذف مضاف من الثاني اي ذكرا ذكر رسول الخامس انه منصوب بفعل مقدر
اي وارسل رسولا يتلو عليكم آيات الله اي دلائل الملك الاعظم الظاهرة جدا حال كونها
مبينات اي لابس فيها بوجه واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم
او جبريل الاكثر على الاول واقتصر عليه الجلال المحلي واقتصر الزمخشري على الثاني وهو قول
الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء بعد الموحدة والباقون بالفتح
ليخرج الذين آمنوا اي اقروا بالشهادتين وعملوا تصديقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا
لانه من قلوبهم الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم او قدر انه مؤمن من الظلمات اي الضلالة الى النور اي الهدى ومن يؤمن
بالله اي يجدد في كل وقت على الدوام الايمان بالملك الاعلى بان لا يزال في ترق في معارج
معارفه ويعمل على التجديد المستمر صالحا لله وفي الله فله دوام النعماء وهو معنى
ادخاله الجنة كما قال تعالى يدخله اي عاجلا مجازا بما يفتح الله له من لذات المعارف
ويفتح له من الانس واجلا حقيقة جنات اي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع
جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها بقوله تعالى تجري من تحتها اي من تحت غرفها
الانهار فهي في غاية الذي بحيث ان ساكنها يجري في اي موضع اراد نهرا وقرأ نافع
وابن عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية خالدين فيها واكد معنى الخلود
بقوله تعالى ابدا ليفهم الدوام بلا انقضاء وقوله تعالى قد احسن الله اي الملك
الاعلى ذو الجلال والاكرام له اي خاصة رزقا اي عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا
من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره
بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك ارزاق القلوب
احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار
عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالى الله اي الذي له جميع صفات الكمال التي القدرة
الشاملة احدها الذي خلق اي اوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه
على هذا المنوال الغريب البديع سبع سموات اي وانتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون
انه لا يقدر عليه الا تمام القدرة والعلم الكامل ومن الارض مثلهن اي سبعا اما كون
السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره واما الارضون

فقال

فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء
والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها سبع ارضين وكلها منطبقة
بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة
عليه كما روى البخاري وغيره وروى ابو مروان عن ابيه ان كعبا خلف له بالذي فلق البحر لموسى
ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم ير قريته يريد دخولها الا قال حين يراها
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين
وما اضللن ورب الرياح وما ذرين اني اسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ
بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيمة من سبع
ارضين وقال البقاعي رايت في النقد حديثا بحذا صحت لكن لا ادري حاله
ذكره ابن برجان في اسمه تعالى الملك من شرحه الاسنى الحسنى قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله اعلم قال هو اتدرون
ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله
اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رايته في الترمذي عن العباس بن عبد المطلب ولفظه هل تدرون
ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين
بين كل ارض مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت في الفردوس عن ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما بين السما الى السما خمسمائة عام وعرض كل سما وثخانة كل سما
خمسمائة عام وما بين السما السابعة وبين الكرسي مسيرة العرش مثل ذلك وما بين السما الى الارض
مسيرة خمسمائة عام والارضون في عرضهن وتخالفن مثل ذلك انتهى قال الماوردي
وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم من دعوتهم
من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي ساعدتهم السما واستمدادهم
الصنو منها فقولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون ارضها
منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض منبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السما
وان استمداد خلقهم لها مما لا يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرة
وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض
تغرق بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا لا يمكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض
اخرى لاختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض
اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فضل البحار اذا امكن
سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لا تلزمهم
لكان النص فيها وارد او لكان النبي صلى الله عليه وسلم لها مامورا وقال بعض العلما السما
في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السما الثانية ارض وكذلك السما
الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذلك البقية بالنسبة الى ما تحته سما وبالنسبة
الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات سبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات
سبع ارضين يتنزل اي بالتدريج الامر قال مقاتل وغيره اي الوحي على هذا ايكون

قوله تعالى مِنْهُنَّ اشار الى من هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السما السابعة التي هي
اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشار
الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها فيجري امر الله
وقضاؤه بينهن وتتعدد احكامه فيهن وعن قتادة في كل ارض مثل ارضه ونبيا مثل نبيه
خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره
وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارض خلق قال نعم قال الخلق
قال اما ملايكة واما جن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارض السبع
وقال الحسن بين كل سماين ارض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض
وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات
ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها
وهيئاتها فيتعلمهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال
للمرء امر الله والريح والسحاب ونحوها ثم قوله تعالى لِتَعْلَمُوا متعلق بمحذوف وفاعل
اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا أَنَّ اللَّهَ اي الملك الاعلى الذي لا احاطة له كلها عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
اي من غير هذا العالم ممكن ان يدخل تحت المشية قَدِيرٌ اي بالغ القدرة فيأتي
بعالم اخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له والاستدلال بهذا
العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها
الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير جليل وحقير ما في خلق الرحمن من تفاوت
قال البقاعي واياك ان تصغي الى من قال انه ليس في الامكان ابدع من هذا العالم فانه مذهب
فلسفي خبيث والاية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فاني لا اشك انه
مدسوس عليه وانه مذهب فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتاب
دلايل البرهان على ان ما امكان ابدع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلاسفة اخذه
الكفر المارقين ابن عربي واوده في فصوصه وغير ذلك من كتبه واسنده في بعضها
للغزالي والغزالي بريء منه بشهادة ما وجد من عقايده في الاحيا وغيره انتهى والبقاعي
ممن يقول بكفر ابن عربي وابن الفارض يقول بكفره وكفره طايفة وقد تقدم الجواب
عن كلامهم وَأَنَّ اللَّهَ الذي له جميع صفات الكمال قَدْ أَحَاطَ لتمام قدرته بِكُلِّ شَيْءٍ مطلقا عِلْمًا فلا
الخبرة التامة بما يمر به من الاحكام في العالم بصالحه ومفاسده فلا يخرج شيء عن علمه
وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم انه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الاخرة
تنبيه علما منصوب بعلى المصدر المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله احاط احاطة
علما وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة التحريم مدنية
وهي ثنتا عشرة اية ومايتان واربعون كلمة والف وسبعون حرفا بِسْمِ اللَّهِ
الذي له الكمال كله على الدوام الرَّحْمَٰنِ الذي عم عباده بعظيم الانعام الرَّحِيمِ الذي خص اولياءه
بنعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ اي الذي لا امر لاحد معه لَكَ فقالت عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمكث عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا قالت فتواطأت انا

وحفصة

وحفصة أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل إني أجد منك ريح مغافير
فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنت جحش
ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله تعالى إن تتوبا لعائشة وحفصة
وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل وكان
إذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس
فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل فسقيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة
وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه
سيقول لا لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد
عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له
جرست نحلة العرفط وسأقول ذلك له وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل
على سودة قالت سودة والذي لا إله غيره لقد كدت أن أباديه بالذي قلت لي
وإنه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله
أكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت
جرست نحلة العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت
مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة
لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قل لها اسكتي ففي هذه
الرواية أن التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الأولى زينب
وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة وقيل إنما هي أم سلمة رواه
أسباط عن السدي وقاله عطاء ابن أبي مسلم تنبيه شرح غريب ألفاظ الحديثين
وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل الحلوا بالمد
والقصر قاله في المصباح وهو كل شيء يحلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة
الحلوا تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب الخاص بعد العام وقولها فتواطأت
أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة
هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت بالهمز قولها إني لأجد منك ريح مغافير هو
بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه
شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط بضم العين
المهملة نبات له ورق عريض يفرش على الأرض له شوك وثمره خبيث الرائحة
وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته
كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها
جرست نحلة العرفط بالجيم وبالراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحلة العرفط
فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت
جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبي وقال أكثر المفسرين في سبب
نزول ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما
رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت
انما اذنت لي من اجل ذلك ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي
اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي وهي حرام علي فاسكتي لك رضاك فلا تخبري
بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعت حفصة الخبر الذي بينها
وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم
عليه امته مارية وان الله قد اراحنا منها واخبرت عائشة بما رات وكانتا متصافيتين
متظاهرتين على سائر ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة
فلم تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان له امة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه
فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه النسائي فان قيل
قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي
صلى الله عليه وسلم يأبى ذلك لما فيه من التعريف والتعظيم اجيب بانه ليس بطريق
العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي فان قيل تحريم ما احل
الله غير ممكن فكيف يقال الم تحرم ما احل الله لك اجيب بان المراد بهذا التحريم
هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله تعالى
والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد
ان هذا التحريم هو تحريم ما احل الله فقد كفر فكيف يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم
تبتغي اي تريد بارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك
اي الاحوال والمواضع والامور التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك ولك الجميع
الحق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن قد وجبت الكفارة والله اي الملك الاعلى
غفور رحيم اي مبالغ ستور لما يليق على خلص عباده مكرم لهم فقد غفر لك هذا التحريم
ثم علل ذلك بقوله تعالى قد فرض الله اي قدر وشرع والجلاله والاكرام الذي لا مرد لحكمه ولا
امر لاحد معقب وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا
يخل بحرمة اسم الله تعالى لان اهل الهمم العوالي لا يحورون النقلة من عزيمة الى رخصة
بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها ولما كان التخفيف على امته تعظيما له صلى الله
عليه وسلم قال تعالى لكم اي امتها الامة التي انت رأسها تحلة اي تحليل ايمانكم بالكفارة
المذكورة في سورة المائدة واختلف اهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين
فان قال لزوجته انت حرام او حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا
فهو ظهار وان نوى تحريم ذاتها او لغا فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي
فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود والله ذهب الشافعي وعن الدارقطني عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت
ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الاية وذهب جماعة الى انه يمين فان قال لذلك لزوجته

او جاريته

وقيل فرض بمعنى استثنى بمعنى لم يكن حلالا فلان
يمينه اذا استثنى بمعنى لم يحنث ومنه قولهم ان شاء الله متصلا بحلفك وسمي الاستثناء فرضا

او جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف ان لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكل
يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة وعند ابي حنيفة
انه ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب
اذا لم ينو والا فعلى ما نوى نقله الزمخشري وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث
وعن زيد واحدة ثانية وعن ابن عباس قال اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها
وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال زيد ابن اسلم وعاد الى جاريته وقال الحسن
لم يكفر لانه مغفور له ما قدمه من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة
انما امر بها الامة قال ابن عادل والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم الامة تقتدي به في ذلك والله اي والحال ان المختص باوصاف الكمال مولاكم
اي يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومتولي اموركم وهو اي وحده العليم
اي البالغ العلم بمصالحكم وغيرها الى ما لا نهاية له الحكيم اي الذي يضع كلما يصدر عنه
لكم في اتقن محاله بحيث لا يقدر غيره ان يغيره ولا شيا منه والعامل في قوله تعالى
واذ اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي اي الذي شانه ان يوقعه
الله دايما فانه ما ينطق عن الهوى الى بعض ازواجه وابهمها ولم يعينها تشريفا له صلى
الله عليه وسلم ولها وهي حفصة صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم
حديثا ليس هو من شان الرسالة ولو كان من شانها لعم به ولم يخص به ولا اسره وذلك هو
تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك احدا وقال سعيد بن جبير عن ابن
عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة
يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقال ميمون بن مهران اسر ان ابا بكر خليفتي من بعدي
فلما نبات اي اخبرت به عائشة ظنا منها انه لا حرج عليها في ذلك واظهره الله اي
اطلعه الملك الذي لا احاطة له بكل شي عليه اي الحديث على لسان جبريل بانه قد افشى
مناصحة له في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذره ان كان شرا ويثيب عليه ان كان خيرا
وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم التي اسر اليها
بعضه اي بعض ما فعلت واعرض عن بعض اي اعلام بعض تكرما منه ان يستقصي
في العبارات وحيا وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال
التغافل من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر الامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفا من ان
ينتشر في الناس فربما اثاره حسدا بعض المنافقين واورث الحسود للصديق كيدا وقال بعض
المفسرين انه اسر الى حفصة شيا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم يواخذها
بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقيل
المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها ويلك الم اقل لك
اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها
اباها فلما نباها به اي بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها به شيا منه ولا من
عوارضه لتزداد بصيرة روي انها قالت لعائشة سرا وانا اعلم انها لا تظهره قال
الملوي وهو معنى قوله تعالى قالت اي ظنا منها ان عائشة افشت عليها من انباك هذا

اي من اخبرك اني افشيت السر قال نبأني وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى
بالتعميم اشارة الى انه اخبره بجميع ما دار بينها وبين عايشة على اتم ما كان العليم
اي المحيط العلم الخبير اي المطلع على الضماير والظواهر فهو اولى ان يحذر فلا يتكلم
سرا ولا جهرا الا بما يرضيه وقوله تعالى ان تتوبا الى الله اي الملك الاعظم شرط وفي جوابه
وجهان احدهما قوله تعالى فقد صغت قلوبكما والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما
ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت مالت وزاغت عن الحق قال القرطبي
وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء الشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط
محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما الثاني ان الجواب
محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقا ودل عليه
المحذوف فقد صغت لان اصغا القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكانه زعم ان ميل
القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا تنبيه
قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء
تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل
والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية كقوله فيجالسا نفسيهما بتواقد الغيظ
الذي لم يرفع وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في صورة كقوله حمامة بطن الواديين
ترنمي سقاك من العز الغوادي نظيرهما وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه
جعله احسن من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة توالي تثنيتين مع امن
اللبس وقوله تعالى ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا الخطاب
اما المومنين بنتا الشخصين الكريمين عايشة وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما
من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما احبا ما كره رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احباب جاريته واحباب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب
العسل والنسا وقال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحبس عن ام ولده فسرهما
ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما الى التوبة روى مسلم عن ابن
عباس انه قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر ابن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله
هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة
فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جا فسكبت على يديه منها فتوضا
فلما رجع قلت يا امير المومنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك
حفصة وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة
فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم تسلني عنه فان كنت
اعلمه اخبرتك وفي رواية قال واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه
ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنت انا وجار لي من الانصار
وكان منزلي في بني امية ابن زيد وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي
صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فاذا نزلت جيته بما حدث من خبر ذلك اليوم
من الوحي او غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا معشر قريش نغلب الينا فلما قدمنا المدينة

على الانصار

على الانصار اذ هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فصحت على امرأتي
فراجعتني فانكرت ان تراجعني قالت لم تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على
حفصة فقلت لها اي حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم
حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتامنين ان يغضب الله لغضب
رسوله لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك
ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد عائشة
قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل الخيل ليغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم
نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ضربا شديدا ففزعت فخرجت اليه فقال قد حدث
اليوم امر عظيم قلت ما هو اجاء غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق النبي
صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك
ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة
وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا
معتزل في المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج
الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط
جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن
لعمر فدخل ثم خرج الي فقال ذكرت له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد
فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت
مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير وليس بينه وبينه فراش قد
اثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من ادم حشوها ليف ثم قلت وانا قائم يا رسول الله
اطلقت نساءك فرفع الي بصره وقال لا فقلت الله اكبر ثم قلت وانا قائم لو رايتنا يا رسول
الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رايتني دخلت على حفصة فقلت لها
لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد عائشة
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة اخرى فجلست حتى رايته تبسم فرفعت بصري
في بيته فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر غير اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله
ادع الله فليوسع على امتك فان فارسا والروم قد وسع الله عليهم واعطوا الدنيا
وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال اوفي هذا انت
يا ابن الخطاب ان اولئك قوم عجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر
الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة
الى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما انا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته
عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدا بها
فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت اقسمت انه لا تدخل علينا شهرا وانما
اصبحت من تسع وعشرين ليلة اعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك
الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة لم تزل اية التخيير فيبدا بي اول امراة من نسائه

فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثلها وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءها حين امره الله ان يخير ازواجه فبدا بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان تستعجلي حتى تستامري ابويك وقد علم ان ابوي لم يكونا
يامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله قال يا ايها النبي قل لازواجك الى تمام الاثنين
فقلت اوفي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفي رواية
ان عايشة قالت له لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
ارسلني مبلغا وفي رواية قال عمر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله ما يشق عليك من امر النسا فان كنت طلقتهن فان الله معك وملايكته وجبريل
وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك واقل ما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت
ان الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه الاية وفي رواية انه استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد
ونادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض الفاظ هذا
الحديث قوله فعدلت معه اي قمت معه بالاداوة اي لذكره والعوالي جمع عالية
وهي اماكن باعلى ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي
عايشة واوسم منك اي اكثر حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو
ان يفعله الانسان مرة ويفعل اخرى بعده والمشربة بضم الرا وفتحها الغرفة وقوله
فاذا هو متكي على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا طفرته ونسجته والمراد انه
لم يكن على السرير وطا سوى الحصير وقوله ما رايت ما يرد البصر الا اهبة ثلاث
الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة الغضب
وقرا وان تظاهرا الكوفيون بتخفيف الظا والباقون بتشديدها اي تتعاونا
عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه فان الله اي الملك العظيم الذي لا كفو له وقوله
تعالى هو يجوز ان يكون فصلا وقوله مولاه الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة
خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله
تعالى وجبريل وصالح المومنين معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز
ان يكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله
واختلف في صالح المومنين فقال عكرمة هو ابو بكر وعمر وقال المسيب بن شريك
هو ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وعن اسما بنت عميس هو علي ابن ابي طالب
وقال الطبري هو خيار المومنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر
وقال قتادة هو الانبيا وقال ابن زيد هو الملايكة وقال السدي هو اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم والاولى انه يشمل هذه الاقوال كلها والملايكة اي كلهم بعد ذلك
اي الامر العظيم الذي تقدم ذكره ظهير اي ظهرا اعوان له في نصرته عليكما تنبيه
اخبر عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو
مذكور خصوصا وعموما ثلاث مرات على القول بان صالح المومنين الملايكة او قلنا

بالعموم

بالعموم وذلك لاظهار الشدة بحقه وموالاته للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاية عكس اية
البقرة وهي قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد
العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم الاول
وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة ولما كان اسهد ما على المراة ان تطلق ثم اذا طلقت
ان يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها قال تعالى مخبرا لهن عسى ربه اي المحسن اليه بجميع انواع
الاحسان التي عرفتموها وما لم يعرفوه من اكثر جدير وحقيق ووسط بين عسى وخبرها
اعتناما وتحويفا بقوله تعالى ان طلقكن اي بنفسه من غير اعتراض عليه جميعا من بعضكن
قيل كل عسى في القران واجب الاهذه وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو
التطليق ولم يطلقهن فان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف
او متقدم اي ان طلقكن فعسى ربه وقوله تعالى ان يبدله اي يحرر طلاقه وقرا نافع
وابو عمر ويخفف الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف
الدال ازواجا خيرا منكن خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع البدل لعدم وجود
الشرط فان قيل كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا من نساء
المومنين اجيب بانه اذا طلقهن صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه
كان غيرهن من الموصوف بالصفات الاتية مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم
خيرا وان هذا على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والاخرة فلا يقتضي وجود من هو
خير منهن مطلقا وان قيل يوجد في خديجة لما جرب من تحاملها على نفسها في حفظه
صلى الله عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا النهاية المقصيا
ومريم احسنت حين كانت من القانتين فذلك في الاخرة وتعليق تطليق الكل لا يدل
على انه لم يطلق حفصة فقد روي انه طلقها ولهذه ها ذلك لا فضلا لان الله
تعالى امره ان يراجعها لانها صوامة قوامة ثم بين تعالى الخبرية بقوله عز وجل
مسلمات الى الحرم اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن
جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر الله تعالى ولامر رسوله خاضعات
لله تعالى بالطاعات مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات
بما امرن به ونهين عنه وقيل مسلمات معترفات بالاسلام مومنات مخلصات قانتات
اي مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات تائبات اي راجعات عن الهفوات
او الزلات سريعا ان وقع منهن شيء من ذلك وقيل راجعات الى امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تاركات لحظات انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى
وقال ابن عباس كل عبادة في القران فهو التوحيد سائحات قال ابن عباس صائمات
وقال الحسن مهاجرات قال ابن زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة
الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره سمي الصائم سائحا لان السائح
لا زاد معه فلا يزال يمسك الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان
يجي وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب
ثيبات جمع ثيب وهو التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه او زالت بكارتها
بوطي غير نكاح وابكارا اي عذارى جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك لانها

حال
بوجوده في

على اول حالها التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن اخبر بالعشرة التي هذا سياقها
ووسط الواو بين الثيبات والابكار لتنافي الوصفين دون ساير الصفات فان قيل
كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقل رغبة الرجل منهن اجيب بانه يمكن
ان يكون بعض الثيبات خيرا من كثير من الابكار لاختصاصهن بالمال والجمال ولما بالغ سبحانه
في عتاب نسا النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن النميمة اكراما له صلى الله عليه
وسلم اتبع ذلك امر الامة بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى متبعا لهذه
الموعظة الحاصلة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب
فالاقرب يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك قوا انفسكم اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي
به صلى الله عليه وسلم في ترك المعاصي وفعل الطاعات وفي ادبه مع الخلق والخالق
واهليكم اي من النسا والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم نارا بالنصح والتاديب
ليكونوا متخلقين باخلاق اهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد
ابن العاصي ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وفي الحديث رحم الله رجلا قال
يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مساكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معه في الجنة
وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقال صلى الله عليه وسلم
رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالماء
ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم تقم رشت
على وجهه من الما وقال بعض العلما لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد
بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليه
الصلاة والسلام ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر
افراد ساير القرابات فيعلمه الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم حق الولد
على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ ثم بين تعالى وصف تلك
النار بقوله عز وجل وقودها اي الذي توقد به الناس اي الكفار والحجارة
كاصنامهم منها وعن ابن عباس انها حجارة الكبريت وهي اشد الاشيا حرا اذا اوقد عليها
والمعنى انها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه عليها
ملايكة خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سياتي ان شا الله تعالى في المدثر غلاظ اي
غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق
كما حبب لبني ادم اكل الطعام والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال
شداد الافعال يدفع واحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق
الله فيهم الرحمة وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد
على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد
اي اقويا قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه
وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب لا يعصون الله
اي الملك الاعلى في وقت من الاوقات وقوله تعالى ما امرهم بدل من الجلالة اي
لا يعصون امر الله وقوله تعالى ويفعلون ما يومرون تاكيد هذا ما جرى عليه
الجلال المحلي وقال الزمخشري فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى

كذا في خط المولف

الاولى

الاولى ان يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم
يودون ما يومرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصي الله ما امرهم فيما
مضى ويفعلون ما يومرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي فان قيل انه تعالى
خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبة المومنين
بذلك اجيب بان الفساق وان كانت دراكاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار
في دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت
لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي عن الارتداد والندم على الدخول
في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشري
ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر يا ايها الذين كفروا اي بالاخلال بالادب مع النبي صلى
الله عليه وسلم فاداهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى وبالادب مع ساير خلقه
لا تعتذروا اي تبالغوا في اظهار العذر وهو ايساغ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير
اليوم فانه يوم الجزا لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار
وهذا النهي لتحقق الناس انما تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة والطبع
تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال البقاعي ولا بعد
على الله في ان يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انها عمله ثم يجعل تلك الصورة
عذابه الذي يجد فيه من الالم ما علم الله تعالى انه بمقدار استحقاقه ولما بين تعالى ان
المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم امرهم بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا توبوا اي ارجعوا رجوعا تاما الى الله اي الملك الذي لا نظير له توبة
وقوله تعالى نصوحا صيغة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهي من نصح الثوب اي خاطه
فكان التايب يرفع ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم عسل ناصح اي خالص وقرا
شعبة بضم النون والباقون بفتحها تنبيه امرهم بالتوبة وهي فرض على الاعيان
في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح
اي يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد
نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب
ويمسك بالبدن وعن حوشب انه لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن السماك
ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله تعالى امام عينيك وتستعد لمنتظرك
وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس ونصيحة المومنين لان من صحت توبته
احب ان يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون فيها انفسهم وقال
القرطبي يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود
بالجنان ومهاجرة سيي الاخوان وقال الفقها التوبة التي لا تعلق بحق ادمي فيها
لها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية وثانيها ان يندم على ما فعل وثالثها
ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد
شرط منها لم تصح توبته وان كانت تتعلق بادمي شروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة
والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت

وان كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب العفو عنه وان كانت غيبة استحله
منها قال العلما التوبة واجبة من كل ذنب معصية كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز
تاخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي عليه
الذي لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وعن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة وعن ابي
موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن علي انه سمع اعرابيا يقول
اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين
قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود وان تذيب نفسك في طاعة
الله كما اذبتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن حذيفة يحسب الرجل من الشر ان يتوب من ذنب ثم لا يعود وقوله تعالى عسى ربكم
اي المحسن اليكم ان يكفر اي يغطي تغطية عظيمة عنكم سيئاتكم اي ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع
من الله تعالى في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التائب على خطر
فما ظنك بالمصر ولكن الفضل واسع ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار
بقوله تعالى ويدخلكم اي يوم الفصل جنات اي بساتين كثيرة الاشجار تستر داخلها تجري
من تحتها اي تحت غرفها واشجارها الانهار فهي لا تزال ريا وقوله تعالى
يوم لا يخزي الله اي الملك الاعظم النبي اي الذي نباه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة
من الاخبار التي هي في غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب
اي لا يعذبه وقوله تعالى والذين امنوا معه يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا
على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم مستانفا او حالا الثاني ان يكون مبتدا وخبره نورهم يسعى الى اخره وقوله تعالى
يقولون خبر ثان او حال تنبيه التقييد بالايمان لا ينفي ان لهم نورا عن شمايلهم بل لهم
نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين واما من اهل اليمين فهم يمشون في هاتين
الجهتين ويوتون صحايف اعمالهم منهما واما اصحاب الشمال فيعطونها من وراء ظهورهم
ومن شمايلهم وهم بما لهم من النور ان قالوا سمع لهم وان شفعوا شفعوا ربنا
اي ايها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير كنا او يكون فيه اتمم لنا نورنا اي الذي مننت
به علينا حتى يكون في غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك كما طفي نور المنافقين
اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله تعالى كقوله تعالى
واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقول ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر
ما يبصرون مواطي اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل

السابقون

السابقون الى الجنة تمر ومنهم كالريح ومنهم كالطير وشد الرجال تجري بهم اعمالهم حتى ان منهم لمن يمر على الصراط زحفا فاما ذلك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا اي واجعل عملنا كاملا يقصر كما يميل بنا الى الحوال المنافقين عنه وانى وهذا النور من ظهور اعمالهم في الدنيا والاخرة تظهر فيها حقايق الاشياء وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي ضرب به بين ظهراني جهنم لان الفضائل في الدنيا متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة تكتنفها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على ما امر به من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن اماله الشهوات طغى نوره في بعض الاوقات واختطفته كالاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق نظير نور المؤمن بكلمة التوحيد فاذا مشى طفى لانه اقراره لا حقيقة له ءالك اي وحدك على كل شيء على ذهاب الحسنة فيه قدير اي بالغ القدرة والذكر ما تقدم من التنبيه صلى الله عليه وسلم لاضعف الناس انها وحسن ادبه وكرم عشرته لانه محمول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم امره سبحانه بالغلظة والشدة على اعدائه بقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار اي بكل ما عهدهم فيكلفهم من السيف وما دونه من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف ان ذلك الذي لاهل الله انما هو من تمام عقلك وعزيز علمك وفضلك والمنافقين اي جاهدهم بما تلزمهم به من الحجة والسيف ان احتيج اليه ان ابدوا نوع مظاهرة وعرفهم احوالهم في الاخرة فانهم لا يقربهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهدهم باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهم والغلظة عليهم من الذين يهم تعالى كما ان الذين آمنوا من خشية الله وقرأ الحسن واهجرهن بضم الهاء والباقون بكسرها ومأواهم اي في الاخرة جهنم وبئس المصير اي هي والمكان للكفار وقرابات المسلمين ربما توهم انها تنفعهم والمسلمين قرابات الكفار ربما توهم انها تضرهم ضرب مثلا وبدأ بالاول فقال تعالى ضرب الله اي بالغ الذي احاط بكل شيء علما وقدرة مثلا يعلم به من فيه قابلية العلم وينتظم به من له اهلية الالتفات للذين كفروا اي عطفوا الحق على انفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى امرأت نوح عليه السلام الذي اهلك الله تعالى من كذبه بالغرق وامرأت لوط عليه السلام الذي اهلك الله تعالى من كذبه بالخسف والاعراف يجوز ان يكون بدلا من قوله مثلا على تقدير حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امرأة نوح وامرأة لوط ويجوز ان يكونا مفعولين لقوله ضرب الله هذا المثل تسلية على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الآخرة اذا مرقت بينهما الدين قال ابن عباس كانتا تحتان عبدين من عباد الله صالحين فخانتا زوجيهما وكان اسم امرأة نوح واهلة واسم امرأة لوط والغة وقال الضحاك عن عائشة ان جبريل عليه السلام ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فاخبر ان اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة بتنكيد رسمت امرأت في الثلاثة وابنت بالتاء المرسومة وقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وقوله تعالى كانتا اي مع كونهما كافرتين تحت عبدين جليلين مستبعدتين كانهما لنفس الضرب المثل ولم يات بضميرهما فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاوصاف الشريفة قال القاضي ءالله على الانبياء عبدها فانه اشرف اسمائي ءه

ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى من عبادنا ووصفهما باجل الصفات
وهو قوله تعالى صالحين واختلف في معنى قوله تعالى فخانتاهما فقال عكرمة والضحاك
بالكفر وعن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت
الجبابرة من قومه وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي
قط وانما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل
خيانتهما النميمة اذا اوحيا اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت
امراة لوط اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا
عليه من اتيان الرجال فلم فتسبب عن ذلك ان العبدين الصالحين لم يغنيا عنهما
اي المراتين بحق النكاح من الله اي من عذاب الملك الذي له الامر كله فلا امر لغيره شيئا
اي من اغنا لاجل خيانتهما وقيل اي للمراتين من اذن له في القول النافذ الذي لا مرد له
ادخلا النار اذ قيل لهما ذلك عند موتهما او يوم القيمة مع الداخلين اي مع سائر
الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا فلم يغن نوح ولوط عن امراتيهما
شيا من عذاب الله تعالى وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين عايشة وحفصة
وما فرط منهما وتحذير لهما على اعلى وجه واشده وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع
بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين
فقال ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا ينفع نوح امراته ولا لوط
امراته مع قربهما لهما لكفرهما ثم شرع في ضرب المثل للثاني فقال تعالى مثلا للذين
امنوا امرات فرعون واسمها آسية وهي بنت مزاحم امنت وعملت صالحا فلم يضرها
الوصلة بالكافر بالزوجية التي هي من اعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امرئ بما كسب
رهين وانابها ربها تعالى ان جعلها في الاخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
في دار كرامته بصبرها على عبادة الله تعالى وهي في حبالة عدوه واسقط وصفه
بالعبودية دليلا على تحقيره وعدم رحمته له لانه من اعدى اعدائه وقوله تعالى
اذ قالت ظرف للمثل المحذوف اي مثلهم مثلها حين قالت رب اي ايها المحسن الي
بالهداية وانا في حبالة هذا الكافر الجبار ابن لي عندك بيتا وبيت مرادها بالعندية
فقالت في الجنة اي دار المقربين وقد اجابها سبحانه بان جعلها زوجة اكمل خلقه فكانت
معه في منزله الذي هو اعلا المنازل ونجني من فرعون اي فلا اكون عنده وعمله
اي ولا تسلطه علي بما يضرني عندك في الاخرة فلا اعمل شيا من عمله وهو شركه وقال
ابن عباس جماعة ونجني اعادت العامل تاكيدا من القوم الظالمين اي الناس الاقويا
العريقين الذين يضعون اعمالهم في غير مواضعها فاستجاب الله تعالى دعاها
واحسن اليها لاجل محبتها للمحبوب وهو كليم الله موسى عليه السلام كما يقال صديق صديقي
داخل في صداقتي وذلك ان موسى عليه السلام لما غلب السحرة امنت به فلما تبين
لفرعون ايمانها او تدبيرها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فاذا انصرفوا
عنها اظلتها الملايكة وفي القصة ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها
فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها
عن بيتها في الجنة فابصرته من مرمرة بيضا وانتزعت روحها فالقيت الصخرة

على جسد

على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى الجنة
فهي فيها تاكل وتشرب وقوله تعالى ومريم ابنت عمران عطف على امراة فرعون تسلية
للارامل التي احصنت فرجها اي عفت عن السو وجميع مقدماته كانت كالحصن
العظيم المانع من العدو فاستمرت على حالتها الى الممات فزوجها الله تعالى في الجنة
جزاها بخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين اراد بالفرج هنا
الجيب لقوله تعالى فنفخنا اي بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام
فيه اي في جيب درعها قال البقاعي او في فرجها الحقيقي وعلى هذا فلا حاجة الى التاويل
من روحنا اي من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح عيسى عليه السلام وصدقت
بكلمات ربها اي المحسن اليها واختلف في تلك الكلمات فقال مقاتل يعني بالكلمات عيسى
وانه نبي وعيسى كلمة الله وقال البغوي يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد
بكلماته المنزلة وقيل هي قول جبريل عليه السلام لها انما انا رسول ربك الاية
وعلى كل قول استحقت ان تسمى لذلك صديقة وقرا وكتبه ابو عمرو وحفص
بضم الكاف والتا جمعا والباقون بكسر الكاف وفتح التا وبعدها الف افرادا
والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزل الله تعالى على ولدها
وغيره وقوله تعالى وكانت من القانتين يجوز في من وجهان احدهما انها لابتدا
الغاية والثاني انها للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشري فقال فمن للتبعيض ويجوز
ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي
موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما وعلى ساير الانبيا والهم قال الزمخشري
فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت
من القبيلين فغلبت ذكوره على اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز ان
يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطا
من المصلين بين المغرب والعشا وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة وهي تجود بنفسها اذا قدمت على ضراتك فاقرئهن مني السلام مريم بنت عمران
واسية بنت مزاحم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كمل من نسا
العالمين اربع مريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية
بنت مزاحم امراة فرعون وروى الشيخان عن ابي موسى كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وفضل عايشة على النسا
كفضل الثريد على ساير الطعام وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع
سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية وتدعى في التورية المانعة لانها تقي
وتنجي من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها
في القبر وهي ثلاثون اية وثلثماية وثلاثون كلمة والف وثلثماية حرف بسم الله
الذي خضعت لكمال عظمته الملوك الرحيم الذي عم بنعمة الايجاد كل من في الوجود الرحمن
الذي خص اولياه بالنعيم بدار الخلود تبارك اي تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت
ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر

لدوامه **الذي بيده** اي بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره **الملك** اي له الامر والنهي وملك
السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل
من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة
تستعمل لتاكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد
وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام القدرة لانها محلها مع التنزيه عن الجارحة
وعن كل ما يفهم جارحة او يشبهها بالخلق **وهو على كل شيء** اي من الممكنات **قدير**
اي تام القدرة شبه احبح اهل السنة بهذه الاية على انه لا يوثر الا قدرة الله تعالى
وابطلوا القول بالطبايع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول
المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله تعالى وهو على كل
شيء قدير ودلت هذه الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا الهانا فاما ان يقدر
على ايجاد شيء او لا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الها وان قدر كان مقدورا لذلك
الاله الثاني شيا فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا للاله الاول لقوله وهو على كل شيء
قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا
بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا
عنهما وذلك محال وقرا وهو على كل شيء قدير وهو العزيز المقهور وهو اللطيف وما
اشبه ذلك ابو عمرو وقالون والكسائي يسكنون الهاء والباقون يضمونها وخرج بقولنا
من الممكنات انه تعالى ليس قادرا على نفسه واجاب بعضهم بان هذا عام مخصوص
ودال على تمام قدرته فقوله تعالى **الذي خلق** اي قدر واوجد **الموت والحياة** قدم الخلق
الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى القهر اقرب
كما تقدم البنات على البنين فقال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويقال قدمه لانه
اقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه وقال قتادة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا
دار حياة ثم دار موت وجعل الاخرة اما دار جزاء اما دار بقاء وعن ابي الدرداء ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاف ابن ادم راحة العمر والمرض
والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصف الموت بن عيسة كان
اقوى الدواعي له الى العمل وحكي عن ابن عباس في الكلبي في مقاتل ان الموت والحياة
اجسام فالموت في هيئة كبش ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى
بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار
ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها الا حيي ولا تطا على شيء الا حيي وهي التي
احدث السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري
عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت بمعنى النطفة والعلقة والمضغة
وخلق الحياة بمعنى خلق انسانا فنفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا
حسن يدل عليه قوله تعالى **ليبلوكم** اي يعاملكم وهو اعلم بكم من انفسكم معاملة المختبر
لاظهار ما عندكم من العمل بالاختيار **ايكم احسن عملا** اي من حيث العمل اي عمله احسن
من عمل غيره وروي عن عمر مرفوعا احسن عملا اعقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة

الله

الله وقال الفضيل بن عياضة احسن عملا اخلصه واصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال الحسن ايكم ازهد للدنيا
واترك لها وقال السدي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد خوفا وحذرا
وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة
ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء فان قيل
الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق الله تعالى
العالم بجميع الاشياء محال اجيب بان الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة
تشبه المختبر كما مرت الاشارة اليه وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل
شيء ولا يغلبه شيء الغفور اي انه مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا واثرا فعل
المبالغ في ذلك ويتلقى من اقبل اليه احسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة وقوله تعالى الذي خلق اي ابدع على هذا التقدير من غير مثال
سبق سبع سموات يجوز ان يكون تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان
يكون منعطفا عنه خبر مبتدا محذوف او مفعول فعل مقدر وقوله تعالى
طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني
انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا
ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات طباق واما ان
ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت طباقا من قولهم طابق النعل اي جعل
طبقة فوق اخرى روي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض قال البقاعي بحيث
يكون كل جزء منها مطابقا لجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال وهي
لا تكون كذلك الا بان تكون الارض كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة
من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسي
الذي هو اقربها بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء التي
فوقها بهذه النسبة وقد قرر اهل الهيئة انها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه
بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف
الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع ما لطف بنا فيما هيأ فيها لنا من المنافع
اثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد فانقطع باللجا اليه ولم يعول الا عليه في كل دفع
ونفع وسارع في مرضاته ومجابه في كل خفض ورفع نفسه دلت هذه الاية على القدرة
من وجوه احدها من حيث بقائها في جلو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة ثانيها
ان كلا منها اختص بحركة خاصة متقدرة بقدر معين من السرعة والبطو الى جهة
معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها الى قادر تام
القدرة وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن اي للسموات ولغيرها خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع البصر
ينقلب اليك البصر من تفاوت اي من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي
مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صورة وقيل المراد بذلك السموات
خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا

فيقع الخلل لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفوت وقال السدي اي من اختلاف
وعيب فيقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل من التفاوت الفطور لقوله تعالى بعد ذلك
فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل
ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكم الصانع وانه
لم يخلقها عبثا تنبيه دلت هذه الاية على كمال علم الله وذلك ان الحس دل على ان
هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله
محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله
تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة وقرا ما ترى
وهل ترى ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح
وادغم لام هل في التا ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي وقرا من تفاوت حمزة والكسائي
بغير الف بعد الفا وتشديد الواو مع الضم والباقون بالف بعد الفا وتخفيف الواو
وقوله تعالى فارجع البصر متسبب عن قوله ما ترى وقوله تعالى هل ترى جملة يجوز
ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع البصر فانظر هل ترى
وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور
جمع فطرة وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق
اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليط والتام الفطور

ثم ارجع البصر وقوله تعالى كرتين نصب على المصدر وهو مثنى لا يراد به حقيقة بل التكثير
بدليل قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب
كانه طردا بالصغار وهو حسير اي كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان
الوصفان لا ياتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك
وحنانيك ودواليك وهداديك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد بما يريدون
التكثير اي اجابة لك بعد اخرى والا لتناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير كما يفيده
اصلها وهو العطف لقرينة كقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم اي قبور كثيرة ليتم المدح وقال
ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواها والثانية
ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط وروى البغوي عن كعب
انه قال السما الدنيا موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر
او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وبين السما السابعة
والحجب السبعة صحارى من نور ثم ذكر تعالى دلالة اخرى بعد تلك الدلالة تدل على تمام
قدرته بقوله تعالى ولقد زينا بما لنا من العظمة السما الدنيا اي القربى لانها اقرب السموات
الى الارض وهي التي تشاهدونها بمصابيح جمع مصباح وهو السراج اي بنجوم متقدة
عظيمة جدا تفوت الحصر ظاهرة سائرة مضيئة زاهرة وهي الكواكب التي تنور الارض
بالليل انارة السرج التي تنورون بها سقوف دوركم وتسمى الكواكب مصابيح لاضائتها
وزينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف
الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح والتزين بها لا يمنع ان تكون مركوزة فيما فوقها من السموات

وهي

وهي تتراى لنا بحسب الصفو فجعلها لاحراس لنا من الصفا ولتلك المصابيح من شدة الاضاءة
وجعلناها اى المصابيح بما لنا من العظمة مع كونها زينة واعلاما للهداية رجوما
للشياطين اى لان نحرق لهم العادة من الحق بما لهم من الاحتراق وحراسة للسما التى هى محل
تنزل الامر بالقضا والقدر وانذاك هذا الذكر الحكيم لئلا يفسد وا باستراق السمع منها
على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم بخلط الحق الذى ضمنا بط الاديان بالباطل والرجوم
جمع رجم وهو مصدر فى الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون بابقا
على مصدريته ويقدر مضاف اى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه والشهاب
المرجوم به منفصل من نار الكوكب وهو قار فى فلكه على حاله لئلا يتقص النار يوخذ منها
وهى باقية لا تنقص ولذلك وقوع التسمية بالنجوم من لحقه الشهاب منهم قتلا او
صنع امر وخبله وقال ابو على جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهى ترجوم
لاتقى لبعدة الرجم ان يوخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب فى
مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال القائل
وما هم عنها بالحديث المرجم فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين
الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب فى اشيا هى من عظيم الابتلا وعن قتادة خلقت
النجوم لثلاث زينة للسما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير
ذلك اخطا وتكلف ما لا علم له به ونقول وظلم واعتدنا اى هيانا فى الاخرة مع هذا الذى
فى الدنيا بالنا من العظمة لهم اى للشياطين عذاب السعير اى النار التى فى غاية الاتقاد
والاخرة قال المبرد سعود النار هى مصدر وسعير مثل مقتول وقتيل وهذه
الاية تدل على ان النار مخلوقة الان لان قوله تعالى واعتدنا لهم خبر عن الماضى ولما
اخبر تعالى عن تهيئه العذاب لهم بالخصوص اخبر عن تهيته لكل عامل باعمالهم على وجه
الذى جوابهم فيه فقال عز من قايل وللذين يكفرون اى وقعوا التغطية لما من حقه
ان يظهر ويشهر من الاذعان للاله ربهم اى الذى يفرد بايجادهم والاحسان اليهم والكفر
بايجادهم له بعد الموت كفرا بما شاهدوا من اعترافهم بالعدم عذاب جهنم اى الدركة
النارية التى تلقاهم بالتهجم والعبوسة والغضب وبئس المصير اى هى اى النار المعدة
الكفار فيها اى فى نار جهنم من حيث طراح امرئ نطرحهم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة
سمعوا لها اى جهنم نفسها شهيقا اى صوتا هائلا اشد ما يكون من اول صوت الحمار لشدة
توقدها وغليانها قال ابن عباس الشهيق تحمحم عند القاء الكفار فيها كشهيق البغلة
للشعير او لاهلها على حذف مضاف كما قال عطا الشهيق للكفار اى سمعوا من انفسهم
شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق قال القرطبى الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق
وقد مضى فى سورة هود وهى تفور اى تغلى بهم ومنه قول حسان تركتم قدركم لا شئ فيها
وقدر القوم جايشة تفور قال ابن عباس تغلى بهم كغلى المراجل وقرا قالون وابو عمرو والكسائى
يسكنون الهاء والباقون بكسرها تكاد تميز اى تتقطع من الغيظ بعضها من بعض
كما يقال بكا فلان يتشقق من غيظه وقال ابن عباس تغضب فطارت شقة منه فى الارض
وشقة فى السما وقيل اراد به غيظ الغضب وقرا البزى بتشديد التا من تميز فى الوصل والسوس
على اصله بادغام الدال فى التا من الغيظ اى عليهم وقال سعيد ابن جبير تكاد تميز من الغيظ

يعني تنقطع وتنفصل بعضها من بعض وقال ابن عباس تتعرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعداء الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها وبانى جهنم القيمة تقاد الجنة بالف زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها بانه وهي من شدة الغيظ تتقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتخلع اهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم تقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو امر ان يقلع الارض وما عليها من الجبال ويصعدها في الجو فعل من غير كلفة وهذا كما اطعاها في الدنيا بتنحيرها كما في ابو داود عن ابن عمر انه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته الى ان قال ثم نفخ في اخر سجوده فقال اف اف الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم الم تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون ولما ذكر تعالى حالها اتبعه حالهم فقال تعالى **كأنها** اي جهنم **يدفع الزبانية لهم** **فوج** اي جماعة هم في غاية الاسراع والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فيما تقوت افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار **سألهم** اي ذلك الفوج **خزنتها** اي النار وهم مالك واعوانه سؤال توبيخ وتقريع **ألم يأتكم** اي في الدنيا **نذير** اي رسول يحوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب **قالوا بلى** قد جاءنا من الله والكسائي بالامالة تخفيفة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والوقف عليه كما في **فكذبنا** اي بعد ذلك **وقلنا ما نزل الله** اي الذي تدعونا اليه **من شيء** لا وحيا ولا غيره وما كفانا هذا القدر حتى قلتم **وما انتم** اي ايها الله المكذبون في تكذيبكم المراد به الجنس **الا في ضلال كبير** اي بعد عن الطريق كبير فنا العقاب التكذيب والتسفيه بالاستجهال والاستخفاف وقيل قوله تعالى انتم الا في ضلال كبير من كلام الملائكة للكفار حين اخبروا بالتكذيب **وقالوا** اي الكفار زيادة في توبيخ انفسهم **لو كنا** اي بما هو لنا من الغرض **نسمع** اي كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات **او نعقل** اي بما اداتنه الناجاشة السمع فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين **ما كنا** اي كونا ابدا **في اصحاب السعير** اي في عداد من اعدت له النار التي هي في غاية الاتقاد تنبيه في الاية اعظم فضيلة للتعقل وروى عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الكفار لو كنا نسمع الاية **فاعترفوا** اي بالفواحش في الاعتراف بخبيث لا ينفعهم الاعتراف **بذنبهم** اي في دار الجزاء كما بالفواحش في التكذيب في دار العمل والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل **فسحقا** اي فبعدا لهم من رحمة الله وهو دعاء عليهم مستجاب **لاصحاب السعير** اي الذين قضت عليهم اعمالهم بملازمتها وقال سعيد ابن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحيق وقرا الكسائي بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر اصحاب السعير اتبعهم ذكر اضدادهم بقوله تعالى **ان الذين يخشون** اي يخافون **ربهم** اي المحسن اليهم خوفا ارق قلوبهم وارفع عليهم بحيث لا يقوهم قرار من توقعهم العقوبة

كلما ازداد واطاعة ازداد واخشية يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة نابغيا اي حال كونهم
غائبين عن عذابه سبحانه او وعيده غائبا عنهم وهم غائبون عن اعين الناس فهم مع
الناس يتكلمون وقلوبهم تتسلطى منه از الخوف وسكلم بسيوف الهيبة فيتركون
المعصية حيث لا يراهم احد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة فعلى العاقل
ان يطوع نفسه لان ترجع مطمئنة بان ترضى بالله ربا بالتدخل في زمرة العبود ية بالالام
دينا البصر عريقا فيها فلا يناز ع الملك في ردايه الكبريا وازاره العظمة وناحطه الجلال
وحلية الجمال ولا ينازعه فيما يديه من الشرايع ونظم من المعارف ويحلم به على عبده
من وصايه وفرض لهم مغفرة اي عظيمة تاتي على جميع ذنوبهم واجرا اي من فضل الله
تعالى كبيرا يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدايد الالام
ويصغر في جنبه لذايذ الدنيا العظام واسروا ايها الخلايق قولكم اي جهرا كان
او سرا انه عليم بذات الصدور فانه يعلمه ويجازيكم به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر تعني
ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او عبر تم به انه اي ربكم عليم اي بالغ
العلم بذات الصدور اي بحقيقتها وكنهها وحالها وجلتها وما حدثت نفسه من الخير
والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبر
جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فنزلت اسروا
قولكم واجهروا به يعني واسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال عمر انه خطاب عام
لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد اسروا قولكم وعلمه على اي سبيل وحد قالحال واجهروا
وعلمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحذرون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت
بالنسبة الى علم الله تعالى ولما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه عالم
فقال تعالى الا يعلم من خلق اي من خلق لا بد وان يكون عالما بخلقه لان الخلق هو
الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشي لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك
المخلوق كيفيته وكميته والمعنى الا يعلم السر من خلق السر تقول انا خلقت السمن
في القلبه افلا اكون عالما في قلوب العباد قال اهل المعاني ان ثبت جعلته من اسماء
الخالق تعالى ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان ثبت جعلته من اسماء المخلوق
والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وما خلقه قال امير السيد
بينما رجل واقف الليل في سحر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل انزى الله
تعالى ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب العضبة بصوت عظم الا يعلم
من خلق وهو اي والحال انه هو اللطيف اي الذي يعلم ما بثه في القلوب الخبير
ايما البالغ العلم بالظواهر والبواطن وكيف يخفى عليه شي من الاشيا وقال ابو اسحق
الاشعر اي من اسما صفات الذات كما هو للعلم منها العلم ومعناه تعلم جميع المعلومات
ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها العليم ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف
ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شي ومنها
الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيا ومنها المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء
النور وانتشار الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك احر الحركات في كل ورقة
وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والمكان

هذا امر اعام مضاد لما امر به شاهد ابدعه بلفظه وانفته بخبره فقال مستانفا هو
اى وحده الذى جعل لكم الارض على سعتها وعظمها وحزونة كثير منها ذلولا اى مسخرة
لا تمتنع لتتوصلوا الى ما فيها من دلالة للانقياد لما تريدون منها من مشى وزرع
حبوب وغرس اشجار وغير ذلك وقيل بتسهيلها بالجبال عليها لا تزول باهلها ولو كانت متحركة
لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف
وتبرد جدا فى الشتاء تبعت فى ذكر هذه الآية بعد الآية المتقدمة تهديدا للكفرة
كقول السيد لعبده الذى اتاه اليه سرا يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس
فى هذه الدار التى وهبتها منك وكل هذا الخير الذى هيأته لك ولا تأمن تهاونى
فكأنه تعالى يقول يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فجازيكم فامشوا
هى فى ذلولا انا ذللتها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى فامشوا اى الهوينا
مستقيمين وغير مستبعدين ان تمشوا من غير صعوبة توجب لكم وقوبا او حبوا فى مناكبها
مثل لغرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المتباعدين يلتقاطهما من الفارق
شئ من البعير وابتاه عن ان يطامأ راكبه تقدمه وبعده عليه فاذا جعلها فى الذل
بحيث تمشى فى مناكبها لم ينر كبها شيا وهذا امر اباحة وقيل اظهار الامتنان وقيل
هو خبر للفظ الامر اى لكى تمشوا فى اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن
عباس وبشر بن كعب وقتادة فى مناكبها فى جبالها لان تذليلها ادل على تذليل غيرها
ولكن يستكثر فيها وتصرفا كم بذل واحتلت وتساوت استصعاب الانعام وتعذر المتعذر
لكم ذلك وروى ان بشر بن كعب كانت له سريرة فقال لها ان اخبرتنى ما مناكب
الارض فلك حريتك فقالت مناكبها جبالها فقال لها صرت حرة فاراد ان يتزوجها
فقالت ايا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد فى اطرافها
وعنه ايضا فى طرقها وفجاجها وهو قول السدى والحسن وقال الكلبى فى جوانبها
وسئل ابو الدرداء فقال ما بلغ حكى قتادة عن كعب الاحبار ان الارض اربعة وعشرون
الفا فرسخ للسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس تلاثة الاف وللعرب
الف فسبحان من ذكرهم تعالى بانه سهلها لاخراج البركات بقوله عز من قائل وكلوا ودل على
ان الرزق فوق الكفاف بقوله تعالى من رزقه اى الذى اودعه لكم فيها قال الحسن احل
لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا فى الارض ومنه اليه اى وحده النشور وهو اخراج جميع
الحيوانات التى اكلتها الارض وافسدتها تخرجها فى الوقت الذى يريده عاما كان كل منها
عليه عند الموت كما اخرج تلك الارزاق لا فرق بين هذا وقال عمر انكم لا تنالون
فيا فوز من تمكن وياهلاك من كعز فقد وانغر سلم الجمرات لعلها تنقاد كما قيل

هى النفس ما عودتها تتعود ولما لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار قال
تعالى منهدا للمكذبين ءامنتم قرا قنبل بين الواو والهمزة تقدم النشور واوا
وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون
وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى من فى السما
فيه وجوه احدها من ملكوته فى السما لانها مسكن الملائكة وثم عرشه وكرسيه واللوح
المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وامره ونواهيه والثانى ان ذلك على حذف

مضاف اي ءامنتم خالق من في السما والثالث ان في بمعنى على اي على السما كقوله ولاصلبنكم
في جذوع النخل اي على جذوع النخل وانما احتاج القايل بهذين الوجهين الى ذلك لانه
اعتقد ان من واقعة على الباري تعالى وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز
لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فامن هنا المراد بها الملايكة سكان السما وهم الذين
يتولون الرحمة والنعمة والرابع انهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا
مجسمة مشبهة انه في السما وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها
فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من يزعمون انه في السما قال الرازي هذه الاية
لا يمكن اجراوها على ظاهرها باتفاق المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السما به من جميع الجوانب
فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السما بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل
بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات والارض فلو كان فيهما مالكا لنفسه
فالمعنى اما من في السما عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من
في السما سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان
الشي الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السما تفخيم سلطان الله وتعظيم
قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل ان يخسف بكم الارض بدل من من
في السما بدل اشتمال وقال القرطبي يحتمل ان يكون المعنى ءامنتم خالق من في السما
ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وقرا من في السما ان نافع وابن كثير وابو عمرو
بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة يا في الوصل والباقون بتحقيقهما فاذا هي
اي الارض التي انتم عليها تمور اي تضطرب وهي تجري بكم وتجري هابطة في الهوا وتنكفا
الى حيث شا سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض
والتحرك وقال الرازي ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك
فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها مذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل
السافلين وقال القرطبي قال المحققون ءامنتم من فوق السما كقوله تعالى فسيحوا في الارض
اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير والاخبار في هذا الشرع صحيحة
كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره
وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود
لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الى السما لان السما مهبط الوحي ومنزل القطر
ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملايكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته
كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولانه تعالى خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها
وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الان على ما كان عليه
وقوله تعالى ام امنتم اي ايها المكذبون من في السما ان يرسل بدل من من في السما
بدل اشتمال عليكم اي من السما حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السما كما ارسلها
على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها
وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون اي عن قريب بوعد لا يخلف عند
معاينة العذاب كيف نذير اي انذاري المبلغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث
لا يستطاع ولا يتعلق الاطماع بكشف له ولا دفاع قال البقاعي وحذف اليا منه

ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد لا غاية له
بوجه ولا تحذير اي على قراءة اكثر القراء فقد قرأ ورش بالياء في الوصل فيهما دون الوقف
والباقون بغير ياء وقفا ووصلا ولقد كذب الذين من قبلهم اي كفار الامم الماضية
كقوم نوح وعاد وثمود فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما اصبتهم به من العذاب
ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى اولم يروا اجمع
القراء على القراءة هنا بالغيب لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل
واشار الى بعد الغاية بحرف النهاية فقال تعالى الى الطير وهو جمع طائر فوقهم
اي في الهواء وقوله تعالى صافات اي باسطات اجنحتهن يجوز ان يكون حالا
من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فيكون متداخلة وفوقهم
ظرف لصافات على الاول او ليروا وقوله تعالى ويقبضن عطف للفعل على الاسم
لانه بمعناه اي قابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله تعالى ان المصدقين
والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك مؤول بالفعل وقال ابو حيان وعطف
الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف
الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن فاثرن ومثل هذا العطف فصيح
وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل قابضات قلت لان
اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في السماء والاصل
في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به
على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون
منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى وقال ابو جعفر النحاس يقال
للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها فاصاب جنبيه قابض لانهما يقبضنهما
وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران ما يمسكهن
اي عن الوقوع في حال البسط والقبض الا الرحمن اي الملك الذي رحمته عامة لكل شيء
بان هياهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصائص
مفترقة هياهن للجري في الهواء انه اي الرحمن سبحانه بكل شيء بصير اي بالغ
البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فمهما اراد كان والمعنى اولم يستدلوا بثبوت
الطير في الهواء على قدرتنا ان نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى
امن مبتدأ وقوله تعالى هذا بدل من هذا وقوله تعالى الذي بدل من هذا وقوله تعالى
هو جند اي اعوان لكم صلة الذي وقوله تعالى ينصركم صفة جند من دون الرحمن
اي غيره يدفع عنكم عذابه اي لا ناصر لكم وقال ابن عباس جند لكم اي حرب ومنعة
لكم ولفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكاري اي لا جند
لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من سوى الرحمن وقرأ ابو عمرو بسكون
الراء وللدوري اختلاس الضمة ايضا والباقون بالرفع ان الكافرون اي ما الكافرون
الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان

الكفار

الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبي صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين احدهما
قوتهم بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم ان الاوثان تتوصل اليهم جميع الخيرات
وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى عليهم الاول بقوله سبحانه امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم الآية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى ام من هذا الذي يرزقكم
اي على سبيل التحديد والاستهزاء ان امسك رزقه بامساك الاسباب التي يتناعها كالمطر
ولو كان الرزق هو الموجود او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة في فمه فامسكان الله
تعالى عنه فوة الازدراد عجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي من يرزقكم اي الرزق لكم غيره بل لجوا
اي تمادوا واستغاثة لاحتياطا وشجاعة قال الراغب اللجاج التمادي في الامر مع كثرة الصوارف عنه
من عتو اي تطرو وفي لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى الفاحش
العناد ونفور اي تباعد عن الحق واستمرار على ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انه لا قوة
لاحدهم في جانب نصار ولا دفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة والغضب افمن يمشي
مكبا اي واقعا على وجهه اهدى امن يمشي سويا اي معتدلا على صراط اي
طريق مستقيم وخبر من الثاني محذوف دل عليه خبر الاول اي اهدى والمثل
في المؤمن والكافر اي ايهما اهدى وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعثر فيتكب
وبالسوي البصير وقيل المكب هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي
سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة وقال ابن عباس في الكلبي عني بالذي يمشي
مكبا على وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل عام في الكافر والمؤمن اي
ان الكافر لا يدري اي الحق احق بصوابه على باطل اي اهذا الكافر اهدى او المسلم الذي يمشي سويا
معتدلا على اصح الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرا قتادة بالسين
وقرا خلف بالاشمام اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة قل
اي يا اشرف الخلق واشفقهم عليهم مذكرا لهم بما دفع عنهم الهلاك من المفسدات
وجمع لهم من المصلحات ليرجعوا اليه ولا يتعللوا في حال من احوالهم الاعلية هو
الذي انشأكم اي ابدعكم وبث فيكم هذا النماء الذي انشأكم اي اوجدكم ودرجكم
في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم ويسركم بعد الخروج اللين
حيث كانت العدة ضعيفة عن التغذية منه وجعل لكم السمع اي لتسمعوا ما تعقله
قلوبكم فتهتدوا ووحد لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تفرده سبحانه في القلوب
لغاية التفاوت مع انه اعظم الطرق الموصلة للمعاني اليها والابصار لتنظروا اصنايعه
فتعتبروا وقدم ذكرهما لعمارتهما دينكم والافئدة اي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية
التوقد والادراك لما يدرك بغتة الحواس لتتفكروا فتعقلوا فتعملوا بما علمكم وجمعها
لكثرة التفاوت في نور الابصار وادراك الافكار قليلا ما تشكرون اي ما تستعملونها
فيما خلقت لاجله وما مزيدة والجملة مستانفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه
النعم وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم في العرفان قل هو اي وحده الذي
ذرأكم اي خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وانتم بعد ما كنتم كالذر طعاما لا صفاما في الارض

التي تعدّم انه ذلها لكم ورزقكم منها النبات وغيره **وإليه** اي وحده بعد موتكم **تحشرون** سيأفسيا الى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث للحساب فيجازي كلا بعمله **ويقولون** اي يجحدون هذا القول تحديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا **متى هذا الوعد** وزادوا في الاستهزاء بقولهم **الوعد** اي يوم القيمة والعذاب الذي يوعدونه **إن كنتم صادقين** اي في انه لابد لنا منه وانكم مخبرون عند الله فلو كان لهم بقانا لصبر لما استعجلوا هذا التهكم بادراج هذا القول القبيح ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال بقوله عز من قايل **قل** اي يا اكرم الخلق لهؤلاء المعاندين **إنما العلم** اي علم وقت قيام الساعة ونزول العذاب **عند الله** الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره **وإنما أنا نذير** اي كامل في امر الانذار التي يلزم منها البشارة لمن اطاع النذير لا وظيفة لي عند الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول الى سوالك عما لا يؤذن لي في السؤال عنه **مبين** اي بين الانذار بإقامة الادلة حتى يصير ذلك بحيث مشاهد لمن له قبول للعلم **فلما رأوه** اي العذاب بعد الحشر **زلفة** اي ذا قرب عظيم منهم **سيئت** قال ابن عباس اي اساءت **وجوه** واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال تعالى **الذين كفروا** اي اظهر السوء وغايته الكراهة في وجوه من اوقع هذا الوصف بنيته الاصلية اي احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بني للمفعول وساهنا ليست المراد فقد ليس واشم كسر السين نافع وابن عامر في الكسائي والباقون باخلاص الكسر **وقيل** اي قال لهم الخزنة تقريعا وتوبيخا **هذا الذي** اي هذا العذاب الذي **كنتم به** اي بسببه ومن اجله **تدعون** اي تتمنون وتتالون وتزعمون انكم لا تبعثون وحذف حكاية حال اتى عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها وقرا هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها **قل** اي يا اكرم الخلق لهؤلاء الذين طال تحسرهم منك وهم يتمنون هلاكك كما قال تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون **أرأيتم** اي اخبروني خبرا انتم في الوثوق به عما هو كالرؤية **إن أهلكني الله** اي اماتني بعذاب او غيره الذي ليس من الجلال والاكرام ما يعصمه ولينه وتنصر عدوه وقرا قل ارايتم في الموضعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولا غير ايضا ادخالها الفا واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة سهل الهمزة وقرا هشام بخلف عنه بالتحقيق والتسهيل **ومن معي** اي من المومنين **أو رحمنا** اي بالنصر واظهار الاسلام كما نرجوه فانجانا بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون بالسكون **فمن يجير الكافرين** اي العريقين في الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره **من عذاب أليم** اي لا مجير لهم منه **قل** اي يا خير الخلق **هو** اي الله وحده **الرحمن** الشامل الرحمة **آمنا به** اي انا دون من امن بي **وعليه** اي وحده **توكلنا** اي لانه لا شيء يدفع ولا يرحم من يريد عذابه او عذب من يريد رحمته فكل ما اجرى على ايدي خلقه من رحمة او نقمة فهو الذي اجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجوه ولا نخاف غيره **فستعلمون** اي عند معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه **من هو في ضلال مبين** اي بين لكل احد انه وقرا الكسائي بقد

السين بيا الغيبة نظرا الى قول الكافرين والباقون بتا الخطاب اما على الوعيد واما على
الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة الكسائي وهو تهديد لهم قل يا اعظم خلقنا
واعلمهم بنا ارايتم اي اخبروني اخبارا لا لبس فيه ان اصبح ماؤكم اي الذي تعدونه
في ايديكم بما نبهت عليه الاضافة غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وكان
ماؤهم من بير بن بير زمزم وبير ميمون فمن ياتيكم على ضعفكم حينئذ وافتقاركم
وانخلاع قلوبكم واضطراب افكاركم بماء معين اي جار دائم لا ينقطع وظاهر
للاعين سهل الماخذ وقال ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول
وقيل هو من معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم
بماء عذب اي لا ياتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب ان يقول القارئ
عقب معين الله رب العالمين كما في الحديث وتليت هذه الاية عند بعض المجبرين
فقال تاتي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي نعوذ بالله من الجراة على الله
وعلى اياته وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب
الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيمة من النار وادخلته الجنة
وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل
رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب
الله وهي في التورية سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطنب وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن
واما ما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الملك
فكانما احيى ليلة القدر حديث موضوع سورة ن وتسمى القلم مكية في قول الحسن وعكرمة
وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي
ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك يعلمون مدني ومن بعد
ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها
مكي قاله الماوردي وهي اثنان وخمسون اية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستا
وخمسون حرفا بسم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة فهو بكل شيء عليم الرحمن الذي
عمت نعمه ايجاده لاهل معاده البري منهم والسقيم الرحيم الذي اتم تلك النعمة
على من وفقه لطاعته فالزمه صراطه المستقيم وقوله تعالى ن كقوله تعالى ص والقران
وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا في تفسير ذلك فقال ابن عباس هو الحوت
الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى ابو طيبان
عن ابن عباس قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق
النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال
لتفخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن الاية واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل
بهموت وقال الواقدي لويتا وقال كعب لوتا وقال علي بلهوت وقالت الرواة لما
خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل
تحت الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل

سورة ن مكية وتسمى القلم

من الفردوس ثور له اربعون الف قرن وارجله الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سابع
ارض استقر قدماه جارحة فاخذ الله تعالى بافئدتهما من اعلى درجة الفردوس فغلغلها
خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور والى اذنه فاستقرت عليها قدماه وفوق ذلك
الثور جارحة من اقطار الارض ومنخراه في البحر وهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس
يمتد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لمقاوم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى
صخرة فغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي
قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم تكن الصخرة مستقرة فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت
العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسمك جسده خمسمائة عام والحوت على البحر والبحر على متن
الريح والريح على القدرة تنقل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني فكانت
قال كعب الاحبار اليس تفعل الا الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه
فقال له ابتدرهما على ظهرك يا لوبيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القتهم
عن ظهرك فهم لوبيا ان يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه
فصيح الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها الله تعالى فخرجت فهو الذي يغشى بعين انه
لينظر اليها وينظر اليه انهم بشيء من ذكر عادات الله كما كانت وقال بعضهم نون اخر حروف
الرحمن وتي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة
ويروى ايضا عن ابن عباس وقال القرطبي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ومنه قول
الشاعر اذا ما الشوق ترجع في الهوى الغث النون بالدمع السجام ويكون على هذا
اقسم بالدواة والقلم لان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة
بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون الحوت من تحت الارض السابعة عليه مكتوب فيه الملائكة ما يمرون به
رواه معاوية بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي يكتب به الملائكة وقال
عطاء وابو العالية هو افتتاح اسمه تعالى نصير ونور وناصر قال محمد بن كعب اقسم
الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال ابن عيسى هذا الحرف من حروف المعجم وابما قولهم هو الدواة
فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة اما ان يكون جنسا او علما
فان كان جنسا فابن الاعراب والتنوين وان كان علما فابن الاعراب وابهما كان فلا بد
له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان يجر وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التعبير بالحوت اما ان يراد النون من الهجاء
او يجعل علما للحوت الذي تحمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة
كذلك انتهى تنبيه في القلم المقسم به قولان احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على
كل قلم يكتب به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم يمثل
كما يمثل اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر والشاهد كانه القلم الذي جاء في الخبر
عن ابن عباس اول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر
وما هو كائن الى يوم القيمة من عمل معمول او رزق اراه فجرى القلم بما هو كائن

الى

الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله
كما بين السما والارض وروى مجاهد اول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقدر فكتب
ما هو كاين الى يوم القيمة وانما يجري في الناس على امر قد فرغ منه قال ابن عادل قال
القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الة مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون
حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة للكتابة محال
بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير
منازعة ولا مدافعة انتهى وقوله فان الجمع الى قوله محال ممنوع فان الله تعالى خلق
فيه ذلك كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال
الزمخشري اقسم بالقلم تعظيما له في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة
ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل
وانه شي هو كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار ان اول ما خلق
الله تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا
اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت
قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته
وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت
فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه
الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شي واحد
والا حصل التناقض وقال البغوي القلم هو الذي يكتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله
ما بين السما والارض ويقال اول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال
اجر بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقرا قالون وابن كثير وابو عمرو
وحفص وحمزة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو والباقون بالادغام وما
يسطرون اي الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الحفظة من اعمال بني ادم وقيل
وما يكتبون اي الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون
وما موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير
في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر
او الحفظة وقال البقاعي وما يسطرون اي قلم القدرة وجمعه واجراه مجرى اولي العلم
للتعظيم لانه فعل افعالهم والاقلام على ارادة الجنس ويجوز ان يكون الاسناد الى الكاتبين به
لما دل عليهم من ذكره واما الملائكة ان كان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ
وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى ما انت اي يا اهل المتاهلين
لخطابنا بنعمة اي بسبب انعام ربك اي المربي لك بمثل تلك الهمم العالية والسجايا الكاملة
بان خصك بالقران الذي هو الجامع لكل علم وحكمة بمجنون جواب القسم وهو نفي قال الزجاج
انت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى ذلك الجنون
بنعمة ربك كما يقال انت تحمد ربك غافل بل الذي وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون
وقال البغوي ما انت بنعمة ربك بنبوة ربك بمجنون اي انك لا تكون مجنونا وقد انعم

الله تعالى عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله
وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وروى
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه
متغيرا متلاغيا فقالت له ما لك تذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك
فهو اول ما نزل من القران قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت
معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت
خديجة الى ورقة ابن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية
فسالته فقال ارسلي الى محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا
قال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعا الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون
فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس من اول هذه السورة وقال ابن عباس
اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية هي الثانية نقله الرازي وذكر القرطبي
ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة هاهنا الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك
عليك بالايمان والنبوة وقال القرطبي يحتمل ان النعمة هاهنا قسم تقديره ما انت ونعمة
ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقال الرازي اعلم انه تعالى وصفه هاهنا
بصفات ثلاثة الاولى نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة
على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة
التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة
واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى
نبه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون الصفة
الثانية قوله تعالى وان لك اي على ما تحملت من اثقال النبوة وعلى صبرك عليهم
فيما يرومونك به وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم لاجرا اي ثوابا غير ممنون اي
مقطوع ولا منقوص في دنيا ولا اخرة يقال مان الشي اذا ضعف ويقال منت
الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد عبسا كواسب لا يمن
طعامها اي لا يقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير محدود وقال مجاهد
ومقاتل والكلبي غير ممنون اي محسوب عليك قال الزمخشري لانه ثواب تستوجبه
على عملك وليس بتفضل ابتدا وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال انتهى وهذا
قول المعتزلة فان الله تعالى لا يجب عليه شي وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك
اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شي حصل فقيل معناه ما مر وقيل معناه
وان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دايما وقيل ان لك في اظهار
النبوة والمعجزات وفي دعا الخلق الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم
فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة
العالية الصفة الثالثة قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتمال

الممضات

الممصات من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم قال ابن عباس ومجاهد على خلق
على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة
ان خلقه كان القران وقال علي هو ادب القران وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال
قتادة هو ما كان يأتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله تعالى عنه وقيل انك
على طبع كريم وقيل هو الخلق الذي انزل الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذه
الانسان في نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع
عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال
القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه
صلى الله عليه وسلم فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات قال الرازي وهذا اشارة
الى ان نفسه القدسية كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب فالى كل ما يتعلق بها وكانت
شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى
الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال
الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وعن ابي
اسحق قال سمعت البرا يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها واحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن انس بن
مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط
وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عنبرا كان اطيب من عرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا وعن انس ان امراة عرضت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله
ان لي اليك حاجة فقال يا ام فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك
قال ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضت حاجتها
وعن انس بن مالك قال كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن انس ايضا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف
وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وعن عائشة قالت
ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
ولا ضرب خادما ولا امراة وعنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في
امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم

رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن
انس قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية
فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال
الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له
بعطاء وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان
لي اخ يقال له ابا عمير وهو فطيم كان اذا جانا قال يا ابا عمير ما فعل النغير
النغير كان يلعب به والنغر طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار
وعن الاسود قال قالت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
في بيته قالت كان في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة توضا وخرج الى الصلاة
والمهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحارث قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ام الدرداء تحدث عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله ليضع في ميزان المومن يوم القيمة خلق حسن وان الله
يبغض الفاحش البذي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
اتدرون اكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس
النار الاجوفان الفرج والفم اتدرون اكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله
اعلم قال اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عايشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه
درجة قائم الليل وصائم النهار فستبصر اي فستعلم عن قريب بعد لا خلف فيه
علما انت في تخفقه كالمبصر بالحس الباصر ويبصرون اي يعلم الذين ضلوا بالتهتان
عليما هو كذلك وقوله تعالى بايكم المفتون فيه اوجه احدها ان الباء مزيدة في المبتدا
والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة
قال ابن عادل الا انه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدا الا في نحو بحسبك فقط
الثاني ان الباء بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى في اي فرقة
وطايفة منكم المفتون اي المجنون اي في فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار واليه
ذهب مجاهد والضحاك والثالث انه محذوف مضاف اي بامكم فتن المفتون فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سببية
والرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم
المفتون وقيل المفتون المعذب من قولهم فتنت الذهب بالنار اذا
حميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقيل الشيطان لانه
مفتون في دينه وكانوا يقولون له به شيطان وعنوا بالمجنون هذا فعال
تعالى سيعلمون عند اتيانهم الشيطان الذي يحصل من متعاطي الجنون واختلاط
العقل فايدة باييكم رسمت صابيا بين ان تبدا اي الذي هاك احسن بنية
وفضلك على سائر الخلايق سوا اي وجه اعلم اي من كل احد بمن ضل اي حاد عن سبيله
اي دينه وسلك غير سبيل القصد واخطا موضع الرشد وهو اي وجه اعلم بالمهتدين

اى لو تغفل عن التكذيب اى انت الثابت على الهدى وهو اولا الاحلام والنهى اى لذوى العلم فعلى عالم فقوله تعالى وهو اعلم به وهو ملكوم وهو مبدأ معلوم قراءة قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى فلا تطع المكذبين اى الم تغفل عن التكذيب وهم ستركوا ملة ابائهم كانوا يدعونه الى دين ابائه فنهاه ان يطيعهم تهييج للتصميم على معاداتهم ودوا اى تمنوا واحبوا محبة واسعة متجاوزة للحد فلذلك يتبع الاستمرار عاد لك لئن مصدرية تدهن فيدهنون قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبى لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائى فيناقفون ويراؤن وقال ابن قتيبة المراد واعلى ان يعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن العربى ذكر المفسرون فى ذلك نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبى كلها ان شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى بيننا فى رفع فيدهنون وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا فى حيز لو والثانى انه خبر مبتدا مضمر اى فهم يدهنون وقال الزمخشرى فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب جوابا للتمنى قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يومئذ بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم فى ادهانك واختلفوا فى سبب نزول قوله تعالى ولا تطع كل حلاف اى كثير الحلف بالباطل فقال مقاتل يعنى الوليد بن المغيرة عرض على النبى صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه اياه فرجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخنس بن شريق لانه حليف ملصق فى بنى زهرة فلذلك يسمى زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث مهين اى ضعيف حقير وقيل هو فعيل من المهانة وهى قلة الراى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكار فى الشر وقال الكلبى المهين الفاجر هماز اى كثير العيب للناس وعيبهم وقال الحسن هو الذى يغتاب باخيه فى المجلس وقال ابن زيد الهماز الذى يذكر الناس بسوء وجوههم واللماز الذى يذكرهم فى غيبتهم وقال مقاتل يأكل لحوم الناس ويقال سيرة هذا سوا وبحوه عن ابن عباس وقتادة مشاء اى كثير المشى بنميم اى فتان يلقى النميمة بين الناس ليفسد بينهم ينقل ما قاله الانسان فى اخر وادا غمة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد البين مبالغ فى ذلك مناع اى كثير المنع شديده للخير اى كل خير من المال والايمان وغير ذلك من نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع للخير اى الاسلام يمنع قومه وعشيرته من الاسلام وقال رجل من الوليد يقول لئن فى حل واحد منكم ودين محمد لانفعنه بشى ابدا معتد اى ياتى التجاوز للحدود فى كل شى اثيم اى مبالغ فى ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب فى المعاصى ويتعاطاها ويدع الطاعات ويزهد فيها عتل العتل الغليظ الجافى وقال الحسن هو الفاحش الخلق اللئيم الخائن وقال السدى هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وكل شديد

عند العرب عتل واصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال ابو عبيد بن عمر العتل
الاكول الشروب القوي الشديد الذي لا يورث في الميزان شعيرة تدفع الملائكة اولئك
سبعين الف دفعة واحدة بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم
وهو الدعي الملصق بالقوم وليس لهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو
دعي قريش وقال من العدائي انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم
الذي له زنمة كزنمة الشاة وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الآية
ثلث فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت زنمة في عنقه يعرف بها وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد
زنيم كانت له سنة اصابع في يده في كل يد اصبع وقال ابن قتيبة لا نعلم
ان الله تعالى وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة
ولحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة وعن خارجة بن عبد الحارثي عن خال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ
زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكبير اللحيم المختال في مشيه وقيل القصير
البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملحق في انسابهم القوم وكان الوليد دعيا في قريش
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ... بغي الام ذو حسب لئيم

قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت
خبثت الولد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولد
ولا ولد ولد وقال عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يوم
القيمة يحشرون في صورة القردة والخنازير لعلم مراده بعدم الدخول يعني
مع السابقين والا فهم صائرون دخل الجنة وقالت ميمونة سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا افشى فيهم ولد
الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا فاخط المطر قال
القرطبي ويعظم المفسرين ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعن على
حسبا ثلاثة ايام ويقول الا ايوقدن احد تحت برمة الا ابرحين احد يذكر عيبا الا من اراد
الحيس وليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا والبر والا يعطي
المسكين درهما واحدا وقيل مشاء للخير ومنه نزل ويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة ولما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا منقلصا زائلا لا ينفخر به
او لا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف فاذا كان في كل كبر همة ويبلغ عليها ثم له
الترفع على الخلق والتكبر على العباد قال تعالى اي لاجل ان كان ساعيا هذا
الموصوف ذا مال اي مذكورا بالكثرة وبنين انعما عليه بهما فصار يطاع لاجلهما
فكما يحث عبد على شكر ما يسبغ عليه من النعم اذا تلى اي تذكر على سبيل المتابعة عليه ولو كان
ذلك على سبيل التخصيص له آياتنا اي العلامات الدالة دلالة بينة في غاية الظهور على الملك
الاعلى وعلى ما له من صفات العظمة اي العلامات الدالة دلالة بينة في غاية الظهور

على الملك الاعلى وعلى ماله من صفات العظمة قال اي فاجاه من غير تامل ولا توقف عوضا
عن شكرنا اساطير جمع سطور جمع سطر الاولين اي اشيا مسطورها ودونوها وفرغوا
منها فحمله دنى طبعه على تكثره بالمال فورطه في التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل
الكفر موضع الشكر ولم يستحي من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه فاعرض عن الشكر ووضع
موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد
الى ما هو عند العاقل او هي من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده كاف
في الاتصاف بالرسوخ في الدناة وقرا ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين
وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة بتحقيقهما وهشام على اصله يدخل بينهما الفا
والباقون بهمزة واحدة مفتوحة قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين
فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدا ان كان على معنى
لان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين تقول اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر
ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن
قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير
يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين ولا يعمل في اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف
الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا
يعمل فيما قبل الجزا اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون
بعد الشرط فيصير مقدما موخرا في حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه
لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف
على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز
ان يتعلق بقوله تعالى مشا بنميم والتقدير يمشي بنميم لانه كان ذا مال وبنين واجاز
ابو علي ان يتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم سنسمه
اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها على الخرطوم اي الانف يعبر بها ما عاش قال
ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر
بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة
والاستخفاف وقال سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائي
سنكويه على وجهه وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود
وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فهي علامة ظاهرة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت
هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع
الشفة وخراطيم القوم سادتهم قال الفرا وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه
في معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال الطبري تبين امره تبيانا
واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة

BUIAC

ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بغيت على وجه الدهر ولا يعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر
محبوب احد ما بلغ منه فلحق به عار الافتقار فيه في الدنيا وفي الآخرة كالوسم على الخرطوم
ومثل ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار
وقال النضر من يستعمل المعنى يستحق على ضرب الخمر والخرطوم الخمر وجعد خراطيم
قال الزجاج كما لم يختر ذكر هذا التقسيم وقيل الخرطوم كما قيل لها السلافة وبنى
ما سلف من عصر العنب او لانها تطرح في الحياشيم تنبيه الانف اكرم موضع
من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة
وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقال في الدليل جدع انفه
ورغم انفه فغيّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان الشمة على الوجه
شين واذلال فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعن في وجوههما
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكويتما وجوهكما فوسمهما في جواعرها ولما
ذكر تعالى في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختمها بمن
من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراء اعادة ذكر الابتلاء واكده بقوله تعالى
انا اي بما لنا من القهر والغلبة بلوناهم اي عاملناهم معاملة من بلونا احواله
المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فعرضهم كذلك وظنوا انهم اصحاب ومن فتنا على ملكهم
اعد اماشتهاتهم وشبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى التشفه والحنوث وكان ابتلاؤنا
لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف كما بلونا
اصحاب الجنة اختبرنا اصحاب الجنة بان عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن وحاصله
انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب
وانه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لانها كانت شهيرة عندهم وبنى بستان عظيم كان دون
صنعا بفرسخين يقال له الصروان وطاوه اهل الطريق كان صاحبها يأذن للفقراء وقت
الصرام ويترك لهم ما اخطأ المنجل او الغنة الريح او يقعد عن البساط الذي يبسط تحت
النخلة مكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات تسلم بنوه بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر ويحرمنا وعيالنا فحلفوا على ان يجدوها قبل الشمس حتى
لا تاتي الفقراء الا وهم فراغهم وذلك معنى قوله تعالى اذ حلفوا اقسموا ودل على تاكيد
القسم بالتاكيد فقال ليصرمنها عبر به عن الجداد تأكيدا لانه على القطع البات المتناهل
المانع للفقراء من الصرام الذي يعرض على من الجدي ليلا موضع او من الصرام للقطاعة
التي لا ما بها في الكافة القليلة الذين مصبحين اي داخلين في اول وقت الصباح
ليلا يشعر بهم المتناكلين فلا يعطوهم منها ما كان انوهم يتصدق به عليهم منها
ولا اي والحال انهم يستثنون في يمينهاي ولا يقولون ان شاء الله فان قيل لم يستثنوا
وانما هو شرط اجيب بانه سمي استثناء لانه اخراج لشيء يكون داخلا عن المذكور او لا
وكان الاصل فيه الا ان يشاء الله والحق بهذا ان شاء الله رجوعه اليه في ايجاد الحلف اي فتسبب
عن فعلهم هذا ان طاف عليها اي جنتهم طائف اي عذاب مهلك يحيط وطوفان آخر فتنها
ليلا لم تدع منها شيئا والطائف على غير السر وقال القاهوا امر الدنيا ثم ليلا ورد عليهم بقوله
اذ اسمعهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى من ربك يجوز ان يتعلق

بطاف وان يتعلق بمحذوف وفي صفة الطائف عليكم اي والحال ان اصحاب الجنة المقسم بهم
وقت ارسال الطائف فاصبحت اي فانتسب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر
الذي لا يغفل ولا ينام عملا من لا يزال آسفا على الحرث واللوم فعلا او قوة كالصريم اي كالاسحم
الذي صرم عنه ثمرها او كالليل المظلم الاسود لانه يقال للصريم لسواده والصريم ايضا النهار
بوجه او كالليل الذي انقطع ما بينه وبين قاصده فلا وصول له اليه
وقيل الصحيح لانه اخرج من الفعل قاله الاخفش فهو من الاضداد وقيل كالرماد
الاسود ليس بها ثمرة تلمع خرجه قاله ابن عباس لان ذلك الطائف اتلفها فلم يدع
فيها شيئا لانهم طلبوا الكمال فلم تركوه بما منع عنه الطوارق لضد ما كان لابيهم من عمر
عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع احواله قال القرطبي في الآية دليل
على ان العزم مما تواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فوقبوا قبل
فعلهم ونظير قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد نظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه
وهذا محمول على العزم المصمم اما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يواخذ به فصاروا
مصبحين اي في حال اولى دخولهم في الاصباح وقوله تعالى ان اغدوا اي بكروا جدا
متكلين ومستولين وقادرين يجوز ان يكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو
بمعنى القول على حرثكم اي محل فايدكم الذي اصلحتموه ونفستم فيه فلا يستحقه غيركم
فانطلقوا اي تقاولوا فيما بينهم ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين اي مريد من القطع وجواب الشرط دل
عليه ما قبله اي فاغدوا عليه ويجوز ان يكون ان المصدرية اي بتاد واهذا الكلام يشبه
مقتضى كلام الزمخشري ان غدا متعد في الاصل بالى فاحتاج الى تاويل فعدوه بعلى
قال ابن عادل وفيه نظر لورود تعديته بعلى في غير موضع كقوله وقد اغدو
على ثبة تشاوى واحد من الماشيا واذا اتوا قد غدوا امر اذفه بعلى والمعروف بها
وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بضمها وانقفوا على الابتداء
بالهمزة بالضم فانطلقوا اي تنسب هذا الحث عقيبه كانهم كانوا منتهضين بهم اي
والحال انهم يتخافتون اي يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية السر
كانهم داهبون الى سوقه من دار بهم في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهدوء
وخف او خفت وخفت ثلاثتها في تعقيب الكتم ومنه الخفدود الخفاش ثم
فسر ما يتخافتون به بقوله تعالى ان لا يدخلنها والا هنا مقطوعة كما تقرر
واكدوه لانه لا يصدق ان احدا يصل الى هذه الوقاحة وان حدا ايجاوا من تحايل
اليوم اي في جميع النهار عادل عليه نزع الخافض لتكرر واعليه مرارا وتغدوا
فلانتدعوا به ثمرة واحدة ولا موضعا يطمع بسببه احد في قصدكم عليكم

وانتم بها مسكين وهو نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي انفسهم ان لا يدعوه يدخل
عليهم اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ها هنا فقال لهم اوسطهم
سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا بما يدل عليه ما ياتي لا تقولوا هكذا واصنعوا
من الاحسان ما كان يصنع ابوكم قال البقاعي وكانه طواه سبحانه لانه مع
الدلالة عليه بما ياتي لم يوثر شيا وغدوا اي ساروا اليها غدوة على حرد اي
منع للمساكين قال ابو عبيدة على حرد اي منع من حادرت الابل حرادا اي قل
لبنها والحدود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها
وقال الشعبي وسفيان على خفق وغضب من المساكين وعن ابن عباس
على قدرة قادرين عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد اي
بدليل عدم استثنائهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن ان يكون
مع الخلف فعل من لا كقوله وقال الحسن وقتادة على جد وجهد وقال القرطبي وعكرمة
على امر مجتمع ودل على قربها من منزلهم بالفا فقال تعالى فلما راوها اي بعد
مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها اثر قالوا انا لضالون اي عن طريق
جنتنا لانها صارت لسوء حالها من ذلك الطايف بعيدة من حال ما كانت عليه
عند تواعدهم وتغيير نياتهم فادهشهم منظرها وجبرهم خبرها واكدوا لان
ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم بها وكثرة ملابستهم لها ولما انجلى ما ادهشهم
في الحال قالوا مضربين عن الضلال بل نحن محرومون اي ثابت حرماننا
مما كنا فيه من الخير الذي لم تغب عنه الا سواد الليل فحرمنا الله تعالى اياه بما عزمنا
عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقرا
الكسائي بادغام اللام في النون والباقون بالاظهار قال اوسطهم اي رايا
وعقلا وسنا وفضلا منكرا عليهم الم اقل لكم اي ما فعلتموه لا ينبغي وان الله
تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه وحاد كرلا اي هلا ولم لا تسبحون اي
تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا
تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل الاوسط كان يامرهم بالاستثنا فلم يطيعوه
قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله تعالى فقال لهم هلا تسبحون الله اي
تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال النحاس اصل التسبيح
التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا الله لان المعنى تنزيه
الله ان يكون شي الا بمشيته وقال الرازي التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل
سوء فلو دخل شي في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لنسب النقص الى قدرة
الله تعالى فقولك ان شا الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى
هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من حيث نيتكم قيل ان القوم
لما عزموا على منع الزكاة فاغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن
هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه
الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة بان قالوا اي
من غير تلعثم بما عاد عليهم من بركة ابيهم سبحان ربنا اي تنزه المحسن الينا

وقوة معرفتهم بها

التنزيه

التنزيه الاعظم عن ان يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم واكد وافتتاحه فعلهم تضمنا
لانفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا لتوبتهم انا كنا اي بما في جبلاتنا من الفساد
ظالمين اي بجاوزتنا من الحد وقيما فجبلنا من التقاسم على منع المسالين وعلى
حذها في الصباح من غير استثناء فاقبل بعضهم اي في الحال مبادرة الى الخضوع
على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا لقول هذا هذا انت اشرت
علينا بهذا الرأي ويقول ذلك بهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره
انت رغبتني في جمع المال فانا نادم واعلى انفسهم بالويل بان قالوا منادين لما شفلهم
قربه منهم وبلازمته لهم عن كل شيء يا ويلنا اي هذا وقت حضورك يا ويل
ابانا ومناد منكل لنا فانه لا ندم لنا الان غيرك والويل الهلاك والاشراف على
انا كنا اي جبلة وطبعا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء
وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها ابانا ومن قبلنا رجعوا الى
انفسهم فقالوا عسى ربنا اي الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة وباهلاك كرمها
الان نادبا لنا ان يبدلنا اي من جنتنا هذه خيرا منها بقدم لنا امر معاشنا
فتنقلب احوالنا هذه التي نحن فيها من الهموم والنكد بسرور وهذا ذه
وقرا نافع وابو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الواحدة
وتخفيف الدال انا الى ربنا اي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد ثم الاتقاء خاصة
لا الى غيره راغبون اي ناشئة رغبتنا ورجاونا الخير والاكرام وقد قيل ان الله تعالى
قبل رجوعهم واخلف عليهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان كان العنقود الواحد منها
حمله وحده من كبره البغوي رواه البغوي عن ابن مسعود وقال ابو خالد اليماني دخلت
تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وقال الحسن قول اهل الجنة
انا الى ربنا راغبون لا ادري لما كان ذلك منهم وعلى حد ما يكون من المشركين
اذا اصابتهم الشدة فتوقعت في كونهم مومنين وسيل قتادة عن اصحاب الجنة
اهم من اهل الجنة ام من اهل الجحيم النار قال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون
انهم تابوا واخلصوا حكاه الثعلبي وعلى كان المقام ملتزها يتاب من ركن الى ماله واغتر
الضعفا من عباد الله ولم يجلهم بحاله طوى ما ذكرنا انعم به عليهم وذكر ما يخوفهم
فقال تعالى مر بعبادك كذلك اي مثل هذا الذي بلونا به اصحاب الجنة من اهلاك ما كانوا
عدا انفسهم فرط غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان للعلم والاستصواب
وهددنا به اهل مكة فلم يبادروا الى التاب العذاب اي الذي حذرهم منه وخوفهم
به في الدنيا فاما اتاهم الاجل الذي قدره له اخذناهم به غير مستعجلين ولا مقصرين
لانه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت ولعذاب الاخرة اي الذي يكون فيها القضاء
اكبر اي من كل ما يتوهمون لو كانوا اي الكفار يعلمون اي لو كان لهم علم ما من عن ازهم
في وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه ولما ذكر ما لاهل الجحود الذين لا يحبون
المكيات ذكر اضدادهم فقال تعالى ملوكا الاجل اتقاهم ان للمتقين اي المعرضين
عن صفة الشقوى عند ربهم اي المحسن اليهم في موضع ندمهم اولئك وجنة اما لعهد
جنات جمع جنة وهي لغة البستان الجامع لما فيه وفي عرف الشرع مكان اجتمع فيه الشروط

SUZAC

النعيم اي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال بعضهم لما نزلت هذه الآية قال الكفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة وجاء الله تعالى بقوله سبحانه أفنجعل المسلمين اي الذين هم عريقون في الانقياد والمراد بالصلة ما امر بوصله طلبا لمرضاته فلا اختيار لهم معتدا في نفس ولا غيرها لحسن حالهم كالمجرمين اي الراسخين في قطع ما امر بالله ان يوصل وانتم لا تقرون بمثل ذلك افوذلك انكار لقولهم الكفرة فانهم كانوا يقولون ايضا ان صح ما تنعت به زعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل يكونون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا وقوله مالكم اي اي شيء حصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن الصواب كيف تحكمون اي هل عقل دعاكم الى هذا الحكم الذي يتضمن التسوية بين المسيء والمحسن بعبيده والمتسبب فيه نفحة من حكمهم واستعمادكم له واستمدادكم منه صادر عن اختلال فكر وانحراف رأي أم اي بل اي ألكم كتاب اي سماوي معروف انه من عند الله خاص بكم فيه اي لا في غيره من الكتب السماوية الاولين تدرسون اي تقرأون قراءة اتقنتم ان لكم اي خاصة على وجه التأكيد الذي لا رخصة في تركه ما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه وتسرعون وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعدها هو المدروس فيجوز ان تكون الجملة حكاية للمدروس وان تكون استينافية أم لكم أيمان اي عهود وثوائق علينا فتحكمون انا ها وقوله تعالى بالغة اي واقعة نعت لايمان وقوله تعالى الى يوم القيامة متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم الى يوم القيامة او بالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقوله تعالى ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم والمعنى بل ألكم ثوائق منا تتصل بيوم القيامة تدل على ان لكم ما تحكمون اي تحكمونه علينا من الخير في الآخرة وتطمعون ان تنالوه لاجل ايمانكم هذه فاسألهم اي المشركين بطريق التبكيت ايهم بذلك اي بما ذكر من الامر العظيم الذي يحكمون به لانفسهم من انهم يفوقون في الآخرة افضل من المؤمنين زعيم اي كفيل وضامن او سيد او رئيس او متكلم بحق او باطل لتلزم مراده بصحة ذلك أم لهم شركاء موافقون لهم في هذا القول تابعون لهم فان كانوا كذلك فليأتوا بشركائهم اي الكاملين لهم به ان كانوا اي في دعواهم صادقين اي عريقين في هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى يوم منصوب بقول تعالى فليأتوا اي فليأتوا بشركائهم يوم يكشف اي يحصل الكشف عن الهول لان المخيف وقوع الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الامور وخروجها عن حد الطوق لا كونه من معين مع انه من المعلوم انه لا فاعل هناك غيره سبحانه وتعالى عن ساق اي يشتد فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه الامر وجد في فصله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوقهن غير محتشمات فهو كناية عن هذا ولذلك ذكره فهو دليله ويقظيه انقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الحلائل فيه الدقائق من الاهوال وغيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه فتركت الساعي لها كمثل ضوء النهار ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اذكر فيكون على هذا مفعولا به

وعلى الاول

وعلى الاول لا يوقف على صادقين تنبيه علم مما تقرر ان كشف الساق كناية عن
الشدة قال الراجز عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها حمرا يبري اللحم عن عراقها
وقال الطائي اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال اخر قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر او الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع
في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة
وقال القرطبي فاما ما روي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه عز وجل يتعالى
عن الاعضاء والابعاض وان ينكشف ويتغطى ومعناه ان يكشف عن العظيم من امره
وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروى ابو بردة عن ابي موسى
قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة مثل
لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل
التوحيد فيقال لهم ما تنظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده
في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم
تروه قالوا انه لا شبه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخرون له
سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود
فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون اي من داعي الى السجود
توبيخا على تركه الان وتنديما وتعنيفا لا تعبدا وتكليفا فيريدونه ليفدوا
انفسهم مما يريدون من المخاوف فلا اي فتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون لانهم
غير سالمين لا اعضاء لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم فيقول الله تعالى اي
للساجدين عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود
والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت هذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال
الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة ايمان فقال
ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا واما غير الساجدين
فعن ابن مسعود تغفم اصلابهم اي ترد عظامها بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع
والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة وقوله تعالى
خاشعة حال من مرفوع يدعون وقوله تعالى ابصارهم فاعل به ونسب الخضوع
للابصار لان ما في القلب يعرف في العين وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود
ووجوههم اضوء من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سود مظلمة ترهقهم
اي تغشاهم ذلة اي عظيمة لانهم استعملوا الاعضاء التي اعطاهموها سبحانه ليتقربوا
بها في دار العمل اي في غير طاعته وقد اي والحال انهم كانوا يدعون الى السجود اي في الدنيا
من كل داع يدعو الينا وقال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة
فيابون وقوله تعالى وهم سالمون اي معافون اصحاء حال من مرفوع يدعون الثانية
وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار

الملك الديان حم

والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات والمحوف الكفار يعظمه يوم القيامة
زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته من النهر فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذرني اي اتركني على اي حالة الفقت ومن خلقت اي يوقع التكذيب لمن يتلو ما حدثت
انزاله من كلامي القديم على اي حالة كان ايقاعه وافرد الضمير نصا على تهديد كل واحد
من المكذبين بهذا الحديث اي القرآن اي خل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك به فانا كفيك
امرهم لانه لا مانع منه فلا تهتم به اصلا سنستدرجهم اي سنأخذهم
بغتة شيئا على التدريج لا على غرة اي عذاب لا شك فيه من حيث اي من جهات
لا يعلمون اي لا يتحدد لهم علم ما في وقت من الاوقات فعذبوا يوم بدر وقال
ابو رزين كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال
سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كلما جدد
بالاحسان اليه وكلما مقتوه بالثناء عليه وكلما عصوه بالشكر عليه وقال ابن عباس
استدراجهم ورد ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني
فاوحى الله تعالى الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر احمد
عنك وفضيحة قلبك ما استدرجتك مني وعقوبته لو عقلت هو الاستدراج
ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى حال والتدرج منه قيل درجات وهي
مترلة بعد مترلة واستدرج فلان فلانا اي استنزح ما عنده قليلا قليلا وقال
ورجه الكذا واستدرجه بمعنى اذا له منه على التدريج فتدرج ومعنى الآية انا لما
انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك لانعام تفضلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة
سبب هلاكهم واملي لهم اي امهلهم واطيل المدة كقوله تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان
الليل والنهار وقيل لاعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصور الارض
الواسعة سميت به لامتدادها ان كيدي اي ستري لاسبابه الهلاك عمن اريد
اهلاكه وابدائي ذلك لهم في ملابس الاحسان متين اي قوي شديد فلا يقوى
احد وسمى احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه
بالمتانة لقوة اثر استحكامه في التسبب للهلاك او منه لهم انت يا اعف
الخلق واعلاهم همما ادرا بما تبليغ الرسالة نفوسا فتسبعد عن ذلك وتعقب
انهم من غرامة كلفتهم بها مثقلون اي تثقل حمل الغرامات عليهم
في بذل المال فمنعهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك
بل يستحبون بالايمان عاجل امر الارض ويصدون الجنات النعيم ام عندهم اي
خاصة الغيب اي علمه من اللوح المحفوظ او غيره فهم اي بسبب ذلك يكتبون
اي ما يريدون من ان لهم ما يحبون اقاموا على ان محمدا الذكر ليس من عند الله او
على انهم لا يدرون بما يجيء به فتقدر على من عند الله لا استهوتهم في ذلك عادتهم
واستبعادهم ان يحدث لهم امر خارج عن العادة فاصبر اي اصبر
ايها الصبر واوجد على كل ما تقول لتنفيذه وعلى غير ذلك من كل ما تسمع منهم
ومن غيرهم من سمر الغضب لحكم ربك اي للقضاء الذي قضاه وقدره الحكم لك

الذبيح

الذي اكرمك بما اكرمك به من الرسالة والزمك بما الزمك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب
ومدلهم على ذلك في الاجل واوسع عليهم النعم واخرها وعدك به من النصر وقال ابن بحر
فاصبر لنصر ربك وقيل ان ذلك منسوخ بآية السيف وقال قتادة ان الله تعالى
يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل ولا تكن اي ولا يكن حالك
يا اشرف الخلق في الضجر والعجلة كصاحب اي كحال صاحب الحوت وهو يونس
عليه السلام وقوله تعالى اذ منصوب بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك
كحاله او قصتك كقصته حين نادى اي ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة
ما يحيط به من الجثة وظلمة اللج لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ويدل على المحذوف
ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب على احوالها وصفاتها وقوله تعالى وهو مكظوم
جملة حالية من الضمير في نادى والمكظوم الممتلي حزنا وغيظا ومنه كظم السقاء اذا ملاه
قال ذو الرمة وانت من حب مي مضمر حزنا عالي الفؤاد قريح القلب مكظوم
وقال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملو غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد
والثاني قول عطا وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب
في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس غضبه
والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ولا تشوف الطمع
الى ما كان من امره بعد هذا الامر العجيب قال تعالى لولا ان تداركه اي ادركه ادراكا
عظيما نعمة اي عظيمة جدا تنبيه حسن تذكير الفعل كفصل الضمير في تداركه
من ربه اي الذي احسن اليه بارساله وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة وقال
الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد نداؤه
بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت
وقوله تعالى لنبذ اي لولا هذه الحالة السنية التي انعم الله تعالى عليه بها لطرح طرحا
هينا جدا بالعراء اي الارض القفر الواسعة التي لا بناء فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة
من الانس جواب لولا وقيل جوابها مقدر اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت وهو
اي والحالة انه مذموم اي ملوم على الذنب وقيل مبعد من كل خير وقال الرازي وهو
مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه الاول ان كلمة لا دالة
على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان
حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله
تعالى فاجتباه اي اختاره لرسالته ربه والفا للتعقيب قيل ان هذه الاية
نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا
وقيل اراد ان يدعو على ثقيف ثم سبب عن اجتبائه قوله تعالى فجعله
من الصالحين اي الذين رسخوا في رتبة الصلاح وصلحوا في انفسهم للنبوة والرسالة
وصلح بهم غيرهم فنبذ حينئذ بالعراء وهو محمود قال ابن عباس رد الله تعالى اليه الوحي
وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة
الف او يزيدون بسبب صبره فمن صبر اعظم من صبره كان اعظم اجرا من اجره وانت
كذلك فانت شرف للعالمين تنبيه استدل اهل السنة على ان فعل العبد خلق لله

تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لان الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه
وقال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح
اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة
وان هي المخففة اي وانه يكاد الذين كفروا اي ستروا ما قدروا عليه مما جئت به
من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ولما كانت ان مخففة
اتى باللام التي هي علمها فقال ليزلقونك بابصارهم اي ينظرون اليك نظرا شديدا
يكاد ان يصرعك من قامتك الى الارض كما يزلق الانسان فينطرح لما يتراءى في عيونهم
او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظرة
الصرع او الاكل لفعل قال القائل يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام
وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فينظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل
حجه وقيل كانت العين في بني اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به
شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة
تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتنا بلحم هذه الناقة
فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل
شيئا يوم او يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فيمر به الابل والغنم فيقول لم ار
كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا حتى يسقط منها طائفة
هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم
فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم انشد قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون
فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية وذكر الماوردي ان العرب كانوا
اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه
وماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكبر منه ولا احسن فيصيبه بعينه
فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
قال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن اسماء بنت عميس قالت يا رسول
الله ان بني جعفر تصيبهم العين افاسترقي لهم قال نعم لو كان شيء يسبق القضاء لسبقته
العين وعن الحسن ذو الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية وقرا نافع بفتح الياء والباقون
بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وازلقه يزلقه ازلاقا وقال ابن
قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك باعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما
اراد انهم ينظرون اليك لما سمعوا الذكر اي قراءة القران نظرا شديدا بالعداوة
والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم
نظر البغضاء ان يصرعوك ويقولون اي قولا لا يزالون يجددونه حسدا وبغضا على انه
لم يزدهم تمادي الزمان الا حنقا انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا
القران فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه وما هو اي القران الا ذكر للعالمين قال ابن
عباس موعظة للمؤمنين قال الجلال المحلي الانس والجن وظاهره اخراج الملائكة وهو
ما جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر الاية انه ارسل رحمة لجميع الخلائق وهو
كما قال بعض المتاخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي لما جننوه لاجل القران

بين

سورة الحاقة مكية

بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا وقوله
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين
حسن الله اخلاقهم حديث موضوع سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون
اية والف واربعة وستون حرفا بسم الله اي الذي له الكمال كله الرحمن اي الذي عم العالمين
جوده الرحيم الذي خص اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى الحاقة
مبتدا وقوله تعالى ما الحاقة مبتدا وخبر والجملة خبر الاول والاصل الحاقة
ما هي اي اي شي هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر
لانه اهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثانية المجي التي هي اتية لا ريب
فيها او التي فيها حواق الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب او التي
يحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته
جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام
الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى وما ادراك اي اي شي اعلمك ما الحاقة زيادة تعظيم
لشانها فما الاولى مبتدا وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني
لادرى بمعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث
لا تبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيمة ولكن لا علم
له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها
وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في القران وما ادراك بعد ادراه وعلمه وكل شي
قال وما يدريك فهو ما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما اراك فانه
اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي
وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر
الساعة وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل
مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى كذبت ثمود قدمهم لان بلادهم
اقرب الى قريش وواعظ القرب اكبر واهلاكهم بالصيحة وهي اشبه بصيحة النفخ
في الصور المبعثرة لما في القبور وعاد بالقارعة اي القيمة سميت بذلك لانها
تقرع قلوب العباد بالمحاقة او لانها تقرع الناس باهوالها فقال اصابتهم قوارع
الدهر اي اهواله وشدائده وقوارع القران الايات التي يقراوها الانسان اذا قرع
من الانس والجن نحو اية الكرسي كانه يقرع الشيطان وقال المبرد القارعة ماخوذة
من القرعة من رفع قوم وحط اخرين وقوارع القيمة انفطار السما بانشقاقها
والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع
الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة
العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح
وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابو اسحق هو وادي القرى وكانوا
عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل بين عمان
الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق فاما ثمود فاهلكوا
اي بايسر امر من اوامرنا بالطاغية اي الواقعة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت

منها القلوب واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة
بعث الله عليهم صيحة فماتوا بها وقال مجاهد بالذبوب وقال الحسن بالطعنات
فهي مصدر بمعنى الكائنة والعافية اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذاك
لعدم الطباق فيها وبين قوله تعالى بريح صرصر اي لا يطابق قوله تعالى بريح
هذه صرصر لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت ثمود بطغواها اهلكوا بها واحدها
قال والباء سببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة
كعملت بالقدوم **وأما عاد فاهلكوا** اي بالسوق بما يكون عليهم وبأبشر ما يكون عليه عاد
بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرصر كأنها الكرر
فيها البرد وكثر فيها يحرق شدة برد ها وقال مجاهد هي الشديدة السموم **عاتية**
اي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتو استعارة او عتت عليهم عاد فما قدروا
على رد هلاكها من استتار بين او لباذ بجبل او اختفاء في حفر فما كانت
تنزع من مكانهم فتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا دليل ولا وزن وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال ما ارسل الله سعتة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر
الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغا على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل
ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم
عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية **سخرها عليهم** ارسلها عليهم وقال مقاتل سلطها
عليهم **سبع ليال** اي لا يفتر فيها اصلا لحظة **وثمانية أيام** كذلك قال وهب هي
الايام التي تسميها العرب العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها
في عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت بيتا فتعقبها
الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب **حسوما** قال مجاهد
وقتادة متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكي وهو ابلغ في موضع
الداء المكواة حتى تبرأ ثم قيل لكل شيء يقطع عاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود قال
الكلبي حسوما دائما وقال النضر بن شميل حسمتهم فقطعتهم واهلكتهم والحسم القطع
والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شؤما كانها حسمت الخير عن اهلها
تنبيه في اعراب حسوما اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبله كما انها
ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اي يحسمهم حسوما واختلفوا في اولها فقال الحسن
غداة يوم الاحد وقال الربيع ابن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب
ابن منبه غداة يوم الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر قيل كان آخر اربعاء في الشتاء وآخره
يوم الاربعاء وقال الشعبي وهي من صبيحة الاربعاء كان يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال عند
الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتداء كان بها قطعا والا
لم تكن الليالي سبعا فتأمل ذلك انتهى وهو ظاهر ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه
قوله تعالى مصورا الحال الماضية **فترى القوم** اي الذين هم عاد في القداة من عاد ما بجا ولونه
فيها اي تلك المدة من الايام والليالي لم يبق احد منهم عنها **صرعى** اي ممددين على الارض
موتى جمع صريع وهي حال من القوم قتلى وفتلى وجريح وجرحى والضمير فيها للايام والليالي
كما مر او للبيوت او للريح قال ابن عادل والاول اظهر لعوده على ما هم **أعجاز** اي اصول **نخل**

قد شاخت وهرمت فهي في غاية التحنن خاوية اي منهدمة الاحواف ساقطة من خوى النجم
اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا اعلا من قولهم انه قالوا كانت تدخل من افواههم
فتخرج مما في اجوافهم من الحشوم من ادبارهم فالوصف بذلك لاعطم اجسامهم وتقطيع
الريح لهدم وقطعها الرؤس عن جثومهم من الحياة وتسويد اعالهم فهل ترى لها
الخاطب الجبير بالناس في جميع الاقطار لهم خصوصا واغرق في النفي وعبر بالمصدر الملحق بالها
مبالغة فقال تعالى لهم من باقية فيكون المراد بالباقية النفاكا لطاغية بمعنى الطغيان
اي من بقاء والاحسن ان يكون صفة للفرقة او طائفة او نفس او بقية ونحو ذلك وقيل
فاعله بمعنى المصدر كالعافية والعاقبة قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا
باقيا فانه ان جز بحكم انهم استبع ليال وثمانية ايام احيا في عذاب الله تعالى من الريح
فلما استوفوا في اليوم الثامن من عاتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر وذلك مفهوم
قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وعلى الله تعالى
صالحا عليه السلام ومن آمن به من بين ثمود ولم نضرهم الصاعقة وهود عليه السلام
ومن اتبعه من بين عاد لم يهلك منهم احد فذلك دلالة واضحة على ان الله تعالى عالم
العلم بالجزيئات كما انه الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا تحصل
المسلم كالمجرم والاسي كالمحسن وحوابه فهل لم يبق منهم احد وجاء فرعون اي الذي ملكه طائفة
من الارض فتجبر وادعى الالهية فعتا وقدرتنا وقوله تعالى ومن قبله قرأه ابو عمرو والكسائي
بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اي ومن عنده من تباعه وقراه الباقون بفتح القاف
وسكون الباء الموحدة على انه ظرف اي ومن تقدمه من الامم الكافرة والمؤتفكات
اي اهلها وهي قرى لوط المنقلبات باهلها حتى صارت عالية سافلها لمحصل لاهلها
من الاعتلاء بالخاطئة اي بالفعلات ذات الخطا الذي يتخطى منها الى النفس
الفعل القبيح من الافراط والتصعيد والتفريط مع الشرك وغيره لكن من انواع الفسق
ولما كانت الرسل كالفرد الواحد لاتفاق مقاصدهم في الدعاء الى الله تعالى والحمل على طاعته
قال صفتيا عن جميعهم بذلك موحدا في اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس فعصوا
اي الفعول رسول ربهم اي فخالفته كل امة من رسله المحسن اليها بايداعها من العدم
وايداعها القوى وتزيينها وبعث رسولها الارشادها اغتر الاحتمال انه والجواز
ان المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع فللتنبيه على مثل ذلك
للعهود وفصل احد الامرين عن الاخر وسببه عن العصيان فقوله تعالى فاخذهم اي بهم
اخذ قهر وغضب اخذة فلم تبق من امة منهم احدا ممن كذب الرسول فلم يكن لمن
ينصر على عدوه من الوسائل لابد ان يقوته كثير منهم وان اجتهد في الطلب وواكل
الالتئام عليه سبحانه بالجزيئات والكليات وشمول قدرته وتلك الاخذة مع كونها
بعد العظة من اتيها اخذ تهم كنفس واحدة جعلها سبحانه تابية اي عالية عليهم
زائدة في الشدة على غيرها وعلى عذاب الامم تقاعد الشيء يقعد اذا زاد ومنه
الرباة الحذق في الهضب والفضة اكثر مما اعطى والمعنى انها كانت زائدة في الشدة
على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة في القبح على افعال سائر
الكفار وقيل لان عقوبة الرؤساء متعلقة بعذاب الاخرة لقوله تعالى

اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الاخرة اشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت
تنمو وتربو ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح وهي قوله تعالى انا اي على عظمتنا لما طغى الماء
اي فزاد الحد حتى علا على اعلا جبل في الارض بقدر ما يغرق من كان عليه حين
اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا ضبطه ولا قووه بوجه من الوجوه
وقال صلى الله عليه وسلم طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى فلم يقدروا
على حبسه قال المفسرون زاد على كل شي خمسمائة ذراع وقال ابن عباس طغى الما
زمن نوح على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطرة تنزل قبله
ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل
بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتدا بهم في معصية الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من نجى من الغرق بقوله تعالى حملناكم اي في ظهور
ابائكم في الجارية اي السفينة التي جعلناها بحكمتنا غريقة في الجريان حتى كانه
لا جارية غيرها على وجه الما الذي جعلنا من شانه الاغراق والمحمول في الجارية انما هو
نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اوليك والجارية من اسما السفينة
ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية
في السفينة كقولهم في بعض الالغاز رايت جارية في بطن جارية في بطنها رجل في بطنها
جمل ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها بوحي من الله تعالى
وبحفظه له قال اجعلها كهيئة صدر الطاير ليكون ما يجري في الما مقاربا لما يجري
في الهوا واغرقنا سوى من في تلك السفينة من جميع اهل الارض من ادمي وغيره
لنجعلها اي هذه الفعلة العظيمة وهي انجا المومنين بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب
احد واهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم احد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا
عليه السلام ومن معه لكم ايها الناس تذكرة اي عبرة ودلالة على قدرته تعالى
وعظمة رحمته وقهره فيقودكم ذلك اليه ويقبل بقلوبكم عليه وقوله تعالى
وتعيها منصوب عطفا على لنجعلها اي ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم
حفظا ثابتا مستقرا كانها محوي في وعا اذن اي عظيمة النفع واعية اي من شانها
ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع
عباد الله تعالى كما كان نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة
النسل والبركة فيه حتى امتلات منه الارض والوعي الحفظ في النفس والايعا الحفظ
في الوعا قال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت
للايذان بان الوعاة فيهم قلة وفي توبيخ الناس بقلة الواعي منهم وللدلالة على
ان الاذن الواحدة اذا غفلت عن الله تعالى فهي السواد الاعظم عند الله تعالى وان
ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين انتهى وقرا نافع بسكون الذال
والباقون بضمها ولما ذكر تعالى القيمة وهو اول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع
سبحانه وتعالى في تفاصيل احوالها وبدا بذكر مقدماتها بقوله تعالى فاذا نفخ
وبني الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وان ما يتاثر عنه لا يتوقف
على نافخ معين بل من اقامه لذلك من جنده تاثر عنه ما يريده في الصور اي القرن

الذي

الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعي كانه عبر عنه به دون القران مثلا لانه
يتاثر تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردها الى اشكالها سعة فمه كما بين السما
والارض نفخة واحدة وللفصل بين الخلائق قال الزمخشري فان قلت هما نفختان فلم
قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها ثم قال فان قلت فاي النفختين
هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد
روي عنه انها الثانية قال البقاعي وظاهر السياق انها الثانية التي بها البعث
وخراب ما ذكر بعد قيامهم انسب لانه لهم اهيب وكونها الثانية احدى الروايتين
عن ابن عباس انتهى واقتصر البيضاوي على انها الاولى والجلال المحلي على انها الثانية
وهو الانسب كما قاله البقاعي ثم ان الزمخشري سال سوالا على انها النفخة الاولى
بقوله فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة
الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والوقوف للحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جئته
عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته انتهى ولما ذكر التاثير في الاحيا
اتبعه التاثير في الجمادات وبدا منها بالشغليات لملابستها للانسان فيكون عبرته
بها اكثر فقال تعالى وحملت الارض والجبال اي التي بها ثباتها حملتها الريح اذ
الملائكة او القدرة من اماكنها فدكتا اي نسخت الجملتان الارض واوتادها
وبسطت ودق بعضها ببعض دكة واحدة اي فصارتا كيبا مهيلا بايسر امر فلم يمر
شي منها من الاخر بل صارتا في غاية الاستوا ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش
في ظهره وقال الفرا لم يقل تدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة
الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة
لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى فيومئذ منصوب بوقعت
وقوله تعالى وقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل وهو ان تكون الواقعة صارت
علما بالغلبة على القيمة او الواقعة العظيمة والا فقام القايم لا يجوز اذ لا فايدة
فيه والتنوين في يومئذ للعرض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ في الصور ونوع اسما
القيمة بالحاقة والقارعة والواقعة تهويلا لها ولما ذكر تعالى تاثير العالم السفلي
ثم ذكر العلوي بقوله تعالى وانشقت السما اي هذا الجنس لشدة هول ذلك اليوم
اي انصدعت وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم
تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية اي ضعيفة
متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البنا
يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف وقيل واهية متخرقة
ماخوذ من قولهم وها السقا اذا انخرق ومن امثالهم

خل سبيل من وها سقاوه • ومن هريق بالفلاة ماوه

اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرا ابو عمرو وقالون والكسائي بسكون
الها والباقون بكسرها والملك اي هذا النوع على ارجائها اي نواحي السما واطرافها
وحواشيها لم تنشق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يامرهم الله تعالى فينزلون

فيحيطون بالارض ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا
اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السما قطعا تقف الملايكة على
تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها والارجا في اللغة النواحي والاقطار
بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصى وعصوان قال القايل
فلا ترمي بي الرجوان اني اقل القوم من نفسي قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف
عكس رجى لانه من ذوات الواو فان قيل الملايكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله
تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجا السما
اجيب من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثاني المراد
الذين استثنوا في قوله تعالى الا من شا الله وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم
فينبذوا كما تنبذ الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا الملايكة فيرجعوا
من حيث جاوا وقيل على ارجايها ينتظرون ما يومرون به في اهل النار من السوق
اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير ويدل
عليه قوله تعالى ونزل الملايكة تنزيلا قال الزمخشري فان قلت ما الفرق
بين قولك والملك وبين ان يقال والملايكة قلت الملك اعم من الملايكة الا ترى ان قولك
ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملايكة انتهى قال ابو حيان ولا يظهر
ان الملك اعم من الملايكة لان الفرد المحلى بالالف واللام فصاراه ان يكون مرادا به الجمع
المحلى ولذلك صح الاستثنا منه ثم قال ولان قوله على ارجايها يدل على الجمع
لان الواحد لا يمكن ان يكون على ارجايها في وقت واحد بل في اوقات والمراد به والله
اعلم ان الملايكة على ارجايها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجايها في اوقات ولما كان
الملك يظهر في يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال تعالى ويحمل عرش ربك اي
المحسن اليك بكل ما تريده لا سيما في ذلك اليوم بما يظهر من رفعتك على ساير الخلق
والضمير في قوله تعالى فوقهم يومئذ اي يوم وقعت الواقعة يجوز ان يعود
على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين في قوله تعالى ثمانية وقيل
يعود على جميع العالم اي ان الملايكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف
في هذه الثمانية فقال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله
تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم اهم ثمانية ام ثمانية
الاف ام ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله تعالى باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة
الاوعال وفي رواية ثمانية اوعال من الملايكة اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما
وفي حديث اخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل
وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة وعل فكيف
سموا اوعالا اجيب بان وجه الثور اذا كان له قرون الوعل اشبه الوعل
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله
تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه
ابو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس حملة العرش ما بين اخمص احدهم الى كعبه

مسيرة

مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع
القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين
موق احدهم الى مؤخر عينه خمسمائة عام وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية
اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش وفي
حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها
الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير المسرع وروي ان ارجلهن في الارض السابعة
واضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسلطان فكذلك
العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق للعرش ولحملة العرش ولا
يحيط به جهة وهو العلي العظيم وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية اربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير
العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة
التقسيم الى محسن ومسيء زاده عظما بقوله تعالى يومئذ اي اذا كان جميع ما تقدم تعرضون
اي على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في امرهم ليختار منهم المصلح
للاكرام والتقريب والمفسد للابعاد والتهذيب عبر بالعرض عن الحساب الذي
هو جزوه والمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يناقش لا تخفى منكم اي في ذلك اليوم
على احد بوجه من الوجوه وقرا حمزة والكسائي بالياء التحتية لان التانيث مجازي
والباقون بالتاء وهو ظاهر خافية اي من السرائر التي كان من حقها ان تخفى في دار الدنيا
فانه عالم بكل شيء من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال الرازي
والعرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال
القرطبي هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك
عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسايلة وتقدير
الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي
فاخذ بيمينه واخذ بشماله كما قال الله تعالى فاما من اوتي كتابه اي الذي اثبت فيه اعماله
بيمينه فيقول لما راى من سعادته تبجحا بحاله واظهارا لنعمة ربه لان الانسان
مطبوع على ان يظهر ما اتاه الله من خير تكميلا للذة قيل انه يكتب سيئاته في باطن
صحيفته وحسناته في ظاهرها فيقرا الباطن ويقرا الناس الظاهر فاذا انهاه قيل
له قد غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله هاؤم اقرؤا اي
خذوا اقرؤا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند
العرب من دلائل الفرج قال الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر ابن الخطاب وله شعاع
كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة وقال
ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فتقتدي بالي وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا ومنه
الحديث في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل لصاحبه خذ وهذا هو المشهور ولذلك فسرت

BULAC

فسرت به الآية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه
وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هاؤلا انها مركبة من ها
التنبيه وأموا امر من الام وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاؤم
وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف قال ابن عادل
فان عنى انها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح تنبيه كتابيه
منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرأوا لانه اقرب العاملين
والاصل كتابي فادخل الها لتبين فتحة اليا والها في كتابيه وحسابيه وسلطانيه
وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجرى الوصل
مجرى الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الها
وكذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القرا كلهم الا حمزة فانه حذف
الها من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها
لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل مستغنى عنها فان قيل فلم لم يفعل
ذلك في كتابيه وحسابيه اجيب بانه جمع بين اللغتين اني ظننت قال ابن عباس اي
ايقنت وعلمت وقيل ظننت بان يواخذني الله بسيئاتي عذبني فقد تفضل علي
بعفوه ولم يواخذني بها وقال الضحاك كل ظن من المومن في القران فهو يقين ومن
الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن
في هذه الاية ان المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء بربه الظن
فاساء العمل اني ملاق اي ثابت لي ثباتا لا ينفك ان القى حسابيه اي في الاخرة ولم ينكر
البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله تعالى يحاسبه
فعمل للاخرة فحقق الله تعالى رجاه وامن خوفه فعلم الان انه لا يناقش الحساب وانما
حسابه العرض وهو الحساب اليسير فضلا عن الله تعالى ونعمة فهو في عيشة
اي حالة من العيش وقوله تعالى راضية فيه ثلاثة اوجه احدها انه على النسب اي
ذات رضى نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر اي ثابت لها الرضى ودائم لها لانها
في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات باكثر من العيشة الراضية
بمعنى ان اهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضى وانه لو كان للعيشة عقل
الثاني انه على اظهار جعله العيشة راضية لمحلها وحصولها ومستحقيها وانه لو كان للعيشة
عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال ابو عبيدة والفرا ان هذا مما جا فيه فاعل بمعنى
مفعول نحو ما دافق اي مدفوق كما جا مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا
اي ساترا وقال صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون
ابدا وينعمون فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا في جنة اي بساتين
جامعة لجميع ما يراد منها عالية اي مرتفعة في المكان والمكانة والابنية والدرجات
والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالى قطوفها جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى
مفعول كالذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار واما القطف بالفتح فهو المصدر والقطافة
بالفتح والكسر وقت القطف دانية اي قريبة الماخذ سهلة التناول جدا للراكب

والقايم

والقيام والقاعد والمضطجع كل ذلك على احد سواء ايما من غير انقطاع لا كالفة على احد في تناوله شيئا من ذلك وقوله تعالى كلوا واشربوا على اضمار القول اي يقال لهم ذلك وجمع الضمير للمعنى لان قوله تعالى يا مريم اوتي كتابه لتضمن معنى الجمع وهذا امر امتنان لا امر تكليف هنيئا اي اكلا طيبا لذيذ استهيا مع البعد كل اذى وسلامة الفاقته بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا قرف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل والباء في قوله تعالى بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية اي بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واستراحتم من تعبها وعن محاهدة ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وورد يقول الله تعالى لاوليائه طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاستراحة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكلوا اليوم في نعيمكم واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الى مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول سببا يا به تشوقا الى حاله وتغبيطا بما قدمته وحسن حاله المتعقب الرد ودد تعبيرا عن اعماله بما ذكر من قياح احواله فقال تعالى واما من اوتي كتابه اي صحيفة حسابه بشماله فيقول اي الباري من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما رأى من نتايجه التي تدرها يا ليتني تمنيا للمحال لم اوت اي لم اوتي اي يا ليت موتا كنا بعده اي بعد الذي ذكر من حيايتي اعمالي وعرفني جزاءها ولم اي ويا ليتني لم ادر ما اي حقيقة حسابيه من ذكر العمال وذكر جزايه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول يا ليتها اي المرتة الاولى وان لم تكن مذكورة لان الفاظهورها كانت كالمذكورة كانت القاضية اي القاطعة لحياتي بان لا ابعث بعدها والف ما وصلت اليه فتاده تمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا عند شيء اكره من الموت وشر من الموت ما يطلبه منه الموت قال الشاعر

وشر من الموت الذي ان لقيته تمنيت منه الموت والموت اعظم

والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي وقوله ما اغنى عني ماليه يجوز ان يكون نفيا تاسفا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز ان تكون استفهاما توبيخا لنفسه حيث سولت له ما اغتر به كل سوء وكل تحال اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار الذي منعت منه الفقراء وتقطعت به على عباد الله هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس وتمكني فعيروا ذليلا وعن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن قتادة حشرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك تغلب العذر لم يفلح بعده وحين كان لا ينطق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وذكر الضحاك ان الاية الاولى نزلت في اخي الاسود عبد الله بن عبد الاسد المخزومي ولما كان كذلك قيل هذا ما قال فما يقال له اجيب بانه يقال للزبانية على سبيل التبكيت والاستهزاء خذوه ايها الزبانية الذين كان يستهزيء بهم عند سماع ذكرهم فغلوه اي اجمعوا يديه

BULAC

الى عنقه ورجليه الى وراقفاه الى ناصيته ثم الجحيم اي النار العظمى التي تجمح على من يريد
رفاعها وتحجم عنها من راها لانها في غاية الجمود والتوقد والتغيظ والتشدد صلوه
اي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى
لانه كان يتعاظم على الناس فناسب ان يصلى اعظم النيران وعبر ايضا باداة التراخي لعلو
رتبة مدخولها فقال موذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول يفيد الاختصاص
عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله
مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة انتهى لكن كلام النحاة لا يابى ما قاله ثم في سلسلة
اي عظيمة جدا وقوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا يحتمل ان يكون هذا العدد
حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج
من منخره وقيل يدخل من فيه ويخرج من دبره وقال نوف البكالي سبعون ذراعا
كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال
سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو ويحتمل ان يكون
مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان
الارهاق اشد والذي يدل على هذا ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن عن عبد الله
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل
الجمجمة ارسلت من السما الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل
الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل
ان تبلغ اصلها وقعرها وعن كعب انه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها
اجارنا الله تعالى ومحبينا منها وجميع المسلمين واشار سبحانه الى ضيقها على ما يحيط
به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى فاسلكوه اي ادخلوه بحيث يكون كانه
السلك اي الحبل الذي يدخل في ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه
او بجميع بدنه بان تلفه قال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله
في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها اقطع من ساير
مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم
وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المرة انتهى ولما ذكر سبحانه على الاجمال
عقابه اتبعه اسبابه فقال تعالى انه كان اي جبلة وطبعا فان اظهر شيا يلبس به على الضعفا
ويدلس على الاغنيا لا يؤمن اي الان ولا في مستقبل الزمان بالله اي الملك الاعلى الذي يعلم السر
واخفى العظيم اي الكامل العظم وهذا تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه
قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد اجيب بذلك وفي قوله تعالى ولا يحض اي
يحث على بذل طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين
احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القايل

اذا نزل الاضياف كان غدورا على الحي حتى تستقل مراحله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وعن ابي الدردا انه كان يحض امراته على تكثير
المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها

الباقي

الباقي بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام
المسكين ولما وصفه سبحانه باقبح العقايد واشنع الرذايل تسبب عنها قوله تعالى
فليس له اليوم ههنا اي في مجمع القيمة كله حميم اي صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كلهم له اعدا
كما انه كان لا يرق على الضعفا لما هم فيه من الاقلال من حطام الاموال ولا طعام
الا من غسلين اي غسالة اهل النار وصديدهم وقيحهم فعلين من الغسل لا يأكله
الا الخاطئون اي اصحاب الخطايا من خطي الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون لا من الخطا
المضاد للصواب وهذا الطعام يغسل ما في بطونهم من الاعيان والمعاني التي بها
قوام صاحبها وهي بمنزلة ما كانوا يشحون من اموالهم التي ابطنوها وذخروها في خزاينهم
واستاثروا بها على الضعفا فلا اقسم اي لا يقع مني اقسام بما تبصرون من المخلوقات
وما لا تبصرون منها اي بكل الموجودات واجبها وجايزها معقولها ومحسوسها لانها
لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس
والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح من ان يحتاج الى اقسام
فان كنت اقسم في غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل بهذا في الواقعة لكان حسنا
وقيل لا زايدة وجرى على ذلك الجلال المحلي انه اي القران لقول اي تلاوة رسول
اي انا ارسلته به وعني اخذه وليس فيه شي من تلقا نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا
انا شاهد بها بما له من الاعجاز الذي يشهد انه كلامي كريم اي على الله تعالى فهو في غاية الكرم
الذي هو البعد من مساوي الاخلاق باظهار معانيها كشرف النفس وشرف الاباء وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وكرم الشي اجتماع الكمالات اللايقة به فيه وقيل هو جبريل عليه السلام
قاله الحسن والكلبي لقوله تعالى رسول كريم ذي قوة واستدل للاول بقوله تعالى
وما هو بقول شاعر اي ياتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قال مقاتل سبب
نزول هذه الاية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال
وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك فان قيل كيف يكون كلاما لله تعالى
ولجبريل ولمحمد صلى الله عليه وسلم اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالله
سبحانه وتعالى اظهره في اللوح المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو بلغه للامة قليلا ما تؤمنون منصوب نعتا لمصدر او زمان
محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والناصب تؤمنون وما مزيدة للتوكيد
وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية
فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي
لا الشرعي لانهم قد صدقوا باشيا يسيرة لا تغني عنهم شيا وهو اخلاصهم بالوحدانية
عند الاضطرار وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية ولا بقول كاهن وهو المنجم الذي
يخبر عن اشيا واغلبها ليس له صحة وقوله تعالى قليلا ما تذكرون ياتي فيه ما تقدم
في قليلا ما تؤمنون وقال البغوي اراد بالقليل نفي اسلامهم وقرا قليلا ما تؤمنون
قليلا ما تذكرون ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون
بالفوقية وخفف الذال حمزة والكسائي وحفص وشددها الباقون وقوله تعالى تنزيل
خبر لمبتدا مضمر اي هو تنزيل على وجه التنجيم قال البقاعي واشار الى الرسالة الى جميع الخلق

والنعم

من اهل السموات والارض وقوله تعالى من رب العالمين اي الذي يوجدهم ويدبرهم
بالاحسان اليهم بما يفهم كل منهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتبه سبحانه
نظمه على وجه سهل على كل منهم يكفي في هدايته انتهى وهذا يدل انه صلى الله عليه وسلم
ارسل للملائكة وهو الذي ينبغي وان لم يكونوا مكلفين تشريفا لهم زيادة في شرفه بارساله
صلى الله عليه وسلم اليهم ولو تقول اي كلف نفسه ان يقول مرة من الدهر كذبا علينا
اي على ما لنا من العظمة بعض الاقاويل اي التي لم نقلها او قلناها ولم ناذن له فيها
قال الزمخشري التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المتقولة
اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول
والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله او لم ناذن له في قوله لاخذنا اي لنلنا منه اي عقابا
باليمين اي بالقوة والقدرة تنبيه الباء يجوز ان تكون على اصلها غير مزيدة والمعنى
لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل ويكون في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز
عن القوة والغلبة فان قولي كل شيء في ميامنه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
ومنه قول الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين ∴ وقال ابو جعفر
الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب ويجوز
ان تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول
صبرا يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه وقال الحسن
لقطعنا يده اليمنى وقال الزمخشري والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا
كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معالجة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر
بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده فيضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان
القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده
وان يكعجه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه انتهى وقال نعطو به
المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا
المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين
على هذا المعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق ثم لقطعنا
بما لنا من العظمة قطعا يتلاشى عنه كل قطع منه الوتين اي نياط القلب وهو عرق يتصل
به من الراس اذا انقطع مات صاحبه قال ابو زيد وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة والموتون
الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق
والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال مجاهد هو حبل
القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن
كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان
شبع عرف وقيل الوتين من مجمع الوركين الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم ينقسم منه سائر
العروق الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد قطعه وقال ابن قتيبة لم يرد انا
نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه
وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل
بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ

صرت

صرت كمن انقطع ابهره فما منكم اي ايها الناس واغرق في النفي فقال من احد عنه اي القتل
حاجزين اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او الرسول صلى الله عليه وسلم
اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه تنبيه من احد اسم ما ومن زائدة
لتاكيد النفي ومنكم حال من احد وعنه حاجزين خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى
الجمع وضمير عنه للقتل او الشي كما مر وانه اي القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد وانا اي بما لنا من العظمة لنعلم اي علما عظيما محيطا
ان منكم اي ايها الناس مكذبين بالقران ومصدقين فانزلنا الكتب وارسلنا الرسل
ليظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا نعلمه في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون
بذلك الثواب او العقاب فلذلك وجب في الحكمة ان نعيد الخلق الى ما كانوا عليه من اجسامهم
قبل الموت ليحكم بينهم فيجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل وانه اي القران لحسرة
اي ندامة على الكافرين اي اذا راوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به وانه
اي القران وقيل الجزا يوم الجزا لحق اليقين اي الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين
موكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس انما هو
كقولك عين اليقين ومحض اليقين فسبح اي اوقع التنزيه الكامل عن كل شايبة نقص
باسم اي بسبب علمك بصفات ربك اي الموحد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان العظيم
الذي ملات الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه مما لا تسعه العقول
وقال ابن عباس اي فصل لربك العظيم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع
سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون اية ومايتان وستة عشر كلمة والف واحدى
وستون حرفا بسم الله الذي تنقطع الاعناق والامال دون عليايه الرحمن
الذي لا مطمع لاحد في حصر اوصافه الرحيم الذي اصطفى من عباده من وفقه فكان
من اوليايه سال سايل اي دعا داع بعذاب واقع فضمن سال معنى دعا فلذلك
عدي تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسال به خبيرا اي عنه اي سال
سايل عن عذاب واقع والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته
واختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس هو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل
يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو الحارث ابن
النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي
مولاه ركب ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرنا عن الله ان نشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا وتركي اموالنا فقبلناه منك
وان نصوم شهر رمضان في عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم نرض بهذا
حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شي منك ام من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول
محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته
حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال

BULAC

الربيع هو ابو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل انه نوح عليه السلام سال العذاب
على الكافرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالى
بعد ذلك فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب وقرا نافع وابن عامر بغير همز
بعد السين والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين تنبيه ما تقدم من الوجهين
في كون سال ضمن او ان البا بمعنى عن هو على القراءة بالهمز واما على عدمه ففيه
وجهان احدهما انه لغة في السؤال يقال سال يسال كخاف يخاف وعين الكلمة واو
قال الزمخشري وهي لغة قريش والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد
بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقوله تعالى للكافرين فيه اوجه احدها
ان يتعلق بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف صفة ثانية
لعذاب اي كائن للكافرين الرابع ان يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو
للكافرين الخامس ان تكون اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين ليس له اي
بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل دافع يرده وقوله تعالى من الله اي الملك
الاعلى الذي لا كفو له يجوز ان يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جا
وقته لتعلق ارادته به وان يتعلق بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع من عنده
ذي المعارج اي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل
الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات
قال ابن عباس اي ذي السموات سماها معارج الملائكة لان الملائكة يعرجون
فيها فوصف نفسه بذلك او ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى الناس
على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق
وقيل ذي العظمة والعلا وقيل المعارج الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل لاوليائه
الجنة غرفا وقرا تعرج الملائكة الكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية
وادغم جيم المعارج في تا تعرج هنا السوسي واستضعف بعضهم ذلك من حيث
ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التا واجيب عن ذلك بان الادغام يكون لمجرد الصفات
وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التا في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة
من تعرج مستانفة وقوله تعالى والروح من عطف الخاص على العام ان اريد بالروح
جبريل كما قاله ابن عباس لقوله تعالى نزل به الروح الامين او ملك اخر من جنسهم
عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله تعالى كهيئة الناس وليس
بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه اي الى مهبط
امره من السما وقيل هو كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع
الذي امرني به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج او بواقع قوله تعالى في يوم اي من ايامكم
وبين عظمه بقوله تعالى كان اي كونا هو في غاية الثبات مقداره اي لو كان الصاعد فيه ادميا
خمسين الف سنة اي من مسني الدنيا وذلك ان تصعد من منتهى امر الله من اسفل
الى الارض السابعة الى منتهى امره من فوق السما السابعة روي عن مجاهد ان
مقدار هذا خمسين الف سنة وقال محمد بن اسحق لو سار بنو ادم من الدنيا
الى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة

واراد

وانما وقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ليس يعني
به ان مقدار طوله هذا دون غيره لان يوم القيمة له اول وليس له اخر لانه يوم سرمد دولو
كان له اخر لكان منقطعا وروي عن ابن عباس انه قال يوم القيمة يكون على الكافرين
مقدار خمسين الف سنة وعن ابي سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه
من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك
اليوم غير الله تعالى لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال عطاء ونفرغ الله تعالى منه
في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقيل فيه خمسون موطنا على الكافر كل موطن الف
سنة وما ورد ذلك على الموطن الاكابين الظهر والعصر وروي عن الكلبي انه قال
يقول الله تعالى لو وليت حسابك اليوم الملائكة والانس والجن وطوقتهم
محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من النهار وقال
بيان صعوبة يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتاخير
كانه قال ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
تعرج الملائكة والروح اليه فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله
تعالى في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة اجيب بانه يحتمل ان من
اسفل العالم الى منتهى العرش خمسين الف سنة ومن اعلاها الدنيا الى الارض
الف سنة لان عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين اسفل السماء الى قرار الارض
خمسمائة فقوله في يوم يريد في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا
فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلا العرش وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا متعلق كما قال الرازي بسال سائل الان استعجالهم بالعذاب
كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر والمعنى اصبر على العذاب
لقربه فوقوعه فاصبر على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى
لغير الله تعالى وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو وقال
ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال انهم اي الكفار يرونه
اي ذلك اليوم الطويل او عذابه بعيدا اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن
او يعملون المحال من يستبعده ونراه اي نحن اللطف المقتضي لوجوده
وهو قادر على ذلك قريبا سهلا لا يعد ذلك قرب الزمان او قرب الامكان فهو قريب
على قدرتنا وصوات لا محالة وكلمات قريب والقريب والبعيد عندنا على حد
سواء وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي يومئذ بالامالة محضة وورش بين بين والباقون
بالفتح وقوله تعالى يوم تكون السماء متعلق بمحذوف اي ينتقم فيه من الاعداء
كالمهل اي كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها وتكون
الجبال كالعهن التي هي اشد الارض والتقاطها فيها كالعهن اي كالصوف في الخفة
والطيران بالريح وقيل اولا ما تتفرق الجبال ثم تصير رملا ثم تعهنها منفوشا ثم هبا
منبثا ولا يسأل اي من شدة الاهوال حميم حبيب اي قريب في غاية القرب

والصداقة قريبا مثله عن شيء من الاشياء لفرط الشواغل ولانه قد كشف لهم انه لا تغني نفس
عن نفس شيئا وانه قد انقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم انه لا عز الا بالتقوى
يبصرونهم اي يبصرهم بهم مبصر فلا يخفى على احد وان بعد مكانه يود المجرم اي يتمنى الكافر
او هذا النوع سواء كان كافرا ام مسلما عاصيا علم انه يعذب بعصيانه لو بمعنى ان
يفتدي اي يفدي نفسه من عذاب يومئذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرا نافع
والكسائي بفتح الميم والباقون بكسرها ببنيه اي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه
لشدة ما يرى ولما ذكر الصق الناس بالفؤاد واعز من يلزمه نصره والذب عنه اتبعه
ما يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى وصاحبته اي زوجته التي يلزمه الذب عنها
لا سيما عند القرب من اقبح العار ولكونه دائما معها ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة
اتبعها الشقيق الذي هو عليه شقيق بقوله تعالى واخيه اي الذي له به النصرة على
من يريد قال الشاعر اخاك اخاك ان من لا اخا له كنازل الهيجا بغير سلاح
ولما كان من نفى من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر اقربهم بقوله تعالى
وفصيلته اي عشيرته الذين هم اقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الاباء
الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون التي
تؤويه اي تضمه اليها عند الشدائد وتحميه لانه اقرب الناس اليها واعزهم عليها
ولما خصص عمم بقوله تعالى ومن في الارض اي من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم
صديق لا صبر عنه ام لا بد في كل حال عنه ام لا ثم اكد ذلك بقوله تعالى جميعا وقوله تعالى
ثم ينجيه اي ذلك الافتداء عطف على يفتدي وقوله تعالى كلا رد وردع وزجر
لما يوده وقال القرطبي وانها بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت
بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب
الله افتداء ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر اشار الى انه مستحضر في الذهن
لا يغيب قال تعالى انها اي النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير
للقصة وقيل مبهم يفسره قوله تعالى لظى اي ذات اللهب الخالص المتناهي في الحر
اسم لجهنم تتلظى اي تتوقد فتاكل بسببه بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله وتاكل كلما
وجدته كائنا ما كان وقوله تعالى نزاعة للشوى جمع شواة وهي جلدة الراس اي شديدة
النوع لجلود الراس وقال في القاموس اليدان والرجلان والاطراف ومخ الراس وكان غير
مقتل انتهى وقرا حفص بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى
بمعنى متلظية والباقون بالرفع على انها خبر ان تدعو من ادبر وتولى عن الايمان
تقول الي يا مشرك الي يا منافق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب
ولما كانت الدنيا والاخرة ضرتين فكان الاقبال على احدهما دالا على الاعراض عن الاخرى
قال تعالى دالا على ادباره بقلبه وجمع اي كلما كان منسوبا الى الدنيا فاوعى اي جعل
ما جمعه في وعاء وكنزه حرصا وطول امل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه
الاعطاء لا اعطاء ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الاخرة وقرا لظى وللشوى
وتولى وفاوعى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح
عن ورش قليل والباقون بالفتح ان الانسان اي هذا الجنس عبر به لما له من الانس بنفسه

والروية

والروية لحاسنها والنسيان لزيه ولذلك خلق هلوعا اى جبل جبلة هو فيها بلبغ الهلع وهو افحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والشرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس انه الحريص على ما لا يحل له وروى عنه ان يتفسر ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه اى اذنى مس الشر اى هذا الجنس وهو ما نظاير مشترك من الضر جزوعا اى عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينعدد نصفر ويتفتت واذا مسه ذلك الخير اى هذا الجنس وهو ما يلايمه فيحبه من السعة في المال وغيره من انواع الرزق منوعا اى مبالغا في الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر وصبر فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللايق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه اجيب بانه انما ذمه عليه لقصوره نظره على الامور العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال وقوله تعالى الا المصلين استثنا للموصوفين بالصفات الاتية من المطبوع على الاحوال المذكورة قيل مضمون تلك الصفات لهما من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزا والخوف من العقوبة وكثرة السهوة وايثار العاجل على الاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر اليها الذين هم اى بكليتهم ضمايرهم وظواهرهم على صلاتهم اى التي هي معظم دينهم وهي الناقعة لهم الفارهم عما افادته الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع الاان معظم المقصود الفرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى دايمون اى لا فتور لهم عنها ولا انقطاع لهم منها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم الساكن ومنه نهى عن البول في الماء الدايم اى الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها فان قيل كيف قال تعالى على صلاتهم دايمون وقال تعالى في موضع اخر على صلواتهم يحافظون اجيب بان دوامهم عليها ان لا يتركوها في وقت من الاوقات ومحافظتهم عليها يرجع الى الاهتمام بها حتى يا تونها على اكمل الوجوه من المحافظة على شرايطها والاتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة وفي تفريغ القلب عن الوساوس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا او ان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلقا على حكم الصلاة متفرق القلب بدخول اوقات الصلاة وبذكر تعالى زكاة الروح انتهاء زكاة عدبلها فقال تعالى عيسى للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو والذين في اموالهم التي من شانها ان يكون عليها حق معلوم اى من الزكوات وجميع النفقات الواجبة بالنسبة الى الذي يتمالك طمعا ومنعا وقال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق للسايل اى الذي يتمالك والمحروم اى الذي لا يتمالك فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بنار في بطنه وبنار في ظهره ولا مزيد له بقدرته الملك لعلانيته وسره الا الى اقاصية مدامعه بذلة وانكسار وهذا من الله تعالى حث على تفقد ارباب الضرورات من الكسبة ومن افقر بهذا المعنى وقد كان للسلف الصالح في هذا اقصب السبق حكي عن زين العابدين انه لما مات وجد في ظهره اثر سواد

كانما السور فجمعوا منها فقال بعد موته سوة ارامل كان شخص باتى البنا ليلا يغرب
الما على ظهره واجرية الدقيق فتفقدناه واحطنا فعلموا انه هو وان تلك السور
من ذلك وحكى عن عمر بن الخطاب انه شخصا راه ما شيا فى زمن خلافته فى الليل
فتبعه فجا الى بيت سوة ارامل فقال اعندكن ما والا اسلا لكن ما عطيند جرة
فاخذها وذهب فلاها على كتفه واتى بها البهن والحكايات عنهم فى هذا كثيرة
والذين يصدقون اى يوقنون التصديق لمن يخبرهم ويجدد ونه كل وقت **يوم**
الدين اى الجزا الذى ما مثله يوم وهو يوم القيمة الذى يقع الحساب فيه على النقير
والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعمال الصالحة فالذين
يعملون لذلك اليوم هم العمال واما المصدقون بمجرد الاقوال فليهم الوبال وان تفعل
امثال الجبال **والذين هم** اى بجميع ضمايرهم وظواهرهم **من عذاب ربهم** اى المحسن اليهم
لامن عذاب غيره فان المحسن اولى ان يخشى ولو من قطع احسانه **مشفقون**
اى خايفون فى هذه الدار فما عظيما هو فى غاية البشاعة من ان يعذبهم فى الاخرة
او فى الدنيا او فيهما فهم لذلك لا يغفلون الا ما رضيه سبحانه **ان عذاب ربهم**
اى الذين هم معذورون باحسانه وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو
بقطع الاحسان **غير مامون** اى لا ينبغى لاحد ان يامنه بل يجب ان يجل به وان بالغ
فى الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له ان يفعل ما يشا ومن حوز وقوع
العذاب انعدد عن موجباته غاية الانعدام ولم نر مبتر جحا بين الخوف والرجا
والذين هم اى بسواطنهم الغالبة على ظواهرهم **لفروجهم** اى سوا كانوا ذكورا ام اناثا
حافظون اى يحفظانها ابتدا دايما عن كل ما نهى الله تعالى عنه **الا على ازواجهم**
اى من الحرايز بعقد النكاح وقدمن لشرفهن وشرف الولد بهن ثم اتبعه قوله تعالى
او ما ملكت ايمانهم اى من الشرارى اللاتى هن محل الحرث والنسل اللاتى هن اقل
عقلا من الحرايز اللاتى هن اقل عقلا من الرجال ولهذا عبر عما التى هى فى الاغلب
لغير العقلا وفى ذلك اشارة الى انتشاع البطان فى احتمال هن **فانهم** اى بسبب
اقبالهم بالغروج عليهن واجالة الحجاب من اجل ذلك **غير ملومين** اى فى الاستمتاع
بهن من لايم ما كانية علة البنا للمفعول فهم يصحبوهن للتعفف وصون النفس
وانتفا الولد للتعاون على طاعة الله تعالى والتقى فى مدحهم بنفى اللوم لا فتاله على تحصل
ما له من المرام **فمن ابتغى** اى طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا ينال الا عن اقتال
عظيم من النفس واجتهاد فى الطلب وقوة حمق والكماى بالامالة تحضنه وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح **وراء ذلك** اى شيا من هذا الجار جا عن هذا
الامر الذى احله الله تعالى له والذى هو اعلا المراتب فى امر النكاح وقضا اللذة
واحسنها واجملها **فاولئك** اى الذين هم فى الحضيض من الدناة وغاية البعد عن مواطن
الرحمة **هم** اى بضمايرهم وظواهرهم **العادون** اى المتعمدون بالخروج عن الحد الماذون
فيه **والذين هم لاماناتهم** اى كل ما ايتمنهم الله تعالى عليه من حقه او حق غيره
وعهدهم ايما كان من الامانات بربطة الكلام وتوثيق **راعون** اى حافظون
لها معتنون بها على وجه نافع غير ضار **والذين هم** اى بغاية ما يكون من توحيد

وقرا ابن كثير بغير الف بعد الدال
المورد على التوحيد والباقون
بالالف على الجمع

القلوب بشهادتهم اي التي شهدوا بها او يستشهدون بها بطلب او غيره وتقديم
المعمول اشارة الى انهم في فرط قيامهم بها ومراعاتهم لها كانهم لا شاغل لهم سواها
قائمون اي يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن اذا من هو منتهى لها واقفا
في انتظارها وقرا حفص بالف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون
بغير الف على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما
يفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كصوت الحمير قال اكثر المفسرين يقومون
بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها
وقال ابن عباس شهادتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
والذين هم على صلاتهم اي من الفرض والنفل يحافظون اي يبالغون في حفظها
ويجددونه حتى كانهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم
او يسابقون غيرهم في حفظها وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم عليها
محافظتهم على اوقاتها وشروطها واركانها ومتمماتها في ظواهرها وبواطنها
من الخشوع والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التي اذا فعلوها كانت ولا بد
ناهية لفاعلها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيحمل على جميع هذه الاوامر
وتبعد عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس الصلاة والمحافظة الى احوالها ذكره
القرطبي ولما ذكر تعالى جلاهم اتبعه ما اعطاهم فقال عز من قائل مستانفا
او منتجا من غير فاء اشارة الى ان رحمته هي التي اوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم
في الحقيقة اولئك اي الذين هم في غاية العلو لما لهم من الاوصاف العالية في جنات
اي في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه
باتعاب انفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها اعطاهم بمباشرتها لذاذات
من انس القرب وحلاوة المناجات لا يساويها شيء اصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع
الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات والشرور وصدها
النار وزادهم على ذلك بقوله تعالى مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الاكرام
من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يعلي مقدارهم فيكرمهم بانواع
الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم
الى دخولهم الى قصورهم هذا حال المؤمنين واما حال الكافرين فقال الله تعالى في حقهم
فما للذين كفروا وقف ابو عمرو على الالف بعد الميم والكسائي يقف على الالف وعلى اللام
ووقف الباقون على اللام واما الابتداء فالجميع يبتدؤن من اول الكلمة اي اي شيء
من السعادة للذين ستروا مراي عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو
اوضح من الشمس حال كونهم قبلك اي نحوك ايها الرسول الكريم وفيما اقبل عليك
مهطعين اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية العجب من مقالك
هيبة من يسعى الى امر لا حيالة بدونه عن اي متجاوزين اليك كل مكان عن جهة اليمين
اي منك حيث يتيمنون به وعن الشمال اي منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى
عزين حال من الذين كفروا وقيل من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة اي
جماعات جماعات وحلقا حلقا متفرقين فرقا شتى افواجا لا يتمهلون ليأتوا

٢

جميعا جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تفترق الى غير ما تعتزي اليه الاخرى
فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتايب جندل تشتي عزينا
وجمع عزة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزون خمسة ارهط روي
ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون كلامه ويستهزون به
ويكذبونه ويقولون ان دخل هولا الجنة كما يقول محمد فندخلها قبلهم فرد الله تعالى
عليهم بقوله عز من قايل أيطمع اي هولا البعدا البغضا وعبر بالطمع اشارة
الى انهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم طلبوا اعز الاشيا من غير سبب تعاطوه
له ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة قال تعالى كل امرئ
منهم اي على انفراده أن يدخل اي وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوي
المسي والمحسن جنة نعيم اي لا شي فيها غير النعيم وقوله تعالى كلا ردع لهم عن طمعهم
في دخولهم الجنة اي لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك ثمن فارغ لا سبب له بما
دل عليه التعبير بالطمع دون الرجا ثم علل ذلك بقوله تعالى انا خلقناهم
اي بالقدرة التي لا يقدر احد ان يقاويها مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق ساير جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون
به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمه الله تعالى وقيل كانوا يستهزون
بفقرا المسلمين ويتكبرون عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر
وهو منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب
يستحيي من ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون نحن الجنة
قبلهم قال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله وروي
ان مطرف ابن عبد الله الشخير راى المهلب ابن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز
وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله تعالى فقال له
اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة
فمضى المهلب وترك مشيته فايدة قال ابن عربي في الفتوحات خلق الله
تعالى الناس على اربعة اقسام قسم لا من ذكر ولا انثى وهو ادم عليه السلام وقسم من ذكر
فقط وهو حوا وقسم من انثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو
بقية الناس وقوله تعالى فلا زيدت فيه لا أقسم برب اي سيد ومبدع ومدبر
المشارق اي التي تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة وكل يوم في موضع منها على المنهاج
الذي دبره والقانون القويم الذي اتقنه وسخره ستة اشهر صاعدة وستة اشهر
هابطة والمغارب كذلك وهي التي تشاعنها الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها
صلاح العالم بمعرفة الحساب واصلاح الماكل والمشارب وغير ذلك من المارب فيوجد
كلا من الملوين بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة
على انه قادر على الايجاد والاعدام لكل ما يريده من غير كلفة ما قال تعالى إنا اي بما لنا
من العظمة لقادرون على أن نبدل اي تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم
خيرا منهم اي بالخلق او بتحويل الوصف فيكونوا اشد بطشا في الدنيا واكثر اموالا
واولادا واعلى قدرا واكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد

في سماع

في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء
من الهمز والتصفيق والصفير وكلما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه ذلك بالمهاجرين
والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة في الرزق ياخذ اموال الجبابرة من كسرى
وقيصر والتمكن في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم تلك الآخرة
فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته الانفس والاموال
وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر يريده بوجه من الوجوه
فذرهم اي اتركهم ولو على اسوأ احوالهم يخوضوا اي في باطلهم في مقالهم وفعالهم ويلعبوا
اي يفعلوا في دنياهم فعل اللاعب الذي لا فائدة لفعله الا ضياع الزمان واشتغل
انت بما امرت حتى يلاقوا اي يلقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم كشف
الغطاء الذي اول تجليه عقد الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية الى دخول كل
من الفريقين في داره ومحل استقراره وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله
البقاعي وابن عادل وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم او منصوبا
باضمار اعني من الاجداث اي القبور التي صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحافر
والخف فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل هم كلحم في فم ماضغ فان الجدث
القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى سراعا اي نحو صوت
الداعي ذاهبين الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وقرا قوله
تعالى كانهم الى نصب ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون
واسكان الصاد على انه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وضرب الامير
والنصب والنصب كل ما نصب فيعبد من دون الله يوفضون اي يسرعون الى الداعي
مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم وقال ابن عباس الى نصب اي الى غاية
وهي التي تنصب اليها بصرك وقال الكلبي هو شيء منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا
يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم
على آخرهم وقوله تعالى خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من فاعل
يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور
وقوله تعالى ابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاشعة لا يرفعونها لما يتوقعونه
من عذاب الله تعالى ترهقهم اي تغشاهم فتعمهم وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق
على وجه الاسراع اليهم ذلة اي ضد ما كانوا عليه في الدنيا لان من تعزز في الدنيا
على الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة ذلك اي الامر الذي هو في غاية
ما يكون من علو الرتبة في العظمة اليوم الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا
ان لهم فيه العذاب واخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله تعالى به فهو حق كائن
لا محالة وهذا هو العذاب الذي سالوا عنه اول السورة فقد رجع آخرها على اولها
وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة سال
سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حديث موضوع سورة نوح
مكية وهي سبع وعشرون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون
بسم الله ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بما افاضه من ظاهر الانعام الرحيم الذي

حفظ اولياه من الابتدا الى الختام ولما ختمت سال بالانذار للكفار وكانوا عبادا وثان
بعذاب الدنيا والاخرة اتبعها اعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه
السلام فقال تعالى إِنَّا اي بما لنا من العظمة البالغة أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ اي الذين
كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد ان يجيبوه ويكرموه لما بينهم
من القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع اهل الارض من الادميين روى قتادة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع
اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك
ابن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس ابن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن
شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو
ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد
بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة ويجوز في قوله تعالى أَنْ أَنْذِرْ اي حذر تحذيرا
عظيما قَوْمَكَ اي الاستمرار على الكفر ان تكون ان المفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب
لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء ويجوز ان تكون المصدرية اي ارسلناه
بالانذار قال الزمخشري والمعنى ارسلناه بان قلنا له ان انذر اي ارسلناه بالامر
بالانذار انتهى وهذا الذي قدره جواب عن سؤال وهو ان قولهم ان ان المصدرية
يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها ومما بعدها مصدر وحينئذ فتفوت
الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليك بان قم كتبت اليه القيام
تفوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي ان يقدر كما قاله الزمخشري اي كتبت
اليه بان قلت له قم اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي اي بان انذر قومك مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ اي على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة عَذَابٌ أَلِيمٌ اي عذاب الاخرة او الطوفان
قَالَ اي نوح عليه السلام يَا قَوْمِ فاستعطفهم بتذكيرهم انه احدهم يهمه ما يهمهم
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ اي مبالغ في انذاركم مُبِينٌ اي امري بين في نفسه بحيث انه صار من شدة
وضوحه كانه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي ويجوز
في قوله تعالى أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال اي تكون ان تفسيرية
لنذير وان تكون مصدرية والكلام فيها كما تقدم في اختها وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة
في الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى وحدوا الله وَاتَّقُوهُ اي اجعلوا بينكم وبين
غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكتوا
سكتة الا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء وَأَطِيعُونِ اي لاعرفكم ما تقصر
عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم وادلكم على اجتلاب
اداب تهديكم واجتناب شبه ترديكم ففي طاعتي فلاحكم برضى الملك عنكم وقوله
يَغْفِرْ لَكُمْ جواب الامر وفي من في قوله مِنْ ذُنُوبِكُمْ اوجه احدها انها تبعيضية الثاني انها
لابتداء الغاية الثالث انها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي ورد بان مذهبهم
ليس ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والاخفش لا يشترط شيئا
فالقول بزيادتها هنا ماش على قولهم قال القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لان من
لا تزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق

له لا على قوم

المخلوقين

المخلوقين ويقدر اي بلا عذاب تاخير ينفعكم ان بعبدتموني اي قدسماه الله تعالى قدعليه
قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيأتون به على العادة او ياخذ جميعا فالامور
كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها باحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص
ليعلم ان الارسال انما هو مظهر لما قدر في الازل ولا تظن انه قالب للاعيان بتغاير
ما سبق به القضاء من الطاعة والعصيان وقرا ويؤخركم ولا يؤخر وبنى بابدا للتفرع
واوا وفقا ووصلا وحذف في الوقف في الموصل والباقون بالهمز اذا جاء اجل الله
اي الذي له الكمال كله فلا يراد لامره اذا جاء لا يؤخر اي اذا جاء الموت لا يؤخر لعذاب كان
او غيره عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي انشأه وقد يضاف الى العقوم
كقوله تعالى اذا جاء اجلهم لانه مضروب بعلمه لو كنتم تعلمون اي لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهماكهم في حب الدنيا كانهم يشكون في الموت والمعاد
عليه السلام اطول الانبياء عمرا وكان قد طال بصحبتهم ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا
قال مناديا لمن ارسله لانه تحقق ان لا قريب منه غير ربه اي سيدي ومالكي
اني دعوت اي اوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قومي اي الذين هم جديرون
باجابتي لمعرفتهم بي وقربهم مني وفهمهم قوة المحاولة لما يريدون ليلا ونهارا
اي دائما متصلا لا افتر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا فلم يزدهم دعائي اياهم الا
التي كانوا عليها وقوله تعالى الا فرارا اي نفورا واعراضا عن الايمان كانهم حمر مستنفرة
استثنا مفرغ وهو مفعول ثان ودعا عاصم وحمزة والكسائي بسكون الياء والباقون
بفتحها وهم على مراتبهم في الهدى واني اي على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات
دعوتهم اي الى الاقبال اليك بالايمان بك والاخلاص لك لتغفر لهم اي ليؤمنوا
فيصيروا اهلا فرطوا فيه في حقك فاقرطوا الاجلس في النجاة وزجي الخد محوا ما لعانا فلا يبقى
للشر من ذلك عينا ولا اثرا جعلوا اصابعهم في اذانهم كراهة
منهم واحتقار للداعي في اذانهم حقيقة ليلا يسمعوا الدعاء اشارة الى انا لا نريد
ان نسمع ذلك منك فان ابيت الا الدعاء خفية فنحن ليلا نسمع الدعاء اشارة الى انا
لا نريد ان نسمع ذلك منك فانا لا نسمع لتدا شماعنا ودلوا على الافراط في كراهة الدعاء
بما ترجم عنه قوله واستغشوا ثيابهم اي اوجدوا التغطية لرؤسهم شيا بهم
ليلا يبصر واكراهة النظر اوجه من يسمعهم في دين الله وهكذا حال المتصامم عن
ينصحونه دائما واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصرار الحمار على العانة
وهي القطيع من حمر الوحش اذا اصر اذنيه واقبل عليها يكربها ويطردها واستكبروا
اي اوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه واكد ذلك بقوله استكبارا بنيها على ان
فعلهم مناسب للحكمة وقد نادت هذه الايات بالصريح في غير موضع انهم عصوا نوحا
عليه السلام وخالفوه مخالفة لا قبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار
وابطنا بالاصرار والاستكبار ثم اني دعوتهم جهارا اي مقلنا بالدعاء قال ابن عباس ما على
صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت عليهم الدعاء معلنا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بفتح الياء والباقون بسكونها ثم اسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل
بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فعلمت

اي في دعائي لهم استغفروا ربكم اي اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر لامور كم
ان يمحو ذنوبكم اعيانها واثارها بان تؤمنوا بالله وتتقوه انه كان اي ازلا وابدا
ودائما سرمدا غفارا اي متصفا بصفة الستر على من رجع اليه يرسل السما
اي الظلة لان المطر منها ويجوز ان يراد السحاب او المطر عليكم مدرارا اي كثير
الدرور ويمددكم باموال وبنين اي ويكثر اموالكم واولادكم وذلك ان قوم نوح
عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر واعقم ارحام
نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا
ربكم من الشرك اي استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل السما عليكم مدرارا روى
الشعبي ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما نزل
قيل يا امير المومنين ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح
السما التي بها يستنزل القطر ثم قرا هذه الاية شبه الاستغفار بالانوا الصادقة
التي لا تخطي وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه
اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال
له الربيع بن صبيح اياك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم
بالاستغفار وتلا الاية وقال القشيري من وقعت له حاجة الى الله تعالى
فلن يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك
كلما ازداد نوح عليه السلام في الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا في الكفر
والنسيان ويجعل لكم اي في الدارين جنات اي بساتين عظيمة واعاد العامل
للتاكيد فقال ويجعل لكم انهارا اي يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال تعالى ولو ان اهل
الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقال تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ما لكم
لا ترجون لله اي الملك الذي له الامر كله وقارا اي ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما
والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله
بيان الموقر ولو تاخر لكان صلة الوقار فان بالمعرفة تزكوا الاعمال وتصلح
الاقوال انما سبق ابو بكر بشي وقد في صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا ترى لك
عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظم امره ونهيه بعدم المعارضة وقد اي والحال
انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته
ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان يومنوا به لانه هل جزا الاحسان الا الاحسان
ورجا لدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه خلقكم اي اوجدكم من العدم مقدرين
اطوارا اي تارات عناصر اولا ثم مركبات تغذي الحيوان ثم اخلاطا ثم نطفا
ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا ودما ثم خلقا اخر تاما ناطقا
ذكرانا واناثا الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدر ومن قدر على هذا
ابتدا كان على الاعادة اعظم قدرة الم تروا اي ايها القوم كيف خلق الله

اي

اي الذي له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة سبع سموات هي في غاية العلو
والسعة والاحكام والزينة طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي
يليها محيطة بها ما لها من فروج لا تكون تمام المطابقة الا كذلك بالاحاطة من كل جانب
وجعل القمر اي الذي ترونه فيهن نورا اي لامعا منتشرا كاشفا للمرئيات احد وجهيه
يضيء لاهل الارض والثاني لاهل السموات قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما يقال
تقول اتيت بني فلان وانما اتيت بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو
في دار واحد وبدا به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبوبته
في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك اعجب في القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس
قال تعالى وجعل اي فيها الشمس اي في السماء الرابعة سراجا اي نورا عظيما كاشفا
لقلة الليل عن وجه الارض وهي في السماء الرابعة كما مر وقيل في الخامسة وقيل
في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة روي عن ابن عباس وابن عمر ان
الشمس والقمر وجوههما الى السماء واقفيتهما الى الارض وجعلهما سبحانه اية على رؤية
عباده المحسنين له في الجنة والله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله انبتكم اي
خلق ابيكم ادم عليه السلام من الارض اي كما ينبت الزرع وعبر بذلك تذكيرا
لنا لما كان من خلق ابينا ادم عليه السلام لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض
نباتا اي انشاكم منها انشاء فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون
من الارض واصله انبتكم فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية
ثم يعيدكم على التدريج فيها اي الارض بالموت والاقبار وان طالت الاجال
ويخرجكم اي منها بالاعادة واكد بالمصدر الجاري على الفعل اشارة الى شدة العناية
به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى اخراجا اي غريبا ليس هو كما تعلمون
بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية تلابس ارواحكم بها اجسامكم
ملابسة لا انفكاك بعدها لاحدهما عن الاخر والله اي المستجمع لجميع الجلال
والاكرام جعل لكم اي نعمة عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا اي سهل عليكم التصرف فيها
والتقليب عليها سهولة التصرف في البساط ثم علل ذلك بقوله تعالى لتسلكوا
اي متخذين منها اي الارض مجددين ذلك سبلا اي طرقا واضحة مسلوكة بكثرة
فجاجا اي ذوات اتساع لتتوصلوا الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فيعم الانتفاع
بجميع البقاع فالذي قدر على احداثكم واقدركم على التصرف في اصلكم مع ضعفكم
قادر على اخراجكم من احداثكم التي لم يزل طوع امره ومحل عظمه وقهره ولما اكثروا مع نوح
عليه السلام الجدال ونسبوه الى الضلال وقابلوه باشنع الاقوال والافعال
قال نوح اي بعد رفقه بهم ولينه لهم رب اي ايها المحسن الي المتولي لجميع امري
انهم اي قومي الذين دعوتهم اليك مع صبري عليهم الف سنة الا خمسين عاما
عصوني اي فيما امرتهم به ودعوتهم اليه فابوا ان يجيبوا دعوتي وشردوا عني
اشد شراد وخالفوني اقبح مخالفة واتبعوا اي بغاية جهدهم نظرا الى المظنون
العاجل من اي رؤساهم البطرين باموالهم المضرين بوالديهم وفسرهم بقوله تعالى
لم يزده اي شيئا من الاشياء ماله اي بكثرته وولده كذلك الا خسارا اي بالبعد من الله تعالى في الدنيا

والاخرة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام والباقون بضم الواو الثانية
واسكان اللام ومكروا اي هولا الرسا في تنفير الناس عني واكد الفعل بالمصدر
دلالة على قوته بقوله مكرا وزاده تاكيدا بصيغة هي النهاية في المبالغة
بقوله كبارا فانه ابلغ من كبارا المخفف الابلغ من كبير واختلفوا في معنى مكرهم
فقال ابن عباس قالوا قولا عظيما وقال الضحاك افتروا على الله تعالى وكذبوا
رسله وقيل منع الروسا اتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدعوا احدا
منهم بذلك المكر تبعية وحرشوهم على قتله وقالوا اي لهم لا تذرن اي لا تتركن الهتكم
اي عبادتها على حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة واضافوها اليهم تحبيبا
فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين اليمين
والقايل تاكيدا ولا تذرن ودا قرا نافع بضم الواو والباقون بفتحها وانشدوا
بالوجهين قول الشاعر • جبال ود من هداك لقينته • وحوص باعلا ذي فضالة مسجد
وقال القرطبي قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا بالضم
صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد
كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال انتهى ثم اعادوا النفي تاكيدا فقالوا ولا
سواعا واكدوا هذا التاكيد وابلغوا فيه فقالوا ولا يغوث ولما بلغ التاكيد نهايته
وعلم ان القصد النهي عن كل فرد فرد لا عن المجموع تركوا التاكيد في قولهم ويعوق
ونسرا للعلم بارادته واختلف المفسرون في هذه الاسما فقال ابن عباس وغيره هي
اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل
انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوا بالذكر
بعد قوله لا تذرن الهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه السلام وعنده بنوه
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان
لادم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وكانوا عبادا
فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه
قالوا افعل فصوروه في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا
كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا كما تناقصت اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى
بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة
ابايكم الا ترونها في مصلاكم فتعبدونها من دون الله حين بعث الله نوحا عليه
السلام فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد
بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح عليه السلام وكان لهم اتباع يقتدون
بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا
بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جا اخرون قالوا ليت شعري ما هذه
الصور التي كانت تعبدها اباونا فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها
فيرجمهم ويسقيهم المطر فيعبدوها فانتدى عبادة الاوثان من ذلك الوقت
وبهذا المعنى فسر ما جا في الصحيحين من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة
ذكرتا كنيسة راينها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله

صلع

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك كانوا اذا مات
منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة اوليك شرار الخلق عند
الله يوم القيمة وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه
السلام على جبل الهند فيمتنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا
يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله
تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان
وفيها الطين والتراب والما فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب
وكان للعرب اصنام اخر واللات كانت لقديد واساف ونايلة وهبل كانت لاهل
مكة وكان اساف جبال الحجر الاسود ونايلة جبال الركن اليماني وكانت هبل في جوف
الكعبة وقال الماوردي اما ود فهو اول صنم معبود مسمى ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح
لكليب يدومه الجندل في قول ابن عباس وعطا واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر
في قولهم وقال الرازي وسواع لهمدان واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف
من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال ابو عثمان النهدي
رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه ولا ينيخونه
حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل واما يعوق فكان لهمدان
وقيل لمراد واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي
كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي ولا تعارض بهذا انهم صور
لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم فكان ودا المكمل
في الرجولية وكان سواع امراة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق
سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر انتهى ولما ذكر مكرهم وما اظهروا من قولهم
عطف عليه ما يوقع السامع من امرهم فقال تعالى **وقد اضلوا** اي الروسا والاصنام
وجمعهم جمع العقلا معاملة لهم معاملة العقلا كقوله رب انهن اضللن **كثيرا**
من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم
فانهم اول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وقول نوح عليه السلام **ولا تزد الظالمين** اي الراسخين في الوصف الموجب للنار
الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قد اضلوا دعا عليهم
بعد ما اعلمه الله تعالى انهم لا يومنون بقوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد
امن وكذلك دعا موسى وهرون عليهما السلام في الشد على قلوب فرعون وملايه
ليلا يومنوا في حال ينفعهم **مما خطاياهم** اي من اجل خطياتهم مزيدة للتاكيد والتفخيم
وقرا ابو عمرو بفتح الطا وبعدها الف وبعد الالف يا بعدها الف وضم الها على
وزن قضاياهم والباقون بكسر الطا وبعدها يا تحتية ساكنة وبعد اليا همزة مفتوحة
بعدها الف وبعد الالف تا فوقية مكسورة وكسر الها على وزن قضياتهم **اغرقوا**
اي بالطوفان طاف عليهم جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم احد وكذا الكلام فيما نسب
عنه وتعقبه من قوله **فادخلوا** اي في الاخرة التي اولها البرزخ يعرضون فيه

على النار بكرة وعشيا نارا اي عظيمة جدا اخفها ما يكون من مباديها في البرزخ قال
الملوي عذبوا في الدنيا بالغرق وفي الاخرة بالحرق وقال الضحاك في حالة واحدة كانوا
يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى فلم يجدوا لهم اي
عندما اناخ الله بهم سطوته واحل بهم نقمته من دون الله اي الملك الاعظم الذي
تضمحل المراتب تحت رتبة عظمته ويذل لعزه وجليل سطوته انصارا ينصرهم
على من اراد بهم ذلك ليمنعوه مما اراده سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف منهم
احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداء وانجا نبيه عليه السلام ومن امن معه
على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم احد لكونهم اولياءه كما انه لم يسلم ممن اراد اغراقه
احد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعي فمن قال عن عوج ما يقوله القصاص فهو
ضلال اشد ضلال قال وقايل ذلك هو ابن عدي صاحب الفصوص الذي لم يرد
بتصنيفه الا هدم الشريعة المطهرة وزاد في الحط عليه وعلى ابن الفارض وعلى الحلاج
وعلى من شابههم وامر هولا الى الله تعالى وانه العالم بحقايق الامور وما تخفي الصدور
وقال نوح واسقط الاداة كما هي عادة اهل الحضرة فقال رب لا تذر اي ستترك
على الارض اي كلها من الكافرين اي الراسخين في الكفر ديارا اي احدا يدور فيها وهو من الفاظ
العموم التي تستعمل من النفي العام فيقال من الدور او الدار لا فقال والا لكان دوارا
قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يومن من قومك الا من
قد امن فاجاب الله تعالى دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه
وقيل سبب دعايه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه
السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه
فجسد غضب ودعا عليهم فان قيل ما فعل صبيانهم حين اغرقوا اجيب بانهم
اغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت
وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء والامهات
اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون
مصادر شتى وعن الحسن انه سيل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فاهلكهم بغير
عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين اخرج الله تعالى كل
مومن من اصلابهم وارحم نسايهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم
قبل العذاب باربعين سنة وقيل بستين سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام
انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا كما قال تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن فحينئذ
دعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال
وقال ابن عربي دعا نوح عليه السلام على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم
على من يحزب على المومنين وكفا بهذا اصلا في الدعا على الكافرين في الجملة واما كافر
معين لم يعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم
الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه

لعله

لعلمه بما لهم وما كشف له من الغطا عن حالهم ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون
ولا يفعلون الا ما فيه مصلحة الدين علل دعاه بقوله إنك اي رب إن تذرهم
اي تتركهم على اي حالة كانت في ابقائهم سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة
دنية يضلوا عبادك اي الذين امنوا بي والذين يولدون على الفطرة السليمة
ولا يلدوا اي ان قدرت بقاهم إلا فاجرا اي مارقا عن كل ما ينبغي الاعتصام به
كفارا اي بليغ الستر لما يجب اظهاره من ايات الله فان قيل بم علم ان اولادهم
يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة اجيب بانه لبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما فعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه
ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير
على ذلك وقد اخبر الله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن ومعنى
لم يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه
كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعا على اعدا الله
تعالى دعا لاوليائه وبدا بنفسه فقال مسقطا الاداة على عادة اهل الخصوص
رب اي ايها المحسن الي باتباع من اتبعني وتجنب من تجنبني اغفر لي اي فانه
لا يسعني وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ومغفرتك ولوالدي وكانا
مومنين يريد ابويه اسم ابيه لمك ابن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش وعن
ابن عباس انه لم يكفر لنوح عليه السلام اب فيما بينه وبين ادم عليه السلام وقيل
هما ادم وحوى واعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي مومنا اي مصدقا بالله تعالى مومنا حال وعن ابن عباس
اي دخل في بيتي فان قيل على هذا يصير قوله مومنا تكرارا اجيب بان من دخل
في دينه ظاهرا قد يكون مومنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق
القلب وللمومنين والمومنات خص نفسه اولا بالدعا ثم من يتصل به لانهم اولى واحق
بدعائه ثم عمم المومنين والمومنات الى يوم القيمة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اولى واظهر ثم ختم الكلام مرة اخرى
بالدعا على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين اي العريقين في الظلم في حال من الاحوال
إلا تبارا اي هلاكا مدمرا والمراد بالظالمين الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك
وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان والاستثنا مفرغ وقيل الهلاك
الخسران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع
سورة الجن وتسمى قل اوحي مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون
كلمة وثمانماية وسبعون حرفا بسم الله المحيط بالكمال الرحمن الذي عم برحمته الناس
بالارسال الرحيم الذي خص من بين اهل الدعوة من شا بمحاسن الاعمال ولما كان
نوح عليه السلام اول رسول ارسله الله تعالى الى المخالفين من اهل الارض
وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو اخر رسول بعثه الله تعالى
الى اهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى لنبيه صلى

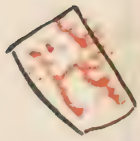

BULAC

الله عليه وسلم قل اي يا اشرف الرسل للناس اوحي الي وقال ابن عباس قل يا محمد لامتك
اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة
الى العشرة قال البغوي وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفي هذه
العبارة دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما راهم ولا قرا عليهم وانما اتفق حضورهم
عند قراءته ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر
السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل
بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا
مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا
يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة دهر واصحابه
بنخلة قاصدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران
استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما وهل هذا الاستماع هو
المذكور في الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل غيره والجن الذي
اتوه جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال
عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه راهم وعن ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال
الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق
حتى جا الحجون عند شعيب ابن ابي ذيب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون
فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان
والهنود وكان وجوههم المكاكي يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى
غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى بيده الي ان اجلس ثم تلى القران فلم يزل
صوته يرتفع ونصفوا بالارض حتى صرت لا اراهم وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجات تجر عروقها لها قواقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا
تشهدي فيّ قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جات حتى
صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان ياتيني قلت
نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هولا الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى
قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستبطن اي يستنجي احدكم
بعظم ولا بعر وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ وضع راسه على حجر بن مسعود
فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضو قال لا الا ان معي اداوة نبيذ فقال هل هو
الا تمر وما فتوضا منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية ابن
مسعود من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه
بهذه السورة ثم امرنا بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود اي فالواقعة
متعددة ثانيها انها واقعة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم ما راهم وما عرف
ماذا قالوا واي شي فعلوا فالله تعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا

ثالثها

ثالثها انها كانت واحدة وانه صلى الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم رجعوا الى
قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا اما وحى الله تعالى الى
نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لا قولهم قال ابن عمر بل ابن مسعود اعرف من ابن عباس
لانه شاهد وابن عباس سمعه ولبس الخبر كالمعاينة وقال الغرضي ان الجن انوا النبي صلى
الله عليه وسلم وقفتان احديهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي
ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه ابن مسعود انما هو في اول ما استمعت الجن
قراءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم
كما حكاه ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن
كما حكاه ابن مسعود وقال العشري لما رجم ابليس بالشهب فزع ابليس جنوده لعلم ذلك
فاتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فامنوا ثم انوا قومهم
فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي ولم يرجعوا الى ابليس لما علموه من كذبه وسفاهته
وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومهم فاسلموا فذلك قوله تعالى
واذ صرفنا اليك الآية **فقالوا** اي فتسببت عن استماعهم انهم قالوا **انا سمعنا** اي بحق
تقدنا الاصغاء والقينا اليه افهامنا **قرآنا** اي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع
لجميع ما يحتاج اليه وقرأ ابن كثير بالنقل وقفا ووصلا وحمزة في الوقف وزاد الوصل
والباقون بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا القرآن بالمصدر مبالغة فوامره فقالوا
عجبا اي يدهش خاطر جاعزا عادة امثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن كلام الناس
في جلالة النظم واعجاز التركيب **يهدي** اي بسبب غاية البيان **الى الرشد** اي الحق والصواب
فآمنا اي كل من استمع منا لم يتخلف منا احد ولا توقف بعد الاستماع **به** اي القرآن
اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله **ولن نشرك بربنا احدا** اي لا نرجع الى ابليس
ولا يطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا ايذان بانهم بعد ايمانهم وقبل انقلابهم
مشركين قال الرازي وقد علم ان قوله تعالى قل اوحي الي يدل على ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يظهر لاصحابه ما اوحي اليه في واقعة الجن وفيه فوائد احدها ان يعرفوا بذلك
انه صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها ان تعلم قريش ان الجن
مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثالثها ان يعلم
القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها ان يعلم ان الجن يسمعون كلامنا فيفهمه من لغتنا
خامسها ان يظهر المؤمن منهم يدعوا غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح
كثيرة اذا عرفها الناس بتنبيهات احدها اختلف العلماء في اصل الجن فروي
عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد ادم ومن هو لا وهو لا مؤمنون وكافرون
وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هو لا وهو لا كافرا فهو شيطان وروي
الضحاك عن ابن عباس ان الجن ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر
والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي انه ذكر النفر الذين اتوا هودا وذكر
الحسن انهم هود او نصارى ومجوسا ومشركين ثانيها اختلفوا في دخول الجنة
على حسب اختلافهم في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال
يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فمنهم من قال لا يدخلون
الجن ع

قول الحسن يدخلونها والثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها قالها القرطبي
قد انكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم
احتراعلى الله تعالى والقرآن والسنة تردعليهم وليس في المخلوقات بسيط بل
مركب من زوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب وليس يمتنع ان يراهم النبي
صلى الله عليه وسلم ويعطوا على قولهم انا سمعنا وانه اي الشان العظيم قال الجن
تعالى اي انهى في العلو الى حد لا يستطاع حده اي عظمته وسلطانه وجلاله غنى ارتفع
جد الرجل اي عظم ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم
قدره وقال السدي جد ربنا اي امر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد
ورجل مجدود اي محظوظ وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد
والخليل اي لا ينفع ذا الغنى منك الغنى انما ينفعه الطاعة قال ابن عباس فقر ربنا وقال
الضحاك فعله وقال القرطبي الاوه ونعاوه على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا فالاولى
جميع هذه المعاني وقد اولنه تعالى جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانا منا المسلمون وهي
اثنا عشر موصولا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة في الجميع والباقون بالكسر
ولما وصفوه بهذا التعالي الاعظم المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل سمة نقص
بنوه بنفي ما ابتدعوه بقولهم باطلا الشاطط ما احد صاحبة اي زوجة لان العادة
ان تكون من نوع صاحبها وليس له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة
وصفة مميزة ولا ولدا لان الولد لا بد وان يكون جزءا منفصلا عن والده ومن له اجزاء
فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا في المحتاج وان الله تعالى يتعالى
عن ذلك من تركيب حسي او عقلي قال القشيري يجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله
تعالى اذا لم يعرف الا بالقرآن فان عرف بغيره فيحتمل ان يمنع ذلك لانه قيل انهم عنوا
بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويلزم ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق ليس لله
تعالى جد انما قالته الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وانه تعالى جل
ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة للاستغناء عن ذلك بهما او الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما
تعالى عن الاند والنظراء وانه اي وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر وامنا به على قراءة
الفتح بان نقول اي مقولا صوفي عراقبته في الكذب بمرة الجملة سفيهنا هو للجنس فيتناول
ابليس وسائر الجن تناولا اوليا وكل من بعده ممن لم يعرف الله لان ثمرة العقل العلم
وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو الذي يقول على الله الذي له صفات الكمال
المنافية للقول هذا الشنيعة شططا كذبا وقد وانا وهو وصفه بالشريك والولد
والشطط والاشتطاط العلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب
واصله البعد فعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده من الصدق
وانا اي معشر المسلمين من الجن ظننا اي حسبنا لسلامة فطرتنا ان اي الله ورادوا
في التاكيد فقالوا لن تقول ويبدوا بما فضل الجنسين فقالوا الانس وابتعهم
قرناهم فقالوا والجن على الله اي الملك الاعلى الذي بيده النفع والضر كذبا اي
قولا هو لعراقتهم في مخالفة الواقع نفس الكذب وانا كنا نظنهم صادقين في قولهم
ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق وقيل انقطع الاخبار

المقطوع

عن

عن الجن هاهنا وانه اي الشان كان رجال من الانس اي النوع الظاهر في عالم
الحس يعوذون اي يلتجاون ويتضرعون خوفا على انفسهم ومالهم اذا نزلوا وادیا
برجال من الجن اي اقبيل المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذا نزلوا
وادیا او غيره من القفر تعست بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم من ذكر الله والدين
صحيح والكتاب من الله تعالى صريح في اثباتهم ذلك على ان مستجير وابعظمهم بهم وكان الرجل
يقول عند نزوله اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار
منهم حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوة الى الطريق وردوا عليه ضالته كان
مقاتل كان اول من يعوذ بالجن قوم من اهل اليمن من بني حنيفة ثم فاد ذلك
في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال ابن ابي الشايب الانصاري
خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب
الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى صائح لا نراه يقول يا ربان ارسله ثانية
الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم يصب كذا مدة فكان ذلك فتنة للانس باعتقادهم
في الجن غير ما هم عليه فتتوهم في الضلال وفتنة للجن اي بان يغتروا بانفسهم
ويقولوا امنا بالجن والانس فلضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله تعالى
فزادوهم اي الانس الجن باستعاذتهم رهقا اي ضيقا وشدة وغشيانا عما هم فيه
من احوال الضلال التي يلزم منها الضيق والشدة وقال مجاهد الرهق الاثم
وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال
الاعشى ... لاتى ينفعني من دون رهنها ... هل مشتني عاشق لم يصب رهقا
يعني اثما وقال مجاهد ايضا او وهما اي ان الانس زاد والجن طغيانا بهذا التعوذ
حتى قالت الجن سدنا الانس والجن واقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن والمعنى
وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل
يقول مثلا اعوذ بعزة هذا الوادي من جن هذا الوادي قال القشيري وفي هذا
نحا اذ لا بعد اطلاق لفظ الرجل على الجن تنبيه قوله تعالى من الانس صفة
لرجال وكذلك قوله من الجن وانهم اي الانس ظنوا والظن قد يصيب وقد يخطئ وهو اكثر
ها هنا انها الجن ويجوز العكس ان مخففة اي انه لن يبعث الله اي الذي له
الاحاطة الكاملة علما وقدرة احدا اي بعد موته لما لبس عليهم ابليس حتى راوا حسنا
ما لبس بالحسن او احدا من الرسل بدليل ما عابه من الجهل وفتطهر بالقرآن ان هذا
الظن كاذب وانه لا بد من البعث قال الجن وانا لمسنا السماء اي رمنا من
استراق السمع منها قال الكلبي السما الدنيا اي التمسنا خبرها على ما كان
من عادتنا من استماع ما يقوى به الانس والمس الجس فاستعير للطلب لان
الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع كلام اهلها فوجدناها
في وجد وجهات اظهرها انها متعدية لواحد لان معناها اصبنا وصادفنا وعلى هذا
فالجملة من قولهم ملئت في موضع نصب على الحال على اضمار قد والثاني انها متعدية
لاثنين فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني ويكون حرسا منصوبا على التمييز

نحو امتلا الاناء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب
ويمنعونهم من الاستماع ويجمع تكسيرا على احراس والحارس الحافظ الرقيب والمصدر
الحراسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ ولو جا على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى
مليت ملائكة شدادا كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي
ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة وشهبا جمع
شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم المانع لهم عن استراق
السمع وانا كنا اي فيما مضى نقعد منها اي السما مقاعد اي كثيرة قد علمناها لا حرس
فيها صالحة للسمع اي ان نسمع منها بعض ما تتكلم به الملائكة مما امروا بتدبيره وقد
جا في الخبر ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق الاخر حتى يصلوا الى السما
فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها الكذب فمن يستمع الان
اي في هذا الوقت وفيما يستقبل لا انهم ارادوا وقت قولهم فقط يجد له اي لاجله
شهابا اي شعلة من نار ساطعة محرقة رصدا اي ارصد له ليرمي به نفسه تنبيه
اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك لامر حدث لبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السما تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام خمسماية عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا
من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال الزمخشري
والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جا شعره في اهل الجاهلية قال بشر ابن ابي خازم
والعير ترهقها الغبار وجحشها ينقض خلفها انقضاض الكوكب ولكن الشياطين
كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد
زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال
غلظت وشدد امرها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي
ابن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار
اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم ويولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته
ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح حملة العرش ثم سبح اهل كل سما
حتى ينتهي التسبيح الى هذه السما فيسال اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم
ويخبر اهل كل سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السما وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت
موجودة قال ابن عادل وهو اقول الاكثرين فان قيل كيف تتعرض الجن لاحتراق
نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم اجيب بان الله تعالى ينسيهم
ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد
الحافظ للشي والجمع ارصاد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهاب قد ارصد له ليرجم به فهو
فعيل بمعنى مفعول واختلف فيمن قال وانا لا ندري اي بوجه من الوجوه اشر اريد
اي بعدم استراق السمع بمن في الارض ام اراد بهم ربهم اي المحسن اليهم المدبر لهم

رشدا ايخيرا فقال ابن زيد معنى الاية ان ابليس قال لا ادري هذا اراد الله بهذا المنع ان
ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل بعود من قول الجن فيما بينهم وقيل
ان استمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري على شر اريد بمن في الارض ام ارشال
محمد اليهم فامنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم امم اراد ان يؤمنوا
فيهتدون بالقرآن والرشد بما هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي
صلى الله عليه وسلم ولما استمعوا قراءته علموا انهم ممنوعون من التجاوز استدلوا بالوحي فقيل قالوا
لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين كما ارسل اليكم منذرين امنوا شفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل
الارض فقالوا انا لا ندري ما يكفر اهل الارض بما امنا به ام يؤمنون قال الحسن وانا منا
الصالحون اي المرتضون في صفة الصلاح قال الجلال المحلي بعد استماع القرآن
ومنا دون ذلك اي قوم غير صالحين كنا اي كونا مثل كالجبلة طرائق قددا اي جماعات
متفرقين واصنافا مختلفة فقال سعيد بن المسيب معنى الاية كنا مسلمين ويهود
ونصارى ومجوس وقال الحسن والسدي الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة
وخوارج وشيعة وسنية وقال الكسائي شتى وقال ابو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا
دون ذلك سعيد بن جبير الوانا شتى وقال ابو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا
يهودون لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى
وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة تنبيه القدد جمع قدة والمراد بها الطريقة
واصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه عما استوا
فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر القابض الباسط الهادي بطلعته
من فتنة الناس اذ اهوى ومن قدد وقال لبيد يرثي اخاه لم تبلغ العين كل همتها
يوم يمشي الجياد بالقدد والقدد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال حاله قد
ولا تحت فالقد انا من جلد والتحف انا من خشب وانا ظننا ان لن نعجز الله اي
وانا علمنا وتيقنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله انا في قبضة الملك وسلطانه لن نفوته
بهرب ولا عجز له من الاحاطة بكل شيء علما وقدرة لانه واحد لا مثل له تنبيه اطلقوا
الظن على العلم اشعارا الى ان العاقل ينبغي له ان يتحسب بتحيله غارا ولو ظنا في انواع
التحيل فكيف اذا تيقن وقولهم وان ظننا الا ظن رجال وكذا لكن صوابا في قولهم ولن نعجزه
اي بوجه من الوجوه هربا نافه مصدر زنة سوضع الحال لتقديره لا تفوته كائنين في الارض
او هاربين منها الى السما فليس لنا مضطرب الا في قبضته فاين ام الى اين المهرب وانا لما
سمعنا اي من النبي صلى الله عليه وسلم الهدى اي القرآن الذي ليس من العرافة الثامنة
في صفة البيان والدعا الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى امنا به وبالله وصدقنا
محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن وقال
الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا
من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء ولكن قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحي اليهم من اهل القرى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود اراد الانس والجن
وفي ارساله الى الملائكة خلاف قدمنا الكلام فيه فمن يؤمن بربه ايما المحسن اليه منا

ومن غير ما خلل اي فهو خاصة لا يخاف بخس ولا رهق قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص
من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس للغصبان والرهق للعدوان وغشيان المحارم
وانا منا اي الجن المسلمون اي المخلصون في صفة الاسلام ومنا القاسطون اي
الجائرون اي وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط
الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل
فقسط الثلاثي بمعنى جار واقسط الرباعي بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال
له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال فسمعوا
انه بصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله
تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ثم انه
اي وقع الاسلام كلمة بان اسلم ظاهرهم وباطنهم عن الجن وغيرهم فاولئك اي العالمون الرشد
تحروا اي توخوا وقصدوا واجتهدوا رشدا اي صوابا عظيما وسدادا كان لما بعد هذه
من النقائص بالنسبة داعية لهم فعالجوا انفسهم حتى ملكوه فعلوه لهم منزلا واما القاسطون
اي العريقون في صفة الجور عن الصواب من الانس والجن فاولئك اهملوا انفسهم فلم
يتحروا الصواب وضلوا ما بعد وا عن الطريق القويم فوقعوا في المهالك التي لا ملجا منها
فكانوا لجهنم اي النار البعيدة اي التي تتلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة حطبا
اي موقدا بهم النار فهم في اتقاد مادامت النار تتقد لا يفترون فيها ساعة
ولا يحيون فيستريحون بنسبه قوله تعالى فكانوا اي في علم الله عز وجل فان قيل لم ذكروا
عقاب القاسطين ولم يذكر ما ثواب المسلمين اجيب بانهم في مقام الترهيب فذكروا
ما يحذر وطوا ما يجب للعلم به لان الله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا بل لابد ان
يزيد عليه تسعة اضعافه او عند المزيد وانهم ذكروه ليفعلوهم تحروا رشدا اي تحروا رشدا
عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى وسل هذا لا يتحقق الا في الثواب فان قيل ان الجن
مخلوقون من النار فكيف يكون حطبا للنار اجيب بانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا
عن تلك الكيفية فيصيرون الحا ودخانا هكذا قيل وهذا اخر كلام الجن وان في قوله تعالى
وان هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي وانهم وهو معطوف على انه استمع
اي وحي الى الشان العظيم لو استقاموا على الطريقة اي طريقة الاسلام لاسقيناهم
ايلخلصنا لهم بالتامين العظيم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم
في الرزق وخصب المال والعدد ومثله لان الخير والرزق وكثرة المطر كما قال تعالى
ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم الاية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا الاية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين الاية لنفتنهم اي لنعاملهم
معاملة المختبر بما من العظمة فيه اي في ذلك الماء الذي يكون عنه انواع النعم
ليكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين انتهى
قال الجلال المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله تعالى عنه انما كان الملك الملك
وانما كان المال كانت العشرة وقال الحسن وعلى كانوا اسابعين مطيعين فمنحت

عليهم

عليهم بكسر الكسرى وفتح القيصر فعتوا عليهم فقتلوه يعني عثمان رضي الله تعالى
عنه قال البقاعي ويجوز ان يكون من استعمار اللعلم وانواع المطارف الناشئة عن العباد اتنه
التي هي النفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم والزلازل
في الدنيا والنعيم في الاخرة من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه وقرئ بسكون
مستمرا الى الموت عمرا كثيرا اي مجاوزا عن عباده المحسن اليهم المزكي له الذي لا احسان
عنده من غيره وقيل المراد بالذكر القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة منكرا اي ذا نكر
عدا يكون مطردا فيه كالحفظ في تعب الخوزة في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا
يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم اعلى مما قبله حزاوقا وقال ابن عباس
هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا اليدهم عليه باثت وعن ابن عباس ان المعنى
مشقة من العذاب لان الصعود في اللغة هو المشقة تقول تصعد علي الامر اذا شق
عليك ومنه قول عمر ما يصعدني شيء ما يصعدني خطبة النكاح يريد ما شق علي وما
غلبني والشيء في الصعود يشق قال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها
فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى اسفلها فيكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد
جبلا في النار من صخر فلسا يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى
يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ليكلف ايضا
الصعود مذاكه دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي باليا التحتية على الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى والباقون بالنون
على الالتفات وهذا كما في قوله سبحانه الذي اسرى بعبده الملائم قال باركنا حوله
لنريه من اياتنا وانفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى وان اي واوحي الي ان
المساجد لله اي مختصة به تعالى بالملك الاعظم فتعبدوا والمساجد قيل هي جمع مسجد بالكسر وهو
موضع السجود وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله
عليه وسلم بقوله اينما كنتم وصلوا فانما صلاتكم فهو مسجد وقيل هو جمع مسجد بالفتح مرادا
بها الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وهو
قول سعيد بن المسيب وابن جبير والمعنى ان هذه الاعضاء انعم الله تعالى بها عليك
فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله قال عطاء مساجدك اعضاؤك التي امرت بالسجود
عليها لانك للحال الغرض لها قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة اعظم
وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اطراب قال ابن
الانباري الاراب الاعضاء وهذا القول اختيار ابن الانباري وقيل هو جمع مسجد وهو
مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع الانواع وقال القرطبي المراد بها
البيوت التي يتعبد فيها اهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان
نأتي المساجد ونشهد معكم الصلاة ونحن نأوي عنك فنزلت وان المساجد لله اي
بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت
مكة مساجد لان كل احد مسجد الها قال القرطبي والقول بانها البيوت المبنية للعبادة
اظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله تعالى
اضافة تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي

وبني وان كانت لله ملكا وتشريفا قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي رواية فان صلاة فيه
خير من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق
صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق ويقال مسجد
فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر
وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فلا تدعوا** اي فلا تعبدوا ايها المخلوقون
مع الله اي الذي له جميع العظمة **احدا** وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى
غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم
وبيعهم اشركوا بالله فامر الله تعالى نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة
اذا دخلوا المساجد كلها فلا يشركوا فيها صنما او غيره مما يعبد وقيل المعنى
افردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد
ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة
اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله تعالى لا تدعوا مع الله احدا
في سمته امر بذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور واسالك
برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم
صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كسرا
واجعل لي في الارض جدا اي غنا وقرا **وانه** نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف
والباقون بالفتح اي واوحي الي انه **لما قام عبد الله** اي عبد الملك الاعلى الذي له
الجلال كله والجمال فلا موجود بدانيه بل كل موجود من فائض فضله وعبد
الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران فان قيل
هلا قيل رسول الله او النبي اجيب بان تقديره واوحي الي فلما كان واقعا
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع
والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر
حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى **يدعوه** اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم
داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موجدا له **كادوا** اي قرب الجن المستمعون
لقراءته **يكونون عليه** اي على عبد الله **لبدا** اي متراكمين بعضهم على بعض من شدة
ازدحامهم حرصا على سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن
عباس رغبة في سماع القران وروي عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق
الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا
من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وايتمامهم به في الركوع والسجود وقال
الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نور الله واختار

الطبري

الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظاهرون على اطفاء النور
الذي جاء به وقرأ هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاول جمع لبد نحو ضلع اللام يحو عرفة
وعرف وقيل بل هو اسم مفرد صيغة من الصفات وعليه قوله تعالى ما لا لبدا
واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبدة واللبد الشيء الملبد اي المتراكب
بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبدة اظفاره لم تقلم
ومنه اللبد لبد بعضه فوق بعض ولما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم انك
حيث بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجير ك فانه
صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم انما ادعو ربي الذي وحدني وهو ربي ولا تهمة عندي
الاشراك وحده لا ادعو غيره حتى تعجبوا مني ولا انفك بعد اي الان ومستقبل الزمان
بوجه من الوجوه احدا من ود وسواع ويغوث ويعوق وغيرها من الصنمات
والناطق وقرا عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون قال
بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الخدري وهو
في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر مرة قل سبحان ربي في اخر الاسراء وكذا في اول
الانبياء واخرها واخر المومنين قل اي يا اشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك لا املك
لكم اي الان ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي ضرا ولا رشدا اي لا اقدر
ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم ضرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى
لانه لا يوثر شيء من الاشياء الا الله تعالى وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت والرشد
الحياة قل اي لهم ايضا اني ولن زاد في التاكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس من مقابل
لن يجيرني اي فيدفع عني ما يدفع الجار عن جاره من الله اي الذي له الامر كله والامر
لا احد معه احدا اي كائنا من كان اذا اراد بي سبحانه سوءا والملجا اي ملجا ولا مزيد
اي الله ملتحدا اي معدلا وموضع ميل وركون ومتدخلا وملتجا وحيلة وازاحة
كل الجهد والملتحد الملجا واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا قوله تعالى
الا بلاغا فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع اي لكن ان ابلغت عن الله رحمني لان
البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون
من دون الله بل يكون من الله تعالى وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل وتاويله
ان الايمان مستعانة للبلاغ اذ هو سببه وتسبب رحمته تعالى والمعنى لن اجد شيا
امیل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان منقطعا جاز نصبه وجهان
ارجحهما ان يكون به لا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج والثاني
انه منصوب على الاستثناء والثالث انه مستثنى من قوله لا املك قال التبليغ ارشاد
وانتفاع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة وقوله من الله اي الذي احاط
بكل شيء قدرة وعلما فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على
انه صفة لبلاغ قال الزمخشري من لست بصلة للتبليغ وانما هي لابتداء الغاية من في قوله
تعالى براءة من الله بمعنى بلاغ كائنا من الله وقوله ورسالاته فيه وجهان احدهما

انه منصوب بفعل مقدر دل عليه بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري عن والثاني انه مجرور بمن مقدرا على الجلالة اي الا بلاغا عن الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز في جعل من بمعنى عن والتجوز في الحرف واي كون مع ذلك في مقابلة منقاس عندهم ومن يعص الله الذي له الملك كله ورسوله الذي ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه في التوحيد وغيره على سبيل الحقيقة فان له اي خاصة نار جهنم اي التي تلقاه بالعنوبة والغيظ وقوله تعالى خالدين حال مقدرة من الهاء في له والمعنى مقدرا خلودهم فيها والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على من فلذلك جمع لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ وجمع للمعنى والكلام بقوله تعالى ابدا ردا على من يدعي الانقطاع قال النقاعي واما من يدعي انها تخرب وان عذابها عدو وتفلس احد حتى منه الامن تابعه على ضلاله وعنده ومحاله وليس لهم دواء الا التشفي في الدنيا والعذاب في الاخرة بما سموه عدوه وهم صابرون الله وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى حتى اذا رأوا ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها اي لا يزالون على كفرهم الى ان يروا ما يوعدون من العذاب في الاخرة او في الدنيا كوقعة بدر فسيعلمون اي في ذلك اليوم بوعد لا خلف فيه من أضعف ناصرا اي من جهة الناصر انا او انت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا او هم واقل عددا وان كانوا الان بحيث لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فيا لله ما اعظم كلام ارسل حتى يستضعفون انفسهم ويذكرون من قوتهم من جهة فوق لاهل الذي بيده الملك كله جنود السموات والارض يخذل فيها من يشاء فانه لا كلام لهم الا في تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم قال متاقل لما سمعوا قول الله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي تعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهم لا علم لي بجواب ما كذبوا به انما علمه عند ربي العذاب وساله ان يستعجل عنه وقته ووقوعه إن اي ما ادري ما توعدون من الوجود أقريب ما توعدون اي فيكون الان او قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب أم بعيد يجعل له اي لهذا الوعيد ربي اي بالحسن الى ان قدمه او اقره أمدا اي احلا مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد مهما في كل حال يتوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته فان قيل ليس انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال ها هنا لا ادري اقريب ام بعيد اجيب بان المراد بقرب وقوعه دنوا مما بقي من الدنيا قليل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم ما ما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم تنبيه اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا مؤخر ويجوز ان يكون قريب مبتدا لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به اي اقريب الذي توعدون نحو اقائم ابواك وقد نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الباء والباقون بسكونها وقوله تعالى عالم الغيب بدل من ربي او بيان او خبر مبتدا مضمر اي هو عالم الغيب كله وهو ما لم يبن الى العالم الشهادة فهو يختص سبحانه بعلمه فلذلك سبب عنه قوله تعالى فلا يظهر اي بوجه

من الوجوه

من الوجوه في وقت من الاوقات على غيبه اي الذي غيبه عن غيره فهو مختص به احدا
لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك الا من ارتضى وقوله تعالى من رسول بيان لمن ارتضى
اي الا من يصطفيه لرسالته وينبوته فيظهره على ما شاء من الغيب وتارة يكون
ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير
واسطة كموسى عليه السلام في اوقات المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج في العالم الاعلى في حضرة قاب قوسين او ادنى وقال القرطبي المعنى
فلا نظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما شاء من غيبه
لان الرسل مويدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغيبات كما ورد في التنزيل
في قوله تعالى وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الزمخشري وفي هذه
الاية ابطال الكرامات لان الذين يضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين
فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب
وفيها ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابها اكثر شيء من الارتضاء وادخله
في السخط انتهى وانكار الكرامات مذهب المعتزلة واما مذهب اهل السنة
فيثبتونها فانه يجوز ان يلهم الله تعالى بعض اوليائه ويقع بعض الوقايع في المستقبل
فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس محدثون من
غير ان يكونوا انبياء وان يكون في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب
تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول في الامم قبلكم محدثون فان كان في امتي احد منهم فان عمر ابن الخطاب منهم
وفي هذا اثبات كرامات الاولياء فان قيل لو جازت الكرامة للولي لما امتنع ان تكون معجزة
التي من غيرها وافسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره اجيب بان معجزة النبي امر
خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي مع الاعوزاء للولي لانه يدعي خرق
للعادة مع التحدي لذلك وادعاء الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة
واما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلماء قالوا لما انتهى تعجرة
التي من غيرها واشتد الطريق الى معرفة الرسول من غيره احب بارتجزة النبي امر
خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي مع الاعوزاء للولي لانه يدعي خرقا

ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد احسن القائل

حكم المنجم ان طلع مولدي يقضي علي بميتة الغرق • قل للمنجم صيحة الطوفان
هل ولد والجميع بكوكب الغرق • وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه لما اراد لقاء الخوارج
تلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في اخر السنة فانظر الى هذه
الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالنجم وقال له مسافر
ابن عوف يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات تمضين
من النهار فقال له علي ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب
اصحابك بلاء وضرب شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت
واصبت ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال
فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او صدا
اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة
التي نهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الى ما تهتدون
به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والمنجم كالساحر والساحر
في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت
وبقيت ولاحرمنك العطاية ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي
القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثانية في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة
التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال انما كان ذلك بتنجيمي وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم
منجم ولا لنا بعده ما يفتح الله تعالى علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال
يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه فانه اي الله سبحانه يظهر ذلك
الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك انه اذا اراد اظهاره عليه يسلك اي يدخل
ادخال السلك في الجوهرة في تقومه ونفوذه من غير ادنى تفريج الى غير المراد من بين
يديه اي الجهة التي يفتحها ذلك الرسول ومن خلفه هذه الجهة التي تغيب عن علمه
فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن ان يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل
وخصهما لان العدو متى اعربت واحدة منهما اتى منها ومتى حفظتا لم يات من غيرهما
لانه يصير بين الاولين والاخرين رصدا اي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه
من الشياطين ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحي
فيلقوا الى الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ
ما يوحى اليه وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك بخبر
فبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون
الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه
ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه
من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم اي الله علم ظهور كقوله تعالى حتى
نعلم المجاهدين ان مخففة من الثقيلة اي انه قد ابلغوا اي الرسل رسالات ربهم
وحد اولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله
تعالى فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة

والنقصان

والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل
ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم
اي بما عند الرسل من الحكم والشرايع لا يفوته منها شي ولا ينسى منها حرفا فهو معين عليها
حافظا لها وأحصى اي الله سبحانه وتعالى كل شي اي من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحر وغير ذلك عددا ولو على اقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال
فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وقال ابن جبير والمعنى ليعلم
الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته تنبيه هذه الاية تدل على
انه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا
من المفعول به والاصل احصى عدد كل شي كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي
عيون الارض وان يكون منصوبا على الحال اي وضبط كل شي معدودا محصورا
وان يكون مصدرا في معنى الاحصا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به
عتق رقبة حديث موضوع سورة المزمل مكية وقول الحسن وعكرمة وعطا
وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها
ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة
وهي تسعة عشر او عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية وثمانية
وثلاثون حرفا بسم الله الذي ممن توكل عليه كفاه في جميع الاحوال الرحمن الذي
عم بنعمه الايجاد المهتدي والضال الرحيم الذي خص حزبه بالسداد في جميع الافعال
والاقوال وقوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التا في الزاي
تقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة احوال الاول قال عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة
بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر والثاني
قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقران والثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه
قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشة بمرط طوله اربعة عشر ذراعا قالت عايشة
كان نصفه علي وانا نايمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان
خزا ولا قزا ولا مرعزي ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي
ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح افصح ولحمة النسب كذلك والضم افصح ولحمة
النازل بالضم لا غير لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول من عايشة يدل على ان السورة
مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح
وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوفيه فاشتد
عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتدا
ما اوحي اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جا الوحي في غار حرا جمع الى خديجة زوجته
يرجف فواده فقال زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي يعني ان يكون
هذا مبادي شعرا وكهانة وكل ذلك من الشيطان وان يكون الذي ظهر له بالوحي
ليس الملك وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له
وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك تصل

الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوايب الحق ونحو هذا من المقال الذي يثبت
وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نايما في الليل متزملا في قطيفته فنبه ونودي بما
يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته فقيل له يا ايها المزمل
قم الليل اي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا
الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما انزل عليك من كلامنا فانا نريد
اظهارك واعلا قدرك في البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه
الصلاة فلذا لم يقيده وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي
عمارها فذكرها دال على ما عداها ولما كان للبدن حظ في الراحة قال تعالى
مستثنيا من الليل الا قليلا اي من كل ليلة فان الاستثقال في اليوم فعل
من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة ∴ ∴ ∴
وكاين تخطت ناقتي من مفازة ومن نايم عن ليلها متزمل ∴ ∴
يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب
ولا تحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه ∴ سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ∴
وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ∴ ما هكذا تورد يا سعد الابل قدمه
بالاشتمال بكسان وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود
التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه التشمر واقبلوا على احيا ليلهم ورفضوا
له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم
وظهرت السيما في وجوههم وتراقى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال
الكلبي انما تزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه لتهيا للصلاة وهو اختيار الفرا
فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثنا عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر
بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا
عظيما اي حمله والزمل الحمل قال البغوي قال الحكما كان هذا الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول وقال
السهيلي ليس المزمل ليس من اسما النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس
وعدوه في اسمايه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حاله التي كان عليها
حين الخطاب وكذلك المدثر في خطابه بهذا الاسم فايدتان احديهما الملاطفة فان
العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته
التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله تعالى
عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ابا تراب اشعارا
له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة
قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتانيب فقول
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة له
ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد
ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل
يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة والليل مدة

من

من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلايل
تقوي ان قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه
ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم
وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال
الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان
قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله والثالث قول
عايشة وابن عباس ايضا انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن
عامر قال لعايشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست
تقرا يايها المزمل فقلت بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول
هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل
خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار
قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل
كله فشق عليهم فنسخ بقوله تعالى اخرها فاقروا ما تيسر من القران وكان بين الوجوب
ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع
ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر
رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد
ابن جبير فكتب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت
بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله تعالى عنهم
وقيل كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح انه صلى الله عليه وسلم
بعث يوم الاثنين في رمضان وهو ابن اربعين سنة وقيل ثلاث واربعين وامنت
به خديجة ثم بعدها قيل علي وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر وقيل ابو
بكر وقيل زيد ابن حارثة ثم امر بتبليغ قومه بعد ثلاث سنين من مبعثه
واول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعا الى التوحيد من قيام
الليل ما ذكر في اول السورة ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس
الى بيت المقدس ليلة الاسرا بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة اشهر
ليلة سبع وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي في روضته وقال في فتاويه
بعد النبوة بخمس او ست وجعل الليلة من ربيع الاول وخالفهما في شرح مسلم
وجزم بانها من ربيع الاخر وقلد فيها القاضي عياض والذي عليه الاكثر ما في الروضة
واستمر يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا او سبعة
عشر ثم امر باستقبال الكعبة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا وفرضت
الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة الثانية قيل في نصف شعبان وقيل
في رجب حولت القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدا صلى الله عليه وسلم
صلاة عيد الفطر ثم عيد الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج صلى
الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع سنة عشر واعتمر اربعا وتوفي صلى الله
عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى

عشر من الصغيرة فانه لا بد ان الانبياء الله عليهم اجمعين كلهم معصومون بفضل النبوة من الكفر
ومن المعاصي خلاف وبعدها من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهوا عند المحققين وقوله
تعالى نصفه بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل او نقص منه اي من النصف قليلا
اي الثلث او زد عليه اي على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان صلى الله مخيرا بين
هذه المقادير الثلاثة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر
الواجب وكذا بعض اصحابه واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم
ان ذلك نسخ بايجاب الصلوات الخمس وصار قيام الليل تطوعا فينبغي للمتعبد المواظبة
عليه خصوصا في الوقت الذي يباركه الله تعالى بالتجلي فيه فانه صح انه ينزل سبحانه
وتعالى عن ان يشبه انتقالا او نزولا عن صفة هو كناية عن فتح باب السماء الذي
هو كناية عن وقت استجابة الدعاء حتى يبقى ثلث الليل ومرور اية حتى يبقى سدس
الليل الاخر الى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل فاعطيه هل من تائب فاتوب
عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر فلما امر بالقيام وقدر وقته وعينه
امر بصيغة التلاوة التي هي روح الصلاة عما وجه عام فقال ورتل القرآن اي اقرأه
على تؤدة وتودة وتبين حروفه واشباع حركته بحيث يتمكن السامع من عدها
ويحي المتلو منه بتثبيها بالشعر المرتل وهو المعلج المشتد بتوبيل الافحوان وانا لا هذه
هذا ولا يستوذه مستردا كما قال عمر بن الخطاب سئ السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة
وقال ابن مسعود ولا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن قفوا عند عجائبه
وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة وقوله تعالى ترتيلا تاكيد في الامر به
وانه لا بد منه للقارئ وعن ابن عباس اقرأ على هينتك ثلاث آيات او اربعا او خمسا
وروى الترمذي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح بآية والآية ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وسئلت عائشة عن قراءته صلى
الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفها لعدها وسئل
انس كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجاء رجل الى ابن مسعود فقال قرأت المفصل
الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة
وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ اية ويبكي فقال الم تسمعوا
الى قوله الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وروى ابو داود وعن عبد
الرحمن بن عمرو مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة
فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا
فان منزلتك عند اخر اية تقرأ بها وندب اصغاء الله وبكاء عند القراءة وتحسين
صوت بها وتعود لها جهرا واعادة لفضل طويل وجلوس لها واستقبال وتدبر
وتخشع وكرهت ثم تحبس وجازت بجام وهي نظر في المصحف افضل منها على الاظهر قلت
نعم ان اراد خشوعه وحضور قلبه في القراءة عن ظهر قلب فهي افضل بلحقه وهي
افضل من ذكر لم يخل بحل وحرم تو سد مصحف وندب كتبه واصلاحه ونقطه وشكله

ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه وتحرم القراءة بالشواذ وهي ما نقل احادا
وبعكس الآي وكره العكس في السور الا في تعليم وندب ختم القرآن اول نهار او اول
ليل وختمه في الصلاة افضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم الا ان يصادف
يوما نهى الشرع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده في ختمة
اخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شيء منه ويحرم تفسيره بلا علم
إنا اي بما لنا من العظمة سنلقي اي بوعد لا خلف فيه عليك قولا اي قرآنا واختلف
في معنى قوله تعالى ثقيلا فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال
مجاهد حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم
ويبطل اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب
الهتهم وقال السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقل علي اي تكرم علي
وقال الفراء ثقيلا اي رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب تويد
بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل
في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيل اي ثابت كثبوت الثقيل في محله
ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد
لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء
بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز
منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال
بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى حمل هذه المعاني كلها فيه
وقيل المراد هو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو
على ناقته وضعت جرانها اي صدرها على الارض فما يستطيع ان يتحرك حتى يسري
عنه وعن الحارث بن هشام انه سال النبي صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي فقال
صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشد علي فيفصم
عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت
عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد وقوله فيفصم عني اي ينفصل
عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقال القشيري القول الثقيل
هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة
في الميزان وقال الزمخشري هذه الاية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما
كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن
لان الليل وقت السبات والراحة والهدون فلا بد لمن احياه من مضادة لطبيعته
ومجاهدة لنفسه انتهى يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة
وذلك ان قوله تعالى إن ناشئة الليل اي القيام بعد النوم هي أشد وطأ اي
موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن هي اشد مطابق لقوله قم الليل فكانه
شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المناسبين والمعنى سنلقي عليك
بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام

اكثره لم يتهيأ له ذلك الا بعد مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر ثقيل على العبد
ولما كان الليل يجمع القول والفعل وبه يملأ الفعل لانه اشق فكان بتقديم الترغيب فيه مدخنة
احق بتبعه القول فقال لها فيه بمعنى ايه واعظم سدادا من جهة العقل في فهمه ووقعه
في القلوب بحضور القلب لان الاصوات فيه هادية والدنيا ساكتة فلا يضطرب
على المصلي ما يقرأ وقال قتادة ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم
لرياضة الليل بهدوء الاصوات وتخلي الرب سبحانه بعضوله البركات واخلص من الرياء
فبين الله تعالى بهذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة
الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن الحسين يصلي المغرب
والعشاء ويقول هو ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة هو بعد الليل وقال في الضحاك
ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ
بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ ويقتضيه
اللغة وقالت عائشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم
ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال عيان وابن كيسان هو القيام من آخر الليل
واما قوله تعالى اشد وطا اي اثقل على المصلي من سائر ساعات النهار لان الليل وقت
منام وراحة فاذا اقام الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر
الواو وفتح الطاء وبعدها الف مهموزة وهمزة منونة وهي قراءة ابو عمرو وابن
عامر وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء وبعدها همزة منونة فهي مصدر
واطأت وطأ وطاءة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ اسمه
اسمي اي يوافقه والمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لاجتماع
الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وقيل
اشد مهادا للتصرف في الفكر والتدبير وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه
الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطء الثبات تقول وطئت الارض
بقدمي وفي الجملة عبادة الليل اشد نشاطا وادوم اخلاصا واكثر بركة وابلغ في الثواب
ان لك ايها المتهجد او ايها الكريم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في النهار
الذي هو محل التقلب في مصالح الدنيا سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فهو كالسابح
واشغالك والسبح مصدر سبح استعير للتصرف في الحوائج من السباحة في الماء وهي
البعد فيه وقال الفراء طول السبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه
بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري وقيل السبح الفراغ اي ان ذلك فراغا
لحاجات النهار وعن ابن عباس سبحا طويلا يعني فراغا طويلا للنوم والراحة
فاجعل ناشئة الليل لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ
يقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك اي المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون
ذكرا من اسم وصفة وثنا وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء واقبال
على عمل شرعي وادب مرعي ودوام على ذلك في ليلك ونهارك واحرص عليه فاذا اعتنيت
الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون لك على مصالح الدارين

اما الاخرة فواضح واما الدنيا فقد ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اعز الخلق عليه فاطمة
ابنته رضي الله تعالى عنها لما سالته خادما يعينها التعب الى التسبيح والتحميد
والتكبير عند النوم وتبتل اي اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع
اعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا اليه ولا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك
خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى تبتيلا مصدر بتل
جي به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل قال الزمخشري فان قلت كيف قيل
تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة
لحق الفواصل انتهى والتبتل الانقطاع ومنه امراة بتول اي انقطعت عن النكاح
ومنه الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
اي مون النكاح فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى
كما مرت الاشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس
والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربي
هذا فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى
الحرام على الحطام فالعزلة افضل خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل
ولكن معنى الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله وكذلك قال
مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به
في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان
وانما بعث لتبيين ما انزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص
العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل
المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهيب في الصوامع
لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع
القطر يفر بدينه من الفتن ولما كان الواجب على كل احد شكر المنعم بين انه سبحانه
الذي انعم بسكن الليل الذي امر بالتهجد فيه ومنتشر النهار الذي اذن بالسبح فيه
فقال تعالى رب المشرق اي موجد محل الانوار التي بها ينمحي هذا الليل الذي انت
قايم فيه ويضي بها الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقي
الدين بن دقيق العيد كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذي يريح من شكواهم او يريح فقيل تعريبهم ساعة
وقلت بل ذكراك وهو الصحيح والمغرب اي الذي يكون عنه الليل الذي هو محل السكون
وموضع الخلوات ولذيذ المناجات فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره
لا اله اي معبود بحق الا هو اي ربك الذي دلت تربيته لك على مجامع العظمة
وانهى صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقرا رب ابن عامر وابو بكر وحمزة
والكسائي بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم
وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا افعلن والباقون برفعها على انه خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره لا اله الا هو فاتخذه اي خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك اياه بكونه
وكيلا اي على كل من خالفك بان تفوض جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها

كقولك والله لافعلن
كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد هم

BULAC

فانه المنفرد بالقدرة عليها ولا شيء في يد غيره فلا تهتم بشيء اصلا قال البقاعي وليس ذلك
بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان
الى طلبه ليكون متوكلا في السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد
من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب ولو لم يكن في افراده
بالوكالة الا انه يفارق الوكلا بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك
من الناس دونك وانت تتوقع ان يكلمك كثيرا في مصالحك وربك اعظم العظما وهو
يامرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك ومقاله طويلا ووكيلك من الناس اذا حصل مالك
سالك الاجرة وهو سبحانه يوفي مالك ويعطيك الاجر ووكيلك من الناس ينفق
عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه
الاية عاش حرا كريما ومات خالصا شريفا ولقي الله تعالى عبدا صافيا مختارا
تقيا ومن شرط الموحد ان يتوجه الى الواحد ويقبل عليه ويبذل له نفسه ويفوض
اليه امره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع
لعظمته **واصبر على ما يقولون** اي المخالفون المفهومون من الوكالة من الاذى والسب
والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعواهم وفوض امرهم الي فاني اذا كنت وكيلا
لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك بامور نفسك **واهجرهم** اي اعرض عنهم
هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعا الى الله تعالى
وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم منع في اول الاسلام من قتال
الكفار وامر بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلون في اموالكم الاية ثم امر به اذا
ابتدوا به بقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم ابيح له ابتداوه في غير
الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم ثم امر به مطلقا من غير تقييد
بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم **ذرني** اي اتركني **والمكذبين**
اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينهم بان تكل امرهم الي
وتستكفيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان يذره
واباه الا ترك الاستكفا والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا
وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واباه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفا
باقصى ما يدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه واختلف في سبب نزول
هذه الاية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا
حتى قتلوا ببدر وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير
اخبرت انهم اثنا عشر رجلا وقال البغوي نزلت في صناديد قريش ورؤسا
مكة من المستهزئين وقوله تعالى **اولي النعمة** نعت للمكذبين اي اصحاب التنعم
والترفه فايدة النعمة في اللغة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة
ومهلهم اي اتركهم برفق وتان وتدريج ولا تهتم بشانهم وقوله تعالى **قليلا** نعت
لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر
وقوله تعالى **ان لدينا انكالا** جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذي لا ينفك ابدا
وقال الكلبي اغلالا من حديد **وجحيما** اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا

هو واصحابه م

يتقيدون

يتقيدون به تريد السرا بسوء التنعم يرفق الناس ويكلف انواع الراحة وفعلنا دعصة
اى يغص به فى الحلق وهو الرقوم او الضريع او الغسلين او الشوك من النار لا يخرج ولا يزل
وعذابا اليما اى مولما ومفنى الاية انه يناف الاخرة ما يضاد تنعمهم فى الدنيا وبكى
هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام الذى يغص به والعذاب الاليم
والمراد به شاير انواع العذاب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فضعف
وعن الحسن انه اضيف صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه
ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة
فاخبر ثابت البنانى وزيد الضبى ويحيى البكا فجاوا فلم يزالوا به حتى شرب
شربة من سويق وقوله تعالى يوم ترجف منصوب بالاستقرار المتعلق به
لدينا او الرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة فتتزلزل الارض اى كلها والجبال
اى التى هى مراسى الارض او تلالها
وعبر عن شدة الاختلاط والتلاشى بالتوحيد فقال تعالى كثيبا اى رملا
سائلا بعد ما كان متماسكا من كثب الشى اذا جمعه كانه فصل معنى مفعول من اصله ومنه الكثبة من اللبن
نهيلا قال ابن عباس رملا سائلا متناثرا وقال الكلبى هو الذى اذا اخذت منه
شيا تبعك ما بعده قال الفراء واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه
التراب اهيله اصالة وهلا اذا اصبته فقال مهيل ومهيول وكثيب مهيل
ومعين ومعيون قال الشاعر
قد كان قومك يحسبونك سيدا لما علاك هضاب الله والحرم
وسلم حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل
قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاصل مهيل مهيول استثقلت الضمة على الياء
فنقلت الى الهاء فالتقى ساكنان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى
بالحذف لانها زايدة وان كانت القاعدة انما تحذف لالتقاء الساكنين الاول
الهاء فنقض الياء وزنه حينئذ مفعل والكسائى ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة
حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى المكذبين اولا بالغاشية باهوال يوم القيمة خوفهم
بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى انا اى بما لنا من العظمة ارسلنا اليكم
اى يا اهل مكة سر فالكم خلصة والكاف من بقية الدعوة عامة رسولا اى عظيما جدا
وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم وافضلهم واجلهم قد اشاهدنا
عليكم اى بما تصنعون ليوفى الشهادة عند طبها ملئية يوم يلزع من كل امة شهيدا
وهو يوم القيامة كما ارسلنا اى بما لنا من العظمة الى فرعون اى ملك مصر رسولا وهو موسى
عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر
موسى وفرعون دون ما جرى للرسل لان اهل مكة اقرب الى محمد صلى الله عليه وسلم
واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون اقرب الى موسى لانه رباه ونشا فيما بينهم
كما قال تعالى حكاية عن فرعون الم نربك فينا وليدا وذكر الزمخشرى الشوال والعوجى
قال ابن عادل وهو ليس بالقوى لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم
نمرود وكان اثير ونير نمرود فهلا ياذكر المفسرون وكذا القول فى نوح وهود
وصالح ولوط لغرض تعالى فى قصة كل واحد منهم لعظة اخاهم لانه من القبيلة

اى ارادوا

التي بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام النزيدة
فان يا طالب نزيد عنده النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه الصلاة والسلام عند
مرعوة لم يكن ذلك لغيرهما فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه
ال العهدية والعرب اتخذ اذ اقدمت اليها ثم حكمت عنها فانها اتوا بم معرفا بال او اتنوين
بضميره ليلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا واكرمت الرجل او واكرمته ولو قلت فاكرمت
رجلا لتوهم انه غير الاول وقال المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره
ولذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم ثم سيأتي عن العصيان
قوله تعالى فاخذناه اي فرعون بالنون من العظمة وبين انه اخذ قهر وعنف
بقوله تعالى اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد
قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج
اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقتل تهلكا والمعنى كما فتناه عقوبة عليه
وفي ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم القيمة فقال تعالى فكيف تتقون
اي تجدون الوقاية التي تقي انفسكم اذا كفرتم في الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى
اذا رأيتم القيمة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيمة ان كفرتم
في الدنيا وقوله تعالى يوما مفعول تتقون اي عذاب يوم او باي حصن تتحصنون
من عذاب يوم يجعل الولدان وقوله تعالى شيبا جمع اشيب والاصل في شيب شيب
الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال
وهو مجاز ويجوز ان يراد في الآية الحقيقة والمعنى يصيرون شيوخا شمطا من هول
ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك
وسعديك وفي رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك
بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ
تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد فشق ذلك على الناس حتى تغير منوجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين
ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة
البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وفي نسخة ازاء وسكون
القاف الاثر الذي يبطن عضد الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبر القوم
ثم قال ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفي هذا اشارة
الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به وورد اهل الجنة
وفيه ايضا حلهم على تجديد شكر الله تعالى وحمده على انعامه عليهم وهو تكريم لهذه
الشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى السما منفطر اي ذات انفطار
اي انشقاق به اي بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية وجوز ان تكون
للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر
به وقال الغرطبي ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم وقيل به اي بالامر اي السما منفطر

بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره تنبيه انما لم تؤنث الصفة
لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا سما البيت قال
تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا ومنها انها على النسب اي ذات انفطار نحو امراة
مرضع وحايض اي ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفرا
فلو رفع السما اليه قوما لحقنا بالسما وبالسحاب ومنها انها اسم جنس يفرق بينه
وبين واحده بالتا فيقال سماة واسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي
الفارسي هو كقوله تعالى جراد منتشر واعجاز نخل منقعر فجا على احد الجايزين اولان
تانيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر والعين بالاثمد
الخبري مكحول والضمير في قوله تعالى كان وعده مفعولا يجوز ان يكون لله تعالى
وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم
فيكون مضافا لمفعوله والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون كان
وعده بالقيمة والحساب والجزا مفعولا كاينا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل
كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله ان هذه اي الايات الناطقة بالوعيد الشديد
او السورة تذكرة اي تذكير عظيم هو اهل لان يتعظ به ويعتبر به المعتبر ولا سيما
ما ذكر فيها لاهل الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا
يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة
اختيار الاصلح والاحسن الا قسر المشية التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب
عن ذلك قوله تعالى فمن شا اتخذ اي بغاية جهده الى ربه اي طريقا الى رضاه وجزاه اي المحسن اليه
سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل
قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شا ذكره قال الثعلبي والاشبه انه
غير منسوخ ان ربك اي المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك يعلم انك تقوم
اي في الصلاة كما امرت به اول السورة ادنى اي زمانا اقل والادنى مشترك بين الاقرب
والادون الانزل مرتبة لان كلا منهما يلزمه عنه قلة المسافة من ثلثي الليل وقرا
ونصفه وثلثه ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي بنصب الفا بعد الصاد ونصب المثلثة
بعد اللام ورفع الها فيهما عطف على ادنى والباقون بكسر الفا والمثلثة وكسر الها
فيهما عطف على ضمير يقوم وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير فيه اول السورة من قيام
النصف بتمامه او الناقص منه وهو الثلث او الزايد عليه وهو الثلثان او الاقل
من الاقل من النصف وهو الربع وقوله تعالى وطايفة من الذين معك عطف على ضمير
يقوم وجاز من غير تاكيد الفصل وقيام طايفة من اصحابه كذلك للتاسي به ومنهم
من كان لا يدري كم يصلي من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا
حتى انتفخت اقدامهم سنة فاكثر فخفف عنهم بقوله تعالى والله اي المحيط بكل شي قدرة
وعلما يقدر اي تقديرا عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار اي العالم بمقادير
الليل والنهار فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه علم ان
مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن تحصوه اي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه
الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم فتاب عليكم اي رجع بكم الى التخفيف بالترخص لكم في ترك

خاصة لا الى غيره صح

القيام

القيام المقدر اول السورة وقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اي تسهل من القرآن فيه قولان
احدهما ان المراد بهذه القراءة في الصلاة وذلك ان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق
اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة المغرب
والعشاء قال قيس ابن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في اول ركعة
بالحمد واول اية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والاية الثانية من البقرة
ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه قال
القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة
الليل اصلا واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن
معناه اقرؤا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم والقول الثاني ان المراد بقوله
تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان
سواء كان في صلاة ام غيرها قال الكعبي من قرأ في ليلة مائة اية كتب من القانتين
وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي قول كعب اصح لقوله صلى الله عليه وسلم
من قام بعشر ايات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين
ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود والطيالسي وروى انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين اية في يوم
او في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة اية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي
اية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر
فقوله من المقنطرين اي اعطي قنطارا من الاجر وجاء في الحديث الف ومائتا اوقية
والاوقية خير مما بين السماء والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار
ولا تحد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعمول عليه
عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر الف دينار
وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون الفا وقيل هو جملة كثيرة
مجهولة من المال نقله ابن الاثير قال القرطبي والقول الثاني اصح حملا للخطاب
على ظاهر اللفظ والقول الاول مجاز لانه من تسمية الشيء ببعض ما هو من اعماله
واذا كان ذلك على قيام الليل لا في قدر القراءة فلا دليل فيه على ان الفاتحة
لا تتعين في الصلاة بل هي متعينة في كل ركعة لخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم
يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ولخبر لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما ولفعله صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر
البخاري صلوا كما رأيتموني اصلي ويحمل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه مع خبر ثم اقرأ
ما تيسر معك من القرآن على الفاتحة او على الفاخر عنها جمعا بين الادلة ولما كان هذا
نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك
العلم المجمل بعلم مفصل بيانا لحكمة اخرى للنسخ فقال تعالى علم ان اي مخففة من الثقيلة
اي انه سيكون اي بتقدير لا بد منه منكم مرضى جمع مريض وهذه السورة من اول ما انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك بشارة بان اهل الاسلام يكثرون جدا واخرون غير

المرضى

المرضى يضربون اي يوقعون الضرب في الارض اي يسافرون لان الماشي يجد ويضرب برجله في الارض
يبتغون اي يطلبون طلبا شديدا من فضل الله اي بعض ما اوجده الملك الاعظم لعباده
بالتجارة وغيرها واخرون اي منكم ايها المسلمون يقاتلون اي يطلبون ويوقعون قتل اعدا
الله ولذلك بينه بقوله تعالى في سبيل الله اي الملك الاعظم وكل من الفرق الثلاث يشق
عليهم ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين
للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال
بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب
طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهدا
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة
من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا
وقرا واخرون الاية وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى موتة اموتها بعد الموت في سبيل
الله احب الي من الموت بين شعبتي رجل ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال
طاوس وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واعاد
قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه اي من القران للتاكيد واقيموا الصلوة اي المكتوبة وهي
خمس بجميع الامور التي تقوم بها من اركانها وشروطها وابعاضها وهياتها واتوا الزكاة
اي زكاة اموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد
ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص
واقرضوا الله اي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنى المطلق
من ابدانكم واموالكم في اوقات صحتكم ويساركم قرضا حسنا من نوافل الخيرات
كلها برغبة تامة وعلى هيئة جميلة في ابتدايه وانتهايه وقال زيد ابن اسلم القرض
الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو
النفقة في سبيل الله وما تقدموا لانفسكم اي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت
حيث لا تقدرون على الاعمال من خير اي خير كان من عبادات البدن والمال تجدوه
اي محفوظا لكم عند الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما هو اي لا غيره خيرا اي لكم وجاز ضمير
الفصل بين غير معرفتين لان افعل منه كالمعرفة ولذلك يمتنع دخول اداة التعريف
عليها والمعنى هو خيرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال
الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا
من احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك
يا رسول الله قال ما منكم رجل الا قال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول
الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واعظم اجرا قال ابو هريرة يعني
الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطايه بالحسنة اجرا ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح
عليه ولا سيما اذا كان المادح له ربه ربما ادركه الاعجاب بين له انه لا يقدر بوجه
على ان يقدر احد حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قايل

BULAC

واستغفروا الله اي اطيعوا واوجدوا ستر الملك الاعظم الذي لا يحيطون بمعرفته فكيف
باداء حق خدمته لتقصيركم عينا واثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ان الله
اي الملك الاعظم غفور اي بالغ الستر لاعيان الذنوب واثارها حتى لا يكون عنها عقاب
ولا عتاب رحيم اي بالغ الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المزمل دفع
الله عنه العسر في الدنيا والاخرة حديث موضوع • سورة المدثر مكية وهي خمس او ست
وخمسون اية ومائتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف بسم الله الملك
الواحد القهار الرحمن الذي عم برحمته الابرار والفجار الرحيم الذي خص اصفياءه بما يوصل
الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد ما بديت بالاجتهاد في الخدمة
المهيا للقيام باعباء الدعوة افتتحت هذه بمحط حكمة ارساله وهي النذارة فقال تعالى
يا ايها المدثر روي عن يحيى ابن ابي كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل
من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم ربك الذي خلق قال ابو سلمة
سالت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك
الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري
هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي
فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا
قال فنزل يا ايها المدثر الاية وذلك ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت
فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهوى يعني جبريل عليه
السلام فاخذتني رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري عن ابي سلمة عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما انا امشي
سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين
السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل
يا ايها المدثر الى قوله تعالى فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئثت الى
اهلي وذكره ثم حمي الوحي وتتابع فان قيل هذا الحديث دال على ان سورة المدثر اول ما نزل
من القران ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسياتي
في موضعه ان شاء الله تعالى ومنه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده
الحديث اجيب بان الذي عليه العلماء ان اول ما نزل من القران على الاطلاق اقرا باسم
ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران
فضعيف وانما كان نزولها مفرقا بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة
عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله
تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه قوله فان الملك الذي جاءني بحراء وحاصله ان اول ما نزل من القران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك وان اول ما نزل بعد فترة الوحي
سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء
والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن اختفاء

سورة المدثر مكية

وعدم

وعدم تتابعه ونفاليه في النزول وقوله فجئت منه رويد بحيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم
ثا مثلثة ساكنة ثم تا الضمير وروي بياء بين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما فزعت منه
وفزعته وقوله وحمي أي تتابع أي كثر نزوله وازداد تقدم تفسيره من قولهم حميت
الشمس والنار اذا اشتد حرها وقوله فصبوا علي ما بارد فيه انه ينبغي لمن فزع أن يصب
عليه الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليتدفأ بها
واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمي مدثرا لوجوه احدها قولهم صلى الله
عليه وسلم دثروني وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل
عليه السلام وايقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها المدثر قم فانذر أي حذر الناس من العذاب
ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا
المنصب الذي نصبك الله عز وجل له وثالثها ان الوليد بن المغيرة وابا جهل وابا لهب والنضر
ابن الحارث اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسألون عن امر
محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قائل هو مجنون وقائل كاهن وقائل شاعر
ويعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف الاخبار على انها
احدوثة باطلة سموا محمدا باسم واحد يجتمعون عليه وتسمية العرب به فقام رجل
منهم فقال انه شاعر فلما سمع ذلك استند عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر
بثيابه فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا
فعندنا وجوه ايضا احدها قالت عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة من قولهم
البسه الله لباس التقوى وهذا بعيد لان هذا المعنى انما يقال بعد ان يكون نبيا
فلا يقال له بعد ذلك يا ايها النبي قم فانذر وهذا مجاز بعيد لانه لا يمكن
نبيا بعد ان يقال له يا ايها النبي قم فانذر وثانيها ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وهو صلى الله عليه وسلم
كان يخلو بحرا كالمختفي من الناس فكانه قيل يا ايها المدثر بالاختفاء قم بهذا الامر
واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها
انه جعله تعالى رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر بثوب العلم العظيم والخلق
الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك وعلى كلا القولين في ذلك من
ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ نادى بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل
يا محمد وربك اي خاصة فكبر اي عظمه عما يقول عبدة الاوثان ووصفه بانه اكبر
من ان يكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا لم تفتتح الصلاة فقل الله وربك
اكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير
الصلاة فانه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ
ولدا غيره ولا تتخذ سواه وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل وهو اسم
صنم كان لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلا واجل وقد صار هذا
اللفظ بعرف الشرع من شعائر العباد اذا اراد صلاة وذكرا يقوله الله اكبر وحمل
عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق وموارده فمنها قولي تحريمها
التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال
بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك واما مراد الشارع منا من بالنسك

والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم والتكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال المفسرون لما نزل
قوله تعالى وربك فكبر دام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله تعالى عنها
وفرحت وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل هو ان يقال الله اكبر
وقيل المراد منه التكبير في الصلاة واستشكل ذلك على القول بانها اول سورة نزلت فان
الصلاة لم تكن فرضت واجيب بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كانت له صلوات
تطوع فامر ان يكبر فيها بنية دخلت الفاء في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى
الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك والدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام
ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب
بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر اي من النجاسات
لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة
وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته
ففي الاية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الاية الاعلام بان الصلاة
لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان
المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى ان يصون ثيابه عنها
وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه
فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يا ايها المدثر قم فانذر
ولا يمنعك تلك الشناعة عن الانذار وربك فكبر على ان لا تنتقم منهم وثيابك
فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب
في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك ما لا يؤمن معه اصابة النجاسة
قال صلى الله عليه وسلم ازار المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين ما كان من اسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس
الازار الكعب ويوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون
ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر
الله تعالى الى من جر ثوبه خيلاء وفي رواية من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة
قال ابو بكر يا رسول الله اني اجد شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب
للقاذر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم
اعجبني زيد ثوبه كما يقول اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم
تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقا عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابا
الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء وقال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله
تعالى وثيابك فطهر فقال لا يلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال انا سمعت قول
غيلان بن سلمة الثقفي واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع
والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ويقول لمن غدر انه لدنس

الثياب

الثياب وقال ابي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وانت بر طاهر
وقال الحسن والقرطبي وخلقك فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك فطهر وقال
مجاهد وابن زيد وعملك صالح وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح
قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل
قالوا ان فلانا خبيث الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه
الذين مارقهما يعني عمل الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الاهل
اي طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا
قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وقيل المراد به الدين اي دينك فطهر جا في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها
دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك
قال الدين وقوله تعالى **والرجز** فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاوثان **فاهجر**
اي دم على هجره وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين
والزاي لقرب مخرجهما دليل هذا التاويل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ورد عن ابن عباس ان معناه اترك الماثم وقرا حفص بضم الراء والباقون بكسرها
وهما لغتان ومعناهما واحد وقال ابو العالية الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر
النجاسة والمعصية وقال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب
قال البغوي ومجاز الاية اهجر ما اوجب لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى
ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي لا تعط مستكثرا رابيا
لما تعطيه كثيرا بل اجعله خالصا لله تعالى ولا تطلب عوضا اصلا ومعنى تستكثر
اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار ههنا
عبارة عن طلب العوض كيف كان فيكون عطاوه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار
العوض والتفات النفس اليه وقيل لا تعط شيئا طالبا للكثير نهي عن الاستقرار وهو
ان يهب شيئا وهو يطمع ان يعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز
ومنه الحديث المستقرر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا
خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الاية لان الله تعالى اختار له اشرف
الاداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولا منة وقيل
انه تعالى لما امره باربعة اشيا انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر
الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر
لما يفعله **ولربك فاصبر** اي على الاوامر والنواهي متقربا بذلك اليه غير ممتن به
عليه وقال الحسن بحسناتك مستكثرها وقال ابن عباس ولا تعط عطية تلتمس
بها افضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي مستكثرا
بذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى فلا منة لك عليهم
ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك اي لتستكثر اي
لمن ياخذ منهم اجرا على ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك
في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله تعالى عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر
عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله تعالى عليك اذ جعل الله تعالى لك سبيلا

الى عادته وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل وعوف فلا يفتخر
لرفضه لا تفعل الخير لترائي به الناس والمذكر يتعالى ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر بعد وعيد الاشقياء بقوله تعالى فاذا نقر اي نفخ في الناقور اي في الصور
وهو القرن النفخة الثانية فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال تعالى اصبر على ما ان صعب
تلقى منه عاقبة صبرك واعداوك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك
اشارة الى وقت النقر وهو ممتد اخمن يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره
اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ على الكافرين واصحاب النار
ابو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون
بالفتح ولما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات او يعالج فيزول
يسيرا بين انه ليس كذلك بقوله تعالى غير يسير فجمع فيه بين اثبات الشيء ونفي ضده
تحقيقا لامره ودفعا للمجاز عنه ونعته بالكافرين يشعر بيسره على المؤمنين
فانهم لا يناقشون الحساب ويخشون بعض الوجوه يقال المعازير قال الرازي
ويحتمل انه عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكفار اشد بتنبيه قال
الحليمي سمي الصور سمعا من وان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان فان نفخة الاصعاق
بخلاف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع
في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي
نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ذرني اي اتركني على اي حالة
انفردت وقوله تعالى ومن خلقت منطوف على المفعول او مفعول معه وقوله تعالى
وحيدا فيه اوجه احدها انه حال من التاء في ذرني اذ المعنى وحدي معه فانا اكفيك
امره الانتقام منه الثاني انه حال من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد فانا اهلكه الثالث انه حال من عايد المحذوف اي خلقته وحيدا
فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف اي في خلقته في بطن امه وحيدا
لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قاله مجاهد الرابع ان ينتصب
على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة المخزومي ومعنى وحيدا
ذليلا وقيل انه كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق
مقالته لانه هذا لقب له شهر به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان
لقبا تعين نصبه على الذم قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد
ليس لي في العرب نظير ولا الى الغيرة نظير قال الرازي وهذا القول بعضهم بانه
لا يصدق في دعواه ذلك بانه وحيد لا نظير له ذكر الواحدي وهو ضعيف من وجوه
لانه قد يكون الوحيد علما فتزول السؤال لان اسم العلم لا يفيد في التسمي صفة
بل هو قايم مقام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله
عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه
لان لفظ الوحيد ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع قال ابو سعيد الوحيد

البيه

الذي لا اب له كما تقدم في الزعيم وجعلت له اي باسباب اوجدتها انا وحدي لا يحول منه ولا قوة
بدليل ان غيره اقوى منه بدنا وقلبا واوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك مالا ممدودا
اي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطايف من الابل والغنم
والحجور والجنان والعبيد والجواري واختلفوا في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن
جبير الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري مرة اربعة الاف
دينار ومرة الف الف دينار وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وقال الرازي
الممدود هو الذي يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء دايما ولذلك فسره عمر غلة
شهر بشهر وقال النعمان الممدود الزيادة كالزروع والضروع وانواع التجارات
وقال مقاتل كان له بستان بالطايف لا تنقطع ثماره شتا ولا صيفا وبنين اي وجعلت
له بنين شهودا اي حضورا معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة
الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية
المعرفة ومع ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كانه لا شاهد بها غيرهم قال مجاهد
وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك
سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطايف وقال مقاتل كانوا سبعة لعله اقتصر على من ولد
بمكة وعلى كل قول اسلم منهم ثلاثة خالد الذي من الله على المسلمين باسلامه فكان
سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام وعمارة ومهدت اي بسطت
له العيش والعمر والولد تمهيدا والتمهيد عند العرب التوطية والتهيئة ومنه
مهد الصبي وقال ابن عباس اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام وعن مجاهد
انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة وقوله
تعالى تمهيدا تاكيد ثم اي بعد الامر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسولنا صلى الله
عليه وسلم يطمع اي بغير سبب يدلي به مما جعلناه سبيل المزيد من الشكر ان ازيد
اي فيما اتيته في دنياه او في اخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الحسن ثم
يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي
فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اي وعزتنا وجلالنا لا يكون له زيادة على ذلك
اصلا اما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع وليزجر
وليرتجع فانه حمق محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال الوليد بعد نزول
هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا تنبيه كلا قطع للرجا عما كان يطمع
فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ومبتدا بقوله تعالى
انه اي هذا الموصوف كان اي بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر عن الانفكاك عنه
لايات على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية لا لغيرها من الشبه
القايدة الى الشرك عنيدا قال قتادة اي جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال مجاهد
انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف وزغف والعنيد في معنى المعاند
والعناد كما قال الملوي من كبر في النفس او يبس في الطبع او شراسة في الاخلاق
او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لانه خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة
وعدم الطواعية تنبيه في الاية اشارة الى ان الوليد كان معاندا في امور كثيرة

منها انه كان يعاند في دلايل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا
لانه كان يعرف هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد افحش انواع الكفر ومنها ان
قوله تعالى كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان سارهقه اي اكلفه صعودا
اي مشقة من العذاب لا راحة له فيها روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية
انه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله
وقال الكلبي انه صخرة ملسا في النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل
الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها
اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دابه ابدا انه اي هذا العنيد فكر
اي رد فكره وادارة تابعا لهواه لاجل الوقوع على شي يطعن به في القران او النبي
صلى الله عليه وسلم وقدر اي اوقع تقدير الامور التي يطعن بها وقاسها في نفسه
ليعلم انها اقرب الى القبول وذلك ان الله تعالى لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم
في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه ليسمع قراته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم
لاستماعه لقراته اعاد قراة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم
فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو
ولا يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش
كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له
الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون
لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك داخل
على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة تسال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال
الم تعلم اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم
فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط
تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب قالوا لا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش
للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ما مر قال الله تعالى فقتل اي هلك وبعد
وطرد في دنياه هذه كيف قدر اي على اي كيفية اوقع تقديره هذا ثم قتل
اي هلك ولعن هذا العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ
والقيمة كيف قدر فثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ومعنى قول القايل قبله الله ما اشجعه واخزاه
الله ما اشعره للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه
حاسده بذلك واما ثم المتوسط بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تانى
في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد وقوله تعالى
ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما والنظر اما في وجوه قومه واما فيما يقدح

به في القرآن ثم عبس اي قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلد ما بين العينين كراهية
شديدة كالمهتم للتفكر في شيء مما لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد
فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك
انه لما قال لقريش بان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين يدعوه الى الاسلام
فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه وبسر اي زاد
في القبض والكلوح يقال وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة
ثم اي بعد هذا التروي العظيم ادبر اي عما اداه اليه فكره من الايمان بسلامة
المنظور فيه وعلوه عن المطاعن فجاد عن وجوه الافكار الى اقفائها واستكبر اي
واوجد الكبر عما الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه فقال اي عقب
ما اخبره اليه طبعه الخبيث من اتباع الكبر على هذا الوجه الكوني اذ ما فعالهم في الدنيا
ان اي ما هذا اي الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر اي امر يخيل لا حقيقة
لها وسمي بذلك بحيث تخفى اسبابه اما بالنسبة الى الراقي فقط او الى الكل
وهو الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الرجل واهله وولده
وهو الذي ما هو الا سحر يؤثر اي يرويه عن غيره فهو ينقله عن مسيلمة
واهل بابل كما قال ان اي ما هذا اي القرآن الا قول البشر اي ليس منه شيء عن الله تعالى
فلا يغتر به احد ولا يعرج عليه فارح النادي وزاحم تقرقوا معجبين بقوله متعجبين
منه قيل وهذا شديد مما قاله بعضهم لو قيل له خمس وخمس لا عندي يوما وليلة لقد
بحث وتقول له فضلة عجيب امرها ولين عجبت لها لا مثل عجبي خمس وخمس
ستة او سبعة فقولان قالها الخليل وتعلم فكان قوله هذا مناسب هلاكه
فكان كما قال بعضهم احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقوله تعالى سأصليه اي ادخله سقر اي جهنم بوعد لا بد منه عن قريب بدل من صار وعنه
صعودا وقوله تعالى وما ادراك ما سقر تعظيم لشانها وقوله تعالى
لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي شيئا
يلقى فيها الا اهلكته ولا تذرها هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تذره
من الهلاك بل كلما يطرح فيها فاكل لا محالة وسميت لسقر من السقر وهي شدة الحر
ولا تنصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة الثانية فما دركت
النار سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية لواحة من لوح
الهجير قال تقول ما الاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحتك الهواجر للبشر اي يحرقه
لظاهر الجلد فيدعه اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها
كالحون والبشر اعالي الجلد وهو جمع بشرة وجمع البشر البشار وعن الحسن يلوح للناس
كقوله تعالى ثم لنزوعة للعين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش
ولوحه اي غيره قال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد

سقتني على لوح من الماء سترة سقاها من الله الزهام الغراديا

يعني باللوح شدة العطش والزهام جمع زهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وازهمت
السحابة امنت بالزهام عليها تسعة عشر اي من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه
ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نقباء وقال البراء بن عازب تسعة عشر ملكا باعيانهم

وقيل تسعة عشر الف ملك قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال
اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي واشفارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار
من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين
الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر قال
ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة
يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الرهم يعني الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان
يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم
منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين وروي
انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط وارفع عشرة بمنكبي الايمن وسبعة بمنكبي
الايسر في النار ونمضي ندخل الجنة وانزل الله عز وجل وما جعلنا اي بما لنا من العظمة
وان خفي وجه العظمة فيه على من عمي قلبه اصحاب النار اي خزنتها الا ملائكة
اي لم نجعلهم رجالا فتغالبونهم وانما جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس الفريقين
من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرحمة والرافة ولانهم اشد
الخلق باسا واقواهم بطشا فقوتهم اعظم من قوة الجن والانس ولذلك جعل الرسول
الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة
مخلوقون من النور فكيف تطيق المكث في النار اجيب بان الله تعالى قادر على كل الممكنات
فكما انه لا استبعاد في انه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت
فكذا الاستبعاد في ابقاء الملائكة هناك من غير الم وما جعلنا اي بما لنا من العظمة
عدتهم اي مذكورة ومحصورة الا فتنة اي بلية للذين كفروا وقال
ابن عباس ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي الا سبب فتنة
وللذين صفة الفتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي وما جعلنا عددهم
الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري قال ابو حيان
انه تحريف لكتاب الله ان زعم ان معنى الا فتنة للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا
لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكاء وقال الرازي انما صار هذا العدد سببا لفتنة
الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونوا عشرين وما
المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف
يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام
الساعة واجيب عن الاول بان هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني
بانه لا يبعد ان الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع
جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء صياح ديكهم ثم اقلبها فجعل عاليها سافلها وايضا فاحوال القيمة لا تقاس
باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر ارباب المعاني في تقرير هذا العدد وجهين
احدهما ما قاله ارباب الحكمة ان نسب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية
والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية والقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة
والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر واما القوى الطبيعية فهي

الجارية

الجارية والماسكة والهاضمة والدافعة والقاذفة والمولدة فالمجموع تسعة عشر
فلما كانت هذه منشآت الآفات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ثانيهما ان ابواب
جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة
ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة
ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع
تسعة عشر مشغولة بعين العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر
وقوله تعالى ليستيقن الذين متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر اي فعلنا
ذلك ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا التورية والانجيل وانه مكتوب
فيهما انهم تسعة عشر فذلك موافق لما عندهم ويزداد الذين آمنوا اي من اهل الكتاب
ايمانا اي تصديقا لموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم ولا يرتاب اي شك
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون في عددهم فان قيل قد اثبت الاستيقان
لاهل الكتاب وزيادة الايمان لاهل للمؤمنين فما فائدة ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون اجيب بان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق
الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك
الدليل الدقيق فيعود الشك واثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان
الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين
جازم لا يحصل عقبه شك البتة وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من اعلام
النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض
الامور علة لصلاح ناس وفساد آخرين لانه لا يسأل عما يفعل على ان العلة قد
تكون مقصودة لشيء بالقصد الاول ثم يترتب عليها شيء آخر فيكون قصده بالقصد
الثاني تقول خرجت من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض
والكافرون اي ويقول الراسخون في الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون
لما دلت عليه الادلة من الحق ماذا اي اي شيء اراد الله اي الملك الذي له جميع
العظمة بهذا اي العدد القليل في جنب عظمته مثلا قال الجلال المحلي سموه
لغرابته بذلك واعرب حالا وقال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد
المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال الرازي انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد
عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما اشعر به ظاهره بل
جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه
ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييز او حال وتسمية هذا مثلا على سبيل
الاستعارة لغرابته ولما كان التقرير اراد بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالي
وهداية من اهتدى وهو لا يبالي كان كانه قيل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا
فقال تعالى كذلك اي مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية يضل الله اي الذي
له مجامع العظمة ومعاقد العز من يشاء باي كلام شاء كاضلال الله تعالى ابا جهل
واصحابه المنكرين لخزنة جهنم ويهدي بقدرته التامة من يشاء بنفس ذلك الكلام
او بغيره كهداية اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب اهل السنة

لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال تعالى في اخر
الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى
كذلك يضل الله من يشاء وما يعلم جنود ربك اي المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك
الا هو اي الله سبحانه وتعالى قال مقاتل وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان
الا تسعة عشر وقال مجاهد وما يعلم جنود ربك يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب
اهل النار لا يعلم عدتهم الا الله والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان
والجنود ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روي ان
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا تعود لهم نوبة اخرى وروي ان
الارض في السما كحلقة ملقاة في فلاة وكل سما في التي فوقها كذلك وورد في الخبر اطت
السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع وفي رواية موضع قدم الا وفيه
ملك قائم يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها الا هو ثم رجع
الى ذكر سقر فقال تعالى وما هي اي النار التي هي من اعظم جنوده الا ذكرى للبشر
اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار
وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة
وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى كلا ردع لمن انكرها او انكار
لان يتذكروا بها قاله البيضاوي وقال البغوي هذا قسم يقول حقا وقال الجلال
المحلي استفتاح بمعنى الا والقمر اي الذي هو اية الليل الهادية لمن ضل بظلامه والليل
اذا دبر اي مضى فانقلب راجعا من حيث جا فانكشف ظلامه وقرا نافع وحمزة وحفص
بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة
الساكنتين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها الف وفتح المهملة بعد الالف
فالقراءة الاولى اذ ادبر والثانية اذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وادبر اذا ولى
ذاهبا قال ابو عمرو دبر لغة قريش وقال قطرب دبرا قبل تقول العرب دبرني فلان
اي جا خلفي فالليل ياتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضا وتبين وقوله تعالى
انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى
جعلت الف التانيث كبابها فانما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك
القواصع في جمع القاصعا كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا والدواهي الكبر ومعنى
كونها احديهن انها من بينهن واحدة في العظيم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهي
احدى النسا وقوله تعالى نذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا
كما تقول هي احدى النسا عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة اي
ونذيرا للبشر قال الزمخشري وهو من بدع التفاسير وقوله تعالى لمن شا اي بارادته
منكم بدل من للبشر ان يتقدم اي الى الخير والجنة بالايمان او يتاخر اي الى الشر او النار
بالكفر كل نفس اي ذكر او انثى على العموم بما كسبت اي خاصة لا ما كسب غيرها رهينة
اي مرهونة ماخوذة بعملها وليست بتانيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين
في قوله لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه
المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن

ومنه

ومنه بيت الحماسة • ابعد الذى بالنعف نعف كويكب • رهينة رمس ذى تراب وجندل
كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس بما كسبت رهينة عند الله عز وجل مملوكة الا اصحاب اليمين
وهم المؤمنون فانهم فكوا رقابهم بايمانهم وبما احسنوا من اعمالهم وقتلوهم الملائكة وروى
عن على انهم اطفال المسلمين وقال مقاتل هم اهل الجنة الذين كانوا على عهد ادم يوم الميثاق
حين قال لهم الله ادخلوا الجنة ولا ابالى وعنه ايضا هم الذين اعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن هم
المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس ما خوذة بكسبها بخيرا وشر الا من اعتمد على الفضل
فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو عنه ماخوذ وما اخرجهم
من حكم الارتهان الذى اطلق على الاهلاك لانه سببه استثنى ايمانهم فقال تعالى
وجنات اى بساتين فى غاية العظم لانهم اطلقوا انفسهم وفكوا رقابهم فلم يمنعوا ايشاء ربهم
اى فيما يشتهيه يتمنى تقضى لهم او يسالون غيرهم عن اخبرهم اى عن احوالهم ويقولون
لهم بعد اخراج الموحدين من اهل النار محتملة للاستفهام والتوبيخ والتعجب ما سلككم
اى ادخلكم ايها المجرمون ادخالا اصوريا غاية الضيق حتى كانكم السلك فى الثقب وقرا السين
بادغام الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار فى سقر ما جابوا بان قالوا لم نك من المصلين
اى صلاة يعتد بها فكان هذا انبنا على ان ترك الفرع فى الصلاة مانع من مثل حالهم
وعلى انهم يعاقبون على فروع الشريعة وان كانت افضل منهم فلو فعلوها قبل الايمان
لم يعتد بها وعلى ان الصلاة اعظم الاعمال وان الحساب يقدم عما عداها ولم نك نطعم
المسكين اى لانفيد مايجب علينا اعطاؤه له وكنا نخوض اى نوجد الكلام الذى هو
فى غير موافقه ولا على لنا به اتحادا منا مع الخائضين فى ما عم نوع اخا باطل بحيث صار
لنا هذا وصفا راسخا فنقول فى القرآن انه سحر وانه شعر وانه كهانة وغير هذا
من الاباطيل لا نتورع عن شئ من ذلك ولا ننقطع بمثل ولا نرجع الى الصحيح نقلا وللحق
الذين يبادرون الى الكلام فى كل ما يتالون عنه من انواع العلم من غير تثبت منزلتهم
من هنا وكنا نكذب اى بحيث صار ذلك وصفا ثابتا بقوم الذين الى يوم البعث والجزا
حتى اتانا اليقين اى الموت ومقدماته التى فظعتنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى
ياتيك اليقين فان قيل لم اخر التكذيب وهو اخس تلك الخصال الاربع اجيب بانهم
بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم هذا
الذنب كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا اى اقروا واعملوا انفسهم بما اوجب العذاب الدائم
فكانوا من فصد فرجه فتغوز بملاجه نسب عنه قوله تعالى فما تنفعهم اى فى حال
اتصافهم بهذه الصفات شفاعة الشافعين اى لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس
المراد انهم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية
تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المومنين بمفهومها لا بتخصيص هو لانهم لا تنفعهم
شفاعة الشافعين يدل على ان غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود
يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى
الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال
لهم ما سلككم فى سقر فالوا لم نك من المصلين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
قال عبد الله بن مسعود فهولاء الذين فى جهنم فما لهم عن التذكرة مفرضين اى فما

اهل مكة فداعرضوا وولوا عن القرآن قال مقاتل معرضين عن القرآن من وجهين احدهما
الجحود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة المعظة بالقرآن عدل عن لفظ المواعظ
ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وسئل هذه الحال التي تسمى
حالا لازمة وعن التذكرة متعلق بمعرضين اي اي شئ حصل لهم في اعراضهم عن الاتعاظ كانهم
في اعراضهم عن التذكرة من سنن النفر حمر اي من حمر الوحش وهي اشد الاشياء نفارا ولذلك
كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحمر في عدوها اذا ورد
ما فاحسنت بها مستنفرة اي موحدة للنفار تعاينه الرعية حتى كانها نظمت
من انفسها لانه شانها وطبعها وقرا ابن عامر ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول اي
نفرها القناص والباقون بكسرها بمعنى نافرة فرت من قسورة قال المجاهد هي جماعة
الرماة الذين يتصيدونها لواحد لهم لفظه وبهذه رواية عن ابن عباس وقال سعيد بن
جبير هي القناص وعن زيد بن اسلم ورفيق من رجال اقوياء وكل صخم شديد عند العرب
قسور وقسورة وعن ابن المتوكل اسم لجمع القوم واصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس
قال اجناد الصيادين وقال ابو هريرة هي الاسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك ان الحمر
الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة ظلمة الليل وتقال لسوادا ول الليل قسورة وهي
تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتحسين حالهم بين كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا
شهادة عليهم بالبلادة وقلة العقل ولما كان الحمار قط قطعا لا سبيل لهم الى اعراضهم
هذا امرت عنه بقوله تعالى بل يريد اي على وعوا هم في زعمهم كل امرئ منهم اي المعرضين
من ادعاء الكمال في المروءة ان يؤتى اي من السماء صحفا اي قراطيس مكتوبة منشرة
اي مفتوحة وذلك ان الجهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نؤمن لك بعض ما تاتي كل
واحد منا بكتاب معنون الينا عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيه بتصديقك
ونطير لكل رجل منا صكا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقترحون
ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براءة من النار وقال
الكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوب عند راسه
ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقالوا اذا كانت ثوب الانقاح تكتب عليه فما لنا لا نرى
ذلك قال البغوي والصحف جمع الصحيفة ومنشرة مبسوطة قال الله تعالى كلا اي لا يؤمنون
الصحف وقيل حقا قال البغوي وكلا رد عليهم في قولهم هذا وجحد قال ابن عادل والاول
اجود لانه رد لقولهم ثم بين تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى بل لا يخافون اي لا يخشون
من الاخرة لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا فلذلك اعرضوا عن التذكرة كلا
استفتاح قاله الجلال المحلي وقال البيضاوي ردع عن اعراضهم وقال البغوي وتبعه ابن عادل
حقا انه اي القرآن تذكرة اي عظة توجب اتعاظا عظيما بتاعه وعدم الانفكاك
عنه بوجه فليس لاحد ان يقول انا معذور لم احد مذكرا ولا معرفا فان عند اظهم
مذكرا واشرف معرف فمن شاء اي ان يذكر ذكره اي لفظ به وجعله نصب عينيه
وعلم معناه وتخلق به فمن فعل ذلك سهل عليه لفظه وبقض مغانيه فانه كالبحر الغزارات
من لدنا اعترف ومايذكرون اي في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الملك الاعظم الذكر
لا امر لاحد معه ذكرهم او مشيتهم كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل

العبد

العبد بمشية الله تعالى وقرا نافع بتا الخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب
والباقون بيا الغيبة حملا على ما تقدم من قوله تعالى كل امر هو اي الله سبحانه وتعالى وحده
اهل التقوى اي ان يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما اتصل قدرهم اليه لما له من الجلال
والعظمة والقهر وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح
وبين اللفظين واهل المغفرة اي وحقيق ان يطلب غفرانه للذنوب لا سيما اذا ابقاه
المذنب لان له الجمال واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شيء ولا يضره
روى احمد والترمذي والحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية
هو اهل التقوى واهل المغفرة يقول الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى ان يشرك
بي غيري فانا اهل ان اغفر له ووقف الكسائي على اهل المغفرة بالامالة على اصله
وورش بترقيق الرا وقفا ووصلا على اصله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به حديث موضوع سورة القيمة مكية وهي
تسع وثلاثون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا
بسم الله الذي له الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بنعمه الايجاد اهل الهدى والضلال
الرحيم الذي سدد اهل العناية في الافعال والاقوال واختلف في لا في قوله
تعالى لا اقسم على اوجه احدها انها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث
اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا اقسم بيوم القيمة قال القرطبي ان القران جا بالرد على
الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا افعل
فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيمة لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثاني
انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب واعترض هذا بانها انما تزاد في وسط الكلام
لا في اوله واجيب بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل عليه انه قد يجي
ذكر الشي في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى يا ايها الذي انزل عليه الذكر انك
لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول
هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القران في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض
لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز الثالث قال الزمخشري ادخال لا النافية
على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر وفائدتها توكيد القسم ثم قال الزمخشري بعد ان ذكر وجه
الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم فالوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه
لا يقسم بالشي الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام
يعني انه يستاهل فوق ذلك قال بعضهم قول الزمخشري والوجه ان يقال الى اخره
تقريرا لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره وحاصل
كلامه يرجع الى انها نافية وان النفي مسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه
وليس فيه نفع لفظا ولا معنى وقرا ابن كثير بخلاف عن البزي بغير الف بعد
اللام والهمزة مضمومة والباقون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن

قراءة الباقين بالمد ولا خلاف وفي قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة في المد والكلام في لا
كالكلام في لا المتقدم وجرى الجلال المحلي على انها زائدة في الموضعين واختلف في النفس
اللوامة فقيل هي نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم الا نفسه يقول ما اردت بكذا ولا تراه
الا وهو يعاقب نفسه وقال الحسن هي والله نفس المؤمن ما ترى المؤمن الا يلوم نفسه
ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال
مجاهد هي التي تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر
منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليها غيرها وقيل المراد آدم عليه السلام لم يزل لائما نفسه
على معصيته التي اخرج بها من الجنة وقيل هي الملومة فيكون صفة ذم وهو قول
من نفى ان يكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون القسم سائغا وقال مقاتل هي
نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا في الآخرة على ما فرط في جنب الله تعالى وجواب القسم
محذوف اي لتبعثن دل عليه قوله تعالى أيحسب الانسان اذ هذا النوع الذي جبل
على الانس بنفسه والنظر في عطفيه واسند الفعل الى النوع كله لان اكثرهم كذلك لغلبة
المحظوظ على العقل الا من عصم الله تعالى وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها ألن اي ان لا نجمع اي على ما لنا من العظمة عظامه اي التي هي قالب بدنه
فنعيدها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت في عدي بن ربيعة
حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف امرها وحالها فاخبره النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اؤمن به
او يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد
ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقوله تعالى [illegible] المنفي
المستحب عليه الاستفهام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري
السوء عدي ابن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل انكر
البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق تنبيه
الن هنا موصولة اي ليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى بلى ايجاب
لما بعد النفي المستحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدأ بقوله تعالى
قادرين وقيل المعنى بل نجمعها قادرين مع جمعها على ان نسوي بنانه اي اصابعه
وسلاماته وفي عظامه الصغار التي في يده ورجله خصها بالذكر لانها اطرافه واخر
ما يتم به خلقه بان نجمع بعضها على بعض على ما كانت عليه قبل الموت لانا قدرنا على
تفصيل عظامه وتفتيتها فنقدر على جمعها وتوصيلها وقدرنا على جمع صغار العظام
فنحن على جميع كبارها اقدر وقال ابن عباس واكثر المفسرين على ان نسوي بنانه
ان نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير
فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا ولكنا فرقنا اصابعه حتى يعمل بها ما شاء وقيل
نقدر ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله
تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله تعالى
بل يريد الانسان عطف على الحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون جوابا لجواز

ان

ان يكون الاهوال بعد المستفهم وعن الاستفهام بل يبعد أمامه اى يبدو مع فجوره فيما يستقبله من الزمان لا يرجع عنه ولا يتوب هذا قول مجاهد وقال سعيد بن جبير يقوم الرجل ويوخر التوبة فيقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت على اسوء احواله واسوء اعماله وقال الضحاك هو الاجل يقول اعيش واصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل ويسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسئل اى سؤال استهزاء واستبعادا ايان اى وقت يكون يوم القيمة ولما كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه اهول فقال تعالى فاذا برق البصر اى شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء واما على قراءة الباقين بكسرها فالمعنى تحير ودهش مما يرى وقيل هما لغتان في التحير والدهشة وخسف القمر ايمحاظلم ودهص ضوءه وقد استشهروا الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكون فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وقيل الكسوف اوله والخسوف اخره ولم يلحق علامة التانيث في قوله تعالى وجمع الشمس والقمر لان التانيث مجازى وقيل لتغليب التذكير ورد لانه لا يقال قام هند وزيد عند الجمهور من العرب وقال الكسائى حمل على معنى جمع القمران وقال الفراء جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فالضوء للشمس كالاضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود وقرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسود بهيم مظلمين مقترنين كانهما ثوران عقيران في النار وقال عطا ابن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم يقول الانسان اى لشدة روعه جزعا مع طبعه جواب اذا من قوله تعالى فاذا برق البصر يومئذ اى اذا كانت هذه الاشياء وقوله تعالى اين المفر منصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الماوردى ويحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله تعالى استحيا منه والثانى اين من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيمة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه والثانى ان يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل ابو جهل خاصة وقوله تعالى كلا ردع عن طلب الفرار لا وزر اى لا ملجا ولا حصن استعير من الجبل قال السدى كانوا في الدنيا اذا فزعوا اعتصموا بالجبال فقال الله تعالى لهم لا وزر يعصمكم يومئذ مني واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك اى الى المحسن اليك بانواع الاحسان وحده لا الى شيء غيره يومئذ اى اذا كانت هذه الامور المستقر اى استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم ومرجعهم الى الله تعالى مشيئته ظاهرا وباطنا لا كما لغيره من وجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا وقال ابن مسعود المصير والمرجع وان الى ربك المنتهى اى الى ربك المنتهى ينبأ اى يخبر خبرا عظيما مستنقصى الانسان يومئذ اى اذا كان بعد الزلزال الاكبر بما قدم قال ابن مسعود وابن عباس من عمل قدم قبل موته من عمل صالح وسعى واخر بعد

BNSAS

موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية واخر
من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد
باول عمله واخره وقال عطا بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره وقال زيد ابن اسلم بما قدم
من اموال نفسه وما اخر خلفه للورثة والاولى ان يقال ينبا بجميع ذلك اذ لا منافاة بين
هذه الاقوال بل الانسان اي كل واحد من هذا النوع على نفسه اي خاصة بصيرة اي حجة
بينة على اعماله والها للمبالغة يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فيشهد عليه
بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال البغوي
ويحتمل ان يكون معناه بل للانسان على نفسه بصيرة يعني جوارحه فحذف حرف الجر كقوله
تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم ويجوز ان يكون نعت الاسم مونث
اي بل الانسان على نفسه عين بصيرة ولو القى اي ذكر بغاية الشرعة ذلك الانسان من غير
تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق وقوله تعالى معاذيره جمع معذرة
على غير قياس قاله الجلال المحلي اي لو جا بكل معذرة ما قبلت منه وقال الزمخشري المعاذير
ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر انتهى قال ابو حيان وليس
هذا البنا من ابنية اسما الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى وقيل معاذير
جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله
الضحاك وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي ولو تجرد من ثيابه ولما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراة ولم يعتبر
الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت عنه امره الله تعالى بان ينصت
له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ
فيه بقوله سبحانه لا تحرك به اي القران لسانك ما دام جبريل عليه السلام يقراه لتعجل به
اي لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات بالنسبة
اليك والى اخواتك من الانبيا عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب
لترضى فنقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل الى اكمل به ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى
ان علينا اي بما لنا من العظمة لا على احد سوانا جمعه اي في صدرك حتى تثبته وتحفظه
وقرانه اي قراتك اياه يعني جريانه على لسانك فاذا قراناه عليك بقراة جبريل عليه السلام
فاتبع اي بغاية جهدك بالقا سمعك واحضار قلبك قرانه اي قراته مجموعة
على حسب ما اداه اليك رسولنا وجمعناه لك في صدرك وكرر تلاوته حتى يصير لك به
ملكة عظيمة ويصير لك خلقا فيكون قايدك الى كل خير وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل
لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحي
كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله تعالى الاية
التي في لا اقسم بيوم القيمة لا تحرك به لسانك الاية فكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل
عليه السلام اطرق فاذا ذهب قراته كما وعده الله تعالى قال سعيد بن جبير
قال ابن عباس فانا احركهما كذلك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل
الله عز وجل الاية ثم ان علينا اي بما لنا من العظمة بيانه اي بيان الفاظه ومعانيه لك
سوا اسمعته من جبريل عليه السلام على مثل صلصلة الجرس ام بكلام الناس

المعتاد

المعتاد بالصوف والخرف ولفيرك على ما تملك وعلى السنة العلماء من امتنك والاية مشتركة
الى تركك مطلق العجلة لانه اذا نهى عنها في اعظم الاشياء واهمها كان غيره بطريق الاولى والمناسبة
بين هذه الاية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن ايات الله وهذه تضمنت
المبادرة اليها بحفظها وقوله تعالى كلا استفتاح تمهيدي لا وقال الزمخشري رجع
للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين حقا والاول اجرى
على الجلال المحلي وصوابه ظاهر يحبون اي محبة متجددة على تجدد الزمان العاجلة
بدل اشتمال لانهم يقللون غاية الاقبال عليها وحثها اوجب لهم ان تكاد ما يعلمون فصحة فك
الاخرة والاولى ضرتان من احب احدهما لابد من بغاضة معن الاخرى فان حبك للشيء يعمي ويصم
ويذرون اي تتركون اي على اي وجه كان ولو انه غير مستغرق الاخر لانه يفضو
لارتكابهم ما يضرهم فيها وجمع الضمير وان كان صدر الخطاب مع الانسان نظر اللمعنى
وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالغيبة فيها حملا على لفظ
الانسان المذكور اولا لان المراد به الجنس لان الانسان بمعنى الناس والباقون بتاء الخطاب فيها
اما خطابا للكفار فقريش اي بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار الدنيا والجاه فيها
وتتركون الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاظهار عن الجنس المتقدم والاقبال
عليه بالخطاب ولما ذكر تعالى الاخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا لجهلهم
في سفههم وقلة عقولهم وتنزيها لمن ادبرعنها وتنزيها لمن اقبل عليها لطفا
بهم ورحمة لهم فقال تعالى وجوه اي من المحشورين وهم جميع الخلائق يومئذ اي
اذ تقوم القيامة ناضرة من النضرة بالضاد وهي النعمة والرفاهية اي بهية مشرقة
على ما اثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة اصحابها الى ربها اي المحسن اليها خاصة باعتبار
عدة النظر الى غيره كلا نظر ناظرة اي دائما محدقون ابصارهم لا عقلة لهم عن ذلك
فاذا رفع الحجاب عنهم ابصروه باعينهم بدليل التقييد بالى وذلك النظر جهرة من غير اشتباه
ولا ضارة ولا ازدحام كما قاله ابن عباس واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر مجيئها الشهرة
وتكون الرؤية كما مثلت في الاحاديث كما ترى القمر ليلة البدر اي كل من يريد رؤيته من غير
ان يراه مجليا له هذا وجه الشبه لا انه في جهة ولا في حالة تشابهه تعالى الله الكريم
عن التشبيه من تلك الاحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم اقرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وفي كتاب النسائي عن وهب قال ليكشف الحجاب فينظرون اليه والله
ما اعطاهم شيئا احب اليه من النظر ولا اقر لاعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تتجلى لنا عز وجل حتى ننظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول تعالى
ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى
ان هذا النظر يباين النظر الى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه
عن اصحابها لانها اذا كانت على السرور وليكون ذكرها اصرح في ان المراد بالنظر

BUIAC

حقيقة روى مسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول اذا دخل
اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان يجزكموه فيقولون
الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجيرنا من النار فيكشف الحجاب
فينظرون اليه فما اعطاهم الله شيئا احب اليهم منه ولا اقر لاعينهم وهذا هو الزيادة
المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى
ليس الا النظم الروية بل المقدمة الروية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرويته ونظر
العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع
ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال
عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية للنظر وان النظر يحصل والرؤية غير حاصلة قالوا
ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة اي منتظرة كقولك انا انظر اليك فيما حاجتك
واجيب عن الاستدلال بقوله تعالى لا تدركه الابصار اي لا تدركه بالاحاطة والجهة
فلا يكون ذلك مانعا للرؤية لا على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم بما ذكروه
جوابان احدهما ان نقول النظر هو الروية لقول موسى عليه السلام ارني انظر اليك
ولو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الاية اثبات الجهة والمكان والا
اخر النظر عن الرؤية فلا يكون تقليب الحدقة الجواب الثاني سلمنا ما ذكرتموه
من ان النظر تقليب الحدقة فنقدر حمله على الحقيقة فيجب الحمل على الرؤية اطلاقا
لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة
كالسبب للرؤية والانقلاب بينه وبين الانتظار واما قولهم نحمله على الانتظار فما جيب
عنه ايضا بان الذي هو بمعنى الانتظار هو القران عير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا
نقتبس بعلكم ينظرون الا ان والذي ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الروية
لان ورود بمعنى الروية ظاهر فلا تكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك ولما ذكر
تعالى اهل النعمة اتبعه اضدادهم من اهل النعمة فقال تعالى ووجوه يومئذ باسرة اي
في ذلك اليوم يعني باسرة اي شديدة العبوس والكلوح والتكره لما يرى فيه من الغم
كانها قد غرقت فيه وقال السدي باسرة متغيرة تظن اي توقع ان يفعل بها
ما يفعل اي يعلم بانه اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما في الجملة كان ما عداه اولى
فاقرة وهي الداهية العظيمة قال ابو عبيد سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر
يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره ومنه سمي الفقير لانكسار فقار من الفقر
وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس دخول النار
وقال الكلبي هي ان تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله تعالى كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة
قاله البيضاوي وقيل للزمخشري وزاد الزمخشري كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا
على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلون الى الاجلة
التي تبقون فيها مخلدين وقال الجلال المحلي بمعنى الا وقيل بمعنى حقا اذا بلغت النفس
التراقي واضمر النفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم اماوي ما تغني الشراء عن الغنى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وتقول العرب ارسلت تريد روحا المطر والانكار تسمعهم يذكرون السماء والتراقي
جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان
ترقوتان قال البقاعي ولعله جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد

لما بي

لما هي فيه من الكرب لاجتماعها من اقاصي البدن الى فمك انتهى وهذا كناية عن الاشفاء
على الموت ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول المراحل الاخرة ومن تبلغ الروح التراقي
ودنا زهوقها وقيل اي قال حاضروا صاحبه وهو المحتضر بعضهم لبعض هل راق اي
اي الكم يرقيه مما به ليحصل له الشفاء وقال ابن عباس هو من كلام ملائكة العذاب اي اليكم
اليكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب فالاول اسم فاعل من رقي يرقى في
معنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع والثاني الذي بمعنى المعوذ بالكسر
في الماضي والفتح في المضارع وظن اي ايقن المحتضر لما لاح له من امور الاخرة وقيل
القائل هل من راق من اهله انه اي الشان العظيم الذي هو فيه الفراق اي لما كان فيه
من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الاعظم الذي لا فراق مثله ففي الحيوان العبد
ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك
تفارقني وافارقك الى يوم القيمة وسم التيقن هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه
متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع
رجاؤه عنها او ان المراد الظن الغالب اي لا يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة وقيل سماه
بالظن تبعا لما قاله الرازي وهذه الاية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق في
بعد موت البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كان بين الروح
باقية قال الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف والتفت
الساق بالساق اجتمعت احداهما بالاخرى اذا التفت من الاجتماع قال تعالى احسنا
بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله ابن عباس
والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب
قال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت ضرب برجليه على الاخرى وقال
سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد ابن اسلم التفت
ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون
روحه وقال السدي لا يخرج من كرب الاجاه اشد منه واولى الاقوال كما قال
النحاس احسنها والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم
قامت الحرب على ساق قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة تشمر لها
عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدي

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضة • وان شمرت عن ساقها الحرب يشمر

والمساق مصدر وقت تاسفه على الدنيا واعراضه عنها وذكر بعضهم ان ذلك مثال تعالى
مفزعا الفزع صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم بعد احق فهمه غيره الى ربك
اي المحل اليك يجمع ما انتشر فيه يومئذ اي اذ وقع هذا الامر المساق اي السوق الى حكمه
تعالى فعند انقطعت عنه احكام الدنيا فاما ان تسوقه الملائكة الى السعادة واما الى
شقاوة والضمير في قوله تعالى فلا صدق راجع للانسان المذكور في ايحسب الانسان
اي فلا صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخبره به مما كان يعمل من الاعمال الخبيثة
ولا في عمله بالانفاق وجوه الخير الذي ندب اليها واجبة كانت او مندوبة وحذف
المعمول لانه ابلغ في التعميم ولا صلى اي ما امرته من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق

ولا وصل حبل الخلائق وقال ابن عباس لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه عز
وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا صلى
لله جل ذكره ولكن اي فعل ضد ما امر به بان كذب بما اتاه به النبي صلى الله عليه وسلم
من قرآن وغيره وتولى اي اعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا يلزم من نفي التصدق
والصلاة التكذيب والتولي وقال القرطبي معناه كذب بالقرآن وتولى عن الايمان
وقيل نزلت في ابي جهل ثم ذهب اي هذا الانسان او ابو جهل الى اهله غير متفكر
في عاقبة ما فعل من التكذيب حالة كونه يتمطى اي يتبختر افتخارا بتكذيبه واعراضه
وعدم مبالاته بذلك واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وانما ابدلت
الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه
تبخترا في مشيته وقوله تعالى اولى لك فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم فعل
واللام للتبيين اي وليك ما تكره فاولى اي فهو اولى بك من غيرك وقوله تعالى ثم اولى
لك فاولى تاكيد وقيل هذه كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه واصلها من الولي
وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال قتادة ذكر لنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل
بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد
والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها
فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله اسوا قتلة قال البغوي وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لكل امة فرعون وان فرعون هذه الامة ابو جهل ايحسب اي ايجوز
لقلة عقله الانسان اي الذي هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج بما يرى من نفسه
وابناء جنسه ان يترك ان يكون تركه بالكلية سدى اي هملا لا غيا لا يكلف ولا يجازى
ولا يعرض على الملك الاعظم الذي خلقه فيسأله عن شكره فيما اسدى اليه فان
ذلك مناف للحكمة فانها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن المساوي والجزاء على كل
منهما واكثر الظالمين والمظلومين يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة ولا بد
البعث للجزاء الم يك اي الانسان نطفة اي شيئا يسيرا من مني اي ماء من صلب الرجل
وترائب المرأة تمنى اي تصب في الرحم بسبب الله تعالى للانسان المعالجة في اخراجها
بما ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج انثى يسرها لقضاء وطره حتى ان وقت
صبها في الرحم تصب منه بغير اختياره حتى كانه لا فعل له فيها اصلا فان قيل ما فائدة
تمنى بعد قوله تعالى من مني اجيب بان فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه
مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة
الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى عليه
السلام وامه مريم كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة ثم كان اي كونا محكما
علقة اي دما احمر غليظا شديد الحمرة والغلظ فخلق اي قدر سبحانه عقب ذلك
لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره واعراضه فسوى اي عدل من ذلك خلقا
اخر غاية التعديل شخصا مستقلا فجعل اي بسبب النطفة منه اي من المني
الذي صار علقة اي قطعة دم ثم مضغة اي قطعة لحم الزوجين اي النوعين الذكر والانثى

يجتمعان

يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الاخرى تارة قال القرطبي وقد احتج بهذه الاية من يرى
استقاط الحشو وليس بان هذه الاية وقرينتها خرجت مخرج الغالب او انه في نفس
الامر ذكرا وانثى الانسان ذكرا اي الخالق المسوي لاله الاعظم الذي قدر على تميز ما يصلح
من ذلك للذكر وما يصلح منه للانثى بقادر على ان يحيي الموتى اي ان يعيد هذه
الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال
سبحانك اللهم بلى وقال ابن عباس من قرأ اسبح اسم ربك الاعلى اما ما كان او غيره
فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى
اما ما كان او غيره وروى البغوي بسنده من طريق ابي داود عن اعرابي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى
الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ
لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ
والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله وروى ان رجلا
كان يصلي فوقف ببيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك
اللهم بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
البيضاوي تبعا للزمخشري امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين ان يقول
له انا وجبريل يوم القيمة انه كان هو ما حديث موضوع سورة الانسان وتسمى
هل اتى والاساس والدهر وهي احدى وثلاثون اية ومائتان واربعون كلمة
والف واربعة وخمسون حرفا واختلف فيها هل هي مكية او مدنية فقال ابن عباس
ومقاتل والكلبي مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال الجمهور مدنية وقال
الجلال المحلي مكية او مدنية لم يجزم بشئ وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا اية
وهي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل قوله ما كان لنبي
ان يغل الى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه مدني
الذي له الاسماء الحسنى الرحمن الذي يعم بنعمه الذكر والانثى الرحيم الذي خص بها من شاء
بالمقام الاسنى ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه تلاه بهذا الاستفهام
وهو قوله تعالى هل اتى قال الزمخشري بمعنى قد فان الاستفهام خاصة والاصل اهل
بدليل قول الشاعر سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل رأونا بسفح القاع والاكم
فالمعنى قد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان اي على كل زمان قريب
حين من الدهر اي زمان ما لم يكن شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور بالكلية
انتهى فقوله على التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وقوله والتقريب يعني المفهوم
من قد التي وقع موقعها هل وبعضهم قوله في الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى
قد الا وهو استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالاية الكريمة قلت
هل جاريد بمعنى قد جاء من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا
الفيد وجرى عليه الجلال المحلي واعترض على الزمخشري بانه لم يذكر من غير كونها بمعنى قد
وبقي قيد اخر وهو ان تكون في الجمل الفعلية لانها متى دخلت على جملة اسمية

رواه ابو داود والحاكم

استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال واجيب عنه بان هذا لا يحتاج اليه لانه
تقرر ان قد لا تباشر الاسما واختلف في المراد من الانسان فقال قتادة وعكرمة والشعبي
هو ادم عليه السلام مرت عليه اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين
مكة والطايف وعن ابن عباس في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة
ثم من حما مسنون اربعون سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم خلقه بعد ماية وعشرين
سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا هو الزمن
الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تعالى كل الاشيا ما يرى وما لا يرى
من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض واخر
ما خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا روي ان ابا بكر لما قرا هذه
الاية قال ليتها تمت فلا نبتلي اي ليت المدة التي اتت على ادم لم تكن شيا مذكورا تمت
على ذلك فلا يلد ولا نبتلي اولاده وسمع عمر رجلا يقرا لم يكن شيا مذكورا قال عمر ليتها تمت
يريد ليته بقي على ما كان هذا وهما صحيحاه صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر القرب يكون الخوف
فقيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا ولانه يقتضي
انه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيا مذكورا
اجيب بان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه
بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان روى الضحاك عن ابن عباس
في قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا لا في السما ولا في الارض بل كان جسدا مصورا ترابا
وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار
مذكورا وقال ابن سلام لم يكن شيا مذكورا لانه خلق بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق
بعده حيوانا وقال الزمخشري وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان جنس بني ادم
بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان اي بعد خلق ادم عليه السلام من نطفة اي مادة
هي ما يسير جدا من الرجل والمراة وكل ما قليل في وعا فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة
يعاتب نفسه ما لي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنة وعلى هذا فالمراد بالحين
المدة التي هو فيها في بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذا كان علقة ومضغة لانه في هذه
الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى امشاج اي اخلاط من ما الرجل وما المراة المختلطين
الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف
خضرا وجعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة امشاج
كبرمة اعشار وبرد اكباش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
يقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت احشا مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين

ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى
فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه
والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشري انما قال بوصف به
المفرد ولم يجعل افعالا مفردا فكانه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا

فوصفها

فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف
في الرقة والثخن والقوام والخواص يجتمع من الاخلاط وهي العناصر الاربعة ماء الرجل غليظ
ابيض وماء المراة رقيق اصفر فايهما علا كان الشبه له وعن ابن عباس قال يختلط ماء الرجل
وهو ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم
وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة قال القرطبي وقد روي هذا
مرفوعا ذكره البزار وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم خلقا اخر وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل
بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا والغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث
فلا بد له من محدث قادر على تصوره وقد صوره على صور مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل
وقصير ومستدير وعريض ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه
جعل بين تلك العظام مفاصل ثم اوصلها باوتار وعروق ولحم ودور الراس وشق
في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والانف والفم وشق في البدن سائر المنافذ ثم مد
اليدين والرجلين وقسم روسها بالاصابع وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة
والكبد والطحال والرئة والمثانة فسبحان من خلق تلك الاشياء من نطفة سخيفة
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله تعالى نبتليه يجوز فيه وجهان احدهما
انه حال من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انه حال من الانسان
وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون
مقارنة ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان
تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف وفيما
نختبر به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن نختبر شكره
في السراء وصبره في الضراء وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل وقيل نكلفه
ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي فجعلناه اي بما لنا من العظمة بسبب ذلك
سميعا بصيرا اي عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع
الايات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه او ابتلاؤه فقدم العلة الغائية
لانها متقدمة في الاستحضار على التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لانه انفع
في المخاطبات ولان الايات المسموعة ابين من الايات المرئية وخصهما بالذكر لانهما انفع
الحواس ولان البصر يفهم البصيرة وهي تتضمن الجميع وقال بعضهم في الكلام تقديم وتاخير
والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا له ذلك للابتلاء وقيل المراد بالسميع
المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر انا اي بما لنا
من العظمة هديناه السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر
ببعثة الرسل وقال مجاهد بينا له السبيل الى السعادة والشقاوة وقال السدي
السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال
عقله قال الرازي والاية تدل على ان العقل متاخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله
تعالى اما شاكرا اي لانعام ربه عليه واما كفورا اي بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب نصب
على الحال وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلنا حالتيه

وان فى انه حال من المجاز قال الزمخشرى ويجوز ان يكون حالا من السبيل اى عرفناه السبيل اما شاكرا واما كفورا كقوله تعالى قوارير قوارير من فضة وصف السبيل بالشكر والكفر مجازا ورد الشيخان عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه الحديث وعن جابر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا وانما قسمهم الى قسمين لان كل فريق فقال تعالى انا اى علمنا لنا من العظمة اعتدنا اى هيأنا واحضرنا بشدة وغلظة للكافرين اى المعرضين عن الكفر خاصة وقدم الاسفل ثم العذاب بالاشهل فقال تعالى سلاسلا جمع سلسلة اى يقادون بها الى النار وقرئ سلاسل وسلاسلا بالتنوين وبغيره وقفا ووصلا اغلالا اى فى اعناقهم تشد فيها السلاسل فيجمع بها يديه الى عنقه وسعيرا اى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد وقرئ بالرفع والهمز وهما مع الصرف وتركه كسلاسل وسلاسلا بالتنوين والباقون بغير تنوين واما الوقف على الثانية فحمزة وقف عليها بغير الف فقبل وحمزة ووقف النمرى بابدال كوان وحفص بغير الف وبالالف ووقف الباقون بالالف والوقف على الاولى والرسم بالالف اما من نون سلاسلا فوجه بانه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنهما ان الكسائى وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افضل منك وقال الاخفش سمعنا من العرب من يصرفه كلها لا ينصرف لان الاصل فى الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيه وروى عن بعضهم انه تقول رايت عمرا بالالف يعنى عمر بن الخطاب وايضا فقد جمع فكان قبل الجمع قد كان قبل الجمع قالوا صواحب وصواحبات وفى الحديث انكن صواحبات يوسف ومنها انه مرسوم فى الامام اى مصحف الجماعة والكوفة بالالف رواه ابو عبيدة ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا وقال الزمخشرى فيه وجهان احدهما ان يكون هذا التنوين بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى ان يكون صاحب هذه العرانة ممن ضرى بصرف ابنية الشعر ومرن لسانه عاصرف غير المصروف انتهى قال بعض المفسرين وفى هذه العبارة فظاظة وغلظة لاسيما عا مفتاح الاسلام وآية العلماء الاعلام واما من لم ينونه فوجهه ظاهر لانه عا صيغة منتهى الجموع وقد لم قد جمع بحر صواحبات لا يخدج لان المحذوف جمع التكسير وهذا جمع تصحيح واما من لم يقف بالالف فاتباعا للرسم الكريم واما من لم يقف بالالف فواضح ولما اوعد اهل الكفر اتبعه جزاء الشاكر واطنب فيه تاكيدا للترغيب فقال تعالى ان الابرار جمع بر كارباب جمع رب او بار كشهاد جمع شاهد وفى الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المستقذرات فطهرت نفوسهم بنابع الحكمة وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما سموا بهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة الابرار الذين يودون حق الله ويوفون بالنذر وفى الحديث الابرار الذين لا يوذون احدا يشربون من كاس كان مزاجها كافورا اى شرابا تمزج به الكافور لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل للتبغيض كان طعم الكافور فى الكوب يدل على انه شئ فى المزج عظيما يكون فيه كانه من فضل الجنة لانها يعهد والكافور

نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته والكافور ايضا كمام الشجر الذى يغطى ثمرتها والكافور ايضا البحر والكافر الليل والكافر الزارع لستره الحب فى الارض قال الشاعر

وكافر مات على كفره وجنة الفردوس للكافر والكفارة تغطية الاثم فى اليمين الفاجرة والعذور الكاذبة بالمعذرة والكافور ماجوف شجر مكنون فيعزر وينزر بالجديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء وينعقد كانصباع الجامد على الاشجار فان قيل مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب فى ذكره اجيب بوجه احدها قال ابن عباس الكافور اسم عين فى الجنة يقال له عين الكافور اى يمازجه ماء هذه العين التى تشرب منها عباد الله فجرا فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان الله تعالى رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا فى جسم فخلق الله تعالى تلك الرائحة فى جرم ذلك الشراب فتعلق ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيلون الكافور بلونها لا طعمها ثالثها ان الله تعالى خلق الكافور فى الجنة مع طعم طيب لذيذ وسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى سلب عن جميع المأكولات والمشروبات ما فيها من المضار وقال سعيد عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وقوله تعالى عينا فى نصبه اوجه احدها انه بدل من كافورا الا ان ما هاهنا بياض الكافور ورائحته وبرده واقتضى على هذا الجدال المحلى الثانى انه بدل من محل من كأس قال تعالى ولم يقدر حذف مضاف وقدره الزمخشرى على هذا الوجه حذف مضاف قال الكأنه قيل يشربون خمرا خمر عين الثالث انه نصب على الاختصاص قاله الزمخشرى الرابع انه نصب باضمار اعنى قاله القرطبى وقيل غير ذلك يشرب بها قال الجلال المحلى منها وقال البقاعى اى بمزاجها وقال الزمخشرى بالخمر فلا يكون شربت الماء بالمسل والاول اصح عبادا لله اى اولياؤه فان قيل الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق اجيب بان لفظ عباد الله مختص بأهل الايمان ولكن يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقديره لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر مع انه لا يرضى لعباده الكفر للكافر وقد يجاب بان هذا كقولى لا كلمن اويقال حيث اضيفت العباد والعبد الى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة ام لا فالمراد به المؤمن وان اضيف الى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم يفجرونها اى يجرونها حيث شاءوا من منازلهم وان علت تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم والمذكر لهذا هو ذكر وصفهم الذى يستحقون عليه ذلك وقوله تعالى يوفون بالنذر يحتمل ان يكون مستأنفا فهو خبر الكأن مضمرة قال الفراء النذر ما كان قربة فهو واجب وان كان مباحا فليس بواجب وكانوا يوفون بالنذر فى الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشرى يوفون جواب من عسى يقول له ما لهم يرزقون ذلك قالا ابو حيان واستعمال عسى صلة لمن وهو لا يجوز الا فى الشعر الا بمضارع بعد عسى نحو عسى يغفر لى ويصح قليلا وفى الشعر والوفاء بالنذر صالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما اوجبه الله تعالى عليه اولى وقال الكلبى يوفون بالنذر اى يتمون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم واوفوا بالعقود امروا بالوفاء لانهم عقدوا على انفسهم

باعتقادهم الايمان قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله وان شئت
قلت في حده هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه ولما دل
وفاؤهم على سلامة طباعهم قال تعالى عاطفا دلالة على جمعهم للامرين المتعاطفين فهم يفعلون
الوفا لاجل الخوف بل لكرم الطبع ويخافون اي مع فعلهم للواجبات يوما قال ابن عبد السلام
شر يوم او اهوال يوم كان اي كونا هو في جبلته شره اي ما فيه من الشدائد مستطيرا
اي فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وقال قتادة
كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفرغت
الملائكة ونسفت الجبال وعادت المياه وتكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء وفي ذلك اشعار
بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف ادل دليل على عمارة الباطن قالوا ما فارق
الخوف قلبا الا خرب ومن خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل فان قيل لم قال تعالى كان شره ولم يقل
سكون اجيب بانه كقوله تعالى اتى امر الله فما قيل في ذاك فقال هنا ويطعمون الطعام اي على حسب
ما تيسر لهم من عال ودون وقوله تعالى على حبه حال اما من الطعام اي كائنين على حبهم اياه فهو
في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون لبعضهم انهم للفضل اشد بذلا ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم في حق الصحابة رضي الله تعالى عنهم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
لقلة الموجود اذ ذاك وكثرته بعد واما من الفاعل والضمير في حبه لله اي على حب الله
وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام
الطعام مسكينا اي محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير اولى ويتيما
اي صغيرا لا اب له واسيرا اي في ايدي الكفار وخص هؤلاء بالذكر لان المسكين عاجز عن الكسب
بنفسه عما يكفيه واليتيم مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره والاسير لا يتمكن
لنفسه نصرا ولا حيلة وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس فيدخل في ذلك المملوك
والمسجون والكافر الذي في ايدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضي
الله تعالى عنهم كان يؤثر اسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك
الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه
وسلم لما دفعهم اليه قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المراة لقول النبي
صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان اي اسرى وقوله تعالى انما نطعمكم
على اضمار القول اي يقولون بلسان المقال او الحال انما نطعمكم ايها المحتاجون لوجه الله
اي لذات الملك الذي استجمع الجلال والاكرام لكونه امرنا بذلك وعبر بالوجه لان الوجه
يستحيى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته لا نريد منكم اي لاجل ذلك جزاء اي انا من اعراض الدنيا
ولا شكورا اي لشيء من قول ولا فعل روي ان عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعا دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله تعالى ثم عللوا قولهم هذا على وجه التاكيد بقولهم انا نخاف من ربنا
اي الخالق لنا المحسن الينا يوما اي اهوال يوم هو في غاية العظمة وبينوا عظمته بقولهم
عبوسا قال ابن عباس ضيقا ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة

اهله

اهله من الاستيناف لقوله كان صائما روى ان الكافر بعث بسبل من بين عينيه عرف مثل الغطران وان سببه في مقدمة وضرب الاسد العبوس او بالسباع الدامسة **قطريرا** قال ابن عباس طويلا وقال مجاهد وقتادة العطرير الذي يقلص الوجوه والجباه كالتقبض وقال الكلبي العبوس الذي لا انبساط فيه والقطرير الشديد وقال الاخفش القطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فقال يوم قطرير وقماطير اذا كان شديدا كريها وانما كان فعلهم هذا خالصا لله تعالى سببا عن جزاهم فقال تعالى **فوقاهم الله** اي الملك الاعظم بسبب خوفهم **شر ذلك اليوم** اي العظيم ولابد لهم من يوم عظيم ظاهر وباطن ومشكل يعتصمون فيه ومجلس وقد اشار الى الاول بقوله تعالى **ولقاهم** اي اعطاهم **نضرة** اي حسنا دائما في وجوههم واشار الى الثاني بقوله تعالى **وسرورا** في قلوبهم دائما في مقابلة خوفهم في الدنيا واشار الى الثالث بقوله تعالى **وجزاهم بما صبروا** اي بسبب ما اوجد والصبر على العبادة من ترك الطاعة واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل المحبوبات **جنة** اي ادخلوا بستانا جامعا لما يكون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطيعون وان كان عملهم يسيرا لهم في ذلك لكنه دونهم في الجزاء بين مطالعهم بقوله تعالى **متكئين فيها** اشار الى الرابع بقوله تعالى **وحريرا** اي البسوه صونا عن اهانة الصحة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة بن جارية لها صوم ثلاثة ايام ان برءا فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة اصواع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عدد هم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما افطروا وضعوا الطعام بين ايديهم فوقف عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك وادعى الكساف فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وانطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال ما اشد ما يسوءني ما اراكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد اي السورة هاكها الله في اهل بيتك فاقرأ السورة **متكئين فيها** اي الجنة واختلفوا في اعراب متكئين فقال الجلال المحلي حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال ابو البقاء يجوز ان يكون حالا من المفعول في جزاهم وان يكون صفة لجنة واعترض عليه في كونه صفة بانه لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم عليه بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها والجواب ان الصفة على غير من هي له وقيل انه حال من فاعل صبروا واعترض بان الصبر كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة واجيب بانه يصح ان يكون حالا مقدرة لان ما لهم بسبب صبرهم في الدنيا هذه الحالة انما اشار الى زيادة راحتهم بقوله تعالى **على الارائك** اي الاسرة في الحجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل الارائك الفرش على السرر وقوله تعالى **لا يرون فيها** اي الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم في الاولى ومن جوز ان تكون الاولى صفة جوزه في الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون حالا متداخلة **شمسا** اي ولا قمرا **ولا يرون فيها زمهريرا** اي بردا شديدا اما الاية من الاخبار كدال نفي الشمس والاعم نفي القمر ودال نفي

الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على نفي الحر الذي سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية
عن النيرين لانها نيرة بذاتها واهلها غير محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه
وانها ظليلة معتدلة دائما بخلاف الدنيا فان فيها الحاجة الى ذلك وشدة الحر والبرد فيها من فيح جهنم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها قالت يا رب اكل بعضي بعضا
فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها
وشدة ما تجدونه من الحر من سمومها وقيل الزمهرير القمر بلغة طي وانشدوا
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر ويروى ما ظهر
ودانية اي قريبة مع الارتفاع عليهم ظلالها اي شجرها من غير ان يحصل منها ما يزيل
الاعتدال واختلف في نصب دانية فقال البغوي عطف على متكئين وقال الجلال
المحلي على محل لا يرون وذكره البغوي بعد الاول بصيغة قيل قال البيضاوي او عطف
على جنة اي وجنة اخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف
يحصل الظل اجيب بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك
الاشجار مظلة منها وان كان شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ
ولا شعث ثم وذللت قطوفها جمع قطف بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوعة
اي المجتنية تذليلا اي سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل
من يريد اخذها على اي حالة كان من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا او مضطجعين تدلت
اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء ذللت لهم فهم
يتناولون منها كيف شاؤا فمن اكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا
لم يؤذه وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم لامر الله تعالى ولما وصف تعالى طعامهم
ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى ويطاف اي من اي طائف كان لكثرة الخدم
عليهم بآنية جمع اناء كسقاء وابنية وجمع الآنية اواني وهي ظروف المياه ومعنى يطاف
اي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشراب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى
من فضة قال ابن عباس ليس شيء في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء اي الذي في الجنة اشرف
واعلا ولم ينف الآنية الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني
الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على الآخر ولما جمع الآنية
خص فقال تعالى واكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع
فلا يحتاج عند التناول الى ادارة كانت اي تلك الاكواب كونا هو من جبلتها قوارير
كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق جمع قارورة وهي
ما اقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج ولما كان راس
آية وكان التعبير بالقوارير ربما افهم واوهم انها من الزجاج وكان في الزجاج من النقص
سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال تعالى معيدا للفظ اول الآية الثانية تاكيدا
للاتصاف بالصالح من اوصاف الزجاج وبيانا لنوعها قوارير من فضة اي فجمعت
صفتي الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها
ولينها وقال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة

بيان المقطوعة

من فضة

من فضة فجعل منها قوارير يسترون فيها وقوارير من زجاج وسعتهن والكاف في وصلا بالتنوين فيهما وواقفهما ان كتب في الاول دون الثاني والباقون بغير تنوين فيهما واما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون وقف بغير الف الا هشاما فانه وقف على الثاني بالالف وفي الوصل لم ينون فالقراءات حينئذ على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية مقابلة وهي تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها واما من وقفهما فلما مر في تنوين سلاسل لانهما صيغة منتهى الجمع ذاكر على مفاعل وذا عما مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل التنوين واما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر واما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الاي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى الثاني بغير الف ظاهر واما من لم ينونهما ووقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول راس اية فناسب بينه وبين رؤس الاي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس براس اية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الاي وناسب بين الثاني وبين الاول وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله باصاح ماهاج الدموع الذوارف وقوله تعالى قدروها تقديرا صيغة القوارير من قضة وفي الواو وفي قدروها وجهان احدهما انه للطائف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال عاجبت سقيهم فجاءت كما قدروا والثاني انه للطائفين به دل عليهم قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب به لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنه ولا يعجز عن مجاهدة لانقيض ولا تقيض وعن ابن عباس قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بثقل او بافراط وجوز ابو البقاء ان تكون الجملة مستانفة ويسقون اي يمن اراد وه من خدمهم اللذين لا يحصون كثرة فيها اي الجنة او تلك الاكواب كأسا اي خمرا هي كان مزاجها اي ما يمزج به علعانية الاحكام زنجبيلا اي هو في غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج به لبعضه وتطيبه الطعم والزنجبيل بنت معروف سمي اكما سبدك لوجود طعم الزنجبيل فيها قاله الاعشى • كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وارياً مشورا

وقال المسيب بن علس • وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وقوله تعالى عينا فيها اي الجنة بدل من زنجبيلا وكون الزنجبيل عينا فيه حرف للعوايد لان الزنجبيل عندنا شجر يحتاج في تناوله الى علاج فبين الله هناك عين لا تحتاج في صيرورتها زنجبيلا الى ان تحيله الارض بنحو ما فيها حتى يصير شجرا يتحول عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل تسمى اي تلك العين بسهولة اساغتها ولذ طعمها وسمو وصفها سلسبيلا والمعنى ان ماء تلك العين كالزنجبيل الذي تلتذ به العرب سهل المساغ في الحلق فليس هو كزنجبيل الدنيا

يلذع الحلق فتصعب اساغته والسلسبيل والسلسل والسلسال كان من اسمائه في اللغة
زيدت فيه الباء لالة على المبالغة في هذا المعنى وقال مقاتل وابن حيان سميت سلسبيلا لانها
تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوي
وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل مشربها
المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ولما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصودة وصف
الطائف لما في طوافه من العظمة المشهودة بقوله تعالى ويطوف عليهم اي بالشراب وغيره من الملاذ
والمحاب ولدان اي غلمانهم في سن من هو دون البلوغ لان الفقهاء قالوا الناس غلمان وصبيان
واطفال وذراري الى البلوغ ثم بعد البلوغ شباب وفتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها
كهول الى الاربعين ثم بعدها شيوخ واستنبط بعضهم ذلك من القرآن في حق بعض الانبياء
عليهم السلام قال الله تعالى في حق يحيى واتيناه الحكم صبيا وفي حق عيسى تكلم الناس في المهد
وكهلا وعن ابراهيم قالوا اسمعنا فتى يذكرهم وعن يعقوب انه له اما شيخا كبيرا قالوا
واقل اهل الجنة خدمه الف غلام ويعطى في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حمزة بضم
الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك الغلمان بقوله تعالى مخلدون اي قد حكم من الازل
حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك الحد مع انهم مزينون بالحلى
وهو الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة إذا رأيتهم اي يا اعلى الخلق وانت اثبت
الناس نظرا وابهاها الرائي الشامل لكل رائ في اي حالة رأيتهم فيها حسبتهم اي من بياضهم وصفاء
الوانهم وانتشارهم في الخدمة لؤلؤا منثورا اي من سلكه او من صدفه وهو احسن منه في غير
ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان يبتشاهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم اطفال
المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن سرجان واراه والله اعلم انهم من علم الله تعالى
ايمانه من اولاد الكفار ويكونون خدما لاهل الجنة كما كانوا في الدنيا سببا وخداما واما
اولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سنا وملكا وسرورا بهم ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه
وسلم في ابنه ابراهيم عليه السلام لظئر ترضعه في الجنة فانه يدل على انتقال شأنه فيما
هناك وكتغلله في الاحوال في الدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ السوسي وشعبة
بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا واوا او وقف حمزة ابدال الاولى والثانية
واوا ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان بقوله وإذا رأيت اي وجدت منك الرؤية ثم اي هناك
اي في اي مكان كان في الجنة واي شيء كان فيها وقوله تعالى رأيت جواب اذا اي رأيت بعينك
اي ليس فيه كدر يوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف ونعيما كبيرا اي لم يخطر
على بال ما هو فيه من الشعة وكثرة الوجود والعظمة قال سفيان الثوري الملك الكبير
تسلم الملائكة عليهم وقيل كونهم التيجان على رؤسهم كما يكون على رؤس الملوك وقال الحكيم
الترمذي هو ملك التكوين اذا اراد شيئا قالوا له كن وفي الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم
منزلة اي وما فيهم دنيء الذي ينظر في ملكه مسيرة الف عام ويرى اقصاه كما يرى ادناه
وان اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه تعالى كل يوم اي فقدر يوم من ايام مرتين بما ذكر
الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم بقوله تعالى عاليهم اي فوقهم ثياب سندس
وهو ما رق من الحرير خضر واستبرق وهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر
وقرأ نافع وحمزة عالتهم بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لان الياء

لما سكنت

سكنت

لما كسرت الها ولما تحركت ضمت فاما قراة نافع وحمزة ففيها اوجه اظهرها ان يكون خبرا مقدما
وثياب مبتدا مؤخر واما قراة الباقين ففيها ايضا اوجه اظهرها ايضا انه ظرف خبر مقدم
وثياب مبتدا مؤخر كانه قال فوقهم ثياب قال ابو البقا لان عاليهم بمعنى فوقهم
والضمير المتصل به للمطوف عليهم او للخادم والمخدوم جميعا وان كانت تتفاوت بتفاوت
الرتب وقراة نافع وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرا حمزة والكسائي بخفضهما وقرا
ابو عمرو وابن عامر برفع خضر وجر استبرق وقرا ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق
وحاصل القراات في ذلك اربع مرات الاولى رفعهما والثانية خفضهما الثالثة رفع الاولى
وخفض الثاني الرابعة عكس ذلك فاما القراة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب
ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اي وثياب استبرق واما القراة
الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال
مكي هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال
تعالى وينشئ السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا
المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض وفي التنزيل
او الطفل الذين فلان يوجد ذلك في اسما الجموع او اسما الاجناس الفارق بينها وبين
واحدها تا التانيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب
من سندس وثياب من استبرق واما القراة الثالثة فرفع خضر نعتا للثياب وجر
استبرق نسقا على سندس اي ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون
الاستبرق ايضا اخضر واما القراة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق
على النسق على ثياب بحذف مضاف اي وثياب استبرق ثم اخبر تعالى عن تحليتهم بقوله
سبحانه وحلوا اي المخدوم والخادم اساور من فضة وان كانت تتفاوت بتفاوت
الرتب وهي بالغة من الاعضا ما يبلغه التحجيل في الوضو كما قال صلى الله عليه وسلم
الحلية من المومن حيث يبلغ الوضو فلذا كان ابو هريرة يرفع الى المنكبين والى الساقين
تنبيه قال هنا اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب
ولولو وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو فقيل حلي الرجال الفضة
وحلي النسا الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي
احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لولو ليجمع لهما محاسن الجنة
قاله سعيد ابن المسيب وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه ويميل نفسه اليه وقيل اسورة
الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للنسا وقيل هذا للنسا والصبيان وقيل
هذا بحسب الاوقات وسقاهم ربهم اي الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم
شرابا طهورا اي ليس هو كثواب الدنيا سوا اكان من الخمر ام من الما ام من غيرهما فهو بالغ
الطهارة وقال علي رضي الله تعالى عنه اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة تخرج
من ساقها عينان فيشربون من احديهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم
ولا تتشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فتخرج ما في بطونهم من الاذى ثم
تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي
وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت

BULA

بطعمهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة ينبع من سناف ينفجر من شرب منها
نزع الله تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في وجوهه من اذى وعلى هذا فيكون
مفعولا للمبالغة وقال الرازي في تفسيره احتمالان احدهما ان لا يكون
نجسا كخمر الدنيا وثانيهما المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة لانه لم يعصر فنفسه
الايدي الوضرة وبذوبه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها
ولو انها انه لا يؤول الى النجاسة لانها تنتج عرقا من اذاه نتن ريح كريح المسك وعلى هذين
الوجهين يكون طاهرا بطريق الاولى لانه يطهر مواطنهم من الاخلاق الذميمة والانبا المؤذية
فان قيل هل هذا نوع اخر غير ما ذكر قيل ان منهم من يشربون من عين الكافور والزنجبيل
والسلسبيل ام لا اجيب بانه نوع اخر لوجوده اولا ما رفع ثانيها انه تعالى اضاف
هذا الشراب الى نعمه بقوله تعالى وسقاهم ربهم وذلك يدل على فضل هذا دون غيره
ثالثها ما روي انه يقدم لهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور
فيشربون فيطهر ذلك بطونهم وينضح عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على ان
هذا الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب لهضم سائر الاشربة ثم ان الجمع هذا
البعض تاثيرا عجيبا وهو ان يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك ويظهر
شاربه عن الميل الى اللذات الخسيسة والركون الى ما سوى الحق فيتحرر بلطافة جماله
متلذذا بلقايه بافنا بسقايه وهو منتهى درجات الصديقين وبكل ذكر يدل على المغايرة
وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اي ويقال لهم ان هذا كان لكم جزاء اي على اعمالكم
التي كنتم تجاهدون فيها انفسكم عن هواها الى ما يرضي ربكم والاشارة الى ما تقدم
من اعطاء الله تعالى لهم وكان سعيكم مشكورا اي على وجه الثبات سعيكم مشكورا اي لا تضيع شيا منه
وجازى باكثر منه اضعافا مضاعفة ولما بين تعالى بهذا القران العظيم الوعد والوعيد
ذكر سبحانه انه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى انا نحن اي نحن
من العظمة التي لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا عليك وانت اعظم الخلق انزالا استعلى حتى صار
المنزل خلقا لك القران اي الجامع لكل هدى نزيلا قال ابن عباس منفرقا اية بعد اية
ولم ينزل جملة واحدة قال الرازي والمقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح
صدره فيما سموه الله صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله
تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هو لا الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق
اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق ونتزيل صدق من عندي ثم في ذلك فايدتان الاولى
ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقريبه
على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له اني ما انزلت عليك القران منفرقا الا لحكمة بالغة
تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال
فاصبر لحكم ربك اي الحسن اليك قال ابن عباس اصبر على اذى المشركين ثم نسخ بايه القتال وقيل
اصبر لما حكم عليك به من الطاعات او انت فاحكم الله ان وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل
فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اي الكفرة الذين هم ضد الشاكرين اثما اي داعيا الى اثم سفها
كان محرما عن مطلق الكفر ومصاحبته او كفورا اي منهما فانما الكفر ودا عيا اليه وان كان كبيرا
وعظيما في الدين فان الحق اكبر من كل كبير وقال قتادة اراد بالاثم والكفور ابا جهل

وذلك

وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها وقال لئن رايت محمدا يصلي لاطأن على عنقه وقال لما قتل اراد بالامس عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا اتيا النبي صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة فعرض عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النساء وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما اظننت ان الكفرة ستقنع على قال فما قبل كلامك فقم فما معنى الفصمة في قوله اما او كفورا اجب بان معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوا الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غيرهم ولا تطع فيهى عن ان يساعدهم على الامرين دون الثالث ثم قال فان قيل ما معنى ولا تطع احدهما فهل اجي بالواو وليكون نهيا عن طاعتهما جميعا حسبما انه لو قال ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل ولا تطع احدهما علم ان النهي عن طاعة احدهما نهي عن طاعتهما جميعا انتهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى فان قيل انه صلى الله عليه وسلم لما كان يطيع احدا منهم فما فائدة هذا النهي حتى تكون المقصود بيان ان الناس يحتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما ترتكب فيهم من الشهوة الداعية الى المساواة احد الواشتغني عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دايما ابدا ومعنى ظهر لك وعرفت ان كل مسلم لابد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه ان يصونه عن الشهوات واذكر اي في الصلاة اسم ربك اي المحسن اليك بكل جميل بكرة اي الفجر واصيلا اي الظهر والعصر ومن الليل اي بعضه والفاء للدلالة على ان الواجب في النوم والغفلة اي بعض الليل فاسجد له اي للمعبود والصلاة وسبحه ليلا طويلا اي صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه او نصفه او ثلثه واذكره بتسابيحك عبدة اي عند قيامك من منامك الذي هو الموتة الصغرى وتذكرك انه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا واصيلا اي عند انقراض نهارك وتذكرك انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل ايجاد يوم الفصل وفي ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وتكراسمه لانهم الذكر والذي عليه اكثر المفسرين الاول قال ابن عباس وسعيد كل تسبيح في القرآن فهو صلاة لان الصلاة افضل الاعمال البدنية لانها اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوقعت فيها اذكار لسانية وحركات وسكنات عاملية مخصوصة من عاداتها الانتقال الابين يدي الملوك ولما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى إن هؤلاء اي الذين يتطاولون عن الله من الكفار والمتمردين يحبون اي محبة تتجدد عندهم زيادتها في كل وقت العاجلة لتصور نظرهم وهمومهم على المحسوسات التي الاقبال عليها منشأ التلاوة والتصور ومعدن الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تقاطي انسباب الامراض مرض ومن كفر اكفر ومن تقاطى ضد ذلك شفي وسمي شاكرا ويذرون اي ويتركون وراءهم اي قدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنهم معرضون كما يعرض الانسان عما وراء ظهره لانهم لا يعبأون به وقوله تعالى يوما مفعول يذرون لا ظرف وقوله تعالى ثقيلا وصف له استعير له الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ومحوه تثقلت

في السموات والارض نحن خلقناهم اي بما لنا من العظمة لا غيرنا وشددنا اي قوينا اسرهم اي توصيل
عظامهم بعضا ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب بعد ان كانوا نطفا امشاجا في غاية
الضعف واصل الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا وثق بالقد وهو الاسار وقوس
ما سور الخلق واذا شئنا اي بما لنا من العظمة ان نبدل ما شئنا من صفاتهم او ذواتهم بدلنا
امثالهم اي جئنا بامثالهم بدلا منهم اما بان نهلكهم ونأتي ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير
صفاتهم كما شوهد في بعض الاوقات في المسخ وغيره قوله تعالى تبديلا تاكيد قال الجلال
المحلي ووقعت اذا موقع ان نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا لما يقع وفي ذلك
رد لقول الزمخشري وحقه ان يجيء بان لا يأذن كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ
يذهبكم ان هذه اي السورة او الايات القريبة تذكرة اي عظة للخلق فان تصفحها تنبيهات
للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن القى سمعه واحضر قلبه
وكانت نفسه مقبلة على ما القي اليه سمعه فمن شاء اي ان يجتهد في وصوله الى ربه اتخذ اي اخذ
بجهده من مجاهدة نفسه ومغالبة هواه الى ربه اي المحسن اليه الذي ينبغي له ان يحبه بجميع
جوارحه وقلبه ويجتهد في القرب منه سبيلا اي طريقا واضحا واسعا سهلا بافعال الطاعة
التي امر بها لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع
من استطراق الطريق غير مشيئتنا وما تشاؤن اي في وقت من الاوقات شيئا من الاشياء وقرأ
ابو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء التحتية والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف حمزة تسهل
الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها واوا مع المد والقصر الا وقت ان يشاء الله اي الملك الاعلى
الذي له الامر والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صح بهذا ما قال الاشعري وسائر
اهل السنة من ان للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله تعالى وانتفى مذهب القدرية
الذين يقولون انا نخلق افعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا اصلا ومثل الملوي
ذلك بمن يريد قطع بطيخة فجدد سكينة وهياها واوجد فيها اسباب القطع وازال عنها
موانعه ثم وضعها على البطيخة فهي لا تقطع دون ان يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو
وضع عليها ما لا يصلح للقطع كحطبة مثلا لم تقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله
تعالى وهياه بما اعطاه من القدرة للفعل فمن قال انا الخالق فعلي مستقلا به فهو كمن قال
السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ومن قال الفاعل الله من غير نظر الى العبد
اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده او قصبة ملساء من غير سكين والذي
يقول انه باشر بقدرته المهيأ لفعل يخلقه الله لها في ذلك الفعل كمن قال ان السكين
قطعت بالتحامل عليها بهذا اجرى سبحانه عادته في الناس ولو شاء غير ذلك فعل
ولا يخفى ان هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم بقوله تعالى ان الله
اي المحيط علما وقدرة كان اي ازلا وابدا عليما اي بما يستاهل كل احد حكيما اي بالغ
الحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشاء غيره ما لم يأذن فيه فمن علم في جبلته خيرا اعانه عليه
ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى قوله تعالى يدخل من يشاء اي ممن علمه
اهل السعادة في رحمته اي جنته وهم المؤمنون وقوله تعالى والظالمين اي الكافرين منصوب
بفعل يفسره قوله تعالى اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها عذابا اليما
اي مؤلما فهم فيه خالدون ابد الابدين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا حديث موضوع

سورة

سورة المرسلات مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهي
قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود مدنية والمرسلات
عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه بمنى حتى اوينا الى غار بمنى
فنزلت وبينما نحن نتلقاها من فيه واغاه رطبا اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها
فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها وقيت شركم انتهى والغار
المذكور مشهور بمنى وقد زرته ولله الحمد وعن قريب هو لي ابن عباس قال مزاحم
سورة والمرسلات عرفا سمعتني ام الفضل امرأة العباس فقلت وقالت والله يا بني
لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية واحدى وثمانون كلمة ومائتا وستة عشر حرفا
بسم الله الملك الحق المبين الرحمن المنعم على الخلق اجمعين الرحيم الذي خص كل
المؤمنين والمرسلات عرفا اي الرياح لمتابعة بعضها بعضا كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا
ونصبه على الحال هذا ما عليه الجمهور وروي عنهما انها الرياح قال الله تعالى وارسلنا الرياح لواقح
وقال تعالى يرسل الرياح وروي مسروق عن عبد الله قال عصف الملائكة ارسلت بالعرف
من امر الله تعالى وعنيه والخير والوحي وهو قول ابن هريرة ومقاتل والكلبي وقال
ابن عباس هم الانبياء عليهم السلام ارسلوا بالدلالة والآيات وقال ابو صالح هم الرسل يرسل
بالمعروف من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت
اليه ومن ارسلت الله فالعاصفات اي الرياح الشديدة عصفا اي عظما مالها
من النتائج الصالحة وقيل الملائكة سميت بسرعة جريها في امر الله تعالى بالرياح
وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر تعالجه بعصفه بالشدائد اي بقبض روحه
عصوفا اي تعصف براكبها فتمضي كالريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي دهمتهم
وقيل تحتمل انها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف والناشرات نشرا اي الرياح
اللينة تنشر المطر وقال الحسن هي الرياح التي يرسلها الله تعالى بين يدي رحمته
وقيل الامطار لانها تنشر النبات اي تحييه وروي عن السدي انها الملائكة تنشر
كتب الله تعالى وروي الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى يا عمال العباد تنبه
انما قال تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم اخر فالفارقات فرقا اي الرياح تفرق
السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هي الملائكة تفرق الاقوات والارزاق
والاجال وقيل هم الرسل فرقت بين ما امر الله تعالى وبين ما نهى عنه اي بينوا ذلك وقيل آيات
القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام فالملقيات ذكرا اي الملائكة تنزل بالوحي
الى الانبياء والرسل عليهم السلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحد سمي بالجمع تعظيما
كما قيل ما المطاسبة عاهد ابن الرياح والملائكة هي القسم لجبريل كما ذكر وقيل آيات
فهم بسببه لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد الرسل يلقون الى امتهم ما انزل عليهم
وذكر امفعول به ما صبه الملقيات عذرا او نذرا مصدران من عذر اذا محا الاساءة
ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى العاذر
وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى العاذر والمنذر ونصبهما اما على البدل من ذكرا
على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى

عاذرين او منذرين وقرا ابو نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها
وقوله تعالى إنما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجئ القيمة
كائن لا محالة وقال الكلبي المراد بكل ما توعدون به من الخير والشر لواقع يوم بدر وفتح
وقوعه فقال تعالى وإذا النجوم اي على كثرتها طمست اي محي نورها او ذهب بضوئها
ومحق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدر فتعال الزمخشري ويجوز ان يحق
نورها ثم تنتثر محوقة النور وإذا السماء اي على عظمتها فرجت اي فتحت وشققت
فكانت ابوابا قال الله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والفرج الشق وتطير اذا السما
انشقت وإذا الجبال اي عما صلابها نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشي
اذا اختطفته او نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بثا وكانت
الجبال كثيبا مهيلا وإذا الرسل اقتت قال مجاهد والزجاج المراد بهذا الثاقتت بتبيين
الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على امهم اجمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم
القيمة والوقت الاجل الذي يكون عند الشي الموجوا اليه فالمعنى جعل لها وقت
اجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرا ابو عمر وبواو
مضمومة والباقون بهمز مضمومة وهما لغتان والعرب تقلب بين الواو والهمزة
كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى لأي يوم اي عظيم متعلق بقوله تعالى أجلت وهذه
الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال لاي يوم اجلت وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا
لاذا وان يكون حالا من مرفوع وقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا
تعظيم لذلك اليوم وتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان لمعنى التاجيل
وقيل اللام بمعنى الى ذكره ملك قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ثم اتبع هذا التعظيم تعظيما اخر بقوله تعالى وما ادراك
ما يوم الفصل اي ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله في عظمته ومهابته وقرا ابو عمر وشعبة
وحمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه الا ما له تحقيقة وقرا ورش بين بين والباقون
بالفتح ثم اتبعه تهويلا لما شانه بقوله تعالى ويل يومئذ اي اذ يكون يوم الفصل
للمكذبين اي بذلك قال القرطبي ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى ورسله وعلى
تعذير تكذيبهم فان لكل مكذب بشي عذابا تكذيبه بشي اخر وربما شي كذب به هو
اعظم جرما من تكذيبه لغيره لانه اقبح في تعظيمه واعظم في الرد على الله تعالى وانما يقسم
له من الويل على قدر ذلك على ما قدر وخافه وهو قوله تعالى جوا وخافا وقيل كرر لمعنى
تكرار التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان
العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على جهنم
فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا انه مجمع ما سيل من فيح اهل النار وصديدهم
وانما سيل الشي فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا انه اشر المواضع في الدنيا
ما استنقع فيها مياه الاودية من الاقذار والنجاسات والجيف وما اشبهها وقد ذكر
ان الوادي يستنقع صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شي اقذر منه
قذارة ولا انتن منه نتنا تبينه ويلا عبدا وسوء الابتداء به الدعاء ويومئذ
ظرف للويل والمكذبين خبره وقال الزمخشري فان قلت كيف وقع التكذيب عند اقلت

هو

هو في اصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم واعترض بان الذي ذكر ليس من السوءات
التي ذكرها المحويون وانما السوءة كونه دعاء وفائدة العدول الى الرفع ما ذكر ألم نهلك
اي بما لنا من العظمة الأولين اي من كذب آدم عليه السلام الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم
كقوم نوح وعاد وثمود تكذيبهم اي اهلكناهم ثم نتبعهم الآخرين اي مثل ذلك الفعل
فنهلكهم كما اهلكنا الاولين ونسلكهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك اي مثل
ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين اي بكل من اجرم فيما يستقبل انما بالتخفيف واما
بالهلاك ويل يومئذ اي اذ وجد ذلك الفعل للمكذبين اي بايات الله وانبيائه قال البيضاوي
فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في المعطوف بواحد لان الويل الاول بعذاب
الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع في كلام العرب ألم نخلقكم
اي ايها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا يعسر عليها عظيم من ماء مهين اي ضعيف حقير
وهو المني وهذا نوع اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول ان الله تعالى ذكرهم نعمه
انعامه عليهم وكما كان نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه اقبح والتخويف الثاني انه تعالى
ذكرهم انه قادر على الابتداء فالقادر على الابتداء قادر على الاعادة فلما اكثروا هذه
الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله
تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقرأ حمزة والكسائي الفراء بادغام القاف في الكاف وانما
الصعوبة ولهم ايضا ادغام الصفة مع الحرف فجعلناه اي بما لنا من العظمة والقدرة
بالانزال له لك الماء والرحم في قرار اي مكان مكين اي حريز وهو الرحم الى قدر معلوم
اي وهو وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله تعالى ويعلم ما في الارحام
فقدرنا اي على ذلك دون غيرنا فنعم القادرون نحن وفرا نافع والكسائي بتشديد الدال
يصح على هذه القراءة ان يكون المعنى فقدرناه والباقون بالتخفيف وقال علي رضي
الله تعالى عنه ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب تقول
قدر وقدر عليه الموت ويل يومئذ اي اذا كان ذلك للمكذبين اي بقدرتنا على ذلك وعلى
الاعادة وقوله تعالى ألم نجعل اي نصير بما لنا من العظمة الارض كفاتا مصدر كفت
بمعنى ضم اي وعاء تضم اليه الاحياء على ظهرها والى بطنها الاموات وقيل الاحياء على ظهرها
وقيل الاحياء والاموات يرجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت
والى ميت وهو الذي لا ينبت وقيل كفات جمع كافت كصائم وقيام جمع صائم وقائم وقال
الخليل تقلب الحي ظهر البطن او بطن الظهر ويقال للعنت المقوم الى امام اكفتوا اي اقلبوا فمعنى
الكفات انهم ينتصرون على ظهرها وتتقلبون اليها فيدفنون فيها وجعلنا اي بما لنا من القدرة
التامة فيها اي الارض رواسي اي جبالا ثوابت لها ما ثخت باهلها ومن العجايب من اسمها
من فوقها خلافا لمن اسس السقف شامخات اي مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا
ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كشمخ العطف وصعر الخد كما قال لقمان لا تصعر خدك للناس وأسقيناكم اي بما لنا من العظمة ماء اي من الانهار والعيون والغدران
والابار وغيرها لكم فراتا اي عذبا تشربون منه وتسقون منه زرعكم وهذه الامور
اعجب من البعث روي في الاثر ان الجنة تستحان وجيحان والنيل والفرات كل

من انهار الجنة ويل يومئذ اي اذ تقوم الساعة للمكذبين اي بامثال هذه النعم وقوله تعالى
انطلقوا على ارادة القول اي يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي ظل
دخان جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب اي يتشعب لعظمه كما يرى الدخان
العظيم يتفرق وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها
ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش وقيل ان الشعب
الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لانها اوصاف النار وقوله تعالى لا ظليل اي
كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما يوهم لفظ الظل ولا يغني اي ولا يرد عنهم شيئا
من اللهب اي لهب النار فليس كالظل الذي يقي حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض
بان ظلهم غير ظل المومنين واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر
انها اي النار ترمي اي من شدة الاستعار بشرر وهو ما تطاير من النار في كل جهة
واحدة شررة كالقصر اي كل شررة كالقصر من البناء في عظمه وارتفاعه وقال ابن مسعود
يعني الحصون وعن ابن عباس في قوله تعالى ترمي بشرر كالقصر قيل هي الخشب العظام المقطعة
قال وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه يدخرها للشتاء
فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول النخل والشجر العظام واحدتها
قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى كانه اي الشرر جمالات قرا حمزة والكسائي وحفص
بغير الف بعد اللام على التوحيد والباقون بالالف على الجمع جمع جمالة وهي التي قراتها
اولا وهي جمع جمل مثل تجارة وتجر وقوله تعالى صفر جمع اصفر اي في هيئتها ولونها
وفي الحديث شرار النار اسود كالقير والعرب تسمي سواد الابل صفرا لثبوت سوادها
بصفرة فقيل صفر في الاية بمعنى سود لما ذكر وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

قال الترمذي وهذا القول ضعيف وقال في اللغة ان يكون من يشوبه شيء قليل
فينسب كله الى ذلك الثابت فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر
فلا نسلم شيئا من هذا في اللغة وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة سيرها وقيل
لمتابعة بعضها بعضا ويل يومئذ اي اذ يكون ذلك للمكذبين اي لهذه الامور العظام
هذا اي يوم القيمة يوم لا ينطقون اي شيء من فرط الدهشة والحيرة هذا نوع اخر
من انواع تخويف الكفار بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح وهذا
في بعض المواقف فان يوم القيمة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت
ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القران الكريم ففي بعضها يختصمون ويتكلمون
وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون وروى عكرمة ان ابن عباس سال ابن الازرق
عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتسالون فقال
ان الله تعالى يقول ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه
الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة
نافعة فجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع ومن نطق بما لا ينفع فكانه ما نطق كما يقال
لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيئا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يؤذن لهم

اي

اي في العذر وقوله تعالى فيعتذرون عطف على يؤذن من غير سبب عنه فهو داخل في حيز النفي
اي لا اذن فلا اعتذار ويل يومئذ اي اذ كان هذا الوقت للمكذبين اي الذي لا يقبل منهم
معذرة هذا يوم الفصل هذا نوع آخر من انواع تهديد الكفار وتخويفهم اي يقال لهم هذا
اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم ايها المكذبون
من هذه الامة بما لنا من العظمة والاولين من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا
قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبله وقوله تعالى
فان كان لكم كيد اي حيلة في دفع العذاب عنكم فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني
ولن تجدوا ذلك تفريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه ويستحيل عليهم بالعجز وقيل
ان ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون ويل يومئذ اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم للمكذبين
اي الراسخين في التكذيب في ذلك ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى ان المتقين
اي الذين اتقوا الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال اي تكاثف اشجار اذ لا شمس
تظل من حرها وعيون اي من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها وفواكه مما يشتهون
في هذا اعلام بان الماكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب
ما يجد الناس في الاغلب وقوله تعالى كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف
الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وقوله تعالى هنيئا حال اي
متهنئين بما اي بسبب ما كنتم تعملون من طاعات الله تعالى انا اي بما لنا من العظمة كذلك
اي كما جزينا المتقين هذا الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا ويل يومئذ اي اذ يكون هذا النعيم للمتقين
المحسنين للمكذبين اي يمحض لهم العذاب المخلد ولضدهم النعيم المؤبد وقوله تعالى
كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا اي من الزمان وغايته الى الموت وهو زمان
قليل لانه زائل مع قصر مدته في زمن الآخرة وفي هذا تهديد لهم ويجوز ان يكون ذلك خطابا
لهم في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمحة
بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وهذا ما جرى عليه
الزمخشري اولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلي على ما ذكرته اولا وهو اولى قال بعض
العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمينان اليها
من افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من افعال
عوام المؤمنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا من ان
يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ثم علل ذلك مؤكدا بقوله تعالى لانهم ينكرون
وصفهم بذلك انكم مجرمون ففيه دلالة على ان كل مجرم يتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا
ويل يومئذ اي اذ يكذبون باجرامكم للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع
القليل واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجرمين اي قائل كان اركعوا اي صلوا التي فيها الركوع كما
نقل عن ابن عباس واطلقوه عليها تسمية لها باسم جزئها وخص هذا الجزاء لانه يقال

على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين لا يركعون اى لا يصلون قال الرازى وهذا ظاهر
لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون
ويجوز ان يكون اراد لا يركعوا بمعنى اخشعوا او تواضعوا لله بقبول وحيه واتباع دينه وقد طرحوا
هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يصلون لكن ويصرون على استكبارهم وان يكون بمعنى اركعوا
فى الصلاة اذ روى انها نزلت فى بنى ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا
لا نجبى فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود
قال فى القاموس جثى كرضى وضع يديه على ركبتيه او على الارض وانكبت على وجهه
والتجبية ان يقوم قيام الراكع واستند بهذه الآية يعلم ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم
وعلى ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بترك المأمور به وهو يدل على ان الامر للوجوب
فان قيل انما ذمهم لكفرهم اجيب بانه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم فى هذه
الآية لترك المأمور به وقرأ هشام والكسائى بضم القاف والباقون بكسرها ثم بين متى يدعون
اى اذا يكون الفضل للمكذبين اى بما امر وانبه قال الرازى انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار
عن تأويل هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التأمل بالنظر
والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يتوسموا
بهذه الدلايل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأى حديث بعده اى القرآن يؤمنون
اى لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذى لم يشتمل
عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن حادث لان الله تعالى وصفه
بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون
قديما واجيب بان المراد من هذا الحديث هذه الالفاظ والنزاع فى انها محدثة وقوله ايضا وكيف
يتقالد مخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المرسلات كتب انه ليس
من المكذبين حديث موضوع • سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبأ مكية وهى اربعون
واحدى واربعون آية وثلاثمائة وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله الذى له
الملك كله الرحمن الذى عم الوجود بفضله الرحيم الذى يخص اولياءه بجنته وقوله
تعالى عما اما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وادغمت النون فى الميم
وحذفت الالف لكثرتها فى كلامهم واستعمالها فى الاصل قليل ومنه قول حسان

على ما قام يشتمنى لئيم ... كخنزير تمرغ فى رماد •

ومعنى هذا الاستفهام تعجيم الشان
كانه قال عن اى شان يتساءلون ونحوه فوربك لنسألنهم اجمعين فلك ان تريد بما زيد جعلته لانقطاع
قرينته وعدم تعيينه كانه شئ خفى عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتتفحص عن نوعه
كما تقول ما العنقاء وما الغيلم تريد اى شئ هو من الاشياء اصله لم دخول للعبارة
عن التفخيم حتى وقع فى كلام من لا يخفى عليه خافية ولذا ما وقف النبى الحق اليها السلف
بخلاف عنه والضمير فى يتساءلون لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم وذكر ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون
بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل الضمير للمسلمين
والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما

سورة النبأ مكية

الكافر

الحكاية فليرد دا استهزائهم ذكر ان نبأهم عمد افقال تعالى عن النبأ العظيم قال ابن عباس والاكثرون هو القرآن وذلك قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث فان قيل اذا كان الضمير يرجع للكفار فكيف يكون قوله تعالى الذي هم فيه مختلفون اي بضمائرهم اي بعد اعترافهم انها اقدم للضمير قيل مع ان الكفار كانوا منقسمين على انكار البعث اجمله بالاسناد اليهم اعتمادا على ذلك بل كان فيهم من يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النظار واما المعاد الجسماني فمنهم من يقطع القول بانكاره ومنهم من شك واما انكار المتال عنه القرآن فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتال عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كلا ردع للمتالين عما حملهم على انكارهم له وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تاكيد وحي فيه بثم للايذان بان الوعيد الثاني اشد من الاول وقال الضحاك الاول للكفار والثانية للمؤمنين اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ثم امتنان تعالى على العباد بقوله تعالى الم نجعل اي بما لنا من العظمة الارض مهادا اي فراشا كالمهد والجبال اي الثوابت التي تعرفون شدتها وعظمها اوتادا اي تشبث بها الارض كما يثبت الخباء بالاوتاد والاستفهام للتقرير ويستدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات واذا ثبت ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة بعباده مفعولا ثانيا لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز ان يكون بمعنى الخلق فيكون حالا مقدرة وخلقناكم ازواجا اي بما دل عليه ذلك من مظاهر العظمة ازواجا اي اصنافا ذكورا واناثا وقيل ثنايا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات ان تنقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وقيل السبوت الموت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد النوفين وقوله تعالى وجعلنا الليل اي بما لنا من العظمة اللباسا اي يغشاكم ظلامه كما يغشى اللباس لابسه استعارة اي يستركم عن العيون بظلمته اذا اردتم هربا من عدو او بناما او اختفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من اكثر من الامور وقال الشاعر

ولم اطلام الليل عنك من يده ... تخبر اني بالمانوبة تكذب

ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال تعالى وجعلنا بما لنا من القدرة التامة النهار اي الذي يبتدئ الشمس معاشا اي حياة تبعثون فيه عن نومكم اي وقت معاشكم تتقلبون فيه من حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تبتغون فيه معاشا على القديم الشمس وزمان وبنينا بما لنا من الملك التام فوقكم سبعا اي سبع سموات وقوله تعالى شدادا جمع شديدة اي قوية محكمة لا يوثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها والفروج وتطين قوله تعالى وجعلنا السراج وهاجا اي وقادا وهو الشمس وانزلنا بما لنا من كمال الاوصاف من المعصرات اي السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ابرز من السماء الى السحاب فكان السموات معصرات وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات الاعاصير

وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ماء ثجاجا اي منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دما الهدي وكان ابن عباس متجا يسيل غربا يعني يثج الكلام
ثجا في خطبته لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب به
اي بذلك الماء حبا اي نجما ذا حب مما يتقوت به كالحنطة والشعير والارز وثبانا
اي ما يعتلف به كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب دق
القصف والريحان وجنات اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنبات
المقتات وغيره الفافا اي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشريف واشراف وقيل هو
جمع الجمع يقال جنة لفا وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له
كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن
ابن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر
وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها
ان يوم الفصل اي بين الخلائق كان اي بين الخلائق في علم الله تعالى وحكمه
كونا لا بد منه ميقاتا اي وقتا للثواب والعقاب او وقتا توقتت به الدنيا
وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلائق وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي القرن بدل
من يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل او من اذن الله تعالى له في ذلك فتاتون
اي بعد القيام من القبور الى الموقف افواجا اي جماعات مختلفة وعن معاذ انه
سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم
من الامور ثم ارسل عيينة باليا وقال يحشر عشر اصناف من امتي بعضهم على
صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم تتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هولا بقوله
فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة
الخنازير فاهل السحت واما المنكبون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين
يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم
فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم
من خلاف فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة
بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات
واللذات ويمنعون حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل
الكبر والفخر والخيلاء انتهى نعوذ بالله تعالى من هولا ونساله التوفيق لنا ولاحبابنا
فانه كريم جواد لا يرد من ساله وفتحت السما اي شققت لنزول الملائكة فكانت
ابوابا فان قيل هذه الاية تقتضي ان السما بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها
ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا

وقد تكلم في صحة هذا الحديث صح

الارض

الارض عيونا كان اهلها عيون تتفجر ثانيها انه على حذف مضاف اي فكانت ذات
ابواب ثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت
تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقتل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فتفتح سماؤها
وتصير طرقا لا يسد بها شيء وفزاعا مم وحمزة والكسائي بتخفيف التاء بعد الفاء والباقون
بتشديدها وسيرت الجبال اي ذهب بها عن اماكنها فكانت سرابا اي لا شيء
كالسراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء قال الرازي علم الله تعالى كر احوال الجبال
بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان يقال اولا تصير هباء ثم الهباء اذا كان مرهونا بقوله تعالى
وحملت الارض والجبال فدككتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن
المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير
كالهباء وقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا والحالة الرابعة ان تنسف
نسفا بها مع الاحوال المتقدمة متفاوتة في مواضع فترسل الرياح تنسفها عن وجه الارض
فتطير صافي الهواء الحالة الخامسة ان تصير سرابا اي لا شيء كما يرى السراب من بعد
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام التاء الثانية في التاء والباقون بالاظهار
ان جهنم اي النار التي تلقى اصحابها منجهمة لهم تغاظ ما لكن هون كانت مرصادا
اي ممرا ومجازا وموضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة الكفار ليحبسوهم
ليحاسبوهم ويقفوهم عليها ويروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس
يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا اجاز بها
سالمة جاز الى الثاني فسئل عن الصلاة فاذا جاز بها سالمة جاز الى الثالث فسئل عن الزكاة
فاذا جاز بها سالمة جاز الى الرابع فسئل عن الصوم فاذا جاز به سالما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج
فاذا جاز به سالما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فاذا جاز بها سالمة جاز الى السابع فيسئل
عن المظالم فاذا خرج منها والا يقال انظروا ان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق
به الى الجنة واما الكافر فهو مستهتر فيها كما قال تعالى للطاغين اي الكافرين مآبا اي مرجعا
يرجعون اليه وقرأ حمزة لابثين فيها بغير الف بين اللام والباء الموحدة والباقون بالالف وهما لغتان والاولى ابلغ قاله البيضاوي وقوله تعالى احقابا جمع حقب والحقب
الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة
روى ذلك عن علي ابن ابي طالب وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا وقال
الحسن ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو
الا اذا مضى حقب دخل آخر ثم دخل آخر ثم احقاب الى الابد فليس للاحقاب عدة
الا الخلود وروى عن عبد الله انه قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى
الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وقال
مقاتل من حمار الحقب الواحد سبع عشرة الف سنة قال وهذا لانه منسوخ شيخها
فلن نزيدكم الا عذابا يتلى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل وعلى تقدير عدم
النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز ان يراد
لابثين فيها احقابا آبدا وقوله غير ذائقين فيها اي النار بردا ولا شرابا الحميما
وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب

ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب عامنا اذا اقل مطره وحقب فلان اذا اخطا الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حقبا على انه نعت لاحقابا يعني لابثين فيها احقابا فحقبا محمد بن مقرن تقول منه ذقت فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا قال الحسن وعطاء اي راحة ورأوحا اي تنفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما اي ماحار انضج بالحر ان وغساقا وهو ما يسيل من صديد اهل النار فانهم يذوقونه وروي عن ابن عباس ان البرد النوم ومثله قال الكسائي وابو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم وقال الشاعر فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بالتخفيف وعن ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك جزاء وفاقا اي موافقا لعملهم قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الكفر ولا عذاب اعظم من النار وقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا اي بما جاءت به الانبياء وقيل القرآن وقد آيدا بآ اي يكذبا قال الفراء وهي لغة يمانية فصيحة تقول رأيت زيدا يقوم ويقعد بمعنى قائما وقاعدا والتفعيل فيعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غين وسمعني بعضهم افصر انه فقال لعله فسرها فسارا ما سمع بمثله وقرأ الكسائي بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله الشاعر

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه قال الزمخشري وهو مثل قولهم اتينا من الارض نباتا تعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا آيدا بآ وتنصب تكذيبا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان حملته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا آياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة ولانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وكل شيء اي من الاعمال وغيرها أحصيناه اي ضبطناه وقوله تعالى كتابا فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع احصاء والاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط وثانيهما ان يكون حالا بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقيل اراد ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم اي شيئا من الاشياء وقيل من الاوقات إلا عذابا متسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها ان لن للتأكيد ومنها الالتفات عن مخاطبتهم عادة وقوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو سعيد الخدري سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلنا هم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم تسعيرا ولما ذكر تعالى ما للكافرين اتبعه بذكر ما للمؤمنين فقال تعالى إن للمتقين مفازا اي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى حدائق اي بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا اي كروما

عند الكسائي بالتشديد

او بيان له وقوله تعالى وأعنابا بدل الاشتمال او البعض عطف على مفازا وكواعب اي جواري
تكعبت ثديهن جمع كاعب أترابا اي على سن واحد جمع ترب بكسر التا وسكون الرا وقيل
الاتراب اللذات وكأسا دهاقا اي خمرا مالية بحالها وفي القتال وانها من خمر
والدهاق المتدعة وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني وقال ابن عباس مترعة
مملوة وقال عكرمة صافية لا يسمعون فيها اي في الجنة في وقت ما عند شرب الخمر وغيره
من الاهوال لغوا اي لفظا يستحق ان يلغى بان يكون ليس له معنى وقوله تعالى
ولا كذابا قراه بالتخفيف الكسائي اي كذبا وبالتشديد الباقون اي تكذيبا واحدا
لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر جزاء من ربك اي المحسن اليك بما اعطاك جزاهم
بذلك جزاء وقوله تعالى عطاء بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري منصوبا
بجزاء نصب المفعول به ورده ابو حيان بان جعل جزاء مصدرا موكدا لمضمون الجملة التي
هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك
خلافا حسابا اي كافيا وافيا يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي
وقال ابن قتيبة اي عطاء كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما
والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني اما رفعهما فمن اوجه احدها ان يكون رب مبتدا
مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدا خبره لا يملكون ثانيها ان يجعل رب مبتدا والرحمن
خبره ولا يملكون خبر ثان او مستانف ثالثها ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا يملكون
خبر رب رابعها ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول
وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويجوز ان يكون لا يملكون حالا وتكون
لازمة واما جرهما فعلى البيان او النعت ويجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا
للثاني واما جر الاول فعلى التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتدا والخبر الجملة الفعلية
وهي لا يملكون اي الخلق منه اي من الله تعالى خطابا والضمير في لا يملكون لاهل
السموات والارض اي ليس في ايديهم ما يخاطب به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب
خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون
ان يخاطبوا بشي من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه
وقوله تعالى يوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون يقوم الروح والملائكة وقوله تعالى
صفا اي مصطفين والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم
خلقه مثلهم وقال الشعبي وعن ابن عباس هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا
اعظم منه وقيل ملك موكل على الارواح وعن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من السموات
ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السما الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة
يخلق من كل تسبيحة ملك يجي يوم القيمة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة الروح خلق
على صورة بني ادم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هولا جند وهولا جند
وروى مجاهد عن ابن عباس قال خلق على صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه
واحد منهم وقال الحسن هم بنو ادم ورواه قتادة عن ابن عباس وقال هذا ما كان يكتمه

ابن عباس وقتل هو جند من جنود الله تعالى ليبثوا ملائكة لهم رؤس والدى وارجل يأكلون
الطعام وقتل ارواح بنى ادم وقال زيد بن اسلم هو القرآن وقد اوتيناك وحيا الينا
روحا من امرنا واذا كان هو لا ينطقون هم من افضل الخلق واشرفهم واكثرهم طاعة
واقربهم منه لا يملكون التكلم فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض ويجوز رجوع
الضمير للخلق اجمعين الا من اذن له اى فى الكلام اذنا خاصا الرحمن اى الملك الذى
لا تكون النعمة الا منه وقال صوابا فى الدنيا اى حقا من المؤمنين والملائكة وهذا
شرطتان فان يكون المتكلم ماذونا له فى الكلام وان يتكلم بالصواب فلا ينتفع لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقتل القول الصواب لا اله الا الله
ذلك اى المشار اليه لعظم مكانته وعظم رتبته وعلو منزلته اليوم الحق اى الكائن لا محالة
وهو يوم القيمة فمن شاء اتخذ الى ربه اى المحسن اليه مآبا اى مرجعا وسببا بطاعته اى فمن شاء
رجع الى الله تعالى بطاعته ليسلم من العذاب فى ذلك اليوم فان الله تعالى جعل لهم قوة
واختيارا ولكن لا تقدرون احد منهم على مشيئة شئ الا بمشيئة الله تعالى انا اى على مالنا
الذر تماما لم يكن مثله عذابا قريبا اى عذاب يوم القيمة الآتى وكل آت قريب وقوله
تعالى يوم ظرف لعذابا بصفته ينظر المرء اى كل امرء بشرا كان مؤمنا ام كافرا فالنظر
لامر يهمه فيه ما اى الذى قدمت يداه اى كسبه فى الدنيا من خير وشر وقال الحسن
اراد بالمرء المؤمن اى يجد ليغبطه عملا واما الكافر فلا يجد ليغبطه عملا فيتمنى ان يكون
ترابا ولانه تعالى قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر ليقوله
تعالى يا ليتنى كنت ترابا فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدم
يداه من الشر لقوله تعالى وندبقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت
يداك ويجوز ان تكون اشتغالية منه منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت
يداه او موصولة منصوبة بينظر بتقدير نظر به بمعنى نظرت اليه والراجع الى الصلة
محذوف وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فى ابى سلمة بن عبد
الاسد المخزومى ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى احد الاسود بن عبد الاسد
وقاله الثعلبى سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس وذلك انه عاب
ادم عليه السلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار وذاد اعاد يوم القيمة
ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى
انه كان بمكان ادم فيقول يا ليتنى كنت ترابا قال وترابيته فى بعض التفاسير
قال البغوى قاله الوهرين فيقول الزاب لا واكرامه لكل من عمل عملى وروى عن ابى
هريرة انه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم والطير كونوا ترابا
فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا اى بلا عذاب وقيل معنى يا ليتنى كنت
ترابا اى لم ابعث وقال ابو العالية اذا قضى بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمن بنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا
فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتنى كنت ترابا وبه قال كعب ابن احبار
سلبهم مؤمنو الجن وقول الجنة فى بضع ورجاب وليس فيها ما الذى عليه الاكثرون انهم مكلفون

سورة والنازعات

مثابون ومعاقبون كبني آدم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص
للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة
حديث موضوع • سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون اية ومائة
وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الذي احاط علمه بالكائنات
الرحمن الذي انعم على سائر الموجودات الرحيم الذي خص اولياءه بالجنات والنازعات
اي الملائكة تنزع ارواح الكفار غرقا اي تنزع ارواحهم من اجسادهم بشدة كما يستغرق
النازع في القوس ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها حتى اذا كادت تخرج ردها الى جسده
فهذا عملهم بالكفار وقال علي وابن مسعود يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت
من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود
تنزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله
في الكفار وقال السدي والنازعات هي النفوس حين تغرق في الصدر وقال مجاهد
هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق
تطلع ثم تغيب وقال عطا وعكرمة هي النفس وقيل الغزاة تنبيه غرقا يجوز
ان يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى
وان يكون على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء يغرق فيه اذا اوغل وبلغ
اقصى غايته والناشطات نشطا اي الملائكة تنشط ارواح المؤمنين اي تسلها
برفق فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وفي الحديث كما ان النشط
من عقال وعن ابن عباس هي انفس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى
من الكرامة لان الجنة تعرض عليهم قبل الموت وقال علي ابن ابي طالب هو الملائكة
تنشط ارواح الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى يخرجها من افواههم بالكد والعسر
والنشط الجذب والنزع يقال نشط الدلو نشطا انتزعها وقال السدي هي النفس
تنشط من القدمين اي تجذب وقال قتادة هي النجوم تنشط من افق الى افق
اي تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال حمار ناشط ينشط
من بلد الى بلد وقال الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط
من بلد الى بلد والسابحات سبحا اي الملائكة تسبح من السماء بامره اي تنزلوه
من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح اذا اسرع في جريه وقال علي
هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين قال الكلبي كالذي يسبح في الماء واحيانا ينغمس
واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وعن مجاهد
السابحات الموت يسبح في نفوس بني آدم وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح
في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال عطا هي السفن
تسبح في الماء وقال ابن عباس ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته
حين تخرج وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت
سبحا فالسابقات سبقا اي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة
وقال مجاهد هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود

حمار ناشط

هي انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقا الى لقاء الله تعالى وكرامته
وقد عاينت السرور وقال قتادة هي النجوم تسبق بعضها بعضا في السير وقال عطاء هي
الخيل التي تسبق في الجهاد وقيل هي ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار
قال الجرجاني ذكر السابقات بالفاء لانها مسببة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن
قال الواحدي وهذا غير مطرد وقوله تعالى فالمدبرات امرا اي الملائكة تدبر امر الدنيا
اي تنزل بتدبيره قال الرازي ويمكن الجواب بانها لما امرت سبحت فسبقت
فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض وقال ابن عباس
المدبرات هي الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله تعالى العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط
يدبر الامر في الدنيا اربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم
السلام فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما
ملك الموت فوكل بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملائكة
اقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة عام وقيل هي الكواكب السبع حكي عن معاذ بن
جبل وفي تدبيرها بالامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني في تدبيرها
ما قضى الله تعالى فيها من تقليب الاحوال اقسم سبحانه وتعالى بهذه الامور على قيام الساعة
والبعث وانما حذف لدلالة ما بعده عليه ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه واما العباد
فلا يصح لهم ان يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى يوم ترجف اي تضطرب اضطرابا
كبيرا مزعجا الراجفة اي الصيحة منصوب بالجواب اي لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف
الراجفة وهي النفخة الاولى بها يرجف كل شيء اي يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها
جميع الخلائق فوصفت بما يحدث منها تتبعها الرادفة اي الصيحة التابعة لها
وهي النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم
واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وقال قتادة
هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله تعالى وقال عطاء الراجفة
القيامة والرادفة البعث روي عن ابي بن كعب انه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ اي اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للاول
واجفة اي خائفة قلقة مضطربة من الرجف وهو صفة القلوب وقال مجاهد وجلة
وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر ابصارها اي ابصار اصحابها
فهو من الاستخدام خاشعة اي ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين
من الذل يقولون اي ارباب القلوب والابصار في الدنيا استهزاء وانكارا للبعث ائنا لمردودون
اي بعد الموت في الحافرة اي في الحياة التي كنا قبلها قبل الموت وهي حالتنا الاولى فنصير احياء
بعد الموت كما كنا تقول العرب رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جاء والحافرة
عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت
حافرة بمعنى المحفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي مرضية وقيل سميت حافرة لانها تستقر
الحوافر اي انا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا يمشي عليها وقال ابن زيد الحافرة
النار ائذا كنا اي كونا صار جبلة لنا عظاما نخرة اي بالية متفتتة نحيى بعد ذلك

وقرا

وقرأ ابن ذكوان وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني والباقون بالاستفهام
فيهما وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون بالتحقيق وادخل بين الهمزتين قالون وابو عمرو
وهشام بخلاف عنه الفا والباقون بغير ادخال وقرأ نحو حمزة والكسائي وشعبة بالالف
بعد النون والباقون بغير الف وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر
معناها البالية وقرأ قوم بهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي تمر فيها
الريح فتتخرق اي تصوت بالواو اي المنكرون للبعث تلك اي رجعتنا الفجيعة الى الحياة
اذن اي ان صحت كرة اي رجعة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى
ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا وهو استهزاء منهم وعد الحسن بعنكاذية ليست
كاينة قال الله تعالى فانما هي اي الرادفة التي تتبع البعث زجرة اي صيحة بانتهار تنصب
الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف واحدة غير بالزجرة لانه اشد من النهي
لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام صلا فكان كائنا بلسان قال عن تلك الصيحة انها
الاجساد البالية انتهى عن الزاد وقوى الى المعاد ما كلفنا به من المعاد فقد انتهى من
الحصاد وان اوان الاحتنا قد قدم من الزاد فيا خسارة من ليس له زاد فاذا هم اي فتسبب
عن هذه النفخة وهي الثانية ان كل الخلائق بالساهرة اي صار وا على وجه الارض بعد
ما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض اهل اللغة سموها
ساهرة لان فيها دوم الحيوان وسهرهم وقال السدي هي ارض الشام وقال قتادة هي جهنم
فان قيل لم يتعلق فاذا هي بزجرة واحدة اجيب بانه يتعلق بمحذوف وفجاءة تستصغرها
فاذا هي زجرة واحدة تفني الخلائق كلهم اكدت صيغة فعلة الله تعالى بانها سهلة هينة في قدرته
تعالى وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان الثواب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة اي جارية الماء وضدها نائمة قال الاسعث بن قيس وساهرة
يضحي الشراب بجلده ... لا قطارها قد حيته سلما ولان سالكها لا ينام خوف الهلكة
وقال الراغب سميت وجه الارض وقيل ارض القيمة وحقيقتها التي يكثر الوطي بها كانها
سهرت من ذلك والاسهران عرفان في الانف والساهور علاف الفرس الذي يدخل فيه
عند كسوفه وروى الصحاك عن ابن عباس عن عباس قال الساهرة ارض من فضة لم يعص
الله عليها قط جعلها الله يوم القيمة وقيل ارض يجددها الله تعالى يوم القيمة وقيل الساهرة اسم
الارض السابعة ياتي بها الله فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض
وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض
بعينه بالشام وهو الصفيح الذي به جبل اريحا وجبل جيبان عمره الله تعالى كيف شاء
ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هل اتاك اي يا اشرف الخلق حديث
موسى اي البين فذا تاك حديثه فتسلى بما تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل
ما اصاب من هو اعظم منهم فانه كان اقوى اهل الارض بما كان لهم من كثرة الجنود فلما اصر
على التكذيب ولم يرجع ولا افاده التاديب اغرقناه واكثر ولم ينج منهم احد وقد كانوا لا يحصون
عددا بحيث قيل ان طليعته كانت ستمائة الف فكيف بقومك الضعاف
وقوله تعالى اذ اي حين ناداه منصوب بحديث لا باتاك ربه اي المحسن اليه بالرسالة وغيرها
بالواد المقدس اي المطهر غاية التطهير بتشريف الله تعالى له بانزال النبوة المقتضية

المقتضية

للبركات وقوله تعالى طوى اى اسم الوادى الذى طوى فيه الشر عن بنى اسرائيل ومن اراد الله
تعالى من خلقه ونشر فيه بركات النبوة على جميع اهل الارض المسلمين سلامة وغيره برفع
عذاب الاستئصال عنه قالوا العلماء ان عذاب الاستئصال ارتفع حين انزلت التوراة
وهو واد بالطور بين ايلة ومصر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين فى الوصل
والباقون بالتنوين وقوله تعالى اذهب الى فرعون اى ملك مصر الذى كان يستعبد
بنى اسرائيل على ارادة القول انه طغى اى تجاوز الحد فى الكفر وعلا وتكبر وقال الرازى
لم يبين انه طغى فى اى شئ فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق
واستعبدهم روى عن الحسن انه كان فرعون على مجاهدان وقال مجاهد كان من اهل
اصطخر وعن الحسن ايضا قال كان من اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار
فقل اى له هل لك اى هل لك سبيل الى ان تزكى اى تتطهر من الكفر والطغيان قال ابن عباس
بان يشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقاء كان المعنى ادعوك حاجا الى وقال غيره يقال
هل لك فى كذا وهل الى كذا كما يقول هل قرعت فيه وهل نزعت اليه وقرا نافع وابن كثير
بتشديد الزاى والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها وأهديك الى ربك اى وارشدك الى
معرفة المحسن اليك فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى اتى منه
كل خير ومن امن من اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل ببا بحاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه
هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق يستدعيه بالتلطف فى القول وبستنزله
بالمداراة من علوه كما امر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا الاية وقال الرازى
سائر الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء كثيرة تؤدى
انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فقد ذكر تعالى
ههنا اذهب الى فرعون انه طغى انه من جملة ما ناداه به لاكمل ما ناداه به وايضا فاسس
الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا انه
خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم والغاية فى قوله تعالى فاراه عاطفة
على محذوف يعنى فذهب فاراه الاية الكبرى كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت
اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الاية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقال عطا
وابن عباس هى العصا وقال مقاتل والكلبى هى اليد البيضاء تتوقد كالشمس والاول اولى
لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونه وهذا حاصل فى العصى لانها لما انقلبت حية لا بد
وان تغير اللون الاول فاذن كل ما فى اليد فهو حاصل فى العصى وامور اخر وهى الحياة
فى الجرم الجمادى وتزايد اجزايه وحصول القدرة الكثيرة والقوة الشديدة وابتلاع
اشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الاجزاء التى عظمت وزال ذلك اللون
والشكل الذين صارت العصى بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا
فى نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هى العصا وقال مجاهد هى مجموع العصا واليد وقيل
فلق البحر وقيل جميع ايات التسع فكذب اى فشب عن طوعه ذلك ان كذب
موسى عليه السلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الاية وتحقق الامر وقيل كذب

بالغيب

بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم أدبر اى تولى واعرض عن الايمان بعد المهلة والاناة اعراضا
عظيما بالتمادى على اعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهدة طويلة
حال كونه يسعى اى يعمل بالفساد فى الارض او انه لما رأى الثعبان ادبر يفر عو يسعى اى يسرع
فى مشيته قال الحسن كان رجلا طيالا خفيفا وتولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته
او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا لمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع
اقبل ليلائم وصفه بالاقبال فحشر اى فجمع عساكره انه جمع السحرة للمعارضة
وجنوده للقتال فنادى حشد يا على صوته قال جمزة الكرمانى قال لهم موسى عليه السلام
ان ربى ارسلنى اليكم ليلة امنت بربكم تكون اربعمائة سنة فى السرور والنعيم ثم تموت
فتدخل الجنة فقالوا حتى استشيروهامان فاستشاروه فقال انصروا عبدا بعد ما كنتم
ربا فعند ذلك بعث السحر وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره
فقال انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقى وقيل اراد ان الاصنام ارباب وانا ربكم
وقيل امر منادا ينادى فى الناس بذلك وقيل قام خطيبا فقال ذلك فاخذه الله
اى اهلكه بالغرق للكل الاعظم الذى لا كفوله نكال اى عقوبة الاخرة اى هذه الكلمة
وهى قوله تعالى انا ربكم الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى قال ابن
عباس وكان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله فى الاولى ثم اخذه فى الاخرة فعذبه
بكلمتيه وقال الحسن نكال الاخرة والاولى فوانه اعرفه فى الدنيا وعذبه فى الاخرة وعن قتادة
الاخرة هى قوله تعالى انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام ثم انه تعالى ختم
هذه القصة بقوله تعالى ان فى ذلك اى الامر العظيم الذى فعل بفرعون او الذى
فعل به حين كذب وعصى لعبرة اى لعظة لمن يخشى اى لمن يخف الله تعالى لان الخشية
اساس الخير كما ان رفض الاشارة اليه ترك خاطب بها منكرى البعث بقوله تعالى
ايها الاحياء مع كونكم خلقا ضعيفا اشد خلقا اى اصعب خلقكم بعد الموت اشد فى تقديركم
ام السماء اى من قدر على خلق السماء بما عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع
قدر على اعادة وهذا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
والمقصود من الاية الاستدلال على منكرى البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقرير والتوبيخ
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية
والباقون بتحقيقهما وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بتركه ادخال
وقوله تعالى بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها
وقوله رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع اى جعل
مقدار مرتفعها فى سمت العلو مديدا مرفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها اى فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتمها بما علم انها تتم به واصلحها
من قولك سوى فلان امر فلان واغطش اى اظلم ليلها اى جعله مظلما بغيبات شمسها
فاخفى ضياءها يقال اغطش الليل اظلم واغطش الظلام ابتداء ظلمة الليل
وقيل اضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء
وقيل لعموم الليل لان ظهورها بالليل وقوله تعالى

BULAC

وأخرج ضحاها منه حذف اي ضحى شمسها او اضاف الليل والضحى لهما لملابسة التي بينهما وبينها لان الليل ظلما والشمس بالسراج المتقد في جوها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار بالنور والصفو والارض نعت بعد ذلك اي بعد المذكور كله دحاها اي بسطها ومهدها للسكنى وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينها وبين آية فصلت لانه خلق الارض اولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحى الارض فالمراد بين عباس بخلق الله تعالى الارض بما فيها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل بعناها والارض بعد ذلك دحاها كقوله تعالى بعتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل وروي عن ابن عباس انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء باربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت اخرج منها اي الارض ماءها اي نبعه عيونها واضافته اليها دليل على انه موضوع فيها ومرعاها اي النبات الذي يرعى اما كله الناس والانعام من العشب والشجر والتبن والحشيش النار والملح لان النار من العيدان قال تعالى افرأيتم النار التي تورون الاية والملح من الماء واستعير الرعي للاكل كما استعير الرتع في قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والمرعى في الاصل موضع الرعي تنبيه اخرج حال باضمار قد اي مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش والجبال ارساها اي اثبتها على وجه الارض لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى متاعا مفعول له لمقدر اي فعل ذلك منفعة او مصدر لعامل مقدر اي متعكم تمتيعا لكم وقوله تعالى ولانعامكم جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية التي تطم على الدواهي بان تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري قال ابن عباس وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث وقال الضحاك هي القيامة سميت بذلك لانها تطم كل شيء بشدتها وقال القاسم بن الوليد الهمداني هي الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقوله تعالى يوم يتذكر اي تذكرا عظيما الانسان اي الكافر الا يسير بتعمد الغافل عما خلق له ما سعى في الدنيا من خير او شر يعني اذا رأى اعماله في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه وما في ما سعى يجوز ان تكون موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم اي ظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا لمن يراها لكل راء كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل بصير وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد لكل الناس حتى الاعمى لانه يجد حرها ويسمع زفيرها فالامر اظهر من ان يرى قال تعالى لا يسمعون حسيسها وجواب اذا قوله تعالى ما تمنى فطغى اي تجاوز الحدود في العدوان حتى كفر بربه وآثر اي قدم واختار الحياة الدنيا على الآخرة فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم اي النار الشديدة التوقد العظيمة هي اي خاصة المأوى اي مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك ولست الالف واللام بدلا عن الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يفض الرجل طرفه عنه نزلت الالف واللام منزلة الاضافة تنبيه هي يجوز ان تكون

فصلا

فضلا ومنة **وأما من خاف مقام ربه** اى قيامه بين يديه لعلمه بالمعاد وتعاد وقال مجاهد خوفه فى الدنيا من الله تعالى عند مواقعة الذنب فيقلع عنه فتطهر وقيل خاف مقام ربه جنتان **ونهى النفس** الامارة بالسوء **عن الهوى** اى المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطن على ايثار الخير **فان الجنة** اى البستان الجامع لكل ما تشتهى **هى** اى خاصة **المأوى** اى ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب فالعاصى فى النار والطايع فى الجنة قال الرازى بعد ان الوصفان متضادين الموصوف بالمتقدم من فوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله تعالى واما من طغى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وان الحياة الدنيا فكما دخل فى ذينك الوصفين جميع القبايح دخل فى هذين الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله بن مسعود انتم فى زمان يعود الحق الهوى وسياتى زمان يعود الهوى الحق فتعوذوا بالله من ذلك الزمان تنبيه اختلف فى سبب نزول هاتين الايتين فقيل نزلتا فى مصعب ابن عمير واخيه روى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخو مصعب بن عمير اسير يوم بدر واخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه فى الوثاق واكرموه وبنوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لى باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى تبعث امه فى فدايه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى تفرق الناس عنه حتى تعذرت المثاقيف فى جوفه والمثافق جمع مثقف وهو السهم المقوم فلما راه صلى الله عليه وسلم مشى طاوى منه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رايته وعليه برد ان ما تعرف قيمتها وان شراك نعله من ذهب وعن ابن عباس ايضا نزلت فى رجلين ابى جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدى نزلت الاية الثانية فى ابى بكر الصديق وقال الكلبى هما عامتان ولما سمع المشركون اخبار القيمة ووصفها بالاوصاف الهايلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم استهزاء فقالوا **يسالونك** يا اشرف الخلق **عن الساعة** اى البعث الاخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن امرها **ايان مرساها** اى متى اى وقت ارساءها اى اقامتها الرد واعتى يفهمها الله تعالى وبينها او ايان منتهاها او ايان مستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه **فيم** اى فى اى شى **انت من ذكراها** اى من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به تنبيه فيم خبر مقدم وانت مبتدا موخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت فى اى شى من ذكراها اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شى وعن عايشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى اى شغل واهتمام انت من ذكرها والسوال عنها والمعنى انهم يسالونك عنها فلحرصك على اعلامهم لا تزال تذكرها وتسال عنها **الى ربك** الى الحسن البك بانواع النعم **منتهاها** اى منتهى علمها لم يوت علمها احدا من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربى وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال الفراء ويجوز ان يكون انكارا على المشركين فى مسالتهم اى فيم انت من ذكرها حتى يسالوك بيانه وليست ممن يعلمه روى معناه عن ابن عباس ثم وقيل الوقف عما قبل قوله تعالى فيم وهو خبر مبتدا

مضمر اي فيم هذا السؤال ثم يبتدا بقوله تعالى انما انت من ذكراها اي ارسلناك وانت خاتم الانبيا
واخر الرسل المبعوث في قم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك
دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها
انما انت اي يا اشرف الرسل منذر اي انما بعثت لانذار من يخشاها اي لتخويف
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع
به اي انما ينفع انذارك من يخافها وان كنت منذرا لكل مكلف كانهم قال البغوي يعني
كفار قريش يوم يرونها اي يعلمون قيام الساعة علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها
بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم بما مر من زمانهم وما اتى فيه
لم يلبثوا اي في الدنيا وفي القبور الا عشية اي من الزوال الى غروب الشمس او ضحاها
اي ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد ذلك اضيفت اليها
الضحى لانها من النهار والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهي هنا كونها من نهار واحد
فالمراد ساعة من نهار من اوله او اخره لم يستكمل نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه
وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بماذا يرجع فان قيل هلا قيل الا عشية او ضحى ما فائدة الاضافة اجيب
بان ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية
او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشية فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة تنبيه قد احديث موسى طوى
طغى تزكى فتخشى وعصى اشقى فنادى الاعلى والاولى يخشى ما سعى طغى الدنيا الماوى
عن الهوى الماوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين
والفتح فيهن عن ورش قليل وقرا بناها فسواها ضحاها دحاها ومرعاها
ارساها مرساها منتهاها من يخشاها او ضحاها حمزة والكسائي بالامالة
محضة وابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين وقرا فاراه الاية
الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكراها ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة
وقرا ورش بين اللفظين والباقون بالفتح في الجميع وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه
الله تعالى في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة حديث موضوع
سورة عبس وتسمى سورة السفرة مكية وهي اثنان واربعون اية ومائة وثلاثون
كلمة وثلثمائة وثلاثون حرفا بسم الله الواحد الغفار الرحمن الذي عم بانعامه
الابرار والفجار الرحيم الذي خص اولياءه برحمته في دار القرار عبس اي كلح وجه النبي صلى
الله عليه وسلم وتولى اي اعرض بوجهه لاجل ان جاءه الاعمى وهو ابن ام مكتوم وام مكتوم
ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر ابن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن
ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وذلك انه جاءه وعنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن
خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم اولئك الاشراف الذين
كان يخاطبهم فيتبايعهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم فثقلوا كلمة الله تعالى

سورة عبس

فقال

فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء
الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل
على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه ويقول
له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس ابن
مالك فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء **وما يدريك** اي
واي شيء يجعلك داريا بحاله **لعله** اي الاعمى **يزكى** فيه ادغام التاء في الاصل في الزاي
اي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك وفي ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره **او يذكر**
فيه ادغام التاء في الاصل في الذال اي يتعظ وسبب عن تزكيته وتذكره قوله
تعالى **فتنفعه الذكرى** اي العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين
والباقون برفعها فمن رفع فهو نسق على قوله تعالى او يذكر ومن نصب فعلى جواب
الترجي كقوله تعالى في غافر فاطلع الى اله موسى وقال ابن عطية في جواب التمني
لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله تعالى لعله يزكى واعترض عليه ابو حيان بان هذا ليس
تمنيا وانما هو نوح واجيب عنه بانه انما يريد التمني المفهوم من الكلام وقرأ الذكرى
ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقيل
الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان تتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه
الذكرى الى قبول الحق وما يدريك انما طمعت فيه كائن **اما من استغنى** اي بالمال
وقال ابن عباس استغنى عن الله وعن الايمان بماله من المال **فانت له** اي دون
الاعمى **تصدى** اي تتعرض بالاقبال عليه والمصادة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير
بتشديد الصاد بادغام الثانية في الاصل والباقون بالتخفيف **وما** اي فعلت
ذلك والحال انه **ما عليك** اي وليس عليك باس **الا يزكى** اي في ان لا يتزكى بالاسلام حتى
يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ **واما من جاءك**
حال كونه **يسعى** اي يسرع في طلب الخير وهو ابن ام مكتوم **وهو** اي والحال انه **يخشى**
اي الله او الكفار في اذاهم على الاتيان اليك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة
وقرأ قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها **فانت عنه تلهى** فيه حذف
التاء الاخرى في الاصل اي تتشاغل وقرأ ويتولى الاعمى تزكى من استغنى تصدى
تزكى تسعى تخشى تلهى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين
والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقوله تعالى **كلا** ردع عن المعاتب عليه
وعن معاودة مثله فان قيل ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق عليه التاديب
والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه لانه وان كان اعمى
فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض
نفسه قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وايضا فان الاهم يقدم
على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار فلم يكونوا

BULAC

اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام غيرهم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك
الخير العظيم لغرض قليل وذلك حرام وايضا فان الله تعالى ذم الدنيا ونفرس من زهرة الحيوان
بمجرد انها فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا
وايضا يمنع هذا الاعتراض لقب بالاعمى وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم له
ان يؤدب اصحابه بما يراه مصلحة والتجسس من ذلك القبيل اجيب بان ما
فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم اشتغل
بغيره والله يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وايضا الله سبحانه وتعالى انما عاتبه
على ذلك حتى لا يكسر قلوب الضعفاء ولتعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني الكافر
وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه
اشار الى الذين كان يقودهم ان يكفه فدعه ابن ام مكتوم وانا الان اكلم النبي صلى
الله عليه وسلم فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل من حقه ذلك وانما ذكره
بلفظ الاعمى فليس للتحقير بل كان بسبب عماه يستحق ان يزيده تعطفا وتودفا
وتقريبا وترحيبا ولقد تاديب الناس بادب الله تعالى في هذا ادبا حسنا فقد
روى عن سفيان الثوري ان الفقراء كانوا يجلسونه امراء اما كونه صلى الله عليه وسلم
كان يتاذى وتاله في تاديب اصحابه فلان تقديمهم ربما يدوهم ترجيح تقديم الاغنياء
على الفقراء فلهذا السبب عوتب قال الحسن كما ان لا جبريل عليه السلام على النبي
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الايات عاد وجهه كما ما سفت فيه الرماد ينتظر
ما يحكم الله تعالى عليه فاما قال تعالى لا نفرق عنه ان لا يفعل مثل ذلك وقد بينا
من ان ذلك محمول على ترك الاولى ثم قال الله تعالى انها اي هذه السورة وقوله
مفاتيل ايات القرآن وقيل القرآن وانت لتا نيث خبر وقوله تعالى تذكرة
اي عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا
له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والمعنى عظيم ان الله تعالى اخبر
عن جلالة ذلك عنده تعالى وقيل في كتب الانبياء دليله قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
في صحف اي منتسخة من اللوح المحفوظ
مكرمة اي عند الله تعالى مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة
اي منزهة عن ايدي الشياطين لا تمسها الا ايدي الملائكة مطهرين كما قال تعالى بايدي
سفرة اي كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم
سافر يقال سفرت اي كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه اسفار وقيل هم
الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وتسفير القوم هو الذي يسعى
بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم ثم اثنى الله تعالى عليهم بقوله
سبحانه كرام اي على الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال مكرمون
ان يكون واضع ابن ادم اذ الخلائق وحفظة او منزلة الغائط وقيل يوثرون منافع
غيرهم على منافع انفسهم وقوله تعالى بررة جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة
والبار هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان بر خالقه
اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين صادقين في الله تعالى في اعمالهم ولما ذكر تعالى
ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال

سبحانه

سبحانه قتل الانسان اي لعن الكافر وقوله تعالى ما اكفره استفهام توبيخ اي ما
اشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك
مما حمله على الكفر وقوله تعالى من اي شيء خلقه استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى
من نطفة اي ما يسير جدا لا من غيره خلقه اي اوجده مقدورا على ما هو عليه من التخطيط
فقدره اي علقه ثم مضغه الى اخر خلقه فكانه قيل واي سبب في هذا الترفع
مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل قذره
فان خلقة الانسان تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على القول
بالبعث والحشر قيل نزلت في عتبة ابن ابي لهب والظاهر العموم فان قيل الدعا
على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب ايضا
انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم به كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد
على اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم
القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شيء قاتله الله ما احسنه واخزاه الله تعالى ما اظلمه
والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام
تحقير له فذكر اول مراتبه وهي قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة
شيء حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله تعالى فقدره اي اطوارا وقيل
سواه لقوله تعالى ثم سواك رجلا وقدر كل عضو في الكمية والكيفية والكمية
بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة
الوسطى بقوله تعالى ثم اي بعد انتهاء المدة السبيل اي طريق خروجه من بطن امه
يسره اي سهل له امره في خروجه بان فتح له الرحم والهمه الخروج منه ولا شك ان
خروجه من اضيق المسالك من اعجب العجائب يقال انه كان راسه في بطن امه من فوق
ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام المراد
ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير والشر وروي عن ابن عباس
قال سبيل الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن
طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما
خلق له ثم ذكر المرتبة الاخيرة بقوله تعالى ثم اماته واشار الى ايجاب المبادرة الى التجهيز
بالفاء المعقبة في قوله تعالى فاقبره اي جعله في قبر يستره اكراما له ولم يجعله ممن يلقى
على وجه الارض ياكله الطير او غيره ثم اذا شاء انشره اي احياه تعد موته للبعث
ومفعول شاء محذوف اي شاء انشاره وانشره جواب اذا وقرا قالون وابو عمرو
والبزي باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل ولهما
ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى كلا ردع للانسان عما هو
عليه وقيل معناها حقا قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال الثاني
الجلال المحلي لما يقض اي لم يفعل ما امره به ربه من الايمان وترك التكبر ولم يوف
بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر
لم يقض ما امره به من التامل في دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه
ولما كان عادة الله تعالى جارية في القران انه كلما ذكر دلائل الانس ذكر عقبها

BULAC

دليل الآفاق فبدأ من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى **فلينظر الانسان** اي يوقع النظر التام بكل متأمل يقدر على النظر به من بصره وبصيرته **إلى طعامه** اي الذي هو قوام حياته كيف هيأناه اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وقال الحسن وتجاهد فلينظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى الضحاك انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال فشرك اذا قلت الماظ علمته قال فان الله تعالى ضرب مثل ما يخرج من امرأة مثل الدنيا وروي عن ابن عمر ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه فيأتيه الملك فيقول انظر الى ما تخليت به الى ما صار وقرأ **أنا صببنا** اي عجبنا من العظمة الا عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على انه بدل الاشتمال تقديره صببنا الماء سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه بعد التقدير وانه علل تقدير لام العلة اي فلينظر لانا بحذف الخافض وقال البغوي انا بالفتح على تكرير الخافض بحار فلينظر الزاي وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تقديره لنعمه عليهم وقوله تعالى **صبا** تأكيد والمراد بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع ما في الوجود ولو نقص منه شيء اختل امره وبدأ اولا بالسماء لانها اشرف وبالماء الذي هو حياة كل شيء ثنى بالارض التي هي كالام للنبات فقال تعالى **ثم** اي بعد مهلة من انزال الماء **شققنا** اي عجائبا من العظمة **الأرض** اي بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق ضعف الانشقاق بالارض التي هي سيدة وقوله تعالى **شقا** تأكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى **فأنبتنا** اي بما لنا من العظمة القادرة النامة **فيها** اي بسبب الشق **حبا** اي قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل في التغذية **وعنبا** وذكر بعد الحب لانه غذاء من وجه وفاكهة من وجه **وقضبا** قال ابن عباس هو الرطبة لانه يقتضب منه من النحل اي يقطع مرة بعد اخرى وقيل لانه يعلف القضيب اي يقطع وقيل لانه يقضب كلما يقضب من المقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والقضاب ارض تسمى بصدر قضيب اذا قطعته لانه يقضب مرة بعد اخرى وقال الحسن القضب العلف للدواب **وزيتونا** وهو ما يعصر منه الزيت لكونه فاكهة حرافة وعصارة فيه اصلاح المزاج وقوله تعالى **ونخلا** جمع نخلة وكل من هذه الاشجار مخالف للآخر في الشكل والحمل وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي وقوله تعالى **وحدائق غلبا** جمع اغلب وغلباء من احمر وحمراء يسمى كثرة الاشجار والافنان في الوصف بالغلب الرقاب يقال للرجل اغلب وامرأة غلباء غلبا الرقبة واستعير قال عمرو بن معدي كرب

يمشي بها غلب الرقاب كانهم ... نزل يسيء من النخيل حلالا

وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض وقال ابن عباس الطوال وقيل غلاظ الاشجار **وفاكهة** وهي ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ قال النووي في منهاجه ويدخل في فاكهة رطب وعنب ورمان وانجر ورطب ويابس امكانه في الربيب قال قلت ولمون وتين وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الاصح **وأبا** وهو ما يأكله الدواب لانه يؤب اي يؤم ويجمع اليه وقال عكرمة

الفاكهة

الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقيل التبن وعن ابي بكر الصديق انه
سيل عن الاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم
لي به وعن عمر انه قرا هذه الاية قال كل هذا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين
لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قيل هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القران
والبحث عن مشكلاته اجيب بانه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم
عاكفة على العمل وكان التشاغل بشي من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية
مسوقة عندهم في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعا شكره وقد علم من فحوى
الاية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له ولانعامه فعليك بما هو
اهم من النهوض بالشكر لله على ما بين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تشاغل
عنه مطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة
الجملية الى ان يتبين لك من مشكلات القران متاعا اي العشب اي منفعة او تمتيعا
كما تقدم في السورة قبلها لكم اي الفاكهة ولانعامكم وتقدم ايضا في السورة
التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها ولما ذكر تعالى هذه
الاشيا وكان المقصود منها ثلاثة اولها الدلايل الدالة على التوحيد وثانيها
الدلايل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده
بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان
يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال يوم
القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه وهو شرح احوال القيمة ذلك
الخوف الى التامل في الدلايل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك
التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جاءت اي كانت ووجدت
لان كل ما هو كاين كانه لاقيك وجاء اليك الصاخة اي صيحة القيمة وهي
النفخة الثانية التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعتها ماخوذة من صخه
بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة
مجازا لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها
لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله

اصمتني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم ليس يورث الصمما

وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه والتقدير
فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله تعالى يوم يفر المرء بدل
من اذا من اخيه وامه وابيه وصاحبته اي زوجه وبنيه لاشتغاله
بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيا كقوله تعالى يوم لا يغني مولى
عن مولى شيا فيفر المرء من هولاء الذين كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا ويستجيرهم
لكثرة ما تشغله وبدا بالاخ لانه ادناهم رتبة في الحب والذب ثم بالام لانها كانت
مشاركة له في الالف ويلزم من جانبها اكثر مما يلزم للاخ وهو لها الف وعليها
احن وعليها ارق واعطف ثم بالاب لانها اعظم منها في الارث لانه اقرب في النوع

BULAC

وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع اكثر ممن قبله ثم بالصاحبة لان الزوجة التي هي
اهل لان تصحب الصق بالفؤاد واغرق في الوداد وكان الانسان اذب عنها عند الشدائد
ثم بالولد لان له من المحبة والعاطفة بالسرور والمشاهدة في الامر ما ليس لغيره ولذلك
يضيع عليه رزقه وعمره فقدم ادناهم مرتبة في الحب والذب فادناهم على سبيل الترقي
واخر الاوجب في ذلك فالاوجب بخلاف ما في سورة سال فكانه قيل يفر المرء من اخيه
بل من امه بل من ابيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم
بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة المعتني
الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه
هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ولما ذكر الفرار
اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ اي وان كان اعظم الناس مروة منهم يومئذ
اي اذ تكون هذه الدواهي شان اي امر عظيم وقوله تعالى يغنيه حال اي يشغله عن شان
غيره وعن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان
فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم
قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه
عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك
الهم الذي حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني
في انه ملك شيئا كثيرا ولما ذكر تعالى حال القيمة في الهول بين ان المكلفين على قسمين
سعدا واشقيا فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى وجوه يومئذ اي اذا
كان ما تقدم من الفرار وغيره مسفرة اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضا
وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن
وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
ضاحكة اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اي بما اتاها
الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة
اي غبار اي اذا وجد ما ذكر ترهقها اي يعلوها قترة اي سواد كالدخان ولا يرى اوحش
من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما يرى من وجوه الزنوج اذا اغبرت اولئك
اي البعداء الغضا الذي يصنع بهم هذا هم اي خاصة الكفرة الفجرة جمع الكافر
والفاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى فجمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة
كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة عبس وتولى جا يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع
وكان من حق البيضاوي ان لا يعبر بقال بل بعن كالزمخشري او نحوه ويأتي مثله
في نظايره سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات
واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الذي احاط علمه بالكائنات
الرحمن الذي عم جوده ساير البريات الرحيم الذي خص حزبه بنعيم الجنات واختلف
في معنى قوله تعالى اذا الشمس اي التي هي اعظم ايات السما الظاهرة واوضحها للحس كورت

العظام والشدايد والالام صح

سورة التكوير

فقال

فقال ابن عباس ظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير عذب بنور وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة تقال كورت العمامة عمامة على الكورها وكورت الكور اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصيرها نارا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران يوم القيمة تلبيه ارتفاع الشمس على الماء عليه دورانها فعل مضارع نفس كورت لان اذا اطلت الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم اي كلها كسارها وصغارها انكدرت اي انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال العجاج في مدحه لابن سعدي كرب

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر تقضي البازي اذا البازي كسر

البر خربان فضما فانكدر اي فانقض ويسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحباري والباع يستعمل في الكرم يقال فلان اكرم الباع والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدر هو عمر واي اسرع كما تقضض البازي على الحباري وروي عن ابن عباس ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور يديرها الملائكة عليهم السلام فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه ماتت من كان يمسكها واذا الجبال اي التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي اصلب ما في الارض سيرت اي ذهب بها عن وجه الارض وصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا صفصفا واذا العشار اي النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسم لها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها روي انه صلى الله عليه وسلم مر واصحابه بفشار من النوق فغض بصره وقال لهذه انفس اموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم لانه عطلت اي تركت مستيئسة مهملة للاراع او عطلها اهلها عن الحلب والقرى استغالهم بانفسهم والسحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل والاول هو الوجه لان في القيمة لا تكون ناقة عشراء اصلا لان يوم القيمة محالة لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه واذا الوحوش اي دواب الارض التي لا تأنس باحد التي نظن انه لا عقل لها ولا البتة فما ظنك بغيرها حشرت اي جمعت بعد البعث لينتصف لبعضها من بعض حتى تصير ترابا قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه شر ومضرة للبني آدم واعجاب بصورتها كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها تقول اذا اجدبت السنة بالناس ما اهلك حشر بهم السنة وقرأ واذا البحار اي عاد كثيرها سجرت بتشديد الجيم والباقون بتخفيفها قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا وانضم وقال مجاهد فجر بعضها في بعض العذب والملح فصارت البحور كلها بحرا واحدا وقال القشيري يرسل الله تعالى الحاجز الذي ذكره فاذا ارفع ذلك البرزخ تخرق مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى ابو العالية

عن ابي بن كعب قال ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء
الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض
فتحركت واضطربت وقزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب
والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت
اختلطت واذا البحار سجرت قال قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا
الى البحر فاذا هو يارشتاخ قال فبينما هم كذلك اذ نضبت الارض نضبة واحدة
الى الارض السابعة السفلى والى العما السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح
فاماتتهم وعن ابن عباس قال بين يدي الساعة عشر خصلة ستة في الدنيا وستة
في الاخرة وهي ما ذكر من بعد **وَإِذَا النُّفُوسُ** اي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم
زُوِّجَتْ اي قرنت باجسادها وروي ان عمر سئل عن هذه الاية فقال يقرن
بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل
السوء في النار وقال الحسن وقتادة الحق كل امرء بشيعته اليهود باليهود
والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين
وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين **وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ** اي الجارية المدفونة حية
كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحيها البسها جبة من صوف
او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية
فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء
فيبلغ بها الى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها
التراب حتى يستوي البئر بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت
ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت
بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف الحاجة
من احلهن او الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحق الاناث به فهو احق بهن وكان صعصعة
ابن ناجية ممن منع الوأدة وفيه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات
فاحيا الوئيد فلم يوأد **سُئِلَتْ بِأَيِّ** اي بسبب اي **ذَنْبٍ** يا ايها الهالكون **قُتِلَتْ** اي
استخفت به عندهم القتل ولم تبال شر شئ لكونها لم تحصل حد التكليف فان قيل ما معنى
سؤالها عن شئ هي اعلم به من غيرها قلنا سؤالها عن سبب وجب قتلها اجيبت بسؤالها
وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى ليسئل عيسى عليه السلام ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس بحق وروي
ان نفسا سئلت عن ذلك فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ولدت ثمان بنات
كن لي في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول
الله اني صاحب ابل فقال صلى الله عليه وسلم اهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التي تقتل ولدها يأتي يوم القيمة متعلق ولدها ببدها ملطخا
بدمائه فيقول يارب هذه اي وهذه قتلتني **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** اي فتحت بعد
ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد من خير وشر تطوى
بالموت وتنشر القيمة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما هذا الكتاب

الوَأْدَةُ

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وروي عن عمر انه اذا قراها قال اليك يساق الامر يا ابن
ادم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف
بالنساء فقال يشغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل وقرا نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها
على تكرير النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان
واذا السماء اي هذا الجنس كله افرده لانه يعلم بالقدرة على بعضه كشطت اي نزعت عن اماكنها
كما ينزع الجلد عن الشاة والغطاء عن الشيء قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطا نزعت
جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته والمعنى ازيلت
عما فوقها وقال القرطبي طويت واذا الجحيم اي النار الشديدة التاجج سعرت اي اججت
فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة واحتج بهذه الاية من قال النار
مخلوقة الان لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم القيمة وقرا نافع وابن ذكوان
وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها واذا الجنة اي البستان ذو الاشجار الملتفة
والرياض المعجبة ازلفت اي قربت لاهلها ليدخلوها وقال الحسن انهم يقربون منها
لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى في كلام العرب القربة وقوله
تعالى علمت نفس جواب اذا اول السورة وما عطف عليها اي علمت كل نفس من النفوس وقت
هذه المذكورات وهو يوم القيمة فالتنكير فيه مثله في ثمرة خير من جرادة ودلالة هذا
السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه ما اي كل شيء احضرت من خير وشر روي عن ابن
عباس وعمر انهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة قال الرازي
ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن ما احضرته في صحائفها او ما احضرته عند
المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال وعن ابن مسعود ان قاريا قراها عنده فلما
بلغ علمت نفس ما احضرت قال واقطع ظهراه فلا اقسم لا مزيدة اي اقسم بالخنس الجوار
الكنس هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون
اي ترجع في مجراها وراءها بينا ترى النجم في اخر البرج اذكر راجعا الى اوله وتكنس بكسر
النون تدخل في كناسها اي تغيب في المواضع التي تغيب فيها فخنوسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس كالنهار فتغيب عن العيون
وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اي الذي هو محل ظهور النجوم
وزوال خنوسها وذهاب كنوسها اذا عسعس قال الحسن اقبل بظلامه وقال اخرون
ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وتقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ولم يبق منه الا اليسير والصبح اي الذي
هو اعدل اوقات النهار اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس
ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح
اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه الليل

امتد حتى يصير

العظم بالكرب به المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا انفس وجد راحة فسمي الصبح لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله تعالى إنه اي القرآن لقول رسول كريم قوله المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله كريم على الله تعالى اي استغنت عنده وحبوه المذام كلها واثبت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام واضاف الكلام اليه لانه قاله عن الله تعالى ذي قوة اي شديد القوى روى الضحاك عن ابن عباس انه قال من قوته قلعة مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانصر ابليس بكلام عيسى عليه السلام عما بعض عفا به الارض المقدسة فنفخه بجناحه لنحو مائة الف ثاه الى افق جبل بالهند وصاح صيحة تمود فماتوا جاثمين فهبط من السما الى الارض وبصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش اي الملك الاعلى المحيط غرسه بجميع الاكوان الذي لا عند في الحقيقة الا الله وهو الله تعالى وقوله تعالى مكين اي ذي مكانة متعلق به عند اي هي منزلة ومكانة ليست عندية جهة بل عندية اكرام وتشريف كقوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قوي اذا اطاعة الله وترك الاخلال بها مطاع ثم اي في السموات قال الحسن مرض الله على اهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة انه لما اسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فاتا جبريل لرضوان خازن الجنان افتح لمحمد فدخلها فراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فدخلها ورأى ما فيها امين اي بليغ الامانة على الوحي الذي جي به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى حينئذ ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاعه الله تعالى الذي طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه في غاية الكمال حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اعطف على انه الى آخر القسم عليه واعرف مما نفي عنه بقوله تعالى بمجنون اي كما زعمتم حتى رميتموه بالجنون وقولتم ساحر كاذب وصدق المرسلين ما القرآن الذي يتلوه عليكم بقول مجنون ولا بقول متوسط في القبح بل بقول اعقل العقلاء واكمل الكمل تنبيه استدل بذلك بعضهم على افضلية جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قال البيضاوي ضعيف اذ المقصود هنا نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا وقولهم به جنة لا تعد وفضله والموازنة بينهما ولقد رآه اي رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح بالافق المبين اي البين وهو الافق الاعلى الذي هو عند سدرة المنتهى حيث لا يكون بعده افق ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل اني احب ان اراك على صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقوى على ذلك قال بلى فاين شئت ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال بمنى قال لا يسعني قال بشعب خاف قال لا لكن بالحزورة ان يسعني فتحمد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم الحزورة فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبل عرفات بخشخشته وكلكلته قد ملا ما بين المغرب والمشرق ورأسه في السما ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في التخوم السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل

احيانا

احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوضع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا
عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود
وقد مر ذلك في سورة النجم وما اي وسمعه وراه والحال انه ما هو اي محمد صلى الله عليه وسلم
على الغيب اي ما غاب من الوحي وخبر السما ورؤية جبريل وغير ذلك مما اخبر به وقرا بضنين
ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظا المشالة من الظنة وهي التهمة اي فليس بمتهم والباقون
بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو البخل اي فليس ببخيل بالوحي فيروي بعضه
او يسال تعليمه فلا يعلمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو في مصحف
عبد الله بالظا وفي مصحف ابي بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بهما قال الزمخشري
واتقان الفصل بين الضاد والظا واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان
اكثر اهل العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد
فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما بينهما من الاضراس من بين اللسان او يساره
وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه
وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظا فمخرجها من طرف اللسان واصول
الثنايا العليا وهي احدى الاحرف الذولقية اخت الذال والثا ولو استوى الحرفان
لما ثبتت في هذه الكلمة قراتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراة
ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين
مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثا مكان الشين لان التفاوت بين
الضاد والظا كالتفاوت بين اخواتهما انتهى كلامه بحروفه وما هو اي القران الذي من جملة
معجزاته الاخبار بالمغيبات واغرق في النفي بالتاكيد بالبا فقال تعالى بقول شيطان
اي مسترق السمع فيوحيه اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة رجيم اي مرجوم مطرود بعيد
من الرحمة وذلك لان قريشا كانوا يقولون ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه
على لسانه يريد بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل
يريد ان يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى فاين منصوب بقوله تعالى تذهبون
لانه ظرف مبهم وقال ابو البقا الى اين فحذف الجار اي فاي طريق تسلكون في انكاركم القران
واعراضكم عنه وفي هذا استضلال لهم فيما يسلكون من امر النبي صلى الله عليه وسلم
والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان اي ما هو اي القران الذي اتاكم به الا ذكر
اي عظة وشرف للعالمين من انس وجن وملك وقوله تعالى لمن شا منكم بدل من العالمين
باعادة الجار ان يستقيم باتباع الحق قال ابو جهل الامر الينا ان شينا استقمنا وان شينا
لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزلت وما تشاؤن اي الاستقامة
على الحق الا ان يشا الله اي الا وقت ان يشا الملك الاعظم الذي بيده كل شي مشيتكم الاستقامة
عليه رب العالمين اي مالك الخلق كله وفي هذا اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق
الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ونقل البغوي في اول السورة باسناد عن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم قال من احب ان ينظر في يوم القيمة فليقرا اذا الشمس كورت واما قول البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه
حتى تنشر صحيفته فحديث موضوع سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون

سورة الانفطار

كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا بسم الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا الحمد لله الذي دبر
الكائنات تدبير الرحيم الذي ارسل رسوله للخلق نذيرا اذا الشمس اي على شدة احكامها
واتساقها وارتفاعها انكدرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السما
بالغمام واذا الكواكب اي النجوم الصغار والكبار كلها انقضت اي تساقطت متفرقة في الارض
النار المرصعة نرصيع المسامير انتثرت اي تساقطت متفرقة لان عند انتقاض تركيب
العالم تنتثر النجوم على الارض واذا البحار المتفرقة في الارض وبعضها بطنة لها ائتم ضبط
لتمنع العباد مما كثرتها فجرت اي فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال
البرزخ الذي بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تتشقق الما بعد الما فتلا
البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن في قوله تعالى واذا البحار سجرت
وقال هنا فجرت نغت واذا القبور اي مع ذلك كله بعثرت اي قلبت يقال بعثرت
وبحثرته بالعين والحاء المهملة والثاء المثلثة والراء المشددة ومعناهما واحد
اي قلبها بمعنى والمعنى قلب اعلاها اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى
احيا وقيل التبعير اخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتى بعد ذلك
وجواب اذا اول السورة وما عطف عليه علمت نفس اي كل نفس وقت هذه المذكورات
وهو يوم القيمة ما قدمت اي من عمل واخرت اي جميع ما عملت من خير وشر
او غيرها فان قيل اي وقت من القيمة يحصل هذا العلم قال الزجاج اما العلم الاجمالي فيحصل
في اول زمان الحشر لان المطيع يرى انوار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول
الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى يا ايها
الانسان اي البشر الانس يتعسه الناس لما يعتريه حظا لمنكري البعث روي عطا
عن ابن عباس انها نزلت في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الشريف
ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى في اول امره وقيل نسخ اول جميع
العصاة لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ما غرك بربك اي ما خدعك وسول
لك الباطل حتى تركت ما اوجب عليك المحسن اليك وانت بالكرامات الكريم اي الذي
له الكمال كله المقتضي لان لا يمهل الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسيء هذا اذا حملنا الانسان
على جميع العصاة فان حملناه على الكافر وهو ظاهر لانه فالمعنى ما الذي حمله على الكفر
وانكار الحشر والنشر فان قيل كونه كريما يقتضي ان يقتر الناس بكرمه لانه جواد مطلق
والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار
كما يروى عن علي بن ابي طالب انه صفع غلاما له مرات فلم يلتفت فنظر فاذا هو بالباب
فقال له لم لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه
واعتقه وقالوا ايضا من كرم سادته علما نه واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به
فكيف جعله ههنا ما يعامل الاغترار اجيب بان حق الانسان ان لا يغتر بتكريم الله تعالى
عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة
وتاخير الجزا الى ان يجمع الناس للجزا فالحاصل ان تاخير العقوبة لاجل الكرم وذلك لا يقتضي
الاغترار بهذا التفضل فانه منكر خارج عن حد البهيمة ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله
شيطانه الخبيث ان من زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل

عليك

عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله
يوم القيمة وقال ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له قال اقول غرني ستورك المرخاة
وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع
ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن
عنده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله حيث لم يعاقبه
اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال قتادة سبب غرور بن ادم تسويل الشيطان
وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلوا الله به يوم القيمة فيقول ما غرك بي يا ابن
ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين الذي خلقك اي ما وجدك من العدم
مهيا بتقدير الاعضا فسواك عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضا والمنافع بالفعل
فعدلك اي جعل كل شي من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله تعالى لها
تنبيه قوله تعالى الذي يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع
والنصب واعلم انه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة
على تحقيق ذلك الكرم فقوله سبحانه الذي خلقك اي بعد ان لم تكن لا شك انه كرم لانه وجود
والوجود خير من العدم والحياة خير من الممات كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك مستوي الخلقة سالم الاعضا غاية في الكرم كما قال
تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضا
وقال ذو النون المصري اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشي منها ثم انطق لسانك
بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على
كثير ممن خلق تفضيلا وقرا عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال والباقون بالتشديد
بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك اطول ولا احدى عينيك
اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال عطا عن
ابن عباس جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو علي الفارسي
عدلك خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوانات والنبات وواصلا
في الكمال الى ما لم يصل اليه شي من اجسام هذا العالم واما قراة التخفيف فتحتمل هذا
اي عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل ان تكون من العدول اي صرفك الى ما شا من الهيات
والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد في اي صورة اي من الصور
التي تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان وغيره وما في قوله
تعالى ما مزيدة شا متعلق بركبك وقوله تعالى ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيته
وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه
ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قيل هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها اجيب
بانها بيان لعدلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب
على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك
في صورة عجيبة ثم قال ما شا ركبك من التراكيب يعني تركيبا حسنا وقوله تعالى كلا
ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي
هو الكفر والمعصية وقوله تعالى بل تكذبون اي يا كفار مكة اضراب الى ما هو السبب الاصلي

في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام وان اي والحال ان عليكم اي بمن اقمناهم
من جندنا من الملائكة لحافظين اي على اعمالكم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير
كراما اي على الله تعالى كاتبين اي لهذه الاعمال في الصحف كما يكتب الشهود منكم العهود
ليقع الجزاء على غاية التحرير تنبيه هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة
اجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل ان يكونوا
حافظين لجميع ابن ادم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بني ادم ويحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا
من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا
في الكفار هل عليهم حفظة او لا فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حقيقة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين
وان عليكم لحافظين وقوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله وقوله تعالى واما من اوتي
كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة فان قيل فاي شيء يكتب الذي
عن يمينه ولا حسنة له اجيب بان الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون
صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفي هذه الاية دلالة على ان الشاهد لا يشهد
الا بعد العلم بوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون اي على التجدد
والاستمرار ما تفعلون فدل على انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها
يكونون عالمين عند اداء الشهادة وفي تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء فانه عند الله
من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبطها ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل
للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قراها قال ما اشدها من اية
على الغافلين ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العالمين
وقسمهم قسمين وبدا بقسم اهل السعادة فقال تعالى ان الابرار اي المؤمنين الصادقين
في ايمانهم باداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه لفي نعيم اي يحيط بهم ابد الابدين
وهو نعيم الجنة الذي لا نهاية له ثم ذكر قسم اهل الشقاوة بقوله تعالى وان الفجار
اي الذي شانهم الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من رضى الله تعالى الى سخطه
وهم الكفار لفي جحيم اي نار محرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابد الابدين
يصلونها اي يدخلونها ويقاسوها حرها يوم الدين اي يوم الجزاء وهو يوم
القيمة وما هم عنها اي الجحيم بغائبين اي مخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم
الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة
ان لابن ادم ثلاث حالات حالة الحياة التي يحفظ فيها عمله وحالة الاخرة التي يجازى
فيها وحال البرزخ وهو قوله تعالى وما هم عنها بغائبين روي ان سليمان بن عبد
الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب
الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله تعالى قال فاين اجد ذلك في كتاب الله تعالى
قال عند قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم الاية قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب
من المحسنين ثم عظم تعالى ذلك اليوم فقال سبحانه وما ادراك اي اعلمك وان اجتهدت
في طلب الدراية به ما يوم الدين اي اي شخص هو في طوله وهوله وفظاعته وزلزاله

ثم كرره تعجبا لشانه فقال تعالى ثم ما ادراك اي كذبك ما يوم الدين اي ان امر يوم الدين
بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى
اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل تعالى القول في وصفه فقال سبحانه يوم لا يملك
اي بوجه من الوجوه في وقت ما نفس اي اي نفس كانت لنفس شيئا اي قل او جل
وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم وجوز الزمخشري
ان يكون بدلا مما قبله يعني قوله تعالى يوم الدين والباقون بالفتح باضمار اعني او اذكر
والامر اي كله يومئذ اي اذكار البعث للجزاء لله اي ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك
الله تعالى في ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم في الدنيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء
حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث موضوع سورة المطففين مدنية في قول الحسن
وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس
وقتادة مدنية الا ثمان ايات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي
وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف
وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهي ست وثلاثون اية ومائة وتسع وستون كلمة
وسبعمائة وثمانون حرفا بسم الله الذي من توكل عليه كفاه الرحمن الذي عم جوده الابرار
والعصاة الرحيم الذي خص اهل طاعته بهداه وقوله تعالى ويل مبتدا وسوغ
الابتداء به كونه دعا وهو اما كلمة عذاب اي هلاك ثابت عظيم في كل حال من احوال
الدنيا والاخرة او واد في جهنم وقوله تعالى للمطففين خبره والتطفيف البخس في الكيل
والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير قال الزجاج وانما قيل للذي ينقص المكيال
والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف وروى
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا
فنزلت فاحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس
خمس قيل يا رسول الله ما خمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم
ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشى فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا فشى فيهم الموت
ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس
عنهم المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف
بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فنزلت وقيل كان اهل
المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت
وعن علي انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له الزعفران اقم الوزن بالقسط
ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امر بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل
وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان
وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل
مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالتابع فيقول اتق الله
واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق
يلجمهم الى انصاف اذانهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك

كيال او وزان او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه
في رؤوس المكاييل والسن الموازين ثم بين تعالى المطففين من هم بقوله سبحانه الذين
اذا اكتالوا اي عالجوا الكيل على الناس اي كائنين من كانوا لا يخافون شيئا ولا يداعون
احدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا يستوفون اي اذا كالوا منهم وابدل
على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ويجوز
ان يتعلق على يستوفون وتقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية في يستوفون
على الناس خاصة واما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا
الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال
اكتلت منك فكقوله استوفيت منك واذا كالوهم اي كالوا للناس اي حقهم اي ما لهم
من الحق او وزنوهم اي وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال القايل
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
وقال اخر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك ويقال وزنتك
حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وكسبتك
وكسبت لك والاكمؤ جمع كماة والعساقل ضرب منها واصله عساقيل لان واحدها
عسقول كعصفور فحذف اليا للضرورة وبنات اوبر ضرب من الكماة ردي وقوله تعالى
يخسرون جواب اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال اخسر الرجل واخسرته فمفعوله محذوف
اي يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون اي ينقصون بلغة فارس اي ينقصون
الكيل او الوزن وقوله تعالى الا يظن اولئك اي الاخسا البعدا الارذل الذين يفعلون
ذلك انهم مبعوثون ليوم اي لاجله وفيه وزاد التهويل بقوله تعالى عظيم انكار وتعجب
عظيم من حالهم في الاجترا وعلى التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا
انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله
تعالى يوم يجوز نصبه بيبعثون او باضمار اعني او بدل من محل ليوم فناصبه يبعثون
يقوم الناس اي من قبورهم لرب العالمين اي الخلايق لاجل امره وجزايه وحسابه
وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب
احدهم ورشحه الى انصاف اذنيه وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كان يوم القيمة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل او اثنين
قال سليم لا ادري اي الميلين يعني مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال
فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من ياخذه الى عقبيه
ومنهم من ياخذه الى ركبتيه ومنهم من ياخذه الى حقويه ومن ملجمه الجاما فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب
ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجوه يوم القيمة
وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك
ان المطفف قد يوجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به ما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال
المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام

الناس

الناس فيه لله تعالى خاضعين ووضعه ذالك بين العالمين بيان بليغ تنظم الاذن وتعاقب
الامر في التطفيف وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على الشوبة
والعدل في كل اخذ واعطاء بلغ في كل قول وعمل وعن ابن عمر انه قرأ هذه الشورة فلما بلغ قوله
تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى بكاء شديدا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض
المفسرين ان لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب
واخفائه وفي طلب الاضافة والانتصاف وتعالى لعلام يرضى لاحية التغلب ما يرضاه لنفسه
فليس بمنصف ومعاشر والصحبة من هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب
نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلب ويذكر
تعالى كلا ردع اي ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وهنا تم الكلام وقال الحسن كلا
ابتداء منفصل بما بعده عما تقدمه حقا وجزما عاهد الجلال المحلي واكثر المفسرين على الاول
ان كتاب الفجار اي كتب اعمالهم الكفار واظهر موضع الاضمار تفخيما لتعليقها للحكم بالوصف
واختلف في معنى قوله تعالى لفي سجين فقيل هو كتاب جامع هو ديوان الشر دون
الله تعالى فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل هو مكان
تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده وقال سعيد بن جبير سجين هي الارض
السابعة السفلى فيها ارواح الكفار وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبي هو
صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها بجعل كتاب الفجار فيها قال
وهب هي آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار ان روح الفاجر يعني الكافر يصعد
بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل
تحت سبع ارضين حتى تنتهي بها الى سجين وهو موضع مقر ابليس وذلك انتهاء بها
وينتهي بها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة
لفي سجين اي في خسار وضلال وما ادراك اي اعلمك اي وان اجتهدت في ذلك
سجين وقال الزجاج اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقوله تعالى كتاب
مرقوم ليس تفسير السجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب الفجار
اي هو كتاب مرقوم منظور من الكتبة مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب
لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به او تعلم ملائكة من رآه انه لا خير فيه وقيل الرقم الختم بلغة حمير
واقتصر على هذا الجلال المحلي وقال قتادة رقم عليه بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف بها انه كافر
والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن
وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم ولانه مطروح تحت الارض
كما مر وان فعيل سجين هل هو اسم او صفة اجيب بانه اشتهر علما منقولا من وصف
كحاتم وهو متصرف لانه ليس فيه الا السببية واحد وهو التعريف ويل اي اعظم الهلاك
يومئذ اذ يقوم الناس لما تقدم للمكذبين اي بذلك او بالحق وقوله تعالى الذين
يكذبون بيوم الدين اي بسبب الاخبار بيوم الدين اي الجزاء الذي هو شر الوجود بدل او بيان
للمكذبين اخبر عنه صفة من يكذب بيوم الدين بثلاث صفات ذكر اولها بقوله تعالى
وما اي والحال انه ما يكذب به اي بذلك اليوم الا كل معتد اي متجاوز عن النظر عائل

BULAC

ء التغليب حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحالة منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية
بقوله تعالى إنهم اي نهمك في الشهوات المحدثة بحيث استغل بها وبراها وحملته على الانكار
لما عداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا اي القرآن قال أساطير
الأولين اما الحكايات سطرت قديما جمع اسطور بالضم وذلك من شرط جهله واعراضه عن الحق
فلا ينتفع بشواهد النقل كما لا ينتفع بدلائل العقل وهذا عام في كل موصوف بذلك وقال
الكلبي هو النضر بن الحارث وقتله صبرا علي رضي الله عنه وقوله تعالى كلا ردع وزجر اي ليس
هو اساطير الاولين وقال الحسن حقا ها حقا كما مر بل ران اي غلب واحاط وغطى
تغطية الغيم للسماء على قلوبهم اي كل من قال هذا القول ما كانوا يكسبون كما ارتكب
الصدأ من اصرارهم على الكبائر وتسويف التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل
اليه روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة
سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان ازداد زادت حتى تعلو قلبه
فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه وقال ابو معاذ الذنب ان يسود القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الذنب والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل
على القلب قال الله تعالى ام على قلوب اقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تخبط
الذنوب بالقلب وتعمى ويموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب
فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جمرا فاضمحه وعن الحسن الذنب بعد الذنب
يسود القلب بتوالي الزلات عليه الذنب وعمان عليه ربنا وعبنا والعين الغيم وتعالى
ران فيه النوم وسنح فيه مر ابنته به الخبر ذهبت به وقد احمر وسفعته والكماة
بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع
والباقون بغير سكت وقوله تعالى كلا ردع عن الكسب الرين عن قلوبهم وقيل
بمعنى حقا كما مر انهم عن ربهم اي الحسن اليهم يومئذ لمحجوبون اي فلا يرونه بخلاف المؤمنين
فانهم يرونه كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون
انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية
فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله ومن نفى الرؤية كالزمخشري حمله تمثيلا
للاستحقاق بهم واهانتهم لان الاهانة تكون على المنع والحجاب والمكرمين لديهم لا
يحجب عنهم الا اذناب المهانين عندهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وفقاه محجوبون عن رحمته
وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم اي بعد حجبهم عن ربهم لصالوا الجحيم اي
لداخلوا النار المحرقة ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي العذاب الذي كنتم به تكذبون
اي في دار الدنيا وقوله تعالى كلا ردع عن التكذيب وقيل معناها حقا كما مر وقال
البيضاوي وبيد تكرير للاول ليعقب بوعيد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف
محور والا يقاظ مزدوج عن التكذيب ان كتاب الابرار اي كتب اعمالهم الموجبة الصادقة فيما
ينالهم لفي عليين وعلموا علم لك ان الخير الذي دعوت اليه كله اعلنته الملائكة وصلحاء
الثقلين متفوقون جمع على فعل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكرام بنوه

تكرر ماله

تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء
الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص
عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به
الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص في عمله
فاجعلوه في سجين وعن البراء مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن
عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال
كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك
سدرة المنتهى وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت
بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين
وثلاثين **وما ادراك** اي جعلك داريا وان بالغت في الفحص **ما عليون** اي ما كتاب عليين
هو **كتاب** اي عليهم **مرقوم** اي فيه ان فلانا امن من النار رقما يا له من رقم ما احسنه
وما انهاه واجمله **يشهده المقربون** يحضرونه فيشهدون على ما فيه يوم القيمة او
يحفظونه ولما عظم كتابهم عظم مقولتهم بقوله تعالى **ان الابرار لفي نعيم** اي في الجنة
ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى **على الارائك** اي الاسرة في الحجال ولا يسمى
اريكة الا اذا كان كذلك والحجال بكسر الحاء جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب والاسرة
قاله الجوهري **ينظرون** اي الى ما شاؤا مداعبتهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم
الله تعالى من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما يحجب الحجال ابصارهم
عن الادراك وقال الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى **تعرف** اي ايها
الناظر اليهم **في وجوههم** عقب رؤيتهم **نضرة النعيم** اي بهجته وحسنه ورونقه
كما ترون في وجوه الاغنياء واهل الترفه والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل
ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب وهذا هو الامر الثاني واما
الثالث فهو قوله تعالى **يسقون من رحيق** اي خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر
البيضاء وقال الرازي لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول **مختوم** اي ختم ومنع
من ان تمتد يد الى ان يفك ختمه الابرار قال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما
له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر
يجري انهارا كقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف
من الجاري **ختامه مسك** اي اخر شربه يفوح منه المسك فالمختوم الذي له ختام
اي اخر وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقال
ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل طينه مسك وقيل تختم اوانيه من الاكواب
والاباريق بمسك مكان الطينة **وفي ذلك** اي الامر العظيم البعيد التناول وهو العيش
والنعيم والشراب الذي هذا وصفه **فليتنافس** اي فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد
والاختيار **المتنافسون** اي الذين من شانهم المنافسة وهي ان يطلب كل منهم ان يكون
ذلك المتنافس فيه لنفسه ما فيه دون غيره لانه نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص
عليه نفوس الناس وتتغالى فيه والمنافسة في مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات
الخالصة وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل

والستور

BULAC

العاملون وقال مقاتل ان سليمان نيسارع المتسارعون وقال عطا فليستبق المستبقون
وقال الزمخشري فليرغب الراغبون والمعنى في الجميع واحد واصله من النفيس الذي
تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه ونفس فيه عاغبه اي نفيس ومزاجه
اي ما يمزج به ذلك الرحيق من تسنيم وهو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو
مصدر سنمه اذا رفعه لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب
في اواني اهل الجنة بمقدار الحاجة فاذا استلذت امسكت وقوله تعالى عينا نصب على المدح
وقال الزجاج نصبا على الحال يشرب بها اما باء بسببها على طريقة المزج منها المقربون
او ضمن يشرب معنى يلتذ فمن يشربون منها صرفا ومزج لسائر اهل الجنة ان الذين اجرموا
اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم رؤساء قريش ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل واشياعهم كانوا من الذين امنوا وهم فقراء الصحابة عمار وصهيب وخباب وبلال
وغيرهم من فقراء المؤمنين يضحكون اي استهزاء بهم واذا مروا اي المؤمنون بهم اي بالذين
اجرموا يتغامزون اي يشيرون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم
وقيل يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم قيل جاء علي ابن ابي طالب وعمار من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا حتى رجعوا الى اصحابهم فقالوا رايناه اليوم
الاصلع وضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى النبي صلى الله عليه وسلم واذا انقلبوا
اي رجع الذين اجرموا بعضهم الى بعض في الرجوع واقبالهم عليهم من غير تكرر الى اهلهم اي
منازلهم التي بها عامتهم وفاكهين والكهاني في الاصل بضم الهاء والميم وابو عمرو
بكسر الهاء والباقون بكسرها وضم الميم انقلبوا فاكهين اي متلذذين بما كان من شتمهم
ورفقهم الذي اوصلهم الى الاستهزاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنه عليه الصلاة
والسلام انا لله وانا اليه راجعون يا سبيعة عرسا لك بدا يكون الفاكه عالما بدينه كالقابض
على الجمر وفي اخرى يكون المؤمن فيهم اذل من الامة وفي اخرى العالم فيهم انتن من جيفة
حمار والله المستعان وفاكهين بغير الف بين الفاء والكاف والباقون بالالف وقيل
هما بمعنى وقيل فكهين فرحين وقالوا فاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ويمزج
واذا رأوهم اي راى المجرمون المؤمنين قالوا اي المجرمون ان هؤلاء اي المؤمنين
لضالون اي لآيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يروا انهم على شيء وهم على ضلال
في تركهم التنعم الحاضر بسبب شيء لا يدري هل له وجود ام لا قال الله تعالى
وما ارسلوا اي الحال انهم ما ارسلوا اي الكفار عليهم اي على المؤمنين حافظين اي موكلين
بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهتمون باعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
وهذا تهكم بهم وقيل هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا انهم لضالون
وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام
وجدهم في ذلك وقوله تعالى فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر تقدمه على المبتدا
لانه لو تقدم العامل صح الجار اذ لا يلي بخلاف زيد قائم في الدار لا يجوز في الدار زيد
قائم وتعني فاليوم اي في الآخرة الذين امنوا ولو كانوا في درجات الامان من الكفار
يضحكون وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين
في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين

بسبب ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم
والترفه ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها
انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم وبالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها قال
ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وينفتح لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت
ابوابها اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها
غلقت دونهم فيضحك المؤمنون منهم وذلك سبب الضحك ومنها اذا دخلوا الجنة واجلسوا
على الارائك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى على الارائك اي الاسرة العالية ينظرون
اليهم كيف يعذبون في النار ويرفعون اصواتهم بالعويل والثبور ويلعن بعضهم
بعضا فتنبسط ينظرون حال من يتصفحون اي يتصفحون ناظرين اليهم والى ما فيهم من الهوان
وقال الكعبي بين الجنة والنار كوى اذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه كان له في الدنيا
اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة
على اعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي هل جوزوا
ما كانوا يفعلون اي جزاء اشفاء بهم بالمؤمنين وتقسي الاستفهام ههنا التقرير
وتق به وانا به بمعنى واحد اذا جازاه قال اوس شاجرك او يحزبك لحق مثوب وحسبك
ان يثنى عليك ويحمد وقرا الكسائي وحمد حشام بادغام اللام في الثاء والباقون بالاظهار وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المطففين سقاه الله
من الرحيق المختوم يوم القيمة حديث موضوع سورة الانشقاق مكية وهي ثلاث
او خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الذي شق
الارض بالنبات الرحيم الذي عم جوده اهل الارض والسموات الرحيم الذي خص اهل
طاعته بالجنات وقوله تعالى اذا السما اي علق بما لها من الاحكام والعظمة انشقت
كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان احدهما
ان تكون شرطية والثاني ان تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها اوجه احدها انه محذوف
لدلالة المعنى عليه كما هو مذهب سيبويه او الفعل الذي بعدها كما هو مذهب المبرد على
ما مر في سورة التكوير والانفطار
وعلى الثاني جملة قوله تعالى علمت نفس الثاني جوابها مثل ما دل عليه جملة الشرط الثالث انه
اي ايها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية فهي مبتدا وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة لتقدير
وقت انشقاق السما وقت مد الارض اي بسط الاعراض في وقت قال الاخفش وقيل انهما
مصوبتان بفعل اضمار اذكر وانشقاقها بالغمام وهو من علامات القيمة كقوله تعالى
ويوم تشقق السما بالغمام وعن علي تشقق من الحمرة قال ابن الانباري المحمرة هي البياض
المعترض في السما والنار من ورائها واذنت سمعت واطاعت في الانشقاق لربها اي
لما اراد قدرته حين اراد انشقاقها انقيادا لطوع الذي يرد عليه الامر من غير صعوبة الطاع
ما فصت لم واذ عن ولم ياب ولم يمتنع كقولهم ايتنا طائعين وحقت لها ان تسمع
وتطيع بان تنقاد ولا تمتنع تعالى حق كذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض اي على ما لها
من الصلابة مدت امتد فزيد في سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم
اذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى والقت اي اخرجت ما فيها من الكنوز

ZUJAJ

والموتى كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وخلت اي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك
يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا
والا فالتحقيق ان الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض وقوله تعالى واذنت لربها
وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب
اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه انه محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي
الانسان عمله وذلك كله يوم القيمة واختلف في الانسان في قوله تعالى يا ايها الانسان اي
الانس بنفسه الناسي لامر ربه انك كادح فقيل المراد جنس الانسان كقولك يا ايها الرجل
فكانه خطاب خص به كل احد من الناس قال القفال وهو ابلغ من العموم لانه قائم مقام
التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل
بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد
عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وقال ابن عباس هو ابي بن خلف
وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر
والكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح
الى ربك اي جاهد الى لقائه وهو الموت اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال
تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير به الى ربك وقوله تعالى فملاقيه يجوز ان يكون
عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدا مضمر اي فانت ملاقيه وقيل
جواب اذا والضمير في ملاقيه اما للرب اي ملاقي حكمه لا مفر لك منه واما للكدح الا ان الكدح
عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك من خير او شر وقال الرازي
المراد ملاقات الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويؤكد هذا قوله تعالى بعده واما من
اوتي كتابه اي كتاب عمله الذي كتبته الملائكة بيمينه اي من امامه وهو المؤمن المطيع
فسوف يحاسب اي يقع حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء
والقهر حسابا يسيرا هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك
وفي رواية من حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما حوسب حسابا سهلا لانه
كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة الا ذهولا فلاجل ذلك تعرض اعماله فيقبل حسنها ويعفى
عن سيئها وينقلب اي يرجع من نفسه من غير مزعج برغبة وقبول الى اهله اي الذين
اهل بهم في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مؤمنين مسرورا
اي فذا اوتي جنة وحريرا فانه كان في الدنيا في اهله مشفقا من العرض على الله يحاسب نفسه
حسابا عسيرا مع ما هو فيه من نكد الاهل وضيق العيش واما من اوتي كتابه وراء ظهره
وهو الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فياخذ بها كتابه فسوف يدعو
اي بوعد لا خلف في وقوعه ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا
ويصلى سعيرا اي يدخل النار الشديدة وقرا ابو عمرو وعاصم بفتح اليا وسكون الصاد
وتخفيف اللام والباقون بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام وقرا حمزة والكسائي
بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش غلظ اللام واذا امال
رقق والباقون بالفتح انه كان اي بما هو له كالجبلة والطبع في اهله اي عشيرته في الدنيا مسرورا

قال

قال القفال اي منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة الفرايض
من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف
الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل ان قوله
تعالى انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين
اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحكون
ممن امن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر انه ظن اي لضعف نظره ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن يحور
اي لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال
لبيد ما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس
ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي
وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد النفي ولن يحور اي بلى ليحورن ان ربه اي الذي ابتدا
انشاه ورباه كان اي ازلا وابدا به بصيرا اي من يوم خلقه الى يوم بعثه اي باعماله لا ينساها
وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقاوة واختلفوا في الشفق في قوله
تعالى فلا اقسم بالشفق فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقي من النهار
وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وقال
قوم هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة تنبيه سمي بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان
رقة القلب عليه واللام في لا اقسم مزيدة للتاكيد والليل اي الذي يغلبه ويذهبه
وما وسق اي ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر
مستوسقات لو يجدن سايقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها
والقمر اي الذي هو آيته اذا اتسق اي اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة وقال
قتادة استدار وهو افتعل من الوسق تنبيه قد اختلف العلما في القسم بهذه
الاشيا هل هو قسم بها او بخالقها فذهب المتكلمون الى ان القسم واقع بربها وان كان
محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله تعالى او بصفة
من صفاته وقد مر ان ذلك يكره في حق الانسان وان الله تعالى يقسم بما شا من خلقه
وجواب القسم لتركبن اي ايها الناس اصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الامثال
والواو لالتقا الساكنين وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح البا الموحدة على خطاب
وهو الانسان المتقدم ذكره في قوله تعالى يا ايها الانسان والباقون بضمها على خطاب
الجمع وهو معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان طبقا مجاوزا عن طبق
اي حالا بعد حال قال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن عباس
الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطا فقيرا ومرة غنيا وقال ابو عبيدة لتركبن
سنن من كان قبلكم واحوالهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لتسبقن سنن من كان
قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول
الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى فما لهم اي الكفار لا يومنون
استفهام انكاري اي اي مانع لهم من الايمان او اي حجة لهم في تركه بعد وجود براهينه

BULAC

ولا يعلم اذا قرئ اي من اي قاري قرأ بمعشر وعند عليهم القرآن ابو الجامع لكل ما ينفعهم في دينهم
ولخواص الفارق بين كل ملتبس لا يسجدون اي لا يخضعون بان يؤمنوا اي يعانوا او لا يصلون
قاله مقاتل او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب
فسجد ومن معه من المؤمنين وقرئ بشر تصفق وسهم فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت وعن
نافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه
قال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه وليس
في ذلك دلالة على وجوبها فهي مندوبة وعن الحسن هي واجبة واحتج ابو حنيفة على وجوب
السجود بانه تعالى ذم من سمعه ولم يسجد وعن ابن عباس ليس المفصل بسجدة وما روي
عن الزهري يخالفه وعن ابن سيرين صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجد وا بل الذين كفروا
يكذبون بالقرآن والبعث والله اعلم بما يوعون اي بما يجمعون في صدورهم ويضمرون
من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب بأعمال السوء
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب وفي قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي موجع استعير ذلك
لهم او ان البشارة بمعنى الاخبار اي اخبرهم وفي قوله تعالى الا الذين استثناء منقطع اي لكن الذين
امنوا وعملوا الصالحات تحقيقا لان لهم اجرا غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص
ولا ممنون به عليهم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه وراء ظهره حديث موضوع سورة البروج
مكية وهي اثنتان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثمانية وخمسون
حرفا بسم الله الذي احاط علمه بالكليات الرحمن الذي عم جوده سائر المخلوقات الرحيم الذي
خص اهل السعادة بالحسنات وقوله تعالى والسماء اي العالية غاية العلو المحكمة غاية
الاحكام ذات البروج قسم اقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج
اقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا عشر شهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
وقال الحسن هي النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل عظام
الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقوله تعالى واليوم الموعود
قسم اخر وهو يوم القيمة قال ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه
واختلفوا في قوله تعالى وشاهد ومشهود وقال ابو هريرة وابن عباس الشاهد يوم
الجمعة والمشهود يوم عرفة وروي مرفوعا اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود
يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة
يشهد على عامله بما عمل فيه قال الغزنجي وكذا سائر الايام والليالي لما روى ابو نعيم الحافظ
عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد الا نادى فيه يا ابن ادم
انا الخلق جديد وانا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني اذا
مضيت لم ترني ابدا وتقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن ابن عمران
الشاهد يوم الاضحى وقال ابن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروي
عن علي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقال مقاتل اعضاء الانسان هي الشاهد
لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه

سورة البروج مكية

الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وقيل الشاهد محمد صلى الله
عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا وقيل ادم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود اولاد
ادم وقيل غير ذلك وكل ذلك صحيح واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلي
جواب القسم محذوف صدره اي لقد قتل اي لعن اصحاب الاخدود وقال الزمخشري
محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم بهذه الاشيا انهم ملعونون
يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قتلهم واستظهر هذا البيضاوي والاخدود هو الشق
المستطيل في الارض كالنهر وجمعه اخاديد واختلف فيهم فعن صهيب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت
فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه
راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه
فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى
اهله ضربوه فشكى الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت
اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس
فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر واخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب
اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس
فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك
ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص
ويداوي الناس سائر الادوا فسمع جليس الملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال
هذا لك اجمع ان انت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت بالله
دعوت الله تعالى فشفاك فامن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان
يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي
وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجي بالغلام فقال له الملك اي
بني قد بلغ من سحرك ما يبرئ الاكمه والابرص وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما يشفي
الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجي بالراهب فقال ارجع عن دينك
فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جي بجليس
الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى ففعل به كالراهب ثم جي بالغلام فقيل له ارجع
عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به
فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال
اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل
اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور
وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فانكفات السفينة بهم ففرقوا وجا يمشي الى الملك فقال له الملك قال كفانيهم
الله فقال الملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد
واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل

بيان فاتى

وتفعل صح

BULAC

بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد
وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام
ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس
امنا برب الغلام امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فخدوا وضرم
النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت
امراة مع صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت قال البغوي هذا حديث صحيح وقيل ان الصبي قال لها قفي ولا تقاعسي
وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه ان رجلا كان
قد بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه دونواس اليهودي
بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثنا عشر
الفا في الاخاديد وقيل تسعين الفا ثم غلب ارباط اليمن فخرج دونواس هاربا واقتحم
البحر بفرسه فغرق قال الكلبي ودونواس قتل عبد الله بن التامر وقال محمد بن
اسحق عن عبد الله ابن ابي بكر ان خربة احترقت في زمن عمر فوجدوا عبد الله بن التامر
واضعا يده على ضربة في راسه اذا اميطت يده عنها انبعث دما واذا تركت ارتدت
مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعبدوا عليه الذي وجدتم
عليه وعن ابن عباس قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف دونواس ابن
شرحبيل في الفترة قبل ان يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام
يقال له عبد الله ابن تامر وكان ابوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام
ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه
ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى ان قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي
الا ان تفعل ما اقول قال كيف اقتلك قال تجمع اهل مملكتك وانت على سريرك فترميني
بينهم على اسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا الله عبد الله ابن تامر
لا دين الا دينه فغضب الملك واغلق باب المدينة واخذ افواه السكك واخذ اخدودا
وملاه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين
عبد الله ابن تامر القاه في الاخدود واحرقه وكان في مملكته امراة فاسلمت
فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا
القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها
ارجعي عن دينك فابت فالقى الثاني في النار ثم قال لها ارجعي فابت واخذوا الصبي
منها ليلقوه في النار فهمت المراة بالرجوع فقال لها الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام
فانك على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار والقيت امه على اثره وعن علي
انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم
وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما ضحى ندم
وطلب المخرج فقالت المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل لكم
نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط

فيهم

فيهم السوط فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا منه فامرته بالاخاديد
واتقاد النيران وطرح من اتى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود
وعن مقاتل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام واخرى بفارس
حرقوا بالنار اما التي بالشام فهو ابطاموس الرومي واما التي بفارس فبخت نصر
واما التي بارض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله
تعالى فيهما قرانا وانزل في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرا الانجيل
آجر نفسه في عمل وجعل يقرا الانجيل فرات بنت المستاجر النور يضي من قراءة الانجيل
فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى راه فساله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره بالدين
والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامراة وهذا بعد
ما رفع عيسى الى السما فسمع ذلك يوسف بن ذو نواس فخد لهم في الارض واوقد فيها
فعرضهم على الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه
وان امراة جات ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها
فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم يزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت
في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفى فلما سمعت
ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم
واحد سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وقوله
تعالى النار بدل اشتمال من الاخدود وقوله تعالى ذات الوقود وصف لها
بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وايدان الناس واللام في الوقود
للجنس وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين
حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى
والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه فكانوا يقعدون
حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها اي عندها وعلى بمعنى عند وهم على ما
يفعلون بالمؤمنين بالله من تعذيبهم بالالقا في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم
شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او شهود بمعنى
حضور اذ روي ان الله تعالى انجى المؤمنين الملقين في النار بقبض ارواحهم قبل وقوعهم
فيها وخرجت النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور ان المقتولين هم
المؤمنون وروي ان المقتولين هم الجبابرة روي انهم لما القوا المؤمنين في النار
عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول
ذهب الربيع بن انس والواحدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اي في الاخرة
ولهم عذاب الحريق في الدنيا فان فسر اصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى
قتل اصحاب الاخدود دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وان فسر بالمقتولين
كان المعنى ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء والمقصود من هذه
الاية تثبيت قلوب المؤمنين واخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد وذكر لهم
النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من اذى الكفار ليتاسوا بهذا

العلام في صبره على الاذى والصلب وبذله نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر
وكذلك صبر الزاهد على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله وما نقموا
اي وما انكروا وكرهوا منهم من الحالات وكان ذنبا لهم ونقصا فيهم الا ان يؤمنوا اي يجددوا
الايمان فمستثنى من علة محذوفة بالله اي الذي له الكمال كله العزيز في ملكه الذي يغلب من اراد
ولا يغلبه شئ الحميد اي المحمود لصدور صفات الكمال فهو يثيب من اطاعه اعظم ثواب
وينتقم ممن عصاه باشد العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القائل
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول اي كثر فيهن من قراع الكتائب
اي من ضربها والكتائب بالمثناة جمع كتيبة وهي الجيش وقال ابن الرقيات
ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله ولما ذكر تعالى الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو
كونه عزيزا غالبا قادرا يحصى عقابه حمد نفسه على ما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه
فقرر ذلك بقوله تعالى له ملك اي خاصة ملك السموات والارض اي على جهة
العموم مطلقا فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تعزيرا لان ما نقموا منهم
هو الحق الذي لا ينتقم الا مبطل متهالك في الغي وان الله مع اهل الانتقام الله تعالى منهم
بعذاب لا يعدله عذاب والله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة على كل شئ
شهيد فلا يغيب عنه شئ وهذا وعيد لهم لان الله عالم بما فعلوا وهو مجازيهم عليه
ولما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها ما يتفرع من احكام الثواب والعقاب فقال
تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي حرقوهم بالنار يقال فتنت
الشئ اي احرقته والعرب تقول فتن فلان الدرهم اذا ادخله الكور ليتسبطر
جودته ونظيره يوم هم على النار يفتنون قال الرازي ويحتمل ان يكون المراد كل
من فعل ذلك بقال وهذا اولى لان اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك الظاهر
من غير دليل ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان يعبر سبحانه
بإداة التراخي فقال تعالى ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وعما فعلوا فلهم عذاب جهنم اي بكفرهم
ولهم عذاب الحريق اي عذاب احراقهم لهم في الاخرة وقيل في الدنيا بان الخرجت
النار فاحرقتهم كما تقدم ومفهوم الآية انهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك
يدل على ان الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد خلافا لما يروى عن ابن عباس
ولما ذكر سبحانه وعيد الكفرة ذكر ما اعد للمؤمنين بقوله تعالى ان الذين امنوا
اي صدقوا بالايمان بما يجب التصديق به وعملوا الصالحات اي ما يجب عليهم
تحقيقا لايمانهم لهم جنات اي بساتين تفضلا منه تعالى تجري من تحتها الانهار
واشجارها وجميع اماكنها الانهار يتلذذون ببرودها في تضاعيف تلك الاشجار الخضر واعلم
ان في الدنيا ويزول عنهم بتروية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والاخزاء ذلك
اي الامر العالي الدرجة العظيم الرتبة الفوز اي الظفر بجميع المطالب لا عين الليس
وهو رضا الله تعالى لا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة
الى الجنات التي تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن ذلك
على كونه راضيا ان بطش ربك اي شدة الحس اليك المدبر لامرك اي اخذه الجبابرة والطغاة

لشديد

شديد كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد قال المبرد
ان بطش ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف
ولما كان هذا البطش لا يتاتى الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله
تعالى مؤكدا لهم من الانكار انه هو اي وحده يبدئ يوجد ابتداء اي خلقا اراد الى اي
هيئة اراد ويعيد اي ذلك المخلوق عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار من احيا
الله تعالى الاموات اي فنزلت وقال ابن عباس يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده
عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ البطش ويعيده فيبطش بهم في الدنيا
والاخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه
يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وهو اي
وحده الغفور اي الستور لعباده المؤمنين وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى الودود مبالغة في الواد قال ابن عباس هو المتودد
لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد • واركب في الود عريانة
ذلول الجماع لناحا ودودا • اي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول
كالركوب والحلوب بمعنى المحلوب والمركوب وقيل يغفر ويود ان يغفر ذو العرش
اي خالقه ومالكه او ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير
ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه والسرير الدال على اختصاص الملك بالملك
وانفراده بالتدبير والسياسة والسياسة الذي به قوام الامور وقرا المجيد حمزة والكسائي
بجر الدال على انه نعت للعرش او لربك في قوله تعالى ان بطش ربك قال مكي وقيل لا يجوز
ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى انتهى وهذا ممنوع لان مجد العرش علوه
وعظمه كما قاله الزمخشري وقد وصف العرش بالكرم في اخر المؤمنين وقرا الباقون برفع
الدال على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الاية
ومن منع قال لانها في معنى خبر واحد اي جامع بين هذه الاوصاف الشريفة او كل منها
خبر لمبتدا مضمر والمجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه موصوف بذلك
وتقدم وصف عرشه بذلك فعال اي على سبيل التكرار والمبالغة لما يريد
قال الفعال اي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل
اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة
على ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريد
وعن ابي الشعثاء دخل ناس من الصحابة على ابي بكر الصديق يعودونه فقالوا الا نأتيك
بطبيب قال قد رآني قالوا فما قال لك قال اني فعال لما اريد وقال الزمخشري
فعال خبر مبتدا محذوف وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود تنبيه
دلت هذه الاية ان جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على ان الله
تعالى لا يجب عليه شيء لانها دالة على انه يفعل ما يريد هل اي قد اتاك اذ نادى اشرف المرسل
حديث اي خبر الجنود اي الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى فرعون وثمود
يجوز ان يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية واجيب بانه على حذف

مضاف اي جنود فرعون او ان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكرهم لانهم
اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى
انك قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف اهلكوهم بكفرهم فقومك ان لم يؤمنوا
بك فعل بهم كما فعل بهولاء كما صبر الانبيا من قبلك على تكذيب اممهم بل الذين كفروا
اي من هولاء الذين لا يوصون بك في تكذيب لك لا يرعون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم
اعجب من حال هولاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا اشارة هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم
وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا
من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين
في الهلاك فدل بهما على امثالهما وقوله تعالى والله اي والحال ان الملك الذي له الكمال
كله من ورائهم محيط فيه وجوه احدها ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته
وحصره كالمحاط اذا احيط به من ورائه ينسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله
تعالى فهم كذا في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم
اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتون اذا اردت الانتقام منهم ثانيها
ان يكون المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا انهم قد احيط بهم
فهو عبارة عن مشارفة الهلاك فهولاء في تكذيبك قد شارفوا الهلاك ثالثها انه تعالى
محيط باعمالهم اي عالم بها فيجازيهم عليها بل هو اي هذا القران الذي كذبوا وهولاء ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قران اي جامع لكل منفعة جليلة بالغ الذروة العليا
في كل شرف مجيد اي شريف وحيد في اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة
في لوح هو في الهوا فوق السما السابعة وعن ابن عباس انه قال ان في صدر اللوح لا اله
الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضا طوله ما بين السما والارض
وعرضه ما بين المشرق الى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا
وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش واصله في حجر ملك وقرا محفوظ بالرفع
نافع على انه نعت لقران والباقون بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح
المحفوظ عن يمين العرش وقال البغوي وهو ام الكتاب ومنه نسخ الكتب محفوظ
من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة
وكل يوم عرفة عشر حسنات حديث موضوع سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة
اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وسبعون حرفا بسم الله مالك الخلق اجمعين
الرحمن الذي عم جوده المومنين والكافرين الرحيم الذي خص رحمته بعباده المومنين
وقوله تعالى والسما والطارق قسم اقسم تعالى به وقد اكثر الله تعالى في كتابه
العزيز من ذكر السما والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها ومسيرها ومطالعها ومغاربها
عجيبة ولما كان الطارق يطلق على غير المنجم ابهمه اولا ثم عظم القسم به بقوله تعالى
وما ادراك اي اعلمك يا اشرف خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت في الفحص
عنه ما الطارق وهذا مبتدا وخبر في محل المفعول الثاني لادرى وما بعد ما الاولى

سورة الطارق

خبرها

ذكرها وفيه تعظيم لشان الطارق واصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا وقرا ابو
عمرو وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة وقرا ورش بين
اللفظين والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى النجم الثاقب اي المضيء
لثقبه الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه والمراد جنس
النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها وقال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد
هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدي وقال علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه
من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال
له كوكب الصبح قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمي النجم
طارقا لانه يطرق الجني اي يقتله روي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن
فبينما هو جالس ياكل اذا انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه اية من ايات الله فعجب
ابو طالب فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوجع وجواب القسم ان كل نفس
اي من الانفس مطلقا لا سيما نفوس الناس لما عليها اي بخصوصها حافظ وقرا ابن عامر
وعاصم بتشديد الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيف ما تكون مزيدة وان مخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي انه واللام فارقة وعلى تشديدها فان نافية ولما بمعنى
الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله
على كل شيء مقيتا او ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروى الزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين اختطفته
الشياطين ولما ذكر تعالى ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في حاله
فقال تعالى فلينظر الانسان اي الانس بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار في اول
امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة
والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته وقوله تعالى مم خلق استفهام اي من اي
شيء وجوابه خلق اي الانسان على ايسر وجه واسهله بعد خلق ابيه ادم عليه السلام
من تراب وامه حوا رضي الله تعالى عنها من ضلع من ماء دافق اي مدفوق فاعل بمعنى
مفعول كقوله تعالى عيشة راضية او دافق على النسب اي ذي دفق او اندفاق وقال ابن
عطية يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا اي يدفعه فمنه دافق ومنه
مدفوق والدفق الصب اي مصبوب في الرحم ولم يقل تعالى من ماءين فانه من ماء الرجل
وماء المراة لان الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالماء الواحد واتحادهما حين
حين ابتدي في خلقه يخرج من بين الصلب اي للرجل وهو عظام الظهر والترائب
اي للمراة جمع اتريبة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وعن عكرمة الترائب
ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل اضلاع الرجل التي اسفل الصلب
وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع
من يسرة الصدر وقال ابن عادل جاء في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج

من صلبه العظم والعصب ومن ما المراة يخرج من ترايبها اللحم والدم وحكى القرطبي ان ماء
الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين الصلب
والترايب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع في الانثيين قال المهدوي ومن جعل
المعنى يخرج من بين صلب الرجل وترايب المراة فالضمير للانسان والضمير في قوله
تعالى انه للخالق المدلول عليه تعالى بخلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه
وتعالى وفي الضمير في قوله تعالى على رجعه وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه
بعد موته لقادر وهذا قول ابن عباس والثاني انه ضمير الما اي يرجع المني في الاحليل
او الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى
الشباب ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الما حتى لا يخرج لقادر
وقال الماوردي ويحتمل انه قادر على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار
يسالون فيها الرجعة وقوله تعالى يوم منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه
للما وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترايب او الاحليل وحاله الاولى نصب
الظرف بمضمر اي واذكر يوم تبلى اي تختبر وتكشف السرائر اي ما اسر في القلوب من العقايد
والنيات وغيرهما وما اخفي من الاعمال وذلك يوم القيمة وبلاوها تعرفها وتصفحها
والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في والسما والطارق وقال عطا ابن رباح السرائر فرايض الاعمال
كالصوم والصلاة والوضو والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين
العبد ولو شا العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل
فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدي الله كل سر فيكون زينا
في وجوه وشينا في وجوه يعني فمن اداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه
اغبر فما له اي لهذا الانسان المنكر للبعث الذي اخرجت سرايره واغرق في التعميم والنفي
فقال تعالى من قوة اي من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر اي ينصره من عذاب الله
تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما اخر فقال تعالى والسما اي التي تقدم الاقسام بها
ووصفها بما يوكد العلم بالبعث فقال تعالى ذات الرجع اي التي ترجع بالدوران
الى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار
والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتا وما فيه من برد ومطر والصيف وما فيه
من حر وصفا وسكون وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل ذات الملايكة لرجوعهم
فيها باعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين او لما قيل من ان السحاب
تحمل الما من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسما السحاب
والارض اي مسكنكم الذي انتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت ذات الصدع
اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم
شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق لانه تصدع الارض فتصدع
به فكانه قال تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق التي تصدعها
المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعهم عنها

للتشول

للنشور قال الرازي واعلم ان تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله تعالى والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من اعظم النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مدبرا على حوائجنا من الارض لذلك يتم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وفي هذا الضمير قولان احدهما ما قاله الفقال وهو ان المعنى انما اخبركم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فاصل وحق والثاني انه عائد على القرآن اي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور اولى انتهى واكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق عن الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم وتعالى هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع او معناه جد لقوله تعالى وما هو اي بالمزن والاطراف بالهزل اي باللعب والباطل بل هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب بترفع بقارىء وسامعه ان يلم بهزل او يتعكسه بمزاج وان يلقى ذهنه الى اخبار السموات بخاطبه قيامه وقعوده وركوعه وسجوده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتناوله فيه الخشية فاذني امر ان يكون جاد اغر هازل فقد تعرض لمقت الله تعالى عند المستهزئين ذلك في قوله تعالى ويضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والعوا فيه فيحتمل عود الضمير للقرآن وعلى جعله للاول فيكون الشخص خائفا وجلا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر انهم اي الكفار اعداء الله تعالى يكيدون كيدا اي يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واختلف في ذلك الكيد فقيل القاء الشبهات لكفرهم ان يحيى العظام وهي رميم واجعل الالهة الها واحدا وما اشبه ذلك وقيل قصدهم لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية واما قوله تعالى وأكيد اي ايا بتمام اقتداري كيدا فاختلف فيه ايضا فقيل معناه جازيهم جزاء كيدهم وقتلهم وما اوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم بنصره واعلاء درجة قصة لاحد المنقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم ولما كان هذا معقلا بانهم عدم لا اعتبار بهم قال تعالى منبها عنه تهديدا لهم فمهل الكافرين اي فمهل يا اشرف الخلق هو لا تعجل بالانتقام منهم والا بالدعاء عليهم بالهلاك فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته لا تليق به نقض وقوله تعالى أمهلهم تاكيد جيء به مخالفة اللفظ اي انظرهم رويدا اي قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل متصغر رودا مأمورا بالرفق في الدعاء للترحيم وقد اخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع سورة الاعلى مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال الملوي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها

قتلهم

سورة الاعلى مكية

يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع عشرة اية واثنان وسبعون
كلمة ومايتان واربعة وثمانون حرفا بسم الله عالم الغيب فلا يخفى عليه خافية الرحمن
الذي عم جوده كل انس وجن وملك ودابة الرحيم الذي خص اولياه بمعرفتهم احسانه
واختلف في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فالاكثر ان المعنى نزه ربك المحسن
اليك بعد ايجادك على صفة الكمال عما لا يليق به واسم زايد كقول لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وقيل عظم ربك الاعلى والاسم زايد كما مر قصد به تعظيم المسمى
وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان يسمى به احد سواه وقيل نزه تسميته
ربك وذكرك اياه ان تذكره وانت خاشع معظم لذكره وقال الرازي معنى سبح اسم ربك
الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله واسمايه واحكامه
اما في ذاته فان تعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض واما في صفاته فان تعتقد
انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان تعتقد انه سبحانه
مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور واما في اسمايه فان لا تذكره سبحانه
الا بالاسما التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سوا ورد الاذن فيها او لم يرد واما
في احكامه سبحانه فهو ان تعلم ان ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال البغوي
ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا الا ان احدا لا يقول سبحان الله وسبحان
اسم ربنا انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك
انتهى وكون الاسم عين المسمى او غيره فذكرتها في مقدمتي على البسملة والحمدلة
وعن ابن عباس سبح اي صل بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين على ان المراد
قل سبحان ربي الاعلى وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سبح اسم ربك الاعلى
فقال سبحان ربي الاعلى وعن عقبة بن عامر انه لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال اجعلوها في سجودكم وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وروي ان اول
من قال سبحان ربي الاعلى ميكايل ولما امر تعالى بالتسبيح فكان سايلا قال الاشتغال
بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب تعالى فقال سبحانه
الذي خلق اي اوجد من العدم فله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شي فسوى
اي مخلوقه وقال الرازي يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل
ان يريد كل شي خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها
اعتدال قامته وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ثانيها
كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه
ان ياتي بجميع الاعمال بواسطة الالات ثالثها انه تعالى هياه للتكليف والقيام باداء
العبادات وقال بعضهم خلق في اصلاب الاباء وسوى في ارحام الامهات ومن حمله على جميع
الحيوانات فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من الات واعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات
كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات فخلق ما اراد
على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان جبرا عن النقص والاضطراب وقرا والذي

قدر

قدر الكسائي بتخفيف الدال والباقون بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد اوقع تقديره
في اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واحوالها وغير ذلك
من احوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك فهدى
قال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها
وقال مقاتل والكلبي في قوله تعالى فهدى عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال تعالى فرطه
اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له
وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا
وحوشا وقال السدي قدرة مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك
هدايات الانسان الى مصالحه من اغذيته وارويته وامور دنياه ودينه والهامات
البهايم والطيور وهوام الارض الى معاشها ومصالحها يقال ان الافعى اذا اتى عليها
الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد
فيرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك
المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها
فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على توحيده
وكونه عالما قادرا والاستدلال بالخلق وبالهداية معتمد الانبيا قال ابراهيم عليه
السلام الذي خلقني فهو يهدين وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذي اعطى كل
شي خلقه ثم هدى ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى
والذي اخرج المرعى اي اثبت ما يرعاه الدواب وقال ابن عباس المرعى الكلا الاخضر
فجعله اي بعد اوتار من زمن اخراجه بعد خضرته غثا اي جافا هشيما احوى
اي اسود يابسا قال الزمخشري ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى
اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثا بعد موته وقال ابن زيد هذا مثل ضربه
الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
بشارة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم باعطائه بينة وهو ان يقرا عليه
جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه فهو نفي
اخبر الله تعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهي والالف مزيدة للفاصلة
كقوله تعالى السبيلا اي فلا تغفل قراته وتكريره لئلا تنساه ومنعه مكي لانه لا ينهى
عما ليس باختياره واجيب بان هذا غير لازم والمعنى النهي عن تعاطي اسباب النسيان
وهو شايع قال الرازي وهذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا
فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا
الثاني ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة فهذا اخبار عن امر عجيب مخالف العادة
سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وفي المشية
في قوله تعالى الا ما شا الله اي الملك الذي له الامر كله وجوه احدها التبرك بهذه الكلمة
كقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فكانه تعالى يقول اني عالم
بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر بوقوع شي
في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا اشرف الخلق اولى بها ثانيها

عرف

الرازيانج

قال الفرا انه تعالى ما شا ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيا الا ان المقصود من ذكر هذا
الاستثنا بيان انه تعالى لو اراد ان يصيره ناسيا لذلك لقدر عليه كقوله تعالى ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شا ذلك ونظيره قوله
تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة فعايدة
هذا الاستثنا ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل
الله تعالى واحسانه لا من قوته ثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثنا جوز
صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم
كان يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر هذا
الاستثنا بقاه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال رابعها ان ينساه بنسخ
تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراة مع قراة جبريل عليه السلام
خوف النسيان فكانه قيل لا تعجل بها انك ما تنسى ولا تتعب نفسك بها بالجهر
بها انه تعالى يعلم الجهر اي من القول والفعل وما يخفى اي منها وعن ابن عباس ما في قلبك
في نفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاها وقيل الجهر ما حفظته
من القران في صدرك وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله تعالى ونيسرك لليسرى
عطف على سنقرئك فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض قال
الضحاك واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة وقال ابن مسعود
اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المودي الى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهي
اعمال الخير والامر في قوله تعالى فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم اي فذكر بالقران ان نفعت
الذكرى اي الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القايل

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة
الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا
في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد
واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير
وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل بعده
شي محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
والبرد قاله الفرا والنحاس وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى
ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله
سبحانه سيذكر اي بوعد لا خلف فيه من يخشى اي يخاف الله تعالى فهي كاية
فذكر بالقران من يخاف وعيد وان كان صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم الذكرى
او لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت في ابن ام مكتوم وقيل في عثمان بن عفان قال
الماوردي وقد تذكر من يرجوه الا ان تذكر الخاشع ابلغ فلذلك علقها بالخشية
دون الرجا وقال القشيري المعنى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من خشي
ولكن يحصل لك ثواب الدعا فان قيل التذكير انما يكون بشي قد علم وهولا لم يزالوا كفارا
معاندين اجيب بان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد

والعناد

ساه
والتحفظ

اي الذي مهما شا كان صح

والعناد تنبيه السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله
تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشي فانه
يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر ولما بين تعالى من ينتفع بالذكر
بين من لا ينتفع بها بقوله تعالى ويتجنبها اي الذكرى اي يتركها جانبا لا يلتفت اليها
الاشقى الذي يصلى النار وهو الكافر فان قيل الاشقى يستدعي وجود شقي فكيف
قال هذا القسم اجيب بان لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي اذ قد يرد هذا
اللفظ من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
وقوله تعالى وهو اهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاث العارف والمتوقف
والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقا والاشقى هو المعاند
وقال الزمخشري الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق والذي هو اشقى الكفرة
لتوغله في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة
ابن ربيعة واختلف في قوله تعالى الكبرى اي العظمى على وجوه احدها قال
الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في الآخرة نيرانا ودكات متفاضلة
كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة فكذلك
يصل اعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي تصيب الكفار
كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان قيل قوله تعالى
ثم لا يموت فيها ولا يحيى يقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول
اجيب عن ذلك بوجهين احدهما لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كما قال
تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جا على مذهب العرب
يقولون للمبتلى بالبلا الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيهما ان نفس احدهم في النار
تصير في جملته لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيى تنبيه قوله تعالى ثم
للتراخي بين الرتب في الشدة ولما ذكر تعالى وعيد من اعرض عن النظر في دلايل الله تعالى
اتبعه بالوعيد لضده فقال تعالى قد افلح اي فاز بكل مراد من تزكى اي تطهر من الكفر
بالايمان لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من تزكى
اي شهد ان لا اله الا الله واخلع الانداد وشهد اني رسول الله وقيل تطهر للصلاة
او ادى الزكاة وذكر اسم ربه اي بقلبه ولسانه مكبرا فصلى اي الصلوات الخمس
قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة
لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة تزكى عمل صالحا وعن عطا نزلت في صدقة
الفطر وقال ابن سيرين قد افلح من تزكى قال خرج فصلى بعد ما ادى اي ادى زكاة
الفطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل فان هذه
السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر واجاب البغوي بانه يجوز ان يكون
النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر
الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل المراد
زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكى اعماله من الريا والتقصير وروي عن عطا انه
قال ان هذه الاية نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق له نخلة

BULAC

مايلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بسر ورطب في دار
الانصاري فياكل هو وعياله من ذلك فخاصمه المنافق فذكر الانصاري ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فارسل خلف المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال له صلى الله عليه
وسلم ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع في منزله فياكل هو وعياله منه
فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابتع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان
عثمان قد اعطاه حائطا من نخل بنخلته فنزل فيه قد افلح من تزكى وفي المنافق
ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر وقرا بل تؤثرون الحياة الدنيا
ابو عمرو بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون
الاشقون وعلى الثانية بل يؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا اي المدينة
بالغذا الحاضر مع انها شر وفانية اشتغالا بها لاجل حضورها كالحيوانات التي
هي مقيدة بالمحسوسات على الاستكثار من الثواب والاخرة اي والحال ان
الدار التي هي غاية القصد المبراة عن العيب المنزهة عن الخروج عن الحكمة خير
اي من الدنيا وابقى لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا
ليست كذلك فالاخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها مخلوطة بالالام والاخرة
ليست كذلك ولان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وعن عمر
ما الدنيا في الاخرة الا كنفخة ارنب وعن ابن مسعود انه قرا هذه الاية فقال
اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا اخضرت وعجل لنا
طعامها وشرابها ونساوها ولذتها وبهجتها وان الاخرة بقيت لنا وزويت عنا
فاجتنبنا العاجل وتركنا الاجل والاشارة في قوله تعالى ان هذا لفي الصحف
الاولى الى قوله تعالى قد افلح من تزكى الى قوله تعالى ابقى اي هذا الكلام وارد في تلك
الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك
ان هذا القران لفي الصحف الاولى ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف
وانما معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي المنزلة
قبل القران بقوله تعالى صحف ابراهيم وقدمه لان صحفه اقرب الى الوعظ كما نطق به
حديث ابي ذيب وموسى وختم به لان الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها
الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف اوامر التورية التي اعظمها البشارة لمحمد صلى الله
عليه وسلم وروي عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله
من كتاب فقال مائة واربع كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون
صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل في صحف
ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وعن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين الاولتين يوتر بعدهما بسبح اسم
ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفي الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس وقرا الاعلى فسوى فهدى المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى
من يخشى الاشقى ولا يحيى من تزكى فصلى الدنيا وابقى الاولى وموسى حمزة والكسائي
بالامالة محضة وقرا ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل اما الاعلى

والاشقى

والاشقى الذي اذا وقف عليهما فالامالة وان وصلا فلا امالة والباقون بالفتح وقرا الذكرى الكبرى ابو عمرو
والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات
بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع سورة
الغاشية مكية بالاجماع وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة
واحدى وثمانون حرفا بسم الله علام الغيوب الرحمن كاشف الكروب الرحيم الذي خص اولياءه
بالعفو عن الذنوب وقوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فيه وجهان احدهما
ان هل بمعنى قد اي قد جاءك يا اشرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر قاله قطرب والثاني انه استفهام على حاله ويسميه اهل البيان التشويق
والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو بمعنى قول الكلبي والغاشية
الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها وهي القيمة من قوله تعالى يوم
يغشاهم العذاب وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش
وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار
يغشونها ويقتحمون فيها وجوه اي كثيرة جدا كائنة يومئذ اي يوم اذ غشيت خاشعة
اي ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد بالوجوه في الموضعين اصحابها
عاملة ناصبة اي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة تكبرت في الدنيا
عن طاعة الله تعالى فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال
والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال ابن مسعود
تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقال الحسن لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فاعملها
وانصبها في جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى
على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له
وعن علي انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون
صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما
يمرق السهم من الرمية الحديث وقرا يصلى ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله
والباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى يدخل
نارا حامية اي شديدة الحر قد اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمي النهار
بالكسر اي اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمى الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه
وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا
حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها فاما ما شعر فوق الجمر
او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا ولما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم فقال
تعالى تسقى من عين انية اي شديدة الحرارة كقوله تعالى وبين حميم ان اي متناه
في الحرارة روي انه لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لاذابها ولما ذكر شرابهم اتبعه
بذكر طعامهم فقال ليس لهم طعام الا من ضريع قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ
بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموها الضريع وهو اخبث طعام

BULAC

واسعة قال الكلبي لا تقربه دابة اذا يبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان الضريع الشوك
اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس
يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك اشد مرا من الصبر وانتن من الجيفة واشد
حرا من النار وقال ابو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى
يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون
فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء
فيستسقون فيعطشهم الغسلين ثم يسقون من تحت ابنة لا هية ولا مرئية فلما
ادنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم ورؤسها فاذا وصل الى بطونهم قطعها
فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال بعض العلماء لما نزلت هذه
الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه
صادام رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس لا ياكله شيء قال ذو الرمة يصف حمارا
رعى الشبرق الربان حتى اذا ٠ دوى وصار ضريعا بان عنه النحائص
والنحوص من الاتن التي لا لبن لها ولما قال ذكره انزل الله تكذيبا لهم لا يسمن
ولا يغني اي يكون كفاية مبتدأ خبره ضريع فلا يخلط الصحة ولا يمنع الهزال فتنفي
التسمن والشبع عنه وعلى تقدير ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع
ليس من جنس ضريع علم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع فان قيل كيف
قيل لهم طعام الا من ضريع وفي الجملة والاطعام الا من غسلين اجيب بان العذاب
انواع والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة
الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم ولما ذكر تعالى حال الكفار اتبعه بشرح
احوال المؤمنين فقال تعالى وجوه اي كثيرة جدا كائنة يومئذ اي يوم يغشى الناس
ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى ناعمة اي ذات بهجة وحسن لقوله تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم ومتنعمة قاله مقاتل في نعمة وكرامة الصفة
الثانية قوله تعالى لسعيها اي في الدنيا بالاعمال الصالحة راضية اي في الاخرة
بثواب سعيها حين رات ما ادام الله من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى في جنة
ثم وصف الجنة بصفات الاولى قوله تعالى عالية اي عالية المحل والقدر
الصفة الثانية قوله تعالى لا تسمع فيها لاغية بالتاء الفوقية نافع مضمومة
لاغية بالرفع وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية مضمومة لاغية بالرفع
لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز
ان تكون التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان يكون للتانيث اي لا تسمع الوجوه
واللغو قال ابن عباس الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة الباطل
والاثم وقال الحسن هو الشتم وقال المؤرج الحلف الكاذب والاولى ما قيل لا تسمع
فيها كلمة ذات لغو وانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم
من النعيم الدائم وهذا احسن الاقوال قاله القفال وقال الكلبي لا يسمع
في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى فيها اي الجنة عين
جارية قال الزمخشري يريد عيونا من عناية الكثرة لقوله تعالى فجرنا عيونا وقال القفال

ليس ح

فيها

فيها عين شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود ويجري لهم كلما ارادوا الصفة الرابعة
قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوا قال ابن عباس الواحها من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السما ما لم يجي اهلها فاذا ارادوا ان
يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع الى موضعها الصفة الخامسة قوله تعالى واكواب
موضوعة جمع كوب وهي الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الابريق
وفي قوله تعالى موضوعة وجوه احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل
شيا فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد ثانيها موضوعة على حافات العين
الجارية كلما اراد الشرب وجدها مملوة من الشراب ثالثها موضوعة بين ايديهم
لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب او فضة او من جواهر وتلذذهم بالشرب
فيها رابعها ان يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط بين الكبر والصغر كقوله
قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق وهي الوسايد واحدها نمرقة
بضم النون والرا وكسرها لغتان اشهرهما الاولى وهي وسادة صغيرة قالت نحن بنات
طارق نمشي على النمارق مصفوفة اي واحدة الى جنب الاخرى قال الشاعر
كهولا وشبانا باحسان وجوههم لهم سرر مصفوفة ونمارق الصفة السابعة قوله تعالى
وزرابي وهو جمع زربية بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي بسط عراض
فاخرة وقال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل اي وبر رقيق واختلف في قوله تعالى
مبثوثة فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفرا كثيرة وقال
القتبي متفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى
وبث فيها من كل دابة ولما ذكر تعالى امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوه
وانكروه فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى افلا ينظرون اي المنكرون لقدرته
سبحانه على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها اي نظر اعتبار الى الابل
ونبه على ان عجيب خلقها مما ينبغي ان تتوفر الدواعي على الاستفهام والسوال عنه باداة
الاستفهام فقال تعالى كيف خلقت اي خلقا عجيبا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره
حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قريب
ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تفاز ضعيفا
ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكما انه حدث
عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها فتفكر ثم قال يوشك ان يكون طوال
الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها
ليصبر على عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر
ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المثبتة في الحيوانات التي هي اشرف
المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع لانها ترعى كل شي
نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه ساير البهايم وعن سعيد بن جبير قال
لقيت شريحا القاضي فقلت له اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها
قال انظر الى الابل كيف خلقت ينبه الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل
ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب

BULAC

قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الائمة وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انها الابل
والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته
والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل فلان الابل اجمع للمنافع من سائر الحيوانات
لان ضروب الحيوان اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع
فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقيل للحسن الفيل اعظم في الاعجوبة فقال
العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره **وإلى السماء**
اي التي هي من جملة مخلوقاتنا **كيف رفعت** رفعا بعيدا بلا امساك وبغير عمد على ما لها
من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها من الكواكب والغرايب والعجايب **وإلى الجبال**
اي الشامخة وهي اشد الارض **كيف نصبت** نصبا ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول
كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم **وإلى الأرض** اي على سعتها **كيف**
سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على
ان الارض ليست بكرة قال الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة يكون
كل قطعة منها كالسطح فان قيل كيف حسن ذكر الابل مع السما والجبال والارض ولا مناسبة
اجيب بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن
فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين السما والارض والجبال من وجهين احدهما ان القران
نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في اوديتهم وبواديهم مستوحشين
ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه
وليس هناك من يشغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابة الفكرة فاذا تفكر في تلك
الحال فاول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق
لم ير غير السما وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه
تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا يحمل داعية الكبر والحسد على ترك
النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها
ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة فهذه مع دلالتها
على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر
بالنظر فيها اذ لا مانع من اكمال النظر فيها وقال عطا عن ابن عباس اي كان الله تعالى
يقول هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او ينصب مثل الجبال
او يسطح مثل الارض غيري ولما بين تعالى الدلايل على صحة التوحيد والمعاد قال
سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم **فذكر** اي بنعم الله تعالى ودلايل توحيده وعظمهم
بذلك وخوفهم يا اشرف الخلق **إنما أنت مذكر** فلا عليك ان لا ينظروا ولم يذكروا
او ما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ **لست عليهم بمصيطر**
اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وهذا
قبل الامر بالجهاد وقرا هشام بالسين وقرا حمزة بخلاف عن خلف باشمام الصاد
كالزاي والباقون بالصاد الخالصة وقوله تعالى **إلا من تولى** استثنا منقطع اي لكن من تولى
عن الايمان **وكفر** اي بالقران **فيعذبه الله** اي الذي له الكمال كله بسبب تكبره على الحق
ومخالفته لامرك **العذاب الأكبر** اي عذاب الاخرة لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع

والقحط

والقحط والقتل والاسر وقيل استثنائي متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط فكانه اوعدهم
بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الامن الفجائع
لمن دام من ايمانه وتوفى فاستحق العذاب الا من ارتد ومات عليها اعترض بان التوبة اي خاصة
بما لنا من العظمة اياهم اي رجوعهم بعد البعث ثم ان علينا حسابهم اي مجازاتهم فعال
تذكير الضمير اي خاصة بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العجز والجور وكل نقص
لا عما عرفنا حسابهم اي جزاءهم فلا يتركه ابدا وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فانه كان يشق عليه تكذيبهم فان قيل ما معنى تقديم الظرف في اجيب بان معناه الشدة
في الوعيد وان اياهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا عليه
وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير وقول البيضاوي وتبعه الزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع
سورة الفجر مكية وقيل مدنية وقيل من قوله ولتسمعن وثلاثون اية وقيل ثلاثون اية وتسع وثلاثون
كلمة وخمسمائة وسبعون حرفا بسم الله الملك المعبود الرحمن الذي عم خلقه بالكرم والجود
الرحيم الذي سدد اهل عنايته بالفضل فهو الحليم الودود وقوله تعالى والفجر
اي فجر كل يوم فسم كما اقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا اسفر وقال قتادة هو فجر اول
يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال الضحاك فجر يوم النحر وقيل ذلك على مضاف محذوف
اي صلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته
وليال عشر فقال مجاهد وقتادة هو عشر ذي الحجة وقال الضحاك هو العشر الاول
من رمضان وعن ابن عباس انه العشر الاخير من رمضان وعن عمران بن ربابه هو العشر
الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء وصومه فضل عظيم فان قيل لم نكر الليالي
من بين ما اقسم به اجيب بان ذلك للتعظيم والشفع اي الزوج والوتر اي الفرد وقيل
الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا ازواجا والوتر هو الله تعالى قاله ابو سعيد
الخدري وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والشقاوة والسعادة والليل والنهار
والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قال
الله تعالى قل هو الله احد وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروي
ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر
صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر درجات
النار لانها سبع وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف
الخلق من العز والذل والغنى والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر
والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف
وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وغنى بلا فقر والكل اي بكسر الواو والباقون بفتحها
وهما لغتان الفتح لغة قريش وحمير والاصمعي والكسر لغة تميم وعن عكرمة الوتر يوم عرفة
والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذي رجع عن النبي صلى الله عليه وسلم فصوم
عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وقال ابن الزبير الشفع الحاج
عشرون والثاني عشرون من ايام منى والوتر الثالث عشر وقال الضحاك الشفع عشر

ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا فشفع
بزوجته حوا حكاه القشيري عن ابن عباس وقرا حمزة والكسائي بكسر الواو والباقون بفتحها
وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم وقوله تعالى **والليل اذا يسر**
قسم خامس بعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم به على العموم ومعنى يسر سار وذهب
كما قال تعالى والليل اذا دبر وقال قتادة اذا جاء واقبل وقيل معنى يسر اي يسرى فيه كما يقال
ليل نائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقرا نافع وابو عمرو باثبات
الياء وصلا ووقفا واثبتها ابن كثير في الحالين وحذفها الباقون في الحالين وحذفها
الباقون في الحالين لسقوطها من خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل
مضارع مرفوع ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلان الوقف محل استراحة
وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال الليل لا يسري ولكن يسرى فيه فهو
مصروف فلما صرف تجنبه حظه من الاعراب كقوله وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية
لانه صرفه عن باغية وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف تقديره
لتعذبن يا كفار مكة بدليل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب وقيل هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وما بينهما
اعتراض وقوله تعالى **هل في ذلك** اي القسم او المقسم به **قسم** اي حلف او محلوف **لذي حجر**
استفهام معناه التقرير كقولك لم انعم عليك اذا كنت قد انعمت او المراد منه التاكيد
لما اقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة بالغة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان
ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشياء منه عجائب ودلائل على التوحيد
والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه والحجر العقل لانها تحجر عن التهافت
فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط
وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله تعالى **الم تر**
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم اي الم تعلم
يا اشرف رسلنا **كيف فعل ربك** اي المحسن اليك بانواع النعم **بعاد ارم** وهو ابن عوص ابن ارم
ابن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم
هاشم ولبني تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان
بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها تنبيه ارم لا ينصرف
قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقوله تعالى **ذات** اي صاحبة **العماد**
ينظر فيه ان كان صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد وطول
الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البناء الرفيع وان كان صفة
للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان بعاد اثنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة
وكان عمره تسعمائة سنة وبنى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها

سار

سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن ثعلبة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليه الجمل ما قدر على
رمانه وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه قصته الى ان قال له فقال لهي ارم
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن ثعلبة فقال هذا والله
ذلك الرجل وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم فان كانت
القبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة قال الزمخشري يحكى ان طول الرجل منهم
اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيقلعها على الحي فيهلكهم وروي عن مالك
ان كان ليمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وان كانت البلدة لتملأ اليوم مثل مدينتهم
سداد في جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالى
بين انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه الوجوه فلان يكون ذلك
في مثل ذلك ايها الكفار اذا قمتم على كفركم مع ضعفكم اولى وقد ذكر الله تعالى ثلاث
قصص بهذه القصة الاولى واما الثانية فهي في قوله تعالى وثمود الذين جابوا اي قطعوا
الصخر جمع صخرة وهي الحجر واتخذها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون الجبال بيوتا بالواد اي
واد القرى قيل اول من نحت الجبال الصخر والرخام ثمود وبنوا الف وسبعمائة مدينة
كلها من الحجارة وقيل سبعة الاف مدينة كلها من الحجارة تنبت ابنت الساد من وابنت السهل
وصلوا بينها وقناطر كسير بخلاف عن قبيل واما القصة الثالثة فهي في قوله تعالى وفرعون
ابي وفعل يفرعون ذي الاوتاد واختلف في تسميته بذلك على وجهين احدهما انه سمي
بذلك لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا والثاني انه كان يمتد
اربعة اوتاد ويشد اليدي ورجلي من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس ان فرعون انما
سمي ذا الاوتاد لانه كانت امرأة وهي امرأة خازنة خربيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة
سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك
من اله غيري فقالت الهي والهك وإله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت
فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك
والهها والله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت
صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وافري الى الهك قالت لا افعل فمدها
بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها الكفري بالهه والا عذبتك
بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها
ابنتان فجاء ابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها الكفري بالهه والا ذبحت الصغرى
على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل
مالي بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة فانطق الله لسان ابنتها
فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا طفلا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى
لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تقتصين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم يلبث
الا ما شاء الله ان سلمها الله تعالى الى الجنة قال وبعث في طلب زوجها جرسل فلم يقدروا عليه

فقتل لفرعون انه فتدوي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي
وثيابه صوف من الوحوش خلفه يصلون فلما رأى ذلك انصرف فوقف الحر سل اللهم انك تعلم اني كنت
ايمانا بآية ستنفذ لم يظهر على احد فايما هذين الرجلين اظهر علي فمحمد عفو بيدك في الدنيا واجعل
مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وآمن واما الآخر
فاخبر فرعون بالقصة عاد وسمن الملا فقال له فرعون وهل معك عقل قال نعم فلان
ادعى به فقال احق ما يقول هذا قال لا ما رأيت كما قال شيئا فاعطاه فرعون فاخبل
واما الآخر فقتله ثم صلبه قالوا فكان فرعون قد تزوج امرأة من اجل بني اسرائيل يقال لها اسية
بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف بي يعني ان اصبر على ما يأتي
فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تقاد امرتها اذ دخل عليها فرعون فجلس
قريبا منها فقالت يا فرعون انت اشر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل
بك الجنون الذي كان قالت ما بي من جنون ولكن الهي والهها والهك والهم السموات والارض
واحد لا شريك له فرعون ما علمك وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما فقال لها الا تزيدان
الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك اني اشهدان ربي وربك
ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها بوها يا اسية الشئت من خير نسأ
العمالق ورب جبل له العمالق قالت اعوذ بالله من ذلك مرارا ما يقول حقا فقولا له ان يتوجى
تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجاها عني
ومدها بين اربعة اوتاد يعذبها فغضب الله تعالى لها فاوحى الى الجنة ليهون عليها ما تصنع
به فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض
الله تعالى روحها واسكنها الجنة وروي عن ابن هريرة ان فرعون وتد لامرأته اربعة اوتاد
وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت راسها الى السماء وقالت رب
ابن لي عندك بيتا في الجنة فتفرج الله تعالى عنها فرأت بيتها في الجنة فماتت وقوله تعالى الذين طغوا
اي تجبروا في البلاد في محل نصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا
على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود وفرعون وقيل
يرجع الى فرعون خاصة فاكثروا اي عتوا طغيانهم فيها الفساد اي بالقتل والكفر والمعاصي
قال النقاش والجملة فالفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر
فالفساد يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله تعالى وحكمه في عباده بالظلم فهو
مفسد فصب اي انزل ان الاصوفي محاربة القوة عليهم اي في الدنيا سوط اي السجن الذي يكل
جميل سوط اي نوع عذاب وقال قتادة يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقال اهل
المعاني هذا على الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب وقال الفراء كلمة تقولها
العرب لكل نوع من انواع العذاب اصله ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به
فجرى لكل عذاب اذا كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوط الذي ضربهم به العذاب
وعن الحسن انه كان اذا اتى على هذه الاية قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط
منها وقال قتادة كل شئ عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب وشبه نصب السوط الذي
يتوالى على المضروب فيه بالمتتابع فيه لكل انه بالمحسن اليه بالرحمة لبالمرصاد اي يرصد اعمال العباد
لانفوته منها ليجازيهم عليها والمرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات

من وقته

من وقته وهذا مثل الارصاد العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمر بن عبد العزيز انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذه الدنيا بانه بعض من يتوعد بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره اي اسد فرا ابن كان بن يتوبيه يدفع الظلمة بانكاره وينصف اهل الاهواء والبدع باحتجاجه وقوله تعالى فاما الانسان متصل بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى يريد من الانسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهمه الا العاجلة ومايلذه وينعمه فيها اذا ما ابتلاه اي اختبره بالنعمة فاكرمه اي الذي ايده واحسن اليه بما يحفظ وجوده ليظهر شكره او كفره فاكرمه اي جعله عزيزا بين الناس واعطاه ما يكرمونه به من الجاه والمال ونعمه اي جعله متلذذا متروفها اي بما وسع عليه وقوله تعالى فيقول ربي اكرمن وربي اهانن اي فضلني بما اعطاني حين المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفا لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فيقدر بالتاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء بالانعام فيظن ان ذلك عن استحقاق فيفتخر به وكذا قوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر اي ضيق عليه رزقه ان التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه ربه اي بالفقر ليوازي قسيمه فيقول اي الانسان بسبب الضيق ربي اهانن وبهتم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون اكثر همه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وفكره خير في الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته وقال الكلبي وقاتل والكلبي نزلت في امية ابن خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس في عتبة بن ربيعة ابن ربيعة وقيل ابي بن خلف فان قيل كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء جيب بان كلا واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قيل هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه اجيب بان البسط اكرام من الله تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وعليه مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد اليك فان قيل قد قال تعالى فاكرمه فصحح الكرامة واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن ودمه عليه كما انكر قوله اهانن ودمه عليه اجيب بوجهين احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن ودمه عليه لانه قاله عجبا وقصد خلاف ما اضافه الله تعالى عليه واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم لقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استحقاق منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني انهما ان سياق الانكار والذم الى قوله تعالى ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان قال الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام

سورة ح

في قوله تعالى فاكرمه وقرا ما ابتلاه في الموضعين حمزة بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرا ربي اكرمني ربي اهانني نافع وابن كثير وابو عمرو
بفتح اليا من ربي في الوصل وسكنها الباقون وقرا اكرمني اهانني نافع باثبات
اليا فيهما وصلا لا وقفا وقرا البزي باثباتها فيهما وقفا ووصلا وعن ابي عمرو فيهما
في الوصل الاثبات والحذف والحذف عنه في الوصل اعدل والباقون بالحذف وقفا
ووصلا وقرا ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها ولهما
لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقدر اعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى
على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقوله تعالى كلا اي ليس الاكرام
بالغنى والاهانة بالفقر انما هما بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا يتنبهون
لذلك بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو انهم لا يكرمون اليتيم اي لا يحسنون اليه
مع غناهم او لا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة ابن مظعون يتيما
في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت ولا يحضون اي يحثون حثا عظيما
انفسهم ولا غيرهم على طعام اي اطعام المسكين فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز
ان يكون على حذف مضاف اي على بذل او على اعطا وفي اضافته اليه اشارة الى انه
شريك للغني في ماله بقدر الزكاة ويأكلون اي على سبيل التجدد والاستمرار التراث
اي الميراث والتا في التراث بدل من واو لانه من الوراثة اكلا لما اي ذا لم اللم الجمع
الشديد يقال لممت الشي لما اي جمعته جمعا قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ... فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا يورثون النسا والصبيان ويأكلون انصباهم
او يأكلون ما جمعه الورث من حلال وحرام عالمين بذلك فيلمون في الاكل بين حلاله وحرامه
ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرف فيه حبيبه
فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة
والفواكه كما يفعل الوراث البطالون ولما دل على حب الدنيا بامر خارجي دل عليه بامر
في الانسان فقال تعالى ويحبون اي على الاستمرار المال اي هذا النوع من اي شي
كان واكد بالمصدر والوصف فقال تعالى حبا جما اي كثيرا شديدا مع الحرص والشره
ومنع الحقوق وقوله تعالى كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اخبر تعالى عن
تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قايل اذا دكت الارض اي
حصل دكها ورجها ولزلزلتها تسويتها فتكون كالاديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها
بوجه دكا دكا اي مرة بعد مرة وكسر كل شي على ظهرها من جبل وبنا وشجر فلم يبق
على ظهرها شي وينعدم وجا ربك قال الحسن امره وقضاوه والملك اي الملايكة وقوله
تعالى صفا صفا حال اي مصطفين او ذي صفوف كثيرة تنزل ملايكة كل سما فيصطفون
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجي اي باسهل امر يومئذ اي اذ وقع ما ذكر
بجهنم اي النار التي تتهجم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم ويروى انها لما نزلت
تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه
فاخبروا عليا فجا فاحتضنه من خلفه وقيل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي

انت

انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلى عليه الاية فقال له علي كيف يجا بها
قال يجي بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت
اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك علي فلا يبقى
احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رب امتي امتي يومئذ اي يوم يجا
بجهنم بدل من اذا وجوابها يتذكر الانسان اي يتذكر الكافر ما فرط او يتعظ لانه
يعلم قبح معاصيه فيندم عليها وانى له الذكرى اي ومن اين له منفعة الذكرى
قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف والا فبين يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف
وتناقض تنبيه انى خبر مقدم والذكرى مبتدا موخر وله متعلق بما تعلق به الظرف
وقرا ابن حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين وقرا
الدوري عن ابي عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح وقرا الذكرى ابو عمرو
وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح يقول اي يقول
مع تذكره يا للتنبيه ليتني قدمت لحياتي اي في حياتي فاللام بمعنى في او قدمت
الايمان والخبر لحياتي اي الحياة لا موت فيها او وقت حياتي في الدنيا فيومئذ اي يوم يقول
الانسان ذلك وقرا لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الكسائي بفتح
الذال والثا المثلثة على البنا للمفعول والباقون بكسرها على البنا للفاعل فاما
قراة الكسائي فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب احد مثل تعذيبه
ولا يوثق مثل ايثاقه واما على القراة الاولى فالضمير فيهما لله تعالى اي لا يكل عذابه
الى غيره او الزبانية المتولون العذاب بامر الله تعالى ولما وصف تعالى حال من اطمان
الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته وعبوديته وسلم امره اليه فقال تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة قال الحسن اي المومنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء
الله تعالى وقال ابن عباس بثواب الله تعالى وقال ابن كيسان المخلصة وقال
ابن زيد التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع ويقال لها عند الموت
ارجعي الى ربك اي الى امره وارادته وقال ابن عباس الى صاحبك وجسدك وقال الحسن
الى ثواب ربك راضية اي بما اوتيت مرضية اي عند الله تعالى بعملك اي جامعة بين
الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الاخر وهما حالان قال القفال هذا وان كان امرا
في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت
الى الله تعالى وقيل لها في القيمة بسبب هذا الامر فادخلي اي في جملة في عبادي اي
الصالحين او الوافدين علي الذين هم اهل الاضافة الي او في اجساد عبادي التي خرجت
في الدنيا منها وادخلي جنتي اي معهم وهي جنة عدن وهي اعلا الجنان ويجي الامر بمعنى
الخبر كثيرا في كلامهم كقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وقال سعيد بن زيد قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله
فقال له ان الملك سيقوله لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف
فجا طاير لم ير على خلقه طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه
الاية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس الاية وروى الضحاك انها نزلت
في عثمان حين وقف ببير رومة وقيل في حبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة

زيد

وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى
وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري
والظاهر العموم وقول البيضاوي تبعا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة حديث
موضوع سورة البلد مكية وهي عشرون اية واثنتان وثمان كلمة وثلثماية
وعشرون حرفا بسم الله الملك الذي لا راد لامره الرحمن الذي عم ساير خلقه بفضله الرحيم
الذي خص اهل طاعته بجنته واختلف في قوله تعالى لا اقسم فقال الاخفش انها
مزيدة اي اقسم كما تقدم في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة وقد اقسم به سبحانه قال الشاعر
تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع • اي يتقطع
ودخل حرف لا صلة وكقوله تعالى وما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى في ص وما
منعك ان تسجد واجاز الاخفش ايضا ان يكون بمعنى الا وقيل هي نفي صحيح والمعنى
لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي واجمعوا على ان المراد
بالبلد في قوله تعالى بهذا البلد اي الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها
حرما امنا وقال تعالى ومن دخله كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب
فقال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال تعالى
ولله على الناس حج البيت وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
وقال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى وعلى كل ضامر ياتين
من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازايه ودحيت الارض من تحته فهذه
الفضايل واكثر منها انما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى بها وانت اي يا اشرف الخلق
حل اي حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من يريد ممن يدعي انه لا قدرة لاحد عليه
بهذا البلد بان يحل لك فتعامل فيه وقد انجز الله تعالى هذا الوعد يوم الفتح
واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له ما حل ما شا وحرم ما شا قتل ابن
خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان
ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة
لم تحل لاحد قبلي ولم تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى
خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر
فانه لقبورنا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظير وانت حل
في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد
تقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى واسع لان
الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه
للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت
نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله
تعالى ووالد وما ولد فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده
اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسماعيل وممن ولده

وبه

وقال البغوي هما آدم وذريته وقيل كل والد وولده فإن قيل هلا قيل ومن ولد أجيب بأن فيه
ما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن أو أن ما
بمعنى من والذي عليه أكثر المفسرين هما آدم وذريته لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض
لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله
تعالى والأنصار لدينه وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الأسماء كلها وقد قال تعالى
ولقد كرمنا بني آدم وقيل هما آدم والصالحون من ذريته وأما الطالحون فكأنهم بهائم
كما قال تعالى إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله
تعالى لقد خلقنا أي بما لنا من العظمة الإنسان أي الجنس في كبد قال ابن عباس أي شدة
ونصب وعنه أيضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت أسنانه وسائر أحواله
وعن عكرمة منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الحقيقة
ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم فإنه منتصب انتصابا
وقال ابن كيسان منتصبا في بطن أمه فإذا أراد الله تعالى أن يخرجه من بطن أمه قلب رأسه إلى
رجلي أمه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال يمان لم يخلق الله تعالى
خلقا تكابد ما كابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق قال بعض العلماء أول ما يكابد
قطع سرته ثم إذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع
ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت أسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد
الختان والأوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته ثم يكابد
شغل التزويج وشغل الأولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركب
والهدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وهم
الدين ووجع السن وألم الأذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه
يوم إلا يقاسي فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده سؤال الملك وضغطة
القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار
فدل هذا على أنه لخالقا دبره وقضى عليه بهذه الأحوال ولو كان الأمر إليه ما اختار هذه
الشدائد فليمتثل أمر خالقه وقال ابن زيد المراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام وقوله
تعالى في كبد أي في وسط السماء وقال مقاتل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الأشدين
واسمه أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه
فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فيجذبه عشرة فيتمزق الأديم من تحت قدميه ولا تزول
قدماه وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل أيحسب أي يظن الإنسان قوي
قريش وهو أبو الأشدين بقوته أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه
لن يقدر عليه أي خاصة أحد أي من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه
والله تعالى قادر عليه في كل وقت وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي يقول أي يفتخر
بقوته وشدته أهلكت أي على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا لبدا أي كثيرا بعضه على بعض
أيحسب أي هذا الإنسان العنيد يقال له علقمة أن أي أنه لم يره أحد قال سعيد بن
جبير أي أظن أن الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وقال الكلبي
أنه كاذبا في قوله أنه أنفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى أيظن أن الله تعالى لم ير ذلك منه

نعلم مقدار بعقته وقدر الجسب في الموضعين ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها ثم ذكره بقوله عليه ليعتبر بقوله تعالى **ألم نجعل** اي جعلنا من العظمة
له عينين يبصر بهما المرئيات والالتفات عليه اكثر مما يريد بتعقيقها وهو في الرحم في ظلمات
ثلاث على مقدار مناسب لاريد احدهما على الاخرى شيء وقدرنا البياض والسواد والرقة
وغير ذلك على ما تقتضيه ارادة منعم البصر على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها **ولسانا**
يترجم به عن ضمائره **وشفتين** ليستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب
والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة فيقرره بها كي يشكر قال
البغوي وجاء في الحديث ان الله تعالى يقول ابن ادم ان ذكرتني شكرتني وان نسيتني كفرتني
فقد اعتددت عليك بطبقتين فاطبق وان نازع بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد
اعتددت عليك بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعتددت
عليك بطبقتين فاطبق **وهديناه** اي بينا له بتمكين العقل والتمييز **النجدين** قال اكثر المفسرين
بينا له طريقي الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله تعالى انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا وقيل جعلناه كمن ذلك تمييزا بصيرا بما فيهما رفيضا
للتكليف روى الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل
وكفى خير مما كثر والهى يا ايها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر
احب اليكم من نجد الخير قال المنذري النجد هنا الطريق وقال ابن عباس سبيلا الله بين
وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك واصله المكان المرتفع **فلا اقتحم العقبة** اي
فهلا انفق ما له فيما يحوز به العقبة من فك الرقاب واطعام الايتام والمتاكين
بل عظم النعم ولغز بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذه الوجه هو الانفاق المرضي الطبع
عند الله تعالى لا ان هلاكه حالا لابد في الرياء والفخار وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم فيلزم
على هذا الوجه كمثل ترح فيها صر اصابت حرث قوم الاية وقيل معناه لم يقتحمها ولا
جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله
تعالى لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة
وقيل انه استئناف تعجب الله تعالى عباده من تركها بعد ما اعتق رقبة واطعم المساكين كمن اقتحم
العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان بين كل عقبة جبل جهنم وقال الحسن هي عقبة
شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد
هي الصراط يضرب على متن جهنم بحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة صعودا وهبوطا
وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج بخدوش
ومكردس في النار مذكوس وفي الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كالرجل بعد ومنهم من يمر كالرجل يسعى ومنهم من يمر حبوا وزحفا ومنهم
الزاحف ومنهم من يكردس في النار وقال ابن زيد فهلا اقتحم طريق النجاة وقوله
تعالى **وما ادراك** اي اعلمك ايها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا **ما العقبة** تفظيم
لشانها والجملة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر
به وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى **فك** اي الانسان

رقبته

رقبة اي خلصها من الرق وذلك بان يعتق رقبة في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فك رقبته روي انه صلى
الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه
بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني
على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال او ليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد
بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افضل
الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة افضل
قال الزمخشري والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة
يعني فك رقبته من الذنوب وقال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه
باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب
او اطعم اي اوقع الاطعام لشيء له قابلية ذلك في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب
الجوع يتيما اي انسانا صغيرا لا اب له ذا مقربة اي ذا قرابة لك بان كان بينك وبينه قرابة
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي او مسكينا وهو من له مال او كسب يقع موقعا
من كفايته ولا يكفيه ذا متربة اي لصوق بالتراب لفقره يقال ترب اذا افتقر ومعناه
الصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى
وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة الذي ماواه المزابل وقال ابن عباس هو
المطروح على الطرق الذي لا يستله وقال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره
وقال قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الاية على ان المسكين يملك شيئا لانه لو كان
لا يملك شيئا كان تقييده بقوله تعالى ذا متربة تكريرا وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها الف ورفع الميم
منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب اطعم بفتح الهمزة والعين والميم
بغير تنوين ولا الف بين العين والميم فان قيل قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى اخره
ذكر لا مرة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى
تقيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى اجيب بانه انما افردها لدلالة اخر الكلام على معناه
فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير فكانه قال
فلا اقتحم العقبة ولا امن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم
العقبة فلا فك رقبة ولا اطعام مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو حيان
ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين
امنوا يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى
فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا وتنبيه ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب
الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام من الذين امنوا وقال الزمخشري جاء بثم لتراخي الايمان
وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم
على غيره ولا يستكمل عمل صالح الا به وتواصوا اي وصبروا واوصى بعضهم بعضا بالصبر
اي على الطاعة وعن المعصية والمحن التي يبتلى بها المؤمن وتواصوا بالرحمة اي بالرحمة
على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى اولئك اي الموصوفون
بهذه الصفات اصحاب الميمنة اي الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة

وقال محمد بن كعب اي الذين يوتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم
وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن عليه السلام وقال ميمون بن مهران
لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري الميمنة اليمين او اليمن ثم ذكر سبحانه ضدهم
بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا ما تظهر لهم مراى بصايرهم من العلم بآياتنا اي على ما لنا
من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذي لا يمكن خفاؤه من القران وغيره هم
اصحاب المشئمة اي الخصلة المنكسة للنسك والحرمان قال محمد بن كعب اي الذين
يوتون كتبهم بشمائلهم وقال يحيى بن سلام كانهم مشايم على انفسهم وقال ابن زيد
لانهم اخذوا من شق ادم الايسر عليه السلام وقال ميمون لان منزلتهم على اليسار وقال
الزمخشري المشئمة الشمال او الشوم قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال اصحاب الميمنة
هم اصحاب الجنة واصحاب المشئمة هم اصحاب النار عليهم اي خاصة نار موصدة اي
مطبقة وقرا ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير همز اي بواو ساكنة وهما
لغتان يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته واطبقته وقيل معنى
الهمز المطبقة وغير الهمز المغفلة واذا وقف حمزة ابدل على اصله وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه
الله الامان من غضبه يوم القيمة حديث موضوع سورة الشمس مكية وهي خمس
عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعة واربعون حرفا بسم الله الذي له
الاسما الحسنى الرحمن الذي يعلم السر واخفى الرحيم الذي خص خواصه بالفردوس الاعلى
وقوله تعالى والشمس اي الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر وضحاها قسم وقد
تقدم الكلام على ان الله تعالى يقسم بما شا من مخلوقاته وقيل التقدير ورب الشمس
الى تمام القسم واختلف في قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبي ضرها والضحى حين
تطلع الشمس فيصفو ضوءها وقال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها لقوله
تعالى في طه ولا تضحى اي لا يوذيك الحر واليزيدي انبساطها قال الرازي انما اقسم بالشمس
وضحاها لكثرة ما يتعلق به من المصالح فان اهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما
ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي تنفخ فيه الحياة فصارت الاموات
احيا ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك
يشبه استقرار اهل الجنة والقمر اي المكتسب من نورها كما ان نور النفوس من انوار
العقول اذا تلاها اي تبعها وذلك اذا سقطت روى الهلال قال الليث فقال
تلوت فلانا اذا اتبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر
تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر تتلوها بالغروب وقال الفرا تلاها اخذ منها
يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها اي حين استوى ودار وكان
مثلها في الضيا والنور وذلك في الليالي البيض والنهار اي الذي هو محل الانتشار
فيما جرت به الاقدار اذا جلاها اي الشمس بارتفاعه لان الشمس تنجلي في ذلك
الوقت تمام الانجلا وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم
اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السما والليل اي الذي هو ضد النهار

سورة الشمس مكية

فهو

فهو محل السكون والانقباض اذا يغشاها اي يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الافاق
وقيل الكناية للارض اي يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور
وجي يغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتى به ماضيا
لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع
تنبيه اذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم والسما وما اي ومن
بناها اي خلقها على هذا البنا المحكم واقسم تعالى بنفسه وباعظم مخلوقاته قوله تعالى
والارض اي التي هي فراشكم وما اي ومن طحاها اي بسطها وسطحها على الما كذلك وكذا
قوله تعالى ونفس اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم باسره وما اي ومن سواها
اي عدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعاني
وغير ذلك فان قيل لم نكرت النفس اجيب بوجهين احدهما ان يريد نفسا خاصة
من بين النفوس وهي نفس ادم عليه السلام كانه قال تعالى وواحدة من النفوس
ثانيهما ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس
وانما اوثرت ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية بما ضمنا وان لم يوصف بلفظها
اذ المراد انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم وقدروها بانكحوا الطيب وهذا ينفرد به ما دون من وهذه الاسما كلها
مجرورة على القسم اقسم سبحانه وتعالى بانواع من مخلوقاته المتضمنة للمنافع
العظيمة حتى يتامل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل
به روح في القلب فتكون الدواعي الى تاملة اقرب فالهمها اي النفس فجورها
وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعن
ابي صالح عرفها ما تاتي وما تتقي وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها
قال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار
الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوي وهذا يبين ان الله
تعالى خلق في المومن التقوى وفي الكافر الفجور وعن ابي الاسود الدئلي قال قال لي
عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي عليهم ومضى عليهم
من قدر سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت
الحجة عليهم قلت بل شي قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت
منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شي الا وهو خلقه وملك يده لا يسال عما يفعل
عما يفعل وهم يسالون فقال لي سددك الله انما سالتك لاختبر عقلك ان رجلا
من جهينة او مزينة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يعمل الناس
ويكادحون فيه اشي قضى الله عليهم من قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم
به نبيهم صلى الله عليه وسلم واكدت به عليهم الحجة فقال في شي قد قضي عليهم قال
قلت ففيم العمل الان قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها
وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وسواها فالهمها فجورها وتقواها وعن جابر
قال جا سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان
ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فيما نستقبل قال بل فيما

جفت به الاقلام وجرت به المقادير قاله فيهم العمالقة اعملوا وكل ميسر لما خلق له واختلف
في جواب القسم فالكثير من المفسرين على انه قد افلح اي ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما
حذفت لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جيء به تابعا لقوله تعالى والضحى فحذفها
وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء والجواب محذوف تقديره
ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود
لانهم كذبوا صالحا او لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير من غير حذف والمعنى قد افلح
من زكاها اظهرها من الذنوب ونماها واصلحها وصفاها بصيغة فعلة بما يسر
الله تعالى له من العلوم والاعمال الصالحة وقد خاب اي خسر من دساها اي اغواها اغوى نفسه
وافسدها واهلكها بخبائث الاعتقادات وسيئ الاعمال وقبائح الملكات والشمس
وضحاها وما عطف عليها ودساها اخفاها من دس في التراب وقيل اضل الباري اي قد افلح من زكاها بالطاعة
وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دساها الله بالمعصية وانكر الزمخشري على صاحب
هذا القول لمذهبه ولكن قد يتعصب المفسرين للحق الله خلاف الظاهر لما قال
الزمخشري وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله تعالى واغواها واصل الزكاة النمو
والزيادة ومنه زكى الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل
واصل دساها دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء فابدل من السين الثانية ياء والمعنى
همنا اخملها واخفى محلها بالكفر والمعصية وعن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم وفي رواية والهرم
وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني
اعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب
لها كذبت ثمود وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام وانث نعتهم
لضعف اثر تكذيبهم ان كل جماعة لم يعرفوا بظلمهم فيه لوضوح اثمهم بطغواها اي اوقعت
التكذيب لرسولها بكل ما اتى به عن الله تعالى بسبب طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة
قاله الزمخشري مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى
من ذوات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة حبلى وصدیا
يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى وقيل كذبت بما اوعدت
به من عذابها ذي الطغوى كقولك تعالى فاهلكوا بالطاغية اذ اي حين تكذيبهم او طغيانهم
بالفعل حين انبعث اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا
صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا قصير
الباقة وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة
والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل
عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة وقوله عارم اي شديد ممتنع قال الزمخشري ويجوز
ان يكون للجماعة والتوحيد لتوحيد الفاعل في فعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث تنبيها على انه منصوب بكذبت او بطغوى فقال لهم اي بسبب الانبعاث او
التكذيب الذي دل عليه فعقروها بالاذى رسول الله اي صالح عليه السلام وكذا الناقة
وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذي ذكر فتولى لكذبهم قال سيبويه الحذف العامل

الى ضيف

الى ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسها بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة
ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله وهي منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد
والصبي الصبي باضافة ذروا او احذروا ناقة الله وسقياها اي وشربها في يومها وكان
لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بيرهم
ولها شرب يوم فشق عليهم واضافة الناقة الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله فكذبوه
اي صالحا عليه السلام بسبب طغيانهم في وعيدهم بالعذاب فعقروها اي الناقة
اي عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر
جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم
وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس
وهذه المراة اشقى القوم ولهذا لم يقل اشقياها فدمدم اي فاطبق عليهم ربهم
اي الذي احسن اليهم فعقرهم احسانه فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم واطبق عليهم عذابه
يقال دممت عليه القبر اطبقته عليه بذنبهم اي بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة وروي
عن ابن عباس دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال القشيري وقيل دمدمت على
الميت التراب اي سويته عليه فالمعنى على هذا فسواها اي فسوى عليهم الارض فجعلهم
تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة عليهم اي عمهم بها فلم يفلت منهم احد وقرا
ولا يخاف نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو والفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز
ان تكون للحال وان تكون لاستيناف الاخبار وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى
لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة عن الدمدمة والتسوية
والهاء في عقباها ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا
بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى اجل من ان
يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة
عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام اي لا يخاف عقبى هذه العقوبة
لانذاره اياهم ونجاة الله تعالى واهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى اشقاها اي انبعث
لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وقرا الكسائي جميع رؤس اي
هذه السورة بالامالة محضة وقراها ابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين
وامال حمزة مثل الكسائي الا تلاها وطحاها فتحهما والباقون بالفتح واتفقوا على فتح
فعقروها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

سورة الليل مكية

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة
احرف بسم الله الملك الحق المبين الرحمن الذي عم رزقه العالمين الرحيم الذي
خص بجنته المؤمنين وقوله تعالى والليل اي الذي هو الة الظلام اذا يغشى قسم وقد مر
الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى مفعولا للعلم به فقيل يغشى بظلمته كلما بين السماء والارض
وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق قال قتادة اول ما خلق الله تعالى
النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا
وقوله تعالى والنهار اي الذي هو سبب انكشاف الامور اذا تجلى اي تكشف وظهر قسم اخر

BULAC

قال الرازي اقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم
النوم الذي جعله الله تعالى راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار
اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم
وتتحرك الطير من اوكارها والهوام من اماكنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر
المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار وما بمعنى من اي ومن خلق
الذكر والانثى فيكون قد اقسم بنفسه او مصدرية اي ومخلوق الله الذكر والانثى
وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر والانثى
ادم وحوا اي وكل ذكر وانثى من سائر الحيوانات والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند
الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه
ذكرا ولا انثى ولقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة ذكر او انثى وان كان مشكلا
عندنا وقيل كل ذكر وانثى من الادميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته
وقوله تعالى ان سعيكم اي عملكم لشتى جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لتختلف فعامل
للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل في نظائره المتقدمة
وشتى واحد شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين
بعضه وبعضه اي ان عملكم المتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلال وبعضه
هدى اي فمنكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزاء
فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلفي الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم
وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان بن
حرب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس
يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها اي مهلكها وقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى اي وقع منه اعطاء ما جددناه له وامرناه به واتقى اي ووقعت منه
التقوى وهي ايجاد الوقايات من الطاعات وصدق بالحسنى تفصيل مبين
لتشتت المساعي واختلف في المساعي قال ابن عباس اي بلا اله الا الله وقال مجاهد
بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزكاة وقال زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة
والصوم فسنيسره اي نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه لليسرى اي لاسباب
الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى اي للجنة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله مدخلها فقال القوم
يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر
لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة ومن كان
من اهل الشقاوة فانه ميسر لعمل اهل الشقاء ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل اي ما وجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما امر
به وندب اليه واستغنى طلب الغنى عن الناس وعما وعد به من الثواب واوجده
بما زعمت له نفسه الخائنة وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى وكذب
اي اوقع التكذيب لمن يستحق التصديق بالحسنى اي فانكرها وكان جامدا مع المحسوسات

كالبهائم

كالبهايم فسنيسره اي نهيئه للعسرى اي للخلة المؤدية الى الفسق والشدة كدخول النار وعن ابن
عباس قالت نزلت في امية بن خلف وعنه فسنيسره للعسرى اي سوف اقول بينه وبين الايمان
بالله ورسوله وعنه ايضا واما من بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف
الذي وعد الله تعالى في قوله سبحانه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب
بالحسنى اي بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز فيما في قوله تعالى وما تغني عنه ماله
ان تكون نافية اي لا تغني عنه ماله شيئا وان تكون استفهاما انكاريا اي اي شيء يغني
عنه ماله اذا تردى قال ابو صالح اي سقط في جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال
القائل * رصيبك مما تجمع الدهر كله * رداء تلوى فيها وحنوط * والمعنى فيهم سبحانه
ان سعيهم شتى وبين ما للمتقين من الخير وما للمستبقين من الشر بون بعيد لخصوص باب علمه بيان
الهدى من الضلال بقوله تعالى ان علينا اي بما لنا من القدرة والعظمة للهدى اي للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا وبمقتضى حكمتنا فبين طريق الهدى من طريق الضلال ليتمثل
امرنا مسلوك الاول وتجتنب عن ارتكاب الثاني وقال الفراء معناه ان علينا للهدى والاضلال
فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس بيد ارشد
اولياي للعمل بطاعتي واحول بين اعدائي وبين عملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال وقيل
معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل وان لنا للاخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا والاخرة فنعطي في الدارين ما نشاء
لمن نشاء غير طلبها من غيرنا فقد اخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة
وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فانذرتكم
اي حذرتكم وخوفتكم يا ايها المخاطبون الا طرف الذي يليه نارا تلظى بحذف احدى التاءين
من الاصل اي تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم
لظا وقرا البزي في الوصل بتشديد التاء وهو عمر لالتقاء الساكنين على عهد بنا وهو نظير
قوله تعالى ادارتم فيه والباقون بغير تشديد لا يصلاها اي لا يقاسي شدتها على الطريق
اللزوم والاتصال الا الاشقى اي الذي هو في الذروة من الشقاق وهو الكافر فان العاصي
وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله تعالى الذي كذب اي الله جل الله
عليه وسلم وتولى اي عن الايمان او كذب الحق واعرض عن الطاعة او الاشقى بمعنى الشقي
كقوله القائل لشنت فيها باوجهاي بواحد والحصر مبني على قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فيكون المراد الصلي المؤبد ويجنبها اي النار الموصوفة بوعد لا خلف فيه الاتقى
اي الذي يتقي الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها وصلا ان يدخلها ويصلاها مفهوم عاما ولكن
على التفسير الاول من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها والالخلف الوعد
الحصر السابق والاتقى بمعنى التقي على ما مر الذي يؤتي ماله اي يصرفه في وجوه الخير
لقوله تعالى يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله فعلى الاول لا محل له لانه داخل في حكم
الصلة والصلات لا محل لها وعلى الثاني فمحله نصب قال البغوي تتعنى ابا بكر الصديق
في قول الجميع قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني
لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري اريد فانزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى
الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه

BULAC

حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا جعنت الشمس ويطرحه على ظهره
ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد
فيقول وهو في ذلك احد احد قال ابن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قالوا مر به ابو بكر
يوما وهم يصنعون به ذلك وكان دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا
المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد
منه وأقوى على دينك اعطيكه هو قال قد فعلت واعطاه ابو بكر غلامه واخذه فاعتقه
وكان قد اعتق سبعة رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلالا صابهم وهو عاذ بهبيرة
سهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا واعتق ام عبيس فاصيب بصرها
حين اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر
اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا امراة بني
عبد الدار فمر بهما وقد بعثتها سيدتها بطحين لها وهي تقول والله لا اعتقكما ابدا
فقال ابو بكر حلا انا ام فلان فقالت حلا انت افسدتها فاعتقها قال فبكم قالت بكذا
وكذا قالت فقد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب بعذابها فاعتقها
فقال سعيد بن المسيب يعني ابن امية بن خلف قال لابي بكر يا بلال اتبعه قال ثم ابعده
بقسطاس عند ابي بكر صاحب عشرة الاف دينار وعلمان وجوار وسوى وكان يشتري كاحلم
ابو بكر على الاسلام فما ان يكون ماله له طابي فانفضه ابو بكر فلما قال له امية ابعه بعلامك
قسطاس اعتقه ابو بكر وباعه به وروى الضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا
وبلال يقول احد احد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى في حلقك ثم قال صلى
الله عليه وسلم لابي بكر يا بكر ان بلالا لا يعذب في الله تعالى فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له
ابتعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال
الا ليد كانت ببلال عنده فانزل الله تعالى وما لاحد عنده اي لابي بكر من نعمة تجزى اي يد
يكافيه عليها وقوله تعالى الا ابتغاء استثناء منقطع اي لكن يفعل ذلك لمجازاة لاحد يد كانت
له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه اي المحسن اليه الاعلى وطلب رضاه ويجوز ان يكون
متصلا عن محذوف اي ما لاحد عنده نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لان مكافاة نعمته
ايما يعطى من الثواب في الجنة وروى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا والاية متشمل من فعل مثل
فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرا حمزة والكسائي يرضى على والاتي لشيء من اعطى
واتقى بالخفي واستغنى بالحسنى بتدري للهدى والاولى بالاشقى وبتولى الاتقى بتردى
تجزى الاعلى برضى بالامالة محضة في جميع ذلك وامال ورش جميع ذلك بين بين والفتح
عنه قليل وليس فيمن اعطى الفتح وبين اللفظين سوا وامال ابو عمرو بين بين الامن اعطى
لانه ليس براس اية والباقون بالفتح وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي للعسرى للامالة
محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وامال حمزة والكسائي بصلاها محضة
ولورش الفتح وبين اللفظين واذا فتح غلظ اللام واذا امال رققها واما الاشقى والاتقى
الذي فلابد لان الالف للوقف دون الوصل وقوله ليرضى وبتعالله محضة اي النبي صلى الله عليه وسلم

قال من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر حديث
موضوع سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا
ولما انزلت كبر صلى الله عليه وسلم فسن التكبير اخرها وروي الامر به خاتمتها وخاتمة كل
سورة بعدها وهو الله اكبر او لا اله الا الله والله اكبر بسم الله الملك ذي الجلال والاكرام
الرحمن الذي عم نعمته الخاص والعام الرحيم الذي خص اهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى
والضحى قسم وقد مر الكلام على ذلك وخصه بالقسم لانه الساعة التي تكلم الله تعالى فيها
موسى عليه السلام والقى السحرة فيها سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويلقى
شعاعها لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال البغوي اراد النهار كله بدليل انه قابله
بالليل في قوله تعالى والليل اي الذي به تمام الصلاح اذا سجى اي سكن وركد ظلامه
يقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر
سكنت امواجه وطرف ساجن ساكن فاتر وقال قتادة اقسم بالضحى الذي كلم الله
فيه موسى وبليلة المعراج اي التي عرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم قيل ما الحكمة في انه
تعالى قدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها الليل اجيب بان لكل منهما اثرا عظيما في صلاح
العالم ولليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور
فقدم سبحانه هذا تارة وهذا اخرى كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا
وقوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين او انه قدم الليل في سورة ابي بكر لان ابا بكر
سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه
ذنب او ان سورة والليل سورة ابي بكر وسورة الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله
تعالى عنه فان قيل ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته اجيب
بان في ذلك اشارة الى ان ساعة من النهار توازن جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يوازن جميع الانبياء عليهم السلام وايضا وقت الضحى وقت السرور والليل وقت
الوحشة ففيه اشارة الى ان سرور الدنيا اقل من سرورها وان هموم الدنيا
ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات ويروى ان الله تعالى لما خلق
العرش اظلت غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان
مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك
اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور
ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى
لانه يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى ما ودعك اي تركك
يا اشرف الرسل تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع ولو على احسن الوجوه هو مراد
المودع ربك اي المحسن اليك جواب القسم وما قلى اي وما ابغضك بغضا ما وتركت
الكاف لانه راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي الله تنبيه
اختلفوا في سبب نزول هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها ما روى البخاري عن جندب
ابن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت ام جميل
امراة ابي لهب فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ

ليلتين او ثلاثة فنزلت ثانيها ما روى ابو عمرو قال ابطا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وانزل عليه الاية ثالثها ما روي
ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت
السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم
يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لا ياتيني قالت خولة فكنست البيت
فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاءني
الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة
فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام
سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخير فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا
صورة رابعها ما روي ان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف فقال صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى
ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا ولم يقل ان شاء الله
فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل
عنه وفي هذه القصة نزلت ما وعك ربك واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقال
ابن جرير اثني عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل اربعون يوما
قالوا وقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام
اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وللاخرة
اي التي هي المقصود من الوجود بالذات لانها باقية خالصة عن شوائب الكدر
خير لك اي لما فيها من الكرامات لك من الاولى اي الدنيا الفانية التي لا سرور فيها
خالص وقيد يقال بقوله سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل احد قال البقاعي ان الناس
على اربعة اقسام منهم من له الخير في الدارين وهم اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما
وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الاخرة الكفرة الاغنياء ومنهم
من له صورة شر في الدنيا وخير في الاخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى البغوي بسنده
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا
الاخرة على الاولى ولسوف يعطيك اي بوعد لا خلف فيه وان تاخر وقته بما افهمته الاداة ربك
اي المحسن اليك بسائر النعم في الاخرة من الخيرات عطاء جزيلا فترضى به فقال صلى الله عليه وسلم
اذا لا ارضى واحد من امتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له
انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتاني ات من عند ربي يخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات ولم يشرك بالله شيئا وعن سريج قال سمعت ابا جعفر
محمد بن علي يقول انكم معشر اهل العراق تقولون ارجى اية في القران يا عباد الذين اسرفوا

على انفسهم

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وفي هذا موعد لما اعطاه في الدنيا من الفتح والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح
مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه
في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهدم
بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق
والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه في الاخرة
من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لولو ابيض ترابه
المسك فان قيل ما هذه اللام الداخلة على سوف اجيب بانها لام الابتدا المؤكدة لمضمون الجملة
والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم
او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتدا ولام
الابتدا لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان تكون اصله
ولانت سوف يعطيك فان قيل معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير اجيب بان معناه
ان العطا كانت لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة ثم انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه
وسلم بالحال الذي كان عليها قبل الوحي فقال جل ذكره **الم يجدك** وهو استفهام تقرير اي
وجدك **يتيما** وذلك ان اباه مات وهو جنين فدانت عليه ستة اشهر وقيل مات قبل ولادته
وماتت امه وهو ابن ثمان سنين **فاوى** اي بان ضمك الى عمك ابي طالب فاحسن تربيتك
وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما
واحدا في شرفك لا نظير لك فاواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك وهذا خلاف الظاهر
من الاية ولهذا قال الزمخشري ومن بدع التفسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى
الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك فان قيل كيف ان الله تعالى يمن بنعمه ولمن بها
لا يليق ولهذا ذم فرعون في قوله لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا اجيب بان ذلك
يحسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمة
بخلاف امتنان الادمي واختلفوا في قوله تعالى **ووجدك ضالا فهدى** فاكثر المفسرين على
انه كان ضالا عما هو عليه الان من الشريعة فهداه الله تعالى اليها وقيل الضلال هنا بمعنى
الغفلة كقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغفل وقال تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم
وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضحاك المعنى لم تكن تدري القران وشرايع الاسلام
فهداك الى القران وشرايع الاسلام وقال السدي وجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله تعالى
لك او فهداك الى ارشادهم وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شان الاستثنا
حين سئلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى ان تضل احديهما
وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما الاية
ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل ووجدك ضايعا في قومك فهداك اليهم
ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك
قال الشاعر • هذا الضلال اشاب مني المفرقا • والعارضين ولم اكن متحققا • عجبا
لعزة في اختيار قطيعتي • تغدو الضلال فحبلها قد اخلقا • وروى الضحاك عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا

BUSAN

من اعمامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة فمر بصومعة عبد خديجة فنزلوا بها وكان ذات ليلة مظلمة
ناقة جاء ابليس واخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ
ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقال
وجدك ضالا فهدى لانك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقال كنت ان حليمة لما
قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت
عند باب الكعبة يقول لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والدين والبهاء والجمال فقالت
فوضعته لاضلع شاي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم ار شيئا فقلت معشر الناس
اين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصرخت وا محمداه فاذا شيخ قال بنو كاعص فذاك
اذهبي الى اشمهم الاعظم قال شاء ان يرد اليك فعلت فطاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال
يارب لم تزل منك على قريش وهذه الشعرية تزعم انها قد ضلت فرده ان شئت فانك
على رجعه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالتفت
الشيخ عصاه وارتفع وقال انا لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فاخبرت قريش
الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فكان عبد المطلب يكفله مشفعا ويفزع
الى الله تعالى ان يرده وقال يارب ترد ولدي محمدا اردده ترى واصطنع عندي يدا فسمعوا
منادیا ینادي من السماء معاشر الناس لا تفجعوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان
محمدا مؤدي تمامة عند بحيرا السمر فسار عبد المطلب مسرورا برقة ابن نوفل فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالعرف وهي راية ماء الى عبد
المطلب يرد الكعبة حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو
يقول لا ادري ما ذا اجري من ابنك فقال لعبد المطلب ولم قال اني انخت الناقة واركبته
خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة قال ابن عباس رده الله الى عبد
عبده كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقتل وجدك ضالا
ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال
بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها
ضالة فيهدي بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي
لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الى وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي وجد قومك ضالا فهداهم
بك وقيل غير ذلك قال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان
على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء
يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة كالزنا
الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نتكلم بالبدن حتى وكفى بالنبي فنقيصة عند الكفار
ان يقولوا كفر ووجدك عائلا اي فقيرا فاغنى قال اغناك فرضاك بما اعطاك من الرزق
واختار القناعة وقال لم يكن غنى عن كثرة المال ولكن الله ارضاه بما اعطاه وذلك حقيقة
الغنى قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس
وقال صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اعطاه

اتاه

اتاه وقيل اغناك بما اخذ خديجة وبتربية ابي طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما
اختل ذلك امر بالحق واغناه باعانة الانصار ثم امر بالجهاد واغناه بالغنايم روى
الزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال اجعل رزقي في بيت طال ما جاع وقال الرازي العايل
ذو العيلة ثم اطلق على الفقير ويجوز ان يراد ووجدك ذا عيال لا تقدر
على التوسعة عليهم فاغناك بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنايم وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيلت ربي مسيلة ووددت اني لم اكن سالته قلت يا رب انك اتخذت سليمان
ابن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما
فاويتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك
عايلا فاغنيتك قلت بلى يا رب وفي رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك
وزرك قلت بلى يا رب ثم اوضاه باليتامى والسائلين والفقراء فقال تعالى
فاما اليتيم اي هذا النوع فلا تقهر قال مجاهد لا تحقره لصغره كذا كانت العرب تفعل بالموالي اليتامى
تاخذ اموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسلم بيت فيه يتيم يحسن اليه وانا كافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه وفي رواية
من ضم يتيما بين ابوين مسلمين الى طعامهما وشرابهما حتى يستغني اغناه الله عنه بجنته ووجبت له
الجنة البتة ومن مسح يده على راس يتيم كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة وقال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم فان قيل ما الحكمة
في امر الله تعالى باكرام اليتيم واجتناب قهره وجوه احدها ان يعرف بحرارة اليتم
فيرفق باليتيم فانها يشاركه في الاسم فيذكره باحد ذلك لقوله قال الله عليه وسلم اذا
سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ثانيها ليستدل به على ان عبد الله
تعالى فيه ابوه صلى الله عليه وسلم في قوله حسبي من سوالي علمه بحالي رابعها ان اليتيم
يظهر عيوبه فلما لم يجد فيه عيبا لم يجد فيه مطعنا فاسرها فجعله يتيما ليعلم
كل احد ان فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لان من لم يراب فانه يعلمه ويؤدبه
فاسرها اليتم والفقر بقصد العادة فكونه صلى الله عليه وسلم جمع هذين الوصفين
من اكرم الخلق كان ذلك وفقا للعادة فتكون معجزة ظاهرة واما السائل اي الذي
اوجب عليه العيلة او غيرها الى السؤال فلا تنهر فلا تزجره بقال نهره وانتهر اذا زجره
واغلظ عليه القول ولكن رد رده جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال
يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الاخرة بحر الى باب احدكم فيقول هل تعثرون الى عليكم شيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسال عن الدين روى
الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اتاه وفد السايل فلما لم يجد فلا عندك

ان تزبره وقيل اما انه ليس السايل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاك فلا تنهره وأما بنعمة
ربك اي المحسن اليك بالنبوة وغيرها فحدث بها فان التحدث بها شكرها وانما يجوز لغيره
صلى الله عليه وسلم مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة
والستر افضل ولو لم يكن في الذكر الا التشبيه باهل الريا والسمعة لكفى والمعنى انك كنت
يتيما وضالا وعايلا فاواك الله وهداك واغناك فهما يكن من شي فلا تنس نعمة الله عليك
في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم واوه فقد ذقت اليتم وهو انه
ورايت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك
كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحت هدايته الضلال
وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله في ان هداه من الضلالة وقال مجاهد تلك
النعمة هي القران والحديث فيه ان يقرا ويقري غيره وعنه ايضا تلك النعمة هي النبوة
اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله تعالى فراعيت حق
اليتيم والسايل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا
فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن ريا وظن ان
غيره يقتدي به كما علم مما مر وروي ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فراه رث الثياب فقال صلى الله عليه وسلم الك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه
وسلم اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده فان قيل ما الحكمة في ان الله
تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسايل اجيب بكانه يقول انا اغنى الاغنيا
وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار قوله تعالى فحدث على قوله تعالى
فاخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد اخرى وقرا والضحى سجى
قلى الاولى فترضى فاوى فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة
لم يمل سجى وامال ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح
وروى ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ اخر الضحى كبر بين كل سورتين
الى ان يختم القران ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه
فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن
عباس فامرني به واخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر به وبعض القرا لا يكبر
لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القران وقال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر
سوره واياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان فالتكبير ليس بقران وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والضحى جعله الله ممن يرضى
لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسايل حديث
موضوع سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة
احرف بسم الله الظاهر الباطن الملك العلام الرحمن الذي عم المخلوقين
بالانعام الرحيم الذي خص اولياه بدار السلام وقوله تعالى الم نشرح استفهام تقرير
اي شرحنا بما يليق بعظمتنا لك يا اشرف الخلق صدرك بالنبوة وغيرها حتى وسع صاحبنا

سورة الم نشرح مكية

ودعوة

ودعوة الخلق او فسحناه بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج
الذي يكون معه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وقيل انه اشارة لما روي ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا
وعلما فان قيل لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة هو
الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها
بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب
محل العقل والمعرفة والشيطان يجي الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد
مسلكا اغار فيه وثبت جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب
حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد العدو في الابتدا حصل
الامن وانشرح الصدر فان قيل لم قال تعالى الم نشرح لك ولم يقل الم نشرح صدرك
ما الحكمة في ذلك اجيب بوجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل
جميع الطاعات لاجلي وانا ايضا جميع ما افعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع
الرسالة عايدة اليك لاجلك لا لاجلنا واختلف في قوله تعالى ووضعنا اي بما لنا
من العظمة عنك وزرك فقال الحسن ومجاهد حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية
وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال الحسين بن الفضل
يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك واضافها اليه لاشتغال قلبه بها الذي انقض
اي اثقل ظهرك قال ابو عبيدة خففنا عنك اعبا النبوة والقيام بها حتى لا يثقل
عليك وقيل كان في الابتدا يثقل عليه الوحي حتى يكاد يرمي نفسه من شاهق الى ان جاءه
جبريل عليه السلام وازال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال
الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت
مطهر ورفعنا اي بما لنا من القدرة التامة لك ذكرك روى الضحاك عن ابن عباس قال
يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت يعني في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة
على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا
والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله تعالى
وصدق بالجنة والنار وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان
كافرا وقيل اعلنا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرناهم بالبشارة بك
ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السما وفي الارض عند
المومنين ويرفع في الاخرة ذكرك بما يعطيك من المقام المحمود وكرايم الدرجات وقال
الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني التاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت ، اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد ،
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ، اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ،
وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهو محمد ،
وقيل يرفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل عام
في كل ما ذكر وهذا اولى وكم من موضع في القران يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول

ولما كان المشركون يعيرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيق حتى سبق الى وهمه
انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكرهم ما انعم به عليه من جلايل النعم
ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة فان مع العسر اي ضيق الصدر والوزر المقتض
للظهر وضلال القوم وايذايهم يسرا اي كالشرح والوضع والتوفيق للاهتدا
او الطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يهمك فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا
فان قيل ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر اجيب بان الله تعالى
اراد ان يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر
المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب
وقوله تعالى ان مع العسر يسرا استيناف وعده الله تعالى بان العسر متبوع بيسر
اخر لثواب الاخرة كقولك للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار
وفرحة عند لقا الرب ويجوز ان يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في ايام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم ايام الخلفا وقيل تكرير فان قيل ما معنى قول
ابن عباس وابن مسعود لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه
وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين اجيب بان هذا
حمل على الظاهر وبناه على قوة الرجا وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله
اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان يكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر
في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب
وكما يكرر المفرد في قولك جا زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردف بيسر لا محالة
والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بعسر فهما يسران على تقدير الاستيناف
وانما كان العسر واحدا الا انه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا
فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون
للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان
الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضها غير البعض الاول بغير اشكال
او بان لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله تعالى المؤمنين واليسر الذي وعدهم في الاخرة
انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدايم غير زايل اي لا يجتمعان في الغلبة
كقوله صلى الله عليه وسلم شهران عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان فان قيل
فما معنى هذا التكرير اجيب بانه للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر روي عن ابن
مسعود انه قال لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه وللطبراني عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة
ووعده الامنة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة بقوله تعالى فاذا فرغت قال ابن عباس
فرغت من صلاتك المكتوبة فانصب اي انتصب في الدعا وقال ابن مسعود واذا فرغت من الفرايض
فانصب في قيام الليل وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقال الحسن
وزيد بن اسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقال منصور عن مجاهد
اذا فرغت من امر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصلى وقال حيان عن الكلبي اذا فرغت

من تبليغ

من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب اني اكره ان ارى احدكم فارغا
لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة وإلى ربك اي المحسن اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين
السورتين فارغب اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع
اليه راغبا في الجنة راهبا من النار عصمنا الله تعالى واحبابنا منها بمحمد وآله وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني
حديث موضوع سورة والتين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان آيات
واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا بسم الله الذي له الملك كله الرحمن الذي وسع
الخلائق عدله الرحيم الذي خص اولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جنوده وفضله وقوله تعالى
والتين والزيتون قسم وتقدم نظائر ذلك اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف
الاشجار المثمرة روي انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم طبق مرتين فاكل منه وقال
لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم
فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون
فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم
السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول
هي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا الذي تأكلون وزيتونكم
هذا الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان وقيل جبلان من الارض المقدسة
يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتان التين والزيتون وقيل التين
جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت
التين والزيتون وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال
الضحاك مسجدان بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس
وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي
والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين اي الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه
عز وجل وسينين وسينا اسمان للموضع الذي هو فيه فاضيف الجبل الى المكان الذي هو فيه
وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط ولم ينصرف
سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل
او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي
الارض المقدسة وقد بارك فيها قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن
الرجل امانة فهو امين وهي مكة حرسها الله تعالى لانها الحرم الذي يأمن فيه الناس في الجاهلية
والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد ورقه اي شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد او المأمون
فيه يأمن فيه من دخله قال الزمخشري ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع
المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين
والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشاؤه والطور المكان الذي
نودي منه موسى عليه السلام ومكة البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومبعثه انتهى وقوله تعالى لقد خلقنا اي قدرنا واوجدنا

سورة والتين مكية

بما لنا من العظمة والقدرة التامة الانسان جواب القسم والمراد بالانسان الجنس الذي جمع فيه
الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما ينسيه اكثر مهمه الشامل لادم عليه السلام
وذريته وقيل نزلت في منكري البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد
وقوله تعالى في احسن تقويم صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم وقال ابو
البقاء في احسن تقويم في موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم
فعل وذلك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام
التقويم فحذف المضاف ويجوز ان يكون في زائدة اي قومناه احسن تقويم انتهى
واحسن التقويم اعدله لانه تعالى خلق كل شيء متكيا على وجهه وخلق الانسان مستويا
وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بهما قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان
فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات
الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق ادم على صورته
يعني على صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة
شخصية فلم يكن الا معاني روي ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا
فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت
منه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر
فاستحضر الفقهاء واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب
ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله
الرحمن الرحيم والتين الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير
المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل
فاقبل على زوجتك وارسل المنصور اليها اطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل
على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات
اجمع فيه ثم رددناه اي بعض افراده بما لنا من القدرة الكاملة اسفل سافلين
اي الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى
والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا
فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وكانا جديدين
وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف
وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض فقوله تعالى الا الذين
امنوا وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات اي الطاعات استثناء
متصل على الثاني على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقة وتركيبا يعني اقبح من قبح
صورة واشوهه خلقة وهم اهل النار واسفل من سفل من اهل الدركات فالاتصال
على هذا واضح وعلى الاول منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم
اي فتسبب عن ذلك ان كان لهم اجر غير ممنون اي ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم
وصبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفي الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له
ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القران وقال من قرا القران لم يرد الى

ارذل

ارذل العمر ثم قال تعالى الزاما للحجة **كلا** اي الانسان الكافر **لما يقض** اي بعد ما ذكر من خلق
الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان كمل وستوى
ويصير في احسن تقويم ثم يرده الى ارذل العمر الدال على القدرة على البعث فتقول ان الذي
فعل ذلك قادر على ان يبعثني وبجازيني فما سبب تكذيبك ايها الانسان **بالدين**
اي بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
يكون المعنى فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث بعد هذه العبر التي ترغب
النظر فيها صحة ما قلت وقوله تعالى **أليس الله** اي الملك الاعظم على ما لم من صفات الكمال
باحكم الحاكمين اي باقضى القاضين على ما لم من صفات الكمال وعد للكفار وانه يحكم
عليهم بما هم اهله وفي الحديث من قرا بالتين الى اخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
وقوله البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا السورة
والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات
اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة حديث موضوع **سورة العلق مكية**
وهي عشرون اية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا **بسم الله**
الذي له صفات الكمال المستحق للالهية **الرحمن** الذي عم جوده سائر البرية **الرحيم**
الذي خص اهل طاعته بالطافه السنية وعن ابن عباس ومجاهد اول سورة نزلت
من القران **اقرا باسم ربك** واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله تعالى ما لم يعلم وعن
عائشة ام المومنين رضي الله عنها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصالحة وفي لفظ الصادقة في النوم وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم
حبب الله الخلا وكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد
قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق
وفي رواية حتى فجاءه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال له اقرا قال ما انا بقارئ فاخذني
فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فقال فاخذني
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال **اقرا باسم ربك** حتى بلغ **ما لم يعلم**
فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد
فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر
لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن
عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل
بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم
اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما ذا ترى فاخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني اكون
فيها جذعا يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم او مخرجي هم فقال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيئت به الا عودي وان يدركني

يوم بدر انصرف نصر امؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر
الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا عدا منه مرارا حتى يتردى
من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل
عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه
فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عدا مثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له
جبريل فقال له مثل ذلك رواه في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرا اول
ما نزل من القرآن وصرح علي من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وعلى من قال
الفاتحة اول ما نزل ام سورة العلق وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل
الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني
وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا ليلا لتجيء كفلق الصبح فيأتيه بصريح النبوة نعتة
فالاحرى بها القوى البشرية فيدا بما وابل علامة النبوة تهيئة للوحي بتنبيه محل ما سم
ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك او مستعينا قل بسم الله ثم اقرأ
وقال ابو عبيدة بمعنى اقرأ اسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى اذكر اسمه امران
بتذكر القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم ربك كما في قوله تعالى
وقالوا اركبوا فيها بسم الله قال الاخفش فان قيل كيف قدم هذا الفعل على الجار وقد هو خبر
في بسم الله الرحمن الرحيم اي على سبيل الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين ولانه
مقال مقدم ذاتا لانه قديم واجيب الوجود لذاته فقدم ذكره لحبيبه بان هذا في ابتدا
القراءة وتعليمها لما سر انها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم بالعناية هذا العارض
وان كان ذكر الله تعالى اهم في نفسه وذكرت اجوبة غير ذلك في معدن على البسملة وليحمد لله
وقوله تعالى الذي خلق يجوز ان لا يقدر له مفعول ويراد به الذي حصل منه الخلق واستاثر به
لا خالق سواه وان يقدر له مفعول ويراد كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس
بعض المخلوقات اولى بتقدير من بعض وقوله تعالى خلق الإنسان اي هذا الجنس
الذي من شانه الانس بنفسه وما راى من خلافته وحسنه وما الفه من انما جنسه
تخصيص له بالذكر من بين ما بينا وله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض
ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فتقل
الذي خلق بهما ثم فسره بقوله تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة
على عجيب فطرته وقوله تعالى من علق جمع علقة وهي الدم الجامد واذا جرى فهو السفوح
والانسان اسم جنس يتناول الجمع جمع العلق ولم يقل من علقة روسا للاي ازدواجا وقيل لان
اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة قال البيضاوي
ولعله لما قيل له اقرأ اسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ اذكر مرة بعد اخرى
تطاوعني وايائي للتبليغ وربك الاكرم ايالزائد في الكرم على كل كريم فانه يتكرم على عباده
النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة جرائمهم وجحودهم للنعم
ويرزقهم المناهي في اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظايم
فما اكرمه غاية ولا احد وكانه ليس ورا الكريم بافادة الفوائد العلمية ثم لما قدم حث قال
الاكرم الذي علم اي بعد الحلم على معاجلتهم بالعقاب جوادا منه من غير مانع من خوف على اقتناء

ولا رجا

ولا رجا منفعة **بالقلم** اي الخط بالقلم **علم الانسان ما لم يعلم** فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
ما لم يتعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين
والدنيا ولو لم يكن على رقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى
به ولبعضهم في صفة القلم وروافم رقش كمثل ارافم قطف الخطا نبالة اقصى المدا
سود القوائم ما يحد مسيرها الا ان لقبت بها بيض المدا وقال قتادة القلم نعمة من الله
تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى وروى
عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب
فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام قال
ريح ولا يبقى فما قيده قال الكتابة وعن ابن عمر قال خلق الله تعالى اربعة اشيا بيده
ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام
وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب اول من كتب بالقلم ادم عليه
السلام ثانيها قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها انه جميع من كتب بالقلم
لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم الاول الذي
خلقه الله تعالى بيده وامده ان يكتب والثاني قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير
والكواين والثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساكم الغرف ولا تعلموهن
الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن الغرف
تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصينا لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن
حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان
سببا للفتنة لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد
الغايب والخط اثار يد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان
فاحب صلى الله عليه وسلم ان يقطع عن المراة اسباب التنبيه تحصينا لها وقوله تعالى
كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام عليه فانه تعالى
قد عد مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان يقله من اخس المراتب الى
اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته **ان الانسان** اي هذا النوع الذي من شانه
الانس بنفسه والنظر في عطفه **ليطغى** اي من شانه الا من عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد
الذي لا ينبغي له مجاوزته **ان راه** اي راى نفسه **استغنى** اي وجد له الغنى بالمال وقيل
ان يرتفع عن منزلته في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل كان اذا زاد ماله
زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه وعن ابن عباس لما نزلت هذه الاية وسمع بها
المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد اتزعم انه من استغنى جفي فاجعل جبال مكة ذهبا
لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوا فان لم يفعلوا فعلنا بهم
كما فعلنا باصحاب المائدة فكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعا ابقاكهم
وقيل ان راه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى
ان راه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم فراى علمية واستغنى مفعول ثان وان راى

مفعول له إن إلى ربك أي المحسن إليك بالرسالة التي رفع بها ذكرك لا إلى غيره الرجعى مصدر كالبشرى
بمعنى الرجوع ففي ذلك تخويف للإنسان فإنه يجازي المعاصي بما يستحقه وقوله تعالى
أرأيت في مواضعها الثلاث للتعجب الذي ينهى أي على سبيل التجدد والاستمرار
وهو أبو جهل عبدا أي من العبيد هو النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى أي خدم سيده
الذي لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بانقطاع الصلاة التي هي أعظم العبادات نزلت
في أبي جهل وذلك أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل
نعم فقال واللات والعزى لأن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه
في التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته فنكص على
عقبيه وهو يتقي بيديه فقيل له ما لك قال إن بيني وبينه خندقا من النار وهولا
وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا
عضوا فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي رواية لو فعله لأخذته الملائكة زاد الترمذي
عيانا وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير في قوله
تعالى عبدا الدلالة على أنه كامل العبودية كأنه قيل ينهى أشد الخلق عبودية عن العبادة
وهذا عين الجهل وقيل إن هذا الوعيد يلزم كل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة
الله تعالى ولا يدخل في ذلك المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الأوقات المكروهة
لأنه قد ورد النهي عن ذلك في الأحاديث الصحيحة ولا يدخل أيضا منع السيد عبده
والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لأن ذلك مصلحة
إلا أن يأذن فيه السيد والزوج أرأيت إن كان أي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم على الهدى
وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش أيضا إبدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون
بالتحقيق وقوله تعالى أو أمر بالتقوى أي بالإخلاص والتوحيد للتقسيم تنبيه
قوله تعالى أرأيت تكرير للأول وكذا الذي في قوله أرأيت إن كذب وهو أبو جهل وتولى
عن الإيمان ألم يعلم أي يقع له علم يوما من الأيام بأن الله أي الذي له صفات الكمال يرى
ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك أي أعجب منه يا مخاطب
وفي وجه التعجب وجوه أحدها أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الإسلام إما بأبي جهل
وإما بعمر ابن الخطاب وهو ينهى عبدا إذا صلى الثاني أنه يلقب بأبي الحكم فقيل أيلقب بهذا وهو
ينهى عن الصلاة فيتعجب منه من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث أن المنهي على الهدى
أمر بالتقوى ومن حيث أن الناهي مكذب متول عن الإيمان الثالث أنه كان يأمر
وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم إنه ينهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى كلا
ردع للناهي لئن لم ينته أي عما هو فيه واللام لام قسم لنسفعا بالناصية
أي لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها في النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة
قال عمرو بن معدي كرب • قوم إذا نفع الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع
والنفع الصوت ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة
والآية وإن كانت في أبي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن طاعة
الله تعالى وقوله تعالى ناصية بدل من الناصية قال الزمخشري وجاز بدلها عن المعرفة
وهي نكرة لأنها وصفت أي كاذبة خاطئة ما استقلت بفائدة واعترض عليه بأن
هذا مذهب الكوفيين فإنهم لا يجيزون إبدال النكرة من معرفة إلا بشرط وصفها

أو كونها

او كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شيء واستدروا والمعنى لناخذن بناصية
ابي جهل الكاذبة في قولها الخاطية في فعلها والخاطي معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ
ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطية كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها
ناظرة وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى في انه
لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى رسوله في انه ساحر او ليس بشيء ووصفت
بانها خاطية لانها صاحبها عود على الله تعالى كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطيون
فهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطي
وروي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال لم انهك فاغلظ
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل انتهرني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا
فانزل الله تعالى فليدع اي دعا استغاثة ناديه اي اهل ناديه لعينوه فهو على حذف
مضاف لان النادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم قال تعالى وتاتون في ناديكم
المنكر اي تتحدثون فيه او على التجوز لانه مشتمل على الناس كقوله تعالى واسئل القرية
ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر بهم
سندع اي موعد لا خلف فيه الزبانية قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بها
لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة جمع زبني ماخوذ من الزبن وهو الدفع وقال
الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية وقال الزجاج هم الملائكة الغلاظ
الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله تعالى وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو
قومي حتى يمنعوني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر
الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني
بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه ان ياكلني قال
ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى كلا
ردع لابي جهل اي ليس الامر على ما نظنه ابو جهل لا تطعه اي فيما دعاك اليه من ترك
الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله تعالى واسجد يحتمل ان يكون بمعنى السجود
في الصلاة وان يكون سجود التلاوة في هذه السورة ويدل لهذا ما ثبت في صحيح
مسلم عن ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء
انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد بالسجود التلاوة
ويدل للاول قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى كلا لا تطعه
واسجد اي ودم على سجودك قال الزمخشري يريد الصلاة لانه لا يرى سجود التلاوة
في المفصل والحديث يرد عليه واقترب اي وتقرب الى ربك بطاعته بالدعاء اليه قال صلى
الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن اي فحقيق
ان يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من البكاء والجهد حتى قالت عائشة
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد
الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية اقرب ما يكون العبد من ربه وهو

مساجد فاكثروا الدعا وقرا البيطفي استغنى الرجعى بنهى اذا صلى على الهدى بالتقوى وتولى
حمزة والكسائي جميع ذلك بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش
قليل والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله حديث موضوع سورة القدر
مدنية في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي مكية وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت
بالمدينة وهي خمس ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الملك الاعظم
الذي لا يعبد الا اياه الرحمن الذي عم بجوده جميع خلقه اقصاه وادناه الرحيم الذي
قرب اهل طاعته وابعد من عداهم واشقاه وقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة
انزلناه اي القران فيه تعظيم له على ثلاثة اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله
مختصا به دون غيره والثاني انه جا بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة
والاستغنا عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه وهو
قوله تعالى في ليلة القدر وما ادراك اي اعلمك يا اشرف الخلق ما ليلة القدر فان في ذلك
تعظيما لشانها روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا واملاه
جبريل على السفرة الكرام ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث
وعشرين سنة بحسب الوقايع والحاجة اليه وحكى الماوردي عن ابن عباس انه نزل في شهر
رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام
الكاتبين في السما الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله
الله تعالى واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم واسطة وعن الشعبي انا ابتدانا
انزاله في ليلة القدر وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها فليست ظرفا وانما هو كقول
عمر خشيت ان ينزل في قران وقول عايشة لانا احقر في شاني ان ينزل في قران
وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشا من امره الى السنة القابلة
من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من الملايكة
وهم اسرافيل وميكايل وعزرايل وجبرايل عليهم السلام كقوله تعالى فيها يفرق كل امر
حكيم وعن ابن عباس ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها
الى اربابها في ليلة القدر وهذا يصلح ان يكون جمعا بين القولين في قوله تعالى فيها
يفرق كل امر حكيم فانه قيل انه ليلة نصف شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ لا خلاف
وقيل سميت بذلك لضيقها بالملايكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملايكة كقوله
تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم
لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الازهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة
فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر
على امة ذات قدر ومعنى ان الله تعالى يقدر الاجال والارزاق انه يظهر ذلك لملايكته
ويامرهم بفعل ما هو من سعتهم وضيقهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم
اياه وليس المراد منه ان يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق

سورة القدر مكية

السموات والارض

والارض فى الازل فقيل للمحسن بن الفضل اليس قد قدر الله تعالى المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم فقيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدور واختلفوا هل هى باقية او لا فقيل انما كانت شهرا ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح انها باقية الى يوم القيمة وروى عن عبد الله بن محشن مولى معاوية قال قلت لابى بكر بن عمر ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان استقبلته قال نعم وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن ليلة القدر اهى شئ كان فذهبت ام هى فى كل عام فقال بل هى لامة محمد ما بقى منها ثنتان واستدل من قال بهذا بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا اعقل من هذا القائل ففى اخر الحديث فالتمسوها ما لم تستوهها فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها واختلفوا فى وقتها فاكثر اهل العلم انها مختصة برمضان واختلفوا بعد ذلك فقالت طائفة هى فى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فوجب ان لا تكون ليلة القدر الا فى رمضان ليلا يلزم التناقض وروى عن ابى بن كعب انه قال والله الذى لا اله الا هو انها لفى رمضان يحلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اسمع عن ليلة القدر فقال هى فى كل رمضان وقيل هى دائرة فى جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف يروى ذلك عن ابى حنيفة وعن ابن مسعود انه قال من يقم ليلة الحول يصبها وذكر عن الحسن الثانى انه قال من اراد ان يتعرف ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اى على اى لونه فان كان يوم الاحد فليلة القدر تقع وعشرين وان كانت يوم الاثنين فليلة احدى وعشرين وان كانت يوم الثلاثاء فليلة تسع وعشرين وان كانت يوم الاربعاء فليلة تسعة عشر وان كانت يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كانت ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر وان كانت يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هى فى كل رمضان او فى العشر الاخير فقط قولان احدهما انها فى كل شهر واختلفوا فى اى ليلة منه فقال ابن عمر هى ليلة الاولى من رمضان وقال الحسن البصرى السابعة عشر وقال ابن التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرين وقال ابن عباس الثالثة والعشرين وقال ابن مسعود الرابعة والعشرين وقال ابى بن كعب السابعة والعشرين وقيل التاسعة والعشرين وقيل الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول الكلام به والقول الثانى وهو ما عليه الاكثرون انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل لذلك باشياء منها ما روى عن عبادة بن الصامت انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال هى فى رمضان فالتمسوها فى العشر الاواخر ومنها ما روى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان وعن عايشة قالت

مطلب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها وعنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله
وايقظ اهله واختلفوا في انها اي ليلة من العشر هل هي في ليلة من ليالي العشر
كله او في اوتاره فقط او في اشفاعه فقط وهل تلزم ليلة بعينها او تنتقل في جميعه
اقوال والذي عليه الاكثر انها في جميعه ولكن ارجاها اوتاره وارجى الاوتار عند امامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين يدل للاول
خبر الصحيحين وللثاني خبر مسلم وانها تلزم عنده ليلة بعينها وقال المزني صاحب
الشافعي وابن خزيمة انها منتقلة في ليالي العشر جمعا بين الاحاديث قال النووي
وهو قوي وقال في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلماء باوتار العشر الاواخر
وبعضهم باشفاعه وقال ابن عباس وابي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب اكثر
اهل العلم واستنبط ذلك بعضهم من ان ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة
احرف واذا ضربت تسعة في ثلاثة تكن سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك
من عد كلمات السورة وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا وقوله تعالى هي كلمة السابع والعشرين
وهي كناية عن هذه الليلة فبان انها ليلة السابع والعشرين وهو استنباط لطيف
وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين قولا وبضع وعشرين حديثا وافردت بالتصنيف
وفيما ذكرناه كفاية وذكروا المسبب في اخفائها على الناس وجوها احدها انه تعالى اخفاها
ليعظموا جميع السنة على القول بانها فيها او جميع رمضان على القول به
او جميع العشر الاخير على القول به كما اخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في كلها واخفى
غضبه في المعاصي ليحذروها كلها واخفى وليه في المسلمين ليعظموهم كلهم واخفى
الاجابة في الدعاء ليبالغوا في الدعوات واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليجتهدوا
في العبادة في جميع اوقاتها في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها واخفى
الاسم الاعظم ليعظموا كل اسمائه تعالى واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل
واخفى التوبة ليواظب المكلف على جميع اقسامها واخفى قيام الساعة ليكونوا
على وجل من قيامها بغتة ثانيها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد
في الطاعة رجاء ان يدركها فيباهي الله تعالى به ملائكته ويقول تقولون فيهم يفسدون
ويسفكون الدماء وهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف ولو جعلتها معلومة
له فحينئذ يظهر اني اعلم ما لا تعلمون ثالثها ليجتهدوا في طلبها والتماسها فينالوا بذلك
اجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عينت في ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها
ففاتت العبادة في غيرها ثم ذكر تعالى فضلها من ثلاثة اوجه احدها ما ذكره
بقوله سبحانه ليلة القدر اي التي جعلناها بانزالنا له فيها خير من الف شهر
ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في الف شهر ليست فيها وعن ابن
عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه
في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته
فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة
القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح

في سبيل

في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيمة اي فهي من خصايص هذه الامة وعن مالك انه سمع
من يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله فكانه تقاصر
اعمار امته اي لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم فاعطاه الله تعالى ليلة القدر
التي العمل فيها خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان
يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا
احق بان يسموا عابدين من اوليك العبادة وهي افضل ليالي السنة ويدخل في ذلك
ليلة الاسرا فهي افضل منها ان لم تكن ليلة الاسرا ليلة القدر كما قيل ان الاسرا كان
في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع فيكتب فيها جميع
خير السنة وشرها ورزقها واجلها وبلاها ورجاها ومعاشها الى مثلها من السنة
ولا يشكل ذلك بما قيل ان الاجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح
ويولد له وقد خرج اسمه في ديوان الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون
في السنة من الاجال والامراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف من شعبان
فاذا كان ليلة القدر فيسلمها الى اربابها وقيل تقدر في ليلة النصف من شعبان الاجال
والامراض وفي ليلة القدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة الوجه الثاني
من فضايلها ما ذكره تعالى في قوله جل ذكره تنزل اي تنزلا متدرجا مواصلا على غاية
ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه حذف التا الملايكة اي الى الارض روي انه
اذا كان ليلة القدر تنزل الملايكة وهم سكان سدرة المنتهى والروح اي جبريل
عليه السلام فيها اي في الليلة ومعه اربعة الوية فينصب لوا على قبر النبي صلى
الله عليه وسلم ولوا على ظهر بيت المقدس ولوا على ظهر المسجد الحرام ولوا على ظهر طور
سينا ولا يدع بيتا فيه مومن ومومنة الا دخله وسلم عليهم فيقول يا مومن ويا مومنة
السلام يقريك السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم واكل لحم خنزير وعن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة
من الملايكة يصلون ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا
يدل على ان الملايكة كلهم لا ينزلون وظاهر الاية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روي
انهم ينزلون فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت
لا تسعهم دفعة واحدة كما ان الارض لا تسع الملايكة دفعة واحدة ولذلك ذكر
بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة بعد المرة اي ينزل فوج ويصعد فوج والله اعلم
بذلك وعن ابي هريرة ان الملايكة في تلك الليلة اكثر من عدد الحصا وقال
كعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله الف راس كل
راس اعظم من الدنيا وفي كل راس الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان
يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة
لا تشبه اللغة اخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملايكة السموات السبع سجدا
مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر
لشرفها وعلو شانها فيستغفر للصايمين والصايمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم
بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن علي انه صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة

قوله فوجا قال في مختصر الصحاح
الفوج الجماعة من الناس
والجمع افواج وفووج بوزن
فلوس انتهى

اسري بي ملكا رجلاه جاوزت من الارض السابعة السفلى وراسه من السما السابعة العليا
ومن لدن راسه الى قدميه وجوه واجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن الرحيم تسبيحا
لا يسبحه العضو الاخر ولو امره الله تعالى ان يلتقم السموات السبع والارضين السبع
السبع لقمة واحدة كما يلتقم احدكم اللقمة لاطاق ذلك ثم لم يكن فيه الا كلقمة احدكم
في فيه ولو سمع اهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة اذنه الى منكبه
خفقان كخفقان الطير السريع سبعة الاف سنة وهو راس الملائكة وقيل
الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن
غروب الشمس الى طلوع الفجر باذن ربهم اي بامره المحسن اليهم المربي لهم
من كل امر اي قضاه الله تعالى فيها لتلك السنة الى قابل وتقدم الجمع بينها وبين
ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى البا الوجه الثالث من فضايلها
ما ذكره تعالى في قوله سبحانه سلام اي عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدا هي
جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمومن ولا مومنة الا سلمت
عليه ويستمرون على ذلك من غروب الشمس حتى اي الى مطلع الفجر اي وقت
مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بكسر اللام على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس
كالمشرق والباقون بفتحها ومن فضايلها ان من قامها غفرت ذنوبه ففي
الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
قال النووي في شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلعه الله عليها فلو قامها
انسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال الاذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال
يستحب التعبد في كل ليالي العشر حتى يجوز الفضيلة على اليقين انتهى وهذا
اولى نعم حال من اطلع اكمل اذا قام بوظايفها وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى
العشا الاخيرة في جماعة من رمضان فقد ادرك ليلة القدر اي اخذ حظا
منها ويسن لمن راها ان يكتمها ويسن ان يكثر من التعبد والدعا ليالي رمضان
وان يكون من دعايه اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني ومن علاماتها
ان الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن ابي بن كعب وعن ابن
مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر
فانها تطلع يومئذ بيضا ليس لها شعاع فان قيل لا فايدة في هذه العلامة
فانها قد انقضت اجيب بانه يستحب ان يجتهد في يومها كما يجتهد في ليلتها
وينبغي تعرفها كما مر عن الشافعي انها تلزم ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن
صام رمضان واحيا ليلة القدر حديث موضوع سورة لم يكن وتسمى القيمة
وتسمى البينة والمنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور
وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثماية وتسعون حرفا بسم الله
الذي لا يخرج شي عن مراده الرحمن الذي عم بنعمه جميع عباده الرحيم الذي
خص اولياه باسعاده ولما كان الكفار جنسين اهل كتاب ومشركين ذكرهم الله
تعالى في قوله سبحانه لم يكن الذين كفروا اي في مطلق الزمان الماضي والحال

والاستقبال

والاستقبال من أهل الكتاب اي من اليهود والنصارى الذين كان اصل دينهم حقا فالحدوا
فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى
بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا والمشركين
اي بعبادة الاصنام والنار والشمس ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له اصل
في الحق بان لم يكن لهم كتاب تنبيه من للبيان وقوله تعالى منفكين خبر يكن اي
منفصلين زايلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقى
لهم به علقة ويثبتون على ذلك الانفكاك واصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما
من فك الكتاب والختم والعظم اذا ازيل ما كان ملتصقا ومتصلا به او عن الموعد
باتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به فان اهل الكتاب كانوا يستفتحون به
والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فان قيل لم قال تعالى كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل اجيب بان اهل
الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر كانهم كانوا مصدقين بالتورية والانجيل وبمبعث
محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل
على الثبات على الكفر وقوله تعالى حتى اي الى ان جاءتهم البينة متعلق بيكن او بمنفكين
والبينة الاية التي هي في البيان كالفجر المنير الذي لا يزداد بالتمادي الا ظهورا وضياء
ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم وما معه من الايات التي اعظمها الكتاب وهو
القران وقوله تعالى رسول اي عظيم جدا بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف
اي سنة رسول او مبتدا وزاد عظمته بقوله تعالى واصفا له من الله اي الذي له
الجلال والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه
الله تعالى سراجا منيرا ولان اللام في البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التوراة
والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو
البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى
ههنا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه
ذو العرش المجيد فعال لما يريد فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة
مطلق الرسول وما معه من الايات التي اعظمها الكتاب سوا التورية والانجيل
او الزبور او الفرقان وعبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة
وقال البغوي لفظه مستقبل ومعناه الماضي اي حتى اتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال
المحلي وقوله تعالى يتلوا صحفا صفة رسول او خبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان
اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل عليه السلام والصحف
جمع صحيفة وهو التالي للصحف المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد
من مضاف محذوف وهو الوحي وهي القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة
المواصلة مطهرة اي في غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر بما جعلنا لها من البعد
من الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا ياتيها من بين يديها
ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها اي تلك الصحف كتب اي احكام مكتوبة
قيمة اي مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذي لا مرية فيه ليس فيه شرك ولا اعوجاج

BULA

بنوع من الانواع **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** اى عما كانوا عليه وحصر اهل الكتاب التفرق
دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم
ممن لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف **الا من بعد ما جاءتهم البينة** اى انتهم البينة
الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم اى بالقرآن وما فقا الذين اوتوا اليهم من الكتاب
نعته وصفته وذلكانهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحد واشركوا
وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وقد كان مجىء البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم فيه وقرأ حمزة
والبزى وكون بالتاء على مقابلة الالف بعد الجيم بمثلها والباقون بالغيب ولما كان حال من ضل
على علم اشنع زاد فى قبيحتهم فقال تعالى **وما امروا** اى هؤلاء الكفار فى التوراة والانجيل
الا ليعبدوا الله اى يوحدوا الاله الذى له الامر كله ولا امر لاحد غيره واللام بمعنى ان
كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقول تعالى **مخلصين له الدين** فيه دليل على وجوب النية
فى العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يريد به وجه الله تعالى لا غير ومن ذلك
قوله تعالى فى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين **حنفاء** اى مائلين عن الاديان كلها الى دين
الاسلام واصل الحنف فى اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر
الحاد فالحنيف المطلق الذى يكون منبرئا عن اضول الميل الخمسة اليهود والنصارى
والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات وعن
مقابحها من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام النفى وعن المكروهات الى
المستحبات وهو المقام الاول من الفرع وعن الفضول شغفة عما خلق الله وهو
ما لا تعنى الى ما يعنى وهو المقام الثانى من الفرع وعما يجر الى الفضول وهو مقام
الزهد فالاية جامعة لمقامى الاخلاص الناظر احدهما الى الحق والثانى الى الخلق
ولما ذكر اصل الدين اتبعه الفروع وبدا باعظمها الذى هو مجمع الدين وموضع التجرد
عن العوائق فقال عز من قائل **ويقيموا** اى يقدموا من اقام العوجاج ما جمع
الشرائط والاركان والحدود **الصلاة** لتصير بذلك اهلا لان يقوم بنفسها وهى
من التعظيم لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى صلة الخالق اتبعها وصلة الخلائق بقوله
تعالى **ويؤتوا الزكاة** اى يدفعوها المستحقة شفقة على خلق الله تعالى اعانة على الدين
ايه ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه بطبائعهم المعوجة وندخل الزكاة عند اهل السنة
فى كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك كما هو
واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون **وذلك** اى والحال ان هذا الموصوف
من العبادة على الوجه المذكور **دين القيمة** اى الملة المستقيمة واضاف الدين الى القيمة
وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة رد آها الى الملة وقيل الها للمبالغة فيه وقيل
القيمة هى الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين الكتب القيمة فما تدعو اليه وتامر به
كما قال تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن
شميل سالت الخليل بن احمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم
والقائم واحد قال النقوش ومجاز الاية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد ثم ذكر

تعالى

تعالى ما للغرض فقال سبحانه إن الذين كفروا اى وقع منهم الكفر لمرأى عفوهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين فيه من أهل الكتاب اى اليهود والنصارى والمشركين اى العريقين فى الشرك فى نار جهنم اى النار التى تتلقاهم بألسنتها والعصوصة خالدين فيها اى يوم القيمة او فى الحال لتسعيرهم فى مواجهاتها واستواء الكل فى الغرض لجنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب استيداد الكفر وخفته أولئك اى هؤلاء البعداء البغضاء هم اى خاصة بالصادر منهم من الخبث شر البرية اى الخليقة الذين اعملوا صلاح انفسهم وفرطوا فى حق ايمانهم وما يليهم وهذا يحتمل ان يكون على التعميم وان يكون خطابا بالنسبة لعصر النبى صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وانى فضلتكم على العالمين اى عالمى زمانهم ولا يبعد ان يكون فى كفار الامم قبلهم من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح ولما ذكر الاعداء واحوالهم لان ذلك ادعى لهم ان يتبعه الاولياء قال تعالى مؤكدا ما للكفار من الانكار ان الذين آمنوا اى اقروا بالايمان وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات اى هذا النوع أولئك اى هؤلاء العالو الدرجات هم اى خاصة خير البرية اى على الاطلاق او من عصرهم بما فى حيزه مما مر وقرا نافع وابن كثير بالهمز فى الحرفين لانه محقق لهم بدا الله تعالى الخلق والبادئ بالياء المشددة بعد الراء كالذرية بتركه همزة فى الاستعمال ثم ذكر ما لهم بقوله تعالى جزاؤهم اى على طاعاتهم وعظمه بقوله تعالى عند ربهم اى المربى لهم والمحسن اليهم جنات عدن اى اقامة لا يحولون عنها تجرى اى جريا دائما لا انقطاع له من تحتها اى تحت اشجارها وغرفها الأنهار خالدين فيها اى يوم القيمة او فى الحال لتسعيرهم فى مواجهاتها واكد معنى الخلود تعظيما لم يقوله تعالى رضى الله اى اله من نعوت الجلال والجمال عنهم اى بالكمال سبق لهم من العناية والتوفيق ورضوا عنه لانهم لم يبق لهم امنية الا اعطاهموها فاطلعهم على انه تفضل وجميع ذلك لا يجب عليه لاحد شئ ولا يفيد احد حق قدر ما لو اخذ الخلق بما يستحقونه اهلكهم كما قال تعالى ولو يعاجل الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس رضوا عنه ثواب الله عز وجل ذلك اى الامر العالى الذى هو لهم وابه لمن خشى ربه اى خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل قال الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهى المعارف فان الانسان اذا استشعر عذابا يأتيه لحقته حالة يقال لها الخوف وهى انخلاع القلب عند ظنه بنية القلب فان اشتد سمى وجلا لحلوله فى نفسه فان اشتد سمى رهبا لاداية الى الهرب وهى حالة المؤمنين الفارين الى الله تعالى ومن غلب عليه الحب لا يستفزه فى شهود المحبوب حالة تسمى هيمانة وورا هذا الخشية اى يخشى الله من عباده العلماء من خاف ربه هذا الخوف انفك عن جميع ما عند مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خرب وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله تعالى امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماك لى قال نعم فبكى قال البقاعى سبب تخصيصه بذلك انه وجد اثرا من الصحابة قد خالفه فى القراءة فرفعها الى النبى صلى الله عليه وسلم فامره فعرضا عليه فحسن لهما قال فسقط فى نفسى من التكذيب اشد مما كان فى الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدرى ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا ثم قص على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت

السورة التي وقع فيها الخلاف النحل وفيها انه تعالى يبعث رسولا لهم صلى الله عليه وسلم يوم
البعث شهيدا وانه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وانه نزل عليه روح
القدس بالحق ليثبت الذين امنوا وان اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم يكن عاقصرها
حاوية اجمالا لكل ما في النحل على طولها بزيادة وفيها النحذير من النكث بعد البيان
وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من اهل الكتاب في العناد
فيكون سفر التورية فعرفها صلى الله عليه وسلم تذكيرا له بذلك كله على اوجز البلغ واخص
ليكون اشرع لم تصور فيكون اسرع في النفس واثبت في القلب واعشق للطبع
فاجتبته الله بالتنبيه واراد له التثبيت فكان من المريدين المرادين لما وصل
اليد قلبه ببركة ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار كلما قرأ هذه السورة الجامعة
عاليا عن تلاوة تنعشه مصغيا بادني قلبه الى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له
حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك العزلة والنبوة في هذا المقام قال صلى الله
عليه وسلم اقرأكم ابي قال القرطبي وفيه من اللغة قراءة العالم على المتعلم وقال
بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف احد
من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اشرع اخذ الالفاظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي لاذ امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بقراءة عليه وقوله البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء مقتلا حديث موضوع
سورة الزلزلة مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود
وعطاء وجابر وهي ثمان اياة وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا
بسم الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق بنعمة الظاهرة فسماها الرحيم
الذي اتم النعمة على خواصه حقيقة غيبا وسرمدا ولما قال تعالى للمؤمنين حبا وهو
عبيده بهم حنانا عذرهم كان الكلام قال لعلي يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت
الارض اي حركت واضطربت لقيام القيامة والهائلون كلهم يكبرون ثم الحي والميت
في ذلك الوقت تنالهم حيرة ويكون امنا كقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون زلزالها
اي تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الارض وعظمة ذلك اليوم وذلك كما تقول اكرم
النبي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة
ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفي قال المصطرب قال تعالى واخرجت الارض اثقالها
ولم يضمر تحقيقا للعموم اثقالها اي ما هو مودع فيها من الاموات والكنوز قال ابن
عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل
عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها اموتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قتل
الجبن والاسى الثعلان وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تفئ الارض اولادها كبدها امثال
الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت وفي القطيعة فيقول
في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون
منه شيئا فيعيدها الله تعالى وقوة اخراج ذلك كله كما كان يعيدها قوة ان يخرج النبت الصغير

اللطيف الطرى الذى هو انعم من الحرير فيشق الارض الصلبة التى تكل عنها المعاول والحديد ويشق النواة
مع ما لها من الصلابة التى يستعصى على الحديد فتنفلق نصفين وينبت منها ما يريد
سبحانه وتعالى والله قدير على ذلك قادر على تكوين الموتى فى بطن الارض واعادتهم على
ما كانوا عليه كما يكون الجنين فى البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر والفم وغير
ذلك من غير ان يدخل هناك بكارو ولا منشار يخرج من البطن هكذا اخراج الموتى من على
وجه كل ذلك عليه هين سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه وقال الانسان اى هذا
النوع الصادق بالقليل والكثير لما له من النسبا كى لما اكد عنده من امر البعث بدا لمن الانس
بنفسه والنظر فى عطفه على سبيل التعجب او الدهش والحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا
من مرقدنا هذا فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مالها اى
اى شئ للارض فى هذه الزلزلة الشديدة التى لم يعهد مثلها ولعظمها فى بابها يومئذ اذ اذكان
ما ذكر من الزلزال والتزام عنه وقوله تعالى تحدث اخبارها جواب اذا وهو الناصب لها عند
الجمهور ومعنى تحدث اى تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ بدل هو من قوله اذا
تعالى وقيل من قوله لانسان اى يقول الانسان مالها لتحدث اخبارها متعجبا روى الترمذى
عن ابى هريرة انه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها
قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد
او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا اوكذا قال فهذه اخبارها ثنيه
فى حديثه باخبارها ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى يقلبها حتى وانا ناطقا فتتكلم بذلك
ثانيها ان الله تعالى يحدث فيها الكلام لانها ان تكون قبلها بيان يقوم مقام الكلام وقيل
فى الاية تقديم وتاخير بتقدير يومئذ تحدث اخبارها فتقول الانسان مالها اى يتحير
الارض بما عمل عليها وقوله تعالى بان ربك متعلق بتحدث ويجوز ان يتعلق بيصدر
اخبارها والباء سببية اى تحدث بسبب ان ربك الحسن اليها بانواع النعم اوحى لها
اى اذن لها ان تتكلم بذلك او ذكر بالمقال او بالحال على ما مر قال السبكى وعدل عن قوله
اليها الى قوله تعالى لها ايذانا بالاسراع فى الايحاء قال البغوى اوحى لها واوحى اليها
ووحى لها ووحى اليها واحد وقرا حمزة والكسائى باشمام الصاد بين الاصالة محضة
وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى يومئذ بدل من يومئذ
قبله او منصوب بقوله تعالى يصدر او باذكر مقدرا اى واذكر يوم اذكان ما تقدم وهو
حين يقوم الناس من القبور يصدر الناس اى يرجعون من فنون رهم الى ربهم الذى
كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرا حمزة والكسائى باشمام الصاد بين الصاد والزاى
والباقون بالصاد الخالصة اشتاتا اى متفرقين بسبب مراتبهم فى الذوات والاحوال
من مومن وكافر وامن وخائف ومطيع وعاص وعن ابن عباس متفرقين على قدر اعمالهم
اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة او متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة
واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اى يرى الله تعالى المحسن منهم والمسى ء اوسطة من بينا
من يهوده او نصرانى او مجوسى حين تتكلم سبحانه كل احد من غير ترجمان او واسطة كما اخبر
بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اعمالهم فيعلموا جزاءها او صادرين عن الموقف كل الى داره
ليرى جزاء عمله ثم سبب عن ذلك قوله تعالى معتصلا الجملة التى قبله فمن يعمل من يحسن

او مسيء مسلم او كافر مثقال اي مقدار وزن ذرة خيرا اي من جهة الخير يره اي يرى
ثوابه حاضرا لا يغيب عنه شيء لان المحاسب له الاحاطة علما وقدرة فالمؤمن يراه ليشتد
سروره به والكافر يوقفه على عمله انه احبط لبنائه على غير اساس الايمان او على انه
جوزي به في الدنيا فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوى حزنه وعن ابن عباس من يعمل
من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب
عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر المؤمنين يراه في الدنيا ولا
يعاقب عليه في الاخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير تقبل منه
ويضاعف في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى
ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن ادم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل يده على الارض فما علق من التراب فهو الذر
وقال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب
ذرة وفسرها بعضهم بالنملة الصغيرة وبعضهم بالهباة التي ترى طائرة في الشعاع
الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى
ثوابه في الدنيا وفي نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله
تعالى خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه
واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ما روى انس ان هذه
الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر ياكل فاسكر فقال يا رسول الله وانا
لنرى ما عملنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره
فمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيمة قال ابو ادريس
ان مصداقه من كتاب الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال
مقاتل نزلت في رجلين احدهما كان ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة
والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما
اوعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الاية لترغبهم في القليل من الخير تعطوه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فكلمة طيبة
ويحذرهم من اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات
الذنوب فان لها من الله طالبا وقال ابن مسعود هذه الاية احكم اية في القرآن واصدق
وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية وقال كعب الاحبار لقد انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم ايتين احصتا ما في التورية والانجيل والزبور والفرقان والصحف فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذه
الاية الجامعة الفاذة حتى سئل عن زكاة الحمير فقال ما نزل علي فيها شيء غير هذه
الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وروى مالك في الموطا ان مسكينا استطعم عائشة وبين يديها عنب فقالت لانسان
حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويعجب فقالت اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال
ذرة وكذا تصدق عمر وانما فعلا ذلك لتعليم الغير والا هما من كرماء الصحابة قال الربيع
ابن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه الاية فلما بلغ اخرها قالت حسبي قد انتهت الموعظة

تنبيه

تنبيه قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرا هشام بسكون هاء يره
وصلا في الحرفين والباقون بضمها وصلا وساكنة وقفا كسائرها الكناية وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات
كان كمن قرا القران كله رواه الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن ابي شيبة
مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القران سورة والعاديات مكية في قول ابن مسعود وجابر
والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى
عشرة اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الذي له الامر
كله فلا يسال عما يفعل الرحمن الذي نعمته اتم نعمة واشمل الرحيم الذي خص اولياءه
بتوفيقه فاتم نعمته عليهم واكمل وقوله تعالى والعاديات ضبحا قسم اقسم سبحانه
بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون عن ابن عباس انه
حكاية اح اح قال عنترة والخيل تكدح حتى تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب
ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو
او على الحال اي ضابحات والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو
المشي بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا
ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت
فقال ادعه الي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت
لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات
ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال الزمخشري فان صحت الرواية
فقد استعير الضبح للابل كما استعير الشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر
وما اشبه ذلك قال ابن عباس وليس شيء من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب
والفرس ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات واليوم والصدى
والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشا عنه فقال تعالى عاطفا باداة
التعقيب فالموريات قدحا قال عكرمة والضحاك هي الخيل تورى النار بحوافرها
اذا سارت في الحجارة لا سيما عند سلوك الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به
ضبحا قاله الزمخشري ففيه الثلاثة اوجه المتقدمة وعن ابن عباس اورت بحوافرها
غبارا وهذا انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هي الابل
تطا الحصا فتخرج منه النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين
اذا اخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة وابن عباس ايضا ان الموريات قدحا
مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا ارادوا ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن
بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيرون نيرانهم بالليل
لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا ليظنهم
العدو كثيرا قال القرطبي وهذا الاقوال مجاز كقولهم فلان يوري زناد الضلالة والاول
الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار
نار ابي حباب وابو حباب كان شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نار
الخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تعد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ

سورة والعاديات مكية

لها احد طفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بنار لانه لا ينتفع بها
ولما ذكر العدو وما يتأثر عنده ذكر نتيجته وغايته بقوله تعالى فالمغيرات اي باغارة اهلها
عليها وقوله تعالى صبحا ظرف اي التي تغير وقت الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت
عدوه لنهب او قتل او اسر قال الشاعر فليت لي بهم قوما اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
وغار لغية فاثرن اي فهيجن به اي بفعل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو نقعا
اي غبارا بشدة حركتهن والنقع الغبار تنبيه عطف الفعل وهو فاثرن على الاسم
لانه في تاويل الفعل لوقوعه صلة لال وقال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن فوسطن به اي بتلك
النقع او العدو او الوقت جمعا من العدو اي صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال
وسطت القوم بالتخفيف ووسطهم بالتشديد وتوسطهم كلها بمعنى واحد وقال القرطبي
يعني جمع منى وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها
من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج
بعد القدرة عليه كما في قوله تعالى ومن يكفر فان الله غني عن العالمين وجواب القسم
قوله تعالى ان الانسان اي هذا النوع بما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه لربه
اي المحسن اليه بابداعه ثم بابقاعه وتدبيره وتربيته لكنود قال ابن عباس لكفور
جحود لنعم الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كندة وحضرموت
العاصي وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقال ابو عبيدة هو قليل
الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وفي الحديث عن ابي امامة هو الذي ياكل وحده
ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة
الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي انسته الخصلة الواحدة
من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة وانه اي الانسان على ذلك اي الكنود العظيم حيث
اقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه لشهيد اي يشهد على نفسه
ولا يقدر ان يجحده لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده الشاهد على سبيل الوعيد وانه
اي الانسان من حيث هو لحب اي لاجل حب الخير اي المال الذي لا يعد غيره لجهله
خيرا لشديد اي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه او بليغ القوة في حبه لان منفعته
في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان اقل ما فيه ان يشغله عن حسن
الخدمة لربه ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب
عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى افلا يعلم
اي هذا الانسان الذي انساه انسه بنفسه اذا بعثر اي انثر بغاية السهولة واخرج
ما في القبور اي من الموتى قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه
قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال ما في القبور ولم يقل من ثم قال
بعد ذلك ان ربهم بهم اجيب عن الاول بان ما في الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام
على الاغلب او انهم حال ما يبعثون لا يكونون احياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد
البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلاء والضمير الثاني ضمير العقلاء وحصل
اي اخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير او شر مما يظن مضمره انه لا يعلمه

احد

احد اصلا وظهر مكتوبا في صحايف الاعمال وهذا ادل على ان الله تعالى يحاسب كما يحاسب على ما يظهر من اثارها وتخصيص الصدر بذلك لانه محل القلب **انّ ربّهم** اى المحسن اليهم بخلقهم ورزقهم وتربيتهم **بهم يومئذ** اى اذا كانت هذه الامور وهو يوم القيمة **لخبير** اى لمحيط بهم من جميع الجهات عالم بخفايا العلم بواطن امورهم فكيف بظواهرها وغنى عليه بهم يوم القيمة مجازاته لهم والا فهو لخبير بهم فى كل الايوم فى غيره فكيف بسعى السعاة فاذا ارتوعلق املم بالمال فضلا عن ان يوثر على الباقى وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع

سورة القارعة مكية

سورة القارعة مكية وهى احدى عشرة اية وستون وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا **بسم الله** الملك الاعلى **الرحمن** الذى عمت نعمة ايجاده جميع الورى **الرحيم** الذى خص اولياءه بالتوفيق لما يحبه ويرضى والختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى **القارعة** اى الصيحة او القيمة التى تقرع القلوب بهولها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشيا الثابتة بالانتشار وقوله تعالى **ما القارعة** تهويل لشانها وهما مبتدا وخبر خبر القارعة واكد تعظيمها اعلاما بانه تمما لا خطر فى بالك من عظمها فهى اعظم منه فعال **وما ادراك** اى اعلمك **ما القارعة** اى انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدا وما بعدها خبر وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لادرى واختلف فى ناصب **يوم** على وجهين احدهما انه مضمر دل عليه القارعة اى تقرعهم يوم وقيل تقديره تاتى القارعة يوم **يكون الناس** والثانى انه اذكر مقدر وهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى **كالفراش المبثوث** يجوز ان يكون خبرا للناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اى يوجدون ويحشرون وشبه الفراش شبههم فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما تتطاير الفراش الى النار والفراش طاير معروف قال قتادة الفراش الطير الذى يلتقط فى النار والتراج الواحدة فراشة وقال الغراء هو الممسح من البعوض والجراد وغيرها وبه يضرب المثل فى الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وانقدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان تطلب يداه فكلب دونه كلب

وفى امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدى وفى تشبيه الناس بالفراش فى ما لفات شتى منها الطيش الذى يلحقهم وانتشارهم فى الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجى من كل جهة وذهاب والقصد الى الداعى من كل جهة والتطاير الى النار قال الحريرى

ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى

والمبثوث المتفرق وقال تعالى فى موضع اخر كانهم جراد منتشر فان قيل كيف يشبه الفنى الوافر بالصغير والكثير بما لا يشبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث اجيب بانما التشبيه بالفراش قد ذهب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة

والتتابع وتلون الجبال على ما بي عليه من الشدة والمتلائة وانها صخور راسخة
كالعهن اي الصوف المصبغ الوانا لانها ملونة كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر
اي وغير ذلك المنفوش اي المندوف المعرف لاجزاء قترا اهالة لكن منطايرة في الجو
كالهبا المنثور كما قال تعالى في موضع اخر هباء منبثا حتى تقوم الارض كما لا عوج فيها
ولا امتاع بسبب عن ذلك بقوله تعالى بفصلا لهم فاما من ثقلت موازينه
اي برجحان الحسنات وفي الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي
له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء والثاني قال ابن عباس انه جمع
ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فتوزن فيها الصحف المكتوب فيها
الحسنات والسيئات او الاعمال انفسها فيوتى بحسنات المؤمن في احسن صورة
فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويوتى بسيئات الكافر في اقبح صورة
فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما يوزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فينغص منه على قدرها
ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما
الكافر فقد قال تعالى في حقه فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ثم قيل انه ميزان واحد
بيد جبريل عليه السلام يوزن به اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين
لكل حادثة ميزان وقيل الموازين العدل والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد
بقول الشاعر * وزنت قيل القائلين فزادت امرة عندي لكل مخاصم ميزانه فهو اي
بسبب رجحان حسناته في عيشة اي حياة يتعلق بها قال التقاعي ولعله الحقها
الهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة واحدة في الضفا واللذة وليست
ذات الوان كحياة الدنيا راضية اي ذات رضى او مرضية لا ارفع جنة عالية واما
من خفت اي طاشت موازينه اي بان غلبت سيئاته او لم تكن له حسنة لانتفاعه
البطل وخفتها عليه في الدنيا فامه اي التي تاويه وتضمه اليها كما يقال للارض
ام لانها تقصد لذلك وتسكن اليها كما يسكن الى الام ولذا السكن هاوية اي
نار لتهوي بها فلانة جدا فهو بحيث لا يرى لعمر جهنم نارا الا هو في عيشة ساخطة فالاية
من الاحتباك ذكر العيشة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها
اولا والهاوية اسم من اسماء جهنم وفي المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي
كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه وقيل او ام راسه
يعني انهم يهوون الى النار على رؤسهم والى هذا التاويل ذهب قتادة
وابو صالح وروي عن ابي بكر انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم
القيمة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق الميزان ان لا يوضع فيه الا الحسنات ان
يثقل وانما خفت من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا وحق الميزان
ان لا توضع فيه الا السيئات ان يخف وما ادراك اي واي شيء اعلمك وان اشتد مطلعك
تكلفك ما هيه اي الهاوية والاصل هاء فدخلت الها للسكت وقراءتها في الوصل
بغير هاء بعد الياء التحتية ووقف يعقوب بإثباتها وصلا ووقفا فان قيل قال هنا
وما ادراك ما هيه وقال اولا في السورة وما ادراك ما القارعة ولم يقل وما ادراك ما الهاوية

اجيب بان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق وقوله تعالى
نار حامية خبر مبتدا مضمر اي هي اي الهاوية نار شديدة الحرارة روى مسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزءا من جهنم قالوا وانها لكافية يا رسول
الله قال صلى الله عليه وسلم فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل
حرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة
ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة حديث موضوع سورة التكاثر مكية وهي ثمان
ايات بسم الله ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بالايجاد بعد الاعدام الرحيم الذي خص
اولياءه بتمام الانعام ولما ختم القارعة بالشقي افتتح هذه بفعلة الشقاوة ومبتدا
الحشر لينزجر السامع فقال تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة
والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه حتى زرتم المقابر
اي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا
والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى
بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل

لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الصماد او يزور القبرا

تنبيه حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر
زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره
فان قيل شان الزائر ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زائر
القبر وايضا حتى زرتم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل اجيب عن الاول بان
سكان القبور لا بد ان ينصرفوا منها وان كل ات قريب وعن الثاني لتحققه عبر عنه
بالماضي كقوله تعالى اتى امر الله وقال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة
تعييرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل
والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم
بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء
حتى اذا استوعبتم عددهم ثم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر
الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعيشهم من امر الدين للتعظيم
والمبالغة وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني
فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا او انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا
قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي
عليكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم والمقابر جمع
مقبرة بفتح الباء وضمها وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي
لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى
قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر بلفظ هذه
الاية غير لفظ تلك وزيارة القبور من اعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر الموت
والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله

سورة التكاثر مكية

عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة وروى ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور فيكره لهن لعلمه صبرهن
وكثرة جزعهن نعم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به بقية الانبيا والاوليا
والعلما وينبغي لمن زار القبور ان يتادب بادابها ويحضر قلبه في اثنائها ولا يكون حظه
منها الطواف عليها فقط فان هذه حالة يشاركه فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه
الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القران والدعا ويتجنب
الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا
الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من قبل
وجهه لانه في زيارته كمخاطبه حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل
والاحباب ويتامل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم
ومحي التراب محاسن وجوههم وافترقت في القبور اجزاوهم وترمل من بعدهم نساوهم
وشمل ذل اليتم اولادهم وانه لا بد صاير الى مصيرهم وان حاله كحالهم وماله كمالهم وعن
مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقرا هذه الاية قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله
وماله ويبقى عمله وقرا الهاكم حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر
لنفسه ان تكون الدنيا جمع همه ولا يهتم بدينه وقوله تعالى سوف تعلمون انذارا
ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم وقوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد ثم للدلالة
على ان الثاني ابلغ من الاول واشد كما يقال للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل
والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقا الله
تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن علي رضي الله تعالى عنه كلا سوف
تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير
بينهما لاجل تغاير المتعلقين ثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون
ما ينزل بكم من العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرير
للحالتين وروى زر بن حبيش عن علي كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة
فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل
بكم الموت وجاتكم رسل ربكم تنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيمة انكم تعذبون
وعلى هذا تضمنت احوال القيمة من بعث وحشر وعرض وسوال الى غير ذلك من اهوال
القيمة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها
المومنون فالاول وعيد والثاني وعد ولما كان هذا امرا صار على اشار تعالى الى انه
يكفي هذه الامة الموجودة التاكيد بمرة فقال سبحانه مردد الامر بين تاكيد الردع
ثالثا بالاداة الصالحة له ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله ايمة القراة كلا اي ليشتد
ارتداعكم عن التكاثر فانه اساس كل بلا فانكم لو تعلمون اي ايها المتكاثرون علم اليقين

اي

اي لو يقع لكم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر ولضحكتم شيئا
قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون فحذف الجواب افخر ليذهب الوهم معه
كل مذهب ولا يجوز ان يكون لترون الجحيم جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا
ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسألن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال
الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لالهاكم بل هو جواب قسم محذوف اكد به
الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله تعالى ثم لترونها تكرير
للتاكيد والاولى ارادتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة
وبالثانية الابصار عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة
اعلى مراتب اليقين قال الرازي واليقين مركب الاخلاص في هذا الطريق وهو غاية
درجات العامة واول خطرة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم خير ما القي في القلب اليقين
وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال قتادة
اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث اي لو تعلمون علم الموت او البعث فعبر عن الموت
باليقين والعلم من اشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين
بما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين بربك الجحيم بعين
فوادك وقرا لترون بن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بالفتح ثم لتسألن
حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين يومئذ
اي يوم رويتها عن النعيم وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والامن
والمطعم والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة
والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله وقوله تعالى كلوا من الطيبات
وقال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار لان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال
يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم من خبز شعير ولحم وبسر
وما عذب ايكون من النعيم الذي يسال عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار
ثم قرا صلى الله عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الاية يدل على ذلك
لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى
والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها يوم القيمة حين يظهر لهم ان الذي
ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السوال عام في حق
المومن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيمة عن النعيم
فيقال له الم نصحح جسمك الم نروك من الماء البارد وقيل الزائد على ما لا بد منه
وقيل غير ذلك قال الرازي والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق
وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسال عنها هل شكر فيها ام كفرها
واذا قيل ان هذا السوال للكافر فقيل هو في موقف الحساب وقيل بعد دخول
النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم في الدنيا بالنعيم عن العمل
الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية حديث موضوع

الا اخره فرواه الحاكم بلفظ الا يستطيع احدكم ان يقرا الف اية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرا الف
اية قال اما يستطيع احدكم ان يقرا الهاكم التكاثر سورة العصر مكية وروي عن ابن عباس
وقتادة انها مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا
بسم الله الذي كل شيء هالك الا وجهه الرحمن الذي عز اولياءه فكانوا للدهر غرة ولاهله
جبهة وقوله تعالى عم الوجود بانعامه فليس شيء يشبهه الرحيم الذي عز اولياءه فكانوا
للدهر غرة ولاهله جبهة وقوله تعالى والعصر قسم واختلف في المراد به فقال
ابن عباس والدهر اقسم به لان فيه عبرة للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة
على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومر الكلام في امثاله وقال ابن كيسان اراد
بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد زوال الشمس الى غروبها
وقال قتادة اخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل اقسم بصلاة العصر وهي
الصلاة الوسطى وهذا اشبه فقد قال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة
العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس
في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بعشائهم ونقل ابن عادل عن مالك
ان من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين
الحالف على السنة لانه اكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي انه بر بساعة الا ان يكون
له نية وجواب القسم ان الانسان اي الجنس لفي خسر اي نقص بحسب مساعيهم
في اهوائهم وصرف اعمارهم في اغراضهم لما لهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض
عن الغائب والاغترار بالفاني تنبيه تنكير خسر يحتمل التهويل والتحقير
فان حمل على الاول وهو الظاهر كان المعنى ان الانسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى
لان الذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه وقع في مقابلة النعم العظيمة
فلذلك كان الذنب في غاية العظم وان حمل على الثاني كان المعنى ان خسران الانسان
دون خسر الشيطان ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لانهم ليس لهم من ذواتهم
الا ذلك وكان فيهم من خلصه الله تعالى ما طبع عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم
بقوله تعالى الا الذين امنوا اي اوجدوا الايمان وهو التصديق بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وعملوا اي تصديقا لما اقروا به من الايمان الصالحات اي هذا
الجنس من اتباع الاوامر واجتناب المناهي فاشتروا الاخرة بالدنيا فلم
يلههم التكاثر ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم شيء من الخسر
وقال ابن عباس في رواية ابي صالح المراد بالانسان الكافر وقال في رواية الضحاك
يريد به جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد
المطلب وقيل لفي خسر لفي غبن وقال الاخفش لفي هلكة وقال الفراء لفي عقوبة
وقال ابن زيد لفي شر روى ابن عوف عن ابراهيم قال اراد ان الانسان اذا عمر
في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم اجورهم
التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا ولما كان الانسان بعد كماله في نفسه
بالاعمال لا ينتفي عنه مطلق الخسر الا بتكميل غيره وحينئذ يكون وارثا

لان

لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للتكميل قال تعالى مخصصا لما دخل في الاعمال
الصالحة تنبيها على عظمه وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضا بلسان الحال او المقال بالحق
اي الامر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد
الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا
اي طلبا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما ابتلوا الله به عباده من الامراض
وغيرها وروي عن ابي ابن كعب انه قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم
والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم
من الله اقسم بكم يا خلق الله ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر
وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي وهكذا خطب
ابن عباس على المنبر موقوفا عليه وقال قتادة بالحق اي القرآن وقال السدي
الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر حديث
موضوع سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة
وثلاثون حرفا بسم الله الحكم العدل الرحمن الذي عم جوده اهل البخل واولى البذل
الرحيم الذي خص اولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى وما فيه قولان احدهما
انه كلمة عذاب والثاني انه واد في جهنم ويل همزة لمزة قال ابن عباس هم الشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال
صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة
الباغون للبرآء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة يعيبك
في الوجه وقال ابو العالية والحسن الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل
واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك
في الصدقات وقال سعيد بن جبير الهمزة الذي ياكل لحوم الناس ويغتابهم
واللمزة الطعان عليهم وقال زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم
واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سعيد بن المسيب الهمز باللسان واللمز بالعين
وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي تكثر عينه
ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وحاصل هذه الاقاويل ترجع الى اصل واحد
وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس بافواههم وافعالهم
واصواتهم ليضحكوا منهم واصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خصا بالكسر من اعراض
الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت في جبلتهم والذي يدل
على الاعتياد صيغة فعله بضم وفتح كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار
عادة له وضري به واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال الكلبي نزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي كان يغتاب الناس ويطعن عليهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع
ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم ويلمزه ويطعن عليه في وجهه وقال تعالى
هي عامة في حق كل من هذه صفته وقوله تعالى الذي جمع مالا بدل من كل او ذم

سورة الهمزة مكية

منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير ولانه يوافق قوله تعالى وَعَدَّدَهُ والباقون بتخفيفها وهي محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده احصاه وجعله عدة لحوادث الدهر وقال الضحاك اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال من سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى وجمع فاوعى يَحْسَبُ اي يظن لجهله أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ اي اوصله الى رتبة الخلد في الدنيا فيصير حاكما فيها لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي يخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا قط فيه وروي انه كان لملك من ملوك الفرس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار وعن الحسن انه عاد موسرا فقال له تقول في الرقم افتدها من لئيم ولا تتفضل على كريم قال لما ذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إِذَنْ تَرْعَدَ لمن لا يحمدك وفقرك عما من لا يعذرك وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى كَلَّا ردع له عن حسبانه وقيل بمعناه حقا وقوله تعالى لَيُنْبَذَنَّ جواب قسم محذوف اي ليطرحن بعد موته فِي الْحُطَمَةِ الى الطبقة من جهنم التي من شانها ان تحطم اي تكسر وتهشم شدة وعنف كما طرح فيها فلان اخسر الخاسرين ينال للرجل الاكول انه لحطمة وَمَا أَدْرَاكَ اي واي شيء علمك ولم يجاوز ذلك للعلم واختصاص في التعرف مع كونك اعلم الخلق مَا الْحُطَمَةُ اي الدركة النارية التي سميت بهذا الاسم لهذه الخاصة وانه ليس في الوجود الذي شاهدتموه ما يقارنها ليكون مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى نَارُ اللَّهِ اي الملك الاعظم الذي لا يملك كملكه الْمُوقَدَةُ اي التي وجد وتجدد ايقادها بايقاده ومن الذي يطيق محاولة ما اوقده هو لا يزال لها هذا الاسم ثابتا وروي ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة الَّتِي تَطَّلِعُ اي تطلع اطلاعا شديدا عَلَى الْأَفْئِدَةِ جمع فؤاد وهو القلب الذي يكاد يحترق فمن شدة ذكائه فكاد يتلهب فعيل من الفؤاد اشتقاق الخلاص واطلاعها عليه بان تعلو وسطه وتشتمل عليها شتمل لا تبقى معه بل تكرر شدة توقده وخص بالذكر لانه الطف ما في البدن واشد تالما بادنى شيء من الاذى ولانه منشا العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذي هو منشا جميع الفساد والضلال وعنه تصدر الافعال القبيحة وقيل معنى تطلع على الافئدة اي تعلم ما يفعل بكل واحد منهم من العذاب يقال اطلع على كذا اي علمه ثم اشار الى خلودهم فيها بقوله تعالى مؤصدة لانهم لا يخرجون منها عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ قال الحسن اي مطبقة اي بقاء الصخر وقال مجاهد مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اي اغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات ان في القصر لو دخلت لغلا ... مصمتا موصدا عليه الحجاب ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى فِي عَمَدٍ اي في حال كونهم موثقين بعمد قرا حمزة والكسائي وشعبة بضم العين والميم جمع عمود كرسول ورسل وقيل جمع عماد كاديم واديم والباقون بفتحهما فقيل هو اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع كما قال الفراء ادیم

وأدم

وادم وقال ابو عبيدة هو جمع عماد ممددة اي معترضة كانها موضوعة على الارض فهي في غاية
المكنة فلا يستطيع الموثوق بها على نوع حيلة في امرها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يبعث عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار
فيطبق عليهم بتلك الاطباق وتسد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل
يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفير وشهيق وقال قتادة عمد
يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم
وقال ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القشيري العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور
ممدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه حديث موضوع سورة الفيل مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة
وستة وتسعون حرفا بسم الله الذي قدرته في كل شيء عامله الرحمن الذي له
النعمة الشاملة الرحيم الذي يخص اهل الاصطفا بالنعمة الكاملة وقوله تعالى
الم تر استفهام تعجب اي اعجب كيف فعل ربك اي المحسن اليك باصحاب الفيل فهو
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد
اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال تعالى كيف دون ما لان المراد
بذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
صلى الله عليه وسلم وكانت قصة الفيل ما روى ابرهة بن الصباح الاشرم ملك
اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف
اليها الحاج وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها
ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج
اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال
من اجترا علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع الذي قلت
فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك
وساله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما
وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سايرا الى مكة وخرج معه
بالفيل واثني عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان
وحده فسمعت العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك
من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة
واخذ ذو نفر فقال ايها الملك استبقني فان استبقائي خير لك من قتلي فاستبقاه
واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنى من بلاد خثعم خرج له نفيل
ابن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم
واخذ النفيل فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي
بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود
ابن مغيث في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف

سورة الفيل مكية

انما يريد البيت الذي بمكة نحن فبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابا رغال مولى لهم فخرج حتى
اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة من المغمس رجلا
من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامر بالغارة على نعم
الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان
ابرهة بعث بخياطة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك
اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة
فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال
انما جئت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا
قتال ولا لنا به يدان سنخلي بينه وبين ما جاء اليه فان هذا بيت الله الحرام
وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين
ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فقال العلماء انه اردفه على بغلة
كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد الملك فاتاه
فقال يا ذا النفر هل عندك من غنى فيما نزل بنا فقال ما غنى رجل اسير
لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث لك الى انيس سايس الفيل فانه
لي صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يطعم
الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب الملك له مائتي بعير
فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه
من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستاذن عليك وانا
احب ان تاذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان
عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة اعظمه واكرمه وكره ان يجلس
معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس اليه ثم دعاه فاجلسه
معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال
عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد الي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة
لترجمانه قل له كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت فيك قال لم قال
جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني
فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها قال عبد المطلب انا رب هذه الابل وللبيت
رب سيمنعه قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذاك فامر بابله فردت
عليه وقيل اعرض عليه عبد المطلب ثلث اموال تهامة ليرجع فابى فلما ردت
الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا
في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة اخذ
حلقة الباب وجعل يقول يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماك
ان عدو البيت من عاداك امنعهم ان يخربوا قراك

وقال

قال

وايضا لاهم ان المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جدوا جموع بلادهم في الفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامن بدا لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك
الوجوه مع قومه فاصبح ابرهة بالغمس قد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا فيله
فاقبل بفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال محمود وارجع راشدا من حيث جئت
فانك في بلد الله الحرام فترك الفيل فبعثوه فابى فضربه بالمعول في راسه فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام مهرولا ورجعوا الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل
مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج يشتد حتى صعد الجبل فارسل
الله تعالى عليهم ما قصه في قوله سبحانه الم يجعل اي جعل بما له من الاحسان الى العرب
لا سيما قريش كيدهم اي في هدم الكعبة في تضليل اي خسارة وهلاك وارسل عليهم
اي خاصة من بين هناك من كفار العرب طيرا اي طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا
ابابيل اي جماعات بكثرة جدا متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحي مشتى فوجا فوجا
وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق
وقيل اقاطيع كالابل المؤبلة قال الفرا لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال
الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون واحدها ابوك كعجول وعجاجيل وقال ابن
عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها
رؤس كرؤس السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة
طير سود ترميهم اي الطير بحجارة اي عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والحجم
مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفار فكان
الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل
طريق ومنهل ودرى ابرهة فتساقطت انامله كلها كلما سقطت انملة اتبعتها مدة
من قيح ودم فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطير وطاير ما مات حتى انصدع صدره
من قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه
القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لان تلك الحجارة كانت من سجيل
اي طير منحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو ولما تسبب عن هذا الرمي
هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي خلق الاثر قطعا لانه مثله لا ينشا عنه
ما نشا من الهلاك قال الله تعالى فجعلهم اي ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك
لاجلك بذلك كعصف ماكول اي ورق زرع اكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت
اجزاوه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزا الروث قال مجاهد العصف ورق
الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا اكل وصار اجوف لان الحجر
كان ياتي في الراس فيحرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر
ويصير موضع تجويفه اسود لما له من النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج
الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له وروي ان الحجر كان يقع على احدهم
فيخرج كلما في جوفه فيسقى كقشر الحنطة اذا خرجت منه الحبة وعن عكرمة من اصابه

BULAC

جدرة وهو اول جدري ظهر وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة
منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد
النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثرون
على انه كان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رايت
قايد الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان وقال عبد الملك بن مروان
لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر
مني وانا اسن منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين
مقعدين يستطعمان الناس وقيل لم يكن بمكة احد الا راى قايد الفيل وسايسه اعميين
يتكففان الناس لان عائشة مع صغر سنها راتهما وقال ابن اسحق لما رد الله تعالى الحبشة
من مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقال اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مونة عدوهم
فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلما كانت قصة الفيل مما نعده من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه
الله ايام حياته من الخسف والمسخ حديث موضوع سورة قريش مكية في قول الجمهور
ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلثمائة
وسبعون حرفا بسم الله الذي له جميع الكمال الرحمن ذي النعم والافضال الرحيم الذي خص
اولياه بالقرب والاجلال وقوله تعالى لايلاف قريش في متعلقه اوجه احدها انه ما في السورة
قبلها من قوله تعالى فجعلهم كعصف قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر
وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة
واحدة بلا فصل وعن عمر انه قراهما في الثانية من صلاة المغرب وقرا في الاولى والتين
انتهى والى هذا ذهب الاخفش وقال الرازي المشهور انهما سورتان ولا يلزم
من التعلق الاتحاد لان القران كسورة واحدة ثانيها انه مضمر تقديره فقلنا ذلك
وهو ايقاعهم الايلاف وهو الفهم لبلدهم الذي تنشا عنه طمانينتهم وهيبة الناس لهم
وقيل تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتا والصيف وتركهم عبادة رب هذا
البيت ثالثها انه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم
الرحلتين لانهما اظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي صدر به الزمخشري كلامه
وفي هذا اشارة الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيا يسر سببه لان التدبير
كله له يخفض من يشا وان عز ويرفع من يشا وان ذل وقريش وهم ولد النضر ابن كنانة
وكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي قال صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم واخرج الحاكم وصححه البيهقي عن ام هاني بنت ابي
طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال اني منهم وان النبوة
فيهم والحجابة والسقاية فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده
غيرهم وان الله تعالى انزل فيهم سورة من القران وسموا قريشا من القرش وهو التكسب والجمع
يقال فلان يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال وقال ابو

سورة قريش مكية

ريحانة

ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون
في البحر من اعظم دوابه تعيش بالسفن ولا تطاف الا بالنار يقال لها القرش لا تمر
بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا تاكل الغث والسمين
فلا تترك فيه لذي الجناحين ريشا هكذا في كتاب حي قريش ياكلون البلاد
اكلا كميشا ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والجموشا وقيل هو من تقرش
الرجل اذا تنزه عن مدانيس الامور ومن تقارشت الرياح في الحرب اذا دخل بعضها
في بعض وقوله تعالى ايلافهم بدل من الايلاف الاول وقرا ابن عامر لالاف بغير
يا بعد الهمزة والباقون كيلاف بيا قبلها واجمع الكل على اثبات اليا في الثاني
وهو ايلافهم باليا بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين
ان القرا اختلفوا في سقوط اليا وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها
خطا واتفقوا على اثبات اليا في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا
وهذا ادل دليل على ان القرا متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط رحلة الشتاء
منصوب بايلافهم مفعولا به كما نصب بيتيما باطعام وهي التي يرحلونها في زمنه
الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون منها متاجر الحبوب والصيف التي يرحلونها
الى الشام في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الشمال وهم امنون
من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم ببيت الله والناس يتخطفون من حولهم
ولا يجترئ احد عليهم والايلاف من قولك الفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته
فانا مولف والاصل رحلتي الشتا والصيف ولكنه افرد ليشمل كل رحلة كما هو
شان المصادر واسما الاجناس وفي ذلك اشارة الى انهم يتمكنون من الرحلة الى اي
بلاد ارادوا لشمول الامن لهم قال مالك الشتا نصف السنة والصيف نصفها
وقال قوم الزمان اربعة اقسام شتا وربيع وصيف وخريف وقيل شتا
وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك اصح لان الله تعالى قسم
الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عكرمة عن ابن عباس انهم كانوا يشتون
بمكة ويصيفون بالطائف وقال اخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة
احدهما في الشتا الى اليمن لانها ادفى والاخرى في الصيف الى الشام وكان الحرم
واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكان قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم ولولا
الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف
واول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني
والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى ... هل لا مررت بال عبد مناف
هل لا مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من ضر ومن اكناف
الرايسين وليس يوجد رايس ... والقايلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتى يكون فقيرهم كالكاف

والقايلين بكل وعد صادق والراحلين برحلة الايلاف عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتا ورحلة الاصياف
وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يولف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب
الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بجاه هذه الاخوة
اي بعهودهم التي اخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي ولما كان
هذا التدبير لهم من الله كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنى والمباطنة بالامن وكان
شكرا لمنعم واجبا قال تعالى فليعبدوا اي قريش على سبيل الوجوب شكرا
على هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه التي لا تحصى لانهم يدعون انهم اشكر
الناس للاحسان وابعدهم عن الكفران رب هذا البيت اي الموحد له والمحسن الى اهله
بحفظه من كل طاغ وباذلال الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال
اعزازه لهم في الدنيا والاخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما لشانها
ثم وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيارة شرف البيت
بقوله تعالى الذي اطعمهم اي قريشا يحمل الميرة الى مكة بالرحلتين اطعاما مبتدا
من جوع اي عظيم فيه غيرهم من العرب او كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذي
زرع بهم عرض للفقر الذي ينشا عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه احد
في كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم معه في عبادته ولا من البر بابيهم ابراهيم
عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات
ونهى اشد النهي عن عبادة الاصنام ولم يقل اشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع
ولان من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما هو عنده ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب
وامنهم اي تخصيصا لهم من خوف اي شديد جدا من اصحاب الفيل
الذين ارادوا خراب البيت الذي به نظامهم وما ينال من حولهم
من التخطف بالقتل والنهب والغارات ومن الامن من الجذام بدعوة ابيهم ابراهيم
عليه السلام ومن الطاعون والدخان بتامين النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد
كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسمي بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان
الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتا والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا
اليهم طعاما في السفر فحملوا فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم
متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة
يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل
ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين
كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت شاكة وجوش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة
واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع في قوله تعالى وامنهم من خوف اي من خوف
الحبشة وقال علي وامنهم من خوف من ان تكون الخلافة الا فيهم قال الزمخشري
ومن يدع التفاسير وامنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم انتهى لكن
ان ثبت ذلك عن علي فليس كما قال وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك وقول

البيضاوي

البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع
سورة الدين وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس
ومدنية في قول له اخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرين
كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الذي له كل كمال الرحمن الذي عم جميع عباده
بالنوال الرحيم الذي خص اولياءه بنعمة الاتصال وقوله تعالى ارايت استفهام معناه
التعجب وقرا نافع بتسهيل الهمزة بعد الرا ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها الكسائي
قال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب رايت
ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل
رايت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وحققها الباقون والمعنى
ارايت الذي يكذب اي يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان بالدين اي بالجزا والحساب
اي هل عرفته ان لم تعرفه فذلك بتقدير هو بعد الفا اي المبغض المبعد من كل خير
الذي يدع اي يدفع دفعا عنيفا بغاية القسوة اليتيم ولا يحث على اكرامه لان الله
تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقي لانه لا حامل على الاحسان اليه الا الخوف
من الله تعالى فكان التكذيب بجزائه سببا للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه
فانهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان
ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد
وجبت له الجنة واختلف فيمن نزل ذلك فيه فقال مقاتل في العاص بن وائل
السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عائذ المخزومي
وقال عطا عن ابن عباس في رجل من المنافقين وقال بعضهم في ابي جهل ولا يحض اي يحث
نفسه ولا غيره على طعام المسكين اي بذله له واطعامه اياه بل يمقته ولا يكرمه
ولا يرحمه وقد تضمن هذا ان علامة التكذيب بالبعث ايذا الضعيف والتهاون
بالمعروف ولما كان هذا حاله مع الخلائق اتبعه حاله مع الخالق بقوله تعالى فويل
اي عذاب او واد في جهنم للمصلين الذين هم اي بضمائرهم وخالص سرائرهم
عن صلاتهم اي التي هي جديرة بان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها لاجل
مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها ساهون اي غافلون في الغفلة عنها وتضييعها
وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها وروى البغوي بسنده ان النبي صلى
الله عليه وسلم سئل عن الاية فقال هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس انه قال
هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية
اذا حضروا مع الناس لقوله تعالى الذين هم اي بجملة سرائرهم يراؤن اي بصلاتهم وغيرها
الناس لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجا الثواب ولا لخوف عقاب من الله تعالى
ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في صلاته
وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله تعالى وقال ابن عباس لو قال في صلاتهم
ساهون لكانت في المؤمنين وقال عطا الحمد لله الذي قال تعالى عن صلاتهم ساهون
ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية في المنافقين وقال قتادة ساه عنها

BULAC

لا يبالي صلى او لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها وقال الحسن هو الذي
ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة مبالاة بها
حتى تفوتهم او يخرج وقتها ولا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع ولا خبات لم يكره فيها من العبث
باللحية والثياب وكثرة التثاوب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف
ولا ما قرا من السورة وكما ترى صلاة اكثر من ترى من الذين عادتهم الرياء باعمالهم
ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلاة التي
هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة
التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين ولم
ترى من المتسمين بالاسلام بل بالعلم من هو منهم على هذه الصفة فيا مصيبتاه
فان قيل كيف جعل المصلين قائما مقام الضمير الذي يكذب وهو واحد اجيب
بان معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قيل اي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم
وبين قولك في صلاتهم اجيب بان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك
وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين
ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك
لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته
فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس
الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقد مرت الاشارة الى بعض ذلك فان قيل
ما معنى المراءاة اجيب بانها مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرى الناس
عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل
الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله
عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان
تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان
تطوعا فحقه ان يخفى لانه ما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا
للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثني
عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر
واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما طال هذا لانه يوسم فيه
الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة
على المسح الاسود ثم بين انه من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله
تعالى ويمنعون اي على تجدد الاوقات الماعون اي حقوق الاموال والشيء اليسير
من المنافع وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر
واشباه ذلك وهي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال مجاهد الماعون
اعلاها الزكاة المفروضة وادناها عارية المتاع وعن علي انها الزكاة وقال
محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقال

فطرب

سورة الكوثر مكية

فطرب اصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اي شي قليل
فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون
ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا
حديث موضوع سورة الكوثر وتسمى النحر مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل
ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات
واثنان واربعون حرفا بسم الله الذي لا حد لفايض فضله الرحمن الذي شمل
الخلايق بوجوده فلا راد لامره الرحيم الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله
وقوله تعالى انا اي عالنا من العظمة اعطيناك اي خولناك مع التمكين العظيم
يا اشرف الخلق الكوثر اي نهرا في الجنة هو حوضه ترد عليه امته لما روي عن
انس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ غفى
اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزل علي
انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض
ترد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب
انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت
تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر يجري بياضه
بياض اللبن واحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدي فاذا الثرى
مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي اعطاكه الله وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب
منها لا يظما ابدا زاد في رواية وزواياه سوا وفي رواية فيه اباريق كنجوم
السما من ورده شرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم
حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فقال
انك لا تدري ما احدثوا بعدك وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما
من ذهب والاخر من ورق وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد علي يوم القيمة رهطان من اصحابي او قال من امتي فيحلون عن الحوض
فاقول اي رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم
القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي امتي الحوض
وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا

BULAC

قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن
عني طائفة منكم فلا يصلون الي فاقول يا رب هؤلاء من اصحابي فيجيبني فيقول
وهل يدري ما احدثوا بعدك واحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لاولي الالباب
ونسال الله تعالى ان يرونا منه نحن واحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب
قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق هو الايمان
وقال ابن عادل وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف
فيه وحديثه حسن متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة انتهى وقيل الكوثر
القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وقيل
الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس
الكوثر الخير الكثير قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون
انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله
اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او كثير
القدر والخطر كوثر قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر اب ابنك قالت اب
بكوثر وقال الشاعر وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقائل كوثرا
وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة الذي فضلها على جميع الخلائق تنبيه لا منافاة
بين هذه الاقوال كلها فقد اعطيها النبي صلى الله عليه وسلم اعطي صلى الله عليه
وسلم النبوة والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود
وكثرة الاتباع واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعدا وكثرة الفتوح
في زمنه وبعده الى يوم القيمة واولى الاقاويل في الكوثر وهو الذي عليه
جمهور العلماء انه نهر في الجنة ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا ياتي عليه حصر
مما لا يناسب ادناه نعيم الدنيا بجملتها سبب عنه قوله تعالى امرا بما هو
جامع لمجامع الشكر فصل اي بقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله
في حضرة المراقبة شكرا لاحسان المنعم خلافا للساهي عنها والمرائي فيها لربك
اي المحسن اليك بانواع النعم مراغما من شئت فلا سبيل لاحد عليك وانحر
اي انفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون
والنحر افضل نفقات العرب لان الجزور الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق
العرب المال انصرف الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله
وينحرون لغير الله فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله تعالى
وقال عكرمة وعطا وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانسك نسكك
واقتصر على هذا الجلال المحلي وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة
المفروضة بجمع اي مزدلفة وانحر البدن بمنى وعن ابن عباس وضع اليمين على الشمال
في الصلاة عند النحر وعن علي ان معناه اني يرفع يديه في التكبير الى نحره
وقال الكلبي استقبل القبلة بنحرك وعن عطا امره اي يستوي بين السجدتين
جالسا حتى يبدو نحره ان شانئك اي مبغضك والشاني المبغض يقال شنأه يشنأه
اي ابغضه هو الابتر اي المنقطع عن كل خير واما انت فقد اعطيت ما لا غاية لكثرته

من خير

من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك فمعطي ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت
لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطا واوفره من اكرم معط واعظم منعم
او المنقطع العقب لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المومنين فهم اعقابك
واولادك وذكرك مرفوع على المنابر والمنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر
الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك
لا يقال ابتر انما الابتر هو شانيك المنسي في الدنيا والاخرة وقال الرازي هذه
السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلاة والريا ومنع
الماعون وذكر ههنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة الصلاة
فصل اي دم على الصلاة وفي مقابلة الريا لربك اي لرضاه خالصا وفي مقابلة
منع الماعون وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانيك
هو الابتر اي المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى
له اثر وما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل واختلف
المفسرون في الثاني فقيل هو العاص بن وايل وكانت العرب تسمي من كان له
بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاصي وقف
مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت
واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت الاية وعن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل
قالوا ابتر فلان فلما توفي ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل
الى اصحابه فقال بتر محمد فنزلت وقال السدي ان قريشا كانوا يقولون
لمن ما مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم
القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده
فنزلت وقيل لما اوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان
قالوا ابتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فنزلت تنبيه قال اهل العلم
قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان بليغة واساليب بديعة
منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل
للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كما في قوله تعالى
اتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بنا الفعل على الاسم ليفيد الاسناد
مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف
بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه
بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فا التعقيب الدالة على السبب فان الانعام
سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغيره الله تعالى
ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وافضلها
والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التي النحر اسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ
التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري
عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى

دلالة على انه المربي والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم
الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها الامر بتتمة الاهتمام بشانه للاستئناف وجعله
خاتمة للاعراض عن الثاني يوم يشهد ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولم يرد
المراد شخصا معينا العبد الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة
على انه لم يتصف الا لمجرد قيام الصفة من غير ان تؤثر فيمن يسبون سيما البنتة
لان من يشنأ شخصا قد يؤثر فيه شناه سيما ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة
بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير
الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيدان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدأ
فكذلك يفيد التاكيد او يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة
بالخصوصية بهذه الصفة كانه قتل الكامل في هذه الصفة ومنها افتتاله
تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الى اخرها وقول
البيضاوي يتعالى الله يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر
سقاه الله من كل نهر في الجنة وبين له عشر حسنات بعدد كل قربان
قربه العباد في يوم النحر ويقربونه حديث موضوع سورة الكافرين
مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس
وقتادة والضحاك وتسمى ايضا سورة المقابرة والاخلاص لانها في اخلاص
العبادة والدين كما ان قل هو الله احد في اخلاص التوحيد لما جتماع النفاق بها
محال لمن اعتقدها وعمل بها وينال لها ولسورة الاخلاص المشقشتان المبرئتان
من النفاق قال الشاعر اعبدك بالمقشقشتين مما احاذره ومن نظر العيون
وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا بسم الله الذي لا يستطيع
احد ان يقدر حق قدره الرحمن الذي عم برحمته من اوجب عليهم شكره الرحيم
الذي وفق اهل وده فالتزموا تمهيد امره وقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق
يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي
والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن يغوث والاسود بن المطلب بن
اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشترك نحن وانت في امرنا
كله نعبد الهتنا سنة وتعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا
في امرنا واخذت بحظك منه فقال معاذ الله ان يشرك معه غيره قالوا فاستلم
بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله تعالى
هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش
فقام على رؤسهم ثم قرا عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك
واذوه واصحابه وفشا امرهم بهذا الوصف الذي تقشعر لوصفه في يوم الدين وحمل
عزمهم وحتمهم ايدان بانه محق وسمى علما من اعلام السورة فان قيل ما
ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا ايها الذين كفروا وهنا قال قل يا ايها الكافرون
اجيب بانه في سورة التحريم عما يقال لهم يوم القيمة ولم لا يكونوا رسولا اليهم

فانزل

فازال الواسطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى
بلفظ الماضي واما هذا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولا اليهم فقال تعالى
قل يا ايها الكافرون اي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا
ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لوجودها من التماس الحظ وهم كفرة
مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع فدل عليه التعبير
بالوصف دون الفعل واستغراق اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان
وكل زمان والتعبير بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى
الاشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه
وسلم وقال الله تعالى له قل يا ايها الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالرفق
واللين في جميع الامور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم
كان مامورا بان يدعوهم الى الله تعالى بالرحمة الاحسن فلذا خاطبهم بيا ايها فكانوا
يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور بهذا الكلام
لا اني ذكرته من عند نفسي ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وانه
لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال لا اعبد اي الان ما تعبدون من دون
الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادة في سر ولا علن
لانه لا يصلح للعبادة بوجه ولا انتم عابدون اي الان ما اعبد وهو الله تعالى وحده
ولا انا عابد اي في الاستقبال ما عبدتم من دون الله تعالى ولا انتم عابدون اي
في الاستقبال ما اعبد وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى منهم
انهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار ووجه
التكرار كما قال اكثر اهل المعاني هو ان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم
ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار
ارادة التخفيف والايجاز فالقائل بالتاكيد يقول قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم
تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
ثانيا تاكيد لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فباي الاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني وفائدة التاكيد هنا قطع
اطماع الكفار وتحقيق الاخبار وهو اقامتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وعلى
الاول قد تعبدت كل جملة بزمان غير الزمان الاخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف
يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما
لا يصح انتهى وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم نفى في الجملة الاولى الحال وفي
الثانية الاستقبال وقول البيضاوي فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما ايس منهم صلى
الله عليه وسلم قال لكم دينكم اي الذي انتم عليه من التكذيب ولي دين اي الذي
انا عليه من التوحيد وهو دين الاسلام وفي هذا معنى التهديد كقوله تعالى

لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وهذا كما قال الجلال
المحلي قبل ان يومر بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شي
لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزا دينكم ولي دين جزا دين وسمي دينهم دينا لانهم
اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاوكم ولي جزاي لان الدين الجزا وحذفت الاضافة
من دين للتبعية وقفا ووصلا وقرا نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه
بفتح اليا والباقون باسكانها فايدة قال الرازي جرت العادة بان الناس
يتمثلون بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جايز لانه تعالى ما انزل القران
ليتمثل به بل ليتدبر ونفيه فيعملون بموجبه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت
منه مردة الشياطين وبري من الشرك ونفاقي من الفزع الاكبر حديث موضوع
الا الجملة الاولى منه فرواها الترمذي سورة النصر مدنية بالاجماع وتسمى سورة التوديع
وهي ثلاث ايات وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الذي له
الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن الذي ارسلك رحمة من الله العلي العظيم الرحيم
الذي خص اهل وده بفضله العميم وقوله تعالى اذا منصوب بسبح جا نصر
الله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره اياك على اعدايك
ومعنى جا استقر وثبت في المستقبل لمجي وقته المضروب له في الاجل وزاد في تعظيمه
بالاضافة ثم بكونها الى اسم الذات وقرا حمزة وابن كوان باماله الالف بعد الجيم
محضة والباقون بالفتح نصر الله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره
اياك على اعدايك ومعنى جا استقر وثبت في والاعلام به قبل كونه من اعلام النبوة
روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع والفتح اي فتح مكة وهو الفتح
الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في البغوي وغيره فلا نطيل بذكرها
وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة
ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة
ما ترون اي فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا وانتم
الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى قد امكنه من رقابهم
عنده وكانوا له فيا فلذلك سمي اهل مكة الطلقا ثم بايعوه على الاسلام في دين
الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف الى غيرها ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله المومنين وفتح بلاد الشرك
عليهم فان قيل ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه اجيب بان النصر الاعانة
والاظهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض غاثها قال الشاعر

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري ارض عامر

ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي بلاد تميم وانصري ارض عامر والفتح
فتح البلاد وقال الرازي الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو الاعانة على تحصيل

بيان فيعملون

سورة النصر مدنية

المطلوب

المطلوب الذي كان متعلقا بها والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه
فان قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما منصورا بالدلائل بالمعجزات فما المعنى
في تخصيص لفظ النصر بفتح مكة اجيب بان المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع
فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله فما
فائدة التقييد بنصر الله اجيب بان معناه نصر لا يليق الا بالله كما يقال هذا
صفة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصفة والمقصود منه تعظيم حال تلك الصفة
فكذا هاهنا فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم اصحابه
من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمى نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نصر الله فما السبب في ذلك اجيب بان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد له
من داع وباعث وهو الله تعالى فان قيل فعلى هذا الجواب يكون فعل مقدما
على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النص لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم
فجعل نصرنا مقدما على نصره لنا اجيب بانه لا امتناع في ان يكون فعل العبد
سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب
عجيب يعجز عن ادراكه العقول البشرية ولما عبر عن المعنى بالمجيء عبر عن المرئي بالرؤية
فقال تعالى ورأيت اي يبصرك الناس اي العرب الذين كانوا حقيرين عند جميع الامم
فصاروا بك هم الناس كما دلت عليه لام الكمال وصار سائر اهل الارض لهم اتباعا
وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم يدخلون شيئا شيئا متجددا دخولهم مستمرا
في دين الله اي شرع من لم تزل كلمته هي العليا افواجا اي جماعات كثيفة كانت
تدخل منه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين
اثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون
منه افواجا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن
سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم كانوا يؤذنون وبعضهم يقرؤون القرآن
وبعضهم يهلكون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل
اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال
اجد نفس ربكم من قبل اليمن وفي هذا تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع
اسلامهم افواجا الثاني ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم
باهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفرنا باهل الحرم فليس
له يدان وقد كان والله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون
في الاسلام افواجا من غير قتال امة بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا
تنبيه دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال
على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسما اخر منها الصراط

قال تعالى صراط الله ومنها النور يريدون ليطفئوا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى
الله يهدي به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى ومنها الحبل الوثيق قال تعالى واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة
الله ومنها فطرة الله تنبيه جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح
واحتجوا بهذه الاية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج
وجعله من اعظم المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره
في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل
ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات
والتنزيهات بالدليل والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه
الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح فان قيل انهم كانوا عالمين باصول
دلائل هذه المسائل لان اصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل
اجيب بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا من عشر
مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة
مقلدا لا محالة ولما كمل الدين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بان يشتغل
بنفسه فقال عز من قائل فسبح اي نزه بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها
تسبيحا ملتبسا بحمد ربك اي الذي انجز لك الوعد باكمال الدين وقمع المعتدين
المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله لكرامتك والا فهو عزيز حميد على كل حال
تعجبا لتيسر الله تعالى من هذا الفتح الذي لم يخطر ببال احد حامدا له عليه
او فصل له حامدا على نعمه قاله ابن عباس روي انه صلى الله عليه وسلم لما دخل
مكة بدا بالسجود فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات واستغفره اي اطلب
غفرانه ليقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني فان الامان الاول
الذي هو وجودك بين اظهرهم قد دنى رجوعه الى تقدمه في الرفيق الاعلى
والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله تعالى حق قدره
كما اشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي اعظم العبادات وفي
الصحيحين عن عائشة انها قالت ما صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت
عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول استغفر الله واتوب اليه قال
فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال عكرمة لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها
وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر
ابو بكر وعمر وسعيد ابن ابي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال
انه كما قلت فعاش بعدها ستون يوما ما روي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل
نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا
يوم فرح فقالا بل فيه نعي للنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة
بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش

صلى

على ايمان المقلد صحيح

صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسين
يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما
ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما
وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك قال الرازي اتفق الصحابة على ان هذه
السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه احدها انهم عرفوا
ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى
الله عليه وسلم في خطبته لما نزلت هذه السورة ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين
لقائه فاختار لقاء الله فقال ابو بكر فديناك بانفسنا واموالنا وابائنا واولادنا
ثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك
على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقبه الزوال كما قيل اذا تم امر بدا نقصه
توقع زوالا اذا قيل تم ثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا
واشتغاله بذلك يمنعه من الاشتغال بامر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر
التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس ان عمر
كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى
معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم
ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه
سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره
ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها
الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما تزون وروي انه صلى الله عليه
وسلم دعا فاطمة فقال يا بنتاه اني نعيت الي نفسي فبكيت فقال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنها ايضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة بعد ان نزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك
اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم
ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
قال فاني امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقيل استغفره هضما
لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه
عليه السلام اني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفر لامتك
وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق
كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ولما امره الله تعالى بالتسبيح والاستغفار
ارشده الى التوبة بقوله تعالى انه اي المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل
تحت الحصر كان اي لم يزل توابا اي رجاعا بمن ذهب به الشيطان من اهل
رحمته فهو الذي رجع بانصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف
بالعداوات فايدك بدخولهم في الدين شيئا فشيئا الى ان دخلت مكة بعشرة الاف وهو

يرجع بك الى الحالة التي تزداد بها ظهورا فعند ذلك في الرفيق الاعلى قال الله تعالى والاخرة
خير لك من الاولى فتفوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود ان هذه السورة
تسمى سورة التوديع فالقتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه
السورة سنتين وهذا بناء على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان في سنة
ثمان واما من قال عاش دون ذلك كما مر فبناء على انها نزلت عني في حجة الوداع كما مر
انتهى قوله في الآية سؤالان احدهما ان قوله تعالى كان توابا بدل
على الماضي فحاجتنا الى قبوله في المستقبل ثانيهما هلا قال غفارا كما قال
في سورة نوح عليه السلام فالجواب انه قال تعالى يغفر الله وقال تعالى فورب السماء
وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله واجيب عن الاول بوجوه احدها ان هذا
ابلغ كانه يقول الى ثبت عالم بهو اقبح فعلا منهم كالهود فانهم بعد ظهور
المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم
واتوا القبائح واما اتابوا قبلت توبتهم فاذا انت قابل التوبة اولى بهم دونكم
افلا اقبل توبتكم وانتم جريمة اخرجت للناس ثانيها اني شرعت في توبة العصاة
والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن قالها كنت توابا قبل
امركم بالاستغفار افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار رابعها كانه اشار الى تخفيف
حنانتهما ي لستة اول من جنى وتاب والمعصية اذا عمت خفت حامسها كانه
نظير ما يقال لقد احسن الله اليك فيما مضى لذلك يحسن اليك فيما بقي واجيب عن الثاني
بوجهين احدهما لعله خص هذه الامة بزيادة الشرف لانه لا يقال في صفات
العبد غفارا ويقال توابا اذا كان انبا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي يسمى
من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان كان المعنى مختلفا فتحتى تصير
يسمى في آخر الامر وانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل
التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا ثانيهما انه تعالى
انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب لقوله عليه
السلام المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ بربه فان قيل قد يقول
انوب وليس بتائب اجيب بان ذلك كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم
بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فهو قصار يقدر الكلام فاستغفره
بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة
والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار واجيب عن الثالث بانه تعالى راعى العدل
فذكر اسم الذات مرتين وذكل اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب
ولما كان التربية تحصل اولا والتوبة اخرا اخر الاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة
اخرا فتعال الله تعالى من فضله وكرمه ان عمل انبا توبة تفتح لانك بعدها
انت اقام كريم رحيم وفي البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة حدث
موضوع

سورة تبت مكية

سورة تبت مكية وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله المتكبر الجبار المصور الهادي الرحمن الذي عم خلقه بسعة بغداد الاكرام بالايجاد الرحيم الذي خص بتوفيقه اهل الوداد وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب دعا عليه وسبب نزول ذلك ما روي عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين صعد صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية ان الله صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش وذكر نحو ما وفي رواية فصعد الصفا فهتف يا صباحا فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا فنزلت وعن ابن عباس ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما ذا اعطى ابن منتن تكبا بعمه فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال صلى الله عليه وسلم وانه سيصلى نارا ذات لهب فاتى قال ابنتي هذا من دين ان اكون وتبعك لا سواء فنزلت ومعنى تبت قال ابن عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطا اضلت وقال ابن جبير هلكت والتباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما روي انه اخذ حجرا ليرمي به النبي صلى الله عليه وسلم فقبل رماه به فارتدت عليه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وسبت يده فاضيف الافعال الى اليد وذلك على عادة العرب في التعبير بعض الشيء عن كله وجميعه او عبر باليدين لان الغالب ان الاعمال تزاول بهما وقال ابان بن ربيعة صحفت من كل خير حتى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان سمع الناس هاتفا يقول لقد قتلوك لقد اضروا بانفسهم فقال ابو لهب ولم يقتلوا انما قتلوا اولم يوفوا انذورهم فقال الذي صنعوا وقيل المراد باليدين دينه ودنياه واولاده وعقباه والمراد باحدهما الجنس المنتفع وبالاخرى دفع المضرة او لان لليمين سلاح والاخرى حسير وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى فان قيل لما ذا كني بذلك ولم يذكر باسمه لهب وايضا فالتكنية من باب التعظيم اجيب عن الاول بان الكنية قد تكون اشهر كما سمي ابو سفيان وابو طالب وجرى ذلك فان اكثر اسمائهم وكناهم وجنته ونار ذات لهب واجيب عن الثاني بوجوه احدها انه لما كان اسمه حرج عن افادة التعظيم ثانيها ان اسمه كان عبد العزى فلما مرض قعد له عنها اي كنيته لقبح اسمه ثالثها انه لما كان من اهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان حديرا بان يذكر بها كقولهم ابو الخير وابو يسر لصدورهما منه ولان الكنية كانت اغلب من الاسماء ولانها انفض منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم دون كناهم وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة اجوبة احدها ما الشهرة بكنيته واما القبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من اهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته

كنيته انتهى وهذا يقتضي ان الكنية اشرف من اللقب لا انقص وهو عكس قول تقدم وقرا ابن كثير
باسكان الهاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى وتب اخبار كما يقال
اهلكه الله وقد هلك فالاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر فحقق به
ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقاء بعده وقيل المراد بالاول
ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وبالثاني نفسه ولما دعا
صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله تعالى وخوفهم النار قال ابو لهب ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه اي عن ابي لهب
ماله اي الكثير فانه كان صاحب مواشي كثيرة الذي جرت العادة بانه ينجي من الهلاك
فانه كان صاحب مواشي كثيرة وما كسب اي من الولد والاصحاب والعز بعشيرته التي كان
يؤذي بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان
هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر الى الشام واوصى به الرفاق لينجوه من هذه الدعوة
فكانوا يحدقون به اذا نام ليكون وسطهم والجمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب
محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشمم الناس حتى وصل اليه فاقتلع راسه
وانما كان الولد من الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم اطيب ما ياكل احدكم من كسبه وان ولده
من كسبه تنبيه ما في ما اغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى الاستفهام يكون
منصوب المحل بما بعدها التقدير اي شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز
في ما في قوله تعالى وما كسب ان يكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان تكون مصدرية
اي وكسبه كسبت واغنى بمعنى تغني ثم اوعده سبحانه بالنار فقال تعالى سيصلى
اي عن قرب موعد لا خلف فيه نارا يندس فيها وتنعطف عليه وتحيط به ذات لهب
اي لا يسكن ولا يخمد ابدا لان ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته
ولما اخبر تعالى عنه بكمال الثبات الذي هو نهاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يصونها
بازري صورة واشنعها بقوله تعالى وامراته وهو عطف على ضمير يصلى سوغه
الفصل بالمفعول وصفته وهي ام جميل وهي اخت ابي سفيان بن حرب ابن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والصلي من غير ان يغني عنها شيء من مال ولا حسب
ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهي ضد كنيتها قال البقاعي ومن هنا
يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه وقوله تعالى
حمالة الحطب فيه وجهان احدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم
بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد
كانت تحمل العضاة اي الشوك تلقيه في الليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يطاوه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي في كل يوم
بابالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عييت
فقعدت على حجر تستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثاني ان ذلك مجاز
عن المشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس
يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال الشاعر

من البيض

من البيض لم تصطه على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرا عاصم بنصب التا من حمالة على الشتم قال الزمخشري وانا استحب هذه القراة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب شتم ام جميل انتهى والباقون برفعها على انها صفة امراته فانها مرفوعة باتفاق اما بالعطف على الضمير في سيصلى كما مر ويكون قوله تعالى في جيدها حبل حالا من امراته او على الابتدا او في جيدها هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز ان يكون في جيدها خبر مقدم وحبل مبتدا مؤخر والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على اجياد وقوله تعالى من مسد صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال ابو عبيد هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتل وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار فان قيل ان كان ذلك حبلها فكيف تبقى في النار اجيب بان الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد ابدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعها سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج من اسفلها وتلوي سايرها على عنقها وقال قتادة من ودع وقال الحسن انما كان حرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيمة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقا كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله والجمع امساد وروي انها لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد ان ترميه بها فلما وقفت عليه اخذ الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر اين صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه والله اني شاعرة مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما ترى ما راتك قال صلى الله عليه وسلم ما راتني لقد اخذ الله تعالى بصرها عني وكانت قريش انما تسمي محمدا صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبوه وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من اذى قريش يهجون مذمما وانا محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الاذى ويحلم عليهم فينبغي لغيره ان يكون له به اسوة قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

تنبيه احتج اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان بتصديق الله تعالى في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يومن فانه من اهل النار فقد صار مكلفا بان يومن بانه لا يومن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول الفقه وقد تضمنت هذه الايات الاخبار عن الغيب

BULAC

بثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم
الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد كان ذلك
لانه مات على الكفر هو وامرأته ففيه ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامرأته
خنقها الله تعالى بحبلها كما مر وابو لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة
بدر بسبع ليال فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسله بالما
قذفا من بعيد بحافة عدوة العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون
ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة وقيل ان الله
تعالى يدخل امرأته في جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحزم حزمة
الحطب فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من سجين الى قوم ومن الضريع
وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما تعذب كل مجرم بما يناسب حاله فرحمه
وقول البيضاوي تعالى الله مختار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرسوخ
تبت وهوت الا يجمع الله بينه وبين اسم الله في سورة واحدة حديث موضوع
سورة الاخلاص مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ومدنية في احد
قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة
وسبعة واربعون حرفا بسم الله الذي له جميع الكمال بالجلال والجمال الرحمن
الذي افاض على جميع خلقه عموم الافضال الرحيم الذي خص اهل ودادة من نور
الانعام بالاتمام والاكمال واختلف في سبب نزول سورة قل هو الله أحد
فروى ابو العالية عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انسب لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعنا يا محمد فقال الى الله تعالى
قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت
واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقال الضحاك
وقتادة وسفيان جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اصف
لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو
وهل ياكل ويشرب ومن ورث ومن يورثها فنزلت هو ضمير الشان وهو مبتدا
وجوز الله واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات
الكمال او الواحد الحقيقي بما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما
كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية
والحكمة التامة المقتضية للالوهية فابانت جاءت الواحد عن العرف لغات
كثيرة تقال واحد ووحد ووحيد وواحاد واحاد وموحد واوحد وهذا كله راجع
الى معنى الواحد وان كان زيادة ذلك معان لطيفة ولم يجئ في صفات الله تعالى الا الواحد والاحد
وقوله تعالى الله اي الذي تحيرت الافهام في كنه ذاته واخذت عن الاحاطة بصفاته
هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها والصمد السيد المصمود
اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض
وخالق كل شيء وهو واحد منزه عن الكثرة لان شريك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق في

لا يستغنون عنه وهو المعنى عنهم وعن ابن عباس الصمد هو الذي لا جوف له وقال السدي هو
الذي لا يأكل ولا يشرب وقال الربيع هو الذي لا تعتريه الآفات وقال مقاتل بن حيان
هو الذي لا عيب فيه وقال قتادة هو الباقي بعد فناء خلقه وقال سعيد
ابن جبير هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وقال السدي هو المقصود اليه في الرغائب
المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده صمدا اي قصدته
اذا قصدته وعن ابن بريدة كيف هو الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت
ومن يموت يورث عنه فسر الصمد بما بعده وينبغي ان تجعل هذه التفاسير كلها
تفسيرا واحدا فانه منصف بجميعها فكونه لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه
او يخلفه عنه لامتناع الحاجة والغناء عنه بدوامه في ابديته والاقتصار على الماضي للرد
رد على من قال الملائكة بنات الله او عزير او المسيح او غيره والمعنى انه لا فصل له فظهر انه
لا جنس له فدل عليه بقوله تعالى ولم يولد لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو
المعهود والمعقول فهو قديم لا اول له بل هو الاول الذي لم يسبقه عدم لان الولادة
لا تكون ولا تتشخص الا بواسطة المادة وعلاقتها وكل ما كان مادة او كان له علاقة
بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك ولم يكن ايلم
يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا يتقدر من التقادير له اي خاصة كفوا
اي مثلا او مساويا احد على الاطلاق اي لا مساوية في قوة الوجود لانه لو تساواه في ذلك
لكانت مثله وانه باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولدا عن الازدواج
الحاصل من الجنس الذي يكون كالام والفصل الذي يكون كالاب وقد ثبت انه لا يصح
وجود ان يكون في شيء من الولادة لان وجوب وجوده لذاته فلا ينفي ان يساويه
شيء وكان الاصل ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي الكفاءة عن ذاته
تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا او يكون
كفوا حالا من احد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لان الثلاث شرح
الصمدية النافية لاقسام الامثال فهي كالجملة الواحدة روى ابو هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك
وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فيقول لن يعيدني كما بدأني وليس
اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا
الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وفواصل هذه السورة بالدال
بعضها وفواصل كفوا بالواو وقفا ووصلا واذا وقف حمزة بالالف وورد
في فضائل هذه السورة احاديث كثيرة منها ما رواه البخاري عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن فان قيل لم كانت تعدل ثلث
القرآن اجيب بان القرآن انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا وعد ووعيد وثلثا اسما
وصفات تضمنت هذه السورة احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات وقيل
انها تعدل القرآن لكله عما فقرها منتهاها وتقاربطها وما ذاك الا لاحتوائها على صفات

الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها ومنها ما روى مسلم عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد
فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شئ يصنع
ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقرأ بها فقال صلى الله عليه وسلم
اخبروه ان الله تعالى يحبه ومنها ما روى الترمذي عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قلت
ما وجبت قال الجنة ومنها ما روى انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ قل هو الله احد خمس مرات غفرت ذنوبه ومنها ما روى سعيد
ابن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد عشر مرات
بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة
ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر اذن نكثر
قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك ومنها ما رواه الطبراني
عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة الصبح
اثنى عشر مرة فكانما قرأ القرآن اربع مرات وكان افضل اهل الارض يومئذ
اذ اتقى وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد في مرضه
الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحلته الملائكة باكفانها
حتى يجيره من الصراط الى الجنة وقد فرقت احاديثها بالتاليف وفي هذا القدر كفاية
لاولي الالباب ولها اسماء كثيرة وزيادة الاسم تدل على شرف المسمى احدها سورة النفريد
ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها سورة الاخلاص خامسها
سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب لنا
ربك ثامنها سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة المقشقشة
حادي عشرها المعوذة ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس
قال ابن عباس السموات السبع والارضين السبع ما قال هو الله احد رابع عشرها
المانعة لانها تمنع فتنة القبر وعذاب النار خامس عشرها سورة المحضر
لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها المنفرة لان الشياطين
تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لانها براءة من الشرك ثامن عشرها
المذكرة لانها تذكر العبد حاصل التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها تنور القلب
عشرونها سورة الامان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال
الله دخل حصني ومن دخل حصني امن عذابي فسبحان الله تعالى ان يجيرنا من عذابه
ويدخلنا الجنة بمن وجميع الاحباب بغير حساب فانه كريم حليم وهاب وما رواه
البيهقي وغيره انها تعدل ثلث القرآن فرواه البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يقرأها الى الخر فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما سورة الفلق مكية
في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة وهي
خمس ايات وثلاثة وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا بسم الله
الذي له جميع الحول الرحمن الذي استجمع كمال الطول الرحيم الذي انعم على اهل ود

جميل القول واختلف في سبب نزول سورة قل أعوذ برب الفلق فقال ابن عباس وعائشة كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ
مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاها اليهود فسحروه
فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت هذه وقل اعوذ برب الناس
فيه وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم طب اي سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيا
وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقال
عائشة وما ذاك يا رسول الله فان جائني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند
رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الاخر مطبوب قال من طبه قال
لبيد بن الاعصم قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال
في دروان وهي بئر في بني زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها
رؤس الشياطين قالت قلت يا رسول الله هلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني
الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله
عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال
ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فلو بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال قال فما ذكر ذلك لليهودي
ولا رأى في وجهه قط ورؤي انه كان نخت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف
الطلعة فاذا فيها مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وعن مقاتل
والكلبي كان ذلك في وتر عقد عليه احد عشر عقدة وقيل كانت معروزة بالابرة
فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة
الناس ست ايات كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام صلى
الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه
ثلاث ليال فنزلت المعوذتان وروي انه كان يخيل له انه يطا وحتانه وليس
بواطئ قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري ان
جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم
قال بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
بسم الله ارقيك فان قيل الاستعاذة منه تدل هو بقضاء الله وقدره او لا فان
كان بقضاء الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع انها قدر الله لابد واقع وان لم
يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدر اجيب بان كلا واقع في الوجود فهو
بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرضى من قضاء الله يدل على صحة ذلك ما روى
الترمذي عن ابي حزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ارايت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد
من قضاء الله شيا قال هي من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر
من قدر الله الى قدر الله ومعنى اعوذ استجير والتجا واعتصم واحترز والفلق

في قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيمة
الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة الفنا والهلاك بالبعث والاحيا وقال الملوي الفلق بالسكون
والحركة كل شي انشق عنه ظلمة العدم واوجد من الكاينات جميعا وروي عن ابن عباس
انه سجن في جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك تعني الخلق وقيل المطمئن من الارض
وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه
اي تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب
هنا اوقع من ساير اسمايه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية ولما كانت الاشيا
قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا في عالم
الخلق خصه بالاستعاذة فقال تعالى معمما فيها من شر ما خلق فحصر عالم
الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه والشر يكون اختياريا من العاقل
الداخل تحت مدلول ما وغيره من ساير الحيوان كالكفر والظلم ونهش السباع
ولدغ ذوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقيل المراد به ابليس
خاصة لانه لم يخلق الله خلقا شرا منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل
من شر كل ذي شر وقوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فيه اوجه احدها ما روي
عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي
بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود وذهب ضوءه
او اذا دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض
وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيها ما روي عن ابن عباس ان الغاسق
الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من الشرق وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار
والغسق البرد وانما امرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل الغوث
ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اعذب الليل لانه اذا اظلم كثر فيه العدو
وفيه يتم السحر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه ثالثها انه الثريا اذا
سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها
فلهذا امرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود من الحيات
ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد ولما كان السحر
اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المؤمن زوجه وابيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك
بقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي النسا او النفوس او الجماعات
السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويوقين والنفث النفخ
مع ريق وقال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن
النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل ما معنى الاستعاذة من شرهن اجيب بثلاثة
اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك ثانيها
ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن ثالثها ان يستعاذ
مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن قال الزمخشري ويجوز ان يراد بهن النسا الكيدات
من قوله تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي

نفثن

نفثن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك تنبيه
اختلف في النفث في الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه
حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث
عليه بالمعوذتين وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وروي ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيئا
فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويثفل
حتى برا فاخذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم
انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم وانكر جماعة النفث والثفل في الرقى واجازوا
النفخ بلا ريق وقال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يقعد وقيل ان النفث
في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث
لاصلاح الارواح والابدان فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه ولما كان
اعظم حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد
او غيره قال تعالى ومن شر حاسد اي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه واعظم
الحساد الشيطان الذي ليس له داب الا السعي في ازالة نعم العباد ات عن الانسان بالغفلات
ثم قيد ذلك بقوله تعالى اذا حسد اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي
الفعائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو
الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم
من حاسد وفي اشعار الاية ادعا بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش
محسودا ومات محسودا فان قيل لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه
اجيب بان النفاثات عرفت لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل
غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد
محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين
الحديث وقال ابو تمام

وما حاسد في المكرمات بحاسد ۞ وقال اخر ۞ ان العلى حسن في مثلها الحسد

فائدة قال بعض الحكما الحاسد بارز ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت
على غيره ثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها
انه ضاد فعل الله تعالى ان فضل ببره من شا وهو يبخل بفضل الله رابعها ان خذل اوليا
الله او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم خامسها انه اعان عدو الله ابليس والحاسد
لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة ولا ينال في الخلوة الا جزعا
وغما ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يستجاب دعاوهم اكل الحرام ومكثر الغيبة
ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الاية اليهود فانهم
كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل قوله تعالى من شر ما خلق يعم في كل ما
يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد اجيب

BULAC

بانه قد خص شر هولا من كل شر لخفا امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به
وقالوا شر العداة المراجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر واخرج الامام احمد عن الزبير
ابن العوام انه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد والبغضا الا والبغضا
هي الحالقة الحسد فنسال الله تعالى ان يحفظنا ويحيينا منه انه كريم جواد وروى مسلم
انه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وروى بن ماجه
انه صلى الله عليه وسلم قال وانك ان تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني
المعوذتين وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل
ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس وما رواه الزمخشري ولم يقله البيضاوي هنالك قاله
في اخر السورة الاتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا
الكتب التي انزلها الله تعالى كلها حديث موضوع ∴ سورة الناس مكية وهي ست ايات
وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله المحيط بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر
الرحمن الذي عمت نعمته كل باد وحاضر الرحيم الذي خص اهل وده باتمام النعمة في جميع
امورهم الاول منها والاثنا والاخر ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم
امره بان يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق المرسلين
اعوذ اي اعتصم والتجا برب اي مالك وخالق الناس وخصهم بالذكر وان كان رب
جميع المحدثات لامرين احدهما ان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا
الثاني انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيد صنعهم قال الملوي
والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السما والارض وانقادها ودفع الشرور
ورفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العايد بالحفظ والتتميم على المربوب
وقوله تعالى ملك الناس اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان
فاليه المفزع وهو المستغاث والملجا والمعاد وقوله تعالى اله الناس اشارة الى
انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك احد فكذلك هو وحده الههم
لا يشركه في الهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد
الايمان وتضمنت معاني اسمايه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك
مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو بمعنى الربوبية عليه من اوصاف
الجمال والملك هو الامر الناهي المعز المذل الى غير ذلك من الاسما العايدة الى العظمة
والجلال واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل
فيه جميع الاسما الحسنى فلتضمنها جميع معاني الاسما الحسنى كان المستعيذ
جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من راى
ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا درج في العروج في درج
معارفه سبحانه علم انه غني عن الكل والكل اليه محتاج وعن امره تجري امورهم
فيعلم انه ملكهم ثم يعلم بانفراده تدبيرهم بعد ابداعهم انه المستحق للالهية
بلا مشارك له فيها فايدة قد اجمع القرا في هذه السورة على اسقاط الالف
من مالك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا اضيف الى اليوم افهم

سورة الناس مكية

اختصاصه

اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك
وهو معنى الملك بالضم واما اضافة الملك الى الناس فانها لا تستلزم ان يكون ملكهم
ملوقرئ به هنا لتقرر بالضم واطبقوا في العمران على اثبات الالف في المضاف وحذفها
من المضاف اليه لان المقصود بالسياق انه سبحانه يعطي الملك من يشاء وينعه من يشاء
والملك بكسر الميم اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله اعظم من ان تحيط بها العقول
وانما غاية اولي العلم الاستدلال بما ظهر منها بتنبيه لا يجوز في ملك اله الناس ان يكون
وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشري ثم
قال كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بن ملك الناس ثم زيد بيانا بالاه الناس
لانه قد يقال لغير رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم وقد يقال
ملك الناس وما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قيل هلا انتفى
باظهار المضاف اليه الذي هو اله الناس مرة واحدة اجيب بان عطف البيان للبيان
فكان مظنة للاظهار دون الاضمار من شر الوسواس وهو اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فهو وسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان سمي
بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صفته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد
ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ويقاله بحس الصائد والكلاب
واصوات الحلي وسواس والشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم كما في الصحيح فهو
يوسوس بالذي شر البيوت احلى ولا يزال يزينه وينشر الشهوة الداعية اليه
حتى يوقع الانسان فاذا اوقعه وسوس لغيره ان يفعل كذا حتى يفضحه
بذلك فاذا افتضح ازداد اجراء على امثال ذلك كانه يقول قد وقع ما كنت
احذر من ابقاعه فلا يكون شر غير الذي كان يحذر على الدنيا ولا على الدين والله تعالى
لم ينزل ذا الا لنزله له داعية الشام وهو الموت وكان قد جعل ذا الوسوسة
ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان ويذهب القلب ويصفيه وصف سبحانه الوسوس
عند استعمال الدعاء بقوله تعالى الخناس اي الذي عادته ان يخنس اي ينوارى
ويتاخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة كما كان الله خنس وكما بطل عادا ذا الوسوسة
عالة كرله كالمقامع التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولقد كان شيطان المومن
هريلا كما حكي عن بعض السلف ان المومن يضني شيطانه كما يضني الرجل بعيره في السفر
قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر
الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس وقيل راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة
القلب عند وسوسته فاذا ذكر الله خنس ورجع ووضع راسه بذلك فقوله تعالى
الذي يوسوس اي يلقي المعاني الفاسدة على وجه الخفي والتكرير في صدور الناس
اي المصطرين اذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير سماع قال مقاتل ان الشيطان وضع
خطمه على قلب ابن ادم يجري من ابن ادم مجرى الدم في عروقه سلطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي
وسوسته هو الدعاء الى طاعة بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع
صوت فتنبه يجوز ان يكون محل الذي رفع على الذم او نصب او جر على الصفة
والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس

على احد هذين الوجهين وقوله تعالى من الجنة اي الجن الذين هم في غاية الشر والمرد والخفا
والناس اي اهل الاضطراب والبدنة بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان
جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون بدلا من الذي يوسوس
لان الموسوس من الجن والانس ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يوسوس كما
كونه من هذين الجنسين وقيل غير ذلك قاله الحسن هما شيطانان لنا اما شيطان
الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة
ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس
وعن ابي ذر قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقاله ان من الانس
شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية
وذهب قوم الى ان المراد بالناس هنا الجن سموا اناسا كما سموا رجالا في قوله
تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله
تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما في قول الفراء عن بعض العرب
انه قال رأيت بحيدتي حاقوما من الجن فقتل فعقل من انتم فقالوا ناس من الجن
فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون المكرر لاختلاف اللفظين والجنة
جمع جني كما يقال انسي وانس والهاء لتأنيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس
في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عام
في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدور هم وقيل بمعنى من شر الوسواس
اي الموسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به وعن عقبة بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر اليات انزلت الليلة لم ير
مثلهن قط اعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس وعنه ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ المتعوذ قلت بلى قال قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وعن عائشة قالت كان رسول الله عليه
وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ
بهما راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه
كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به انا الليل وانا
النهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى
قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى اخره
كلما حل ارتحل وعن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لنبي
ما اذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به وهنا لطيفة نختم بها كما ختم بها الزرنجي
رحمه الله تعالى تفسيره وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة
وهي اية رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الافات وهي الغاسق والنفاثات

والحاسد

والحاسد واما في هذه السورة فللمستعاذ منه مذكور بصفات ثلاث وهي الريب والملك والالم
والمستعاذ منه افة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الوصفين ان الشايب انه يتقدر
بتقدير المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة
الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار
الدنيا وان عظمت وهذا اخر ما يسره الله تعالى من سراج المنير في الاعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيرا كانه سبيكة عسجد او درة منضد
جمع من التناسب منظمها ومن الغرابات منوانرها ومن الاقاويل اظهرها ومن الاحاديث
صحيحها وحسنها محرر الدلايل في هذا الفن مظهر الدقايق استعملنا الفكر فيها
اذا الليل جن فان ظفرت بفايدة شاردة فادع لي بالتجاوز والمغفرة او زلة قلم او لسان
فافتح لها باب التجاوز والمغفرة فلا بد من عيب فان تجد ذلك فسامح وكن بالستر
اعظم مفضل فمن ذا الذي ما ساقط ومن له المحاسن فذ نمت سوى حر مرسل
وانا اعوذ بجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة
من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان
المسوط باللحم والدم واسئاله بخضوع العنق وخشوع البصر وطبع الخد لجلالة
الاعظم الاكبر ان يشفعنا اليه بنور الذي هو السبيبة في الاستلام متوسلا بسيد
الانام وبالنوبة المحضة للاثام وبما عنيت به من مصابرتي على تواكل من القوى وتحاذل
من الحطيئة اسئاله بعروة طه المستقيم وقرانه المجيد الكريم وبالتفت من تدح اليمين
وعرق الجبين في عمل هذا التفسير المبين عن حقايقه المخلص عن مضايقه المطلع
على غوامضه المشت في مداحضه المكتنز بالفوايد الغنية التي لا توجد الا في المحيط
بالاكتنة من بديع اللفظ ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتخير المستنزه
الملول بتوسط الحجم وخير الامور اوسطها لا تفريطها ولا افراطها هذا اولسان التقصير وطوله
مدحه قصير فاعذره واسال الله الكريم الذي به الضر والنفع والاعطاء والمنع ان يجعله
لوجهه خالصا وان يتداركني بالطافه اذا الظل اضحى في القيامة قالصا وان يتقبله
مني انه هو السميع العليم وان يرفع به درجتي في حيات النعيم وان يجعله ذخيرة لي
عنده انه ذو الفضل العظيم وان ينفع به من تلقاه بالقبول انه جواد كريم وان يخفف
عني كل نصب ومونة وان يمدني بحسن المعونة وان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مضار
السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني في عمار وس الاشهاد انا ووالدي
واولادي واقاربي ومشايخي واحبابي ويحلنا دار المقام من فضله بواسع طوله وسابغ
نواله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا حين يسر كان في قدر تعالى والده معترف
بقصر الباع وكثرة الزلل ولكن فضل الله وكرمه لا يعلل بشيء من العلل فلهذا ارجوه
ان اكون متصفا باحدى الخصال الثلاث التي اذا مات ابن ادم انقطع عمله
الا منها بل ارجو من الله الكريم اجتماعها انه كريم حليم وكان الفراغ من ذلك يوم الاثنين
المبارك ثالث عشري صفر الخير من شهور سنة ثمان وتسعين وتسعماية من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد فقير رحمة ربه القدير مولفه
محمد الشربيني الخطيب عفر الله تعالى له ذنوبه وستر في الدارين عيوبه

ورد في الحديث من قرأ سورة الفلق اعطي من الاجر بعدد كل فلق في الجنة ومن قرأ سورة الناس اعطي من الاجر بعدد كل ناس في الدنيا فليس يسمع بذم الا بغيض عن كثاء ربه ولا يرد في الحديث من قرأ سورة الاخلاص اعطي من الاجر بعدد كل مخلص ومخلص في الدنيا

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وجميع الانبيا والمرسلين
والصحابة والتابعين اجمعين وزان منه الاسما ورد في تدبيرهم تدميرهم

وكان الفراغ من كتابه يوم الخميس المبارك ثامن شهر ربيع
الاول سنة الف ومايه سبعة وعشرين من الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
على يد افقر العباد الى الله واحوجهم اليه
محفوظ بن احمد بن محفوظ الدمسيسي
الشافعي ونقله من نسخة مولفه
وخطه بيده غفر الله له ولوالديه
ولمن قرا فيه ودعى له
بالمغفرة والمسلمين
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
وسلم

اودعت في هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وما من كاتب الا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيمينك غير شي يسرك في القيامة ان تراه

الجزا الرابع من سراج المنير في الاعانة على معرفة بعض كلام ر[illegible]
الحكيم الخبير تاليف شيخ الاسلام عمدة الانام ولي الله بلا نزاع والد[illegible]
عليه من غير دفاع شيخ الاسلام الشيخ محمد شمس الدين
الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
على كل حال
امين

عوسمرد كرارسه

38 109a
~~869~~

BULAC

Ms
ARABE
1092
LA

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وجميع الانبيا والمرسلين
والصحابة والتابعين اجمعين ، وزان منه الاسما ورد في تدبيرهم تدميرهم
وكان الفراغ من كتابه يوم الخميس المبارك ثامن شهر ربيع
الاول سنة الف ومايه سبعة وعشرين من الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
على يد افقر العباد الى الله واحوجهم اليه
محفوظ بن احمد بن محفوظ الدمسيسي
الشافعي ونقله من نسخة مولفه
وخطه بيده غفر الله له ولوالديه
ولمن قرا فيه ودعى له
بالمغفرة والمسلمين
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
وسلم

اودعت في هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وما من كاتب الا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيمينك غير شي يسرك في القيامة ان تراه